سيرة
عنترة بن شداد



المجلد الرابع

التزام مكتبة الجمهورية العربية

سيرة

عنترة بن شداد

وهو الفارس المشهور والبطل الجسور . سيد الشجعان وقاهر الأقران عنتر بن شداد من شعراء الطبقة الأولى — وكان من أحسن الشعراء شيمة . وأعلاهم همة . وأعزهم نفسا . وأقواهم بطشا وفتكا . وكان مع هذه الشجاعة التي ضربت بها الأمثال لين العريكة سهل الأخلاق شديد النخوة . رقيق الشعر . وقد عمر تسعين سنة ومات مقتولا — وفي سيرته من آثار البطولة وآيات الشجاعة مالا يندثر بل يبقى على ممر الأيام وتدوم سيرته مادامت العصور — وفيها يجد القارىء من الوقائع والحروب معارك مسترسلة في ميادين القتال

الجزء الحادى والعشرين

يطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد على آله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين (قال الراوى) وقد فنى منهم جميع كثير من الفرسان والأقارب لأن ذو الخمار نسفهم بسيفهم نسفاً وفرق صفوفاً بالطعن صفاً وسقاهم من الموت كأساً صرفاً وما مضى النهار وأقبل الليل حتى عدم من بنى عبس القوى والحيل ودارت بهم الرجال والخيل فقال ذو الخمار لأصحابه امسكوا عليهم الطرق والمذاهب وانظروا ما أفعل بهم إذا طلع الفجر ولاح لأنى قتلت فرسانهم الذين عليهم المعتمد وفى غداة غد ما أبقى منهم أحداً وكان يحق لهذا الفارس أن يقول مثل هذا المقال لأن العرب كانت تمده فى الحرب بألف فارس وإذا كان معه ألف فارس كان يلقى بها سبعة آلاف فارس ولولا فرسان بنى عبس فرسان المنايا ما كانت أقامت بين يديه ساعة واحدة على أنهم ما باتوا إلا وهم مشرفون على الهلاك وأرادوا أن ينفذوا إلى عنتر رسول فما وجدوا لذلك وصول فباتوا يدبرون فى أحوالهم ويودعون رجالهم عيالهم لأنهم قد أبصروا ما ها لهم وصار بنو زياد يقولون هذا فارس عظيم وهو أفرس من عنتر وأشد قتال وجلاد لأن مقرى الوحوش كان يناظر عنتر فى الشجاعة وما أقام مع هذا الشيطان إلا ساعة وكانت بنو جشم قد شالت مقرى الوحوش من تحت أرجل الخيل وشدته كتاف وتركته عند عروة بن الورد ثم أن الملك قيس لما رأى ذلك الامر أرسل إلى سبيع يطلب منه الصلح فقال يا قيس إن هذا الأمر ما تراه ولا فى المنام وإلا تسلم لى بنو زياد الذين اشتركوا فى قتل عبد الله بن الصمه وإلا أتركـكم كلكم مطروحين بين أطناب الخيام قال فلما سمع قيس ذلك الكلام عظم الأمر عليه وأيقن بالأتراح وبات يفرق على عبيده وعبيد أهل الحلة العدد والسلاح ويطلب منهم المعونه على الحرب والكفاح وما زال على ذلك الإيضاح إلى أن أصبح الصباح وزحف ذو الخمار عند اقبال النهار وطلبتهم المواكب من سائر الأقطار وارتفع الصياح من العبيد والأحرار وعملت الصوارم عمل النار وأبذلت بنو عبس المهج وقاتلت قتال من أيقن بالهلاك وما فيه فكاك ونظرت يوما ما رأت أضيق منه وباتت تصبح بالنوائح وباتت أصحابهم من الجرائح والقتلى بين الأطناب مثل البطائح ولما أن كان اليوم الثالث ترجل سبيع بن الحارث وأخذ ترسه والحسام وهجم على بنى عبس وهم فى الخيام وأطلعهم من المضارب قوة واقتدار وأنفذ جماعة إلى دريد ومن معه فخلوهم من الوثاق وأركبوهم على الخيول العتاق ولما أن صلوا إلى بين يديه هناهم بالسلامة والإطلاق وركب هو والرجال الذين ترجلوا معه واتبعوا بنى عبس الذين تفرقوا فى أقطار الفلا وجرى

من القصة ما جرى إلى أن التقاهم عنتر بن شداد وعدنا إلى سياق الحديث والخبر واقتتلوا قتال من أيقن بالرحيل إلى دار الآخرة وقد ذكرو أن ملاعب الأسنة مع خصمه دريد بن الصمة وعامر بن الطفيل مع اللقيط بن زرارة والأمير عنتر مع خصمه ذي الخمار وهم في قتال ونزال ومصارعة ومطاعنة تتعوذ منها الجبابرة والفراعنه ورجعت بنو عبس وقويت بالفرسان الذين وصلت مع عامر بن الطفيل ظهورها وعادت على الأعداء بقلوب حنقة ورجعت من أقطار البر بعدما كانت متفرقة ونادى بعضها بعض وقد استبشرت بوصول عنتر إليهم وقالوا يا بني الأعمام حاميتنا قد كما ناشر ذي الخمار فخذوا أنتم من أعدائكم بالثار واكشفوا عن أنفسكم العار قال الراوي وكان للقوم يوما ما أعجب منه في الأيام ولا أشد حربا منه والسلام لأن الفريقين كانت تقاتل وقلبها متعلق بالفرسان الذين عليهم المعتمد وكان أكثر الاعتماد على ذو الخمار وعنتر بن شداد (قال الراوي) يا كرام وقد تطاعن الاثنان حتى طارت الرماح قطع وما بقي منها شيء ينفع وأراد كل واحد منهم أن يجرد حسامه فما مكنه خصمه من ذلك بل أنهما زعقا وافترقا واصطدما والتزما واعتركا على ظهور الخيل حتى كل منهما الجلد والحيل وأبصر عنتر تتصير حجرة سبع وقد تعبث من شدة انهاضها وقد انزعجت من شدة جريانها فرعق الأمير عنتر فيه فتخيل ورفس الحجرة في جنبها فوقعت ووقع سبيع من فوقها كأنه سفينة الجبل ووقع عنتر فوقه كالصخر الجلمد فرض عظامه رض وهو فوق الحصى والجلد وما وشى على نفسه وفاق حتى شدوا منه الوثاق فأبصر اللقيط هذه العجائب والأهوال فألوى عنان جواده وطلب المنازل والأطلال فرأى عامر بن الطفيل خصمه وقد هرب فرجع وضرب جواده وبد فانقلب وعاونه ابن خالته عليه حتى ملكه وكتفه فنظرت باقي المواكب إلى ما حل بصاحبها فولت على أعقابها وقد تقطعت أسبابها وعملت رماح بني عبس في ظهورها وما زالوا بين هارب وطالب حتى وصلوا إلى خيامهم والمضارب وكان الليل قد نشر دجاه وكل واحد منهم قد طلب النجاة ولم يسأل القريب عن القرائب ولا الصاحب على الصاحب وملكت بنو عبس خيامهم وأثقالهم وما بقي من أموالهم ورحالهم وخلصوا مقرى الوحش وعروة بن الورد وكان عنتر قد تخلف بعدهم ساعة زمانية وعادت روحه إليه حتى أبصر ما بين يديه لأنه أبصر من ذي الخمار ما أهاله ولما أخذ لنفسه هناه ملاعب الأسنة وقال له يا أبا الفوارس لو بلي بهذا الفارس جن الأرض السفلى لعجز عنه وعن قتاله فقال له عنتر صدقت يا غشم وإنما أنا ما وصلت إليه إلا لأجل القضاء والقدر وإلا فما هو ممن يغلب في الحرب ولا يقهر ثم شدوه هو ودريد بن الصمة واركبوهم وصاروا بهم إلى بني عبس فرأوهم وهم فرحى بالغنائم والنصر والقهر لأعدائهم فهنأ بعضهم البعض بكشف الغمة وزوال الظلمة وشد عنتر الأسارى والتفت إلى مقرى الوحش وسأله عن حاله فقال والله

يا أبا الفوارس ما جرحى إلا بالغمة وما أقول إنى أسلم منها وما تبقى يدى تنفعنى فقال عنتر يا أخى لا تضق صدرك فاجرحك دون ولا كنت فى قتاله مغبون ثم أنه حدثه بما جرى مع ذى الخمار حتى أسره وفرح بذلك مقرى الوحش وأصبحت القبيلة تحت أذيال المسرة تهنى بعضها بعضا بكشف المضرة هذا وملاعب الأسنة قد دخل على الملك قيس وكان معه جماعة من قومه فهنوه بالسلامة وقال له يا ملك إن أعداك صاروا أعدانا ودماك قد امتزج بدمانا ونخاف تتعب قلوبنا إذا كنا متفرقين والصواب أنكم ترحلوا معنا وتنزلوا فى جوارنا حتى تهيبنا قبائل العرب ويقل عنا وعنكم الطلب ويصير بيننا صلة ونسب وما زال على مثل ذلك حتى أجاب الملك قيس ورآه صوابا وقد أمر بالرحيل الفرسان حتى يكونوا بجوار بنى عامر واختلطت العشائر بالعشائر وعملوا لبعضهم بعض الدعوات والولائم وتساووا فى الأموال والذخائر وتم الأمر على ذلك عشرة أيام ويساووا فى الأموال والأنعام وأصبحوا فى وسط الحى يتشاورون فى أمر دريد بن الصمة وذى الخمار وما يصنعون فى حقهم وكان بنو عبس عولوا على قتل الاثنين لأجل ما فى قلوبهم منهم فقال الأخوص بن جعفر وسادات بنى عامر الصواب أن تمهلوا عليهم فى هذا الأمر وتنظروا فى عواقبه واعلموا أن دريد على كل حال شيخ القبائل وله فضل على كل حال على الجحافل والرأى أننا نأخذ عليه الميثاق والعهود ونمن عليه بالاطلاق وعلى ذى الخمار ونكتفى شر بنى حمير وبنى جشم وبنى هوازن ومن لها من الحلفاء والفرسان قال فبينما هم فى الكلام واذ طلع غبار وقتام من ناحية أرض العراق فحققه وإذا عامر وبنو عبس فركبوا على صهوات الخيل العتاق وقد قربوا من ذلك الغبار وحققوه بنو به سائر على مهل فحدقوا إليه بالأبصار حتى بان للناظر وإذا تحته أعلام مذهبات ورايات مكتوبات وجنود وازدهارات وهوادج مرتفعات وفيها جوار حبشيات وروميات وعربيات ومن أيديهم المتممات وهم مثل البدور وصبيان أحسن من اللؤلؤ المنثور وحولهم فرسان مثل الصقور وهم على خيول يسابق الطيور فلما رأى بنو عبس هذه الأمور فأيقنوا بالأفراح والسرور فقال الملك قيس والله هذه الأعلام كسروية والروايات عراقية نعمانية وإن صدقنى حذرى فهذه أختى المتجردة قد أتت زائرة إلينا فقال عنتر حق ذمة العرب لقد صدقت وهذا الذى تحت الأعلام عمرو بن هند أخو الملك النعمان ثم ترجلوا من على الخيول وحققوا تلك الأخبار وتبينوهم فظهروا لهم فعرفوهم وسعوا لهم على الأقدام وعقدوا المواكب الكبيرة وتقدم عمرو بن هند وهم أن يترجل فأقسم عليه الملك قيس أنه لا يفعل ثم أنه سأله عن الأحوال وعن أخيه الملك النعمان فقال كما تعهدونه وهو عند الملك كسرى فى أعلا المراتب وهو حاكم على أعلا سادات العرب وأما أنا فقد أتيت فى خدمته وخدمه لك لان أختك شكت إليه شوقها إليكم مرارا عديدة وسألته فى زيارتكم فأذن لها بذلك وسيرنى بها

كانرى وقد أتيت معها لأجل أن تقضى حاجتها وتبل شوقها بكم فلما سمع الملك قيس ذلك شكره وتقدم إلى أخته وسلم عليها وأخذ بزمام ناقتها وسار يطلب أبياته وسائر الفرسان يشون حوله فى ركابه وركاب عمرو بن هند وقد رفعوا أصواتهم بالافراح قال ولما وصلوا إلى الخيام دخل الملك قيس بأخته إلى المضارب وأدخلها خيمته واجتمع إليها أخوتها يسألونها عن حالها وهى تبكى وتبوسهم وتقول لهم ما أنا إلا روح الملك النعمان وكل أشغالى تقضى بما أريد وما أنا الا عادمة رؤيتكم فقال الملك قيس وكذلك نحن أيضا ولما تكون سيوفنا فى أعلى مكان ولكن والله اشتقنا إلى الأوطان لأننا من حين قتلنا أولاد بدر ما برحنا إلا مهججين فى أبر ولولا سؤالك إلى الملك النعمان ما كنا خرجنا من بلاد اليمن ولا شقنا هذه الاطلال والدمن فقالت المتجردة يا قيس إن أرضكم قطعها الملك لبنى فزارة حتى ترجعوا أنتم من بلاد اليمن وأنا فى هذه النوبة إن رجعت إليه إن شاء الله تعالى أخليه يصلح بينكم وبين حصن بن حذيفة ويردكم إلى دياركم فقال قيس هذا الذى أريد حتى لا نكون قد خرجنا من تحت طاعته وإلا فنحن نقدر نقطع بنى فزارة إلى الأثر ولا نخلى منهم فى الدنيا بشر ولولا هيبته ما تركنا لهم ذكر يذكر ثم أخذ أخوته وأخرج إلى أخ الملك النعمان وترك المتجردة عند النسوان (قال الراوى) وكان أخو النعمان قد نزل على العيون والمناهل ومدت له الخيام والسرادقات وكان الكل من الديباج الرومى فدخلوا عليه وهم السادات من بنى عامر من بعد ما أمروا عبيدهم يذبحون النوق والأغنام ويروقوا لهم المدام وفى دون ساعة ضجت الأغانى بالأصوات ودارت الأفراح وكان الملك قيس واخوته من اليمين وبنو عامر عن الشمال وأراد الأمير عنتر أن يجلس فى ذيل المجلس فقام الملك عمرو إليه وأخذه فى يده وأجلسه عنده فى الجملة ولما دارت أقداح المدام ودار بينهم الكلام قال عمرو ابن هند للملك قيس أنى أتيت إليكم فى هذه المرة وأنتم فى راحة من الحرب فقال قيس يا ملك ومتى خف عنا كرب الحرب وبقى لنا عشرة أيام مقيمين فى الخيام ثم أنه حدثه بما جرى لهم مع دريد بن الصمة وذى الخمار وما قاسوا فى الحرب الليل والنهار فتعجب من ذلك وقد سمع الحديث على صحته فقال له والساعة دريد وصبره عندكم فى الأسر والاعتقال فقال قيس نعم واليوم كنا معولين على قتل الاثنين وأنت سعادتك لما أشرفت علينا اشتغلنا عن ذلك فقال عمرو والله يا قيس ما كنتم معولين إلا على بئس الفعال لأنكم لو قتلتم دريدا وذو الخمار ما كان يبقى منكم ديار ولا نافخ نار ولا يبقى لكم فى البر قرار يا قيس أما علمتم أن أمر دريد فى العرب مطاع مثل أخى النعمان لأجل ما قدر بى من الشجعان وتفضل على الفرسان وحق خالق الشمس والقمر إن بقى عندكم شهر آخر لا يقدم عليكم إلا كل من ركب قتب وضرب الأرض وطنب والصواب أنكم تحضروه حتى أننا نقبح عليه فعاله ونصلح بينكم وبيننا وتمن عليه بالاطلاق

فعندها أمر قيس باحضار دريد فمضى شيبوب خلفهم وأحضرهم قدام عمرو بن هند فلما نظروا إلى أخى الملك النعمان خدماه وقفا ثم قال عمرو يا دريد ما هذه الفعال التى ما تصلح إلا للجهال وأنت قد بلغت من الكبر إلى هذا الحد ما آن لك أن ترجع عن جهل الصبا وترق فقال دريد وما الذى فعلت يا ملك هل أنا خرجت عن سنة العرب وأنت تعلم أن بنى عبس لما كانوا خارجين معك من بلاد اليمن قتلوا أخى عبد الله عند منفرج اللوا وتركونى أنا طريحا بين القتلى ولما تسببت لى أسباب السلامة خفت من معيرة العرب من أقطار الفلا فصرت أكشف عارى واطالب ثارى فانكيت عار عليه عار وأسرت أنا وذو الخمار بعدما قتلت رجالنا ونهبت أموالنا وانخرق جاهنا غاية الانخراق وبقينا معيرة فى سائر الآفاق فقال عمرو الآن مضى ما مضى وأنت تعلم يا سيد هوازن أن الملك العادل كسرى ما ترك أخى مقدما على قبائل العرب إلا حتى ما يصلح فسادها ولكن اشتهى منكم إلا تشغلوا خاطره ولا تتعبوا سرائره بل يحلفون بعضكم بعض وتطلبون طريق السلامة وتقبلون سؤالى وأنا أكتم عنكم ما جرى ولا أخبر أخى بذلك ولا أترك عليكم عتب ولا لوم لانك تعلم يا دريد أن بنى عبس اليوم أعز الناس عليه فيجب عليه أن تحترمه وتحفظ جاهه وتعاونه فى صلاح القبائل ولا تتبع ربك الجاهل فقال يا مولاى لو أمرتنى أرعى جمال بنى عبس رعيتها إكراما لك ولأخيك الملك النعمان ثم أنه تقدم إلى الملك قيس وعانقه وأخذ يده إلى الصلح وعاد إلى عنتر ليفعل معه كذلك فقام الأمير عنتر إليه وقبل صدره ويديه وشكره وأثنى عليه وأما ذو الخمار فانه قال لا أصالح عنتر حتى أنه يبارزنى بين يديك ويجول معى ساعة من النهار ولا يفارقنى حتى أنه يقر أحدنا لصاحبه بالغلبة وتشهدون أنتم للغالب بعلو المنزلة ولا أمضى إلى أهلى وفى قلبى حسرة لأنه لو علم بما كان فى تفسير حجرتى وضعفها ما كان بلغ منى ما أحب وما اختار وهذا أمر قد خطر ببالى وأشتهى أن أحققه عند الانصاف حتى لا يبقى لى عند العرب خلاف فلما سمع عمرو من ذى الخمار ذلك الكلام علم أنه جبار لا يصطلى له بنار وخاف أن تزيد الاحقاد بينه وبين عنتر بن شداد فقال يا سبيع نحن قصدنا اصلاح الحال وما قصدنا عودة الشر والكفاح فقال ذو الخمار والله يا ملك إن هذا القول ما قلته على سبيل البغى ولكن أنا أبين لك قصدى بهذا الكلام وهو أننى فى هذا العام كنت معول على الحج إلى بيت الله الحرام واعلق لى قصيدة من شعرى حتى يستجد لها ملوك الأقطار ويعلو بها قدرى عند سادات العرب والآن فقد أصبحت مأسور وما بقيت أعتمد على أمر من الأمور إلا أن قهرت هذا الجبار وتشهد لى العرب بعلو المرتبة والاقتدار فعندها قام عنتر على قدميه والغضب قد غلب عليه وقال والله يا سبيع ما أنت إلا فارس مليح الأوصاف ولولا أنك أوحد الزمان ما نعد فى الحرب بسبعة آلاف من الفرسان ولكن يا وجه العرب إن السعادات لها

أوقات وإن اشتهيت أن تبارزني على سبيل الاختيار أنا أبلغك ماتحب وتختار ولكن في غداة غد يكون من اقبال النهار حتى لا يتنغص على هؤلاء السادات وما أبرزلك وحياة رأس هذا الملك إلا ورمحي خال من الاسنان وما أبرز إليك إلا وأنا عريان من الزرد وتشهد علينا الفرسان وإن دمي لك حلال ودمك على حرام قال فلما سمع الحاضرون كلام عنتر تعجبوا منه وقالوا أن هذا والله أمر عظيم وما حكم به أحد من فرسان العرب على نفسه لان قليلا من يطلب قتل خصمه والآخر يطلب بقاء هذا وذو الخار قد التهبت أحشاه بنار لانه من حين ركب جوادا ما أشر ولا جرى عليه مثل هذه النوبة ولا قهر ولا مارى الجماعة تعجبوا من قول عنتر قال يا سادات العرب أما هذا الشرط الذى شرطه على نفسه ما أقبله ولا آدخل تحته ولا أريده ولم يخرج لى الا وهو كامل العدة ويكون فى رؤوس الرماح خرقه مغموسة بالزعفران ومن وجد فى صاحبه مقتلا طعنه فيه وعلم عليه واذا افترقنا تتقدم الفرسان وتعد الطعان وتبصر مواضعها فى الأعضاء وتحكم للمغلوب والغالب على قدر الطعن الصائب والله حكم على نفسه وطلب الانصاف فليبرز على جواد خلاف جواده الابجر ويركب على الخيل المجهولة مثل ما أركب حتى لا يبقى عليه صحة ولا كلام لانكم تعلمون أن الخيل إذا القت فرسانها وعرفت مواقع طعانها أهابتها فى ميدانها وأطاعتها على الانقلاب والالتفات وساعدتها وقت المقابضة بالقناة فلما ان سمع الحاضرون كلام سبيع عرفوا معناه فأجابه عنتر إلى ما قاله وانفصلوا على مثل ذلك الكلام فقال أخو النعمان نحن غد نجعل اشرابنا على الغدير العظيم وتكون فرجتنا على براز هذين الفارسين ولا نعود إلى المضارب حتى تشهد على المغلوب وتخلع على الغالب ثم انهم عادوا إلى ما كانوا عليه من انتهاب اللذات وشرب الاقداح الدائرات ودريد يحدثهم بحديث الملوك القدماء وينشدهم أشعار الفصحاء والحكماء حتى دارت فى رؤسهم نشوة المدام وكان أول من انصرف ذو الخار وقد سكر من الغيظ أكثر مما سكر من العقار لاجل عزة نفسه ونخوته فمضى إلى المضارب التى كانت خليت لدريد بن الصمه ونقل لهم ما يحتاجون إليه ودخل عليهم فى الظلام وفرق الكاس شمل الناس وما فيهم من انصرف إلا وهو يهذى على قدر سكره بما يريد بما يجرى عند الصباح بين عنتر وسبيع بن الحارث وكان عنتر قد مضى مع أبيه وعامر بن الطفيل وهو لا يصدق أنه يرى وجه عبلة ويحظى منها بالوصال والذى جرى من أمر البراز والقتال لم يخطر على بال (قال الراوى) وكان عند الصباح جلس الملك عمرو بن هند وسادات العرب والمقدمون للسلام وذكروا ما جرى بينهم فى السكر من الكلام قال وإذا بعنتر قد أقبل وهو على حجرة صفراء صلبة العصب والعظام وبيده رمح بلا اسنان وعلى جسده ثوب خام قصير الاكمام وهو مكشوف الرأس حافى الاقدام فلما وصل إلى الباب ترجل وسلم عدته إلى أخيه ودخل وسلم على الملك

والموت يلوح من بين عينيه ولما أن سلم وقف مع جملة القيام وسأل عن خصمه ذو الخمار فقالوا له يا أبا الفوارس إيش هذا الاحتقار أما تخاف من ذو الخمار فقال لا والله يا بنى الكرام ولا خطر كلامه لى على بال ولا بد ما أخليه فضيحة بين الرجال قال فبينماهم فى الكلام وإذا بدريد بن الصمة داخل عليهم فسلم وخدم فقام له كل من حضر فأجلسه أخو النعمان إلى جانبه فلما استقر بهم الجلوس سألوه عن ذو الخمار وعن مبيته فقال ياسادات العرب إن أحوال الزمان عجيبة وما يحق لأحد أن يتكلم فى أصحاب السعادة ولا يطلب مالا يقدر عليه الا أصحاب المشيئة والارادة بل تخضع الصورة المنحوتة ولو أنها من الحجر منجوته ويصير ان قضى عليه القضاء والقدر وأنا من اليوم أريد أن أجعل عنتر عضوا وسنداو أتخذ بنى عبس ذخرا ومعتمدا فقال له عمرو كيف ذلك يا أبا النظر وما الذى قد لاح لك من البرهان فقال يامولاى ان ذوى الخمار قد أسبح فى حالة العدم وهو يتنغص فى جور أم ملدم وقد خلته مدثرا مزملا لا يعقل على من غاب أو من حضر وأما قولة عن أم ملدم فهى الحمة الصالبة وأما قوله مدثر مزمل فلقوله صلى الله عليه وسلم عن المجاهدين زملوهم فى ثيابهم يعنى لقدمهم فيها وأدفنوهم والحق سبحانه وتعالى خاطبه بالمزمل فلما سمع الحاضرون ذلك تعجبوا من هذا الامر فقال عمرو ابن هند ياقوم ماهذا من سعادته وحده بل لنا كلنا فى ذلك الحظ الاوفر لأننا قد استجرنا الحجاج وحفظ هذين السبعين الضاريين لأنهم ما كانوا ينفصلوا بسلام ثم انهم عادوا إلى ما كانوا عليه من شرب الراح واغتنام اللذات إلى أن انقضى من النهار ساعات وبعد ذلك أحضر أخو النعمان الخلع التى كانت قد وصلت له من عند أخيه الملك النعمان فخلع على الملوك والأمراء والفرسان ومافيهم الامن رواح وهو يسحب أذيال الحرير والديباج ويميل سكرا وابتهاج وكان عنتر قد أتى وعليه ثوب خام فماد عليه خلعة من ملابس الملك النعمان كلها مكتوبة بالذهب الوهاج وعلى رأسه عمامة كبيرة خضراء كأنها من رياض الجنة وكذلك كانت حلة دريد بن الصمة لان عمرا بذلك طلب جبر قلبه وبعد ذلك بقيت الدعوات والولائم فى خيام الملوك وتساوى فيها الغنى والصعلوك تمام عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر طلب دريد الزواج والانصراف ثم قال لعمرو بن هند يامولاى قد ثقل ذو الخمار فى مرضه الصواب أن أحمله إلى قومه وأقصد بذلك التخفيف عن قلوبكم على أن لى فى ذلك الفائدة العظمى الكبرى لان خبرى ان غاب عن قومى جمع أخى خالد القبائل وأزعج العرب وطلب خلاصى وما بقى فى الأمر غير المسير فلما سمع عمرو كلامه استصوبه فعاله وسائر من حضر فعند ذلك رد عليه الملك قيس ما كان نهب من الخيام والمال والخيل والرجال وسيره وهو شاكر وخدم عمرو بن هند أخو الملك النعمان تمام العشرين يوما تماما وبعد ذلك قال عمرو اعلم يا ملك أن أخى النعمان أمرنا أن نقيم أكثر من عشرة أيام فنحن قد

أقمنا عندكم عشرين يوم ولا بقى لنا مقام ولا بد من المسير فى هذه الايام فودع أختك واوصها بما تريد وجهزها حتى أعود بها على بعلها لانك تعلم أنه ما يقدر يصبر عنها فقال قيس سمعا وطاعة ثم أنه أخذ فى تجهيزها وكانت هى قد أخذت من الزيارة وطرحها وأغنت نسوان الحى من الخلع والهدايا وجدت بانزالها المعهود فلما أخبرها أخوها قيس بما سمع من عمرو قالت والله يا أخى صدق وما بقيت أقدر على على هذا المقام عندكم ثم أنه جهزها فى ثلاثة أيام وخرجت إلى الخيام التى فيها عمرو بن هند وسارت فى الرابع وقد سار معها كل من فى الحى ولم يبق فى الخيام غير النسوان ذلك اليوم الثانى وفى اليوم الثالث ردهم الملك عمرو بن هند وحلف عليهم وودعهم وعادوا إلى الابيات وانجلت لهم الاوقات ووقعت هيبتهم فى قلوب السادات وكان مقرى الوحش قد برىء من جراحه ومرضه وفرح به عنتر الفرح الشديد وصار يقضى معه الاوقات فى الخلوات وشرب المدام إلى ان عادوا فى الصحبة كما كانوا ثم ان عنتر صار مواظب الشرب على المروج والغدران مدة من الزمان وكان يخرج ومعه عامر ابن الطفيل وجماعة من الفرسان فجرى بينهم حديث ذو الخمار وما قاسوا منه فقال عنتر يا ابن عمى ماهو إلا فارس همام لا يوجد مثله فى الانام وما سار الاوقد ترك فى قلبى نارا وكلام فقال له يا ابا الفوارس وما هذه النار والكلام أبدية لنا ولا تخفيه فقال ذو الخمار لما كان بحضرة أخى الملك النعمان والملك قيس والفرسان قال لهم أن تبل أسرى له فى ذلك العام كان أراد أن يعلق له قصيدة على البيت الحرام ويترك العرب يسجدوا لها فزعا من رمحه والحصام وها أنا أقدر منه عيها لا بدلها أبذل روحى فيها وأترك لبنى عبس شرفا يبقى من بعدى فقال مقرى الوحش والله يا ابن العم ما أنت إلا قد وعدت على تمنا إلى مطلع الشمس وتحرم أحد يقول أنا من بنى عبس وتجلب لنا فرسان العرب من بعدهم ومن اقرب ومن سائر البرارى والقيعان وتترك المنادى ينادى فى ديارنا بالقلعان والله يا فارس الزمان ان هذا الامر ما يقدر عليه الملك النعمان ولا كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان ولو استعان بملوك عبدة الصلبان فقال له عنتر قصدك تكسر أغراضى فوحق من ركب الارواح فى الابدان وجعل الارض ميدان وسمى نفسه بالرحيم الرحمن لابد أو أبلغ هذه المنزلة أن ساعدنى الملك الديان وخالق الانس والجان وان قلت ونفذت فى سهام الحمام فلا عتب على الايام لانى ما أظن احد قبلى قد خلد من الانام ولا ترك الموت شيخا ولا غلام قال فما سمع عامر بن الطفيل هذا الكلام ظن أنه سكران ولم يعجب على انسان فغمز مقرى الوحش وقال بالله عليكم يا وجوه العرب دعونا الساعة من هذا الكلام وأديروا علينا اقداح المدام لان هذا حديث ما يجلب منه مسرة وما هو الا هم ومضره ولا يمكننا أن نعزم على هذا السبب حتى نشاور عليه ملوك العرب وإلا كانت آثارنا تنقلع عن آخرنا وتزعق فى

ديار نا الغربان ثم إنهم أخذوا فى شرام المدام وتحدثوا عنتر بهذا الكلام وقال وكان عروة بن الورد قدم من وليمة الربيع بن زياد ورآهم مجتمعين كما ذكرنا على المدام وجرى بينهم ذلك الكلام كما وصفنا فقال عبترة أخى أوحشتنا فى هذه الأيام فاين كانت غيبتك يا ابن الكرام فقال عروة يا أبا الفوارس كنت فى دعوة الربيع بن زياد ويا ليتنى ما كنت حضرت دعوته فقال له ولم ذلك فقال له تعلم أنه كثير اللجاج من دون الأنام وقد جرى بينى وبينه مخاصمة وهى من أجلك فقال له عنتر ولم ذلك فقال له وقع بيننا كلام فى الشعر والنظام فقلت له يا ربيع ما يوجد اليوم فى بنى عبس وعدنان أفصح من عنتر لسانا ولا اقوى منه جنانا ولا أبطش بنانا فعند ذلك قال الربيع يا ابن الورد أنا عملت قصيدة زهرية لا يقدر ولد شداد ولا غيره من فصحاء الزمان يقول منها بيتا أو بيتين وها أنا أنشدك اياها فاسمعها منى وانشدوا اظهرها عنى ولا تخفيها ثم انه أنشد يقول

قدم الربيع بزهرة المتسلسل والغيث بين مروجه متجدول
وعلى الرياض من الزمرد خلعة أطرافها رقمت بأنواع الحلى
من أبيض فى أصفر ومعصفر متعقر فى أزرق متجاجل
والطير يشجع فى الأراك مغردا والغصن يرقص حين غنى البلبل
وتصفق الاوراق فى أوداجها بسمارها والضر فيها ينجلى
فانهض إلى الراح القديم مبادرا ودع العذول مع العذول بمعذل
فلعمر أيسر مايكون وينقضى ويهيج أعضاك البلا بالمفصل
أما الجبان يموت بين غوانى وكواعب يندبنه فى المنزل
وأما الشجاع يموت فوق ضوامر تحت السيوف مع ازدحام القسطل
فانهب زمانك اذ يكون مواليا ما بين ندمان وبدر مكمل
وأنا الربيع أخو عمارة فى الوغا ابن الاكارم والاناس الفضل

قال الراوى) ولما فرغ عروة بن الورد من زهرية الربيع بن زياد قال عنتر هذه القصيدة التى لا يقدر أحد يعمل منها بيتا أو بيتين ولا ينظر شكلها ولكن اسمع منى على البادية ماسمح به الخاطر وماتبديه السرائر وما كنت به الضمائر فى وقتنا هذا الحاضر قصيدة مثلها أصحاب القصائد المعلقة على البيت الحرام ولا ينال أحد غيرى هذه الطبقة من من سائر الانام ثم أن عنتر ترنم وجعل ينشد ويقول

قم واسقنى وانهب رحيق السلسل واشرب ولا تحفل بقول العذل
لاغروان راض الربيع رياضها قبل اقتناثها جليت بانواع الحلل
والروض بين تألف وتهتف وتعطف وتصرف وتملل

بمخضر فى أصفر ومعصفر ومعنبر ومكوفر ومصندل
ومفضض ومذهب ومكثب ومقمع ومرصع ومحلل
والجو بين مغلس ومعبس وتنزل وتبرق وتسلسل
والطير بين مغرد ومعزم وترنم وترخم وتجلل
والزهر بين مفتح ومطرح ومفلج وملوج لم يكمل
مابين منشور كتوب معلم لكنه بيد امرىء لم يعمل
والورد بين مبهج ومفرج ومتوج ومرهج ومكلل
يزهو بأحمر كالعقيق وأصفر كالزعفران وأبيض كالسنجل
غصن النبات بديعة ألوانه أجكته ألوان السحاب المهطل
وبنفسج يحكى إذا عاينته آثار قرص فى ذراع ممثل
والنرجس يحكي العيون إذا رأت أجفانها لكنها لم تكحل
وكأن مبيض الاقاح ثغور من يزهو على حسنه المتذلل
وكأنما الشيح الزكى نسيمه يحي النفوس إذا جرى فى شمل
وكأنما شجر النخيل عرائس يجلون فى حلل الشعور السبل
وكأنما النارنج فى أغصانه حضر المطير فى حريق يشعل
وكأنما جرى المياه إذا بدت من جدول وتحدرت فى جدول
حياة فرت خفن من مستطلب يسعين سعى الخائف المستعجل
والروض بين أوانس وعرائس ومنافس بمذهب ومنقل
بادر إلى خلس الزمان لأنها فرض وان الدهر ليس بمقبل
والزم لهذا واجسرن له وأقبل إليه إقبال دهر مقبل
هذا هو العيش الذى ماشله فى دهرنا ولا الزمان الأول
وأنا ابن شداد واسمى عنتر فوق الثريا قد علوت بمنزل

ولقد وقعت على دواوين المتقدمين والمتأخرين وجميع النظام ماسمعت ولارأيت أعظم وأحسن من هذا الكلام ولما سمعت الحضار هذه الزهرية من عنتر بن شداد فامنهم ألا من تحير من فصاحته ثم انهم ثبتوا عليه بكل لسان وتمايلت الحضار طربا واهتزت عجبا وقال عامر بن الطفيل لعنتر لارد الله فاك ولا كان من يشناك فا أفصح لسانك أقوى جنانك وحق ذمة العرب لقد شوقتنى إلى الشعر والنظام وقد اشتهيت أن أعارض الربيع فى الكلام وأنشد يقول :

راق الربيع لنا بأحسن منظر والنرجس الغض الرطيب كناظرى

والغيم باك والزهو تبسمت | والوقت صاف لم يكن متعكر
وكذا بكاء السحب فيها قدحكت | تخرج لنا ظهر الرياض العبقرى
فانظر إليه محبب ومكتب | ومعشب ومذهب ومجوهرى
من أزرق ومخنق ذو رونق | وشقائق وحدئق ومعطرى
مع أصفر أو أحمر متمصفر | فى أصفر ومدور ومشرى
وكذلك العصفور فوق غصونها | تبدى فصاحة راهب فى سنترى
وكذا الهزار مرقيا ومسبحا | ومقدسا وسهللا ومكبرى
والغصن ساجد والزهار رواكع | صنعة إله قادر ومقدرى
والروض جامع الازهار ببسطة | وقناديل الاترج فيه تنورى
والكاس دائر والحبيب منادمى | والدهر طوعى والزمان مدثرى
فاذا شر بنا الخمر فى كاساتها | يبدو لها حب ودر جوهرى
بكرا شموسا عتقت فى دنها | عذرا عوان لم يليها مكبرى
فكانها شمس وبدر كامها | قد خالط الجوزا يريد المشترى
ياحضرة الإنس التى تسمع بها | فاشرب وأمل وأنزل تكدرى
بيع القفا واشترى العقار تكرما | لاخير فى مال يكون مكدرى
وأجل لنا بنت القسوس ورقها | فى الروض بين منظم ومنثرى
فالكاس قد راق اشتياقا لاجلها | وبقى عليلا مثل عو أصفر
والشمع يحكى عاشقا آلم قلبه | نار الهوى خليت ولا تنفجرى
هذا هو العيش الذى ما مثله | والزهر راق لم يكون معكرى
فاشرب بكاسات السرور مبادرا | فالدهر لايبقى وجل مغيرى

(قال الراوى) فلما فرغ عامر بن الطفيل من شعره تمايلت الفرسان طربا واهتزت عجبا وقال له عروة بن الورد والله ياأخى لقد شوقتنى أن أعارض الربيع فى أقواله وأتبع منك مقالك لانى أنا من بعض رجالك وقد أردت أن أقول شيئا خطر ببالى ثم أنشد وجعل يقول

راق الربيع وأشرقت أنواره | والعبقرى تفتحت أزهاره
والغيث هامل ثم هامى أدمع | والأرض انبهجت بطيب مراره
وأبدت لنا من سوس وشقائق | وقرنفل وبنفسج وبهاره
وكذلك اللمام لم يعطره | والورد مايس والنسيم دثاره
والنرجس الدبلان يحكى عاشقا | بضعف حزين قد علاه صفاره

قد نظم النسرين معه نوفر ... وكذلك المنثور أبدى بثاره
والدوح بين معبق و مغبق ... و مطرق متسقر وزاره
وكذلك السرو الطوال إذ زهت ... وتمايلت فى سندس وفخاره
يشبهن هيفا للتودد اذ بدت ... مياسة ميالة يشعاره
وكذلك الاترنج فوق غصونه ... يحكى مشاعل ركبت فى أنواره
وكذلك الغدران فى جريانها ... أحناس كل طالب أوكاره
فانهض إلى هذا اياض غمرة ... سحر وبرد عن فؤداك ناره
وانهب زمانك لاتقول إلى غد ... واسمع أديبا قد نظم أشعاره
فالدهر لايبقى بحال واحد ... يصفى ويحدث بعد ذاك مراره

(قال الراوى) فلما أن فرغ عروة بن الورد من شعره ونظمه فقال مقرى الوحش وأنا الآخر ١ عارض الربيع بن زياد وأما أبو الفوارس عنترفان ما فى عصره من يلفظ بلفظة من كلامه ولا يضاهية فى شعره ولا فى نظامه فعندها قال عنتر يافارس النياق ما أنا الاعبدلك ولهؤلاء الشجعان وأريدأن أسمع منك ماقدخطر ببالك حتى اننى أتبع مقالك فقال مقرى الوحش أناماقلت الا أن أعارض الربيع بن زياد لأنه لى ولك من جملة الأعداء والحساد فقال الأمير عنتر هات هات ماعندك فأنا الا من بعض غلمانك وجندك فشكره مقرى الوحش وأثنى عليه وبعد ذلك جعل مقرى الوحش ينشد ويقول

الغيم يبكى فى السماء ويهطل ... بمدافع تنهل من قطر الندى
والزهر باسم فى الرياض كأنه ... بسط يحاكى لونهن زبرجدى
صنعة إله العرش جل جلاله ... رب لطيف واحد متفردى
وهذا تكون الشمس عند طلوعها ... يبقى ضياها أحمر متوقدى
ومفضض ومذهب ومدثرى ... ومجوهر ومعبقر ومورذى
والآس بين شقائق وحدائق ... والغصن بين موشح ومقلدى
والطير بين مسبح ومقدس ... و تهلل و تكبير و تمجدى
والماء بين ترقرق وتدفق ... وتبهرج وتصلصل وتمجيدى
والدوح يرقص والنسيم مشيب ... والنهر صفق فى الجروف تقررى
والورد يحكى فى الغصون محاجر ... نار على ماء الحيا لم تخمدى
والياسمين مفتح ومغلق ... يحكى به عقول الحسدى
وكذلك الزهر أصبح باسما ... فى ثغره سيرا برائحة الندى
والاقحوان بقوسه وبسيفه ... ويلمع ولم يقطع بحد مهندى

والنوفر أصبح غارقا فى نهره — واصفر خوفا كاد أن لايهتدى
وانشق ظهر بنفسج عطرا له — حتى الشقيق شق الثياب تعمدى
والنرجس العطشان أصبح عائلا — يشبه حزين مفارق لايهتدى
والآس والسوسان حين تراهم — ما بينهم شىء يعاب من الردى
فى جامع الازهار شبه قنادل — تشعل لنا نار اللهيب توقدى
وأما الهزار مسبح ومؤذن — من فوق رأس الدوح بالصوت الندى
والطير يخطب والغصون منابر — وسائر الاثمار منهم سجدى
من بعد هذا قد رأيت عجائبا — الصبح يطرد الظلام الاسود
وذلك صنع الله جل جلاله — قد أتقن الأشياء بعالم تهتدى
خلق الخلائق ثم قدر رزقهم — رب تعالى واحد منمجدى
أجرى الأمور بحكمة فى خلقه — من ذا يعارض حكمة أو يعتدى
خلق العباد مخالفا ألوانهم — بيض وحمر منهمو ثم اسود
فيهم غنى حاله متيسر — يصبح ويمسى فى نعائم سرمدى
ومن أراد لفقره لامسعد — يغنيه منه سوى الاله الواحد
يشقى ويسعد من يريد بفضله — يعطى ويمنع واحد لايحسد
قسم المعايش بينهم من عدله — وكذا خزائن رزقه لاتنفدى
يقبض يبسط ثم يرفع واطئا — يدنى ويجعل من يشاء متباعد
فانظر لحكم الله فى أحكامه — جل الاله الواحد المتفرد
لارب غيره نعبده سبحانه — تبا لعبد جاحد أوملحد
لا خالقا للناس غير الهنا — فتبارك الله العظيم الواحد
وأنا بمقرى الوحش اسمى فى الورى — لكن بعنتر سرت أنى مهتدى

(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من شعره ونظامه قال له عنتر لارد الله فاك ولا كان من يشناك يافارس النياق ومطير الاحداق ولكن أنا قد خطر ببالى أنى أقول فى حضرتكم هذه الساعة شىء من الأبيات قد خطر بقلبى حتى تسمعها هؤلاء السادات فقال مقرى الوحش ياأبا الفوارس ويازين المجالس هات ماعندك من الشعر والنظام فعند ذلك أنشد عنتر يقول

أترى ظلام جفاكم يتشعشع — وضياء فجر رضاكم يتقنع
فلقد أضاء الهجر منكم مهجتى — فتى أرى التواصل قمرا يطلع
ومتى أوى شمس الوصال منيرة — فى برج سعدى والكواكب تلمع

ومتى أرى ذاك الجمال مشاهدا ... لا ر اخيا ستر ولا متبرقع
وأكرر النظرات فى روض البها ... وأنا باول نظرة لا أقتنع
وأقول للعزال موتوا حسرة ... هذا الحبيب وها أنا المتمتع
خجلت الحساد رؤية عبلة ... فى غفلة الرقبا وطلى المرتع
والروض بين مبيض مخضر ... ومحمر ومصفر يتسعشع
والشيح والمنثور ثم بنفسج ... ثم الخزام تمدهن الزعزع
والسوسان بين مفضض ومذهب ... ومصبغ ومجوهر ومخدع
والطير بين مترجم ومرنم ... وموضح ومعجن ومشجع
والدر والقمرى فى أغصانها ... ولهن فى تلحينهن تخضع
وكذلك الكيروان يشجر صوته ... يهز فوق دماغة ويشيع
يسمع لها سحرا سماعا مطربا ... هذا يترجم ثم ذاك يجمع
والعيش بها والحبيب منادمى ... والكأس مترع والهنا يتردع
والوقت صافى والمدام يديره ... بكرا عروسا يجليها الاروع
ما حازها كاس ولا علق بها ... فى يد عصار ولا يتصنع
بل عمرها من هند ألست ربكم ... وأنا بها لخطيتى أتشفع
ياصاحبى ان ترد أن تحظى بها ... فتذل طوعا للحبيب وتخضع
ما منهما أمرى وقوة صفوتى ... لاشك كنت بعبلة متولع
وبعت نومى اشتريت شهوتى ... ياخيبة الشارى وفرح البائع

(قال الراوى) فلما أن فرغ عنتر من هذه الابيات حتى تمايلت السادات وزادت الناس خمرا على خمورهم وتحيروا من هذه المقالات والصفات وهذه الفصاحة والبلاغة وتعجبوا من حيرتهم فى أمورهم ثم قال مقرى الوحش زادك الله فصاحة وشجاعة ياأبا الفوارس وقال عروة بن الورد ياأبا الفوارس ويازين المجالس مابقى أحد يقدر يسبقك إلى هذه الفصاحة والمعانى فعندها قال عنتر ياأبا الابيض فمن يكون هذا المقال مقاله وهذا القتال قتاله ما يصلح أن يعلق له قصيدة على البيت الحرام ويفتخر بها على الخاص والعام فعندها قال عروة ولا بد إن كان لك فى الغيب آمال لا بد أن تلحق بأصحاب المنازل العوال والفصحاء من العرب والاقيال قال فبينماهم فى الكلام والشرب واللهو والطرب اذا اقبل عليهم رجل من صدر البر وهو طالب الخيام وعلى كتفته حقيبة من الطيب وهو يهمز من تحتها كهمزات من الغزال فقال مقرى الوحش وقد طلب بذلك أن يشغل الوقت بشىء مماهم فيه فقال ياشيبوب ائتنا بهذا الحدار حتى نقضى معه باقى النهار ونسأله عن مالاقى من العجائب والغرائب عند دورته

فى الأقطار فقال عنتر والله ياأبن العم لقد أصبت ونلت الآمال فيماذكرت بيننا من المقال فعقلاء العرب تستعمل المقال عقب الفعال ائتنا به ياشيبوب قال فانطلق شيبوب مثل شعلة النار وقد أتى ومعه الحدار فلما نظر الرجل إلى ارتفاع القباب وكاسات المدام تدور أيقن بالنحير وأرمى الحقيبة من على أكتافه وخدم وسلم وقال جعل الله أيامكم كلها أعيادا ومواسم وحمام السحاب تمطر عليكم سرورا دائما لا نكم فى أوقات الحظ والاغتنام فاذا رآها العاقل سعى اليها وتقدم فأبقاكم الله بالفرح والارواح وأنزل على دياركم الفلاح والنجاح وعلى ديار أعداكم الاتراح ثم أشار ينشد ويقول

ولا زال النعيم لكم قديما يخبركم بكاسات الخمور
فهذا يابنى السادات وقت يسلى صاحب النعم الكثيرى
فهموا واقطموا عيشا هنيا ولذا رأو سمعوا قول المشيرى
لقد ذل الزمان لكم قديما بخيل تشقها ذات الشهور
كان أعطيتم الايام مالا فلا تشروا بها غير السرورى
فكل فتى يرضى غنيا يعيش بمالة عيش الفقيرى
وعند الموت يلقى شر بؤس ويمكن فى وسط نار السعيرى
فان أعطى وصدق واتقى الله فيا بشراه فى يوم النشورى
والله يخفف وزر ظهره ويرقى فى الجنان أعلى القصوى

(قال الراوى) فلما فرغ الحدار من شعوة هذه الابيات تعجب الحاضرون من كلامه وحسن نظامه فقال عنتر ان هذه مقاله بالغة تحت العاقل عنى نهب عمره قبل فناه وتهون عليه بذول جميع ما أدخره وحواه فى دنياه ثم انه أمر الحدار بالجلوس فجلس وأتى له بما أكل وشرب ودارت عليه أقداح المدام وبعد ذلك أقبل علية الامير عنتر وقالة من أين طريقك هذا يافتى فقال لة الحدار من مكة يامولاى فقال له عنتر هناك مقامك فقال لا والله يامولاى ولا أقمت هنا إلا خمسة أيام بقدر ما اشتريت الحصان وخرجت أدور حول العرب كما ترى فقال لة عنتر وما الذى رأيت فى أسفارك من العجائب فقال والله يامولاى قد رأيت فى الكعبة كلما جرى للانام ورأيت كل عجيبه مع الاصنام التى على البيت الحرام فقال الجماعة وقد صغوا إلى كلامه بالله عليك بوجه العرب حدثنا بهذا السبب وأبشر بنيل الارب وبلوغ الطلب بلا تعب ولا نصب فعندها قال الحدار علموا ياسادات العرب انى فى هذه الخمسة أيام التى اقمتها فى البيت الحرام عبرت يوم الكعبة وأردت بذلك الفرجة فرأيت قصايد ملوك العرب التى هى على البيت الحرام وعبد المطلب جالس العرنوس الذى يعظ الناس عليه وقد جمع أهل الحرم اليه ومعهم من الفرسان خلق كثير لايقع عليهم عيار وهو

بعضهم ويخوفهم من شدة هذه الأعوام ويقول يامعشر العربان أصدقوا فى هذا الكلام واحفظوا الزمام واطعموا الطعام واحسنوا إلى الأرامل والأيتام ففى هذا العام يظهر الرجل الذى يرمى الأصنام ويعظم قدر البيت الحرام ويجلو عن أبصاركم الظلام وينزل عليه من السماء كلام تعجز عنه الأفهام وينشق له البدر التمام بأمر صاحب الأحكام ويبين لكم الحلال من الحرام ويوضح الحق من الباطل بالمعجزات والدلائل فاجتنبوا الكذب والنميمة وراقبوا صاحب القدرة العظيمة لعل هذا الرجل يراكم وأنتم على الطريقة المستقيمة فيسكن هذه الديار ويتخذكم له أنصار ويذل بكم أهل الأمصار وتنقلبون إلى مقلب القلوب والأبصار (قال الراوى) وما زال الحدار يحدث عنتر وأصحابه بهذا الكلام حتى اشتغل القوم من شرب المدام وما فيهم إلا من قال هذا الحديث قد سمعته مرارا عديدة وتواترت به الأخبار وكنا نشتهى على الله أن يمدنا بالأعمار حتى يبعث هذا الرجل ونراه وننصره على من عاداه فقال الحدار يا سادات العرب وما هذا الأمر إلا قد اقترب وفى أثره تطلع شمسه وأنا أحدثكم بأعجب من هذا الحديث وأغرب قد سمعت هذا الكلام عن عبد المطلب وقد اشتغل خاطرى وبت وهو فى ضمائرى فرأيت فى المنام وهو كأننى واقف قدام الهبل وهو الصنم الأكبر الذى على الركن اليمانى وكأنى سألته عن هذا الرجل الروحانى وقلت له يا مولاى متى يكون ظهوره وفى أى مكان ينتظم سروره فقال لى إذا اينعت نخلات يثرب ووقع الجوع والغلاء فى بلاد المغرب وانشق ايوان كسرى وخرب ووقعت الوقعة العظمى وعلق قصيدته فارس بنى عبس الادهم وأجل سفك الدماء فى الحرم وذلت له رقاب الفرسان من العرب والعجم وأتته الهدايا من ملوك اليمن وانتصرت أهل صنعاء وعدن وكثرت فى الأرض الوقائع والفتن وهنالك تطلع شمس النبوة من هذه الشعاب وتلمع أعلام الحقيقة على رؤوس التلال والهضاب ويبان الخطأ والصواب ويصير للحقيقة أنصار وأصحاب وتتمنى المشايخ أن يعودوا شباب حتى يكثروا من العبادة لرب الأرباب ويسألوه الرحمة يوم العرض والحساب ثم قال الحدار وبعد ذلك انتبهت من منامى مرعوب وأنا إلى الآن من أجله مكروب وأريد أن أعرف أين نزل بنو عبس من حين خرجوا من بلاد اليمن لأجل أن أقصد فارسهم الذى يسمى بعنتر وأحدثه بما سمعت فى حقه من هذا الأمر المعتبر الذى يصير له به الشرف العظيم ويفتخر بذكره بين زمزم والحطيم قال ولما فرغ الحدار من كلامه غشى على عنتر وكل من حضر وقالوا إن هذه القصة ينبغى أن تنشر وتسطر على أوراق الشجر لأنها عبرة لمن اعتبر وقوى عنتر على تعليق القصيدة وفرح بذلك المنام واستبشر وقال للحدار ما اسمك يا وجه العرب فقال اسمى جابر يا مولاى فقال له عنتر ابشر

يا جابر بغناك وبلوغ مناك لأن وجهك مبارك وما أنا إلا فى انتظارك لأننا فى مثل هذا كنا نتحدث قبل وصولك إليك وما ساقك الله إلا لبلوغ مأمولك وإذا هو بفارس عبس الادهم والليث الغضنفر والأسد الضيغم قال له لابد فى هذا العام أن أسير إلى البيت الحرام وأعلق عليه بعض قصائدى التى ذكرها الجبل الاعلى وأخبر بها وأترك العرب تصلى لها فى كل عام (قال الراوى) فلما سمع الحدار مقال عنتر قام وخدم وقال يا لها من طريق ما أجودها ومن ساعة ما أسعدها والله يا مولاى لقد حسبت هذا الحساب وقلت إذا تفق لنا هذا الاتفاق بأن هو الصواب وأريد من اليوم أن تجعلنى لك غلام وتتخذنى لك من بعض الخدام إلى أن ينقضى ما فى هذا العام ونحج إلى بيت الله الحرام وأسير وأبصر صحة هذا فإذا انتصرت على من تشاء وبلغت آمالك أنعم على بشىء أرجع به إلى الأولاد والأحباب فقال عنتر وحق ذمة العرب لأجعلنك من اليوم فى منزل أخى شيبوب المهذب وكذا أنت المحكم فيه إلى أن تبلغ المقصود والمطلوب وترى ما أفعل فى حقك لتزول عنك الكروب لأننى اعلم أن رب السماء قد ساقك لأجل سعادتك وعلو قدرك ورفعتك ثم عادوا إلى ما كانوا عليه من اللهو والطرب وقد أركب عنتر الحدار جنيبا من جنائبه وعند الصباح عادوا إلى الأحياء ثم أنه خلع على الحدار خلعة سنية وأمر شيبوبا أن يكرمه ويخدمه للغاية ويزيد فى اكرامه ويقضى أشغاله بالكلية وشاع الخبر فى بنى عبس وكثر الكلام فى العرب فكان المحبون لعنتر يقولون لابد لنا والله من مساعدته على ما يريد أو يفعله وأما المبغوضون فيقولون والله ما هذا العبد إلا تجبر وقد دنا أجله وأما بنو زياد فقد زادهم الحسد وذابت أجسادهم من الكمد فقال عمارة نخاف أن يفيض شؤمه ويسوق كل مز فى الدنيا إلينا ويحترق بناره وينقطع من آثارنا وآثاره فقال الربيع نحن إذا رأيناه قد جد فى هذا وطلب المسير إلى البيت الحرام رحلنا إلى بنى فزارة وتركناه هو ومن معه يفعلون ما يشتهون ثم أنه دخل على الملك قيس وشاوره فى ذلك وخوفه من عواقب الأمور التى تأتى منه فقال الملك قيس يا ربيع لا كلام حتى ينقضى باقى هذا العام ونبصر ما تحدثه الأيام وتدبر على قدر ما نراه من الأحكام لأن عنتر ما شدد فى الأمور إلا لما قص عليه الحدار ذلك المنام وكيف أخليه يهلك هذه العشيرة لأجل أضغاث أحلام وعلى أنه لابد منه كان عليه أن يشاورنى فى أمره ويطلب منى المعونة فكنت أخليه يفعل ذلك وإلا أبطل عزمه عما هو طالب وأخوفه من شر العواقب ثم أنه طيب قلب الربيع ولم يرده خائب ومضى على ذلك أوفى من عشرة أيام وعنتر يزيد الحدار فى الإكرام إلى أن كان فى ليلة من بعض الليالى وقد عاد عنتر من دعوة عامر بن الطفيل فافتقد الجواد الأبجر فلم يجده ولم ير له خبر وطلب الحدار فلم يجده وما وجد له أثر فظن أن مفاصله قد تفصلت وأن روحه من جسده قد طلعت وعلم أن الحدار كان سلال محتال وأن المنام الذى رآه كذب ومحال فقال

عنتر واحر قلباه من شماتة الأعداء والحساد ومن فرح بنى زياد والله تردد بـ هذا الملعون وما قصر وما قصد إلا جوادى الابجر وأنا أقسم بمن أظهر النبات والشجر وفرق بين أصناف الثمر وأنبع الماء من الحجر لا بد لى ما أبدد شملهم فى البر الاقفر ولو أنهم بعدد الرمل والمدر ولو كانوا أمة ربيعة ومضر وقد طار النعاس عن رأسه فقال لشيبوب ويلك ومتى راح هذا الملعون فقال يا ابن الام من أول الليل كنت أنا وإياه فى المنزل وأتيت إلى خدمته وتركته على الطريقه التى هو عليها وهذا آخر العهد منه فقال عنتر يا شيبوب كيف العمل وكيف الاجتماع عليه بكل حيلة قد اشتمل قال الراوى وكان السبب فى مجىء هذا السلال إلى بنى عبس أن اللقيط بن زرارة لما أبصر عنتر قد أسر ذو الخمار ودريد بن الصمة حين كان عنتر عائدا من دعوة بنى عامر ابن الطفيل كما ذكرنا وهرب فى البر الواسع الاقفر فلا زال اللقيط سائرا ذلك النهار وطول الليل هو ومن انهزم معه من الخيل حتى قاربوا أرض بنى دارم وهم يتذكرون حديث عنتر وشجاعته وما أعطاه الله من السعادة والاقبال فقال رجل منهم والله لا أفلح رجل يعادى عنتر ولا بنى عبس مادام فيهم هذا الرجل آفة الزمان من يلعب بمهج الأبطال ولقد خلقه الله آفة لا يقدر عليه أحد فى عصر ولا فى زمن ولولاه ما خرج أحد من بلاد اليمن ولا كنت أبصرت منهم من يشرب اللبن لانى أنا كنت دخلت إلى تلك الديار ورأيت بعينى ما حل منه بذى الخمار وشاهدت وقعة عقبة الفروق وأرض المصانع ورأيت منه مالا أقدر أصفه بلسانى ولا يحيط به جنانى ولما عاد عنهم وهو بين الأبطال تذكر ماجرى له من أصحابه وأهله وصار يردد القصائد التى له ومن جملة ماقال :

رعى الله ربعا بالحمى ظل باليا ... واصبح منا موحش الدار خاليا
وكان لنا دون الفروق مواقف ... محينا بها ذكر السنين الخواليا
حلفت لقومى والقنا يقرع القنا ... يمينا بمن أرسى الجبال الرواسيا
بأنى أرد الخيل وهى خوائك ... وفرسانها مابين شاك وباكيا
وبادرت كبش القوم حتى تركته ... فى البر من خوف المنية واليا
وما بلـــغ الاعادى منا مرادهم ... ولا نحن قلنا واشماتة الاعاديا

قال الراوى وكان فى أرض المصانع قد جرى لهم مع بنى تميم أمر مهول لان عنتر أباد شجعانهم وجندل أقرانهم وصار من أرض المصانع يريد مياه عراعر وجبال بنى كلب بن وبرة وهو ينشد ويقول :

اذا كشف الزمان لك القناعا ... ومد إليك صرف الدهر باعا

(قال الراوى) وأنشد الشيخ الشعر الذى قاله عنتر فى وقعاته وليس فى الاعادة إفادة فلما سمعه اللقيط بن زرارة زاد غضبا وقلقا وامتلأ قلبه حنقا وقال والله يا ابن العم ما هو الا رجل

مسعود ومن تمام سعادته له أخ يقال له شيبوب وجواده الابجر لانى يابن العم رأيته عند القتال ان اشار عليه بالوقوف وقف وان طلب منه الانعطاف انعطف وان قام فى ركابه ليضرب خصمه شال يده معه وأعطى جانبه وان أراد أن يطعن عدوه ويأتيه من شماله حتى تقع الطعنة متمكنة من قباله وان تقابض هو وقرينه ترسخ قوائمه فى الأرض كالأوتاد وان رأى الاسنة قد دارت به انصرف من بين العساكر ومضى فلا يلحقه أحد من العباد وأما أخوه شيبوب فهو يرمى خلفه بالنبال ويعمله ما لا يعمله صناديد الرجال وحق ذمة العرب قد ثبت عندى لو لم يكن على حصانه الابجر ما قدر على ذى الخمار الأسد الابتر لان ذا الخمار كانت حجرته من تعبها تحته وقعت وأما حصان عنتر فانه كان كالحجر الجامد ولو أن أحد يسرقه لى كنت أعطيه من الجمال والنوق والعبيد ما يشتهى ويريد ومن المال شيأ ما عليه من مزيد واذ حصل لى هذا الحصان كنت اريكم ما أفعل بالفرسان كى أترك لى ذكرا شائعا فى كل مكان (قال الراوى) فلما سمع الحدار الذى أتى إلى عنتر وكان اسمه المختلس بن ناهب الطميعى وهو من قوم يقال لهم بنو طعيم فقال يالقيط أنا آتيك به واذبح لك شيبوبا وان اردت نفس عنتر أو آتى لك برأس عنتر لفعلت وان فعلت ذلك ما الذى يكون لى عندك من البراطيل فقال له اللقيط وحق ذمة العرب يكون لك عندى كلما تريد ولو طلبت ملكى وملك أخواتى سلمناه إليك فقال له المختلس ما أريد منك الا تزوجنى ابنتك وتحكمنى فى أموالك وفى نعمتك فقال له اللقيط لك على ذلك وكلما تريد اسلمه إليك وهؤلاء بنو عمى يشهدون على وعليك (قال الراوى) ثم ان اللقيط مد يده للسلال الذى هو المختلس وعاهده على ما طلب وشهدت عليهم فرسان العرب وما فيهم الا من فرح لهلاك شيبوب وعنتر وما زال اللقيط يحث السلال حتى سار وجد فى المسير والرمال حتى وصل إلى ديار وقرب إلى منازله فدخل المختلس إلى بنى طميم وجدد بأهله عهدا واقام عندهم يومين وفى الليلة الثالثة لبس فروة خلقة وعليها سجاف مقطع الاركان وتعمم بعمامة خضراء قد غير علها الزمان (قال الراوى) وضيق لثامه وترك باقى اطرافها على اكنافه وأخذ فى حقيبته شيأ من الطيب وخرج من الخيام فى غسق الظلام وتوطن فى البر والآكام وكان رجلا هماما وكل من شجاعته يقدم على الأمور العظام وكان يلتقى الأهوال الجسيمة وكانت خلقته شنيعة كأنما خلقته الجان وكان أعجوبة تلك الزمان وكان داهية من دون الانام وكان الذى حمله على هذا الخطر الخطيط محبته فى أبنة اللقيط لأنه لما سمع بصفاتها وعلم أنه ما هو من رجالها لأن اللقيط كان من الشجعان الكبار والمختلس رجل سلال جبل غدار فقال فى نفسه ارمى نفسك فى بحر الهلاك عسى أن يكون لك من الهوى فكاك فصادفت المقادير بما جرى بينه وبين اللقيط فسار يخاطر بروحه ويرميها فى كل أمر خطير حتى وصل إلى الأرض التى فيها بنى عبس المشاهير واتفق له ما اتفق على جانب الغدير وقد

دخلت على عنتر حيلته وما فعل فى خباثته من أمر المنام وزحاريف ذلك الكلام وأقام عندهم تلك الأيام وهو مع شيبوب يخدم الجواد الأبجر ولما رآه يخفره من دون كل أحد أكثر المخالطة معه وصار إذا مضى شيبوب إلى خدمة أخيه عنتر لم يتبعه بل يقول له يا مولاى لا عمل لما لا طاقة لى به لأنك تشرب مع الملوك ذوى الاعتبار وأنا رجل فقير حدار ما أقدر أجلس إلا مع من يكون مثلى ولا يكون بيننا تكليف ولا إعذار وكان ذلك القول منه خبث وخداع وكتم أمره وصار يسيس مع شيبوب الأبجر ويعاونه عليه حتى إنه ألفه وصار لا ينكره حتى أنه كان يقول لشيبوب نم أنت يا مولاى وأنا أنوب عنك فى هذه الليلة خدمة فرس مولاى عنتر ومازال حتى انتهى الأمر وعول فى تلك الليلة أن يذبح شيبوب ويطير من عندهم مثل الهبوب ولم يقتنع بالأبجر وإنما الهيبة التى وقعت له من عنتر وأسباب أخر وأتت المقادير بخلاف ما أضمر وأنطأ عنتر فى دعوة عامر بن الطفيل ومضى شيبوب إلى أخيه الأمير عنتر وكان ذلك لسلامة لنفسه من الذبح (قال الراوى) فلما خلا الحدار بنفسه ونظر أصحاب الخيام وقد استولى عليهم المنام قال الحدار هذا وقت بلوغ المرام بأخذ الأبجر والنجاة به فى الظلام وطلب الكثير يرث الملام ثم أنه لبس الجبة التى كان يلبسها شيبوب لما أنه يسوس الأبجر وترك القلنسوة على رأسه وشد وسطه بحزامه وتقدم إلى الفوس وهو فى زى شيبوب وحله من شكاله وقاده إلى أذيال الخيام وأطراف البيوت وسار به إلى ساحة القضاء وقفز ونط عليه مثل القضا ولما عاد شيبوب من عند أخيه عنتر وتفقد الحدار فما رأى له خبر وتقدم إلى محل الجواد فلم ير له أثر فصرخ صرخة عظيمة وعاد إلى أخيه عنتر وأعلمه بما جرى فطار من رأسه الخمر وصارت عيناه مثل الجمر وما نام تلك الليلة ولا التفت إلى عبلة لأنه كان يحب جواده أكثر من حب عبلة وقد ذكروا أن عبلة عنده أعز من روحه التى بين جنبيه وإنما كان يعلم أن سعادته بالأبجر وبه كان يبلغ المراد وقوة الجلاد وقد ذكرنا أنه كان يسقيها اللبن بعده يعنى الفضلة فعتبت عليه فى بعض الأيام وقالت له يا ابن العم من حيث انتشبت وأنت تدعى حبى وتحلف بحياتى وتقول ما عندى فى الدنيا أعز من عبلة وأراك تختار فرسك علىّ وتسقيه اللبن قبلى فما هذا السبب فى هذا المعنى ثم أنها بكت وانتحبت فتألم قلبه من بكاها فأنشد يقول .

لا تحمدى مهرى إذا أكرمته ... ففيه إذا هان العزيز مكرم
وإذا غضبت فلى إليك وسيلة ... إما بعقد أو بنوب مسلم
ابن النعامة ما إليه وسيلة ... إلا بطيبة مشروب ولذة مطعم
وأنا وأنت به لولا ظهره ... أمست ديار أبيك قدر الدرهم

إن كان حبك فى الفؤاد محكما ... ففى أعظمى يجرى كما يجرى دمى
فأروى ظماه إذا عطش قلعلة ... ينجيك من هول الغبار المظلم
إنى أخاف أن تقولى مدة ... هذا غبار القوم ابن الأدهم
ذرى الجوع والعطش الذى ... برثاته ضعفا عند التزاحم
والخيل كالسيل وهذا نارها ... الابجر المسمى بالكحيل الأدهم

(قال الراوى) وقد جرت عادة العرب بمثل ذلك لأنها كانت تنتخب الخيل الجياد وتدخرها الأيام الطرادو تفضلها على الحريم والاولادو حكى عن بعض الفرسان أنه خطب بنت عمه وأنه بزل لابيها مالا جزيلا فقال له عمه يا ابن الأخ أموالك بارك الله لك فيها وأنا ما أريد مهرا بنتى إلا فرسك الذى أنت راكب عليها قال فسكت الغلام وبقى حائرا ما يدرى ما يفعل ولما طال به التحيير نظرت إليه بنت عمه وقالت له ويلك يا ابن العم ما هذا التوقف فى الكلام أنا ما أساوى عندك مهر لتجعله مهر لى فلما أن سمع الغلام كلام بنت عمه أشار إليها يقول

وقعقعة اللجام برأس مهرى ... أحب إلى مما تعرفينى
فما هان الجواد على حتى ... أجود به ورمحى فى يمينى
أخاف إذا وقعت أنا بضيق ... وجد السيران لا تحمليني
فمهرى فى المعامع هو نجاتى ... إذا كان الأعادى طالبينى
فان كنت معى فى يوم الحرب ... فهو ينجينى من الهول المبينى
فمهرى لى ولك يحمى حامانا ... بجولاته من الأعداء ينجينى
وإن فارقت مهرى يوم حرب ... تدوسنى الخيل وأنت تنظرينى
ولا لك أيادى تمنع عنى ... منع جوادى حياة عينى
إذ جاز الأعادى وأكمنوا لى ... بهذا المهر أخرج من كمينى
فمهرى إن ركبته أنتصر به ... وأنت إذا ركبتك توقعينى

(قال الراوى) لهذه الأخبار أن شيبوب بعد هذا التعليل والافتكار وثب على قدميه وقد غير زيه وسار وقد تبطن فى تلك البرارى والقفار بعدما قال لأخيه يا ابن الأم أنى سائر أبذل المجهود لا تنتظرنى هذه الكره فانى لا أرجع إلا بالمقصود ثم أنه بعد ذلك الكلام سار تحت ظلام الليل المعتكر وقد أطلق ساقيه للريح وطلب البر الفسيح (قال الراوى) هذا ما كان من أمر شيبوب وسفره وأما ما كان من الأمير عنتر وخبره فانه بعد سفر شيبوب أقام فى الديار وقد صار يقاسى الهموم والافتكار وكان أشد الأشياء عليه شحاتة بنى زياد ومن مثلهم من الأعداء والحساد إلا أن عنتر بعد ذلك أقام مدة من الزمان وهو قلق القلب على أخيه شيبوب وكاد قلبه من أجله أن يذوب فصار عنتر كل يوم يركب مع ندمائه وأصحابه

ورفقائه ويبعد هو وإياهم فى البر الفسيح ويتعاهد الطرقات التى يأتى منها أخوه شبيوب وكل حين يسمع من أطراف السفار أخبار مختلفة ماهيها لمن سال استبشار إلى أن كان يوم من بعض الأيام وقد أبعدوا عن المضارب والخيام كما جرت بهم العادة فى ذلك البر والآكام هناك تذكر فى أحواله وشأنه وما جرى له وكيف قهره من لا يعد من أشكاله فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات .

سقى الغيث وادى الجذع من أرض نعمان ... حتى امتلا القاع من وادى البان
وهل عاد وادى البان بعد الرى مفتكرا ... لمن كان ظمآنا غير ريان
وهل دفع أن روت السحب أرضه ... وإنى من أميائه غير رويان
وفى القلب منى لوعة وصبابة ... لواعج الشوق بل زفرات نيران
على من له قلب لا يضيق من الضنا ... على كثرة أخطار وفرقة أوطان
منازلى كان الدهر فيها أنيسا ... وعاد وحيشا من خطوب وهجران
ديار تخلت عن أنيس حاضر ... وكان لها ورد وعز بجيران
إذا غنت فيها الحمائم هيجت ... غرامى وأذكت نار شوقى وأحزان
فياليت شعرى إذ بكت هل ترنمت ... وغنت على فتن الغصون بألحان
وهل عندها ما بى فناحت صبابة ... على وأبكاها غرامى وأشجان
وشتان بينى فى الغرام وبينها ... وإن كان للذات فى القرب سيان
ولو أنها مثلى لكانت جفونها ... تفيض بدمع واكف الودق هان
وما لبست فى الجيد طوقا لزينة ... ولا خضبت كفا بحنائها القان
إنى إلى الله أشكو ما ألاقى من الاسا ... لفرقة أخوالى وآخر أزمان
ألوم على صبرى فى زمانى تألما ... وما ضرنى إلا ثقاتى وإخوان
تعصب الناس على ظلمى بأجمعهم ... وأظلم ما لاقيت أهلى وجيرانى .
وكان زمانى إقبال ونصيحة ... فأصبح خوان العهد كأخوان
لكل أمرىء شيطان يكايده ... وإن لى بين الورى ألف شيطان
فمنهم بنو زياد أصل بليتى ... لأن ما فيهمو ود لإنسان
ولما أتى الحدار زادنى بلا ... لأجل منام كان زورا وبهتان
وزاد سرور لا بيع وبهجة ... وأيضا عمارة صار فى الحى فرحان
وشيبوب أبطأ فى البلاد ولم يعد ... يفرج لما بى من همومى وأحزان

(قال الراوى) ولما فرغ سنتر من ذلك الشعر والنظام وهو يتطلع إلى تلك البرارى والقفار

إلا وقد أقبل من كبد البر رجل وهو يهتف على الأرض مثل السيل أو كأنه ذكر النعام إذا جفل فلما نظر إليه عنتر وقد صح عنده النظر والخبر وهو يظن أنه أخوه شيبوب لما رآه فى البر يغدو وهو مثل الريح الهبوب فعند ذلك عدل بفرسه عليه وقد طار قلبه من بين جنبيه وقد تجارت الفرسان كلهم من حوليه فلما أن قاربته الأبطال وسلموا عليه وترحبوا به وقربوه فلما أن قرب منهم بداهم بالسلام فردوا عليه السلام فقال لهم ياوجوه العرب هذه ديار بنى عامر فقالوا نعم ياوجه العرب فقال لهم وبنو عبس فيها نزول فقال له عنتر وما حاجتك يازين القادمين فقال له حاجتى عند أبو الفورس عنتر بن شداد فلما سمع عنتر بذكره فرح واستبشر وفى الحال دنا منه وصار يسأله عما كان عليه قادم ويفهم ما عنده من اللغو والكلام وصار يرجو منه بلوغ المرام فنظر إلى رجل طويل الساقين مخلوع الركبتين أسود الوجه أزرق العينين فعندها تعجب عنتر من خلقته وأيضا أصحابه من رؤيته وبعد ذلك قال له عنتر يافتى ها أنا عنتر بن شداد بشراك بما يسرك ويدفع عنك مايضرك قل الآن ما بدا لك نجح الله أعمالك فإن كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وإن كنت مديونا وفينا دينك وخلصناك من مصيبتك وإن كنت ضالا عن الطريق أرشدناك وإن أردت الإقامة عندنا جعلناك من جملة فرساننا فلما سمع الأعرابى ذلك الكلام قال يامولاى أعلم أنى رجل سلال ومن حين نشئت ماأكلت لقمة حلالا ولابت ليلة بلاسرقه مال أوحصان أوشىء من الرجال وهذا الكلام ماأقوله لك إلا وقد صح عندى أنه فخر عند الرجال والشجعان فالشخص إن لم يكن مقدما على الاهوال لم تعده الرجال من جملة الفرسان وإنى ياأبا الفوارس سمعت فى هذه الأيام أن فى ديار بنى دارم حجرة يقال لها سكاب وقيل لى عنها أنها فى جريانها تسير سير السحاب وتفوت القطر عند الانسكاب وتساوى إقليما عامرا ماهو خراب فقلت فى نفسى من أخذ هذه الحجرة ينال الغنى وبلوغ المنا فجهزت روحى وسرت إلى ديار بنى دارم ودخلت فيها فاوجدت إلى سرقتها من سبيل وقد وجدت عندهم رجالا أكارم فأقمت هناك مدة عشر أيام فاوجدت لى قدرة ولا إقدام بل وجدت صاحبها عندها ينام ومن محبته لها دائما يلتذ بروائح انفاسها وعبيده فى ظلام الليل وضياء النهار لم تبرح من عندها وهم لها حراس فأيئست من الوصول إلى سرقتها وهممت أن أعود إلى أهلى ولكن لم أزل مشغول القلب والبال من أجلها فسمعت بخبر جوادك الأبجر انه قد وصل إلى اللقيط بن زرارة وقيل أنه أعطى للذى سرقه مالا كثيرا وأنك أنت متحسر عليه وعلى من يأتيك بأخباره فقلت فى نفسى لا بد لى أن أطول روحى لعلى أصل إلى هذا الجواد وأرده إلى عنتر بن شداد وآخذ منه مايغنينى على معاش العيال ثم إنى وصلت إلى المكان الذى قد تركوا فيه الجواد فأبصرته فرأيته سهلا على الطالب ولكن ماقدرت على سله وقلت إن تعديت عليه فقد وإن

احتلت عليه وركبته رمانى أوكسرنى أو ربما شرد منى فى القفار وخلانى وأكون أنا قد ضيعت زمانى وخاطرت بروحى وجسمانى والصواب أنى أعود إلى صاحبه وآتى به إلى ههنا يركبه وربما يكون معه العبد الذى كان يسيسة ويألفه حتى أدخل أنا وإياه عليه وإذا لحقتنا الخيل يمانع عنا الفرسان وقد بلغنا الآمال ولما تصور فى قلبى هذا الرأى سرت إليك ياأبا الفوارس كما ترى وها أنا قد اخبرتك بما تم لى وجرى فدبر الآن امرك واشرح صدرك (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الخبر فرح واستبشر وبان السرور على وجهه وظهر فى الحال قال للسلال ابشر ياوجه العرب ببلوغ الآمال والمطلب وأنا ما أردك خائبا ثم ان عنتر لما فهم كلامه التفت إلى أبيه شداد وقال والله لقد ضاع تعب أخى شيبوب فلو كان هنا حاضرا ما رجعت إلى الديار بل كنت أسير من ههنا إلى ديار بنى دارم وأجازى اللقيط بن زرارة على ماهو عازم والرأى أننى أنظره اليوم وغدا وان ما أتى أخذت معى اخى جرير وسرنا فقال السلال ياوجه العرب وإن كان قد عدم سايسه فسر أنت معى واستعجل العجل فانا أخرجه إلى اذيال الخيام ولو أنه أسد من أسود الانام فقال عنتر ياأخا العرب سايس الجواد ما عدم وانما سار فى كشف أخباره وأن هو ابطأ علينا يوما واحد فعندنا من يخلفه وهو اخوه ابن أمه وأبيه ثم أن عنتر بعد كلامه هم أن يأخذ السلال ويعود به الخيام وإذا بالفرسان قد نظروا إلى البر الاقفر وإذا قد أقبل عليهم من البر غلام أغبر وهو يكد على الاقدام كأنه ذكر النعام ويصيح صيحة منكرات ويقول ياأبا الفوارس اقبض على هذا الشيطان السلال المحتال وهو الذى قد أتى اليك فى زى حذار وسرق الابجر وطار وقد ساقته المقادير بسعادتك بهذا الزى والاخبار لانه كان مراده يقلع منك الآثار فلما سمع عنتر هذه الاخبار حار وأخذه الانبهار الا أن القوم لما رأوا ذلك الغلام تبينوه وإذا به شيبوب ففرحوا به فرحا شديدا وقد بقوا حائرين من هذا الأمر الذى أخبرهم به شيبوب فعندها التفت عنتر إلى أخيه شيبوب وقال له ومتى رأيت هذا الرجل المسكين حتى أنك تتهمه بهذه التهمة وذلك الشيطان كان أبيض أشقر وهذا أسود أدهم فقال شيبوب كل هذا حيلة ومكر وخداع وإن كنت ياابن الام تشك فى مقالى فقلعه ثيابه وانظر إلى أحواله فتبان لك الحقيقة وتظهر لك الطريقه فعند ذلك نزل شداد من على ظهر الجواد وكشف ثياب السلال وإذا جسده أبيض فلما نظر عنتر إلى ذلك تعجب وفى الحال سل عنتر سيفه من غمده واراد ان يدنو منه ليضرب رقبته فعندها صرخ السلال بملء دماغه وقال لاتفعل ياأبا الفوارس فانا الذى أخذت حصانك وانا اردة عليك وأتوب على يديك فقال عنتر وقد أمهل امره إلى ابن وديت الجواد يانسل الاوغاد فقال يامولاى هو عند اللقيط بن زرارة لانه قد لعب بعقلى ووعدنى ان يزوجنى ابنته وكان وعدة كاذب وقد ردنى إليك على الاعقاب فأتيته

إليك ووقعت بين يديك وكان لهذا الحديث سبب وأي سبب أعجب من كل عجب لان هذا الرجل الذي هو المختلس بن ناهب السلال لما تم حاله على عنتر وأخذ فرسه وقصد به أرض بني دارم ودخل به على القيط بن زرارة فلما أن نظر القيط ومعه الجواد فرح فرحاً شديداً وفي الحال خلع على السلال وضرب له أبيات بجانب أبياته وقد نقل إليه كلما يحتاجه وحكمه في نعمته أمواله وقد كان القيط عول أن يجعل الابجر مركبه فما قدر على ذلك ولا جسر أحد أن يقربه لا من الاحرار ولا من العبيد لانه أنكر المكان الذي كان فيه وأستوحش الموضع فصار الابجر كلما دنا إليه أحد يقتله حتى قتل تسعة من العبيد الأشداء فعندها توقفت عنه العبيد والفرسان وصاروا ينظرون إليه كما ينظرون للأسد الكاسر العنيد وقد حار القيط في أمره وتاه رشده وضاع عقله وفكره فقال في نفسه والله لقد ضاع تعبنا في هذا الجواد وما بلغنا منه المراد فقال له أخوه حاجب القيط هذا أمر ما يجيء الا بطول الروح والصواب أن تخلي هذا الفرس حتى أنه ينسى راكبه ونشبله على بعض الحجور وبعد ذلك تكثر من الدخول والخروج عليه فان أطاعك للركوب كان والا فاتركه برسم المباح واركب مهاراته المتسولة لانه يأتي بأحسن منه فلما سمع القيط ماقالة أخوه وجده فيه غاية الصواب وكان في ديار بني دارم حجره يقال لها سكاب وكانت هذه الحجرة لرجل يقال له مفرج بن رتاب وكان خبرها وصل إلى الملك النعمان فلما سمع بها أنفذ إلى صاحبها مفرج بأن يشتريها منه فأبى صاحبها ولم يسمح بها لاحد وقد كتب إلى النعمان كتاباً يقول فيه هذه الابيات

أيا ملكاً زها مجيداً وفخراً ‍ ‍ ‍ ومن الجود قد زاد ارتفاعا
أتطلب تشترى منى سكاب ‍ ‍ ‍ سكاب لاتعار ولا تباع
فهذه مكرمة علينـــا ‍ ‍ ‍ نجيع لها العيال ولا تجاع
فلا تطمع بها ملك البرارى ‍ ‍ ‍ فبيع سكاب ما يستطاع

(قال الراوى) الا أن القيط من شدة فرحه بالابجر اشترى هذه الفرس من صاحبها وقد تقوى على مفرج بن رثاب وأخذ منه الحجرة سكاب وقد شدها قريباً من الابجر وأراد بذلك أن يشبله عليها حتى أنه ينسى أرضه وركبه وصار القيط في أكثر الاوقات يقعد عند الجواد الابجر ويؤانسه ويطعمه من يده هو والسلال الذى أتى به وكان القيط قد قال للسلال يا أخى أنا قد أعطيتك يدى على زواج ابنتى اذا أنت أتيتنى برأس عنتر بن شداد وأخيه شيبوب وأنا وحق الرب القديم على كلامى مقيم فان قنعت منى بما أعطيتك فامض إلى حال سبيلك وإن أردت أن تكون صهرى فقم بما لى ضمنت فعندها قال المختلس للقيط السمع والطاعة وأنا أبلغك كلما تريد فاكتم هذا الأمر عن الأحرار والعبيد وأنا آتيك برأس شيبوب وعنتر الصنديد فقال القيط كيف تقدر أن نعود إلى القوم وقد عرفوك قبل هذا

اليوم وأكلوا معك الزاد والفوك فقال المختلس يا مولاى هذا أمر ما أفكر فيه لأنى أقدر فى هذه الساعة أتشكل بأشكال عديدة وأدخل عليك وأفعل ما أريد من دون أن تعرفنى ان كنت من الأحرار أو من العبيد (قال الراوى) وكان سلالون العرب فى ذلك الزمان يعرفون حشائش وعقاقير شتى كثيرة وكانوا بها يغيرون ألوان الخيل ويبيعونها على أصحابها ولا يعرفونها قال فنهض المختلس من حضرة القيط واختلى بنفسه تلك الليلة وصبغ روحه بعقاقير يعرفها فصار أسود صافى ولبس على جسده ما يوافق لونه وفى الحال دخل على القيط فى الصباح وقد أوراه ما فعل من الأمور القباح فعند ذلك أيقن القيط ببلوغ الآمال من شيبوب وأخيه الفارس الريبال فما كان من جواب القيط الا أنه أوعده بكل ما يريد فعند ذلك ودعه السلال وسار بعد ما أوصاه بمراعاة الابجر وقال له أن العبد الذى يسيس الجواد قل له أن يلبس الجبة السوف التى أتت معى والقنسلوة ويتقرب اليه ويطعمه ويسقيه ثم ان السلال بعد كلامه خرج من الحلة قبل أن يصبح الصباح وسار وقد جد فى المسير يقطع الروابى والبطاح وقد هون عليه العشق تلك الأمور القباح (قال الراوى) وقد ذكرنا فى أول حديثنا أن عنتر أمر أخاه شيبوبا ان يقصد أحياء العرب فسار شيبوب كما ذكرنا من عند أخيه عنتر وجد فى البر الاقفر وقد ذهب الى ديار بنى فزارة وإلى بنى دارم التى فيها القيط بن زرارة وقد قال فى نفسه ان لم اجد الابجر فى هذين الحيين قصدت البيت الحرام ولا أعود من تلك الديار الا بحقيقة الاخبار (قال الراوى) وما زال شيبوب يتذكر فى هذا المقال حتى وصل إلى ديار بنى فزارة واقام شيبوب فى أرضهم ليلة واحدة لأن شيبوبا دخل الى الاحياء فى أول الليل وخرج وقت السحر وقد آنس من خبر الجواد الابجر من ديار بنى فزارة ولم يجد له أثر فعند ذلك هج شيبوب على وجهه فى القفار وقد طلب فى طريقه أرض بنى دارم وهو مثل المجنون وكان أكثر سيره فى ظلام الليل وما زال كذلك حتى وصل إلى ديار بنى دارم وبقى بينه وبينها مقدار يوم وليلة فمن هناك خاف شيبوب على نفسه فغير زيه وسار فبينما هو سائر فى الطريق اذ سمع انسان فدارى نفسه من حتى ينتظر ما يكون من الأمر المكتوب اذا هو برجل يجد فى المسير فتبعه شيبوب وكان هذا الرجل هو السلال بن ناهب قد سار من عند القيط ذلك اليوم الليلة إلا شيبوبا لما ان نظره اخفى نفسه حتى عبر عليه فعند ذلك اقتفى شيبوب اثره وقال فى نفسه هذا الرجل قريب العهد من هذه الديار التى أنا طالبها وأريد أن أتبعه مقدار ساعة من الزمان لعلى اسمع منه لو كلمة واحدة فى هذه القفار استدل بها على الاخبار ثم ان شيبوبا بعد هذه الأفكار سار خلفه فى القفار وهو منه فى الافكار ولا له به اظهار فبينما السلال سائر وشيبوب خلفه ولم يعلم به فتنفس السلال من فؤاد عليل وكان هجر عليه الليل الطويل وقد بكى بكاء كثيرا من كثرة شوقه الغزير لانه

تذكر محبوبته لما زاد عليه الغرام والآلام من أجل بنت اللقيط وكان اسمها بانة العلم وكان هذا السلال قد نظرها فى هذه النوبة لما أنه جاور أباها فى الخيام فنظر اليها وهى واقفة فزاد به العشق والغرام فأنشد يقول

ها أنت عالمة يا بانة العلم ... عما أقاسيه من ضر ومن سقم
لولا هواك لما أمسيت منفردا ... أكابد الجن فى داج من الظلم
ولا قدمت على عبس وفارسها ... محكم الضرب فوق البيض والقمم
ليث اذا رأى الأبطال عابسة ... من شدة الطعن أبدى وجه مبتسم
سرقت أبجره لما صنعت له ... من المحـــال مناما كان فى الحرم
وها أنا راجع أسقيه من حيلى ... ومن خداعى كئوس البؤس والنقم
وأترك الذئب يسعى حول جثته ... خوفا عليه من العقبان والرخم
وأشفى النفس من شيبوب صاحبه ... حتى أنال المنى من بانة العلم
فبلغى ياريح الصبح مالكيى ... عنى سلامى وحييها بذى سلم
وأخبريها بأنى فى محبتهـــا ... قد بعت أهلى وها أحويه من نعم
وقد تبعت لقيطا فى مقالته ... وما نلت نظرة منك إلا بسفك دمى

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الشعر والنظام قال بلغت والله المرام ولا شك أن هذا هو الحدار الذى ينادمنى بالليل والنهار ولاسيما وقد ذكرنى فى شعره أنه راجع ليقتلنى ويقتل أخى ولكن وقع فى الشرك لامحالة وفى هذه النوبة أضرب رقبته وأكفى مؤنته والصواب أنى أسير خلفه ولا أعلمه بحالى لانى اذا قاتلته أكون معه على خطر عظيم من سوقى له فى جنح الليل البهيم والآن فها هو من غير تعب ولا شقاء وأنا وراءه فى اللقاء أجد فى البر الاقفر إلى أن يحضر عند أخى عنتر وأنظر ما يفعل من الحيل وأنا أقتفى منه الاثر فالسعيد من قضيت حاجته وسلمت مهجته ثم أنه تبع آثاره حتى طلع الصباح وأضاء بنور ولاح فعند ذلك توارى منه شيبوب لأنه بجميع الطرقات دروب وسار فى عرض البر البطاح ينظر اليه بعيونه الصحاح وهو بعيد عنه وقد انبسطت الشمس على الاقطار فنظر اليه فى ضوء النهار وإذا هو أسود ووجهه أسود فتعجب شيبوب من هذا العمل الانكد وما زال السلال سائرا حتى قارب ديار بنى عامر التى فيها بنو عبس نزول وأما السلال فانه نزل على بعض الغدران يشرب فطلع شيبوب على رابية عالية وقام على وجهه ونظر اليه فرأى وجهه أسود مثل الغراب الابقع فعرفه شيبوب وقال فى نفسه ماهذا إلا شيطان فى صورة انسان فلو وصل الينا قبل ما أعرف حاله كان قد بلغ آماله ثم انه تبعه حتى وصل السلال إلى أخيه وجرى ما جرى وقلعوه ثيابه وب [illegible] ره ومحاله وحدثهم شيبوب بما سمع من فعاله وما



فقال عامر بن الطفيل ما فى حياة هذا القرنان فائدة ثم أنه سل حسامه وضرب على هامه حذف رأسه قدامه وبعد ذلك تحدثوا فى خلاص الجواد الابجر فقال عنتر الصواب اننا نكتم هذا الامر من بين العباد ونسير من هاهنا على سبيل الانفراد حتى لا تعلم بنا بنو زراره ولا غيرها من الاعداد والحساد لانهم ربما انفذوا الى اللقيط وحذوره وبالخبر أعلموه فقال شيبوب هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فسير وانتم معى فى ثلاثين فارسا ولا تعرفون خلاص الابجر إلا منى فعندها أنفذ أخاه جريرا وأمره أن يأتيه بعددهم وزردهم وقت المسا ففعل ذلك وما أتى الظلام إلا وقد حصل عندهم ما يحتاجون اليه ثم أنهم لبسوا العدد والزرد وساروا تحت الظلام الاسود وكانت جملة الخيل عشر فوارس فمنهم أربعة يلقون قبيلة من قبائل العرب مثل عنتر فارس الخيل وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد وباقى الفرسان الستة من رجال عروة بن الورد الذين يعرفون بالثبات يوم العرض وقد جربهم فى النائبات فسار وتبطن بهم فى القفار تحت ظلام الاعتكار وكان فى قلب عنتر شعل النار من فعل اللقيط بن زرارة فضول فى هذه النوبة على هتك أحراره وهلاك عساكره وانصاره وكان عنتر راكبا على حجرة صفراء مثل الذهب المصفى فأنشد يقول

اذا ما عسفت البرغايت كواكبه　　وفر الدجا وذائبه منى وشابت

لان ظلام الليل يعرف همتى ... ومن جرب الاشيا كفته تجاربه
اراد اللقيــط أن مهرى يظيعه ... ليركبه هيهات خابت مطالبه
جوادى غيور لو فوق ظهره ... جبان ذليل ما استقرت مناكبه
تعود منى كلما خاض قسطلا ... من الحرب فاشتدت عليه مذاهبه
اخلصه منه بطعن إذا رأى ... مواقعه صرف القضا لان جانبه
ومن ركب الخيل الجياد ويبتغى ... بهــا هربا فالذل لا شك راكبه
وعما قليل يشهد السيف بيننا ... وتنظر منى باللقيط مضاربه
ويبقى كلانا تحت ظل عجاجه ... تصبح عليــه بالعويل نوادبه
خزى الله من لا يترك الدار بلقعا ... ولو أن جن الأرض فيها تجاربه
رحى رسولى كلما مال بادرت ... طيور المنايا بالذى هو طالبه

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت من فصاحته جميع الأبطال وتمواعلى حالهم يقطعون الروابى والتلال وشيبوب يهيم بهم فى البر يمينا وشمال حتى بدت لهم دبار بنى دارم وتلك الاطلال والمعالم فعندها انزلهم شيبوب فى واد كان منقطع عن الطريق ليسكنوا فيه حتى يدخل على اللقيط بحيلة ويخلص الابجر من يده فبينما هو كذلك وإذا بعبد قد اعترضهم فى الطريق وهو سائر لا يلتفت إلى رفيق فقال عنتر ويلك ياشيبوب لقد راعنى أمر هذا العبد المريب وان صدقنى حذرى فانه عن هذه الأرض غريب لانه لا نظر الينا ولا من علينا والصواب انك تأتينا به حتى نسأله عن حاله ونسمع ما يقول من مقاله فانه لا يخلوا من فائدة اما لنا وإما علينا فقال شيبوب السمع والطاعة ثم انه انطلق خلف ذلك العبد وعاد وهو معه والاثنان يتحدثان ويلعبان فانكر عنتر تلك العبارة وتبينه وإذا بعبد من عبيد بنى فزارة وهو عبد سنان بن حارثة فحياه عنتر وقال ويلك يا ابن الخالة اريد أن تصدقنى فى الكلام وما الذى القاك فى هذه الأرض والآكان فقال العبد والله يامولاى لم أكتم عنك شيئا مما أنا فيه لانى ان كتمت عنك شيأ وقعت فى يدك مرة أخرى قطعت أوصالى وهوانى ياмولاى اتيت رسولا من عند مولاى سنان بن حارثة إلى عند اللقيط أقول له اجمع من قدرت عليه من الفرسان والأبطال وابذل لهم الأموال والنوق والجمال وبشرهم بهلاك بنى عبس فى الحال لان الحارث الوهاب سيد بنى غسان قد سار من دمشق فى جيوش وعسكر لا يعرف لها أول من آخر طالب بنى عبس كى يفنى أبطالهم ويأخذ أموالها لأجل أن يأخذ بثار ولده بدر الذى قتلته انت يامولاى فى أرض تيميا لما مضيت مع مقرى الوحش وخلصت مستكة لانه يامولاى ارسل جواسيس تكشف له اخبار بنى عبس فغابت وعادت اليه وقالوا له اعلم ان الذين قتلوا ولدك كانوا من بنى عبس ولكنهم رحلوا إلى بلاد اليمن وها تيك الاطلال.

والدمن خوفا من الملك النعمان لأنهم قتلوا أولاد بدر الشجعان والصواب أن تصبر حتى ترجعوا وينصلح حالهم مع الملك النعمان ويقرون فى المنازل والأوطان فترسل لهم جيوشا يقودونهم بين يديك وتصلب ساداتهم على أبواب دمشق فاعتمد الحارث على هذا الحديث وكتب كتابا وأرسله إلى سنان بن أبى حارثة وهو يقول له فيه إن عادت بنو عبس إلى أرضهم من بلاد اليمن أرسل اعلمنى بذلك حتى أركب وأقلع آثارهم واخرب ديارهم ففرح سنان لذلك وقال لحصن أبشر بالسعادة ونيل الإرادة بايسر الاسباب لأن هذا الأشياء ما كانت بنا فى حساب وأنا أعلم أن ملك الشام ينتقم منهم غاية الانتقام ثم أنهم أقاموا على ذلك الحال إلى أن رضى عنهم الملك النعمان وردهم إلى المنازل والأوطان فصارت الرسل تختلف بينهم حتى سرق القيط جواد عنتر وسار طالبا خلاصه والتقى بالعبد فقال له يامولاى إن الجيش اخرج من الشام وأرسلوا النار سولا يقول خذوا أهبتكم للقتال فأنتم لكم المال والنوال ونحن لنا الرجال والعيال فلما سمع عنتر هذا المقال من عبدسان بن الاندال غضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد وقال له كذب فى مقاله ولا أرشد فى آماله والله لا تركت لا طريدا من الجيش لا كثير ولا قليل إلا من كان عمره طويل ثم أنه قال للعبد وأنت كم لك من يوم عند اللقيط فقال العبد يامولاى سبعة أيام ومن يوم وصلت إليه أنفذ أخوته إلى سائر القبائل من العرب بالمال والذهب وماسرت من عنده حتى رأيت أول العرب قد اقبلت وبوادر الخيل قد وصلت واعلم أن الذى فى قبلة منكم أقل ما فى قلبه من بنى عامر لأنه يريد أن يطالبهم بثار اخوته ومن قتل له من جماعته فقال عنتر هذا الحديث قد عرفناه فاعندك خبر من جوادى الابجر فقال نعم وهو عند اللقيط مخدوم مكرم لكن ما يقدر أن يدنو منه أحد ومن شدة مافى قلبه منه علاه على حجرة يقال لها سكاب وهى قوية الأعصاب ويقال أنه تركب من مهارته وقد ذكر لى أيضا أنه أرسل إليك من يقتلك وقال لى بشر مولاك بذلك وكان قد عول أن يمسكنى عنده حتى احضر وليمة مالك بن خاجب أخو اللقيط لأنه تزوج بجارية من العنبر تين يقال لها مهرية واليوم أوغدا يكون عبور العروس عليكم وأنا أعلم أنها لم تنفذ من أيديكم هذا الأمر أظهرته لكم فدبر أموركم كيف أردتم ثم أن العبد ودعهم وسار يقطع البرارى والقفار قال ولما سار العبد عنهم فقال عنتر الرأى أننا نتمكن فى هذا المكان وإذا عبرت علينا هذه العروس التى ذكرها العبد يسير أخى شيبوب على آثارهم ويدخل على بنى دارم وهم مشغلون بوصول العروس فيسرع بتدبيره على خلاص الابجر ويعود إلينا سريعا لاجل أن نرمح إلى أهلنا قبل أن تدهمهم عساكر الشام فقال شيبوب أما دخولى إلى بنى دارم فلا تحمل همه وأما العروس إذا وصلت إلى هنا فخذها هى ومن معها حتى لا يكون سعيكم فى طريقكم خائبا وأنا أعود اليكم بالابجر ولو أنه فى يد كسرى أو قيصر

فقال عنتر يا ابن الأم ان فعلت ذلك فلم اجد لك مكافأة ابدا ولكن العبد اعلمنا أنه علاء على حجرة يقال لها سكاب من اجود خيول الاعراب وانا اعرف انها تلد له حصانا ما له نظير والابجر قد كبر وقل حيله وهمته فقال شيبوب وكانى اترك الحجرة والجوادلا وحق من خلق العباد بل اجيب لك الاثنين واجعله عليهما مقروح الفؤاد ثم انه ثم معهم الى الوادى وأخفاهم فيه واكمنهم فى كهوفة ونواحيه حتى امسى عليهم المساء فقال عنتر يا شيبوب سر اليهم فى جنح الظلام حتى يختفى بين المضارب والخيام فقال شيبوب لاخيه عنتر والله ياأخى لم أدخل الحلة وهذه الديار الانهارا جهارا لان الامر الذى أنا عازم عليه لم يحتج إلى استتار ثم انه اقام عندهم إلى الصباح وقصد عرض البر والبطاح فلاقى العروس المقدم ذكرها قد اقبلت ومعها جماعة من الفرسان الصناديد وجماعة من الاحرار والعبيد وحول هودجها أربعة هوادج مزينة بالعقود والجواهر والثياب الفاخرة وهم سائرون فى افراح وجلبة وصياح فلما ان رآهم شيبوب الاغبر عاد راجعا إلى اخيه عنتر واعلمه بالحال والخبر ثم أنه قال للجماعة تفرقوا انتم من جانب ومكان ولا تتركوا ينفلت منهم انسان حتى يخفى سالنا وتقضى جميع اشغالنا فقال عنتر من يقدر أن ينفلت منهم ورمحى فى يدى محكما ولو ان لهم اجنحة يطيرون بها فى الهواء فوحق من رفع السماء وجعل البيت الحرام آمنا وحما لاهتكن صاحبة هذا الهودج واسن هذه السنة القبيحة ولابد لبنى دارم من فضيحة وبركبهم العار والذل والشنار ويعلم القيطان مثلى مايضع له ثار قال الراوى ثم انهم تفرقوا ثلاث فرق كل فرقة ثلاث فوارس فى جانب وطلب عنتر وشيبوب ظهور القوم حتى لايهرب منهم هارب وفى دون ساعة أخذوا عليهم الطرقات والمذاهب وصاحوا عليهم صياح الاسود اذا خرجت من الدجال وضيقوا عليهم المجال ونهبوهم بالسيف الصقال والرمح الطول وكان مع العروس خمسون فارسا وجماعة من العبيد فددوهم على الصعيد وما انبسطت الشمس وطلع النهار حتى مابقى منهم ديار ولا نافخ نار وقد انقضت جميع الأشغال وساقت رجال عروة الأموال وعادوا يطلبون عنتر الاسد الريبال هذا وشيبوب قال لهم ها قد انقضت أشغالكم فعودوا إن المكان الذى كنتم فيه ولا تغفلوا عن انفسكم ولا ترقدون لاننى فى الليل اكون عندكم بالابجر والحجرة ولقد هان الامر وتيسر ثم انه ودعهم وسار طالبا إلى بنى دارم وهو كانه الأسد الهائم وكان مسيرة من أول الليل فاشرف عليهم وقت الزوال فرآهم قد نزلوا المضارب والخيام وهم فى انتظار العروس وهم فى جمع كثير فقال شيبوب هذا وقت انتهاب الفرصة لان القوم كثر عليهم الطارق وزاد عليهم الجمع والمدد وما احد منهم يسأل عن أحد ولا الوالد يسأل عن الولد فعندها قصد شيبوب ابيات القيط واكمن بالبعد عنها وقعد هناك وهو ينظر إلى الجواد الابجر والحجرة سكاب والعبد الذى يسايسه وأى طريق يسلك

ه إذا خلصه وما زال كذلك إلا أن أمسى المساء وقد أقبل القيط وهو سكران وحوله جماعة من العبيد والغلمان لأنه كان فى وليمة أخيه وهم منتظرون العرس فلما غابت وأقبل الليل فما أحد جاب لهم خبر فأيس منها هو واخوته وتفرقوا فرقا وظنوا أنها انعاقت لأمر من الأمور إلا أن شيبوبا لما رأى القيط وقد أقبل على ذلك الحال بتمايل فعند ذلك أقبل عليه وتقدم وقبل الأرض بين يديه وخدم واثنى عليه فلما نظر القيط وقف له وقد استغرب لما ان وقعت عينيه عليه وقد أنكره وبهت فيه ثم قال له ويلك من أى العرب أنت يا ولد العرب فقال شيبوب وقد قوى قلبه وجنانه وانطلق عند ذلك لسانه وقد عرف من هو قدامه فى عاجل الحال باس الأرض وقال له يا أمير أنا من عند سنان بن أبى حارثة وقد أرسلنى إليك من أجل أمر قد وجب وأريد أن أقصه عليك فقال القيط حيا الله ذلك الأمير والسيد الخطير وبالأمس مضى من عندى عبده لامع فقال شيبوب صدقت يا مولاى وقد لقيته فى الطريق وأخبرنى أنه أقام عندك سبعة أيام وقدر ديته وهو شاكر منك بالاحسان والانعام لأنه أخى أيها الأمير وقد أخبرنى أنه أمرك بجمع العربان من كل جانب ومكان وأنا فقد أتيتك محذرا من أعدائك وأخبرك بأمور سوف تبلغ بها مناك لأن مولاى سنان من حين خرج لبنى عبس من بلاد اليمن قد ترك عليهم العيون والارصاد وأقام سيدى سنان ينتظر لهم العثرات لعله يا مولاى أن يأخذ منهم بثار بنى بدر لما قتلهم بنو عبس على جفر الهباق إلا أن سيدى سنان بعد إرساله أخى لامع إليك أتاه بعض عبيده وأخبروه أن السلال الذى أتاك بالابجر وعاد من عندك ليأتيك برأس عنتر قد عرفوه وأول من عرفه أخوه شيبوب وقد قبض عليه وضربه وقوى الضرب عليه حتى أن السلال أقر بكل مافعل وقد أخبره بعد ذلك أن جوادا لابجر قد اتى به إليك فلما سمع ذلك عنتر أمر بضرب السلال وأن يصلبه على قلل الجبال ومن يومه أخذ جماعة من قومه وسار إلى ديارك يطلب خلاص الابجر من بعد ذلك ولما سمع مولاى سنان بهذه الأخبار خاف عليك من دواهيه ومن خدائع أخيه شيبوب ذلك الكلب المكاوب الذى فتت بفعالة القلوب وترك كل أحد من فعاله مكروب وإنه لما علم بذلك أرسلنى إليك لأحذرك من ذلك وأقول لك تطرح لأخيه شيبوب الرجال والعبيد والغلمان على سائر الطرقات فلعل أجله أن يكون قد اقترب وسار برجليه إلى الهلاك والعطب وشيبوب أنا أعرفه ان لم يقدر أحد أن يخلص منه إذا هو طلب ولا يهرب منه لأنه شيطان فى صورة إنسان يغلب ولا يغلب ولا يوجد مثله فى قبائل العرب ورأسك يا مولاى ما بقى يسلم من هذه الأيام ويشرب كاس الحمام هو وسائر بنى عبس الكرام لاسيما إذا سرت أنت إليهم فى هذه الجموع واختلطت بعساكر الملك الوهاب فقال القيط بعد ما طار السكر من رأسه والله

يا مولد العرب لقد قطعت ظهري في هذه الساعة وحيرتني في أمري واشغلت سري بهذا الخبر وقلت خاف على هذا الجواد الأبجر لأن عندي من قبائل العرب خلق كثير وما يمكن أن احترز من أحد ولو أني عنتر في ألف فارس واختلط في هذا الجموع ما بان من كثرة الفرسان وكان يفعل ما يريد ويدبر ما يختار وما بقي في الأمر يا وجه العرب إلا أنني أجعل على هذا الجواد الأبجر جماعة من العبيد والغلمان وآمرهم أن يحرسوه ويحفظوه من شر هذا الشيطان وأنت يا وجه العرب تكون معنا لأنني قد بان رأي وأريد أن أقول لك عليه فقال شيبوب وما هذا الرأي يا سيدي وأنت صاحب العساكر والجنود والكتائب والمواكب فقل لي على هذا الرأي حتى إنني أجيبك عليه إن كان رأيا جيدا قال فعند ذلك قال اللقيط أعلم يا وجه العرب أنه قد خطر قلبي رأي بأن أرسل صحبتك عشرين عبدا وعشرة فوارس من قومي حتى تحفظوا هذه الحجرة وهذا الجواد إلى أن ينقطع خبر بني عبس من هذه البلاد ونجتهد بعد ذلك في قتل عنتر بن شداد وقد بلغنا كل المراد ما تقول يا مولد العرب في هذا الإيراد فقال شيبوب يا مولاي إن قولك كله صواب واعلم إن حفظ هذا الجواد الأبجر من غاية الصواب ما دامت أرضكم بهذا الحال لأن كل يوم يطرقها قوم بعد قوم خصوصا ومن هذا الشيطان شيبوب فإنا أعرفه حق المعرفة دون غيره فنخاف منه عليه ولأن القوم الذي يقال لهم بنو عبس كانوا لنا جيران كما نعرف وإن وصل هذا الشيطان مع أخيه عنتر إلى هذه الديار أعلم يا مولاي أنه كان يفعل فيها من العبر الدواهي ما يختار ولو أن حول الجواد مائة عبد ذبحهم ذلك المحتال بن الأوغاد ولو كانوا من الفراعنة الشداد وأنا وحق الكعبة الغراء وأبي قبيس وحراء خائف منـــه أن يكون هذا سبق أخاه إلى هذا المكان أو يكون تركه خلفه مكمنا هو وعسكره وفي هذه الليلة يدور حول مضاربنا والخيام والصواب إنكم تحترزون على أنفسكم في هذه الليلة إلى أن يطلع الصباح وإذا طلع النهار أنا أتخفى وأدور على هذا الشيطان شيبوب بين القبائل وأقبض عليه وأمسكه من رقبته وأسلمه إليك تفعل به ما تريد وإن كنت تريد أن تتم أفراحكم فأصلبه بين الخيام أو علقه كعبيه حتى تتفرج عليه النساء والرجال والغلمان وبعد ذلك يرمى بالنبال والسهام وأكون قد كفيتكم شره ومكره فتر تاحون منه ومن شؤم طلعته على الدوام (قال الراوي) فلما سمع اللقيط من شيبوب ذلك المقال قال له وقد صغى إلى كلامه ومقالة فقال يا مولد العرب دبر أنت أمرنا في هذه الليلة بما فيه الصلاح وما تنظر عينيك من الصواب فافعله واحتفظ على إبياتنا ما دام أن فرساننا سكارى من الشراب وخذ معك من أردت من هذه العبيد الانجاب وكونوا رقودا بين الخيام والاطناب واجعلوا بالكم من المكان الذي فيه الابجر والحجرة سكاب إلى أن يقبل النهار ونعمل على قد ما نرى من الأخبار ثم إن اللقيط

وبكلامه أمر عبيده وغلمانه بطاعة شيبوب ثم أنه دخل إلى أبياته وهو من حديث شيبوب سكران ومكروب من المشروب ومن الذى قد ساقه إليه من المحال شيبوب حتى أنه غاب عن الوجود وبقى مولها مكمود ولما أن سار اللقيط إلى أبياته تفكر فى أمره وفى الحال عبر فراشه ونام قال وأما شيبوب فانه لما انصرف اللقيط من عنده وثب على قدميه وقد صفق بيديه وأخذ من العبيد ثلاثة وقال للبقية انصرفوا أنتم يا أولاد الخالة إلى أماكنكم لأنكم تعابى عما قاسيتم من الخدمة فى هذا النهار وهذا الأمر الذى ذكرته لسيدكم لا ليكون على يقظة من أمره وأما من هذه الساعة لى خمسة أيام فلم يقدر عنتر وأصحابه إلى المجىء إلى هنا (قال الراوى) وكانت هذه العبيد الثلاثة الذين اختارهم شيبوب طافحين من السكر وكثرة شرب العقار لا يعرف أحد منهم الليل من النهار فجلس بهم شيبوب بعد أن صرف العبيد الذين تقدم ذكرهم على باب الخيمة التى فيها الحجرة سكاب والجواد الأبجر ولما استقر بهم المقام حتى أتاهم من عند اللقيط الطعام والمدام فأكل شيبوب من ذلك الطعام إلى أن اكتفى وبعد ذلك وضع بطة المدام بجانبه وملا وشرب إلى أن ضلعت الخمر فى رأسه فافتكر أصدقاءه وأحبابه فبكى واشتكى وأنشد يقول هذه الأبيات .

فراق أحبتى قد زاد نحى	واسقم مهجتى وأضنى فؤادى
أنوح أسا إذا ما جن ليلى	وتسهر مقلتى والليل هادى
وأن فرقكم قد زاد نارى	وبعدكم قد ألزمنى وسادى
هجرتمونى بلا ذنب ولا جرم	وأشمت بنا سائر الأعادى
تذكرون زمانا كنت فيه	مع الأحباب كانت لى أيادى
فمن بعدكم قد صرت مضنى	كئيب النفس متعبا فى البلاد

(قال الراوى) وقد صار شيبوب يبكى وينتحب وتلك العبيد إلى جانبه وهم يهدوه من بكائه ويسكنوه حتى هدأ من بكائه فقال العبيد طب قلبا فان سيدنا يبلغك مناك وهو يوصلك إلى هواك فقال لهم شيبوب والله يا أولاد الخالة مالى إليها وصول لأن سيدى رجل جبار يقال له ذو الخمار وأخاف أننى إن سرت إليه ووقع بى هذا الجبار قطعنى وأعدمنى الحياة والاصطبار وأريد إذا وصلت إلى سيدى سنان وقضيت على يدى هذه الاشغال أسير إلى البيت الحرام وأهجر المنازل والأوطان واجعل مقامى فى مكة إلى آخر الزمان هذا وهو يحدثهم ويشاغلهم بمثل هذا الهذيان إلى أن رقدت العبيد وانطفأت النيران ونام كل من فى الحى من الرجال والنسوان وقد انطرح العبيد مثل القتلى وارتفع غطيطهم وعلا فلما نظر شيبوب إلى ذلك الأقوام قد رقدت والنيران قد خمدت نهض قائما على قدميه مثل النمر الحردان وتخطى المضارب والأطناب فى أسرع وقت دخل على الابجر والحجرة سكاب

فنظر شيبوب إلى العبد وهو راقد بين المدودين وهو الذى كان يخدم الفرسين فدنا منه شيبوب فرأى جبته وقلنسوته عن رأس العبد فأخذهم وابسهم وقعد إلى جانبه وسل خنجره وحطه على وريديه واتكأ عليه فراح رأسه من بين كتفيه وبعد ذلك تقدم إلى الأبجر قليلا قليلا وصفر له الصفرة المعروفة التى كانت بينه إذا قدم عليه فلما سمع الأبجر تلك الصفرة بهت فيه ساعة زمانية فحمحم عليه وتذكر ما كان منه إليه فصار يلعب بيديه ورجليه فتقدم إليه وحل شكاله وفعل بالجحوة مثل فعاله وفى عاجل الحال قاد الاثنين وخرج بهم إلى خارج البيوت وقد صار على الطريق التى اختبرها بالنهار وعلم أنها خالية من الأخطار والوارد وسليمة من الأخطار قال ولما سار شيبوب فى البر الأقفر ركب الابجر وقد جنب الجحوة سكاب وسار تحت أجنحة الظلام والاعتكار وهو طالب الوادى الذى فيه أخوه عنتر وعامر ابن الطفيل ورفقته هذا ما كان من شيبوب وجسارته وأما ما كان من عنتر ومن معه من فرسان بنى قراد وعامر بن الطفيل وشداد فإنهم لما أخذوا العروس ودخلوا بها إلى الوادى وأنزلوها من هودجها فتأملوها فرأوها صبيحة الوجه أحسن من الشمس والقمر وأضوأ من الفجر إذا انفجر وكأنها من الحور العين وقد خرجت من الجنان أو من بنات ملوك أصحاب التيجان وعليها قلائد وعقود من الزمرد الأخضر والياقوت الأحمر وهى فتنة لمن لها ينظر والبنات التى معها يقاربنها فى ملاحتها ويشاركنها فى حسنها وبهجتها فعند ذلك قاموا يحرسون أنفسهم ويتحدثون فى أمر شيبوب طول ذلك النهار إلا أن أقبل الليل بالاعتكار فأكلوا وشربوا وواقعوا البنات واستحلوا المحرمات لأنفسهم جاهلة قلوبهم على بنى مشاجع عملته قال الراوى وأما الأمير عنتر فانه كان من حيث سرق جواده الأبجر مادنا من عبد ولا ضاجعها وقد أبصر فى ذلك اليوم إلى مهريه وهى بذلك الحسن والجمال والقد والاعتدال فعند ذلك سلبت عقله وتركها فى تلك الليلة ضجيعته ولم يزل معها إلى أن وصل شيبوب بالجحوة والجواد فرآه الدبابة والحراس فأتوا وأعلموا الامير عنتر بقدوم شيبوب ومعه الجحوة والجواد ففرح بذلك وسر منه الفؤاد فوثب إليه وتلقاه وسأله عن حاله فأخبره شيبوب بما جرى له عند اللقيط بن زرارة وكيف تحايل عليه بالكلام المال وكيف أنه وكله بالجحوة والجواد وكيف أنه ذبح العبيد بعد ما أسكرهم بالكلام البهتان ثم قال لهم يا وجوه العرب المقصود أنكم تلجون فى هدو الليل قبل طلوع النهار حتى لا تلحقكم سوابق الخيل ويحل بنا وبكم عظائم الويل لأن الأرض من بنى مشاجع امتلأت بالفارس والراجل من كثرة العشائر والقبائل ونحن قلوبنا على أهلنا ولا ندرى ما تم عليهم من عساكر الشام ومن بنى قراد الشام فلما سمع عنتر هذا الكلام رآه عين الصواب وقال لأبيه يا أبتاه إن شيبوبا قال الصواب ولولا هذا السبب ما برحنا من هذه الأرض حتى أكافىء اللقيط على فعاله

وما قد صنع ولو أن عنده كماه الفلا أو من مشى على الأرض وعلا ولكن لا بد له أن يسير إلينا هو ورجاله ويرى منا ما يعجز عنه هو وأبطاله قال فنهض عند ذلك شيبوب وقد شد لأخيه عنتر على ظهر الجواد الابجر وفي عاجل الحال ركب عنتر على ظهره وركب جميع رفقته وقد أركبوا النساء والبنات وكل من كان معهم من الاماء على الخيول الخاليات وبعد ذلك ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وهم يقطعون الفلوات في تلك الدياجي المظلمات وما طلع عليهم النهار إلا وقد بعدوا عن الديار فهذا ما كان من أمر هؤلاء من العباد وأما ما كان من أمر اللقيط بن زرارة فانه صحا من سكره عند السحر وقد خطر كلام شيبوب في قلبه فافتكر وارتجف قلبه من الجواد الابجر من أمر أبي الفوارس عنتر وما صدق أن يرى الفجر قد ظهر حتى أنه وثب من منامه مثل الفهد إذا انذعر وقد خرج من خيامه وأتى إلى المضرب الذي قد أمر شيبوب بحفظه فنظر إلى العبيد حوله فرآهم نياما فصرخ عليهم فانتبهوا من خمرهم وهم في خبال قال فلما انتبهوا سألهم عن العبد الفزاري وقال لهم ما كان منه فقالوا له والله يا مولاي ما ندري أين قصد لأنه لما أخذنا معه وأتى بنا إلى ههنا قال لنا أنتم على كل حال تعابى وسكارى فناموا إلى أن تخلصوا من غلبة المدام فإنهكم للحرس وأنام بعدكم فقبلنا يا مولاي منه ما قال ونمنا وما استيقظنا من غلبة المدام إلا في هذه الساعة كما ترى فقال لهم اللقيط لما سمع منهم ذلك وقد حس قلبه بالبلاء يا ويلكم ما أخوفني أن يكون هذا العبد ما هو من بني فزارة ولا هو من عبيد سنان بن أبي حارثة ولا أتى إلينا هذا العبد إلا عيارا محتالا وقد قال ما قال من شقشقة اللسان والكلام ولكن ما لكم علم على اسمه ولا عن لقبه ولا شيئا يعرف به بين العبيد فقالوا له بلى والله يا مولاي أنه قد أخبرنا أن اسمه جامع وإذا مزح معه سيده يقول يا مخادع فقال لهم اللقيط هذا والله هو الصحيح ولأن الرجل عرفكم بحاله وما أخفى عنكم شيئا من أحواله لأنه قد أتى إلينا مخادعا ولكن أنتم ما عرفتم مقاله ولا وعيتم كلامه قال ثم أن اللقيط بعد كلامه للعبيد قام من عندهم ودخل إلى المضرب الذي فيه الجواد الابجر والحجرة سكاب فما رأى لهم خبرا ولا أثرا ثم أنه نظر إلى العبد الذي كان يخدمهم فرآه مذبوحا وهو جسد بلا روح فعندها قال يا جامع لا جمع الله شملك على من تحب يا بن الملعونة ثم أنه نظر إلى ما حل به من تلك الأشياء فأكل كفيه أسفا عليها وعلى الجواد والحجرة سكاب وقد أحس بأن روحه وقلبه قد انفطر وقد علم أن العبد الذي فعل معه تلك الفعال هو شيبوب أخو عنتر فتلهب وتحسر وفي عاجل الحال جمع أخوته إليه وهم ثمانية عشر وقد أخبرهم بما جرى عليه فتوجعوا لما قد جرى له وأخذهم القلق عليه فعندها قال لهم اعلموا يا إخوتي أن هذا الشيطان قد تجرأ علينا مرارا عديدة ونحن نحترز من محاله ولا من شقشقة لسانه على أن هذا الشيطان ما أتينا إلا بالحديث والخبر الذي يكون فيه وما ندري من يعلمه بأحوالنا

كأنه هذا ولد الزنا يعلم ما فى قلوبنا بمكره وخديعته فقال له الحاجب يا لقيط هون عليك هذا الأمر فان لا بحر لا ينفعك ولا ينقاد لما تريده من أمرك وإن تولعك به خطأ مع هذا يا أمير فنحن كلنا سائرون إلى ديار بنى عبس ونجتهدون فى قلع آثارهم وخراب ديارهم ونهب أموالهم وعيالهم فان تم لنا هذا كان عنتر والجواد الابجر وكلما تريد بحكمك وإن رزقوا النصر علينا وعلى غيرنا من عساكر الملك الحارث الوهاب فهذا أمر ما لأحد فيه حيلة ولا أسباب (قال الراوى) فبينما هم يتحدثون فى أمر شيبوب وما فعل وكيف تحايل عليه وكيف سرق الجواد والحجرة وإذا بثلاث رجال قد اقبلوا من البر عليه وقبلوا الأرض بين يديه قالوا له أيها الملك اعلم أن العروس الذى زوجتموها للامير مالك قد سبيت والمال الذى معهم قد نهب والعبيد والغلمان والنساء والبنات الابكار ملكوا والفرسان الذين معهم قتلوا (قال الراوى) فلما سمع لقيط هذا الخبر وإن العروس قد سبيت هى ومن معها من النسوان زاد بالقيط ومن معه الهم والأحزان ورموا بنوائب الزمان وقد اشتعلت قلوبهم بالنيران وجرى على لقيط وأخوته ما لا يجرى على قلب إنسان فقال لقيط لاخوته وأهل مملكته احفظوا أنتم باوجوه العرب الحلل والمضارب والعبا والسوق والجمال فربما يصير علينا هذا الشأن مرة ثانية ويجعلنا فضيحة عند سائر العربان (قال الراوى) فلما تكلم لقيط ابن زرارة بهذا المقال ما بقى أحد من بنى عشاجع الا وقد احتفظ على ماله وعياله ونوقه وجماله وزاد بالقوم الفزع وقد احترزوا على أنفسهم جميع أهل الحلة باقامة البصاصين على الطرقات والحدود وبعد ذلك سار لقيط وأخواته وفرسانه إلى وادى الامدود ونزل فى ذلك المكان أيام وليالى بمن معه من الجنود وصار يجمع العساكر من العربان وعلم أن الأمر قد تم عليه من شيبوب وأخيه عنتر وعلم أنه إن تبعه كان معه على خطر فعند ذلك انفذ لقيط أخاه حاجبا إلى الملك الجون سيد بنى كنده يخبره بالخبر وأيضا إلى ملك بنى تميم وأعلمه بقصته وما جرى عليه ونوبته وسأله هو ومن يصحبه من الفرسان فى نجدته قال وأقام بعد ذلك لقيط فى وادى الاخدود وهو وأخوته ماله وصار يتنهد وينقهر ويزق نفسه ويكلد حرقته وينكمد بغصته وفرق على قبائل العرب ونعمته وما قد جمعه فى طول عمره ومدته من السوق والجمال والخيل والأنعام (قال الراوى) فهذا ما كان من لقيط وأخوته وأما ما كان من عنتر بن شداد ورفقته فانهم جدوا فى المسير ليلا ونهار فى الغدو والابكار مقدار خمسة أيام ثم بعد ذلك ترفق على نفسه فى المسير لأجل النساء والمسبيات اللاتى معه فصار عنتر يكرمهن بالطعام ويترفق بهن فى اللغو والكلام وأما العروسة المهرية فانها صارت تبكى بكاء شديداً مما عليه من مزيد ولا تسكت لها لوعة ولا تنشف لها دمعة ولم تلتذ بطعام ولا غمضت عيناها المنام فقال لها عنتر فى بعض الأيام يا مهرية بكاك هذا على مالك بن حاجب الذى كنت سائرة إليه وتزفى

عليه فقالت له لا وحق عينيك يا مولاى ما هو عليه وما تزوجت به باختيارى وما كان ذلك الا غصبا عنى وانما بكائى على ابن عمى لانى قد ربيت معه من الصغر وقد ألفته والفنى من زمن الصبا إلى الكبر فزوجنى به والدى وقد مضى يأتى بالمهر المعتبر من بعض أحياء العرب فأبطأ وقد أيسنا منه ولم نعلم ما قد جرى عليه من الخير أو الضر وقد اتفق أن حاجبا زارنا فى أيام عيدنا الكبير فرآنى وسط البنات وأنا أدور حول الصنم فهوينى فعاد إلى أهله وأعمامه ومد أبى بالخيرات والنعم بعد أن شكا إليهم حاله وسألهم أن يزوجوه بى فاجابه أخوته إلى ذلك فانفذوا إلى والدى وخطبونى منه ونفذوا له شيئا من المال والنوق والجمال ففرح أبى بنعمتهم وزوجنى به غصبا وساقنى إليه كما ترى وقد جرى على منكم ما جرى وإلى الآن ياسيدى وأنا متحسرة على ابن عمى ومتذكرة أيام الصبا فلما أن تكلمت مهرية بهذا الكلام قال لها مهرية هذا أمر هين وأنا أقضى حاجتك وأبلغك أمنيتك واتى متى وقعت به أو سمعت خبره أنفذت خلفه وزوجتك به وأم شملك عليه (قال الراوى) وكان الامير عنتر وعد عروة بن الورد بهذه الصبية وقد عول أن يهبها من خوفه من بنت عمه عبلة البهية إلا أن عنترا وأصحابه ومن معه والجارية مهرية ما أتموا كلامهم حتى لاح لهم من صدر البرية خيل وجمال ونوق ومال وهى تتمارق إلى الغدران فعند ذلك قال عنتر هذا ركب سائر وأقول لا بد أن ما معه خبرا من بنى عبس وعدنان وبنى عار فحرك جوادك يا أبا الابيض واسألهم عن تلك الديار وما قد جرى لهم من بعدنا أن كان معهم خبر عن الاهل والعيال لان قلبى خائف عليهم من هذه العساكر الجرارة ومن سنان بن أبى حارثة ومن اللقيط بن زرارة فعندها أطلق عروة الجواد وقوم السنان وحرك العنان وتبعه خمس فوارس كأنهم العقبان وما زالوا يركضون بخيولهم حتى قاربوا الجمال والنياق وحققوها باعينهم والاحداق فاذاهم بخمسة من العبيد وفارس واحد كأنه البرج المشيد وهو غائص فى الحديد الزرد النضيد وتحته جواد شديد ولما نظره عروة أراد أن يبدأه بالسلام وإذا بالفارس قد قفز إليه مثل ثنية الجبل أو الغمام إذا هطل وطلبه كما يطلب الجارح الحمام فعند ذلك قال له يا وجه العرب من أين طريقك وإلى أين غادى فى البر الاقفر والمهمة الاغبر فقال البدوى بعد ما صرخ فى وجهه صرخة تهد الجبال ويلك يا جاهل ما هذا مقام السؤال فانزل عن جوادك وسلم ما معك من السلب والاموال والاوحق ذمة العرب ومن عن خلقه قد احتجب هتكت بسنان هذا الرمح منكم ودائع الصدور وتركتكم رزقا للوحوش والطيور ثم أن الفارس بعد كلامه طلب بسنانه صدور الفرسان الذين مع عروة وهو مثل المجنون العاشق الولهان الذين قد أبعد عنه أحبابه وهجره خلانه وأصحابه قال الراوى وفى دون ساعة جرح الفارس من أصحاب عروة ثلاثة رجال وطمع فى جانبهم استطال فلما أبصر عروة ما حل بأصحابه وجهل هذا الفارس

وقتاله خاف منه على نفسه ورجاله فعندها حمل عليه حملة الحنق وصاح فيه وزعق وصدمه صدمة الأسد وفي عاجل الحال تضاربا بالرماح حتى تقصفت وبعد ذلك عادوا إلى الصداح. ومازالا كذلك حتى آيس الاثنان من الارواح هذا وقد اختلف بينهما ضربتان قاتلتان واصلتان كانت منهما مضارب السنان وقد وقع سيف كل واحد منهما على بيضة صاحبه فانقطع وما بقي في أيديهما إلا المقابض التي لا تنفع (قال الراوى) وبعد ذلك القتال والضراب والنزال تقابضا على ظهور الجوادين وقد طال الأمر بين الاثنين حتى كادت انفسهما تتجرع غصص البين ومازال يتجاذبان ويتجاذبان ويتواثبان حتى أن عروة خاف عليه أصحابه منه فداروا بالبدوى من كل جانب ومكان وطعنوا فرسه بالاسنة والقواضب فوقع من فوقها وسقط على أم رأسه فانقلب فأخذوه أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وفي الحال عادوا به وبالعبيد الذين معه والنوق والجمال وقدموه بين أيادى الامير عنتر بن شداد وعامر بن الطفيل واخبروهما بفعاله وجمله وما قد جرى لهما منه وطلبت الرجال قتله فقال له عنتر اقتلوه وعلى الأرض جندلوه وبعد جدوا بنا في المسير لان لنا شغلا اهم من هذا كبير قال فبينما هم في ذلك الكلام وإذا هم بمهرية قد ألقت روحها إلى الارض وارتمت عليه وقد بكت وعانقته في صدره وقبلته بين عينيه والتفتت إلى الامير عنتر وقالت له يا حامية عبس إن أردت قتل هذا الغلام فاضربني قبله بالحسام واقتلني لأن هذا الفتى هو ابن عمي لحمي ودمي وهو الذى كنت أشكو إليك أمره من قبل وما اجد من المحبة والوداد من أجله وقد سمعت عنك يا أبا الفوارس انك قاضي حاجات العشاق في هذا الزمان باق لكثرة ما قاسيت من أجل ستى عبلة في المذلة والهوان وسرت من أجلها في بلاد العراق وأصفهان حتى جمع الله شملك بها وانا يا ابا الفوارس قدر بيته مع هذا الغلام من عهد الصبا فبحرمة ما بينك وبين سيدتي عبلة من المحبة والوداد والغرام لا تفجعني في ابن عمي هذا الغلام فلما تكلمت مهرية بهذا الكلام قال لها عنتر والله يا مهرية لقد اقسمت على بقسم عظيم وما هو هين ولاجل قسمك آمنك على ابن عمك واطلقه لاجلك واطلقك انت معه ولا نؤاخذه بما فعل بابطالنا لاجلك فعند ذلك فرحت مهرية بكلامه فما كان عندها غير انها دعت له فعند ذلك حن قلبه عليها وعلى ابن عمها وقد تعجب عنتر من هذا الاتفاق وكذلك جميع من حضر من الرفق فعند ذلك التفت إليها الامير عنتر وقال لها يا مهرية أتحبيه فقالت له وكيف لا يسيد بني عبس وعدنان وفرارة وذبيان وهو الذى قد شكوت اليك محبته وعدتني بجمع شملي بشمله وقد قرب الاجتماع به على يديك وكان (قال الراوى) فعند ذلك تعجب عنتر من هذا الاتفاق الغريب السديد وامر عروة بن الورد أن يطلق الغلام والعبيد ويرد عليه فرسه وسلاحه ونوقه وجماله التي كانت معه وما يريد ففعل عروة ما أمر به عنتر وحله من اعتقاله فعند ذلك وثب الغلام على قدميه ولبس ثيابه وتقلد

بسيفه و تمكن بدرقته و اعتقل بسنانه ورمحه و تقدم إلى ابنة عمه فو ثبت اليه وهى مزينة باللبس والعقود والجوهر ووقعت على صدره وقالت وابن عماه وامهجه قلباه فسأل عنتر ابن عمها عن طول غيبته فقال والله يا مولاى من حين خرجت من عندقو دى رميت بروحى فى المعامع والحروب والاخطار وقد درت سائر الاقطار حتى سهل الله لى هذه النوق والجمال ومع هذا لم تثف ببعض ما طلب عمى من المهر والصداق الحال و مافعلت هذه الفعال مع اصحابك إلا لاحل تحصيل ما بقى على من المال فقال له عنتر ها قد خلصت من المال والنوق والجمال والاماء والعبيد وقد أتاك الامر كما تريد وقد حظيت بابنة عمك وهانت الاموال عليك ولولا أنا ما كنت رأيتها لك ضجيعة لان أباها قد غدر بك وجها المالك بن حاجب قال ثم ان عنتر حدثه بقصتها وماجرى لهم من قضيتها وقال له عنتر ياوجه العرب خذ بنت عمك وتزوج بها ولا ترجع لهم بها إلى أهلها فتؤخذ منك غصبا واعلم إننا قوم كثرت أعداؤنا ولولا ذلك لكنا أخذناك معنا إلى ديارنا وأوطاننا وعنتر ما قال له ذلك الافزعا من عبلة وخوفه ان تسمع من بعض النسوان ما جرى له مع مهرية طول الطريق فتعمل على أذيتها وأيضا تكدر عيش عنتر معها فلاجل ذلك وهبها لابن عمها وجاد عليه بها عليه وكان سيف الغلام ورمحه قد تكسر كما ذكرنا فأعطاه عنتر رمحا طويلا وسيفا صقيلا فكان عنتر يستعمله وقت الضيق يستعين به على قطع الطريق وكان اسم ذلك السيف المصتى قال فعندذلك فرح ابن عم مهرية بذلك وقد شكره وأثنى عليه بعد أن عرفه أنه حامية بنى عبس وعدنان وفزاره وغطفان فما كان عنده شىء يكافئه به غير جوهرة اللسان التى يفتخر بها بين السادات والعربان وهو المدح والثناء على الاصحاب والخلان فعندذلك شمر عن يمينه وأشار يمدح عنتر بهذه الابيات

لك الله ما أعلى محلك وأرفعا	وأحرى إلى كسب الثناء وأسرعا
وأعداك عدوا فى الانام كقطرة	إذا جاء سيل للبرية أروعا
وأســـرع كفا والملوك بخيلة	وأشجع وأن دع إلى نصرة دى
جمعت على الناس السماح ولم يكن	لولاك أنت لم يستجمعـــا
كما طبت خيرا فى الأنام ومخبرا	كذلك جودك فى البرية مشبعا
فيا فارسا فاق البرية كلهـــا	علاء ومجدا كان طفلا ومرضعا
بلغت من العليا ما أعجز الورى	ولم يبق فى فخر لفخرك مطمعا

(قال الراوى) فلما فرغ الغلام مدحه لعنتر شكره وأثنى عليه وفى عاجل الحال وهب له شيئا من المال وكذلك عروة بن الورد وهبه على قدر ما يليق وكذلك عامر بن الطفيل ومقرى الوحش نزل من على فرسه وسلمها إليه وما أحد من الفرسان الا وانعم عليه ولم يبق غير شيبوب فانه لما نظر الفرسان وتكرموا على هذا الغلام قال يا وجوه العرب ما أنا فارس

حتى انى أتكرم وأسمع هذا الرجل وأنا لا تعرفنى العربان الا لصاحتالا من مكان إلى مكان وان كان هذا الرجل يريد أن يتعلم شيأ من المكر والشيطنة والحيل فأنا أملا كل فردا ملان بلا أودان وأعلمه كيف يسرق الخيل من كل مكان ويبيعها إلى أصحابها بعد الأدهان ويأخذ المرأة من حضن زوجها وهو نائم أو يقظان فهذه تجارة لم تعرف على مدى الازمان قال فلما سمعوا من شيبوب ذلك الكلام تضاحكوا عليه وعلموا أنه يخرج من يده أكثر مما قال فعند ذلك أخذ الغلام أبنة عمه مهريه وودع القوم وسار إلى حال سبيله وكذلك عنتر ورفقته قد ساروا وأوجدوا فى المسير وهم طالبون أرض بنى عامر هذا وعنتر تقدم إلى أمام القوم وتذكر ما جرى من هذا المجرى فأنشد عليه يقول:

الا اننى قد طفت كل المعالمى ... ودرت على عربانها والاعاجم
ولاقيت شجعانا وكل غضنفر ... وفلقت هامات لهم بصوارمى
وأحميت قومى عند مشتجر القنا ... وصلت على أعدائهم فى التلاحم
فلا تجهلوا فعلى وعظم شجاعتى ... فأنا جسور فى القنا والتهاجم
الاخبروا اضدى إذا الحرب شمرت ... وصلت على الامات بيض الصوارمى
الا خبروا عنى لقيطا اننى ... سأرغمه عند اشتباك اللهاذم
وخبره عنى انى سأذيقه ... كؤس المنايا من سموم الاراقم
وأقهره رغما من بعد سبى حريمه ... وأشهرهم بين الورى للعـــوالم
ليعلم انى الفارس البطل الذى ... ذكرى علا بالفخر ما الدهر قائم
تنبه يامغرورا ان كنت نائما ... بانى غداة الحرب ليث القشاعم
أما سمعت أذناك يوما بموقفى ... وقد فر منى الرجال الضراغم
أباتى قطع فى الهيجا رؤسها ... وحكمت سيفى فى الكلا والجماجم
ومن عرب العرباء فخرى ونسبتى ... وذكرى فيما بينهم ويلك قائمى
ستعلم ياهذا يظهر ما خـــفى ... بانك فى الهيجا قتيل بصارمى
أنا عنتر العبسى القى حماتها ... غداة أريك كيف التصادم
ولا أرجع عن قـومك دائما ... لانى أنا قرع شجاع ملازمى
وانى قد لاقيت الف مدرع ... ملوك حماة لا يخافوا التهاجم
قطعت نواصيهم وفرقت جمعهم ... وشتت عربانا لهم واكارمى
أنا عنتر لا تنكرون فعائلى ... اذا مابدا لى الموت كنت مهاجمى
فلا بد لى مما أحليك ثاويا ... وأتركك ملقا عقيرا ونادمى
وتنظر أنصار لكم قد تهاربت ... فزعا لما قد نالهـــا فى اللهاذم

أسرت دريدا ثم فرقت جمعه … فماذا لقيط بعده فى تهاجمى
أقول لصحبي ان ذكرت عبيلة … وزاد اشتياقى فى نحوها وتمادمى
وقد لاح من نحو الديار لمعة … أضاءت لنا الأكوان والليل معتمى
وأجلى لدياجى منه نوراً كأنه … سنا الشمس بل أبهى ثناه وأعظمى
خليلى هذا النور منه لنا بدا … فذا الفجر أم نار تشب وتضرمى
فقالوا رعاك الله ذا النور ضاويا … ديار ابها طعن الحبيب مخيمى
فقلت اميلا عن مثانى ركابنا … فهذا الذى كنا بدوره نحتمى
والال والاصحاب جمعا وآلهم … ماناح طير على الغصون وترجمى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك طربت جميع الفرسان وقالوا الافض الله فاك ولا كان من يشنأك يا أبا الفوارس ولم يزالوا سائرين ليلا ونهارا غدوا وابتكارا حتى وصلوا إلى المنازل والديار قال وكان وصولهم إلى أول النهار فوقعت لهم البشائر فى الأهل والعشائر إلا انهم ماوصلوا إلى المضارب والخيام حتى اقبلت اليهم رسل الملك وقد أمروهم بالحضور فأجابهم بالسمع والطاعة وقد امتثلوا الأمر فى تلك الساعة وفى الحال خلعوا عنهم الزرد والحديد وآلة السفر ولبسوا ثياب الحضر ثم انهم عادوا وأوصلوا إلى الخيام فنظروا فرسان القبيلة كلهم مجتمعين وفى أصل أمورهم يتشاورون ولما اقبلوا وثبوا لهم بالحضور قياما على الاقدام وهنوهم بالسلامة وعظم الشأن وسألوهم عن سفرتهم وماجرى لهم فى غيبتهم فحدثهم عنتر بما جرى له مع القيط بن زراره قال فلما سمعوا منه ذلك الكلام تعجبوا من تصاريف الايام فقالت أبطال بنى عبس يا أبا الفوارس لو أعلمتنا بهذه الاخبار حين سرت لكنا نتبعك ونقلع من بنى مشاجع الاثر ولا نخلى لهم ذكرا يذكر ما طلعت الشمس وغاب القمر فقال عنتر يا مولاى ما أردت أن أتعب خواطركم فيما لا يساوى ولا أكلفكم أكثر ما كلفتكم فى قبائل الاعداء وبسعادتكم قد تم أمرى وانقضى وانتم يا وجوه العرب ما الذى تجدد عندكم من الاخبار وكيف مقامكم فى هذه الديار فقالت الرجال والله يا أبا الفوارس ما كان مقامنا إلا طيب مقام إلا أنه كان فى أمس آخر النهار وقد كنا مجتمعين فبينما نحن هكذا إذا أقبل علينا رجل من بنى فزارة نظرنا إليه وهو مضيق اللثام تام الطول والقوام وهو راكب على ناقة عالية السنام ولما قرب إلينا لا تكلم ولا سلم إلا أنه نزل من على ناقته ورمى فى وسطنا ثوب خام وهو مسدود الأكمام ومربوط ربطتين وجعله صرتين ورماه بين ايدينا وعاد ركب ناقته وسار وقد غاص فى البرارى والقفار ونحن ننظر إليه باهتين فيه ولما غاب عنا تقدمنا إلى ذلك الثوب وفتحناه فوجدنا فى الصرة الأولى رملا أصفر وفى الصرة الثانية شوكا مثل رؤس الابر وأيضا فى الثوب عشرة أحجار صغار فلما نظرنا إلى الثلاثة اشارات قد

انه ملما وتحيرنا من هذه الصفة وضاقت علينا المسالك ولا فيناه نعرف هذا الحال ولا حل لنا هذا الاشكال وقد قلنا في أنفسنا والله ما أتى هذا الرجل الا ليحذرنا من قوم يصيبنا منهم ضرر وما في الأمر الا أننا نركب الخيل و نلحقه و نمسكه وأنه يحدثنا بالذي فعله معنا باكرام ولما هممنا إلى هذا الأمر التفت إلينا الملك قيس وقال يا بني عمي الرجل مأخوذ عليه العهد والمواثيق أنه لا يكلمنا بشفة ولا بلسان ولو أنكم تشلوه بعوامل الرماح ما أظهر لنا سره ولا باح وأما هذان الصرتان فأنا أحدثكم عن معناهم فأما الرمل فانه يقول لكم قد أتتكم عساكر بعدده وأما هذه الصرة الشوك فانه يخبركم ان هذه العساكر لوارده إليكم فإنها في شوكة وكون أن الرمل أصفر فإنه يخبركم أن العساكر من بني الأصفر وأما هذه العشرة أحجار فانه يقول لكم بعد عشرة أيام يكونون عندكم قال فلما سمعنا ما تكلم به الملك قيس صدقناه في معرفته ونطقه لكن يا أبا الفوارس ما نعلم من أين تأتينا هذه العساكر فلما سمع الأمير عنتر منهم هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال لهم يا وجوه العرب أما الملك قيس فو حق ذمة العرب لقد أصاب في تفسير هذه الاشكال المستغرب وأما هذه الجيوش القادمة عليكم فأنا أخبركم بخبرها وأترك خيلنا تتعثر بجماجم فرسانها وركابها وهي منهزمة بين أيدينا وتطلب ديارها وأوطانها ثم أن عنتر حدثهم بحديث خبر الشام وانهم يريدون أن يأخذوا بثار ابن ملكهم الذي قتلته أنا في أرض تسميا فاتوا إلى هذه الديار يطلبون ثاره ثم أنه أخبرهم أيضا بمكاتبة سنان بن أبي حارثه وأنه سائر إلى ملتقاه في فرسان بني فزارة هذا وقد عرفهم عنتر بالجموع التي جمعها اللقيط بن زرارة هذا ولما انتهى عنتر من كلامه وقد بين لهم القصة على جليتها التفت بعد ذلك إلى فرسان بني عامر وقال لهم اسمعوا يا وجوه العرب واعلموا أن طلبنا أكثر من طلبكم والدماء علينا مما عليكم فان كانت قلوبكم تطيب بجوارنا وأنتم تساعدونا على الاعداء فلا مانع والا فاعلمونا حتى نرحل من جواركم ونبعد في البراري والقفار عنكم ويدبر كل أحد ما يحب ويختار لانكم أنتم أصحاب هذه الديار ونحن لكم من بعد الرعية والجوار فلا تكلفوا أنفسكم إلا بما تصلحوا به نفوسكم وشأنكم وأمركم وأوصيكم أن لا تعتمدوا على شيء يضركم (قال الراوي) ولما سمع بني عامر كلام عنتر وما أبداه استحسنوه وشكروه وقالوا له يا أبا الفوارس أتريد أن تفسد بنا بين العرب لفسخ الذمار وتتركنا معيرة بين الأنام والذي أرسى شوامخ الجبال وعلم عدد الحصا والرمال ما بقي أحد منا ينثني عن صاحبه حتى انه يقتل إلى جانبه فدع يا أبا الفوارس الملوك يدبروا نفوسكم ونحن نتبعهم فيما يدبرون فلما تكلم العامر بهذا الكلام قال الملك قيس للاحوص ابن جعفر سيد بني عامر فاذا كنتم يا وجوه العرب قلوبكم طيبة بهذا القول فهو الصواب ونعم الرأي فجددوا بيننا وبينكم العهود والمواثيق كلنا نكون على عزم واحد ونلتقي هذه

العساكر والجيوش بغير معاون ولا مساعد فقال الاخوص أيها الملك افعل ماتريد وما تشتهي وما يخطر على بالك فعند ذلك التفت الاخوص بن جعفر إلى بعض فرسانه وأمره أن يمضي إلى الديار وأن ينفذ فرسان القبائل ومقدمي العساكر لانهم فرق تحت إدارته شتى وهم بنو كلاب وبنو عامر وبنو غني وبنو الحارث هذا ولما سارت الرسل إلى جميع القبائل والحلال أعلموهم بما أمروا فيه فلما سمعوا ذلك القول لبسوا عددهم وركبوا خيولهم وساروا طالبين طوع سيدهم الاخوص بن جعفر فلما وصلوا إليه قبلوا الأرض بين يديه فقال لهم الاخوص ابن جعفر اسمعوا أيها المقدمون الحلل والقبائل أن فرسان بني عبس قد تحرك عليهم بعض عدوهم وهو الملك الحارث الوهاب الغساني الحاكم على مدينة دمشق وأرض غزة والرملة وبلاد عسقلان إلى ديار مصر ونيلها وصعيدها وقد التجأت إلينا القبيلة العبسيه وأكلت زادنا بين حريمنا وأولادنا وقد اختاروا جوارنا من دون سائر القبائل وهذه عساكر وفرسان وأبطال حامية على هذه الربا وأن لم نحسن المعاشرة وإلا داسلنا الخيول الغائرة وتحترق بنارهم وتتفرق في تيارهم إن لم نكن يدا واحدة وكلمتنا على بعضنا البعض نافذة ومساعدة وإلا صرنا قطعا بالسيف ونذوق الحسرة والحيف فها أنا قد أعلمتكم بالحال فان وافقتموني فيها وإلا فارحلوا عن هذه الديار واعتصموا بالروابي والتلال وقد بلغنا أن الآتي علينا مائتان خمسون ألف عنان سوى العبيد والغلمان فلما سمع مقدموا الحلل والقبائل من أميرهم ذلك المقال قبلوا جميعهم الأرض بين يديه وقالوا له يا أيها السيد اعلم إنك لو أمرتنا بالبحار لخضناها ولو أمرتنا بالنيران لنزلناها ودسناها لأنك صاحب رأينا ومشورتنا وأنت سيدنا وملكنا والحاكم علينا والآمر لنا الناهي فينا فلما سمع الاخوص من قومه ذلك الكلام شكرهم وأثنى عليهم ثم أنه أخذهم وأتى بهم بين أيادي الملك قيس وقبل الأرض بين يديه وقال أدام الله أيام الملك المهاب والسيد المفضال أعلم أنه قد انصلح الحال وتم الأمر بين المقدمين وما بقي غير الرحيل من هذه الديار لتقي هذه العساكر والجيش الجرار فجددوا العهود والمواثيق بينهم حتى صاروا عصبة ويدا واحدة على الأعداء من بني غسان وغيرهم من جميع الأنام وأنهم يكونون مع بني عبس وعدنان طول الشهور والسنين والأعوام قال فاجابه الملك قيس إلى ذلك ولما انتظم الأمر بينهم على ذلك الحال أمر الملك قيس هذه القبائل أن يركبوا خيولهم ويحفظوا طرقاتهم ثم أنه أمر الجواسيس بأن يسيروا إلى سائر الجنبات من الأرض ويتجسسوا الاخبار فسارت عند ذلك الجواسيس وقد أخفوا أمورهم وطلبوا الطريق الواضحة التي يمكن أن تدلهم على آثار أعدائهم قال فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما كان من عنتر بن شداد فإنه قال لابيه يا أبتاه إني خائف على أختي مروة وعلى ابنهـــا الهطال وأيضاً على بني غطفان لانني أنا أعلم

ابن أبى حارثة إذ اجتمع بعساكر الشام وفرسان بنى غسان لا بد أن يقول لهم هؤلاء بنو عمى الذين قتلوا ابن ملككم فاقلعوا آثارهم وأخربوا ديارهم فتهلك عساكر بنى غطفان من أجل ذلك وتحترق بنارنا فقال له شداد يا ولدى إننى متعجب كيف أن بنى غطفان يسمعون بهذه الأخبار ويقيمون فى الديار فقال شر اعلامهم ما سمعوا بذلك لأن سنان بن أبى حارثة أن اجتمع بطوائف أرض الشام وفرسان بنى غسان يهلكونهم عن آخرهم ولا يجد أحدا من الفرسان ولا من أبطال بنى عبس وعدنان فى ذلك الوقت من ينجدهم فقال شداد والله لقد صدقت يا ولدى ولعل سنانا من خبثه وملعنته من حين سمع بخبر عساكر الشام هذه الطوائف طلبها وقد أوقف الرجال بالطرقات ومنع الناس من بنى فزارة أن لا يعلموا أحدا من الخروج من الديار وكذلك سائر العشائر حتى لا يبلغنا الخبر إلينا ولا نسمع هذا الحديث من بشر وكان هذا الحديث من عنتر عجب من كل عجب لأنه أصاب فى الحديث والكلام وكان سنان فعل هذه الفعال وقد وكل بالطرقات الرجال حتى لا يعلم بنو عبس بما هم عليه وتدهمهم هذه العساكر على غفلة منهم وقد مسك سائر الطرقات والمذاهب وحفظ الخيام والمضارب ولا صار يترك أحدا من أهل الجهة أن يخرج من الديار إلى مكان ولم يخرج من الأحياء إلا ذلك الرجل الذى قدأى ابنى عبس لأن أمه كانت من بنى عبس فلما أن رأى هذا المجرى قالت لولدها اعلم يا ولدى أن هذه النوبة صعبة على ابنى عبس وإن نمت عن أخوالك فنوا بالحسام وتساق نساؤهم إلى أرض الشام والرأى يا ولدى إنك تتسبب فى الرواح إليهم وتقص هذه القصة عليهم ولعلهم يرجعون إلى بلاد اليمن أو يلتجؤن إلى جبل يحميهم من طوارق الزمن ثم أنها بكت حتى بكى ولدها ورق لها أماه على أن أبذل المجهود ثم أنه ركب ناقته وخرج يطلب البر فردته الفرسان التى وكلهم سنان على الطرقات ثم أنهم ساقوه الى بين يدى سنان فلما أقبل عليه قال له إلى أين أنت غادى فقال له يا مولاى إلى المرعى لأن العبيد أخبرونى البارحة أن الفحل الذى قد شرد وأخذ النوق والجمال معه وأنا ذاهب لاردها بلا امهال فقال له سنان هذا منك محال فما أنت سائر إلا إلى بنى عبس تخبرهم بما نحن فيه لأن أمك منهم وقد ضاق صدرها عليهم فلما ضاق صدرها على أولاد بدر الذين قد مزق قيس ماؤهم بماء النهر فارجع إلى الخباء والا وشحتك بالحسام فقال له الرجل وكان اسمه الصامت والله يا مولاى ما عندى من هذا خبر وأنا سائر إلا فيما قد ذكرت لك فقال سنان ان كان هذا صحيح وأنت صادق أحلف لى بالرب القديم وزمزم والحطيم إنك لا تتحدث بحديث إلى بنى عبس أبدا قال فحلف له كما اختار فأطلقوه وسار يقطع البيداء والقفار إلى أن أشرف على بنى عبس وبنى عامر وقد بقى هذا الأمر حائر ومن شدة حدقة وعدم فتنه وزكائه نزل عن ناقته وخلع ثوبه وشد أكمامه وملأ جنبه الواحد رملا والآخر شوكا ورماه بين يدى القوم وعاد راجعا وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر فلما قال

عنتر لأبيه شداد أنا خائف على أختى مروة وعلى بنى غطفان ومرادى ارسل إليهم عروة بن الورد لأن أخته سلمى عندهم وأجيب الجميع إلى عندنا وأساويهم بأبى بأرواحنا فقال له أبوه. يا ولدى لقد نظرت موضع النظر ولكن أصبر اليوم وغدا حتى تكون قلوبنا طيبة لاجلك ونسمع ما يتجدد من الاخبار والاقوال (قال الراوى) ولما كان ثانى يوم وإذا بنواصى الخيل التى كانت على الطرقات قد أقبلت تخبر الملك قيس ان قد بان لهم غبار وقتام اسود وهو قد ملا الاقطار وما ندرى إن كانوا هم عساكر الشام أو خلافها أو بعض قبائل من الاعداء قد سارت الينا فعندها ركب الملك قيس وأخوته وقد نادت العبيد فى القبائل فركبت الخيول الصواهل وفى دون ساعة امتلا البر بالفارس والراجل وقد ركب عنتر وعامر بن الطفيل وعروة بن الورد وركضوا فى طلب ذلك الغبار وكشف الاخبار وما هم إلا ان قاربوا السواد فرأوا الخيل قد خرجت وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان يا لغطفان (قال الراوى) وكانت هذه الخيل المقبلة هى التى كان عنتر مراده يسير خلفها خوفا عليهم فأتوهم بحريمهم وأموالهم وعيالهم وهم يطلبون الحماية على أنفسهم خوفا من الاعداء وكان سيد القبيلة ومقدمهم زياد بن ماجد وهو على رأسه علم وهو كأنه أسد قسور فسلم على بنى عبس وعلى عامر بن الطفيل وبعد ذلك ساروا وهم يتحدثون فى أخبار القبائل والعشائر فقيل لهم عنتر اليوم كنت على نية المسير اليكم من خوفى عليكم لاننا قد تعجبنا كيف قر لكم قرار مع سماع هذه الاخبار فقال زياد يا ابن العم ما سمعنا بخبر صحيح إلا فى هذه الايام لان سناننا من ملعنته قد مسك على بنى فزارة الطريق حتى لا نسمع أخبار صحيحة عن عساكر الشام وما مكن أحد من زيارتنا إليكم خوفا أن يظهر ماهم فيه رجل من بنى عمنا متزوج من بنى فزارة فقال لنا ارحلوا من ساعتكم من هذه الديار واطلبوا أرض بنى عبس الاخيار وكونوا لهم جوار لان سنان بن أبى حارثة وحصن بن حذيفة قد ساروا بفرسان العشيرة وانتشروا فى أرض مثل الجراد ولو لا خلو الطريق ما قدرت أن أصل إليكم فارحلوا من يومكم واسرعوا فى المسير لعلكم أن تصلوا إلى بنى عبس قبل أن يأتيكم ما ليس لكم به طاقة وتشمت بكم الاعداء والحساد. وتسبى نساؤكم واولاد لان سنان نيته عليكم رديئة إذا وصلت إليكم العساكر الغسانية فلما سمعنا ذلك رحلنا كما ترى وقد قطعنا الصحراء وفى طريقنا عبرنا على أرض بنى فزاره. فرأينا أموالهم سائبة فسقناها قدامنا وهى لا تحصى لها عدد وهى التى تثير القتام الاسود لانها أموال كثيرة العدد (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام زياد فرح واستبشر وعاد القوم إلى بنى عبس وعامر هذا وقعت البشائر ونحرت النحائر وقد نزل بنو غطفان فى أعز مكان واجتمع عنتر بأخته مروة وكذلك عروة باخته سلمى وقد اجتمع كل قريب بقريبه وقد أصبحوا يتشاورون فى لقاء الاعداء والاضداد وقد اجتمعت كل القبائل والسادات.

وفرسانها الجلاد وما بقى فى ذلك اليوم ممن له عادة بالحضور إلا وقد حضر وحدث بما سمع وأبصر لحضرة زيادة مقدم بن غطفان وعنتر والملك قيس والاخوص بن جعفر هذا والمطال عليهم الحديث قال الملك قيس لزياد يا بن العم ومع هذا كله ما سمعت بعد عساكر الشام التى هى واصلة إلينا فقال له بلى انى قد سمعت أنها ما ئتان وخمسون ألفا سوى التبع والنهاب وأصحاب الطمع وقيل المقدم عليهم رجل جبار يقال له ضامر وهو ابن عم صاحب دمشق وربما أن هذا الكلام يزيد وينقص ولا تظهر لنا الحقائق إلا عند المشاهدة بالحقائق فقال له الملك قيس على كل حال لا يريد الإنسان أن يكذب خبراً ليكون من أمره على حذر وأنا أعلم أن عساكر الشام تكون فى هذا العدد وأكثر والا ما كان يخاطر بها إلى هذه الديار ولا بد لسان من المسير إليه فى بنى فزارة مع من يكون من حلفائها وأقل ما يكونون عشرين الفا فيكون المجموع أقل من ثلثمائة الف عنان وهذا عالم عظيم الشان والصواب أن نجعل رأينا لرجل منا ونعتمد عليه فى المقال ولا نخالفه فى الفعال فعندها قال الاخوص بن جعفر سيد بنى عامر يا قيس إذا كان الامر على ما ذكرت فما فينا أجود من رأيك ولا أحسن من تدبيرك وأنا أول من يسلم أمره اليك ويعتمد فى أموره عليك وما يخالفك منا انسان لا من الملوك ولا من الفرسان (قال الراوى) فعندها أشار كل الحاضرين بذلك وقبل الجماعة أمرهم بالسمع والطاعة فقال لهم الملك قيس يا وجوه العرب اذا كنتم جعلتم الامر لى والمعول على فابشروا باهلاك أعدائكم ولا تعرفوا تفريقهم الامتى ولو كانوا بعدد رمل البيداو لكن اعلموا أن الصواب عندى اننا نحترز على الحريم والعيال من قبل معنات الحرب والجلاد مع الرجال فقالوا له كيف ذلك أيها الملك فقال لهم هو اننا نرحل الى شعاب جبله ونترك المال والعيال فى الوادى الذى تعرفونه بين الجبال ونلقى الاعداء على رؤس المضيق ونكون قد حمينا انفسنا من هذه الخلائق قبل حصول التعويق الى أن تأتينا عساكر الملك النعمان لاننا لا بد لنا أن ننفذ اليه نجاب ونطلعه على هذه الامور الصعاب (قال الراوى) فان الملك قيسا ما قال هذا المقال الا لما ثبت عنده أن بنى عامر لم تثبت قدام العساكر القادمه وخاف ان قابلتها عند اللقاء تنفرق فى أقطار الفلا وتترك بنى عبس فى هذا البلا فقال ذلك المقال واراد أن يجعل الكل فى الجبال حتى لا يبقى للهارب مجال قال فلما سمعوا مقاله استصوبوا رأيه ثم انهم تعوقوا من المجلس وتوجهوا إلى خيامهم ومضاربهم يدبرون انفسهم فى أمر الرحيل وفى اليوم الثانى والثالث عادت اليهم الجواسيس يخبرونهم بوصول الجيش وقربه من الديار وقد وصفوا لهم كثرة مددهم وزيادة مددهم وازدحام راياتهم وصلبانهم وكثرة فرسانهم وأجنادهم (قال الراوى) وما زالوا يزيدون فى الوصف حتى صاح فيهم عنترو قال لهم يا ويلكم إلى كم تصفون أندال بنى غسان الذين ما لهم شبيه غير النسوان فوحق من أرسى شوامخ الجبال وعلم كوزنها من مثقال

ما التقيهم الا فى ألف فارس ولو أن معهم الجن والابالس وها أنا مقيم فى هذا المكان حتى يصلوا ويبصرون صدق ما أقول (قال الراوى) ثم أنه قال للملك قيس إرحل أنت بالناس إلى شعاب جبله كما أمرت وعلى الرأى الذى عزمت حتى أقيم أنا وعامر بن الطفيل فى هذا الفلا والآكام حتى تقدم عساكر الشام ونميز أولها من آخرها ثم اننا نمارسها وتختبرها ونبصر مايحل بالتى أنت تحذرها (قال الراوى) فعند ذلك نادى الملك قيس بالرحيل وكذلك الأخوص بن جعفر فى بنى عامر وزياد فى بنى غطفان وحلت سائر القبائل بالأهل والعيال والبنات والنسوان والصبيان والنوق والجمال فكانوا فى شده عظيم وكان بينهم وبين شعاب جبلة ثلاثه أيام فى اليوم الرابع استقروا فى الشعاب ونصبوا المضارب والقباب وكان الوادى واسع الجبال كثير المنابع والغدران فسرحوا فيه الجمال والنياق والخيول العتاق فكان لهم ضجيج يسمع من خمسة اميال من كثرة الأموال والعيال والعبيد والغلمان والصبيان (قال الراوى) هذا وقد باتوا فيه ليلتهم وعند الصباح وثب كل واحد منهم وقد نصب خيامه واركز علامه وقد أمر الملك قيس بخروج الشيوخ والشباب من الفرسان والابطال ورباب الحرب والقتال فخرجوا عند الصباح وقد استعدوا للحرب والكفاح وهم متقلدون بالصفاح معتقلون بأسنة الرماح هذا ولم يبق داخل الشعاب غير الكواعب الاتراب أو مجنون أو مصاب (قال الراوى) هذا وقد قام الناس جرائد على ظهور الخيل ينتظرون قدوم عنتر وعامر بن الطفيل فأما عنتر وعامر ومن معهما فانهم اقاموا بعد رحيل القبائل ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلع عليهم غبار عساكر الشام وسار كأنه قطع الغمام ولم يزالوا متتابعين إلى آخر النهار حتى ظهر المقدم الذى هو على بنى غمام وقد انعقدت على رأسه الرايات والصلبان وكان إلى جانبه سنان ومقدمون الفرسان والابطال والشجعان الذين هم من بنى عمان (قال الراوى) هذا ولما قبلت العساكر إلى ديار بنى عامر رأوا جذع الطواف الذى كان فيه بنو عبس خاليا فيه جس حسيس ولا أنيس ولا جليس فلما رأى سنان الأرض خالية بعدما كانت ملآنة بالفرسان فى الطول والعرض تعجب من هزيمة بنى عبس وبنى عامر وقد صار يتفكر كيف وصلت لهم الاخبار مع ذلك الاحتراز الذى كانوا فيه الا أنهم لما أن رأوا الديار خالية نزلوا فيها ونصبوا الخيام وشرعوا فى اكل الطعام فقال سنان عند ذلك لمقدم بنى عمان ياأمير الظاهر أن القوم قد سمعوا باخبارنا فهربوا وهذه الديار هى ديارهم وان صدقنى حذرى ولم يخطىء بى فكرى فانهم قد تحصنوا فى تلك الشعاب بين الجبال من خوفهم على الحريم والعيال فقال له ضامر وهذه الجبال تمنع هذه العساكر لا وحق المسيح لاأتركن منهم من يمشى على قدم ولا سوقنهم سوق الغنم لان الملك الكبير فى قلبه

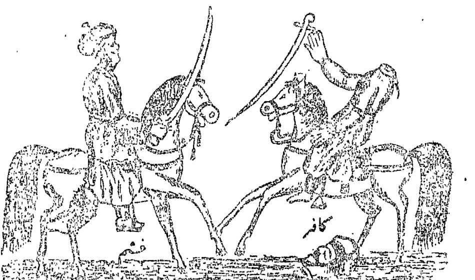
نار السعير لاجل ولده بدر النصرانية الذى قتله هؤلاء الكلاب وأنه قد عول أن يصلب رجالهم على اشجار الفواكه (قال الراوى) هذا وعامر بن الطفيل وعنتر قد أبعدوا عنهم فى البر وترجلوا عن خيولهم لينظروا إلى بحر عجاج وهو لا يقابل ولا يخوض عميق العجاج فتعجبوا كل العجب فقال عامر بن الطفيل والله لقد صاب الملك قيس فى رحيله إلى الشعاب والجبال واحترازه على الحريم والعيال لأن هذا الخلق يحير فيها الشجاع وقد اشرفوا علينا ونحن فى المنازل ما ثبت قدامهم منا إلا كل فارس باز ل فقال له عنتر صدقت يا عامر ولكن لا تخبر قومنا بهذا الحديث فتنقطع ظهورهم وتحيرهم فى أمورهم ولكن نصلى نحن نار الحرب بأرواحنا ونقوى قلوب رجالنا وفرساننا هذا وبعد ما وصل للقيط ولا بان عنه خبر وما أظن إذا وصل يبقى للعساكر طريق إلى الطلب والفرار والهرب (قال الراوى) ثم انهم أقاموا على ما هم عليه إلى وقت الغروب ثم رحلت العساكر والجيوش ودق الناقوس وصاحت الرهبان والقسوس وأما عنتر وعامر ومن معهما فانهم ما زالوا يجدون السير فى عرض البر حتى قارب الصباح وساروا ذلك النهار وتلك الليلة واليوم الثانى وأشرفوا على بنى عبس فتحادروا اليهم مع فرسان بنى عامر وهنوهم بالسلامة وسألوهم عن العسكر فطيب عنتر قلوبهم وقال لهم ما الأمر الا دون ساعة وأما ما سمعتم يا بنى الاعمام فلا تحملوا على فلو لكم هما ولاعاوكان الملك قيس وسادات بنى عامر الكل تحت الرايات قيام فسلموا جميعاً وابدوا الابتسام وقالوا له يا أبا الفوارس اخبرنا بما شدهدت من هؤلاء الشام فقال لهم والله ما جاءكم من أرض الشام الاهدايا وانعام وملك تهنون به طول الزمان وتوسعون به على الارامل والايتام على أن الجيش كثير الجمع غزير ولكن فى عينى حقير صغير وأن منهم مزوقين بزى الحضر وما لهم هيبة الا عند النظر ولو نظرتهم عند رحيلنا من الديار ما طوعتكم على هذا السبب ولا تركنا علينا اسم الهزيمة والهرب (قال الراوى) ولم يزالوا على مثل ذلك الكلام حتى اشتدت ظهور الرجال فعند ذلك قال الحارث أخو الملك

س يا وجوه العرب أين قول الجواسيس من قول ابن عمنا عنتر لان ابن عمنا نظر بعين فروسيته والجواسيس نظرت بقلة معرفتهم فقال له الملك قيس يا با الفوارس ومتى يصلون الينا فقال لهم غدا عند الصباح أو ضحوة النهار ترون غبارا يذهل الأبصار واعلاما وصلبانا تملا الاقطار ولكنهم طعام الجائع منهل العطشان قال الراوى ثم ان عنتر تركهم يتشاورون ودخل على ابنة عمه عبلة فرآها فى الانظار وفى قلبها لاجله لهيب النار هذا ولما رأت ابن عمها عنتر نثرت من أجفانها دموع الافراح على خدود أحسن من التفاح وخرجت اليه قد ترجل هو أيضاً واعتنقها وقبلت يديه وقالت له يا ابن العم كم تركب طريق الاهوال والهلاك لما لا تجعل طريق المصائب لسواك فقال لها عنتر يا ابنة العم أنا ما أعد هذه الأمور من الأخطار

لأننى أنا أعلم أن الذى حضر أجله فى الليل لايموت بالنهار ومن كان أجله بالنهار لايموت وقت الزوال (قال الراوى) ثم أنه نام عندها حتى أنبل الظلام وتناول شىء من الطعام وعاد إلى جواده وطلب الشعاب وشيبوب فى ركابه مثل العقاب فرتب الحرس ملاعب الأسنة غشم بن مالك وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد وتمام العشرين من بنى عامر وأبعدوا عن الشعاب وركبوا الخيل وركضوا على طريق الجيش يكشفون الأخبار ولم يزالوا على ذلك حتى عبر عليهم نصف النهار وقدموا أعينهم فرأوا على البعد غبارا قد ثار وكدر الأقطار فقال عنتر الآن صحت الأخبار ومابقى غير الاستظهار والطعن بالاسمر الخطار (قال الراوى) ثم انهم وقفوا حتى انكشف الغبار وبان المنظر وقد ظهر من تحته جيش كبير عرمرم وصليب من الذهب وعلم وكان هذا الجيش طليعة بنى غسان وهو يزيد عن عشرة آلاف عنان كلهم أبطال وشجعان معدون للحرب والطعان فقال عنتر ماقولكم فى قتال هؤلاء قبل قدوم رفقاتهم فقال ملاعب الاسنة أعلم يا أبا الفوارس أن هذا الرأى خطر ببالى لأنهم كفاية واحد منا فقال عنتر ياغشم ماهذا وقت الافتخار والمطال وما فى الأمر إلا نحمل كلنا مرة واحدة خمسة من على اليمين وخمسة على اليسار ونكون قصدنا الصليب والعلم لأنه لما افترقت هذه الجيوش وانهزمت انقطع ظهر من خلفها من الامم لاسيما إذا سمعوا أن عشر فوارس كسرت عشرة آلاف فارس وقتلت أكثرها فقال ملاعب الاسنة أفعل ماتريد ودبر ماتحب وتختار حتى إننى اتبع فعالك ياقهار (قال الراوى) ثم إن عنتر أراد الحملة على الميمنة وأراد أن يتبعه عامر بن الطفيل وثلاث فوارس أخر فقال عنتر ماهذا الصواب فأنا لا يتبعنى فى الميمنة غير أخى شيبوب المهاب وأنتم كلكم مع غشيم بن مالك عينوه على هؤلاء الكلاب قال وكان الامر كاذكر وحمل عنتر على الميمنة ومعه أخوه شيبوب وحمل ملاعب الأسنة على الميسرة كأنه البلاء المصبوب وتبعه مقرى الوحش الليث المهوب وعروة بن الورد فارس الحروب وحمل الفتى المطال الفارس الرئبال وأوقد نار الحرب اشتعال وحمل بارح لحل الرجال والأربع فوارس الاخيره وكلهم أبطال وقصد واذلك الطليعة ولاخافوا من كثرة الجماعة فنظر مقدم الطليعة إلى هذه الفعال فوقع به الاندهال قال لمن حوله من الرجال وحق المسيح ماحسبت هؤلاء الفرسان إلا رسل أرسلوهم لنا يطلبون منا الامان وأراهم قد انقسموا قسمين قسم منهم تسع فوارس والقسم الثانى راجل وفارس وظن أن هذين الاثنين ابالس وإلا ماكان يحملان على خمسة آلاف فارس إن هذا إلا أمر عجاب باقتحامهم هذا الجيش العرمرم من غير خطاب وما وجدتهم أجد يرشدهم للصواب ولكن ماجاؤا إلا لفراغ آجالهم وأقول أن خلفهم كمين يريدون أن يوقعون فيه وإلا ماكانوا فعلوا هذه الفعال وحق المسيح قد حصل لى وهم من هؤلاء الأندال وأقول أنهم يفنون لامحال فدونكم وإياهم

ومن قدر على واحد منهم فلا يقتله بل يحضره بين يدى حتى أكتفه وأقدمه لمقدمنا ضامر فالقائل منكم يخرجون إلى هؤلاء الاثنين الكواسر وألف يخرج إلى هذه التسع فوارس وأتونى بالكل أسارى حتى تنالوا المنزلة العليا (قال الراوى) فعندها تناحت الفرسان ونادت باسم جدها غسان وقصد عنتر ذلك الالفين من فوارس الشام وغسان وكذلك غشم ابن مالك ومن معه لانهم احتقروهم وماعلموا أن بين أيديهم نار الاتطفى ولهيبا لايخفى كل واحد منهم يلتقى قبيلة ويروح عليها إلا أن الغبار ما طلع عليهم واعتكر حتى تساقطوا من على الخيل مثل أوراق الشجر وطارت جماجمهم مثل الاكر وعاد الأقل منهم يطلب الأكثر هذا وعقو مهم شاخص إليهم بالنظر وكان يقال له كافر بن فاجر فلما نظر ما جرى على أصحابه اشتد عند ذلك مصابه فما قدر ساعة إلا والألف الذى قدام غشم ومن معه قد عاد منهم خمسمائة وهم يضربون أكمال خيولهم ويلتفتون إلى وراثهم قال وإذا بالالفين فارس الآخر الذين كانوا قدام عنتر وشيبوب قد عاد منهم الف فارس وهم يصيحون ويقولون واويلاه من هؤلاء العماريت العتاة فعند ذلك التفت المقدم عليهم وقال لهم ياويلكم دونكم وإياهم

مقتل كافر بن فاجر



وعودوا اليهم قبل أن تأتى العساكر وننفضح لاجل ذلك عند الأمير ضامر (قال الراوى) وما تم هذا المقال حتى أخذتهم الصيحات من اليمين والشمال وأبصروا باقى الجيش يتسع ويضيق والطعن يعمل فى جنباته مثل الحريق فخاف على الفرسان تنهزم ودخله من ذلك الفزع فحمل

بنفسه وطلب القتال وطلع من تحته العلم وما هو إلا أن تقدم حتى أدركه ملاعب الاسنة وضربه على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه فصار يلعب بيديه ورجليه فوقع في بني غسان الاندهال ورأت رجالا أشد من أسد الدحال وطعنا يسبق الآجال فعند ذلك ولوا على الأعقاب وانقلبوا أي انقلاب وما زال الطعن في ظهورهم حتى أقبل الليل وأظلم وأقبل السواد الأعظم ولاح الغبار وأقبلوا وأبصرت فرسان بني عبس وعامر إلى غبار والعساكر فعادت طالبة الجبال وقد نهبت بعض الخيول والاسلاب وأما الرجال الذين سلموا من الطليعة فإنهم اجتمعوا ببني غسان بالبكاء والعويل (قال) وحدثوهم بما جرى عليهم من الحرب الطويل فتعجبوا غاية العجب فوصل الخبر إلى ضامر وحدثوه بأن عشرة فوارس التقت عشرة آلاف فارس من بني غسان وقد أهلكت أكثرها فقال سنان نعم أيها السيد هؤلاء العشر فوارس الذين أتيت في طلبهم من أرض الشام وأنا أعرفهم حق المعرفة أولهم مقرى الوحش الذى أتى من عندكم وكنتم تسمونه فارس النياق فقد التجأ إلى بني عبس وطاب له عندهم المقام وهو الذى ساق عبدهم الأسود إلى بلاد الشام حتى قتل ابن ملككم وخلص الذى يهواها وهي مسيكة وأقول أن معهم ملاعب الاسنة فارس بني عامر وأن كان قد صحبهم عامر بن الطفيل فهو الذى أحل بهؤلاء الويل وعلى أن عنتر وحده يلتقي هذه العساكر كلها والرأى أن تكونوا منهم على حذر وإن طلبوا منك البراز فلا تفعل بل تكاثرهم بالقتال الشديد على أن تنال منهم ما تريد فقال ضامر وقد ابتسم من مقاله أنت يا سنان إلا قد جزعت من هذه الطائفة وإلا ما كنت وصفتها بهذه الصفة وسوف أريك ما أفعل بهذا الشجاع البطل على أنني أقول أنه لم يكن في هذه الأرض أشجع من مقرى الوحش وأنه بقى قدامى بوادا كاملا حتى أنى أصبت منه المقاتل وبعد ذلك خرج علي وطلبت قتله ومن ذلك اليوم إلى اليوم اسمه فارس النياق وارتفع ذكره وعلا أمره في الآفاق فقال له سنان يا مولاى ومن هو مقرى الوحش لو أن في هذه الأرض ألف ألف مثل مقرى الوحش وألف ألف من الفرسان الصناديد قدام عنتر بن شداد الربيع العباد يلتقطهم كما يلتقط الطير الجراد (قال الراوى) فلما سمع المقدم ضامر كلام سنان قال له يا شيخ حيث علمت أن هؤلاء بهذا الشأن لم لا أعلمتنا وعرفتنا بذلك حتى كنا جمعنا كل من في البلاد من الخاص والعام وجميع العباد فقال له سنان يا مولاى أنا ما قلت ذلك الكلام إلا على سبيل المبالغة لأجل ما وصفت مقرى الوحش بهذه الصفة وأما أنت فبهذه العساكر تبلغ الآمال وتقضي الأشغال وفي هذه الأيام تنقضى الاشغال ويلحقنا القعطر بن زرارة بفرسان بني درام مثل النجوم السيارة والكل غدا يكونون بين يديك فقال ضامر ولكن يا شيخ سنان لا أطمع القعطر ولا غيره في أسير من بني عبس ولا من غيرهم لأن الملك الكبير أمر لكم بالأموال وأمرني أن أسوق إليه الأسارى من بني عبس وعامر الطائفة الغدارة فقال له سنان افعل ما تريد (قال الراوى) ثم انهم ساروا

على هذا الترتيب وماز الوا سائرين إلى أن أشرفوا على شعاب جبلة قبل المغيب هذا وقد دقت الطبول لأجل النزول وارتجت الأرض عرضا وطولا هذا وبنو عبس على صهوات خيولها لأن عنتر وأصحابه لما عادوا أخبروهم بما فعلوا في الطليعة من الاهوال ففرحوا بذلك الحل وأدخلوا الخيل والأسلاب وقد طابت قلوبهم وقلوب النسوان وقد باتوا تلك الليلة ولهم صياح وضجيج أشد من أيام الحجيج (قال الراوى) وما زال الحرس حارساً لهم حتى ولى الظلام وارتحل ولما أصبح الله بالصباح تهيؤا للحرب والكفاح وتواعقت تلك الخلائق والفرسان الملاح ولعب بروق الصوارم والتوت الرماح وقد سبق فيهم حكم الحاكم وسار وابن عاطب وسالم (قال الراوى) وكان لشعاب جبلة ثلاث مواضع للقتال فسكت بنو عبس وبنو غطفان القرن اليمين وبنو عامر القرن الشمال قال وأما عامر بن الطفيل وعنتر وملاعب الاسنة ومقرى الوحش وعروة بن الورد في المقدمة ومعهم تمام الألف فارس وهى الفرسان التى عليها المعتمد فى الجانب الثالث (قال الراوى) هذا وقد صاحت بنو غسان وملأت البرارى والقيعان وانتشرت حتى ملأت الجبال والشعاب وزحفت إلى القتال من كل جانب ولأجل كثرتها ماترتبت بل أنها صاحت باسم المسيح ومريم وحملت وقد صاحت خلفها القسوس والرهبان (قال الراوى) فلما أن رأى عنتر إلى حملتهم تلقاهم هو ومقرى الوحش ومن معهما من الفرسان وحمل أيضاً الهطال لحمل الرجال وحمل بارح البطل البارح وحمل أبو الموت فى سودانه وهم بلغم وبلاغم ودمدم ودمادم ومداع الشكل وبلة الفرس وأصداغ الجمل وفاطم بوزه أبو وجل عرجه وهؤلاء سودان عنتر البطل القسور وكانوا خمسمائة تمام وحملت بنو عبس وبنو عامر وبنو غطفان هذا وقد اختلطت أسنة الأشطان عند الضرب والطعان وقد بكت الأبطال على فراق الشجعان والأوطان وصاح عليهم كل شيطان والف خلق البطان وولولت النساء وبكت الصبيان وقد ذل الشجاع وفر الجبان وخلف البطل الشديد الباس وتقطعت الدروع والأتراس وعملت الرماح فى الأشاح ونادى المنادى وصاح وقد تمنى الفارس أن يطير بلا جناح وبيعت الأنفس بيع السماح وقد تساوى المساء والصباح وبان شخص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وصاحت الفرسان من ألم الجراح كما تصيح النوق عند الرواح وزعق غراب البين عليهم وناح وفر الجبان وطلب الرواح (قال الراوى) وقد ضاق على عنتر الميدان والمجال وقد هانت عليه الأهوال وصار يكبكب اليمين التى بين يديه تارة يمين وتارة شمال وكيف مالت فرسان بنى غسان كأنهم الجبال هذا والفرسان والأبطال تطلبه مواكب وتهرب وترجع من مرزاعقاته تتكبكب وكان معه فى ذلك اليوم مالك أبو عبلة وأخوها عمرو فأبصروا من فعاله العجب وصار عمه يتلقى عنه الاسنة ويظهر له المحبة ويقول يا أبا الفوارس الله يبين فضلك على أعدائك ويزيد مجدك وعلاك

(قال الراوى) ولله در عامر بن الطفيل وملاعب الأسنة فلقد شفيا الصدور وفعلا فعلا يبقى ذكره على ممر الأيام والدهور وكذلك عروة بن الورد ومقرى الوحش والمطال ومن معهم من الرجال لأنهم لاقوا الأهوال وقاتلوا أشد قتال وصار السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل والرؤوس تتناثر إلى أن اسود مفرق الشمس وغسق الظلام وعادت بنو غسان وهى متعجبة من عظم مالاقت فقال ضامر لقومه ويلكم ماوراءكم ومن بشره دماكم وما الذى دهاكم وأكم عدتم بالخسارة وأخذ أكثركم أسارى فقالوا له لا تحقد علينا أيها الأمير واشكر المسيح الذى أعادنا إليك سالمين فإننا وحق المسيح ومن عبد الصليب وشد الزنار لقد قاسينا يوما مامثله فى الأيام لأننا رأينا رجالا يسابق طعنها سهام الآجال لاسيا هذا العبد الأسود الأدهم الذى كان على الطليعة مقدم وحق المسيح ابن مريم ما مال على جمع الا وفرقه ولا قصد موكبا إلا ومزقه ولا زعق زعقة إلا وقلنا البرق قد خفق ومايلومنا على قولنا هذا الأكل أحمق لأن هؤلاء القوم ما يقدر أحد يلقاهم ولا يصبر على بلاهم والصواب أننا ندوسهم جميعاً بالقتال وإلا أهلكونا فى المجال فلو قتل منا كل يوم الف ومنهم واحد كنا نحن الرابحين قال الراوى فعند ذلك قال لهم ضامر ها أنا اصابر عليكم يومين أو ثلاث فإن فعلتم كما أريد وإلا صليت أنا الحرب بنفسى قال فهذا ما جرى لمقدم بنى غسان وأما ما كان من بنى عبس وعدنان وبنى عامر وبنى غطفان فإن فرسانها رجعت وهى من الدما مثل شقيقة الارجوان ورماحها قد تحطمت من ضرب السيف وقد تعبت خيلها ولكن حيث بلغت الفرسان مأمولها لم تتعب النفوس هذا وعنتر قدام بنى غنى وكلاب أبطال بنى عامر فافتكر ما قاله عمه مالك ابن قراد فى وسط الحرب والجلاد فأنشد يقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

ولقد حفظت وصاة عمى فى الضحى	إذ يقلص الشفتان وضح الفم
إذ يلتقونى بالأسنة لم أحل	عنها ولكنى أضايق مقدم
لمـــا لقيت الخيل أقبل جمعهم	يتبادرون كررت غير مدمدم
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها	قول الفوارس ويك عنترة أقدم
يدعون عنــــتر والرماح كأنها	أشـــطان بئر فى لبان الأدهم
يدعون عنتر والسيوف كأنها	برق تلألأ فى سحـــاب مظلم
يدعون عنتر والدروع كأنها	حدق الضفادع فى غدير لجم
مازلت أرميهم بغرة أبجرى	وشـــباته حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا فزجرته	فشكى إلى بعـــبرة وتحمحمى
لو كان يعلم ما يخاطبه اشتكى	أو كان يعلم ما الكلام تكلم
ما رآنى لا أبالى جمعهم	فاض الدما تحت الغبار المظلم

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذه الأبيات ترنمت لها السادات لم يزلوا سائرين حتى أقبلوا على الشعاب فعند ذلك نزلت الفرسان والأبطال وما فيهم إلا من يذكر ماقاله من الشعر والنظام وكان معهم جماعة من الجرحى فأدخلوهم فى الشعاب فلما أخذت الفرسان الراحة تولى عنتر الحرس وعامر ابن الطفيل وداروا حول الشعاب وهم يحرسون الأهل والعيال بطول ذلك الليل حتى رحلت جيوش الظلام وعاد الصباح أشرف النور والابتسام فعندذلك عاد عنتر وعامر بن الطفيل ودخلوا المضارب والخيام يريدون الراحة وأكل الطعام فلما أكلوا وشربوا توثبوا إلى خيولهم ركبوها بعد أن أفرغوا عليهم الحديد والزرد النضيد واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالسيوف الصفاح وتمكنوا بالدرق ودفعوا خيولهم وخرجوا من المضارب والخيام فنظروا إلى البر وإذا بالصفوف تصففت والكتائب تقابلت فلما نظروا إلى هذا الحال أطلقوا أعنة خيولهم وتجارت من خلفهم الفرسان من بنى عامر وبنى عنى وبنى كلاب وبنى عبس وبنى غطفان قال الراوى فلما أن نظر واعساكر الشام إلى عنتر وقد أقبل الفرسان من حوله جحفل بعد جحفل وقدلمعت أسنة الرماح من بنى عبس عند طلوع الشمس فعندها أشار سنان بن أبى حارثة إلى مقدم عساكر الشام أن يحمل عليهم فى وسط المجال ولا يطمعهم فى البرارى والتزال (قال الراوى) وما فرغ سنان من كلامه حتى أشار ظامر بيده إلى عصابة من بنى غسان تنيف عن مائة ألف عنان وقد جعل عليهم مقدماً من أرض حوران يقال له مالك بن حسان وقد أراد المقدم ضامر أن يحمل فى هذه الفوارس ويأتيه من فرسان بنى عبس بألف أسير فعند ذلك ثار مالك بن حسان ثورة الأسد الغضبان وأفدرغاوأزبد ووثب على حيله ولبس الزرد واعتد بتدته وركب على ظهر حجرته وسار وقد انحدرت خلفه الكتائب والمواكب ولم يزل سائراً حتى صار محاذياً لعنتر بن شداد ونظر إلى فرسان بنى عبس الأجواد والكل لابسين الحديد والزرد النضيد وكاملين العدد وعنتر بينهم أنه كأسد فلما نظر مالك بن حسان صرخ فيه وقال ويلك ياوغد يالئيم ويا أسود يازنيم اليوم آخر أيامك ثم أنه أنشد وجعل يقول

خليلى لما طاب الموت والنقع أسودا ⁂ بطعن الردينى والحسام المهندا
رعى الله إنسانا يبيت وقلبه ⁂ من الموت فزعان إذ راع وارعدا
ذرينى أوف السيوف والحرب حقه ⁂ إذ ماطما بحر المنية مزبدا
أنا كاشف الغمات وقت حلولها ⁂ وإن علاى بالسعادة قد بدا
وأنا من لا تنكر الناس فعلة ⁂ ولكن فعلى كل يوم تجددا

(قال الراوى) ولما فرغ حسان من هذه الأبيات طرب لها بنو غسان العادات ثم أنه أشار إلى عنتر بالبراز وسأل الأنجاز فحمل عليه عنتر حملة منكرة وجال الاثنان تحت الغبار

وسمع لهاهمهمة وزمجرة واعتركا اعتراكا كاملياً وتضاربا ضرباً وفياً وغاصا فى الأوابد وصبرا على الشدائد وأخذوا على الخيل بالشكائم والمراود وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وفى دون ساعة عرف عنتر قاله واختبر طعنه ونزاله فلاصقه وأتعبه وأبهره وطعنه بالسنان طعنة الغيظ والحنق فسقط مالك من على ظهر فرسه قتيلا ولى وجه الأرض جدلا فلما رأت بنو غسان إلى مالك وقدقتل صرخت وحملت على عنتر وقالوا له شلت يداك وأناملك وقطعت مفاصلك ياعبد يازنيم ياوغد يالئيم لقدقتلت فارساً كريماً وحملت عليه المائة ألف حملة واحدة فعندهاصرخ عنتر فى عروة بن الورد ورجاله وعامر بن الطفيل وفرسانه ومقرى بن الوحش وأبيه شداد وأبطال بنى قراد الأجواد فعندذلك نظر المقدم ضامر إلى تلك العساكر وقد جالت والمواكب قدمالت والطيور فى الجو على القتلى حامت هذا وقداشتدالحرب والقتال بين الطائفتين وقد حكم الصارم اليمانى بين الجماجم والأبدان وهمهمت الأسود وحات العقبان وطلع الغبار إلى العنان ودمعت عين الجبان وتمنى أنه ماكان وضاق الميدان وصحا السكران وقدحت سنابك الخيل شعل النيران وجاء الحق وحصد الزور والبهتان وقوى القتل بالصارم المران واشتدالضرب والطعان بعوامل الرماح والأشطان وتنكست من السروج الأقران وافتخر الشجاع على الجبان زغلبت فرسان الحجاز أبطال بنى غسان وهججوهم إلى أبعدمكان واستظهروا عليهم استظهار الأسود على الغزلان فلله دره من يوم عظيم الشأن حمى فيه الحديد على الأبدان ولا رأى امثله فى سائر الأيام (قال الراوى) وأما عنتر فإنه فى ذلك اليوم الأذقان وعنتر يصول ويجول فى مرصة المجال وهو يهول الأبطال والفرسان وقد بلغ العرق فى ذلك اليوم يصول ويجول فى وسط الميدان ويقول أنا الليث الغضبان أنا منيع الوحوش والعقبان هذا وهو يخوض تحت الغبار وينهب النفس ذات اليمين وذات اليسار ويأخذ مهج الفرسان والأبطال وتناجت الرجال لأنفسها وأقامت فى أيديها أسنتهافلم تمكن غير ساعة حتى بددوا أقوامهم وأقرانهم وجندلوا أبطالهم ورجالهم ورملوا نسوانهم وصرخوا عليهم من كل جانب فعندذلك ارتدت الأقران . الفرسان هاربة ولم يجدوا لهم صبراً على مضارب سيوف بنى عبس وغطفان فما كان عندهم أصوب من الفرار فرجعت المائة ألف فارس على وجوهها فى القفار وقدالوت أعنة خيلها وطلبوا الهرب وقداتسعوا فى وسيع الفضاوتمزقوا منهزمين لانسمع لهم إلاهدير الخيل الشاردة فلاترى لهم أثروخلوا الأموال والغنائم والأسلاب والخيام والمضارب ورجعت بنو عبس عنهم وهم فرحانون بالنصر والظفر ولكن بقوا من الدماء مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليهم من أدمية الفرسان وأمار ماحهم فقد تحطمت من ضرب السيوف المواحق وتعبت خيولهم وقد بلغت مأمولها وكان لها السعد

موافق وبعد ذلك رجعوا إلى الشعاب وباتوا تلك الليلة ولهم صياح وعياط وصراخ فهذا ما كان من هؤلاء . وأما كان من فرسان بنى غسان وأبطالهم ما زالوا فى هزيمتهم حتى عبر عليهم الظلام ووصلوا إلى أصحابهم وهم فى الخيام فلما نظر المقدم ضامر ذلك الحدق بيد على يد وفى الحال أمر باحضار سنان بن أبى حارثه فما كانت غير ساعة حتى أنه حضر وباس الأرض وتأخر فعند ذلك أعلمه المقدم ضامر بما جرى عليهم فى ذلك اليوم العبوس من انكسار عساكره وتفريق مواكبه فقال له سنان أيها المولى ما قلت لك لا تبارزهم ولا تستعمل معهم البراز فان هؤلاء شياطين الأرض ومعروفون فى البلاد وسائر المغازى بانهم أسود الحجاز ولكن فى غداه آمر العساكر أن تحمل عليهم حملة واحدة وهى تكون وقعة الانفصال وتربط ساداتهم فى الحبال وتحطهم فى السلاسل والاغلال فعند ذلك سكت ضامر على الغيظ وقد بات تلك الليلة فى أعظم مبيت وهو فى هموم وغموم بطول ليلته كلها (قال الراوى) هذا ما جرى للمقدم ضامر وسنان بن أبى حارثة . وأما ما كان من عنتر ابن شداد وأصحابه الاجواد فانهم لما أخذوا الراحة تولى الأمير عنتر حرسهم هو وعامر ابن الطفيل وقد دام الأمر كذلك حتى رحلت جيوش الظلام واقبل الصبح بالابتسام فعند ذلك عاد عامر بن الطفيل وعنتر إلى الاصطباح وكاسات الراح من سفار الأسنة وضرب السلاح وكان يومهم الثالث أشد من اليومين وأعظم من الأيام التى مضت وما زالت الحروب بين العرب وبين فرسان بنى غسان وهم على ساق وقدم وهى على ذلك المنهاج ليلا والانهار هكذا مدة خمسة وعشرين يوما على التمام والكمال إلى أن ضعفت الخلائق وسلب من القوم القوى والحيل من شجعانها وأبطالها قل ولما أصبح الله بالصباح وهو السادس والعشرون بردت نيران الحرب وقل الطمع من كثرة الجرحى من الطائفتين ومن تواتر الطعان وقد طلب الفريقان الراحة بالبراز فعند ذلك اصطفت الصفوف وتعدلت المياه والألوف وترتبوا للطعن والضرب والقتال والنزال وكان أول من تقدم الى الميدان وأوسع فى الجولان كان مقرى الوحش فارس الشام لأنه هو صاحب القريحة وهذه العربان الوقائع والحروب كلها من أجله وقد تعصبت له هذه الخمس قبائل وهذه العربان كلها (قال الراوى) فلما ان حصل فى طابق الجولان صال وجال ومدوا استطال ولعب بالسيف والسنان حتى حير عقول الفرسان فعند ذلك ثارت جيوش بنى غسان ولما دنا من فرسانهم ناداهم وقال لهم يا أولاد الزنا ما كان لكم أن تظاهروا بالعداوة لهؤلاء العربان وقد تعديتم عليهم وظلمتموهم وظلمكم قد عم عليكم لأنى أنا خصمكم وأنا الذى سلطت عليكم من قتل ابن ملككم وخلصت محبوبتى من أرض الشام بطعن الرماح وضرب الحسام وها أنا قد خرجت اليكم حتى أجازيكم على أعمالكم القبيحة وأشتت شملكم وأفنى عدوكم فابرزوا

إلى يا عبد الصلبان والصور المصورة فى الحيطان إن شئتموا فارسا لفارس أو عشرة لفارس أو مائة لفارس أو ألف لفارس لأنى أعرف أن ما فيكم أحد يقوم قدامى ساعة من النهار إذا ملكت حسامى ومددت إليكم رمحى وحسامى إلا أن يكون مقدمكم ضامر ولكنه اليوم مقدم على هذه العساكر والدساكر وإنه ما يرى على نفسه انه يبرز إلى مثلى فقير صعلوك حقير ولكن إذا اشتهى أن ينظر من شجاعته طرفا فليبرز إلى أهل الحجاز وفرسانها ويخرج إلى الميدان يطلب الضرب والطعان (قال الراوى) وغلظ مقرى الوحش فى كلامه حتى نفرت إليه الفرسان من بنى غسان وطلبته الشجعان من كل جانب ومكان لأجل ما فى قلبها عليه من الحقود فال وفى دون ساعة داروا حواليه وقد خرجوا الكل عليه وقالوا له ويلك يا شيطان هجرت بلادك وتركت الأوطان وتخليت عن عبادة الصلبان والصور المصورة فى الحيطان وتخليت أيضاً عن عبادة المسيح وصرت تعبد الحجارة والأوثان الويل لك بما تلعنك القسوس والرهبان فعند ذلك قال مقرى الوحش والله يا كلاب بنى غسان لقد كذبتم فى قولكم والكلام وأتيتم الزور والبهتان لأن هؤلاء العربان ما يعبدون الأصنام والأوثان كما تعبدون أنتم المسيح ومارى حيا المعدان وإنما يجعلونها واسطة إلى خالق الأكوان والإنس والجان ومطلع النبات أنوارا أخضر وأحمر وأصفر وأبيض صنع ربى فتبارك الله العزيز الرحمن وأيضاً لهم الزمام والقول الصادق فى الكلام والحج إلى بيت الله الحرام وعلى إننى اليوم ما فى قلبى أحلى ولا أجل من رب القديم الديان الذى كان من قبل الزمن والدهور وهو الحى القيوم الذى رزقنى من زوجتى مسيكة ولدو هو سميع اليمن وكنا ذكرنا له أتاه ولد فى بلاد اليمن وسماه بهذا الاسم الحسن وكان يحبه محبة عظيمة مفرطة زائدة لأجل حسنه وجماله وقده واعتداله وملاحته وصورته إلا أن مقرى الوحش بعد ذلك الكلام حمل على الفرسان والأبطال وجال فيهم وصال وجود الطعن والضرب بالعوال والسيوف الصقال وفى الحال اشعل نار الحرب والقتال وما صار نصف النهار حتى أهلك مقدار خمسين فارسا كرارا وجرح أكثر من ذلك المقدار (قال الراوى) فلما نظرت الفرسان إلى ذلك حارت وصارت تطلبه من اليمين والشمال من غيظها وحقدها عليه ومقرى الوحش يقل عددها ويمحقها هذا كله يجرى لفارس النياق وأما بنو عبس وعدنان وعامر بن الطفيل وعنتر بن شداد فإنهم صاروا يتعجبون من أفعاله ويستحسنون لقتاله ونزاله وأما المقدم ضامر فإنه انشقت مرارته من الغيظ الذى حصل له وذابت مهجته وقد حار فى قصته ومن شدة ما جرى عليه خرج بنفسه من تحت الأعلام والصناجق والبنود وقد سأل من كان حوله من الفرسان من بنى غسان عن مقرى الوحش فحكوا له عن ما كان له من الشجاعة وأنه عند عنتر زاد فى الفروسية والبراعة أكثر ما كان فى بلاده فعند ذلك قفز إلى الميدان وقصد إليه

وهو يهمهم ويدمدم ويزمجر وكان تحته فى ذلك اليوم حجرة عربية تسبق الرياح الغربية مع البروق البحرية وقد أخذ فى يمينه قنطارية خلنجية غليظة شديدة وعمل على رأسها حربة يسم الافعى مستقية وقد لبس على جسده زردية لها عيون بالذهب مطلية إذا لبسها الانسان كان آمنا من حلول المنية وهو متقلد بصحفية هندية ضرب الهند وسقاية السند وأن هذا المقدم لما كملت عدته وأصلحت حالته وصار على ظهر حجرته قفز إلى الميدان كما ذكرناه وسار مقرى الوحش فى طابق الجولان كما وصفناه لما حصل فى وسط الميدان فعند ذلك التفت عنتر إلى من كان حوله من الابطال والفرسان وقال لهم يا وجوه العرب هذا الفارس الذى برز إلى صاحبنا بخلاف الفرسان الذين برزوا إليه ولكن الفرسان تظهر له الخدمة والحذر عليه وأما صاحبنا مقرى الوحش فأنا أعلم أنه تعبان من القتال وجواده قصر المجال على أن صاحبنا لو نصر عليه ما تخلت عنه أصحابه ويقع والله بنا الخسران والصواب أن ينزل فارس ما ويرده ويتلقى هذا البطل لعله أن يقتله ويفرق هذا الجيش عنا ويتقلقل لأنى أرى ركبته سلطانية وفى نفسه شهامة قوية فعند ذلك التفت ملاعب الاسنة إلى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا أفعل ما قلت عليه وما تكلمت به من المقال وإن لم أقتله بعد برازى له فأنا ولد حلال فقال له عنتر دونك يا غشيم وهذا الشيطان عندها قفز ملاعب الاسنة وراد الأعنة إلى الميدان بين الصفوف وقد جال وصال ولعب بالقنطارية حتى حير عقول الأبطال وبعد ذلك يلتصق إلى جانب مقرى الوحش وحاذاه وأشار إليه بيديه وقال له ارجع عن طابق الجولان وخذ لنفسك الراحة من التعب والخذلان فقال مقرى الوحش لا وحق الإله الدائم بلا زوال الحنان المنان خالق الإنس والجان ما طلع من هذا الميدان ولا أرجع عن خصمى لأن بينى وبينه حقوق قديمة من زمان وما صدقت أن أراه معى فى الميدان وموقف الجولان وما أفارقه إلا بالانفصال وبلوغ الآمال فاما أن يقتلنى ويأخذ ثاره وأما أن أنصر عليه فأقتله وعلى وجه الأرض أجندله وأشفى غليل صدرى وفؤادى منه وأفرق هذه العساكر قبل المغيب فعد أنت يا وجه العرب عنى إلى خلق ولا تشوش خاطرى واقر أسلامى على عنتر ومالى عنده وصية غير ولدى سبيع اليمن وزوجتى مسيكة وعلى الدنيا السلام بعد الأهل والأصحاب بل إن كنت يا غشيم تعاونى وتساعدنى اعطنى جوادك وخذ جوادى لأنه قد تعب من تحتى وقصر وما بقى يقدر يتقدم ولا يتأخر (قال الراوى) فلما تكلم مقرى الوحش بهذا الكلام فعند ذلك ترجل ملاعب الاسنة من ظهر جواده وسلمه إليه وقد ركب حصانه الذى كان تحته وتأخر عنه قليلا ووقف من خلف ظهره من فزعه عليه فعندها طلب مقرى الوحش خصمه بالحصان المستريح وزعق فيه ووكزه فربه مثل الريح وفى الحال التقى المقدم ضامر وقد اتكل فى أمره على المسيح وتضاربا وتطاعنا حتى أذهلا بفعلهما النظر الصحيح وجرى بينهما من

الحرب مايخرس به اللسان الفصيح وعلم المقدم ضامر أن مقرى الوحش خبير بالطعن والضرب فرمى فى الحال قنطاريته من يده وسل حسامه من غمده وعول على القتال والضرب والنزال فعند ذلك تضاربا ضرب الخنق حتى تطايرت السيوف على الدرق فلما نظر إلى ذلك المقدم ضامر التفت إلى قربوس سرجه ونظر إلى الجراب الذى معه وأخرج منه حربة من تحت فخذه وفى الحال هزها حتى خيل للخلائق أنها تقطعت وتمزقت وأرسلها إليه فخرجت من يده كأنها شهاب من نار قد رمى بها شيطان من مردة الجان فلما نظر إليها مقرى الوحش وهى مقبلة إليه خيل له أنها سحابة عذاب أو كأنها ثعبان قصير عليها حتى قربت منه وسحبها على رائق درقته وكسر حدتها بعدما كانت كالصاعقة وفى الحال استقر فى قربوس سرجه وقال فى نفسه أعوذ برب الفلق من شر هذا القلق ومن شر هذا الفارس المنطبق (قال الراوى) فعند ذلك أخرج حربة ثانيـــة وهزها حتى برق الموت سنانها ولمع فظن كل من رآها أنها صارت قطعاً وفى الحال ضربه بها فخرجت من يده كأنها شعلة نار أو صاعقة عذاب فوقعت فى الدرقة عبرت فيها وخرقتها وكان مقرى الوحش من التعب مثل السكران فمال عن الحصان كأنه طرد من الأطواد ووقع إلى الارض المهاد هذا وقد وقف ضامر على رأسه حتى تبادرت إليه غسان من كل جانب ومكان فعندها حمل ملاعب الأسنة وقد طلب خلاصه وكذلك عنتر بن شداد وعامر ابن الطفيل وحمل عروة بن الورد والهطال وتمام المائتى فارس من الرجال الافوياء الانجاب فصدموا بنى غسان وقد حال بينهم وبينه فعند ذلك صدمتهم بنو فزارة بأمر سنان بن أبى حارثة وقد وقع بينهم وبين بنى عبس القتال والطعن والنزال (قال الراوى) وكان بنو فزاره فى عالم عظيم ينوف عن عشرة آلاف فارس من الأبطال القناعس فحالت بينهم وبين فرسان بنى عبس وقد أخذوا مقرى الوحش أسيراً وقادره ذليلا حقيراً وطلب ملاعب الأسنة أن يرجع فما رجع من كثرة الخلائق والمواكب بل صدمته من كل جانب وكان الحصان الذى تحته قد هلك من التعب فما حمله أكثر الخلائق والمواكب بل صدمته الخيل فانقلب على ظهره وقد بقى مرميا فى القفار وفى الحال أخذ أسير بعدما سل حسامه وحمل بنو عبس وبنو عامر وبنو غطفان وطلبوا الوصول إلى عنتر فما قدروا على ذلك من كثرة الخلائق لأن سنان ابن أبى حارثة زعق فى بنى فزاره وقال يا ويلكم أما تبصرون أعداءكم فى هذا البلاء ومثل هذه العساكر تقاتل معكم فانصحوا واطلبوا أخذ الثار (قال الراوى) فعندها حملت بنو فزارة وهى تنادى يالثارات بنى بدر يالثارات حذيفة وطلبوا عنتر بالصوارم والبيل وكان عنتر

قد زعق فى عساكرهم حتى قارب فطلب الأعلام هو وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل وماتتا فارس آخر فطلب العلم والصليب وملؤا الأرض بالدماء الخضيب وفرقوا المواكب بالطعن الصائب ولم يبق بين أيديهم إلا الخيام والمضارب وكان قد حصل لهم تعب عظيم وخرج بعضهم وقتل من خيلهم وهم يقاتلون عن أنفسهم حتى ركبوا من الخيول الشارده وبذلوا الرماح والسيوف وكان عنتر على جواده الأبجر وفى يده رمحه الغليظ اسودت الدنيا فى عينيه ورمى عن رأسه وخففت وأعطى سيفه لأخيه شيبوب وأنصف وحمل على الصفوف وهو يقول هذا يوم طعن القنا ماهو يوم ضرب السيوف (قال الراوى) ولما بذلوا الرماح سمعوا أصوات أصحابهم من الصياح فساروا يطلبونهم من فزعهم عليهم (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصل اللقيط بن زرارة بالعساكر التى جمعها فى وادى الأحداد وكانوا ثلاثين ألف فارس وكان اللقيط فى المقدمة يسمع ارتفاع الضجيج والزعاق ونظر بعينه الغبر وقد سد الأقطار والآفاق نعلم أن القوم فى ضيق الخناق وأن الحرب قد قام على قدم وساق فقال لمن حوله من فرسان عشيرته هذا الوقت انتهاز الفرص لأن بنى عبس وبنى عامر ما التجأت إلى هذه الجبال إلا من خوفها من هذه العساكر وإن لم نبلغ منهم غرضنا فى مثل هذا الوقت ما نبلغا أبدأ (قال الراوى) ثم أنه فرق أخوته على سائر القبائل وأعلمهم بهذا الحال وأمرهم بالقتال، ورمى الصياح فى اليمين والشمال فأقبلت المراكب مثل الجبال وحمل اللقيط يطلب الغبار الثائر وإذ قد اعترضه سنان بن أبى حارثة فى جماعة من بنى فزارة وأخبره أن عنترا بين يديه فى طائفة قليلة وأنه انقطع عن بنى عمه وعشيرته فبادره قبل أن يخوض العجاج ويعتصم بالجبل فدعنا ننهب جسده بالرماح الطوار فعند ها صاح اللقيط ابن زرارة وأفرحنا بعد توحاه وركض فى أول العساكر وقدامه سنان بن أبى حارثة وتتابعت خلفه الفرسان وأبصر عامر هذه المصائب فأيقن بحلول الحمام الصائب وقال لعنتر يا أبا الفوارس ما بقى من الهلاك مهرب لأننا قد وقعنا فى بحر متلاطم بالأمواج فما ترى من الرأى فقال عنتر ما هنا من الرأى غير استقبال القادمين والطعن فيهم بالرماح وخطف الأرواح لأننا أن رجعنا نطلب أصحابنا فتمكنت هذه الطوائف بنا وبث فناؤنا وما بقى فى الأمر إلا أننا نلتقاهم ونلقى بأنفسنا الهلاك لأن الرجل إذا قتل لا يقتل إلا إذا قتل خلقا كثير وبعد هذا يكون مغبونا ثم أنه تلقى الخيل كما تلقى الأرض العطشانه أوائل المطر والسيل وتبادرت إليهم الرجال التى كانت متخلفة فى الحلة وعاد إليهم عامر مقدم الشام وطال عليهم فى قطعة جيدة وأمر بنى غسان أن تحمل كلها حملة عنان فحملت الأبطال وحملتها اهتزت الجبال والأرض يمينا وشمالا وجرى الدم وسال وفنيت

الاعمار الطوال وجاء الحق وزهق المحال وامحت الجبال والدنيا انقلبت والحياة منعت والسيوف قطعت والرماح كسرت والدروع تمزقت والرجال جالت والشباب شابت والآمال خابت والبطون تفجرت والظهور تقسمت والدماء من الجراح هطلت هذا وهم بين طريح وطارح ومذبوح وذابح وباك ونائح وزاعق وصائح وخسران ورابح وغاد ورائح وباك ونائح ومشبوح وشابح والدماء على الأرض سائح حتى صارت القتلى مثل الذبائح هذا وهم فى صدام ولزام وتجريع الموت الزؤام (قال الراوى) وقد قال القبائل إذا كثرت كلاب على السباع أنزلوابها العذاب واذا اجتهدت العصافير على الباشق الصيود وأتعبته ونالت المقصود إلا أن القوم مامضى عليهم أكثر من ساعة من النهار حتى قتل منهم جماعة وأسروا عروة بن الورد والباقى سلموا أنفسهم إلا أن عنتر وعامر بن الطفيل فانهما بطول نهارهما يقاتلان إلا أن دخل عليهم الليل وأخذوا أسارى وقادوهم حيارى وسلموهم إلى العبيد ورجعوا إلى الخيام واستقر بهم المقام فعند ذلك جمع سنان بن أبى حارثة بين القيط بن زرارة بنى ضامر مقدم العساكر فهنأ بعضهم بعضا بالسلامة والنصر وقال اللقيط لضامر أيها السيد يهنيك هذا النصر والارشاد فقد بلغنا كل المواد من الأعادى والاضداد الذين قدر ملوا النساء ويتموا الأولاد فشكره ضامر على ذلك الايراد وقال له أيها الأمير أنى قد أمرنى صاحبى بفناء بنى عبس وها أنا قد أتيت لهم قاصدا ولا بد ما أسوق اليه منهم جماعة مع مقرى الوحش وأبيض وجهى عنده بهذا العبد الأسود وما فسأل عن الباقين فقال له اللقيط من زرارة يا مولاى الأمر اليك افعل كما تريد لان الأعداء حسبوا أنفسهم فى هذا الوادى ولا تركوا الأنفسهم نجاة ولا بد ما نهلك الفوارس منهم والعوالم ولو رحمت بهم سقناهم قدامك إلى أرض الشام وقد أقاموا على رؤوس الشعاب من يحفظها حتى لا يخرج هارب منها لهدارت بهم الكتائب من جانب وبا توافر حين باتم على أعدائهم من العذاب فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس فانهم من حين أتى القيط بن زرارة وتلك الجموع والخلائق قد عادوا إلى ورائهم على رءوس الأودية والمضايق من فزعهم أن تملكهم الأعداء وما زالوا كذلك حتى امسى المسا ورجعت الأعداء وانتظروا عنتر ومن معه فلم يروا له خبر ولا أثر فتقطعت ظهورهم وحاوروا فى أمورهم وعلموا أن القوم قد هلكوا فجمعوا رأيهم على أن يدخلوا فى الجبال المقاتلة هنالك عن الحريم والعيال ولما صاروا فى الوادى وأبصر والنساء مشققات الثياب كثيرين البكاء والانتحاب لأن الخبر قد صار اليهم وسمعوا على ماجرى لرجالهم من النوائب ولطموا على الخدود الترائب ومشوا بين الخيام والمضارب وهم مكشفات الرؤس منشورات الذوائب ولم يعلمن السالم من العاطب وأقمن العويل والبكاء ارتفع الضجيج فى الوادى وغلا وودع الوالد الولد تقطعت

الأكباد من شدة الحزن والكمد وكان الملك قيس قدنشأ له ولد وسماه زهير وكان دون البلوغ وهو مبدع فى الجمال وكان يحبه محبة عظيمة ومن شده محبته له واشتياقه عليه خطر له خاطر وتصور فى عينيه أنه صواب وكان ذلك إلهاما من رب الأرباب والأمر كان سبق فى أم الكتاب فجمع أمراء القبائل والمقدمين من العساكر وقال لهم يا بنى عمى أنتم تعلمون أن هلاكنا قد آن وما بقى لنا طريق من خلاصنا من هذا الوادى لأن ساداتنا قد قتلت والأعداء فينا قد طمعت والجموع حولنا قد كثرت وأنا قد بازل أمر وأريد أن تعاونونى عليه ولا تسألونى عنه فقالوا وما الذى تريد من المعاونة حتى أننا نعاونك على ما تريد فقال لهم يا بنى عمى هذه الليلة كل من كان له نوق أو جمال يأمر عبيده باعتقالها وتوصوهم أن لا يمكنوهم من الماء والمرعى حتى أريكم تدبير تهلكون به الأعداء جميعا فقالوا له السمع والطاعة ثم أنهم انصرفوا وأمروا عبيدهم بمثل ذلك وأنفذوا الملك قيس إلى الاماء التى عند النساء ينهونهن عن البكاء ووعدهم بالنصر على الأعداء وذكر لهم أن رجالهم سالمون غيرها لكين وان الجواسيس قد أتت وأخبرتنى بذلك وفى غداة غد ندبر فى خلاص الجمع (قال الراوى) وكان هذا الكلام يطيب به قلوب النساء وفزعا من الأعداء أن تسمع النواح والبكاء فيزيدهم الطمع فسكت بهذا الكلام جميع الناس هذا والربيع بن زياد قد أيقن بالهلاك وسوء الارتباك وقال عمارة مازال الملك قيس يسمع من رأى عنتر حتى هلك وأهلكنا معه واحسرتاه على السلامة وعلى زواج عبلة ولو ليلة واحدة فقال له الربيع التهى جاك لهو خفى ويلك يا مذلول السبال وأنت بعد ذلك مولع بزواج عبلة أما يكفيك ما أنت فيه فى هذا الوقت من الخبال فقال عمارة يا أخى أنى ما أنسى هواها مادمت فى قيد الحياة واحسرتاه آه آه وادهوتاه على ما أصابنى وكان شيبوب قد جرى عليه مالم يجر على قلب بشر وعلم أن الحرس شديد عند رؤس الشعاب فما قدر أن يظهر ولا فعل شيأ إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وركبوا الجرد الملاح وتقدموا يطلبون الحرب والكفاح فسد الشعاب بكثرة الخلائق وابهروا الأبصار بلمعان البوارق وأدارت فرسان بنى عبس وبنى غنى وبنى عامر الحرب فى ذلك اليوم وقاتلوا من داخل الشعاب خوفا على الحريم والأولاد وعاونوهم بالنبال والأحجار واشتد الحرب والقتال وعظمت الشدائد والأهوال وما زالوا على مثل ذلك الحال حتى تغير النهار واستحال.

(تم الجزء الحادى والعشرون ويليه الثانى والعشرون)

الجزء الثانى والعشرون

من سـيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وعادت العساكر والقبائل إلى الخيام وقد زادبهم الطمع والمحال وعند عودتهم عير اللقيط بن زرارة على عنتر وقال له كيف ترى حالك وهذا الذى جرى عليك بسبب تعديك على الفرسان فابشر بما تلقى وما يحل بك قبل القتل من العذاب وحق رافع السماء لأقتلنك وأقتل عبلة بين يديك وأقطع يديك ورجليك وبعد ذلك يحملك الأمير ضامر إلى سيد بنى غسان يصلبك على باب دمشق ويشفى منك قلوب عبده الصلبان فقال له عنتر لو إستحييت يا إبن اللئام ما تكلمت بهذا الكلام لانك ذليل جبان لا تكشف شدة ولا تصلح لنجدة وأما أسرى نا فاهو عار لأنى ما أسرت حتى اجتمعت على عساكر الشام وعرب الحجاز وقتلت منهم أبطال يعجز غيرى عن لقاء بعضهم فى البراز ومن يكن كل يوم يطمع فى لقاء الشجعان وأصحاب الأقدار وينكس الاعلام تحت قساطل الغبار لا بد ما يصيبه سهم من سهام الاقدار وبعد ذلك فأنا قاطع من الحياة الاياس ما دامت الروح تتردد فى هذه الانفاس لان الرجل إذا كان له فى الدنيا زاد لا تعمل فى جسده السيوف الحداد وإذا كان لى فى الحياة حظ ونصيب فجزاؤك على يدى يكون قريب (قال الراوى) فلما سمع اللقيط مقاله قال له يا ابن الامة ما فى لك من الهلاك فكاك ولو نزلت إليك الملائكة من الافلاك ثم تركه ومضى عنه ودام القتال على ذلك خمسة أيام إلى أن علم الملك قيس أن النوق قد جد بها العطش ودار فى الليلة السادسة فى القبائل وأمرها أن تصف النوق صفوفا وتترك رؤسها إلى مقابل رؤس الشعاب ففعلت ذلك وما فى القبائل من علم ماذا يريد أن يفعل ولا سأله عن ذلك أحد بل أقاموا ينتظرون الفرج بأى وجه كان فلما كان وقت السحر قال الملك قيس للعبيد أخرجوا الفصلان إلى البر قبل القتال وكانت شيئا كثيرا مثل الرمل إذا سال لا يقع عليها عدد الا أنها لما خرجت حنت خلفها أمهاتها ورفعت بالحنين أصواتها وكذلك هى عند فقد أمهاتها وكانت العبيد تضربها بالعصا وتخرجها من الوادى فاقبلت الدنيا بالضجيج فركبت العساكر على حسها وظنوا أن بنى عبس خرجت بالاموال تطلب الامان لان الفصلان قد تتابعت من مضايق الشعاب تطلب رؤس الاودية والهضاب وهى مثل الايتام لا تدرى ما يفعل بها الا أن الفرسان لما رأتها تتابعت إليها

ونهبتها وأمرت العبيد بذبحها هذا والقيط بن زرارة يقول لسنان بن أبي حارثة أنت على كل حال شيخ من مشايخ العربان وأقول أنك أخبر مني بحلول المصائب والنوائب فما تقول في خروج بني عبس الفصلان بين لي هذا الشان وأوضح لي هذا البرهان فقال له سنان هذا الحال ما يحتاج إلى برهان فان الماء عند أعدائنا قليل وهم خلق كثير وقد أخرجوا الفصلان ليردون الماء للناس الذين عندهم والصبيان والصواب انكم من اليوم تخلون القتال وتحفظون رءوس الناس حتى يقل عنهم الزاد كما قل عنهم الماء فقال له اللقيط وقدسره ذلك وحق رافع السماء لازحفت عليهم إلا بسائر الجيوش الكبراء ثم أنه قال لضامر يا أمير ما تريد العودة إلى بلاد الشام فقال بلى نادى في بني غسان وقل لهم يركبوا وفي هذا الصباح حتى تهجم على هذه الشعاب ونقود المشايخ والشباب وتترك الكل ينقادون قود الكلاب فقال ضامر هذا وحق المسيح أكبر مرادي ثم أنه أمر النقباء فنادت في العساكر وقد علمت سائر الدساكر وكذلك فعل اللقيط بن زرارة مع بني مشاجع والعرب التي جمعها من سائر المواضع قال وما أصبح الصباح الا وقد ركبت تلك الخلائق وامتدت في المضايق وازدحمت الدروب واشتدت الكروب حتى كادت الاكباد أن تذوب فعلم الملك قيس بذلك الاتفاق فانفذ العبيد الذين قد تركهم فوق الشعاب وقال لهم القوا بالكم إلى آخر جيوش الاعداء وإذا رأيتموهم قد جدوا في طلبنا وخلت منهم البيداء وما بقى لهم في البر أحد ارفعوا العلم الوسطاني حتى نعلم بهذه المعاني ثم أنه قد نادى في القبائل وأمر فرسانها وأبطالها أن تقف قدام نياقها وجمالها ثم أنه قال لهم وإذا رأيتم وادر الرجال قد ظهرت وإلى القتال تبادرت فحلوا جميع النوق والجمال من عقالها وأضربوها لاسنة في أنقابها والعيال ولما سمعت فرسان القبائل هذا المقال بان لهم وجه التحقيق من الحال وقد عرفوا ما دبر الملك قيس واشتهر الامر وظهر وما فيهم إلا من فرح واستبشر وقالوا لقد صدق هذا الرجل وما خاب من سماء قيس الرأى ثم أنهم امتثلوا كلامه ومقاله ووقف كل واحد منهم وقد تقدم قدام عساكر الشام وهو ويبشرهم بالنصر ويحدثهم بالغلبة والنصر ويشجع الابطال ويحدثها على القتال وهو على ذلك ينشد ويقول :

اليوم أشفي النفس من كل العالى وأشعل الحرب باطراف الاسل
وأترك الطير يبيت حائما على اناس سكنو اطرف الجبل
أنا الهمام البطل الندب الذى أنازل الموت إذا الموت نزل

(قال الراوى) هذا والملك قيس يدبر الناس ويصف السادات وينظر العبيد حتى انهم يرفعوا العلم الذى أمرهم به فبينما هو كذلك اذا سمع الصياح وقد علا وفزعت الابطال إلى الفلا وابصر العلم وقد رفع والعبيد الذى عنده اظهرت الفرح والشعاب قد اشتدت بالكتائب ولعب السيف فيها من كل جانب والغبار قد حكى ظلمة الغياهب والاسنة تلمع مثل الكواكب هنالك نادى الملك قيس فى الصفوف فحلت نوقها وجمالها وطلقتها من شدادها واعتقالها ولذعتها بالاسنه فى اكفالها واجنابها وكان شىء كثير لانها أموال ست قبائل وقد عطشت خمسة أيام وقد خرجت فصلانها عنها إلى البر والجبال فسبت على رؤس الرجال وصدمت الاعادى فى أضيق الاماكن ولطشت رؤسها وصدورها وداست الفرسان والخيل وكانت الابطال الذى اجتمعت فى الضروب بصرت البلاقد أتاها فرجعت الخيل إلى وراها انها تطلب الطلوع وكانت العالم مثل البحر الزاخر وماز الواعلى مثل ذلك حتى ضربوا بعضهم بعضا بالسيوف ورموا على أيديهم الرماح من ضيق المكان وضرب الاخ أخاه والابن أباه وذهبت القرائب والانساب وكان لهم يوم مشهود فعادوا يطلبون النجاة مما شاهدوا انداسوا تحت أرجل الخيل والجمال وألقوا السيف فى أعناق بعضهم بعض وصارت العساكر تحت أرجل الجمال عبرة لمن اعتبر وكان الذى سلم منهم يقوم مثل السكران الا أنه ما يفتح عينيه الا ويجد على رأسه فارسا من بنى عبس وغطفان فان كان فيه الروح أخذوه أسيرا وما تقارب النهار حتى امتلات الشعاب بالقتلى وفاضت الدماء وما سلم من العرب ذلك اليوم إلى بنى فزاوه لان سنان بن أبى حارثه أشار على القرط أن يحاصر بين الجبال ويطاولهم إلى أن يقل عنهم الماء والزاد ويبلغ منهم المراد فخالف مقاله وما سمع ما به عليه ولا تتبعوا الفيط فى هذه المضائق لان قلبى خائف من هذه النوبة وأنا أعلم ان بنى عبس لاتغفل عن نفسها ولا بد ما تعمل مكيدة وما أظنهم اخرجوا الينا الفصلان الامكر ومحال وربما انهم دبروا حيلة تكون عاقبتها وبيلة فاقبلوا منى ولا تدخلوا الشعاب فقبلوا بنو فزارة كلامه وأقاموا اقدام المضارب والاعلام فخاروا عما بصروا من الأهوال التى رأوها فقال ، الذى ننتظر اطلب بنا الهرب قبل ما تخرج علينا بنو عبس فانهم اذا خرجوا الحقونا بنى بدر وحذيفه وحمل فقال سنان لمن معه من الفرسان وحق من فى غيبه قد احتجب ما بقى ينفعنا الا الهرب ولا لنا من يحمينا من قبائل العرب وهذه عواقب البغى والعدوان وهذا يدل على انكم من أول الزمان باغين على عنتر وعلى بنى عبس وعدنان فلما سمع حصن بن أبى حذيفه

هذا المقال بكى وقال كيف التدبير ياعمارة فقال سنان من هذا كنت فزعان من دخولنا إلى هذا المكان والرأى أننا نتبع المنهزمين من بنى غسان ونطلب أرض الشام فقال حصن هذا مالاأفعله أبدا ومالنا الاندخل على المأسورين ونحلهم من وثاقهم ونطلب من بنى عبس وعنتر الزمام فلما سمع بنو فزارة كلامه رأوه صوابا ثم أنهم عطفوا نحو الخيام ونزلوا على عنتر ومن معه وحلوهم من الشد والاعتقال وطلبوا منهم الذمام الامان فقال عامر ابن الطفيل لسنان بن أبى حارثه مافعلتها الاعن أمر صعب شديد ولكن ما نخيب قصدك وأنت من جهة بنى عمنا فى أمان فقال عنتر أنا ما أذمك من بنى عبس حتى ترضى عنك ساداتهم وما سلم فى هذه النوبه إلا بنى فزارة وقتل اللقيط بن زرارة لانه ادكرنا فى ذلك اليوم أنه ترجل فى أول العسكر وترجلت معه بنو عمه وداروا ببنى عبس هم وعساكر الشام وكان اللقيط بين يديها ومتقدم عليها وهو فرحان بوقوع عنتر وأراد أن يبين قدامها مر شجاعته وقوته وبراعته وتذكر أيام سرقة الجواد الابجر وقد ذكرنا هذا الحديث فيما تقدم فترجل وامل ان ينال من بنى عبس عرضا فجاءه القضاء والقدر وعليه نزل بهلك هو وثلاثه من اخوته والباقون ساموا لان سنانا عجل بهم فى طائفة بنى مشاجع قبل خلاص عنتر ورفقته وكانت هذه الواقعة من أعجب ماجرى فى ذلك الزمان وكان الذى قتل اللقيط زراره الربيع بن زياد لان ادركه وقد ثار من تحت أرجل الجمال فقتله وأنشد يقول

أفاطم لو سألت الشعب عنا ... أجابك وهو منطلق اللسانى
بأخبار يشيب الطفل منها ... ويهرب وهو مخضوب البنانى
طفينا نيران حر الاعادى ... بفيض دماء فرسان الطعانى
وخلينا اللقيط بها طريحا ... كأن عليه خلة أرجوانى
شككت جنانه لما تولى ... بسيف مثقف ماضى السنانى

وخرجت بنو عبس من الجبال وهى تطعن فى صدور الرجال وقلوبهم مشتعلة بمن لهم فى بعنتر ووقعت العين على العين وأبصر بنو عامر ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وأخبر الناس بانهم سالمين ففرحوا بذلك وهنوهم بالسلامة وكذلك فعلت بنو عبس بعنتر ومقرى الوحش أما بنو فزاره فترجلوا ورموا سلاحهم وتقدم سنان وحصن بن أبى حذيفه وجماعة من المشايخ وقصدوا الملك قيس وهم رجاله واعتذروا إليه من فعالهم وقالوا أيها الملك اننا ندمنا مافعلنا ونريد أن نصفى لبعضنا ونرجع إلى أوطاننا ونجعل مقابلة خطانا ما تطلب

فانك قادر على هلاكنا وهدم حصوننا وقبل ركاب الملك قيس وساله العفو فاستحى قيس من الطوائف التى حواليه وأعطى لبنى فزاره الذمام ورحلوا بعد ذلك يطلبوا الديار وقد ملأت سائر الأقطار وفى اليوم الثالث رحلت بنو عبس تطلب الديار وركبت سادات بنى عامر وغطفان وساروا الوداعهم وعامر بن الطفيل تأسف على فراق عنتر بن شداد ويقول ياأبا الفوارس لولا مايشق عليك لكنت حلفت أنى ما أفارقك فشكره عنتر وقال له ياعامر ان كنا عن العيون فالحب فى القلب مسكون فلما سمع عامر كلام عنتر شكره وبعد ذلك ودع بعضهم بعضا وساروا يطلبون أوطانهم بعد أن عانق عنتر لعامر بن الطفيل وأنشد يقول

اذا ودعتنى أودعت قلبى	غراما لا يزول إلى الممات
ولو أنى أكون بحكم روحى	لما فارقت مثلك فى حياتى
ولكنى لعبلة عبد رق	فلو خالفتها كسرت قناتى

فلما سمع عامر ما قاله عنتر عذره وعاد مع قومه وبعد ذلك رجع عنتر مع مقرى الوحش وعروة بن الورد وهو مسرور القلب والفؤاد وهو يمشى قدام العساكر ويفتخر على ظهر حصانه وهو يذكر ماجرى لهم من الوقائع فانشد يقول

فؤادى قد برته يد السقام	وعينى دمعها فى الخد دامى
على زمن تقضى فى انتصاب	وعين الدهر تكحل بالمنامى
بكل خريدة خود رداح	كأن جبينها بدر التمامى
بقد كالقضيب وحسن طرف	وألحاظ أحد من الحسامى
وألفاظ تحاكى الشهد فيها	وقد مزجت حقيقا بالمدامى
وقلبى قاطر والدهر صاف	لنا والعيش فى حظ واغتنامى
وأيام الشبوبه والتصابى	لذيذات كما بين الخزامى
ولو أعلم بما فى القلب مقضى	ومنهم حكم جار فى الانامى
ألا ياعبله لو أبصرتى ماقد	جرى لى عند معترك الزحامى
وخيل الشام قد دفعت ودارت	على وقد أتتنى للصدامى
وجادت مثل بحر وهو طامى	ومالت مثل غيث من غمامى
ولم أشعر بروحى اذ رمونى	أسير تحت قساطيل القتامى
واطبقت على الأرض حتى	انى قد شربت من الحمامى
وقد أطلقت من قيد وثيق	ولم أحفل بآل بنى الشامى

سلى عنى كلابا مع عمير ... وعامرا يوم كربى اقتحامى
سلى يـــا عبله عنى آل بدر ... وقد أرويت من دمهم حسامى
وكيف تركتهم فى القفر صرعى ... كأعجاز النخيل مع الصدامى
تنو شهم السبـاع بكل بـاب ... عرايا بين أطناب الخيامى
وانى فـــارس أسد هـدور ... كريم الجد من أولاد حامى
ولم أحفل باهل الأرض جمعا ... وحق الركن والبيت الحرامى
عليك سلام الله من بطل كريم ... بطول الدهر ما هتف الحمامى

فطربت فرسان بنى عبس السامعون وشكره جميع الحاضرين وسار عنتر مع قومه بنى عبس وعن شماله عروة من الورد وعن يمينه مقرى الوحش وهو يقول لهم يا بنى عمى أنا ما فى قلبى طيب بمجاورة بنى فزارة وسنان بن أبى حارثة لأننى أعلم أنه لم يجىء من مجاورتهم خير فقال عروة بن الورد يا ابن العم دعنا من بنى فزارة وغيرهم وعاونى على أمر قد وقعت فيه وما لقيت أحد يجعل لى منها خلاصا فلا تستقل عقلى فى هذا الأمر لو قدرت على حلة ما استغثت بك عليه ولا كفانى من الأمر ما كتمت وتمنيت مقتل فقال عنتر وقد قامت عيناه فى أم رأسه ويلك وما الأمر الذى تريد القتل دونه والهلاك اخبرنى به حتى أعرفه أما علمت أن الانسان اذا كتم مرضه يكون على مخاطرة من أمره فقال عروة وقد هطلت من أجفانه الدموع لما كنا فى ديارنا قبل قتال بنى فزاره وقبل دخولنا بلاد اليمن وجرى هذا الأمر الذى قد جرى علينا فكانت أختى سلمى قد أتت إلى زائر من بنى غطفان وكانت تقيم عندى أياما وتعود إلى زوجها وكلما تمت وراتنى خاليا اشارت على بالزواج وتقول لى ان فى جوارنا جويرية يقال لها لميس بنت همام الغطفانى ما خلق مثلها فى هذا الزمان واشهى ان تكون زوجتك فانعم لى بالاجابة وقبولها حتى اخطبها لك من أبيها اعينك بجميع ما املك من المهر والصداق وادعك تتهنى بها حينا من الدهر لان النظر لوجهها تجلى ظلمه البصير والذى يضاجعها يفوز بالفوز والظفر يا أبا الفوارس إذا سمعت كلامها لا التفت اليها ولا يميل قلبى اليها واقول لها يا أم حسان نقل الجفان إلى الضيفان وغاثة الملهوف على جور الزمان احب إلى من مضاجعة النسوا ولاجل هذا كانت العرب تسميه عروة الصعاليك لأنه كل ما يكسبه فى القتال ينفقه على الأرامل والصعاليك وانه قال لعنتر فى آخر شكواه يا أبا الفوارس وما زلت على مثل ذلك حتى اجتمعنا ببنى غطفان فى

هذه النوبه فى شعاب جبلة وجرى من القصة ما قدعرفت وكان أكبر مقامى عند اختى
سلمى فى بنى غطفان وفى بعض الايام رأيت لميس خارجة من بيت أمها داخله إلى بيت عمها
فارتجف فؤادى وغاب رشادى فبهت نظرى وحار خاطرى وأبصرت صورة غريبة الكمال
والجمال زائدة الحسن والدلال قدخلقت فى وقت سعيد وأعطيت من الملاحة أوفى نصيب
فقلت لاختى ياأم حسان من هذه الجارية من بنى غطفان فوالله لقدا نعجم لسانى لبعض
صفاتها وأصابت فؤادى بينهم فقالت وقد تبسمت هذه لميس ابنة همام بدر التمام وبديعة
الانام التى كنت أشتهيتها لك زوجة وأنت لم تلتفت الى ولا تعتنى بكلامى فقلت ياسلمى
ماعلمت أنها بهذه الصفه وأريد منك أن تتحدثى مع أمها بسببها حتى تنكشف هذه الشده
وأخطبها فقالت ياعروة مابقى لك إلى هذا سبيل ولا بقى لاحد فى هذه الجويريه مطمع لان
القوم قد زوجوها برجل جليل القدر عظيم الأمر وقد عاهدها أبوها على ذلك وقد غدا
يأتى بمهرها ويأخذها فلما سمعت ذلك ياابن العم زادنى الوسواس والهم وقلت ياسلمى
ويلك ومن زوجها من سادات العرب وكم حمل إليها من المهر من الفضة والذهب فقالت أما
المهر فما سالت عنه ولكن سالت عن الرجل فقالوا هو عمرو بن معديكرب الزبيدى وأبصرتها
فرحانة وتصفه بالحسن والجمال وكثرة الخيل والمال والنوق والجمال وقالت أنه حج إلى بيت
الله الحرام وشهدت له فرسان العرب بانه أشجعها وأوفاها نسب وذكرت فى آخر حديثها
أنهم ينتظرون أن يأتيهم بالمهر وقد انقطع خبره ولولا ذلك ما كانوا أتوا معها وانحصروا
فى هذه الشعاب بل كانوا انقذوا خلفه وتركوه يردعنهم عساكر الشام من بنى غسان
لايتركها بعيدة عن الأوطان فلما سمعت هذا الحديث ياأبا الفوارس طار فؤادى وجفانى
رقادى وأردت اخبرك بهذا السبب فوقعنا فى هذا الأمر واشرفنا على الهلاك وقلت فى نفسى
وهاقد اتانى ماشغلنى عن جميع الاشياء وانا اعلم انه مابقى يسلمنا احدو الصواب انى
لا احمل ابن عمى هم آخر لانه يكفيه ماهو فيه والآن قدمن الله علينا بالاطلاق وانا حائر
فى قصتى خائف من هذا الأمر سكران من غير شراب خمر ولولم أكن قدعجزت عن حمل
اثقالى ما شكوت اليك حالى قال الراوى فلما سمع عنتر حديث عروه تعجب منه وعذره
فى شكواه وقال ياابا الابيض وما الذى أصل هذه الجاريه إلى بنى زبيدة كيف تزوج
ماسالت اختك عن هذا الأمر فقال عروة ياأبا الفوارس سالتها بهاهذا الرجل العنيد
فكانت وياعروة امها وانها لما بصرت لميس ووصفتها إلى أخيها عمرو واتى اليهم وخطبها من
أبيها وبذل له مالاجزيلا فأعطاها له وعاهده على ان القوم مازوجوا ابنتهم حتى امرتهم انا

بزواجها وانا قد عرضتها عليك من حين كان لها من العمر تسع سنين إلى الآن وما سألت عنها مع أن أهلها قد اعتمدوا على قولى وتركوا معولهم على وكنت إتيتك ووصفتها لك فارى منك التهاون والفتور والنية الباردة فاعود بقلب مكسور واكتم ذلك وأقول لام الجارية انهضوا انتم وأتموا أمرها وكنت أرجو بذلك ان ترجع وتقبل قولى ومازال الحال على مثل ذلك حتى وقع بينكم وبين بنى فزارة الوقعة الكبرى وقتلتم حذيفه وأخوه حمل على أعدائه وغضب عليكم الملك النعمان ودخلتم بلاد اليمن وعلمت أنا بذلك فقلت لا قطعت رزق هذه الجوريه ولا كسرت بختها ثم اجتمعت بامها وقلت لها يا أم لميس جزاك الله عنى كل خير لانك قد فعلت ما يعجز عنه غيرك من حفظ الذمام وحرمة الجوار والآن قد جاء الأمر بما لم يكن فى الحساب لان اخى قد دخل مع بنى عبس إلى اليمن ولا ادرى يرجع أم لا وما هو من المروءة أن تتركى البنت بلا زواج فزوجيها من اليوم لمن شئت ودبرى ما نويت فوالله يا أخى لقد شق عليها كلامى وأقامت على ذلك برهة من الزمان حتى اتفق لها هذا وزارت أهلها وزوجتها لعمر بن معد يكرب الزبيدى وجرى ما جرى فعدت إلى بنى غطفان فرأيت أمها فرحانة وقالت ياسلمى قد عوضنى الله لابنتى مثل أخيك وأوفى وما قطع بناوب السماء فقال عنتر وقد عرف القصه وقال لقد رمى عمرو لقصر أجله وسعى فى انقطاع أمله والصواب أن تكتم سرك وتخفى أمرك وتوصى أختك تنفذ تعلمك إذا جاء وقت الزواج ووصل عمرو إلى بنى غطفان وزفوا الجارية عليه ونكمن له فى الطريق وناخذها منه غصبا وإذا لامنا احد نقول نحن أحق بابنة عمنا وقد جرى بيننا وبين بنى زبيد وقائع من أيام خالد بن محارب وابنه عمه الجيداء أوفق من أن نخاطب أباها فى ذلك ونطلبها منه لانه ربما يقول أنا امسكت ابنتى لعروة وعرضتها عليه مرارا وما وقع لها من يسترها عاد يطلبها وتقع الفتنة بيننا وبينهم ولا ننال غرضنا وهذا الأمر نحن فى غنى عنه ولا بد ما ندبر شيئا نبلغ منه المنا قال عروة لقد صدقت لا عدمتك أصدقاك ولا برحت سيوفك فى رقاب أعداك ثم ساروا إلى الديار وبنوا أمرهم على ذلك المعيار وأوصى عروة أخته سلمى وأوصى عنتر اخته موة قال ياساوه ياكرام وكان عمر بن معد يكرب الذبيدى الذى تزوج هذه الجارية فى ذلك الزمان فارسا لا يخاف الجبابرة من الفرسان وتبطل عن قاله حيـــل الانسان وكان من الشجعان قد كمل ومن حقه والبراعة والكرم والملاحة وكانت نشوءه فى بنى زبيد كثير الكرم ولا حسان ولكن فى سباه قد زاد به النهم فى أكل الزاد وكانت العرب تسميه أو لق بنى زبيد والمالوق فى كلام العرب المجنون وقد ذكر فى أشعار بعضهم حيث يقول

أسد حزامى فوق مضمر كان به من شدة السير أو لقا

يعنى جنونا وكان أبوه كلما رأى نفسه مهيئة يزيده هوانا ويلبسه الصوف ويستخدمه كما يستخدم العبيد والغلمان ويطلب بذلك أن ينتهى عن ماهو فيه وينتخى لروحه وهو لا يعرف مايراه منه وما يطلب الأشياء لا يبرح يشتكى الجوع وبلغنى أنه كان لا يشبع الا اذا عمل أبوه ولمية أو نزل به قوم يعزون عليه وكان يأكل فى ذلك اليوم ناقة ويشرب خمر ويطلب بذلك استظهار الأيام أن تاتيه ومع هذه الشهرة كان عظيم الخلقة كبير البطن طويلا واسع المناكب هائل الاكتاف والجوانب وكانت أصابعه تزيد عن الفتر وراحته أوسع من الشبر مكحول الطرف لطيف الشمائل وكلما ارسله أبوه فى رعى الأموال يتعلق بركن الخيل ويتعلم عليها الكر والفر ومازال على ذلك الحال حتى وصل الخبر إلى قومه ان الاشعث قد عول على غزوكم قال الراوى وكان الاشعث ملكا من ملوك الزمان وله منازل مقيمة بارضه كلها يحمل اليه الأموال على ممر الشهور والأعوام والماوى وكثرت جنوده أخذ الخراج وبسط يده فى الظلم وكانت قبائل العرب تفزع منه وأما بنو زبيد فانها ماطلبها ردوا رسوله خائبا مذلول الشارب فاشتد به الغيظ فسار اليهم فى جيش عظيم ولما علم بنو زبيد بمسيره اليهم اتفقوا على لقائه وركب الجمع ثم ساروا حتى ابعدوا عن الاحياء فالتقوا بالاشعث فخسر بنو زبيد ورأوا عين الهلاك من كثرة العدد وتزايد المدد فخافوا على انفسهم ثم عادوا إلى الخيام وكانت عودتهم فى الليل عند ستور الغياهب وعند الصباح دهمهم الاشعث بكتائبه وضيق عليهم الطرق والمذاهب وسدت عساكره المشارق والمغارب ثم دارت عليهم من كل جانب ودخلهم الطمع وبرق الحديد ولمع وطلع الغبار وارتفع وبكت النسوان من الفزع وتجرعت الأبطال كاسات الموت جرع وأبصر عمرو وأخته كبشة وقد نشرت الذوائب ووجد نساء الحى وهن صارخات على أبواب المضارب فقال لامه يا أماه واحسرتاه لو كنت شبعان من الطعام لكنت أفعل بهؤلاء اللئام وأضرب أعدائى برمحى والحسام فقالت أخته لا اشبع الله لك أحشاء ولا أروى لك ظما لأنك ماتبرح تأكل إلا وتشكى الجوع أبعدنا أبعدك الله ولا أشبعك لان عندنا شغلا شاغلا عنك وعن غيرك فقالت أمه ويلك دعى ولدى يا كبشة ما الذى تريدين منه بالخنا ما كفانا هذا العار بان أموالنا قد صار أكثرها فى يد الأعداء وولدنا مايشبع منها ثم وهبت له ناقة وكل خبز كان فى البيت واشتغلوا عنه بما هم فيه وتسلم عمرو الناقة وذبحها وأضرم النار على بعض الجبال وصار يشوى ويأكل ويتفرج على القتال وما أقبل عليه

الظلام الاوجدوه لم يترك منها غير العظام وعند المساء رجعت بنو زبيد وأكثرهم جرحى بعد ما قتل منهم فى ذلك اليوم خلق كثير وجمع غزير وباتو يحرسون انفسهم حتى أصبح الصباح واتصل الطعن بالرماح وقلعت الارواح من الاشباح وبيعت الانفس بيع السماح وندموا كيف مابعثوا الاشعث عدادا وأيقنو بسبي النساء وكان عمرو على الجبل المقدم ذكره منبطحا على وجهه وقد أصبح شبعان ريان فطلبت نفسه القتال والطعان وضربت فيه نخوة العرب لما سمع بكاء النسوان وهانت عليه المنية ولم يهوله كثرة الفرسان وبدل الله قلبه من مكان الى مكان وغيره من حال إلى حال وأنفذ فيه حكمه وأرادته حتى يحظى قدام سيدنا محمد ﷺ بالشهادة فيكون من المختارين الذين قد مدحهم الله فنزل من على الرابية وهو يقول فى نفسه لا بدلى من مقاتلة هذه العساكر وأترك الاول لا يلحق الآخر ثم أنه هم ان يركب بعض الجنائب ويطلب من أبيه عدة وإذا بابيه معد يكرب اقبل منهزما ومعه بعض رفقائه وهو يكد الجواد ويلتفت إلى ورائه فتقدم عمرو وقد ساواه بقامته وهو راكب فتمسك باذياله وجذب رجله من على ظهر جواده وركب مكانه وقال له أعطنى عدتك وأمضى أنت إلى النسوان لأنك قد كبرت ولا يصلح لك مقام الفرسان فتعجب أبوه من فعاله لانه ما كان له بهذا سابقة فناوله السيف والرمح وتمنى هلاكه حتى لا يكون له ولد جبان هذا وعمرو قد حمل على الشجعان ومازال يطن فى صدور الرجال ويضرب أعناق الأبطال حتى أخرجهم إلى ساحة البيداء وكان صوته عاليا مفزعا فسموه أبا ثور وعرفه القريب والبعيد وقالوا لبعضهم بعض ما قصر أبو ثور الاواق لأن طعناته كلها صائبة لا تخطى إلا فى النحور والحدق فاحملوا بنا إلى معونته لعل الله يكون جعل له سعادة ليبلغ بها الارب ثم حملوا بين الخيام بالرمح والحسام وعمرو ينثر الموا كب تحت القتام ويطلب الرايات والأعلام وقد قويت قلوب بنى عمه بحملاته وهالهم ماراوا من تواتر طعناته وكان أبوه وصل إلى أبياته وهو راجل خال من السلاح فسالته امرأته عن حاله فاخبرها بما فعل ابنها به واخبرها أنه فرق العساكر من الاعـــداء بحملاته فخافت عليه ولامت اباه كيف مارده عن جهله فقال أبوه ما كان له معقول يسمع به وقد رأيت له وجها أوحش من وجه الغول وبهمهم بكلام لا يقع له الإنسان على محصول ولو لم اسلم اليه الجواد والعدة لكنت أمسيت مقتول وما فى قلبى حسره إلا أن يكون جائعا وقد ندمت كيف انى أهينه ولم احفظ قدره فقالت زوجته أما جوعه فلا تحمل همه فانا أمس وهبت له ناقة فاكلها فقال ويلك لم لا اعلمتينى حتى كنت اطعمه

ناقتين ليكون أشد علي الأعداء قال الراوى وبينما هو مع زوجته في الكلام والغبار قد علا وزاد حتى ارتجت من حوله الاقطار فرأى معد يكرب عساكر الاعادى قد قتلت فسر بذلك وبشر النساء وقال كسر والله عمرو جيش الأعداء بحملاته ولما علم النسوان بذلك ارتفع منهم الصياح وتباشرن بالافراح وكان عمرو قد وصل إلى صاحب العلم وطعنه فى فاه اخرج الرمح من نقرة قفاه وزعق بعده فى موكب الأعداء فرقها وأدرك الملك الاشعث وقد عول على الهرب فضربه بقوة ساعده طير رأسه عن جسده ولما ابصرت العرب أنه قد قتل أميرها طلبت كل قبيلة منها ديارها لأن أكثرها كانت سائرة معه بغير اختيارها وما امسى المساء وقد بقى حول بنى زبيد أحد من تلك الخلائق وعاد رجال الحلة حول عمرو وهم يشكرونه ويثنون عليه وقد اشتغلوا به عن نهب الأموال وعجبوا منه كيف نقله الله تعالى من حال إلى حال وابصر عمرو اجتماع القبيلة حواليه وثناءهم عليه فقال يا بنى عمى لو اتى اليكم من يطالبكم بخراج أو بعداد الحقته بقوم عاد وأنا اقنع منكم كل يوم بناقة واى عدو قصدكم التقوه بى ولا تحوجونى إلى زاد فقال بنو زبيد ياعمرو وما بقينا نريد حامية سواك ولا يكون علينا مقدما الا انت ثم عادوا وكان فى حال عودته قد تنبه جنانه وسمح بالشعر خاطره ونطق به لسانه وأضاء قلبه باذن الله سبحانه وتعالى فذكر الواقعة التى جرت فسار ينشد ويقول صلوا على الرسول

يابنى العم عجلوا إلى بزاد	واتقوا بى وقع السيوف الحداد
لاتعيبوا على ما كنت فيه	من خلاص فقد محاه رشادى
كان أبى السر اخفاه فلما	نفذ الأمر أصبح السر بادى
قدعينى ياام اكسب مجدا	وعلا مادامت احدى قيادى
ماافتخار الفتى بخز وبز	ولباس الحرير والابراد
فابشروا يابنى زبيد بليث	حاميا للحريم والاولاد
يوم قد غاب امسه ثم اضحى	بعدما كان ناقصا فى ازدياد
فو حق المقام والبيت والحجيج	وساع اليه من كل وادى
لاجولن طلبا فلك	المجد ببيض الظبا وسمر الصعاد
وارد العدا بكل غلام	ساهر لايذوق طعم الرقاد
وإذا مااقبلت خلفت ذكرى	مثلا لايزول بين العباد

قال الراوى ولما وصل إلى الخيام تلقته النسوان بالفرح والاستبشار وهو امه واخوته

عاقد ظهر فيه من الشجاعة وبات كل من فى الحى يتعجبون من حديثه وفعاله وفصاحته ومقاله ونزل فى قلب أبيه معد يكرب المنزلة العظيمة حتى قدمه على أخيه عبد الله الذى كان قد أوصى له بالتقدم من بعده وكان عمرو قد أخذ درع الأشعث وجواده وأشياء تساوى أموالا كثيرة لأنه كان ملكا جليلا ومن جملة عدته صمصامه ما اقتنت مثله الملوك قال ثم تفرس عمرو من ذلك العام وواظب على الغارات والغزوات وهانت عنده البليات واستقر بنفسه النائبات واستفرد على صيد الأسود من الغابات وجز نواصى السادات وشاع ذكره وأتته الهدايا والتحف من ملوك البلاد وحملت القبائل له النفارة وكثرت أمواله وهابت أفعاله السادات ومات أبوه وشرب كأس حمامه واتفق هو وأخوه على الأعداء ورسم له ميدانا وجعل حوله خيام المسافرين والضيفان وقصدته الفرسان من كل ناحية وبارز الأبطال والشجعان وقهر فرسان القبائل وكل بطل حلاحل وأقرت له بالغلبة حماة القبائل ووهب وتكرم وكثرت عبيده والخدم وتحدثت البنات بحسنه وجماله وشجاعته وملاحته وفصاحته قال الراوى وفى بعض الأعوام حج إلى بيت الله الحرام وزار الكعبة واجتمع بسادات العرب والزوار وملوك الأقطار فزاد فخاره نخار وما بقى من الملوك أحد إلا احضره وأكرمه وخلع عليه وخدمه لأجل شجاعته ومروءته ونظروا إلى عظم خلقته وعذوبة منطقه قال الراوى وكان فى أرض حضرموت ملك يقال له زياد بن أكل الاكباد والمرائر وكان ملكا شديد العزمة والصولة قوى الهيبة عظيم النخوة مستقيم الدولة كثير الأموال والرجال والجيوش والأبطال وكان معدودا من جملة الملوك المتوجة أصحاب الاكاليل والتيجان والاقاليم والبلدان وكان له بنت يقال لها غفران وقد أعطيت من الجمال والاحسان مالا يقدر أن يصفه إنسان وكانت الملوك يخطبونها والفرسان يطلبونها وهو يقول أنا ما أزوج ابنتى غفران ولا أسمح بها لاحد من ملوك الزمان ولا أملكها الا لرجل قد كمل بالحسن والجمال والشجاعة عند ملتقى الرجال ودعه يكون فقيرا بلا مال ولا نوق ولا جمال لأن فى الخلق من يكون كثير الأموال خاليا من الشجاعة والجمال وفيهم من يعطى هذه الصفة ويكون حظة الفقر والاقلال وأريد لابنتى من يسر قلبها إذا صاحبها وضاجعها فى المنام ويحميها من بعدى إذا أنا شربت كأس الحمام ومازال كذلك يرد الخطاب ويمنع الطلاب حتى قال له وزيره أيها السيد هذا الذى تريده لا يقدر أحد عليه فافعل ما أقول لك عليه فقال وما هو أنى لا اخالفك فيما تقول فقال الوزير أنت تعلم أن فى كل عام تجتمع العرب وفرسانها فى البيت الحرام والصواب أنك ترسل بعض حجابك بحلة سنية وصفحة

هندية وفرس عربية إلى الكعبة البهية وتأمره أن ينادى فى الحرم إذا وصل إليه فتجتمع حوله القبائل والفرسان ومن شهدت له الفرسان أنه قد استكمل هذه الصفات فتأمره أنه إذا رآه فيأتى به إليك وتحكمه فى نعمتك وتزوجه ابنتك وتقضى شهوتك وتبلغ إرادتك فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام صغى إليه وأنفذ بعض حجابه وكان جليل القدر حسن السياسة وأوصاه بالاجتهاد فى ذلك فأجاب بالسمع والطاعة وسار يطلب البيت الحرام من تلك الساعة قال وكان وصوله فى العام الذى حج فيه عمرو بن معديكرب الزبيدى لأن الله سبحانه وتعالى إذا اراد سعادة الرجل سبب له أسباب لا يهتدى إليها أولوا الأمر ثم أن الحاجب لما وصل إلى الكعبه وأبصر ما حولها من الأمم فعل كما أمره صاحبه وكان قد حج فى تلك السنة جماعة عن الفرسان العرب منهم يزيد بن عبد المدان وعروة ابن مسيكة والأصيل بن شرجبيل وجعفر بن عقيل وغيرهم من الأبطال الذين تضرب بهم الأمثال فلما سمع النداء فى الحرم جميع القبائل تبادروا إليه من كل جانب واجتمعوا حول الحاجب وعرفوا القصة على حقيقتها فتقدم يزيد بن عبد المدان ليلبس الخلعة ويركب الجواد فقال له بعض سادات بنى قحطان يا يزيد كيف تتقدم على عمر بن معد يكب وقد حضرت ميدانه وصرت من بعض أعوانه وشدت لنفسك بالعزعن ضربه وطعانه فاستحى يزيد بن عبد المدان وتاخر وتقدم من بعده عروة بن مسيكة العنبرى فقيل له مثل ذلك وما زالت الفرسان تسمع النداء وتتقدم تتأخر حتى بلغت النوبه إلى عمرو وقد علمت بالهيكل والقدر الذى وصفناه به فضجت السادات لقدومه وهنوه بما قد وصل إليه من الشكر والثناء ووصفوه عند الحاجب بالشجاعة والملاحة والكرم وقالوا هذا الرجل أحق منا بهذه القضية فتبسم عمرو وتقدم ولبس الخلعه وركب الجواد الأدهم وتقلد بالسيف وكان محلى بالجوهر المثمن فقال له الحاجب الذى أتى بالخلعة إن صاحبى قد أمرنى أن لا أسلم هذه الخلعة إلا إلى شجيع العرب واحسنها وأنت ما الذى بلغ من حسنك وجمالك فقال عمرو أما الذى بلغ من جمالى فإنه ما نظرتنى قط امرأة من سادات العرب الاحرار أصحاب النسب إلا سألتى وأما البنات فإنهم افتتن بى يوما فيهن إلا من تمنت نظرى وسالت عن خبرى حتى رملة ابنة الملك الحارث باخت باسمى إلى أترابها وقالت ليت بعلى كعمرو ولما بلغنى ذلك علمت أنى قد بلغت رتبة الجمال فقال الحاجب يا سادات العرب أصدق عمرو فى المقالة فقالوا نعم وحق من أرسى الجبال فقال الحاجب وما الذى بلغ من شجاعتك وجسارتك فقال عمرو فالذى بلغ من شجاعتى أنى

مازلت أطرق أحياء العرب فى الليل والنهار حتى هججتها فى القفار وصار الرجل منهم إذا خطب ابنته أحد غريب يمتنع ولا يزوجها إلى لأهل عشيرته خوفا أن القاها فى الصريق فأخذها سبية وسمعت ان منازل بن النهال سار إلى بنى جلهمة وخطب ابنة حسان وبذل لها من المهر مايعجز عن وصفه كل انسان فقال له حسان يامنازل ماأنت إلا كفؤ كريم وسيد عظيم ولكن يا وجه العرب ما أقدر أخرج ابنتى من عشيرتى ولا أظهرها من قبيلتى مادام عمرو بن معديكرب يركب الخيل ويعسف فى الليل وقال فى ذلك هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

منازل ما أعرضت عنك ملالة ... ولكننى أخشى على البنت من عمرو
فتى أينما سرنا وسارت ركابنا ... رأينا خيالا منه قدامنا يسرى
فلا الليل يثنى عزمه عن ملمة ... ولا نائبات الدهر تفنيه من عمرو
فمن كل أرض قد سبى بنت سيد ... وافنى ليوث الحرب بالبيض والسمر

قال الراوى فعند ذلك قال الحاجب ما تقولون يا سادات العرب فيما يقول عمرو فقالوا اصدق فيما قال فقال الحاجب ياعمرو فماالذى بلغ من جسارتك وهجومك فى الليالى المظلمات فقال عمرو الذى بلغ من جسارتى أنى ركبت بعض الأيام أطلب الغزو إلى بعض أحياء العرب حتى وصلت إلى بنى هوازن وأردت أن أدخل اليهم فى الليل وإذا بصوت من فؤاد مجروح يقول هل هنا من يوصل خبرى إلى بنى زبيد ليدركنا فارسنا المنتخب عمرو بن معد يكرب لعله يبادر إلى خلاصنا قبل الهلاك والعطب فلما سمعت الصوت لهبت النار فى فؤادى فترجلت عن ظهر جوادى وقلت لاصحابى لاتنزلوا من مكانكم إلى الصباح فان عدت اليكم والا فارجعوا إلى قومى وانعونى إلى أخى فان صوت هذا المنادى قد أشجى فؤادى وأريد أخاطر فى خلاصة بروحى حتى أبلغ مرادى ثم سللت حسامى وطلبت الخيام تحت ستور الظلام ووصلت إلى الاسارى لأنى كنت اسمع كلامهم وشكواهم فدنوت منهم وقطعت كتافاتهم وقلت لهم اتبعونى فانى عمرو فتبعنى القوم وماقاربت قومى حتى ثار خلفى الفرسان فركبت جوادى وقاتلتهم فاهلكت منهم الابطال وصحت فيهم عودوا إلى وراءكم فانا أبو ثور عمرو فارس بنى زبيد فارس الأقطار فلما سمعوا ذلك رجعوا من قدامى ورجعت مسرورا بخلاص بنى عمى وكان القوم سبعة نفار ثم رجعت أطلب قومى وأتذكر ما جرى وأنشد وأقول صلوا على طه الرسول

ألم ترانى أنى فارس البيد والقفر ... أخوض عجاج الطعن بالبر والبحر
سمعت المنادى فى الدجا فعرفته ... فغاب رشادى من تدانى ياعمرى
فقلت لصحبى ارفقوا بى فاننى ... أعود اليكم قبل اضاءة الفجر
واشهدت سيفى ثم بادرت نحوهم ... بعزم يقد الصلب من جامد الصخر
يزيد وسفيان ووهب ومالك ... وسعد وعلوان وسابعهم جبرى
ولما انتهى الخيل فرقت جمعهم ... بطعن كشخص الموت فى قلبه شرى
ونجيت أسرى مدجج من هوازن ... ولا مسنى خوف ولا خانتى صبرى

قال الراوى ثم قال الحاجب سمعتم أنتم ياسادات العرب بهذه الأنباء فقالوا انعم وحق من رفع السماء ثم تقدم منهم رجل شيخ من مشايخ العرب وقال لحاجب الملك ياوجه العرب لا تطول العبارة ما أخذ الخلعة الا مستحقها ومن هو أولى بها من كل أحد ثم أشار يقول صلوا على طه الرسول

أيها المرسل الصلات إلى البيت ... بسيف وخلعـــة وجـــواد
أخبرنى وأنت غير ملوم ... لصلاح أتيت لا لفساد
أعط عمراً وما بلومك فى الناس ... ودع قول معشر الحساد
ليس قيس ومروة بن مسيكة ... وابن صبيان من قبيل مراد
فلعمرو وقائع لو حضرها ... غيره ما رأى من الموت فادى

(قال الراوى) ثم تفرقت العرب وأخذ الحاجب عمرو إلى جانبه وأحضر له الطعام والمدام وأكرمه غاية الاكرام وقال له أبشر بما قد نلته من السعاده بما ترى عند صاحبى من الكرامه لأن له سنين يسأل عمن كمل بالفصاحة والملاحه حتى يتخذه نديما ويساويه بما هو فيه من النعم حديثا وقديما ومابقى غير المسير معى حتى يرتفع عند صاحبى قدرك وأنا أعلم أنه إذا رأى شجاعتك وحسنك ومالك من الإحسان يزوجك بابنته غفران ويساويك بملوك الزمان لان هذه الجاريه ما يوجد مثلها عند كسرى صاحب الايوان فقال عمرو وقد فرح فرحا شديدا أعلم أيها السيد أن الذى جرى هو لعلو قدرى ولكن يمنعنى عن المسير معك أمر وأريد منك أن تبسط لى العذر وتصبر على حتى أرد أهلى سالمين وأخبر قومى بما جرى وبعد ذلك ألحقك عند صاحبك فقال له كم تكون المهلة فقال عمرو أكثر ما يكون أربعين يوما فقال الحاجب وان كنت سالما من نكبات الدهر فأجابه إلى ذلك وافترقا من يومهم على ذلك وعاد عمرو بأهله إلى الديار والدنيا لم تسه من شدة .

الفرح بعلو مجده وفى عودته نزل على بنى مراد وكانت الجارية لميس بنت همام الغطفانى الذى شكا عروة حمها العنتر قد أتت مع امها وأبيها إلى القوم زوارا كما قد ذكرنا وأبصرتها كبشة أخت عمرو فى مدة مقامهم ووصفت لأخيها مافيها من الحسن والجمال وأشارت عليه أن يخطبها وقالت له ياعمرو أن فاتتك هذه الجاريه لاتجد مثلها فى الدنيا وكان قصدها أن تعوقه بالزواج حتى ألا يقيم عند الملك الذى قد بعث خلفه ولربما يتخلف عن دياره ووطانه وكيف يتساهن وقد تعودن منه الحمى والستر إلا أن عمرو لما سمع بذكر لميس اشتغل قلبه بها لكثره رغبته فى النساء وما برح حتى أبصر الجارية فسلبت فؤاده وقال لولا أننى رهنت لسانى عند صاحب الملك وعاهدته انى اسير اليه والا ما كنت تبعته ابدا لاننى ما أعلم هل يطيب لى المقام أم لا وهل يزوجنى بابنته ام لا والرأى انى لا أترك هذه الجارية تفوتنى بل أجعل هذه السفرة برسم مهرها واعود وآخذها ثم أتى إلى أبيها وخطبتها منه ورغبة فى المال فزوجه بها وأعطاه بدا بعد ماشاور بنى عمه فاشاروا عليه بذلك ووصفوا مافى عمرو من الفروسية ففرح همام بذلك وعاد إلى بنى غطفان وعمل شغل أبنته وقد وصل الخبر إلى أهله وخاف أن يفوته الاجل الذى قد أجله فتجهز من ساعته وسار من بنى زبيد فى الخمسه فوارس الذين كان يعتمد عليهم الا انه جد فى قطع أراضى حضرموت وقد أخذ معه عشر جنائب مسومة مجللة بجلالات الابريسم وعشرة سيوف قواطع محليات بالذهب الوهاج وجماعة من العبيد الاجواد وعشر مولدات هدية للملك الذى توجه اليه وما زال يطوى المراحل حتى أشرف على القوم فى الحادى والأربعين إلا انه لما وصل أبصر برا واسعا وعيونا نابعة ومروجا يانعة وخلقا كثيرا وخياما ومضارب فتعجب من ذلك ثم أنه لم يزل طالبا السواد الاعظم والخيام الابريسم وإذا بالملك قد ركب فى موكب عظيم وهو بينهم وعليه هيبة ووقار وكان ركوبه فى ذلك اليوم لأجل عمرو وملتقاه لان حاجبه لما عاد اليه أخبره بما جرى له فى البيت الحرام ووصف له عمرو وكيف أعطاه الخلعة المقدم وكرها وذكر له مافيه من الحسن والجمال وذكر أنه فى اليوم الواحد والاربعين يكون عندنا فقال الملك هذا الذى كنت اطلبه ثم أقام حتى قرب حلول الأجل وصار كل يوم يركب ويوسع فى الفلاة يطلب عمرو فاشرف عمرو وأبصر الملك فرسان بنى زبيد فعندها خرج الحاجب فلما قاربه دنا منه واعتنقه وقال ياعمرو لولا أنك اتيت هذا اليوم لكان صاحبى قد كذبنى فى مقالى ثم عاد إلى الملك واخبره بوصول عمرو فعلا الصياح وبان السرور وفرا والتقوا عمرا احسن ملتقى

وترجل عمرو بن معد يكرب ومن معه ودعوا له بطول العمر والبقاء ولما عادوا إلى ظهور الخيل باسط الملك عمرو فى الطريق بالحديث وصار ويكثر نظره إليه وقد أعجبه حسنه وجماله فامر عبيده ان تضرب له سرداقا من الديباج بجانب سرادقه ونقل اليه كل ما يحتاج من الاوانى والآلات واكرمه غاية الاكرام واوقف الخدم فى خدمته ووقع فى قلبه محبته وترك ذلك اليوم لاجل الراحة فأراح واستراح ومن الغد حضر الملك إلى حضرته وكان قدم قدامه الشراب وصنع وليمة عظيمة ومازجه وحادثه فرآه فصيح اللسان كامل الحسن والاحسان فزاد رغبة فيه ونزل فى قلبه المنزلة الرفيعة ومازال على مثل ذلك الحال ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ركب الملك إلى ميدانه واحضر كل من يعتمد عليه من أبطاله وفرسانه وأمرهم أن يطاعنوا اقدام عمرو لان الملك يريد أن ينظر طرفا من شجاعته لكنه يستحى أن يأمر بذلك فضرب عمرو بما فى خاطر الملك فأخذ سنان رمحه وحمل على الابطال وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف ومن شدة ما وقع للملك من محبته أن أزوجه بابنته غفران وزفها عليه بجارية كأنها قضيب بان وغزال عطشان أوهلال شعبان فنظر عمرو ذلك الحسن والجمال والقد والكمال والنعم والاموال فاستحى أن يخاطب الملك فى العودة إلى أهله فشكا ذلك إلى زوجته وأمرها أن يستأذن أباها فى المسير معه وكانت قد افتتنت به واحبته محبة عظيمة فلما رأته يشتكى اليها شوقه الى أهله خافت أن يزيد به الشوق فيمضى بغير علمها فتهلك فعند ذلك استأذنت أباها بذلك وأخبرته بما فى قلبها وقالت فى آخر كلامها وأن راح من عندى بغير علمى قتلت روحى بعد فقال أبوها يا بنتى أنا ما فعلت ذلك كله وأعلم أن بعلك كفؤ كريم قادر على حماية الحريم ولابد له من أهله ثم أنه عمل شغل ابنته فى عشرة أيام بكل ما قدر عليه سيرها سير بنات الملوك بالخيل والجنائب والاعلام والمضارب والهوادج والعبيد والخدم والصناديق والابطال والمال الممدود والخيرات التى ليس لها حدود والجوار الابكار النهود ولما نجز أمرها وسارت مع بعلها سار أبوها وداعها ذلك اليوم ومن الغد عاد بعدما أوصى عمرو بن معد يكرب بان لا يقطع زيارته ولايكتم عنه حال ابنته على مر الليالى والايام والشهور والأعوام فقال يامولاى إن لسانى قصير عن شكرها أو ليتنى من الاحسان وان لم أرع ما استودعتنى فما اكون عمرو بن معد يكرب ولا أصدق بعدها وأكون موصوفا

بالكذب ثم ان عمروا سار يقطع القفاو يطلب الديار وكان قد عول الملك أن يسير مع ابنته خيلا تخفرها فأبى عمرو ذلك وقال يا مولاى هذا شيء لا أفعله لئلا تقول فرسان العرب عنى أخذ زوجته بخفير وسار يقطع القفار مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس شكت الجارية إلى عمر من حك الركاب وتواصل السير وصوت وقع حوافر الخيل والدواب لأنها كانت رقيقة المزاج والبشرة مترهفة البدن من منذ خلقت ما فارقت الجدار ولا خرجت من الوطن فاورثها ذلك مرضا ووهنا فصعب على عمرو حالها وصار يقرب لها المراحل ويقيم من أجلها على المناهل وهى كلما سارت اشتد مرضها فزاد حتى امتنعت عن أكل الزاد وقام عمرو فى البر تمام الشهر أيام وفى اليوم الحادى عشر شربت كاس الحمام وجرى على عمرو من اجلها ما لم يجر على واحد وقال واخجلتاه يوم الملتقى ثم أمر جوارها أن يواريها تحت الثرى وبكت حولها الكواعب الأتراب وحار عمرو فى قصته وافتكر فى نوبته فقال له رجل من بنى عمه يا عمرو وما الذى تقدر ان تعمل فى الموت الذى قد أعيا من قبلك الحكماء والكهان والعلماء وما سلم منه وبعجب من مفارقة الاجساد والارواح فالصواب أنك تشكر الرب القديم الدائم البقاء الذى جعلك نجما لمن يعاديك محرقا لم تزل وأنت على كل حال فى عنفوان الشباب تسير وبنات العرب كثير ولك عروس مثل القمر المنير وهى لميس بنت هما الغطفانية ذات الفعل والدبير وربما تكون هذه الاسباب بسعادتها وبختها والصواب أنك تسير من ههنا إلى بنى غطفان وتسلم الجوهرية من هذه الأموال ماشئت وتأخذ زوجتك وتعود بها فى هذا الهودج وتطلب حلتك حتى يكون سرورك قد اتصل والهم والحزن عنك قد انفصل ومازال الرجل يحدل عمرو ويهون عليه الأمر حتى قبل رأيه وسار يطلب ديار بنى غطفان ومازال السائر إلى أن وصل اليها وقدم عليها وعلم به القوم فخرجوا اليه وأكرموا مثواه وما فى العشير إلا من هنأ أبا لميس بما وصل اليه من مهر ابنته وفرحوا بعمرو بن معد يكرب الزبيدى وقالوا هذا يكون حاميه لنا من النوائب وحصنا نأوى اليه إذا جالت علينا فرسان الأعادى قال الراوى ونزل عمرو وعلى بعض الغدران وضربت له العبيد المضارب والخيام وأقام ذلك اليوم فى دعوة صهره همام ومن الغد حمل اليه من الأموال ما أغناه ومن الرجال ما ذهلت به عيناه وطالبه بزواج ابنته فأجاب إلى ذلك وأخذ فى تدابير أمرها وقد ذكرنا عنتر أوصى أخته مروة أن تعلمه بخبر عمرو بن معد يكرب إذا أتى بزوجه لميس لاجل أن يكمن له عند عودته ويأخذ منه لعروة ابن الورد وكان عروة أيضاً أوصى سلمى بمثل ذلك فلما وصل عمرو الى بنى غطفان رجرى فاجتمعت مروة بسلمى واتفقتا على انفاذ بعض العبيد وكان عنتر من حين وصل إلى الديار وقربه

القرار قد واظب على الصيد والقنص وشرب الراح واستراح من م اناة الحرب والكفاح واختلس الأيام بالهناء بتبادل اقداح المدام ومعاشرة الكرام وكان يقضى نهاره بذلك وليله بمعانقة عبلة ابنة مالك إلا إنه لما وصل العبد ون عند أخته يخبر بزواج عمرو ما كان عنتر حاضرا بل كان توجه لجلب المدام هو ومقرى الوحش وأبوه شداد فاخبر العبد وزاد به الوجد والغرام وخاف إنه إن أقام فى انتظام عنتر يفوته الأمر ويسير بمحبوبته عمرو فأخذ من رجاله خمسين فارسا وسار فى الليل حتى قارب الديار وعدل برجاله إلى واد يعلم أنه لا بد لعمرو عند عودته من العبور فيه وترك أصحابه هنالك وأوصاهم باليقظة والاحتراز وقد غير زيه وسار إلى بنى غطفان ليبصر ما تجدد من حوادث الزمان وخاف أن يكون عمرو أخذ العروس وما ناله من السعى اليها إلا الخسران فشارف الخيام وقت الضحى ووقت ينتظر من يسأله عما جرى فرأى الحى منقلبا بالأفراح منزعجا بالصياح مبتهجا بلمعان الصفاح وقد راج أمرهم وحسن حالهم وسمع صوت الإماء وهن يعلبن الدفوف والطار فعلم أن القوم انتهى شغلهم بلا انكار ولميس تزف عمرو فزاد به لهيب الجمر وسكر من غير خمر وتململ على ظهر جواده الاذعر وبقى حائر وفى أمره يتفكر ويتمنى حضور عنتر ، فبينما هو على مثل ذلك وإذا ببعض العبيد خارج من اطراف الخيام وفى يده كراع مشوى فناداه عروة وقال له يا مولد العرب أرى قومك فى أفراح زائدة وطرب هل عندكم وليمة لسيد من السادات أرباب الحسب والنسب فقال العبد نعم يا وجه العرب عندنا عرس ما صنع لأحد مثله من جاه وذهب ولا فى بلاد اليمن ولا كل من ضرب وترى أرضنا غارقة منه كالماء والليلة نزف عليه جارية أحسن من بدر السماء فقال عروة وقد طلب بالإطالة تحقيق ما هو فيه من سوء الحال يا مولد العرب من هى العروس ومن أبوها ومن بعلها فقال العبد اما بعلها فهو الفارس الكرار مشبع الأطيار صاحب الغارات المتواترة والأحاديث السائرة صاحب الحسب والنسب بلا كذب الأمير عمرو بن معديكرب وأما العروس فهى لميس بنت همام التى لا يوجد مثلها فى المدام والليلة ترى بعينها ما يسرها من الأسد الضرغام وتحمل إلى القبة الحمراء فاترك عنك السؤال فيما لا يعنيك والمراد دونك والزاد إن كنت جائع الفؤاد فاملا منه ، وعاك ولا تنتظر لما هنالك ثم أن العبد طلب الصحراء وبقى عروة لا يسمع ولا يرى ولا كأنه فى دار الدنيا وما كان له غير الرجوع إلى أصحابه وقد زاد فى مصابه فسار على أثره وجد فى السير وصل إلى أصحابه فى الليل واخبر وقال مال قلبى إلى بنت عذراء ولا تركت للعشق وعلى من سبيل إلا فى

هذه الحرة ذات الخد الاسيل واريد منكم النصيحة إذا عبر عمرو والمعاونة على هذا الامر
لانى سمعت به مرارا وقيل عنه أنه فارس كرار ولا بد لى مما أصادمه بصدوى وأبذل معه
جهدى وصبرى ولا أفارقه إلى أن أقتل أو أقتله وابلغ الأمل فقال رجاله يا أبا الابيض ما فينا
من يتخلى عنك حتى تذهب نفسه ويدخل فى رمسه فطب نفسا وقر عينا ولا يضيق صدرك
فاننا لا نحتاج إلى وصية هكذا وانتظروا العمر وفى الوادى وأقاموا له فى الانتظار بعدما ترك بعضهم
على رأس الوادى يكشف له الأخبار قال الراوى وزفت لميس على عمرو بن معديكرب فى
تلك الليلة فجلت عن فؤاده الهموم والكروب ولا أبصر مثلها فى بنات العرب وكذلك هى
أبصرت رجلا قد كمل بسائر الأوصاف ذا حسب ونسب قال وأصبحا وقد تألفت بينهما
المحبة وطابت لهم الصحبة ثم أن عمران ما قام فى بنى غطفان وأنها قد طالت فأذن له فى
العودة أراد أن يسير معه ببعض المال ثم تجهز وسار من يومه ببنت عمه لميس من بنات عمها وأبيها
من البنات وسرن معها إلى الليل وبتن عندها إلى وقت السحر فودعنها ورجعن إلى بيوتهن
وما زال يطارده وحش الفلا حتى قارب نصف النهار ووصل إلى الوادى الذى فيه عروة بن الورد
ورجاله وكان فى الوادى غدير فعول عمرو على النزول عليه بالخيل وإذا قد تبادرت
والرجال من الكمين قد ظهرت وعروة فى مقدمتها ينادى وافرحتاه بعد ترحات خابت آمالك
بالسر والخير وقد أتاك من هو أحق منك بزوجتك يا عمرو وثم طلبه وقد هانت عليه البواثق
لانه للجارية محب وعاشق وتجارت الخيل خلفه مثل البواشق وأبصر عمرو يتبسم عجبا وزاد
فرحا وطربا وما زال ينتظر الفوارس حتى خرج من الكمين خمسين فارسا فهانت عليه فقال
لصحبه وذمة العرب لا يحمل معى منكم أحد ولا يعاوننى على هؤلاء القوم بل احفظوا أنتم
الهودج وتفرجوا على هؤلاء الأنذال كيف اطرحهم على الرمال لان لى مدة ما خضبت سنانى
ولا سقيت من الدماء حسامى ثم زعق فى الحرب بالطعن والضرب وابصر باقى الرجال خبيرين
بالطعن والنزال وقد ادركوه فعطف عنه وتركه وحمل على تلك الفرسان وصار يبرى الرماح
بصمصامته ويكفكفها بمعرفته وخبرته حتى اتسع عليه المجال فقصد الطعن فى صدر الجواد
وما مضى عليه ساعة من النهار حتى طوح منهم خمسة عشر فارسا كرار ومددهم على روحه
الأرض والقفار وطعن فيهم بعقب الرمح طعنات قويات وتركهم مطروحين كالاموات ولما
وقعت هيبته فى القلوب والباقين وعاد إلى عروة بن الورد وكان قد قارب الهودج طمعا منه فى

العروس فرده الخمس فوارس ومنعوه عنها ورجع عمرو إليه رجوع الاسد إذا اشتد به الغضب والحرد فقاتله حتى أتعبه وطعنه فقلبه وشد كتافه فما زال يطعن المحارب بتواتر طعناته حتى أخذ منهم تمام الخمسة وعشرين إلى أن امسى المساء فولت العشرة الاخر تطلب الديار وقد سترها الظلام عن أعين النظار فلما هدات نيران القتال وانقضت الاشغال وشد عمرو الرحال امر اصحابه بالنزول وبات على الغدير فرحانا مسرورا إلا انه لما أكل الطعام



ودجا الظلام قدم عروة بن الورد وكان قد عرف انه عبسي وسمعه وقت حملاته ينادي باسم قومه فقال له من تكون من عبس وكيف قد سمعت بخبري فحكى له عروة القصة وذكر له أنه طلب لميس قبله وأنها كانت سمعت عليه من أيام الصبا ولكن ما هام بها حتى رآها وعاد فطلبها فرأى الامر قد فات فيها فقال عمرو ويلك إذا كنت قد عرضت عليك وما اردتها فلما ملكها مثلي عدت طلبتها على انني اعجب كيف لم يات معك عنتر بن شداد لاني قد سمعت انه كثير الفضول وأنا لي عليه ثار قديما لأنه قتل خالد بن محارب وسبى زوجته الجيداء واسراني في نوبة جبال الردم والآن فقد وقعت في يدي ولا بد لي ما اسير إلى قومي واسلمك إلى

اهل خائن ولكن ما اخليهم يقتلوك حتى يجيء عنتر يطلب خلاصك فان ظفرت به بلغت رتبته على المدى ومافيكم من يرجع إلى الأهل أبدا وان ظفر بي كنتم انتم لى فدا فقال عروة هذا الحديث لا بد ان يكون وإذا لقيته بانلك الفارس الكمى من المغبون واما ولك انه كثير الفضول فهذا قول جاهل لايعلم مايقول وما الرجل الافارس بهلول وعن قليل تراه فى أثرك فى هذه الديار وتصحح عند ماتلقاه الاخبار على أنه لوكان وقت مسيرى حاضرا فى العشيرة كان أتى معى وقضى الاشغال واظهر الحق من المحال لانه قط ما توجه فى أمر إلا ونال فيه غاية المنى والامال ولا قاتل عساكر الا ونادى ملك الموت فى أقطارها بالامناء والزوال فقال عمرو ياعروة وهذه الفروسية التى تصفها فيه ما قدرت أن تكسب شيئا منها مع صحبتك له فى هذه المدة فقال عروة لو لم أكتسب منه فروسية وثباتا عند الخطر والبؤس ما كنت كمنت لك لاخذ منك العروس على أننى ما أنا قطرة من سحابه ولا دمعه من شرابه لان الشجعان سعادة وعطاء من الله فتعجب عمرو من صفات عنتر وصار فى قلبه أثر واشتاق إلى لقاء كما تشتاق الارض العطشانة إلى وابل المطر وكانت زوجته قد بكت وخافت عند خروج الخيل عليه وخافت من أيدى المنايا أن تصل إليه فعاتبها على ذلك وقال لها يالميس لاتفزعى على من المهالك فما أنا ممن يفزع عليه فقالت لميس أنا قد سمعت بفعالك واخبرت بقتالك وقد ازدادت فيك المحبه والصواب أن تطلق هؤلاء العبسيين ولاتترك مثل عنتر لك من المبغضين لأننى رأيت أفعاله فقال عمرو ماهذا المقال وحق ذمة العرب لاليه الا قداءك وأتركه مطروحا فى البيداء ثم أخذ الراحة إلى وقت السحر وشد الأسارى على الجمال وسار يطلب الأهل والعيال ومازال يقطع البر والقفار حتى تضاحى النهار وتذكر عمرو بكاء زوجته وخوفها عليه من الأعداء وأعجبها غمالة وبلوغ المنى فشرع ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أجرت لميس الدمع من أجفانها ... وتبدلت من خوفها بأمانها
فزعا علي بأن أصاب وظنها ... أنى كمن فى الحى من فرسانها
قلت اتركى عنى كلامك واعلمى ... أنى أنا الأيام فى حدثانها
والخيل تعلم والفوارس أننى ... عند اللقا أسطو على فرسانها
وإذا الغبار علا وثار واقبلت ... أقرانها تدعو إلى أقرانها
لاقيتها وقبضت من فرسانها ... أرواحها وعفوت عن أبدانها

في كل أرض لي حديث شائع ... تتعاون الأبطال يوم طعانها
وإذا حضرت الأسد في غاباتها ... قطعتها في الليل عن أوطانها
وبنيت لي فـــوق الثريا غابة ... شمس الضحى والبدر من أركانها
فتحملا يا صاحبي رســـالة ... وعلى بني عبس قفا ببيانها
قولا لعبد بني عبس انني ... بذلت عز رجالها بهوانها
وأسرت عروة وهو ليث فارس ... حامي العشيرة من صروف زمانها
فلعـــله ياتي إلي يزورني ... وتجره الأقـــدار في أرسانها
وترى لميس بعينها من بعلها ... طعنا يبدل خوفها بامانهـا

(قال الراوي) وجد عمرو في السير تمام خمسة أيام وفي اليوم السادس أشرف على أرض يقال لها القتال وكانت أرض موحشة الآكام منقطعة عن العمران بعيدة عن السكان كثيرة الأوغال والأدحال فما هو إلا أن توسطها وصار بين أجماتها حتى رأى فرسه قد وقف ونخر وشخر ونشر ناصيته وتأخر وضرب بحوافره الأرض والحجر واجتمع حتى بقي مثل الحجر لا ينفع راكبه ولا ينهى صاحبه فقنعه عمرو بالسوط وزعق فيه فدخل بين الأدحال والشجر وسلك مسالك الخوف والخطر ومد عمرو عينيه فنظر وإذا بأسد قد ظهر طويل الشعر أغبر كبير الرأس غائر المحجر واسع المنخر طويل الأظافر يطير عن عينيه الشرر وتهتز منه الأقطار وإذا هم إلا أنه لما نظر عمرا كشر عن أنياب مثل الخنجر ومخالب مهوله النظر فهاله ما يضر وعلم أنه لا ينال منه ما يريد ولا يظفر به من مضيق المكان فلق الحصان فاعطى الأسد ظهره وعاد إلى الصحرا وحدث أصحابه بهوله وعاد يطلب الأسد وقلبه امتلا بالغيظ والحرد وخاف من زوجته أن تنظر اليه بعين النقصان لأجل الأسد وأشارت اليه تقول قد كنت أحسب ان أن عمر إذا رأى ليث العزيز بقر دكحمار مهين حتى رأيت الليث ثم رأيته لما رآه فرمته (قال الراوي) فلما سمع عمرو كلامها زاد جنونه وانقلبت عيونه فقال يا لميس لمثلي يقال هذا المقال ويفزع من سباع الدحال وقد أخذه الغضب وتقدم اليه وشمر عن ساعده وساوى الأسد في وثبته وضربه بصارمه فحكم بين عينيه فلم يقطع إلى أن خرج من بين فخذيه ومسح سيفه في جلد الأسد تعجبوا من فعاله وقوة جلاده وقد انذهل عروة من فعاله وشدة تخبره وقال ما رأيت مثل هذه الضربة إلا لعنتر بن شداد قال الراوي وسار عمرو وقد سكن غيظه وهو يعاتب لميس على مقالها وظنها فيه ويقول يا ابنة عمما مثلك يحتقر بي

عند تأخرى عن الأسد وهو اهون الأشياء على فقالت له ياعمرو وياسيد الفرسان أنا كنت أمزح معك لاجل ما فعلت من الفعال التى تعجز عنها صناديد الرجال وانى أحضك بهذه الكلمات التى سمحت بهن الخواطر لما ضربته هذه الضربة حيرت النواظر فلما سمع عمرو كلامها خف عنه غرامه وانجلت أحزانه وصار بعد ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أكبشه لو شهدت ببطن غاب ... وقد لاقى الهزبر أخاك عمرو
إذا لرأيت ليثا رام ليثا ... وليثك ذاك لا يخشى هزبرا
تظن لميس أن الليث مثلى ... وأقوى همة وأشـد صبرا
وانى خفتـه ورجعت عنه ... مخافه أن يمد إلى ظفرا
وقد خابت ظنون لميس فيه ... وأمسى البر خاليا منه قفرا
تاخر عنه مهرى إذ رآه ... فقلت له فلا وقيت مهرا
أنا قدمى يظهر الأرض أنى ... رأيت الأرض اثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى اتصالا ... بمحذوره ووجهه مستشرا
يدل بمخلب وبحد ناب ... وبالحظات تحبسهن جمرا
وقصدك تاتى للاسبال قوتا ... وقصدى اليوم انى قلت فخرا
فكيف تريد منى أن أولى ... وابتر فى يدى النفس قهرا
نصحتك نصح ذى شفق فحاذر ... فمالى لا تكن ياليت غرا
فلما طن انى قلت هزلا ... وخال بانى قد قلت هجرا
هززت له الحسام فقلت أنى ... صدعت به مع الظلماء فجرا
وكانت ضربتى من غير رعب ... فقدت جلده بطنـا وظهرا
فخر مضرجا بدم كأنى ... هدمت به بناتا مستمرا
وقلت له يعز على انى ... قتلت مناسى جلدا وصبرا
ولكن رميت شيا لم يرمه ... سواك فلم أطق يالث صبرا
تريد بان تعلمنى فزارا ... فقلت له لقد حاولت نكرا

قال الراوى ومازال على مثل ذلك يقطع القفار بالصيد وتمدح لميس بالأشعار حتى وصل أرض ذات المضارب فرأى بالقرب منها أوفى من ألف ناقة وألف جمل يسير سير منزعج بلا مهل وفى عرضها ومعه خمسين فارسا احرارا وعبيدا وكلهم مدرعون،

بالحديد مسربلون بالزرد النضيد وبين أيديهم فارس أسود كأنه شيطان مريد إلا أنه خالٍ من اللباس والزرد ومكشوف الرأس عليه ثوب خام مشرف القوام أدهم كأنه لون الظلام مسفر اللثام عيناه مثل المشاعل وللفروسية عليه شواهد ودلائل والخيل التي خلفه أخف من الطيور وعليها فرسان مثل الصقور فلما نظر عمرو ذلك أراد بعض بني عمه أن يركض ويكشف الأخبار وما هؤلاء الاقوام ومن جاءهم إلى هذه البرية ومن أي الناس هم وإذا بالفارس المقدم ذكره قد ميل إليه وقاربه وناداه من أنت من فرسان العرب إذ أرحالك والحسب والنسب لعل أن يكون ذلك بقة إلى السلامه سبب فقال عمرو بن معديكرب الزبيدى وقد تبسم بالعجب ويلك يا عبد السوء ارجع إلى وراك واطلب بقاك قبل محاقك وبلاك وحسبي أنا عمرو بن معديكرب الزبيدى المكنى بأبي ثور العبيد الفور ياسادة يا كرام قال الراوى فلما سمع الفارس المقدم ذكره كلام عمر وهز قناته ونبه جواده وقال أهلا وسهلا يا ابن معد يكرب وحق ذمة العرب اليوم يضيق عليك البر وتتعلم الأبطال منك الفر والكر لأن هذه الغنيمة التي معي من قومك سقته بعد ما جرحت أخاك عبد الله وقتلت جماعة من الفرسان من زبيد وفرقتهم في البيد وعدت كاترى أطلب تمام غنيمة من هذه الأرض فانفقت أنت لى حتى تكون المطالبة واحدة والسفرة محمودة العاقبه قال الراوى وكان هذا الفارس يقال له سليكة بن سليكة وكانت العرب تسميه غول البر وتعده من جبابرة الفرسان وتحترز على أنفسها منه في كل مكان لأنه ما كان يبقى على أحد لا عدو ولا صديق ولا يقر في أرض يوما ولا يعرف له وطن وكان يقاتل فارسا وراجل ويقطع خلفه الخيل الصواهل وكانت صورته منكرة قال الراوى وهو الفارس الذى كان عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه يصفه لأصحاب رسول الله ﷺ وكانت فرسان الإسلام إذا رأت قتاله هالتهم أفعاله ويسألونه عن فرسان الجاهلية فيصف لهم ما رأى من شجاعتهم وجسارتهم ويقول ما أشرفت على غدير قط ورأيت عليه سوادا وخفت إلا من عبدين وحرين فاما العبدان فعنتر بن شداد وسليك بن سلكة وأما الحران فعامر ابن الطفيل وزيد الخيل قال الراوى ولما التقى سليك بن سلكة عمرو بن معد يكرب فى ذلك اليوم ومعه لميس بنت همام وما كان اجتمع به قط ولا لقى فارسا إلا وأذله وقهره وكان قد رآه خاليا من السلاح مكشوف الرأس فقال له ويلك يا سليك لقد عرضت نفسك للهلاك وقد مشيت برجلك إلى أرض مالك بها فكاك أرجع إلى قومك والبس من الحديد ما يرد عنك طرق المهالك ويدفع عنك سنان الرمح المتدارك حتى لا يبقى لك عذر إذا آيست من الفرج ويقال عنى أن بن معد يكرب

استعجل على فارس بالحرب والمراس قبل أن يحترز بالعدة واللباس فقال سليك ويلك ياعمرو أنا لا أخاف ولا أحتاج إلى زرد ولا أخاف من السنان والحسام المهند وحق البيت الحرام لا لقيتك إلا بهذا الثوب الخام ولا تركن الفرسان تتحدث بفعالى عاما بعد عام وبعدما أعانق الليلة صاحبة الهودج وأنام (قال الراوى) وما كان من فرسان العرب أكثر محبة للنسوان من هذا الفارس الغضبان ومحبته هى التى حسرته على النوائب وهونت عليه البلاء والمصائب لأن أصحاب النسب والسادات ما كانوا يرون على أرواحهم أن يزوجوه بالبنات العربيات وكان من عزة نفسه ما يرضى أن يتزوج بالاماء فانتهى الأمر به إلى الهماو فى الفلوات واقتناص المخدرات لأنه ما ظفر ببنت إلا وهتكها ولا عربية إلا سباها ولما جرى بينه وبين عمرو هذا الكلام انطباق بعضهما على بعضنا انطباق الغمام وأخذ فى الطعان والصدام والفرار وغشيهم القتام ساعة النها واختبر بعضهما بعض غاية و اختبار وما جرى لأحد من فرسان العرب ما جرى لهذين الفارسين من البراز والصدام لانهما كانا مثل الجبلين إذا اصطدم بالابدان أو شبه الأسد إذا جالا فى الميدان (قال الراوى) ولما طال بينهما الأمر صعب على سليك أخذ عمرو فسل من تحت فخذه حربة أحد من البلاء وأمضى من المضاء وأخرج رجله من الركاب وصار على وجه الأرض ونادى ياعمرو احترز على نفسك من هذه الحربه لأنى كنت على ظهر الجواد بحكمك والآن صرت بحكم روحى ثم أطلق قدمية من الشكال فكان تارة يأتيه من يمينه وتارة يأتيه عن شماله وعمرو يرى قتاله فهاله أعماله وكانت لميس تصيح وتنخيه وهو مشتغل بما هو فيه فلما طال بينهما الأمر آيست لميس من عمرو وقالت لبنى عمة ياويلكم إلا تعينون ابن عمكم قبل ما ترون ما يغمكم فقالوا ياحرة العرب نخاف إذا حملنا لمعونته تنطلق علينا هذه الخمسون فارسا الذين مع هذا الشيطان ويكون هو الهلاك الأكبر فقالت لميس إذا كان الأمر كما ذكرتم وقد خفتم فما بقى لى الآن أخلى بنى عمى فى الوثاق تتحكم فيهم الأعداء ثم أنها خرجت من الهودج والقت نفسها إلى الأرض وسمعت إلى عروة وحلته من الشداد وأمرت عبيدها بحل الباقين وقالت لعروة أعلم يا ابن العم أن أحوالنا قد اشتهرت والأعداء علينا قد ظهرت الصواب أن تنجوا بأنفسكم قبل أن يعم شرنا عليكم على إن عمرو ما كان لكم فى نية ردية وما حملكم معه إلا لما وصفت عنتر قدامه وهو قد قال ولما يأتى عنتر ويطلب خلاصهم وأجرب روحى معه فإن ظفرت به بلغت من الفروسية المكان الرفيع واطلقه وأطلقهم معه وإن ظفر بى فديت روحى برفقاه واتخذته لى صديقا باقى عمرى والآن قد نزلت المقادير بخلاف التدابير وبلينا بهذا وجه الغول الذى قد حير

بفعاله العقول وما أظن أنه بقى لهم اليه وصول ولابدأن يمسى أحدهم مقتول فاذهبوا إلى ديار كم مادام عند كم مشغول وان قدرتم توصون خبرى ابى فافعلوا ليتسبب فى خلاصى ثم بكت وبكى عروة وقال ما بقينا نتخلى عنك بعدهذا المقال ولابد ان نبذل المجهود بين يديك فى القتال قال الراوى وقدذكرنا ما كان فى قلب عروة لها من المحبة فى قلبه أن عمرو ينتل ويخلف له ويتزوجها ويعود إلى أهله سالما وعملت معه نخوة العرب وكان قد بقى معه خمسة وعشرون فارسا لأنه كان أتى فى خمسين فارسا فقتل منهم خمسة عشر وانهزم الذى انهزم وبقى هؤلا لأنهم وثبوا على خيولهم وإذا بضيحة عظيمة ترهب القلوب فمدوا أعينهم الى نحوها واذا بسليك قدأتعب عمرو وضربه بالحربة التى كانت فى يده فخرقت الدرقة وكانت ثلاث أطباق وعبرت إلى الزردية ونفذت الى كتفه فرمته ونهض عليه سليك وشدة كتافه فقال عروة هذا وقت الاجتهاد فى حماية الحريم ثم صاح فى رجاله وحمل ومدوا إلى الاعداء اطراف الاسل وحملت الفرسان الذين كانت مع سليك والحرب بين الاثنين مشتبكة وكان المساء قد اقترب وفرق بينهم فى ظلمة الغيب ولو لا تعب سليك لقتل بنى عبس وافناهم إلا انه عاد وهو فرحان ثم قال لاصحابه اعلموا ان هذا الفارس الذى اسرته هو سيد بنى زبيد وما بقيت اطلقة الا بما اريد ولولاهذه الجارية قداستجارت بهؤلاء العبسين واطلقتهم وبكت بين أيديهم حتى قاتلوا عنها وما قصروا ولولا الظلام كناقد محقناهم وكانت العروس الليلة باتت ضجيعتى ولكن تفرقوا حولهم الى الصباح حتى لاياخذوها ويهربو الآنى تعبان والا كنت هجمت عليهم فى الظلام لأن الفارس الذى اسرته لا تلدمثله النساء ولو لا أنه يكون اوحد زمانه ما كان قعدأمامى الى المسا فتفرق رفقاه حول عروة ومن معه من الرجال ونزل بهم على تل عال وبات على حر المقالى من وجوه عديدة أولها أنه قد اجتمع بلبيس فى مكان غير امان والثانى انة خائف من سليك فقال لاصحابه ما كان احوجنا إلى عنتر لأنه كان يكشف عنا هذه الغمة يابنى اعمى هنوه بنيات صحاح وابعثوا انفاسكم اليه مع هبوب الرياح ثم زاد به الغرام فانشد يقول صلوا على الرسول

لو كانت الريح حقا تحمل الخبرا حملت ريح الصبا اخبارنا سحرا
إلى الهمام الذى ماسل صارمة الا وسال دم من من خده وجرى
ليثا ملاقى رجال الحرب مقتدرا وطعنة فى حشاها يسبق الحذرا

كأنما أنفس الأبطال فى يده ... فأيهم شاء فى يوم اللقا أسرا
ياليث عبس تداركنا فإن لنا ... ليلا نقضيه من خوف الغد سهرا
وقد رجونا عند الصبح تدركنا ... ومن دمائهم تروى الصارم الذكرا
فقد ظفرت بمن قد كنت همت بها ... ولاقضيت لها وصلا ولا نظرا
ولاصفا الدهر حتى لا أفوز بها ... ولا له عاد تصفو قط إذ كدرا
يابرق فى العلم السعدى لنا رجل ... أقضى تمنيه أن يسمع لنا خبرا
فامدد إليه بنانا منك وارشده ... إلى الحما فهو يقفو خلفنا الأثرا

(قال الراوى) ولما فرغ عروة من مقالة حتى توجعت رجالة ونام كل واحد منهم قنام جواده يحرس نفسة وحسامه فى يده مشهورو باتت ليس بين أترابها تذكر ماجرى لها وعلى جمالها تتحسر لأنها عند الصباح ماتدرى ماذا تلق ولما قارب الصباح قام سليك بن سلكة وليس عدة الحرب والكفاح ونادى فى رجاله وصاح وكان خف تعبه واستراح فقال لأصحابه دوروا بهؤلاء القوم حتى ننجز أمرهم فى هذا اليوم ونغدو فى أشغالنا مخافه يتفق لنابى البر مايعوقنا عن بلوغ آمالنا فهو فى الكلام وإذا وحدمن فرسانه أتى اليه وكان من الفرقه التى مسكت على بنى عبس الطريق الذى كان عمروا ابن معد يكرب أتى منها فقال لسليك قد رأينا الساعة وقد بتنا على ظهور الخيل أن عبدا واقفا ينظر إلينا وأذيال الدجا تستره لأننا لما رأيناه صحنا فيه وطلبناه فعاد على أثره مثل النمر إذا انذعر وغاب عنا فى البر الاقفر فطلبناه فما رأيناله أثرولا ندرى أى طريق سلك فقال سليك وأى شىء فى هذا مما يرتاب لأن الطرقات ماتخلو من طعن سائر أو قفل عابر ولاشك أن بعض الأطعان قد رأى سواد فأنكر أمرنا وأنفذ إلينا من يكشف أخبارنا وإن كان الأمر على ذلك فهو أمرهالك ثم أكثروا حول عروه الصياح وأشهروا فى وجوههم الصفاح وإذا بثلاث فوارس قد أقبلت مثل سهام المنايا إذا أرسلت ومقدمهم رجل أخف من الظبا وأسرع من ريح الصبا وهو يصيح يابنى العم قروا وأبشروا بالنصر وبشروا أعداءكم بالقتل والأسر فهذا حاميكم عنتر وصل إليكم تابعا لآثاركم من خوفه عليكم قال الراوى وأن هذه الفوارس قبل عنتر وهم أبو شداد ومقرى الوحش والرجل شيبوب فاننا قد ذكرنا أن عروة بن الورد لما سار من بنى عبس إلى بنى غطفان فى طلب عمرو بن معد يكدب ماكان عنتر حاضر فى العشيرة بل كان قد صار فى شىء من الخزرجما قضى حاجتة وعاد إلى الديار طلب لعروة فلم يجد له خبر افسأل عنه فاعلمه أعمامه

أنه قد أتى من عند أخته سلمى وتحدث معه بشيء ما أطلعنا عليه بل رأيناه قد أخذ من رجاله خمسين فارسا وسار إلى بنى غطفان وسألناه عن مسيره فقال أنا سائر إلى زيارة أختى وإن أتى عنتر وسأل عنى أخبروه بهذا فلما سمع عنتر بهذا الخبر علم أنه سار يلتقى عمرو بن معد يكرب لأن عنده من حديثه خبر فخاف على عروة ورجاله من عمرو وقال لمقرى الوحش أنا أعلم يا فارس النياق أن عروة يخسر من هذا الجبار وإن لم ندركه وإلا أهلكه ثم بات تلك الليلة عند عبلة حتى استراح وأخذ أباه ومقرى الوحش عند الصباح وجعل قصده أرض بنى غطفان لأنه قال من هناك نأخذ الأخبار وما زالوا سائرين إلى أن أشرف على ديار القوم وعرج أخوه شيبوب إلى المراعى وسأل عن قيس فأخبره العبيد بخبر العرس والزفاف فأعلموه أن عمرو سار من منذ أيام قلائل يطلب ديار بنى زبيد فلما سمع شيبوب ذلك عاد إلى أخيه وأخبره بما سمع فقال لأن انفضح البرهان وعلم أن عروة كمن لعمرو وعند عودته وإن صدق حذرى فإنه يقتله أو يأسره فاسلك بنا يا شيبوب الآثار في وسط البر والقفار واطلب بنا وادى ذيال ومنازل بنى زبيد فعمل شيبوب ما أمره وسار على الأثر وما زال كذلك حتى وصل إلى بنى زبيد الذى كان عروة قد كمن فيه لعمرو ومن هناك عرف أن عروة في الأسر والا قتل لأنه في تلك الأرض آثار المعمعة والقتال ورأى جماعة من بنى عبس قتلوا والذئاب من حولهم تعوى والطيور تحوم وتهوى فقال واحرباه هذا عروة بن الورد ورجاله قاده شقه إلى حتفه ووباله وأنا أقسم بحق من احتجب عن الأبصار وأوسع القفار لآخذن له بالثار ولا تبعه ولو غاص فى البحار وتعلق بالفلك الدوار فقال مقرى الوحشى يا أبا الفوارس لا تهتم لهذا الأمر ولا يضيق صدرك ابعد عمرو والرجل ماهو بعيد عنا وما هو إلا قريب منا لأن هؤلاء القتلى تدل على ذلك ثم جدوا المسير وقطعوا المفاوز والرحيل وشيبوب بين أيديهم يدلهم على الغدران والمناهل ويقتفى أقرب الطرقات والمنازل حتى أدركوا القوم كما ذكرنا وكان أشرافهم وقت الغلس أول مطلع النهار وبان الصباح وتنفس وأبصر شيبوب سوادهم وهم فى المقدمة ووقف وما زال حتى عرف أحوالهم وسمع أصواتهم ومقالهم وعاد إلى أخيه عنتر وأعلمه بالخبر وبما سمع وأبصر وجرى من القصة ما جرى وعرف عروة عنتر ومن معه عند حقيقة النظر فذهب عنه الهم واندفع هو ورجاله وصاح ثم مالوا إلى أصحابهم بالأفراح ونادى بعضهم إلى بعض ما أبركم من صباح وتلقوا حمانهم وحكى عروة لعنتر بما جرى عليه من عمرو بن معديكرب وما جرى لعمرو مع سليك بن سلكه وأخبره بالقصة على جليتها فقال عنتر أبشر بهلاك عداك وأنا قد خطر



بقلبي هذه الأسباب ولقد حمدت رب السماء الذى نجاك حتى لقيتك سالما من الاعداء
فتأهبوا للقتال وتقدموا لطلب الطعن والنزال وكان لما رآهم سليك وجماعته وقفوا ينظرون
اليهم والغبار قد انقشع فصاح سليك ويلكم يا بنى الاعمام ما وصل إلى أعدائكم غير هذه
الثلاثة فوارس فدونكم وهؤلاء الانذال فعند ذلك حملوا مثل السلاهب من كل ناحية
وجانب وكانوا فرسانا وقاح قد تعودوا بنهب الارواح فقاتلوا أشد قتال إلى أنهم ما طال
بينهما المطال إلا وقد طوى عنتر أكثرهم على الرمال وأبصر سليك طعنات عنتر لا تبقى ولا
تذر ونظر اليه وهو كيف ما حمل قتل وابن ما ضرب اعطب فوقعت فى قلوبهم هيبته وعرفوا
مقدار شجاعته وأبصر سليك أيضا قتاله فعلم أنه يفنى أبطاله فطلبه وانحط عليه انحطاط
العقاب وتلقاه عنتر البطل الوثاب فتطاعنا بالطوارق والقنا حتى تقارب الموت منهم ودنا
وأيقنت الارواح بالفنا وتقلدوا بالامانى لعلهما أن يبلغا المنى وتقصفت عوالى الرماح
وتثلمت البيض الصفاح واشتعلت نيران الكفاح وضاقت الصـــــدور وبهتت المقل
الصحاح وتقضى أكثر النهار وعلا الغبار وسطا مقرى الوحش على باقى العرب ونثر
أكثرهم بالسيف اليمانى السنان وكذلك فعل شداد بالابطال وأما عروة بن الورد فانه
شفى فؤاده وبلغ من الأعداء مراده وعلم سليك أنه خاسر من كل الجهات وأبصر من
عنتر ما لا يعهده قبل هذه الأوقات واسودت فى عينيه اقطار الفلوات وخاف من نزول.

والآفات ومن شدة ماجرى عليه أخرج من تحت فخذه المزاريق ووثب على وجه الأرض قائماً على قدميه وأراد أن يفعل بعنتر كما فعل بعمرو وعادت عيناه من شدة الغيظ مثل لظى الجمر فسمى وحال وطلب خصمه واليه مال ورآه عنتر وقد عمل هذه الأعمال فخاف عنتر على جواده الابجر من شره وقد فترجل إلى الأرض والمهاد وجالد خصمه أشد جلاد هذا وشيبوب دائر من حواليه ويرد سليك بن سلكه ويرعاه من غدر اعداءه هذه ولم يزالوا فى عراك وقبال وإدبار إلى أن عول النهار على الارتحـــال ولم ينفصلوا عن بعضهم البعض وقدردوا بارجلها رجال الأرض وقد ضاق سليك بن سلكه الحال وايقن بخيبة الآمال فاستقبل عنتر فى الحال كان فى يده حربة ماضية الآجال وتقصر الأعمال الطوال فزوجها اليه وقد ظن أنها تقضى عليه إلى أن وصلت اليه فخطفها من الهواء بشدة حيله والقوى وحد وراءه وسيع الفلا فلما نظر سليك إلى فعل عنتر انذهل وتحير فما كان منه إلا أنه ولى من أمامه هاربا وإلى النجاة طالبا وقد خاف على نفسه من المعاطب فعند ذلك زعق عنتر على الرجال ونبه فى الحال الأبطال وقال هيا اتبعوا هذا ولد الأنذال الذى خلف من حلول الاجال فمندها زعقت الفرسان وجدت وراء الشجعان وطلبته الخيل من اليمين والشمال وقد هرب أيضاً عرب سليك فى وسيع الرمال وقد تبعهم فرسان عنتر الفارس الرئبال وقد أرخى الليل عليهم سربال وهذا سليك يهمز همزات الغزال لما نظر تتابع الرجال وهو يجرى مثل السهم وصار له مقاربا لأنه كان يتبع المهزمين فى وسيع السباسب إلى أن غابنا عنه وقد أظلمت الغياهب فغاب عنهم وقد لقى سليكا كما قدمنا فحمل عليه واراد أن يؤثر اذية اليه وقد استقبله بطعنة من وراءه واراد أن يعجل بها فناه فنظره سليك وهو اليه قاصد فتجنبه وزج اليه حربة كانت فى يده وحررها عليه فخرجت من يد وفرهاربا إلى النجاطا لبا وتم على حاله هذا والخيل حدرا من وراءه شيبوب يجرى فى وسيع الفلا إلى ان غاب عنهم فى الأقطار وقد ابتلعته طوات القفار حتى دجا الليل واظلم الظلام وضاع منهم فى البرارى والآكام وانقطت وراء الخيول الجياد عادت الفرسان خائبة من بلوغ المراد ومابقى على أثره الا شيبوب ولكن ماجسر ان يقف خلفه فى البراء فى الليل فعاد عنه فجمعوا الخيول والاسلاب والنوق التى كانت مع سليك وكان قد ساقها من بنى زبيد وما فيهم إلا من رجع يتعجب من فعال هذا الشيطان المريد كان شداد وقع عن جواده من شدة الضرب التى ضرب بها ونزل عنتر اليه وشد جراحه وعض كفيه كيف.

تجاسليك سالما من بين يديه فقال عروة بن الورد يا أبا الفوارس ما يحق لأحد أن يفتخر ما دامت النساء تحمل وتضع لأني كنت أبصرت من عمرو بن معديكرب ما أذهلني وتصور في قلبي أنه فاق شجعان العرب دينه وقومه ومقامه وإن الجن تعجز عن فعاله فقال عنتر صدقت ولو لحقكم أفناكم على أنني ما علمت يريد أن يفعل لما ترحل وإلا كنت سقيته شراب الاجل ولكن الرجل اذا كان له في الدنيا عمر وحياة فتسبب له أسباب النجاة والآن هذا الامر قد فات وقد مضت تلك الاوقات فاقتل عمرو حياة فتسبب له اسباب النجاة الأمر الصباح إلى غطفان وتقول لأبيها نحن أحق بابنة عمنا ولو لا فعلنا من الاول أنك قد زوجتها لعمرو بن معديكرب ما كنا تركناه تم هذا الامر وبعد ذلك تصل أنت إلى رضاك وتبلغ مناك فقال عروة يا أبا الفوارس أن هذا الرأي أكبر مرادي ولكن دعني من كله وأنا خائف من سوء العاقبة فقال عنتر وكيف ذلك فقال لان الجارية قد تعلق قلبها بمحبة زوجها عمرو بن معديكرب وقد صار له عندها محبة عظيمة ومنزلة عالية لأني رأيت من يوم ما جرى أسر ما نشفت لها دمعة ولا بردت لها لوعة والله قد كمل له الجمال والملاحة والفراسة ونحن والله اذا قتلناه وجئنا إلى أبيها وطلبناها منه ونستأذنا أبوها في ذلك تقول أنا ما أريد بعد عمرو بعلا وتكون قد أهلكنا مثل هذا البطل الجحجاح وما حظينا بطائل والصواب أننا نطلقه ونمن عليه ونتخذه لنا صديقا وأصرف نفسي عن هذا الأمر ولا أحمل ما لا أطيق لأن الإنسان اذا طالب من لا يميل اليه تعب واذا أحب من لا يحبه ذل فلما سمع عنتر كلام عروة عجب من انصافه وقال يا أبا الابيض لو كان قلبي مثل قلبك ما كنت دبله تريد مثل ما تريد وكانت مخلوقة لك ومن رزقك والا ما كنت وصلت اليها ولا قدرت عليها فقال صدقت وكل شيء لا يقدر ولا يكون ثم أنفذ أخاه شيبوب فأتى بعمرو وحل شده وفك قيده ولما حضر خدم وحيا بتحية العرب فترحب به عنتر وأمره أن يجلس فقال له اعلم يا عمرو أن هذه الجارية التي تزوجت بها ابنة عمنا وما عارضك صاحبي عروة الا غيرة عليها لانه ظن أنك لست كفؤا لها فأراد أن يردها إلى أهلها ويزوجها أبوها لمن يصلح لها وقد جرى له معك ما جرى وأبصر حسن دفاعك وشدة قراعك وظفرت به كما ظفر الفرسان والآن قد خلص من أسره وملك أمره وعفا عنك ويطلبك له أخا وقد رضيك لابنة عمه بعلا وتكون طريق الانصاف والهدى وهذا الرجل أحق بها مني لأنه أوفى حسنا وجمالا وأثبت في القتال وقد احضرناك لنختبرك ان كان فيك موضع للصنيعة فقال قال عمرو وقد نكس رأسه إلى الأرض من شدة الحياء والله يا وجه العرب ما أقول الا وقد وضعتم الصنيعة في

موضعاً ووضعتموها عند من لا يضيعها وإن كان لى عمر فسوف أجازيكم بحسن المجازاة وما أعرف لى ذنباً استوجب عليه القتل غير انى ما تزوجت بهذه الجارية وسمعت لكم فيها طالباً ولو علمت بذلك كنت تزوجت بغيرها من البنات الكواعب وأما السيد عروة فهو كمن لى فى الطريق وظهر على يطلب قتالى من غير اعذار ولا انذار ولما أنا نصرت عليه وظفرت به وعرفته أردت أن أطلقه فوصف لى شمائله وشوقنى إلى لقاك فخشيته لاجل ذلك لأن الصدق اجل الاشياء والآن ظهر ما خفى لانك قاتلت الذى أسرنى وفعل بى هذا الفعال ورأيته بين يديك مثل الغزال أمام الأسد فعلمت أن الخاطر الذى خطر لى انا فى لقاك محال انك أوحد الزمان فى الشجاعة والسعادة والافعال وقد أسأت انا عبدك وزوجتى امتك فافعل فينا ما تشاء ودبر ما تختار وان كان قد جرى منى خطأ فها أنا واقف على قدم الاعتذار قال الراوى فلما سمع عنتر هذا الكلام الجميل بلجام بحسن أدبه فاجلسه الى جانبه وأكل معه الطعام وصارت بينهم حرمة وذمام ولما كان عند الصباح أعطاه جميع ما كانوا ملكوه من الخيل والاسلاب والرجال وأمر الخمسة فوارس الذين كانوا معه من بنى زبيد يسوقون النوق التى كانت قد غنمها سليك ويردها على أصحابه فشكره عمرو على ذلك وودع عمرو عنتر وعول على العوده وقال يا أبا الفوارس ما أخليك حتى تاتى إلى ديارى وتقيم أنت وأصحابك عندى أياما حتى نحظى بخدمتكم ومعاشرتكم لنا والقيام فى أرضنا وما ندرى بعد هذا الوداع والفراق متى يكون الاجتماع والتلاق فقال عنتر يا عمرو وأن هذا الامر مالى اليه سبيل لانى البارحة قد رأيت مناما فهول قلبى وقد أصبح منه مشغول ثم عاد على الطريق التى كان قد أتى منها ولما تمادى به السير وخلت خواطرهم قال مقرى الوحش لعنتر يا أبا الفوارس أنى سمعتك تقول عند وداعك لعمرو وانك قد رأيت البارحة مناما مهول وخاطرك قد أصبح منه مشغول فبحق ذمة العرب بين لنا ذلك احقا قلت أم حجة قلتها حتى لا تسير مع عمرو الى أرضه فقال عنتر لا والله ما قلت إلا حقا ومتى سمعت أنى أقول محالا فقال مقرى الوحش فما الذى رأيت فى المنام بين لنا أحواله وحملنا بعض اثقاله وكذلك قال عروه بن الورد فعندها قال عنتر اعلموا يا بنى عمى أننى بت البارحة وأنا مسرور القلب بذل فرسان العرب بين أيدينا وبطاعتهم لنا فحمدت الرب القديم على كثرة حلفائنا وأصدقائنا لاننا قد صار لنا مثل عامر وأمثالهم من الابطال وهو معهم فى ضرب وطعان وقد انقطع بطان جواده والعنان وهو

يقاتل وينادى ياعنتر أدركنى حتى أودعك وأشبع منك بالنظر قبل أن أشرب كاس الحمام وهذا يدل على أن الرجل مريض مشرف على الموت أو يريد يلقى جيشا كبيرا وقد نادى باسمى ليودعنى قبل الممات لان المنام يتقدم أو يتأخر وهكذا سمعت من سادات مكة ومابقى لى بد من زيارته وكشف حاله وقصته لانه قد نادانى من دون أهله وعشيرته على أن يبادر صروف الدنيا قبل أن ينادى منا الفراق قال الراوى سمع بنو عمه مقاله تعجبوا من علو همته وعظم نخوته ومروءته وجوده وحفظه للوداد فقالوا له يا ابن العم ان كان الأمر على مثل ذلك خذنا معك فانك ماتستغنى عنا ولا تحرمنا مرافقتك فقال عنتر ماهذا صواب لان لنا عوائق وأسباب وأمورهم لاتوافقنا على ماتريد لامور أحدها أبى بهذا الذى قد أشرف منه على الهلاك والبوار ولا يمكن أننى أبعد به فى الاسفار وركوب الاخطار والوجه الثانى أنى أخاف أن يكون هذا المنام له صحة وتزور هذا الرجل فى هذا الجمع وتكلفه مالا يطيق وتكون قد فعلنا فعال عدو فى زى صديق والصواب انكم تقصدون الديار وتقيمون عند الحريم والعيال وأنا ومقرى الوحش وعروة نمضى فى هذا الوجه ونعود اليكم بعد أيام قلائل ثم سار معهم فى ذلك اليوم لاجل بعد الطريق تلك الليلة وعند الصباح ودعهم وصار يطلب ديار بنى عامر بعد ماأوصى أخاه شيبوب بمداواة أبيه شداد وخدمته وسار هو ومقرى الوحش وعروة يقطعون القفار ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون به أحاديث الأهل والأوطان والأحباب والخلان حتى أشرف على ديار بنى عامر وكان إشرافهم عليهم ضحوة النهار وجدوا غبارا ثائرا وفوقه الطير حائر ودائر وفى أطرافه بريق صوارم تلمع وتحته صياح قد علا وارتفع وأمر تدل على قتال وحروب وناهب ومنهوب وغالب فقال المنام الذى رأيته قد صح وبان واتضح البرهان وان صدقنى حذرى فان بنى عامر غياب فى بعض الغزوات والحى خالى من السادات وأقول إن أخى عامر قد خف لحماية الحريم فى نفر قليل وقد طلبه هذا الجحفل الثقيل وهو إما أسير وإما قتيل أو مشرف على الهلاك والصدق على مثل هذا يراد وههنا تبين الرجال الأجواد ويعرفون أهل الوداد فقال مقرى الوحش يا أبا الفوارس إن كان الأمر على ماذكرت أنزل عز الخيل حتى نريحها قليل قبل أن نرميها فى هذا الجحفل الثقيل قال الراوى وكانت خيولهما موقره من الصيد فنزلا ورميا ماكان عليها وارخيا لها الزمام والحزن حتى أخذوا الراحة ورجعا إلى ظهورها واستلما الرماح وطلبا الغبار المظلم والصباح ولما خاض كرب المجال وعرفا حقيقة الحال ونظر عنتر واقف فى صدور الخيل وخلفه دون العشرين فارسا أكثرهم جرحى قد أشرفوا على

العطب وقد عولوا على الهرب وهو يصيح فيهم يا بني العم بحرمة البيت الحرام قفوا على قليلا واحموا ظهري حتى أفرجكم على طعنات تعلمتها من أخي عنتر وحملاته في العساكر وهو ينادي يالعبس يالعدنان ويحاكي عنتر عند حملاته ويذكر اسم بني عبس ويترك بني عامر ولما نظر عنتر هذه الأحوال وسمع ضجة الرجال فزادت ناره اشتعال وقال لمقري الوحش هكذا والله أبصرت في المنام فدونك وهؤلاء اللئام ثم زعق وغاص في ذلك المقام والقتال والقسطل وصاح وقال ابشر بالنصر على أعدائك فانك ناديت لمن ناداك وأجابك ولباك واليوم أبلغك مناك وحمل وبحملته زادت نيران المقامع لهبا وولى الجبان هربا وتفرق الجمع سربا وهطل الدم منسكبا وعرفه عامر بن الطفيل فازال الفرح وطربا وزاد سرورا وعجبا وصاح أهلا وسهلا يا حامية عبس ومرحبا ثم غير جواده وجود قتاله وجلاده وصاح إلى بني عامر ويلكم يا بني عمي عودوا إلى حامية الأولاد والحريم وابشروا بالغنيمة قد أتاكم الفيل الأسود والبطل الامجد والنار التي لا تخمد قال الراوي ياسادة على أن الحساب الذي حسبه عنتر في بغي عامر صحيح لأن فرسانهم كانت غائبة وقد سار بهم الاخوص بن جعفر إلى جبل في اليمن يقال له جبل مسافر يطالب سكانه بثار كان له عليهم وترك عامر بن الطفيل يحمي الديار في عشرين فارسا الا أنه ما بقي بعد رحيلهم ألا أياما قلائل وصحبه هذا الجيش الثقيل مع رجل يقال له نور بن عقيل وكان شيطانا من شياطين العرب قد ربي على أكل الحرام ونهب الأموال وكسب الخيام ولما بلغه أن ديار بني عامر قد دخلت بالقوة والشجاعة وغزوا معه مرارا كثيرة فسار بهم إلى هذه الارض لاجل كسب المال وسبي النساء والعيال وهم الفان وكبسهم في الخيام ولولا عامر بن الطفيل كان قد قلع منهم الاثار وبذل نفسه لاطراف القنا حتى لا يقال عنه أنه عند أهله وعشيرته وتمكنت منهم الاعداء إلا أن عامر بن الطفيل كان من جبابرة العرب وفرسان الجاهلية فقاتل في ذلك اليوم القتال المنكر حتى وصل اليه مقري الوحش وعنتر وأخرجوا الاعداء إلى الصحراء وابصروا طعنا لاتجد له الابطال صبرا وضربا ينثر الأعمار نثرا فخاف كل واحد منهم على نفسه من الهلاك والوبال وزال طمعهم من كسب الغنائم والأموال ولولا فزعوا من الذل والعار كانوا تفرقوا وطلبوا الفرار ولكن أبصروها عيبة ينهزمون أمام ثلاثة فوارس وهم في ذلك الخلق الكثير فقاتلوا وصبروا على الشدائد وانضم بعضهم على بعض واقبلوا بصياحهم على جنبات الارض وفعل هذه الفعال من لا يعرف عنتر أو لا أبصره في قتال وأما

الذين عرفوه فعلموا أنه يكسر الجيش ولو كانوا أضعافهم فتفرقوا بما وصلت أيديهم اليه من المال ولو يطلبون النجاة ودام القتال كذلك حتى ولى النهار بضياء وأقبل الليل بدجاه وأبصر فسيح البر قد امتلا من رفقاء وأبصر طعنات عنتر كانها تسابق القضاء إذا نزل من السماء فخاف أن يحتريه فيجعل فناه فعاد تحت الظلام خائبا وقد أبصر جيشه شاردين فى الاقطار وخلت منهم الديار والقفار وعاد عامر إلى خدمة عنتر وحمده وشكره وسأله كيف كان سبب وصوله فى ذلك الوقت فاخبره بالمنام الذى رآه وعرفه أنه أتاه زائرا وخاف عليه من غدرات الزمان الغادر فقبل عامر صدره ويديه وشكره وأثنى عليه وعادوا يطلبون الخيام واذا بجماعة من بنى عامر قد التقوهم فى أذيال المضارب وهم يبكون فقال لهم ما حالكم يا بنى عمى فهل قتل لكم من يعز عليكم ووصلت الأعداء بالمضرة اليكم فقالوا أى والله يا أمير قد سبى من الحى سبع حرائر فى جملتهن أمك كبشة واختك مارية وقد أتينا نعلمك قبل أن يبعدوا فى البيداء ولا تجتمع بهم أبدا فلما سمع عامر ذلك الكلام انحلت مفاصله ورجف فؤاده ووقف حائرا على ظهر جواده وما بقى يدرى كيف يعمل فقال عنتر وحق من احتجب عن النواظر وثبت عند كل أحد أنه قادر لابد أن نتبع أعداك إلى آخر بلاد اليمن ونخلصهم من بين أيديهم ولو غاصوا فى البحر الزاخر ثم تناولوا شيئا من الزاد وأخذوا معهم ثلاث جنائب من الخيول الجياد وساروا يقتفون آثار الأعداء ويقطعون فى الظلام أقطار البيداء وعنتر يقول ما كان أحوجنا فى هذا الوقت فقال عامر بن الطفيل ما أقول الا أن النساء ما أخذ إلا فى أول النهار قبل وصولك يا أبا الفوارس وان كان هذا الحساب صحيحا فهم الساعة فى أرض بعيدة وأنا خائف اننا نتعب وما ننال مقصودنا لان هؤلاء الأعداء كانت مجموعة من قبائل شتى وما ندرى اى فرقة التى معها الحريم ولاى جهة سارت فقال عنتر ان كانت اجالهم قد اقتربت ثم جدوا فى المسير حتى لاح ضوء النهار ثم ركبوا ظهور الخيل وساروا حتى تقارب المساء وقد انكروا الارض التى وقفوا فيها وظلوا فى نواحيها فقال مقرى الوحش ما اخوفنى اننا نهلك فى هذا البر ولا ننال طائلا كان والصواب مقامنا فى الديار وأنفذ العبيد إلى القبائل تكشف لنا الاخبار حتى إذا علمنا من سبى النسوان طلبناه عن يقين وبرهان فقال عنتر قد فات الامر وما بقينا نرجع الا بما نريد ولو صدمتنا جبال الحديد (قال الراوى) وإذا قد لاح لهم بين أيديهم أشباح متفرقة فى أقطار البطاح وسمعوا بكاء ونواح فقال عامر ها قد أدركنا الاعداء وقرب الله عين المدار وهذا الصياح

الذى نسمعه صياح النساء فقال عنتر هذا وحق من رفع السماء ثم حركوا يطلبون الصياح قال وكان الذى سبى النساء فارس جبار يقال له مشهر بن الاعرج وهو من قوم يقال لهم بنو ءمن وكان يعرف عنتر وقد شاهد قتاله أمرارا عديدة من الرجال فلما رآه فى ذلك اليوم قد أقبل علم أنه يكسر القوم والجحفل فقال لقومه لما رآه يا بنى عمى هذا عنتر بن شداد العبسى واليوم يفنى هذه العرب المجموعه ويكشف على بنى عامر الفجعة لانه حليفهم ومؤاخى عامر بن الطفيل والصواب أن لا نتعرض له بأى شىء كان وننجو بأنفسنا مادام القتال عمالا والعرب مشتغلة عنا وإن لم نفعل ذلك خسرنا وتبعنا ومن ظفر به هذا العبد أهلكه وأنا قد رأيته مرارا عديدة فى الحروب ورأيت منه شيطانا مريدلا يوتد ولا يقع على فروسيته أحد قال الراوى وكان مشهر هذا معه خمسون فارسا من قومه كلهم يرجعون إلى رأيه ولا يخالفون مشورته فقالوا الأمر اليك ونحن بين يديك والصواب أننا ننجو بأنفسنا ثم مالوا يطلبون الخيام والاوطان وقد تركوا الناس مشغولين بالضراب والطعن فأول من وقع فى أيديهم مارية أخت عامر وأمه كبشة لانهن قد خرجن إلى أذيال المضارب ينظرون اليه ويدعون له من خوفهم عليه فسبوا الاثنين ودخلوا الى البيوت وأخذا خمسة جواء أبكاء كأنهن الاقار وعاد وسرورا وهو يقول اطلبوا بنا الديار وادعواهؤلاء ينفصلون كيف ماأرادوا ثم ركضوا فى عرض البر حتى أصبح الصباح ونظروا حولهم فرأوا أنفسهم قد ضلوا عن الطريق وقد أصبحوا فى بر قفر غبر لا يعرف فيه ولا علم فقال مشهر عدمنا والله توفيقنا وضل عن طريقنا والرأى أننا ننزل فى هذا المكان ويقعد بعضنا عند النسوان ويتفرق الباقون يمينا وشمالا وخلفا وأماما لعلنا نرى طريقنا واضحا برشدنا ثم نزلوا هناك وقضوا أكثر نهارهم بالدوران وسارت الفرسان تضرب فى البر الفرسخ والفرسخين وتعود بغير فائدة قال الراوى وقد أشرف عليهم عنتر ومقرى الوحش وعامر وهم على تلك الحالة ولما بانت لهم الاشباح فى أقطار البطاح وسمعوا من النساء العويل والصياح وقع بهم السرور والافراح وخلصوا الحريم من ذلك الامر والبلاء وركضوا خلف الباقين وما جسروا على العودة خوفا من الضيعان لانهم كانوا قد علموا أنهم قد أصبحوا ضالين عن الطريق وكان الله قد ألقاهم على أثر قوم قد فنيت أعمارهم وقصرت آجالهم على أيديهم لان الله سبحانه وتعالى له فى عبيده أحكام تتحير فيها ذوو الافهام ولا تهتدى إليها الأوهام ومن ذلك الوقت صدق عامر قول عنتر أن الحيل ماتنجو بقصير الأعمار ولا تهتدى فى الليل ولا فى النهار قال الراوى ولما مضى الليل وكان وقت السحر رحل هؤلاء عائدين على الطريق التى أتوا فيها

فما ازدادوا إلا خيبة وضلالا وطلع عليهم النهار وكسرت عليهم الآثار واتسعت بين أيديهم القفار واختلفت عليهم الأقطار ووقعوا فى بروعر كثير التلال والوديان مافيه مجيب لمن صاح وزعق ولا ماء يبل به الإنسان الرمق فتحيروا وأخذهم القلق واستشوروا فيما يعملون فقال عنتر مافى الأمر إلا أن نسير إلى جهة واحدة ونطلب الخلاص من هذه المفاوز مادام فى الخيل رمق فان كان لنا نجاة أدركناها وإن كانت المنية قد حضرت فنحن وإياها فقال مقرى الوحش لمن كان الموت قد اقترب ودنا مايكون إلا من عدم الماء وأنا ما أسفى على الدنيا ولا أسفى على شىء إلا أنى ماشبعت من نظر ولدى سبيع اليمن لأننا ذكرنا أنه قد أتاه من زوجته مسيكة ولد فى بلاد اليمن وسماه بهذا الإسم الحسن وكان له فى قلبه منزلة عظيمة وقد أمل فيه الآمال وترجى أنه يركب إلى جانبه ويعينه على القتال فايس منه فى ذلك اليوم وخاف أن يموت قبل لقاء إلا أنهم ساروا كما قد أشار عليهم عنتر وأخذوا فى المسير فى ذلك اليوم فى البر الواسع ونزلوا والخيل قل نشاطها وفتحت مناخيرها للهواء من شدة الحر والعطش ومافيهم إلا من ارتاع من ذلك البر الواسع وعنتر من أجل حاجته قد التقوا هذا الملتقى ووقعوا فى بحر الخطر والشقا فصار عنتر يهول عليه القصة ويقول له ياعامر لا يصعب عليك شغلنا واعلم أن لنا ربا عظيما قادرا وإذا اراد نجاتنا سهل لنا الماء وسقانا وان كان قد حكم الله بهذا فلا يقدر كل من فى الأرض على فكنا وقد رأيت كيف ساقنا إلى قوم ماكانوا لنا فى حساب فضربنا منهم الرقاب وخلصنا منهم هؤلاء الكواعب الأتراب ثم باتوا على مثل ذلك حتى طلع الصباح وركبوا على برد الهواء وماز الوا يقطعون أقطار الفلا ومقرى الوحش قد زاد به الشوق والبلا وذكر ولده سبيع اليمن فبكى يتحسر وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ان جرى دمعى وأوهانى الحزن	فعزيز الدمع أشفى للحزن
ولذا الشوق تناجى وحده	فارقت روح المعنى للبدن
يا خليلى أسعدانى وقفـــا	نحو تلك الدار منا والوطن
وإذا مت اشتياقا بلغا	عظم اشتياقى الى سبيع اليمن
ولد قد كنت أرجوه اذا	نزل الشيب برأسى وقطن
ووقعنا فى تلال قفرة	نزل الشيطان فيها وقطن

وترى الشيطان فى أقطارها تائها يندبن آثار الدمن
ياحماما بات فى أغصانه نائحا يدعو ولا يدرى لمن
نح علينا كلما جزت على علم السعد سراً وعلن
وإذا جزت على وادى الحمى فاسأل السكان عن سبع اليمن
وابك عنى كلما عاينته سائل الدمعة من فرط الحزن
كان أنسى ومنى القلب الذى أترجاه وروحى فى البدن
فقضى الله علينا حكمه ببعاد والضنى بعد الوطن
وبلينا بزمان غادر صرفه يرمى سهاما من محن
ولنا رب عظيم قادر يكشف الضر ولا يخشى الزمن

قال الراوى وما فرغ مقرى الوحش من هذه الأبيات حتى انهملت من جفونه العبرات وجرت على الوجنات وبكت كبشة أم عامر ومن معها من البنات وفى الحقيقة أيس كل واحد منهم من نفسه وأيقن أنه لايخرج من ذلك البر وساروا حتى اشتد عليهم الحر وتوسطت الشمس فى كبد السما وألقت حرها على الصحراء وصارت مثل اللظى وتلهبت أقطار الفلا وزاد على القوم البلاو قصرت الخيل من شدة العطش والظما وأيقنوا بالهلاك والفنا ولم يلتفت الرفيق على الرفيق ولا الصديق على الصديق وكشف النساء رءوسهن وقد زاد بهن البلاء ونادت كبشة إلى رب السماء وقالت يامن احتجب عن خلقه فلا يرى يامن أنبت النبات والمرعى يامن بيده نواصى الخلق جميعا يا من أخرج من ظلمة الأحشاء نسمة تسعى أسألك بالرجل الذى ظهوره قد اقترب ونوره انتقل فى أصلاب سادات العرب الذى اخترت له البيت الحرم إلا ما سببت لنا فرجا وجعلت لنا من الضيق مخرجا وهديتنا على الطريق يامن ينجى من اللجج العريق بعد الشدة والضيق سيدنا حارت منا النواظر والأفكار وأنت العالم بالأسرار والأستار أسألك باسمك المحيط بالعرش والعرش ياذا الشدة والبطش أن ترزقنا من السماء ماء يبرد أكبادنا من الظما فأنت رب الأرض والسما الذى لا تخفى عليك الاسما ياخالق النور والظلما قال الراوى وإلى دعاء العرب المنتهى ولأجل ذلك قال سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ فى أم القرى وتعلموا منهم الدعاء إلا أن كبشة ما تمت هذه الدعوات حتى عطف الله عليهم بجميل العوائد وسبب لهم أسباباً تنجيهم من الهلاك لأنهم كانوا سابقين فى بر مقفر وإذا قد سمع فى الهواء قعقعة الرعد فعلا وارتفع ونما وابيض بعد الكدر وصفا بعدما كان معتكر

ومازال ينمو طولا وعرضا حتى التحم بعضه إلى بعض فنع شعاع الشمس أن يقع على الأرض ثم بعد ذلك انهل مثل أفواه القرب وسال وانسكب وفى دون ساعة سمع له دوى وخرير والروابى ضجة وزفير وامتلأت الحفار واستأنست القفار ورويت أصول الأشجار وورويت الخيل من ماء السماء ورويت الأكباد بعد العطش والظما ومازال الأمر على ذلك حتى قارب المساء وبات القوم فى تلك الصحراء وقد صفا الجو وصحا وكان الماء فى ذلك الوقت لهم دوا ولكن من الغد طلعت الشمس وأنارت كشف السيل الطرقات الدارسة وبانت الآثار وضحكت الأقطار بعدما كانت عابسة فساروا على بعضها وقد طابت أنفسهم ولاح لهم وجه السلامة وكان لهم فى المطر فوائد كثيرة فشربوا وساروا حتى قارب المساء وعولوا على النزول وقد لاح لهم أبيات وخيام منصوبة فى جبل عال حصين فدفعوا الخيل نحوهم حتى قاربوها وإذا بغلام قصدهم عن إيمانهم وخرج من شعب هناك وتحته فرس عربى وعليه من صيد البر وقرة فلما رأى القوم مال اليهم وقصدهم وقد دنا منهم ونادى أهلا وسهلا ياوجوه العرب بحق الإله المعبود أنزلوا عندنا فى أبياتنا وشرفونا بنزولكم علينا فى هذه الليلة فقال عامر بن الطفيل للسمع والطاعه ياغلام سر بين أيدينا إلى أين شئت واعمل فى حقنا ماهويت لأننا من أقنى الخلق وأحوجهم إلى الانس ثم حدثه بما جرى عليهم من الضيعان والضلال وماقاسوا من الشدائد والاهوال فشق ذلك عليه وعاد بين أيديهم يهرول حتى وصل إلى أوائل البيوت وإذا بامرأة عجوز فى جانب البيت فقال لها اضرمى النار واسمعى الاخبار ثم أنزلهم وقدوطالهم وقامت أمه إلى النساء وأدخلتهن إلى داخل الخباء وأضرمت النار وروجت لهم الطعام من لحم الوحش وكان عندها طراميس مخبوزة من النهار فقدم الغلام الجميع إلى بين أيديهم وكذلك فعلت أمه مع النساء وشرعوا فى أكل الزاد والحديث وقد طابت قلوبهم بالامان فقال عنتر للغلام ياوجه العرب من أى الناس أنتم فقال له يامولاى من بنى كنانة ولنا ههنا أكثر من عشرة أيام ونحن أربعون كما ترى ولنا مقدم يقال له سريع بن قادر وسبب نزولنا فى هذه البرية أن مقدمنا كان بينه وبين ابن عمه مقاولة وحروب فصعب عليه ذلك فرحل بنا وأنزلنا فى هذا المكان من خوفنا من عنتر بن شداد فارس بنى عبس وعدنان وما يمضى علينا يوم إلا ونقول يصبحنا فيه أو يمسينا ويقودنا فى الجبال قال الراوى فلما سمع عنتر وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش ذلك داخلهم العجب من عظم ماوقع لعنتر من الهيبة فى قلوب العرب فقال عنتر ياغلام أزيلوا الفزع من قلوبكم

من هذا اليوم ولا تحدثوا نفوسكم وابشروا بالامان فانا عنتر بن شداد فارس بني عبس وعدنان وقد ساقني اليكم مكون الاكوان وصار لكم عندي جائزة وذمام فطار عقل الغلام من شدة الفرح وقام يغدو إلى المقدم الذي لهم وقال له يهنيك السلامة فان الذي نخافه قد أمسى ضيفنا فقال ربيع وكيف ذلك أنا ما كنت خائفا عليكم إلا من عنتر ومن فزعي أردت أن أرحل بكم من هذه الجبال وأنزل بكم إلى بعض الملوك قال فعندها حدثه الغلام بما جرى فاخذه الفرح وقام إلى قومه فاستصحب منها جماعة وساروا إلى نحو عنتر وأكلوا معه الزاد وطلبوا منه آلة المدام فوعدهم بكل جميل وقال لهم ارحلوا معنا حتى أنزلكم في ديارنا وأحميكم كما أحمي أهلي وعيالي فاجابوا بالرحيل معه إلى أرضه وقد اهتدوا على الطرقات وعرفوا البراري العامرة وقوضوا خيامهم مع عنتر واستبشروا بالامان فساروا ذلك اليوم وودع عنتر عامر بن الطفيل ورجع يطلب ديار قومه وسار عنتر يطلب أرضه وقد رآها واسعة ولاحظ أنه كيف يعود إلى أهله خالي اليدين من المال فصار كلما وقع في طريقه بحلل ينهبها وكلما أبصر أبياتا يسوق أموالها ويقتل من يطلب حمايتها قال الراوي ولما وصلوا إلى ديار بني عبس أنزلهم عنتر في وادي يقال له وادي القرى كان من جملة منازل بني عبس طيب الماء والمرعى فقال عنتر هذا المكان لك وتحت أمركم وعلى حمايتكم ثم وهبهم من المواشي التي قد ساقها معه شيئا كثيرا وتم عنتر إلى بني عبس ومقرى الوحش ولما وصل الأبيات أتى إليه عروة بن الورد وهناه بالسلامة وكان شداد قد برأ من جرحه فاتى إليه وسأله عن زيارته لعامر بن الطفيل وحدثه من أول ما جرى عليهم من أول الضيمان وكيف هطل عليهم السحاب في تلك البراري والقفار فعجبوا من ذلك وقالوا لقد أيستم الامن نعمة أخرى ولقد سلمنا نحن أن تشمت بنا الحساد فقال عنتر وكيف ذلك يا أبت فقال شداد يا بني لما وصلت مجروحا مع عروة وأخيك شيبوب ظن الحساد الذين هم بنو زياد أنك قد قتلت وتحدثوا بكل قبيح (قال الراوي) وكان عروة حديثه قد شاع في الحلة من جهة عمرو بن معديكرب وسمع بنو زياد بما جرى لاجل لميس ابنة همام وكيف أسروا عروة وقتلوا رجاله وكيف علموا بعنتر لما وصل بالخبر إلى أبياته وتركه وعرف القصة على جليتها إلا أنه كان هو واخوته دائما يتطلعون على أحوال عنتر وبني قراد ويتوقعون لهم العثرات لاجل الحسد والحقد الذي كان بينهم قال فلما اطلع الربيع بن زياد هذه الامور اجتمع على الملك قيس وقال له يا ملك أنت تعلم ما قاسينا من الفرقة والعجاج ومن هلك منا من الفرسان ولولا أختك المتجردة سألت فينا الملك النعمان

ما عدنا إلى ديارنا والاوطان والآن قد تعطف علينا الزمان وسبب لنا العودة إلى الاوطان ثم حدثه كيف تزوج عمرو بن معديكرب بلبيس وسارهو ومقرى الوحش وعروة ليأخذها منه فاسره وقتل رجاله وان عنتر سارهو ومقرى الوحش وأبوه شداد يطلبون قتل عمرو ابن معد يكرب وخلاص عروة من يده وأنا يامالك خائف على القبيلة من جهل عنتر وقبيح فعاله لانه أن ظفر بعمر وقتله أواسره تقوم علينا بنوزبيد وتشير الى ديارنا مثل الجراد ونبتلى بالقتال والجلاد ويتجدد ما بيننا وبينهم من الاحقاد كما فعل معنا فى شعاب جبلة من شؤمه وقتل ابن صاحب دمشق واخرج الينا بنى غسان وسلمنا من الهلاك والقلعان ولولا تدبيرك أنت وعملك تلك الحيلة وتعطيش الجمال ورددتهم عنا بالمكر والاحتيال الا كانوا نهبوا الاموال فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من الربيع بن زياد قال ياربيع ما بقينا نرضى بهذه الامور ولا نطاوع عنتر أعلى ما يقول بل ان رجع وأثار الفتنة وأتاه من يطلبه قبضنا عليه وسلمناه اليه أو نقول له ارحل عنا وانفصل أنت وغرماك كيف شئت لان البر واسع وأنا بعد ما نشأ لى هذا الولد ما بقيت أسأل عن أحد وقد ذكرنا أن الملك قيس كان قد نشأ له ولد وسماه زهيرا الا أنه كان مليح الوجه وكان من محبته له قد حكمه فى أمواله ونعمته وما انفصل الربيع من حديث عنتر الا وقلب الملك قد قسا على عنتر وبعد ذلك وصل شيبوب وعروة ومعهما شداد على هذه الحالة مجموح وأشيع أن عنترا قد قتل فقال عمارة أنا أسأل رافع السماء أن يجعل ذلك الخبر صحيحا حتى يخف كربى وأستريح لان مهجتى منه قد ذابت وآمالى فيه قد خابت وأنا أحمد الرب القديم حيث أن عبلة لا تحبل ولا تلد ولا تخاف له خلفا لأنى لو رأيت له ولدا مت حسرة وكمدا فقال الربيع ان كانت عبلة حرمت الأولاد فقد عوضه بذلك رب العباد وقد انتج له فرسه الابجر مهرا ما سبق مثله لاحد ولا يرجع الزمان ينتج مثله مادام إلا بدلا لانه أعجوبة الزمان وزينة لمن تعجب وحسرة فرسان العرب وهذا دليل أن لله فيه عناية هذا أذكان ما قتل عمرو قال الراوى وهذا الخبر الذى ذكره الربيع قد ذكر لنا كيف سببه وأخبرنا أن القيط بن زرارة لما سرق الابجر فرس عنتر أعلاه على الحجرة سكاب وأراد أن يركب من أمها حيث ينفر منه ولا يالفه وذكر لنا موضع ما دخل منه وأخذ الحجرة أمه بتدبير شيبوب وخلى فى قلوب أصحابها حرارة وكروبا واحتوى على عرس القوم مهرية واقتنصها وهو سكران وردها على ابن عمها لما التقاه وجرى من القصة ما جرى لما تم حمـــل السكاب ولدت مهزا خلقه عجيبة أحسن

من أبيه الابجر أيام صباه وكان عنتر قد جعل اعتماده عليه بعد الابجر لما رآه قد استولى عليه الكبر وتغير من ملاقاة الحروب قال الراوى وقدم عنتر إلى الحى سالم وعدنا إلى حديثه وعودته بالغنائم وحدثه بنو أعمامه بما قال فى حقه بنو زياد فنما غيظه وزاد وقال والله لا بد لى معهم من يوم تشيب فيه رءوس الأطفال ثم بات تلك الليلة عند عبلة ومقرى الوحش بل شوقه من سبيع اليمن وزوجته مسيكة ولما كان عند الصباح سار عنتر إلى الملك قيس وسلم عليه وهناه بالسلامة وسأله عما جرى له ولعمرو بن معديكرب وعتب عليه لأجل ذلك السبب فقال عنتر يا ملك ما تعديت الواجب بل جعلت لك مثل عمرو صديق لكل شدة وضيق وسيفه يعينك على الشدائد ثم أعاد عليه قصته وما جرى له معه وكيف أطلق سبيله فخف على قلب قيس بعض الكروب التى كان قد حملها له الربيع بن زياد وعلم أن بين القوم حسدا قديما فزال عن قلبه الجميع وأمسك عنترا عنده ذلك اليوم وسقاه وأكرم مثواه وكان معه مقرى الوحش وعروة بن الورد وجماعة من فرسانه ولما انقضى النهار وعادوا إلى أبياتهم وجدد لهم عنتر أوقات السرور ولما انقضى ليلهم بالأفراح وشرب الراح لأنه يحب الشراب مع أصحابه ويتكلف لهم إلا أن الملك قيس علم أن الربيع من بغضته لعنتر يتكلم فيه وأما عنتر فانه شرب فوق طاقته وأصبح لا يطيق القيام على الاقدام وكان قد ركب قيس عند الصباح وحوله بنو زياد ورجعوا إلى القبيلة وأخذوا فى طرد الوحش حتى عبر نصف النهار ورجعوا يطلبون الخيام فأبصر قيس مضاربهم ورحاتهم فانكرهم ولم يعرف حالهم فوقف يريد الكشف عن أخبارهم وإذا قد ركب اليه سيدهم سريع بن وقاد وأتى أمام الملك قيس وترجل وسلم فرد قيس عليه السلام وقال له يا شيخ من أى الناس أنتم ومن الذى أنزلكم فى هذه الأرض فقال سريع يا مولاى نحن من بنى كنانة والذى أنزلنا ههنا عنتر بن شداد ثم حدثه بنزوله عليهم وماجرى له معهم وأنه حلنا وأنزله ههنا ووهب لنـــا المنزل وضمن الجيرة والذمام فتعجب الملك قيس من ذلك وقال أكرمت ياوجه العرب بنزولكم وعز من أنزلكم فاننا كلنا فى حماية عنتر ثم تركه وعاد وقد علم الربيع أنه ما قال ذلك إلا من قلب ملآن على عنتر فزاد غيظا وصار يقول أن هذا ضيم لا يصبر عليه أحد لأننا ما صدقنا نعود إلى الأوطان ونستريح من مقاساة العربان حينا من الزمان حتى عاد هذا الشيطان علينا بما لا نريد ويقطع لمن لا نعرفه الأرض والله أن هذه الفعال أنا ما أقدر أفعلها وأنا الربيع بن زياد ولا أجير بغير علم الملك قيس فقال أسيد عم الملك قيس مثلك يا ربيع تنقل قلب بن أخى على عنتر الذى ما يلتئم شمل العشيرة إلا به على أن الذى

فعله فخارا ماهو عار ولست أنت تريد الفخار أليس فى هذا يقال عند سائر العرب إن صارت عبيد بنى عبس تجير الخائف فقال الربيع وقد زاد غيظه والله يا أسيد ماقلت هذا إلا شفقة على الملك قيس كيف أنزل عنتر هؤلاء القوم بغير إذنه وهذا يدل على أن ليس له عنده قدر ولا قيمة وحق ذمة العرب سمعت منه المقال فى حالة سكره أنا الذى حكمت قيسا على رقاب بنى عبس ولو أردت تركت بعض أخوته مكانه لأنه بأى شىء يتفضل عليهم وكلهم من أب واحد وأم واحدة ومازال الربيع على مثل ذلك حتى نقل قلب قيس على عنتر وترك فيه من هذا الحديث أثر ومازالوا على مثل ذلك حتى وصلوا الى الخيام ودخل قيس الى خيامه وبعد ذلك بأيام اشتاق عنتر إلى بنى كنانة وطلب أن يزورهم ويطيب قلوبهم فعزل من جماله مائة ناقة وأضاف إليها مائة رأس من الغنم وخمسة أحمال خمر وأخذ معه مقرى الوحش وعروة بن الورد وبعض رجاله وسار إلى وادى القرى فعلم القوم قدومه فاستقبلوه أحسن استقبال وأنزله سريع بن قادم فى أبياته وأمر عبيده فروجوا الطعام وجلسوا ودارت عليهم الأقداح وأرادت رجال بنى كنانة أن تقف كلها فى الخدمة فما مكنهم عنتر من ذلك بل أجلسهم وتركهم وقعد هو دونهم بعد أن حلف إيمانا لايشرب إلا على الترتيب فشكره سريع وأثنى عليه وحدثه بحديث قيس وكيف أجارهم وسأل عنهم وترحب بهم لما قالوا جيران عنتر فقال ولو لم يرَ بكم جيرانه كنت رحلت بكم وأنزلتكم فى أرض تكون أحسن وأطيب من هذه الأرض وأكثر مرعى وأتركها لكم منازل وديارا ثم ان عنتر أدار عينيه على مالك بن قادم الذى أنزله يوم المطر فى بيته فلم يره فسأل عنه سيدهم سريع وقال لهم أين ابن أخيك يا أمير ما حضر معنا فى هذا المقام فقال سريع يا أبا الفوارس قد ذهب يطلب المعاش والمكسب لأن الفقر قد أضر به وقد عولت أنه إذا عاد سالما أزف ابنتى عليه لأن أخى أوصانى به قبل موتة وخلف له أموالا كثيرة وكنا نحن فى نعمة غزيرة وإنما تواترت علينا أعوام كثيرة العوائق والفلا قليلة العيش والكلا فوقع فى أموالنا الفنا فبقينا كما ترى قال الراوى فقال عنتر وقد صعب عليه ذلك والله يا أمير لو عرفت هذا ما تركت ابن أخيك يتغرب ولا يخاطر بنفسه مع شياطين العرب بل كنت أنا توليت وليمته وانجزت أمر زوجته ولكن هذا أمر قد فات ولا بد أن يعود إن شاء الله تعالى وأعمل له وليمة وعرسا من الأعياد وأكيد بفرحة الأعادى والحساد فشكره سريع على ذلك المقال ودعا له وأقام عنتر عند القوم ثلاثة أيام وعاد وفى قلبه أثر من حديث الغلام وكانت هذه الجارية التى قد راح مالك يأتى بمهرها فريدة دهرها ودرة لا يعرف قدرها وقد وفر من الجمال قسمها وكسى من الملاحة جسمها وقد وافقها عند

ولادتها طالع سعيد قرباه فى حجر الكمال والتأييد فنشأت كما تشتهى وتريد ولما نزل بها أبوها فى أرض بنى عبس كان قد كمل قدها وبرز نهدها وتورد خدها وبلغت فى الاعتدال حدها والجمال على كل حال يتم على ابائه ويظهر اسم أصحابه فزارتها النساء العبسيات وأتت اليها من بنى فزاره الفزاريات ومافيهن من عادت من عندها الاوهى تهذى بوصفها وتحدث جارتها بما رأت من ظرافتها وتصف حسن قوامها ونطفها ونعومة أناملها وكفها وضفائرها التى خلفها وبلغ حديثها إلى بنى فزارة وتذكرت به الرجال النساء ولمح إلى حصن بن حذيفة وسمعه مراراً من عجائز الحى والزوار وكان اسمها نوار فالتهبت بها قلب حصن على السماع لأنه صبى على كل حال وهو ملك شجاع فشكا حاله وأفشاه إلى سنان بن أبى حارثه وقال ياعماه قد اشتهيت أنى أنظر فى هذه الجارية الكنانية التى قد نزلت فى فؤادى وأن أعطيت من الجمال هذا الحديث خطبتها من أبيها وأغنيت أهلها ونقلتها إلى دبارى وتركتهم من بعض جوارى فقال له سنان ياولدى اعلم أن السماع يزيد وينقص والدخول فى الأشياء بغير اختبار جهل حتى ننظر أحوالها ونسأل عن أنساب رجالها فان كانوا من سادات كنانة وأصحاب النسب والحسب وقد غدر بهم الزمان وقلت أموالهم اتصلنا اليهم ونفقنا من نعمتنا عليهم لأن الفقر ما يزرى بأصحاب النسب ولا يحط سادات العرب وإن كانوا من أراذل الناس فما أدعك تحملنا بقربهم العار ولا تدخل فى أنسابنا إلا الأخيار فقال حصن نعم ماقلت ياعماه غدبر ماتختار ثم كتم هواه وأخفى عشقه وجواه ثم أنه فى يومه ركب فى عشرة فوارس وقصد إلى أبيات بنى كنانة وطلب الغدران هو وسنان وكان ذلك الزمان فصل الربيع والأرض ريانة قريبة بانسكاب دموع الغيث الهطال فركض حصن طالب الخيام يريد النظر إلى أحوال سكانها وإذا قد اعترضه مرج واسع ومنابع الزهر حول الجميع منقوش كأنه بساط مفروش وفى وسطه جماعة من بنى الحى أحسن من الأهلة الطالعة وهم يرتعون ويلعبون وينقلب بعضهم على بعض وقد رموا عن وجوههم البراقع وصرن يتسابقن فى المروج والمواضع ومافيهن إلا من حرج وظهر ظبيها ولمع فى الخد رجناتها وبرزماء الحياة من رواق خدودها فلما رأى حصن ذلك اشتغل عما كان فيه ووقف يتفرج وقد عجب من ذلك الاتفاق الذى قد راق وإذا ببعض الجوار تقول لاترابها يابنات عمى من سبقت منا عدوا على هذه المواضع يكون على المسبوقات طعامها وشرابها الآن أبى قد سمح لى بالخروج الى ههنا ثلاثة أيام كما يفعل بى فى كل عام وبعد ذلك لا يرجع يمكننى من أذيال الخيام فتأمل حصن التى قد تكلمت بهذا الكلام وإذا بها أحلى من الكل مزاجاوا بتساماوأتم اعتدالا وقواما

وأوفى توقيراً واحتشاما وهى قد سلت لحاظها على عاشقها حساما فقلق حصن لذلك، وترنح على ظهر الجواد من شدة الغرام وظهر أنه قد رأى ذلك فى المنام ومن شدة ما جرى عليه نزل عن ظهر الجواد إلى الأرض وقعد ومسك فؤاده وقال يا عماه ما بقيت أريد الجارية التى سمعت صفاتها وما بقيت أريد إلا الجارية التى سلبت عقلى بملاحتها وأريد منك أن تنفذ لى بعض الأماء وتسأل لى عنها وإلا هجيت على وجهى فى هذه الفلوات فقال سنان وصاح لبعض الجوار وقال لها من أى الناس أنتم ومن الذى أنزلكم فى هذا المكان لأننا قد طرقناه مرارا عديدة وهو خال من السكان فقالت ألا يا مولاى نحن من بنى كنانة وما نزلنا فى هذا المنزل إلا بأمر أصحابه فقال لها وهذه الجويريات بنات قالت نعم فقال ومن تكون هذه الجويريه ومن أبوها وأشار بيده إلى الجارية المقدم ذكرها فقالت له يا مولاى هذه نوار بنت مقدمنا سريع بن قادم وإن كنت سألت عنها وعجبت من جمالها فان هواء هذه البلاد قد وافقها وقد كساه من الجمال ما يحير البشر وما نظرت إلا موضع النظر فلما سمع سنان ذلك الكلام زاد تعجبه واعذر حصنا فى حب الجارية لاجل ما رأى من كمال صورتها وحسن خلقها وعاد إليه وأخبره بما سمع وما رأى وقال له لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فان الجارية التى سمعت صفتها هى التى سلبت عقلك بملاحتها ولأجل ما جرى عليك هذا ثم عاد إلى الصيد والقنص ساعة واتى ورجعوا إلى أبياتهم وحصن على غير الاستواء من تباريح الجوى ومما جرى عليه فى تلك الليلة ما نام بل أقضى أكثر الليل بالشكرى ولما نظر سنان الى حاله خاف عليه أن يمرض أو يدخل اليه عارض فارسل الى أبى الجارية يقول له يا سيد بنى كنانة قد سمعت حديثك وفصاحتك ونشتهى أن تجملنا بطلعتك أنت ووجوه قومك وعشيرتك وتجمل لبنى فزارة التمام فى الزيارة ولما مضى الرسول أخذ سنان فى إصلاح الطعام وترويق المدام ولما وصل الرسول إلى سريع بن قادم وبلغه الرسالة فرح بذلك وأجاب ونهض وأخذ من وقته وساعته فى الاهتمام ولبس ثيابا جميلة وأخذ معه جماعة من أهله وعشيرته وسار مع الرسول إلى نصف الطريق وحرك الفزارى جواده حتى يبشر قومه وبقى سريع سائرا وهو يحدث قومه ويقول لهم يا بن عمى قد نفر قلبى من دعوة هؤلاء القوم لأن لنا هذه المدة هاهنا ما من علينا أحد من بنى فزارة وما أقول أنهم أنفذوا خلفى لأجل ابنتى يطلبونها لبعض ساداتهم وأنا أستحى إذا تم هذا الأمر وماذا أقول لابن أخى لأنى وعدته بها وقد مضى كما علمتم يحصل شيئا يستر به حاله ويعود يطلبها وهذه قضية مشكلة ان هى تمت فقال بعض المشايخ من قومه والله يا أمير إن تم لك هذا ما يكون فى الدنيا أسعد منك لأنك

تنال الشرف التام والمال والجمال وأما ابن أخيك فانك لا تراه لأنه سار فريداً وحيداً غريباً وإن كان فى أجله تأخير ويجىء سالماً فايعود بأكثر من فرس يسدده او يركبها أو ناقة قد غفل عنها صاحبها وهذا شىء ما يكشف ضراً ولا يبل رمقاً والصواب أنك تصل إلى سادات بنى فزارة وتنقلنا إلى أرضهم وهيبتنا قائمة ولا تدعنا نطرد من بنى عبس بالتعس والنكس لأنى قد سمعت أن ملكهم ماهو راض بنزولنا فى أرضهم وأنه قد عتب على عنتر كيف أنزلنا فى ذلك الوادى بغير أمره والصواب أننا نرحل بالذل والمهانة فقال سريع وأنا أيضاً سمعت بهذا الحديث عن الملك قيس وصدرى ضيق منه والآن ما يدبر أمراً و إلا نجدد مقالا حتى ينكشف لنا باطن هذا الحال ولما أشرفوا على ديار بنى فزارة وابصروا الفرسان قد ركبوا إلى لقائهم وسنان بن أبى حارثة فى مقدمتهم وحصن بن حذيفة قد لبس حلة حمراء وتعمم بعمامة خضراء وهو راكب على حجرة أبيه الغبراء وتحته مركب ذهب وهو فى رتبة تصلح لملوك الكبار ولما رآه بنو كنانة فى تلك النعمة هابوه وترحبوا به وسعوا إلى خدمته وكذلك وصل سنان إلى سريع واعتنقه وترحب به وقال له ياأميراً نا غائب عليكم من حيث نزولكم فى هذه الديار ما عنى الينا أحد منكم ، قد اشتهى كم الملك حصن أن تكونوا نزولا عليه ولكنى أنا منعته من ذلك وقلت له ياولدى هؤلاء قوم غرباء وقد غدر بهم الزمان فأكرمهم وأنعم عليهم فسمع وصيتى وانقذ خلفكم تتحمل بكم فباس سريع صدره ويديه وشكره لما سمع كلامه وأثنى عليه وعادوا على ظهور الخيل وساروا فى الحى سرادقاً كبيرا من الديباج الأحمر وحوله قباب من الديباج المدثرة فتعجب القوم كل العجب وتمنوا أن يصير لهم فى الأرض صلة ونسب وما استقر بهم القرار حتى نقل اليهم الطعام ووقف على رؤوسهم العبيد ودارت عليهم أقداح المدام وانبسطوا فى الحديث والكلام ومضى عليهم يوماً ما رأوا مثله ولا سمعت الأنام شكله وكذلك فى اليوم الثانى أحسن اليهم سنان وأكرمهم غاية الاكرام وقال سنان لسريع بن قادن على انسكر اسمع واعلم ياوجه العرب أن هؤلاء القوم الذين هم بنو عبس تعدوا على الملك حصن بن حذيفة وقتلوا أباه وأعمامه وأولاد بدر وهم قوم مالهم أمانة ولا ذمام وأقول أنك سمعت حديثهم مع أولاد بدر ونحن نفيناهم إلى بلاد اليمن وأبعدناهم من هذه الأطلال والدمن وقد خرجوا بهيبة الملك النعمان لأنه تزوج بنتهم ولولاهم ما كنا تركناهم يجاورونا لأنهم قوم سوء مالهم ذمام وقصدنا أنهم يرجعون ويكونون تحت أمرنا ونهينا طول الأبد وأنت قد نزلت فى أرضهم بغير خبرة وقد زادتهم قوة وكثرة وقد صعب ذلك على الملك حصن وأراد أن ينفذ اليكم ويرحلكم من جوارهم فا

مكنته أنا من ذلك واشرت عليهم ان ينفذ خلفكم ويتخذكم من جنوده وانصاره فلما سمع قولى أجاب وقد رآه صوابا وقال ياعماه أريد أن تزوجنى بابنة سيدهم سريع فيتصل بيننا الانساب وقد دعوتكم حتى أشاوركم وأنا أقول لكم الحظ الأوفر والجاه الأكبر لأن عدوكم يصبح ذليلا وعيشكم من عيشنا هنيئا وبعد ذلك الأمر مردود اليكم الله اعلم بما تعود منفعته عليكم (قال الراوى) فلما فرغ سنان من كلامه عرف أبو الجارية مقصوده وما طلب فخفق فؤاده من شدة الفرح لأنه أبصر نعمة عظيمة وملكا كبيرا وكرما زائدا فقال لسنان والله يامولاى ان هذا الحال ما خطر لى على بلى والا كنت اتيت بسائر عشيرتى واقمنا فى خدمة هذا الملك لأنى أعلم أن الله قد ايدنى بسعادته وجبر كسرى ورحم رغبتى فمن يكون أسعد منى إذا أصبح الملك حصن صهرى وانتم وحلفاؤكم خلف ظهرى ثم أن سريعا قام على قدميه وشكر حصنا واثنى عليه وقال ياموﻻى عند الصباح أنفذ خلف قومى واوافقهم فى الخدمة بين يديه ونجعل اعتمادنا بعد على الله وعليك ثم أعطاه يده وعاهده على الزواج وازدادت الوليمة طربا وانزعاج وقال حصن لأبى الجارية أنا ما أريد بنتك ليلة الزفاف بلا رياء لاجل أن أكون انفذت من المهر والصداق مايبهر الاحداق وتكون الهوادج كلها مزينة بالديباج والاكليل والذهب الوهاج ثم تخرج بنتك واعمل لها بوما يذكر ما بقيت الليالى والايام ثم انه خلع عليه وعلى أصحابه الخلع النوال وانفذ معه بعض عبيده تسوق الجمال وزادهم فى الاكرام والاجلال وفرحوا بهذا الانعام وقدموا لهم الجنائب الحسان باجلال الابريسم وهى بمواكب الذهب أعطاه ما اعناه وما أبهر عينيه وقد انقضت الوليمة وخرج معه لوداعه أكابر عشيرته وبعد ذلك قال له حصن ياأمير هذا مهر بنتك ما يصل اليك والى عشيرتك ثم تقرر بينهم الكلام على زفاف الجارية بعد عشرة أيام قال لان لنا أصدقاء وحلفاء وأبطال ونريد نرسل خلفهم الغلمان حتى يحضروا إلى هذا المكان فقال الامر اليك أفعل أيها الأمير مايعود نفعه عليك أن من شدة الفرح والطرب سار ومعه الجمال والنياق والفضة والذهب حتى وصل إلى قومه ونظروا ما معه من الجمال والمال والجوار فأخذوه بالفرح والاستبشار وقص عليهم قصته وكيف زوج حصنا بابنته فزادت عندهم منزلته حتى استقر بهم القرار والمقام وخلع على رجاله الكرام الخلع العظام واخذ فى اصلاح بنته وقد زادت فرحته وكانت الجارية نوار تحب ابن عمها مالك ابن قادم تجرى على قلبها ما لا يجرى على قلب بشر وصارت فى بكاء وضجر (قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء واما ما كان من عنتر بن شداد فانه كان جالسا على باب مضربه وعروة بن

الوردو أصحابه بين يديه وإذاهم برجل من الأعراب قد أقبل وهو ينادى يا أبا الفوارس أنجدنى فانى بك مستجير وأنت على انصافى قدير فقال عنتر يا وجه العرب ما حالك وما الذى أصابك فقال له الاعرابى أنا فى ذمامتك وذمامك وأنا جارك فقالى له عنتر وما يقال لك من العرب حتى تقول هذا الكلام وما أظن أنى رأيتك إلا فى هذه الأيام فقال له صدقت أنا يقال لى فايق بن علوان المنبرى فقال عنتر وأى جوار بينى وبينك فقال اعلم يا أبا الفوارس أنى خرجت من ديار قومى ومعى مائة ناقة وقد عولت أن أسير إلى وادى ديقار أبيعها بشىء أجمل به حالى وحال بنتى فسرت حتى وصلت إلى أرضكم فرأيت عبدك ميموناً يسقى أبلك من البئر فدليت حبلى الذى معى فلم يصل إلى الماء فاستأذنت عبدك أن يوصل حبلى بحبله وأسقيت ابلى ومضيت فلما أبعدت المسير خرج على رجل يقال له دريد بن حرملة الفزارى ومعه جماعة من قومه فاخذ النوق منى ومضى وقد أتيت اليك حتى تخلص لى نوقى من بنى فزارة لأن اتصال الحبل بالحبل ذمام وما أعرف نوقى إلا منك لأنى بقيت جارك وفى ذمامك فقال عنتر أنت فى ذمامى ولك على كل ما ذكرت ولكن فى أى وقت أخذها منك فقال الأعرابى فى هذه الساعة وما أظن أنه قد وصل إلى بنى فزارة فقال عنتر لشيبوب أخيه قدم لى الابجر فقدمه اليه فنهض عنتر على ظهره فقال عروة يا أبا الفوارس تسير إلى بنى فزارة ولم تعلم الملك قيس والرأى أنك لا تسير إلا باذنه فقال عنتر ما هذا الهذيان إنما يتسأذن الجبان فيا ويلك يا عروة كيف أستأذن ولى هذه الأبييات الحسان شعرا

تفندى فيم ترى من شراستى … شدة أقدامى زبيبة ولا تدرى
فقلت لها إن الكريم إذا خلا … بيت على حال أمر من الصبر
وفى اللين حين والشراسة هيبة … ومن لم يهب يحمل على المركب الوعر
وانى على أسد الشرى ذو جراءة … ولكننى قشر أذوب على القشر
فان تعذلاتى تعذلا سيد العلا … كريم على الأعسار مستدرك اليسر
اذا هم الفتى بين عينيه عزمه … وصمم تصميم الجواد على الأسر

قال الراوى ثم أنه ركض الجواد وتبعه مقرى الوحش وعروة وجدوا إلى أن لحقوا دريد والنياق بين يديه فزعق عليه عنتر وقال يا عربان أنا عنتر بن شداد كيف تغيرون على جارى وتأخذون أموالهفعاد اليه مقدمهم دريد وقال له يا أبا الفوارس اعلم أن هذه

النوق قد أخذتها من رجل كنانى كيف أنهاك أو تكون من أموالك وتريد أن تلق الفتنة بين قومك وبين بنى فزارة وتتركها عداوة بين الأمارة فقال له عنتر معاذالله أنتم الذين تريدون أن تأخذوا مال من استجار بى ويحتقروا بى فقال دريد يا أباالفوارس نحن نمضى جميعا إلى قاضى العرب ونجمع فرسان القبيلتين وشجعان الطائفتين فان حكموا لك بهافخذها بحق وإن ثبتت لى أخذتها فقال عنتر أنا أريد أن أرد هذه النياق إلى يد صاحبها فهى الساعة بحكمى كما كانت بحكمك وبعد ذلك أسير معك حيث شئت فان ثبته لك على حق دفعته اليك وإن لم يكن لك فيكون مالى تحت يدى ولا أتركه لك وهذا شىء لايكون ابدا ثم أنه سلم النوق إلى صاحبها فقال صاحب النوق يامولاى أنا اخاف أن يقطعوا على ويأخذوها منى فقال عنتر سرانت فى ذمامى إلى أن أموت والقى حمامى فان عارضك فيها كسرى هدمت إيوانه أو قيصر قتلت رهبانه ونكست صلبانه ثم أن الرجل سار وقلبه مشغول بوعد عنتر وتبطن بهافى البرالاقفر وأما عنتر فانه أنشد يقول

أن جارى فاعلموا ذاك من ادنى عيالى وارى ناقة جارى مثل نوقى وجمالى
أن الجار علينا رفع ضيم بالعوالى كى يزول اللوم عنى إن مال الجار مالى

قال الراوى ولما فرغ من شعره قال له مقرى الوحش لله درك ودر أبيك وبارك الله فيه وفيك أمادريد فانه سار إلى بنى فزارة وأخبر حصن بما جرى وقد زاد به النكد وفى عاجل الحال ارسل إلى الملك قيس رسولا ليعلمه ويأمره ان يحضر عنتر ويعاتبه على فعاله والا نرحل ونخلى لكم تلك الديار وأن هذا مايرضيك وتطفى هذه النار فتأمر عنتر أن يرد إلى دريد النوق والجمال والا وقع بيننا وبينه القتال فلما وصلت هذه الرسالة إلى الملك قيس اغتاظ وأنفذ خلف عنتر فحضر وسلم فقال له الملك ماهذه الفعال أتريد أن ترمى بيننا وبين بنى فزارة السيف أن حصن قد أنفذ إلى مع هذا الرجل ذكر أن صاحبه دريد يشتكى منك وقال أنه أخذ النوق من رجل كنانى وأنت قد أدعيت بجواره فلم تدعى أنت بالباطل فقال عنتر والله ماادعيت بالباطل بل بالحق وهو جارى ومنى ومن قال أنه ماهو جارى أرميه بالسيف أترضى أن تخفر ذمتى وأنا منك اليك وأنت تملكنى فقال قيس معاذالله ولكن أخبرنا ماالذمام الذى بينك وبين الرجل لتعرفه فقال عنتر ياشيبوب الحق الرجل صاحب النوق وأرده فانطلق شيبوب كالريح وما كان الا شىء قليل حتى أتى به متغير اللون قال له عنتر لاباس عليك اشرح للملك قصتك فشرح له الأعرابى ماجرى وكيف وصل حبله بحبل ميمون واسقى إبله

واتصال الحبل بالحبل ذمام والتماس الطنب بالطنب طنب فقال عنتر أفعل ما بدا لك فعند ذلك ركب قيس واخوته والربيع بن زياد واخوته القوادون وسار عنتر معهم حتى وصلوا إلى بني فزارة ومازالوا إلى أن اقبلوا على سرادق حصن فترجل الملك قيس والربيع بن زياد وسار بنو عبس فتلقاهم حصن وبنو فزارة وسلموا على بعضهم البعض وجلس قيس الى جانبه حصن بن حذيفة والربيع واخوته فى الجانب الآخر وحضرت سادات بنى فزارة وسنان بن أبى حارثة ومنصور بن عقبه ودريد بن الفزارى والرجل صاحب النوق وقالوا لعنتر أنزل عن جوادك للمحاكمة فقال أنا ما أنزل ولا أحاكم إلا على ظهر جوادى ثم حكى الرجل صاحب النوق ما جرى فقالوا كلهم يا عنتر تعديت على بنى فزارة وليس اتصال الحبل بالحبل ذمام ولا فعل ذلك أحد بين الانام وكان يقول هذا المقام والكلام لسنان بن أبى حارثة فقال عنتر وأنت تقضى بيننا والله إنك خصم على كل حال وأنا أقسم عليك بذمة العرب اعل ما سمعت أن عامر بن لؤى جار بديار قيس بن هوده يسقى الماء على البئر فاذن له بايصال الحبل بالحبل فاوصله واسقى ابله ومضى وبعد مضيه خرجت عليه رجال من العرب فأخذوا نوقه وجماله فرجع عامر ابن لؤى إلى قيس بن هودة وشرح له ما جرى وقال إنى فى ذمامك وما أعرف نوقى إلا منك فسار قيس ورد النوقة إلى صاحبها وقد لزمه مثل ما لزمنى وإن قالت العرب إن اتصال الحبل بالحبل ليس بذمام فانا أجعله مع القوم ذماما لأنى من القوم الذين يلبون الصائح ويمدحون المدائح عارضنى على هذا معارض أخذت رأسه وأخمدت أنفاسه ثم بعد ذلك رد رأس جواده وعاد فلم يجسر أحد أن يعارضه ويكلمه فقال حصن يا بنى عمى اسمحوا لى فى هذه الفعال وما طلب عنتر بهذا إلا حسن ذكرنا بين العرب فاشهدوا على أنى قد أحربت ذمامه وقد قبلت كلامه على أن هذه النوق ما دخلت فى ماله ولا أخذها ولا طلب إلا حسن الشيم وأن كان يادريد يعملك هذا فخذ منى عوضها نوقا وجمالا ولا تقم الحرب بيننا وبين بنى عمنا فابى دريد أن يأخذ منه عوضها وكان حصن قد خاف أن يوقع الحرب مع عنتر قال ورجع عنتر وقد فاز بالذكر الجميل وكان معه الحارث فقال له عنتر أراد أخوك قيس أن أذل لبنى فزارة فقال الحارث لله درك من همام أما ما كان من الغلام مالك فانه فرح لما وصل سالما فلما دخل إلى أمه قامت اليه واعتنقته وبكت عند لقائه حزنا وطفت بملاقاته نيران احزانها وشكت له ما جرى فى ايام دهرها وزمانها وما عمل أبو الجارية فما التفت اليه ولا سال عنه لأن علو المنزلة يغير طبع الإنسان

ويلبسه من حلل التكبير ألوان * هذا والغلام قد أخذ يسأل أمه عن ابنة عمه وما جرى بعده وقال لهـــا فى آخر كلامه يا أماه أبصرت اليوم لعمى سرادقات وهمة واهتماما ما كنت أبصرها قبل هذه الأيام فقالت أمه وقد بكت يا ولدى لأن غيبتك قد طالت على عمك فزوج ابنته لغيرك ثم ذكرت له قصه حصن بن حذيفة وما جرى له ولأبى الجارية وكيف عاد من عنده بالخلع والمال والنياق والخيول وحدثت بالحديث إلى آخره فلما سمع الغلام هذا الكلام غشى عليه حتى غاب عن الدنيا وأنهل دمعه وجرى وترك يده على أحشائه وقد خفق من شدة ذلك فؤاده وصار يقول واحسرتاه كيف ضاع تعبى والعنا فيا ليتنى نهبتنى أطراف القنا ولا عدت سالما من الأعداء على أننى وحق من رفع السما ما اترك ابنة عمى تخرج من الاحياء حتى انقطع بشفار السيوف وابقى طريحا على البطاح فقالت له أمه وقد زادها البكاء خوفا عليه من القتل والله يا بنى ما بقى لك إلى الجارية سبيل مادام أنها قد تزوجت الملك الجليل وإن أنت حركت من أجلها ساكنا هلكت لأنك رجل غريب وحيد فقير قليل السعد خائب المنى وحصن بن حذيفة ملك كبير والصواب عندى أنك تسلوا عنها وتتزوج بغيرها من البنات وأنا والله أزوجك باحسن منها فقال الغلام والله لا أتزوج بغيرها أبدا ولا أشمت بى أحدا من الأعداء ولا بدلى عند الصبا أن أمضى الى خليلى عنتر الذى من اجلى أمن أباها وأعطاه الزمام وأنزله فى هذا المكان وأحدثه بقصتى وأشكو اليه مصيبتى ثم أنه بات تلك الليلة يتقلب على الفراش ويلح على أمه فى السؤال وهى تخبره أن نوار غير طيبة القلب بهذه الفعال وأنها تبكى عليه فى الخلوات وتذكره فى سائر الأوقات وهو كلما سمع كلام أمه زاد به الطمع وجرى دمعه على خديه كالسيل ويعاتب أمه ويشير عليها يقول صلوا على الرسول

علليني يا أم بالتـــذكار ... واطفىء الجوى بذكر نوار
وإذا الدمع خانني فاسعفيني ... بدموع من مقلتيك غزار
طال ليلى وقد تيقن قلبى ... انني لا أرى ضياء النهار
ليتني مت فى بلاد الاعادى ... أو قتيلا بالسيف تحت النهار
يا حمام الاراك كن لى معينا ... مسعد بالحنين فى الاسحار
أسعدينى إذا تنوحى بليل ... للمعنى الحشا البعيد المزار
فدموعى تروى الظما وتطفى ... ما أكننه من لهيب النار
جار عمى ظلما ولم يبد عذرا ... خاب ظنى فى الظالم الغدار

وتعدى وجار بالشؤم جورا   قد يؤدى الى خراب الديار

قال الراوى ولم يزل على ذلك الحال حتى طلع الصباح وأشرق فركب وسار الى جهة عنتر فلما وصل اليه فى المضرب فلما رآه سلم وخدم وأراد أن يشكو اليه حاله فسبقه الدمع فلما بصره عنتر عرفه وترحب به فرأى دموعه جارية فسأله عن حاله فباح باسراره ثم حدثه بقصته ثم قال له فى آخر الكلام يا أبا الفوارس ماشكوت اليك أحوالى الا وقد أشرفت على الهلاك وما ألاقى من ألم الهوى وتباريح الجوى فلما سمع عنتر هذا الأمر ضاق صدره ونفذ صبره وسب حصن بن حذيفة وبنى بدر وأن الجارية كيف مالت نفسه إلى كثرة المال ثم قال لمالك طب نفسا وقر عينا فانا أتى بها اليك وأزفها عليك وإن حرك حصن ساكنا سقيته كأس حمامه ثم احضر له شيئا من الطعام وترفق به فى الكلام وطيب قلبه ثم احضر مقرى الوحش وجماعة من الرجال الذين يعتمد عليهم فى المقال وطلب بذلك أن يأخذ رأيهم فيما يفعل فلما حضروا رأوا الغلام قد عاد سالما سلموا عليه وسالوه عن حاله وما الذى جرى له فحكى لهم عنتر ما جرى بينه وبين عمه وكيف غدر به وزوج بنته الى حصن بن حذيفة ثم شاورهم عما فى ضميره فقال له أبو شداد والله يا ولدى ماهذه الا قضية مشكلة ربما تكون عاقبتها غير محمودة لاننا إن أحضرنا الجارية وعاندناه ضيعنا ما عملناه من جميل وقد وقع لبنته على ملك من الملوك وربما احتج علينا ويقول إن ابن أخى قد طالت على غيبته وآيست من قومه والبنت مالهـــا إلا الزواج وربما يحتج علينا بذلك غاية الاحتجاج وأن اخذتها غصبا أقاموا علينا الغارات وتقع الفتنة بين بنى عبس وبنى فزارة وتصير الناس كلهم علينا ويقول حصن إن عنتر سبى زوجتى وأخذها من بين أيدينا وأعانه الملك قيس على حربنا ونبتلى بشى لا نطيقه ولا نقدر ندفعه عنا ويفتح علينا باب لا يسد وهذه الأمور التى تجلب الشر ما يطاوعنا عليها أحد وأن بلغ أبا الجارية أننا قد أنفذنا من أجل ابن أخيه رجلا إلى بنى فزارة وأخذ الجارية فانه يلتجىء إلى حصن بن حذيفة ونبقى نحن ما نقدر لهذا الغلام على نصرة ولا نجلب لقلبه فرحة وهذا الأمر لا يخلو من هذه الوجوه واننى قد شرحت لكم شيئا تعرفوه قال فلما سمع عنتر من ابيه هذا الكلام زاد به الغيظ وقال يا أبت وحق من أرسل الاعلام ويعلم ماتخفى الصدور واحصى عدد الليالى والأيام لا كسرت قلب الغلام ولاخذن له ابنة عمه ولو سار بها أبوها على ظهر الغمام وها أنا صابر ولا أتحرك بحال من الأحوال ولا أطلع أحدا على هذه الفعال حتى يتنجز أمر هذه الجارية وتزف على حصن ولا يبقى كلام فعندها أخرج أنا ثم آخذها من الطريق وكل

م. مانع عنها حلقت رأسه بهذا الحسام وإذا صارت فى خيامنا منازعة فيأتى كل من فى الدنيا يأخذها منى ويعرف أحواله وماتكون ومن هو الذى يخسر ومن هو الذى أمره يهون وعندها قال لهم عنتر لما كنت أنا وأنتم فى دعوة الجاريه وذكر لنا أنه زوجها لهذا الغلام من قبل مضيه وأنه قد توجه يأتى بمهرها ويأخذها فلاى شىء يغدر به ويمنعه عنها فقال الحاضرون بلى يا أبى الفوارس كان ذلك من غير ريبة ولاخيفه ولكنه غدر لما وقع له مثل حصن بن حذيفة وطلب كثرة المال وعلو الجاه وأمل أنه إذا أمره يعيش تحت عزه فقال عنتر إن كان قصدة المال فانا أعطيه كل ما يريد وإن كان قصده الجاه فانا أحميه بسيفى وأن لم يردوا أكثرنا بقول الملك قيس أرحل عن أرضى وأعمل أنت وغرماؤك ماتريد. ثم قضوا بقية ذلك اليوم يشرب الراح وتناول الاقداح فلما كان عند الصباح قال عنتر للملك عد أنت إلى أبياتك ولا تكن بهذا الأمر نادما ولاتقبح على عمك أفعاله ولا تظهر لاحد صعب عليك أعماله وأن كان يوم الزفاف وأبصرت بنى عمك قد اشتغلوا بامورهم فاتركهم وهم مشتغلون فى فرحهم وسرورهم وأنت بامك وكل أموالك وأبشر بعد ذلك ببلوغ الآمال قباس الغلام يده وبعد ذلك بأيام تنجز أمر الجارية وأنقضى لها حسن الهوادج وأيضا أنفذ أعلم الملك قيس وأخوته إلى الربيع بن زياد يعلمهم بقصته ويسألهم أن يشرفوه ويحضروا وليمته فعجبوا من ذلك وقال الربيع ماهذه الفعال فنحن ما كان فى نسائنا ونساء بنى فزارة من يرد حصنا عن هذه الأحوال حتى يتزوج من هؤلاء الكناكين ويخالطهم بانسابنا ويجعل احسابهم متصلة بنا فقال الملك قيس للربيع لاتستقبح هذه الأمور ومعانيها الآن حصنا على كل حال صبى وربما يكون أبصر الجاريه اتفاقا فهوى بها ثم تجهز فى الحال وسار هو وأخوته بجماعة كثيرة من عشيرته وعرضوا على عنتر أن يسير هو وأعمامه فما أجابوا إلى ذلك لأن عنتر عازم على ماقدمناه من أموره ومرامه فقال للملك قيس أنى أخشى من الأمور الحادثة وأنا أعلم أن بغضتى لاتزول من قلب حصن وسنان بن أبى حارثه ولا اشتهى أحضر مع من لا يريدنى طول زمانه ويكرهنى ومن حتفى يريد أن يطاردنى فعذره قيس وانطلت عليه تلك الوسيلة وسار الملك قيس إلى بنى فزاره وولده زهير أمامه فى جماعة من فرسانه والكل بالثياب الملونة من الديباج المعلمة بالذهب الوهاج ياساده فلما تمادى بهم المسير ولم يعلموا بعدهم تحدث به المقادير فخرج بعد ذلك عنتر وكمن خلف الحى فى جماعة من الذين التجؤا اليه وقال لابية شداد وأعمامه اعلموا أن هذا الأمر الذى عولنا عليه إذا نحن فعلناه مايبقى لنا فى هذه الأرض مقام فنريد أن ندبر أنفسنا فيما عزمنا أن نفعله من

المرام لأن بنى فزارة و الربيع بن زياد ناس كثير واللجاج وإذا بصروا فعالنا يبغوا علينا وكذا الملك قيس وحصن بن حذيفه ربما أنهم أرادوا أن يوصلوا الاذية الينا والرأى عندى أننا نرحل بالمال والعيال بين أيدينا ونامر العبيد أنهم يبعدوا فى البر بالجمع ونبق نحن على ظهور الخيل مختفين منتظرين لما يأتى الينا سريعا إلى أن تزف العروس وتقدم إلى بنى فزارة فطلع نحو ونأخذها ونلحق بأهلنا وكل من لحقنا أنزلنا علية الذل والخسارة وإذا ملكنا الجاريه فى أيدينا نزلنا على بعض الاماء وزففناها على ابن عمها ولا نعود حتى لا يقبل الملك قيس له حجة على حصن إذا عتب علية فى ذلك الأمر ويقول يا ابن العم إن الذى فعل هذا الفعل قد خرج من تحت طاعتى وعصانى فى كل الأحوال فدونك واياه وجد فى طلبه من غير تقصير وإن ظفرت به أفعل به ما تريد قال الراوى فلما سمع منه أعمامه هذا المقال وأطاعوه وعلموا أنه صواب واحتاجوا أن يتبعوا رأيه فيما أبدى لهم من الخطاب ولا يقيموا بعده فى الديار فتغدر بهم بنو فزارة ويقطعوا منهم الآثار فقال لهم شيبوب والله يا بنى الأعمام هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب وأننى أردت أن أشور عليكم بهذا الكلام فسبقنى أخى اليه وأن كان كلامه هو المعول عليه ثم أنهم بثوا أمرهم على ذلك الحال وأخذ شيبوب المال والعيال ورحل بها فى الليل وجعل ينهب الأرض نهبا إلى أن وصلوا إلى مكان يقال له مسارح الظبا وكان معه مائة فارس وبقية الأبطال وهم أربعمائة فارس من الرجال الشداد لأننا قد ذكرنا قبل فى هذا الديوان أن بنى قراد عددهم ثلاثمائة فارس أنجاد وهم أبطال أقيال شداد وكانت رجال عروة مائة فارس وانضاف اليه عند مجيئه مائة فارس قال الاصمعى وعند الصباح وصل اليهم ذلك الغلام الذى هو مالك بن قادم الذى طلعت من تحت رأسه هذه الأمور العظائم فسأله عنتر عن الزفاف فقال له يا مولاى قد نجز الأمر وما بقى فيه خلاف وما خليت القوم الأعلى نية الرحيل عازمين بالعروس على الجد والتجويل وقد وصل اليهم سنان بن أبى حارثة ومعه خمسون فارسا من بنى فزارة أحترزوا من أمور تكون عليها حادثة والكل بالسلاح الكامل يريدون بذلك الزينة وأما العروس فقال له عنتر اليوم أصبحهم صباحا منحوسا وأشتتهم فى البرارى والقفار وآخذ منهم العروس ومن عصى قتلته وأنزلت به العكوس يا سادة يا كرام ثم أن عنتر أصبر حتى أضحى النهار وعلم أن القوم قد افسحوا فى القفار فركب هو ومقرى الوحش وعروة بن الورد ومن معهم من الرجال الذين هم مدخرون للشدائد والأهوال فى البر والقفار فعندما لبسوا السلاح ومدوا صدور الورد وتسربلوا بالحديد المنضد ركضوا

على آثار بنى فزارة وهم يريدون أن يأخذوا منهم العروس ويوقعوا بهم الذل والخسارة فلحقوهم وقد بقى بينهم وبين ديارهم فرسخ طريق وكان سائرا فى المقدمة من غير تعويق ومن خلفهم الهوادج ومن حولهم العبيد بالدرق وبالسيوف الرقاق والرماح الدقائق وأقبلت الدنيا من فرحهم بالصياح والزعاق والجارية نوار جالسة فى هودج مجلل بجلال الابريسم الأخضر وكذلك الهودج قوائمه من العرعر وهو مصفح بصفائح الذهب الأحمر ومكلل بالدرر والجوهر وهو على بعير أحمر أسود الحدق طويل العنق وهو مخطم بخطام من حرير ابريسم وذلك الذمام بيد عبد أدهم أدغم والجارية من داخل الهودج ومن حولها أقاربها وقومها وهم بالزينة الفاخرة والحلل الظاهرة والزينة الشاملة وهم يطردون فى تلك البطاح ويتماعنون فى مسيرهم بالرماح وقد أكثروا الفرح والصياح قال الراوى لهذه الأقوال الصحاح وكان حصن ابن حذيفة قد لبس ثيابا جميلة وتطيب وزين أحواله وركب على حجرة أبيه الغبراء وهى بمركب الذهب والاعلام على رأسه تلتهب والفرسان من حواليه دائرة وهم يرقبون إلى حضور العروس ووصلوها فلما أبصر عنتر إلى تلك الأحوال قال لعشرين فارسا من أصحاب عروة الابطال دونكم وهؤلاء العبيد أفرشوهم على وجه الصعيد وابدلوا فيهم السيوف وأسقوهم شراب الحتوف وسوقوا العروس هى ومن معها من الاماء والحقوا بأخى شيبوب إلى مسارح الظباء ودعونا ونحن نرد عنكم الخيل وإذا عادت ننهبها نهبا ففعل ذلك رجال عروة حتى قاربوا العبد القائد بزمام ناقة العروس ضربه أحدهم على عاتقه بالحسام البتار وإذا برأسه عن جسده قد طار وقتل أصحابه جماعة من العبيد وهرب الباقى فى جنبات البر والبيداء وتقدم مالك بن قادم وأخذ بزمام ناقة بنت عمه وقد زال عنه همه وغمه وسار وتبعه باقى الرجال الأخيار وساقوا النوق والاماء والهوادج ومن فيها من النساء والأحرار قال الناقل لهذه الأخبار فعندما بلغ الخبر الى بن أبى سنان بن أبى حارثة من العبيد بهذه المصائب الحادثة فظن أن الذى فعل هذه الفعال خيل غائرة فحركوا الجنائب لينظروا من أين أتتهم هذه المصائب ثم أنهم هزوا بأيديهم عوالى الرماح وجدوا إلى أن تقاربوا ورفع بينهم الصياح فتقدمها سنان فعرف عنتر بن شداد وعرف الذين بصحبته من بنى قراد وكذلك رجال عروة الاجواد فوقف سنان وقال ماهذه الأحوال يا بنى الأعمام سكارى أنتم أم عقولكم قد اختلت وأنتم فى منام يا ويلكم تسبوا حريم حصن وساداتكم فى الولية ونجد دون الدماء بين القبيلتين وتحوجونا إلى الشر وأقامته وهذا مانريده منكم وأنتم تعلمون أن الفعال الا لاجل أبى الجارية الذى ظلم وفعل بئس الفعال وزوج بنته لا بن أخيه مالك وقد

شهد على نفسه بذلك وذكر أنه قدغدر بهو شبتت بهأعداءه وذلك لما أتيت أنا به وأنزلته فى جوارى وأمن هو وقومه لكونهم أقاموا فى ديارى ومضى الغلام يتسبب فى شىء يرضى به عمه من غير علمى وكان ذلك حظى وقسمى وقد أتيتم أنتم وفعلتم هذه الفعال ورغبتم أبا الجارية فى وزن المال وتزوج بها حصن وطلب بذلك ارغامى وهذا شىء ماتركته يتم على من أعطته زمامى ولابد لى أن أعبد السيف إلى أقاربه وأعطى إلى أصحابه وأقابل الظالم على فعاله ومن ركب على غير طريق والاعتداء وأنت مرغوم مذلول قال الراوى فلما سمع سنان هذا المقال حال والتهب ولحقه الانبهار وخاف أن يطول فى المقال فيقتله عنتر قتلا وكتم أمره حتى كأنه ماعلم بالخبر وقال له ياابن العم أنت وشانك أخبروا نحن ندعك ياأبا الفوارس تكوز فى الأمر محكما حتى إذا رأيت عاقبة مذمومه ورأيت أنت نفسك فى الخطر وتندم حيث لاينفعك الندم لأنك قد أغضبت القبيلتين اللتين أنت منهما وفعلت هذه الفعلة التى كنت غنيا عنها وأرضيت رجلا غريبا وأقمت الفتن أنى أخشى عليك من هذه المصائب والمحن ياسادة فقال عنتر ياسنان وحق ذمة العرب وفضائل شهر رجب والرب الذى إذا طلبه كل العباد غلب مايحل الندم إلا بك وبقومك أجمع إذا أنتم وقعتم فى ملاقاة الأسد الادرع أما أنت شاهدت وقعاتى فى بنى فزارة ومافعلت فيهم من العبر وكم مرة رددتها باذيال الخسارة وكم أهلكت منهم من فرسان ومافيكم من قدر على سيف ولاسنان ومتى رفع لكم بنو العرب رأسا ياأخس الاجناس وياابن الف قرنان ثم أنه من شدة الغيظ الذى نزل به أشهر الحسام وهم أن يهوى به اليه فلوى سنان عنان جواده وطلب العودة من غير خصام وعادت فرسان بنى فزارة وعاد عنتر وقد أشفى فؤاده بالكلام وأما أبو الجارية فإنه خاف أن يرجع إلى بنى فزارة فيحل به ماحل بهم من الخسارة فجمع أصحابه وتقدم إلى بين يدى عنتر وبكى واشتكى وقال ياأبا الفوارس لاتظن أنى فعلت هذا الفعال وإنما أنا غضب عليه فأنفذ إلى حصن يقول لى إن لم تزوجنى بنتك وإلا أخذتها غصبا لأنى صاحب هذه الأرض والوادى والقوم الذين أنت نازل عليهم هم عندى وفى بلادى وكان أيضا ابن أخى قد سافر وطالت غيبته وقد أيست منه وخفت من اثارة الفتنة من جهة وأنا رجل غريب من الأوطان فزوجته بالجارية لأجل أن تنطفى هذه المحن الآن ابن أخى أحب إلى مادام قادرا على حمايتى وهو أحق بينتى من غيره فقبل عنتر عذره وفعل معه فعل الرجل الكريم وقال له الحق أنت وقومك وكان الصواب القبض على سنان أو أقتله لأنى أعلم أنه يعود إلى بنى فزاره ويملأ قلوبهم

علينا ويحثهم على النفور الينا ثم أنهم ساروا وقد بلغوا المقصود وأملوا أنهم يرزقون النصر من الملك الودود قال الراوى فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما من أمر سنان بن أبى حارثة فانه لما فارق عنتر ركض وجد فى المسير مقدار فرسخ وهو سكران من شدة الغيظ ولم يزل حتى أشرف على بنى فزارة فرأى حصنا وهو راكب على حجرة أبيه الغبراء وعليه كما ذكرنا حلل الجمال وحوله موكب كبير من الرجال وقد تباهى بالزينة والملبوس وقد ظهر إلى خارج الخيام فى انتظار العروس وفرسان بنى فزارة عن يمينه وجماعتهم خلفه والربيع ابن زيادة وجماعته عن شماله وهم فرحون ببلوغ آماله ولما رآهم سنان وقرب اليهم صار يقول أدركونى ياسادات العرب فقد ذهبنا وتعدى علينا هذا العبد الانكد فالعجل قبل ما يبلغ منا هذا العبد ولد الزنا الأمل قال الراوى وما دهاه فأعاد عليهم ما فعل عنتر وكيف أخذ العروس وتجارى على هذا الأمر المنكر ولما انتهى مما أعاد عليهم من تلك الأقوال القباح تبدلت أفراح القوم أتراح وعلا من الرجال الضجيج والصياح وأما حصن بن حذيفة فانه غاب عن الوجود ونضحت الرشدة الغيظ المكبود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وأما الربيع بن زياد فقال لعن الله الأصل المفسود لأنه أبد الدهر لايرفع ولا يسود وأبصر الملك قيس ما جرى على حصن قطيب قلبه وخفف ما اعتراه من كربه وقال وحق ذمة العرب أن هذا الولد بن زنا وقد عدل عن طريق الاستواء وما بقى له بعد هذه الفعال إلا السيف دواء ثم أنه استشار الربيع فيما يفعل حتى ينظر ما يبديه من كلامه فقال له ما فى الأمر إلا أننا نعود إلى الحلة حتى تطبق على هذا الولد فى خيامه ونقبض عليه وتبدل بالذل إعزازه وتضرب من هؤلاء الكنانيين خمسة رؤس وترد بعد ذلك على حصن العروس وبعدها فأنت الحاكم على هذا العبد الشرير إن شئت تدعه عندك أسيرا وتجعله دائماً يطحن الحنطة والشعير وإن شئت أبعدته ونفيته عن الحلة وتترك فرسان العرب تتصده وتأخذ ما لها عليه من الدماء أو يرجع اليك ويلزمه ما كان علينا من قالة ودية أو يتوب عن فعاله الردية فقال الملك هذا هو الصواب ثم وعد حصنا بما دار بينهم من الخطاب ثم أن الملك قيس عاد إلى حلته وفى قلبه لهيب النار ومازال يفكر فيما يفعل حتى أنهم أشرفوا على الديار فرأوها بلا قائل ولا سامع فقال الربيع ها قد عرف القرنان ما يجرى عليه قبل أن نقربه وحسب الحساب قبل أن نحسبه وما فى الأمر إلا أننا نرسل إلى حصن نعلمه بهذا الحال وندعه طلبه بكل ما قدر عليه من المواكب والأبطال ثم أنه مباح ونحن نعينك عليه بما نقدر عليه من الرجال والسلاح ولما وصلت الرسالة إلى حصن

زاد بلاؤه وهانت عليه الآجال واطم على وجهه وقال لسنان يا عماه انظر ماذا تعمل معى والا انقطع من الدنيا مطمعى فان هذه الجارية إن لم تأتنى ذاب جسدى وتفتت كبدى فقال سنان والله ياولدى إن فى قلبى من الهم أقوى مما فى قلبك من هذا العبد ولد الزنا إن لم أحرص على هلاكه عند قلة ناصره مت كمدا ولا يدرى بموتى أحد لأنه رجل فى دون المائتين فارس ورأيته سائر إلى ناحية مسارح الظبا وقد رحل ومادام قد تخلى عنه قيس فانى عند الصباح أسير خلفه بجمع من الرجال وأرغم أنفه لعلنا نكاثره ونذيقه الوبال وننسى حريمه ثم أنه نادى بين الخيام والأطناب وأمرهم بأخذ الأهبة للرحيل فلما كان عند الصباح ركب وفى دون ساعة عقدت على رأسه الأعلام ودارت به الرجال ولحق به كل بطل همام وسار سنان فى المقدمة وهو طالب إلى مسارح الظبا وقد تكاملت الجيوش أربعة آلاف فارس من كل مدرع ولابس كأنهم الأسود العوابس هذا وحصن سائر أمامهم وأخذ ينشد ويقول صلوا على الرسول

ضنانى العشق ياسادات بدر	ففكوا بالسيوف وثاق أسرى
أعينـونى ببيض مرهفات	وأطراف من اللحظات سمر
أنسى زوجتى وأبى وجدى	وتخشى العـار فى سهل ووعر
فواعجباه كيف يذل مثلى	خسيس الأصل عبد غير حر
فتاة فى القلوب لها لهيب	يذوب له الحشا من غير جمر
سأترك فى ديار بنى قـراد	عويلا دائما فى كل فجـر
على العبد الذى أضنى فؤادى	وأسهر مقلتى وأطال فكرى
فان صدتنى الأيام عنـه	وجال بسيفه فى آل بدر
طلبت الموت بالسمر العوالى	كما قد مات قبلى كل حـر

قال الراوى وساروا يقطعون الأرض ركضا وأى ركض ويجيبونها رفعا وخفضا على ذلك الترتيب وقلوبهم تغلى بالمصايب والأحقاد على عنتر بن شداد قال وكان عنتر لما ملك العروس وسلمها إلى ابن عمها وعاد عنه سنان وسار وهو يسوق الهوادج والمال والحريم والنساء حتى وصل إلى أخيه شيبوب وقت المساء ونزل فى أرض مسارح الظباء وطابت قلوبهم على بنى كنانة وعادوا إلى ما كانوا عليه من الذمام والأمانة وفرحت الجارية بابن عمها وقد زال عنها همها وعمها وتكلم أبوها فى زفافها فقال عنتر ما هذا محل نتهىء فيه بأعراس وولائم ولا على المقام فى تلك الأطلال والمعالم لأن بنى فزارة عن قريب

يغزونا وسنان بن أبى حارثة يجمع الجموع علينا الصواب أننا نبعد عن هذه الديار ونبطن فى طوات القفار ولكن ما نرحل من ههنا حتى نكسر خيلهم ونبدد أبطالهم وترد فرسان بنى فزارة وهى معلقة بأذيال الخسارة لأنى أنا أعلم أنهم عند الصباح يكونون معنا لأنى أعرف حماقة حصن ولجاج سنان ولا بد لى أن أوثر فى بنى فزارة أثر ثم أنه رتب عروة بن الورد وعشرين فارساً للحراسة من الطارق والوارد وسار هو الى بنت عمه عبلة وبات عندها حتى مضى الليل وإذا قد طلع عليهم غبار الخيل لأن المسافة كانت بينهم قريبة وكان سنان سار فى بنى فزارة ذلك اليوم وأرفق فى المسير حتى تلاحقت بهم الفرسان ولما كان وقت المساء أمر الناس بالنزول والراحة إلى وقت السحر ورحل فوصل إلى مسارح الظباء وعند وصوله ارتفع من أصحابه الصياح فعرف عنتر حقيقة الحال وقال هذا الحساب الذى حسبته واليوم ألحق حصنا بابيه وأعمامه وأعرفه كيف يكون على قومه شؤم طلعته ثم أنه ركب على ظهر مهره وكان قد لبس الدرع وتقلد بسيفه الظامى واعتقل برمحه الكعوب الاسمر وقال لفرسانه دونكم يا بنى عمى وهؤلاء الانذال القليلين الخبرة بأمر القتال ولا تطعنوهم إلا باعقاب الرماح لأن دماءهم علينا حرام ولكن عرفوهم قدرهم واقبلوهم على بغيهم ثم أنه حمل على ظهر مهره وزعق فيه فالتهب وطار بلا جناح ولا ملل ولا تعب ثم بعد ذلك أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

أنا البطل الندب يوم الكرب	إذا نشط القوم طعن القضب
أشط الرماح لنحر النحور	وأغمد فى الهام بيض الشطب
وأرعى لجارى حق الجوار	وأردى العدو رهين الترب
ترومون ظلمى بافعالكم	وشرط الظلوم عناد العرب
وإن لم أخلى لهيجانها	فلست ابن شداد شجاع العرب

قال الراوى ثم أنه لما فرغ من إنشاده حمل وتبعه مقرى الوحش وعروة بن الورد وحملت الرجال الذين كانوا معه وفى ساعة الحال اختلف الطعن واشتد القتال وعرف الادبار من الاقبال وعظمت الرواجف من شدة الزلزال وبطل حكم البراح والنزال وصار مهر عنتر يهمز من تحت الغبار كهمزات الغزلان وبسطوا عليهم حتى أنهم طلبوا منهم الانفصال وعنتر يطعن فى خواص الرجال ويمدد الأبطال على الرمال ومازالت الطائفتان فى القتال حتى عول النهار على الارتحال فانهزمت بنو فزارة واعترفت باذيال الذل والخسارة

لأنهم أبصروا عنتر بين أصحابه يطعن بأعقاب الرماح فى القتال فعلموا أنهم ماخطروا له وعلم حصن بن حذيفة بتقصيرهم فايس من العروس وكاد من شدة ما جرى عليه أن تملك نفسه وهم أن يخرج من تحت الأعلام ويقاتل فى الصدام فمنعه سنان وخاف أن يصيبه عنتر فقال له ياولدى لا تخاطر بنفسك فيما سلكك هذا الشيطان ودعنا نصادم إلى وقت المساو غداة غد ترى ما أفعل بهم لاننا لما أقبلنا عليهم علمت أنهم يقصرون عند مقابلة وأنا ما سرت بهذه العسكر اليسيرة إلا تبعا لغرضك حتى أننا حلت بنا من العبد هذه الأمور الخطيرة وانى قبل مسيرى أرسلت إلى بنى عمى هاشم بن حرملة وأوصيته أن يلحقنا بمن يقدر عليه من الفرسان فرسانه المتجمعة وأقول أنه يدركنا عند الصباح وأن بقينا على ما نحن فيه من هؤلاء القوم من الحرب والكفاح فالزم أنت ناموس الملك وقم تحت الاعلام ودعنا نحن نبذل المجهود فى هؤلاء الأوباش اللئام (ياسادة) ولما فرغ سنان من هذا التدبير والمرام قال له رجل من قومه اسمه أبو حامد ياسنان ومن يقدر أن يقيم إلى غداة وحق القديم الماجد إن أقمنا إلى غد ما يبقى مناولا واحد ولا يقدمنا إلا فحل لا يخاف الفحول ولا يثبت بين يديه إلا من يصبح أسيرا مذلول والصواب أننا نطلب منه الأمان ونترك له العروس ونعود إلا عنق عددنا ومن معه من هؤلاء الأبطال والجنود ولاسما هؤلاء الرجال الذين لم يخطر لهم الموت على بال واحد منهم يعد بفرسان وقبائل فقال له سنان أذل الله رقبتك ياأبا حامد ما أخبثك فلا نجوت من الشدائد ولكن وحق الرب القديم الواحد لارجعت عن هذا الأمر حتى أبلغ ما أنا قاصد وسترى بعينك وتشاهد ثم صاح فى الرجال وحثهم على القتال فقاتلوا حتى غسق الظلام وأذن النهار بالانصرام فرأوا فى ذلك الوقت من عنتر طعنات تحير الأفكار وتذهل الأبصار وبقوا لم يعرفوا ما يتأتى لهم من الأخبار فولوا الادبار وطلبوا منازلهم والديار وقد ألهبهم عنتر بالطعن والضرب وعروة ومقرى الوحش قد فرقهم شرقا وغربا ونجا حصن على فرس أبيه الغبراء وقد غاص فى البيداء وهو لا يصدق بالنجاة ولا أن يرى روحه سالما من الأعداء (ياسادة) وكان قد انجرح جماعة كثيرة من بنى فزارة وبقوا مجروحين على وجه الثرى وباتوا فى تعب من أثر الرماح فأخذهم بنو عبس أسرى وعادوا عند المساوهم يتباشرون بالنصر وقد أمنوا من الغلبة والقهر وعنتر بين أيديهم كان الأسد البهلول وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

إذا قنع الفتى بذميم عيش ... وكان له اختفاء كالبنات
ولم يهجم على الأسد الضوارى ... ولم يطعن صدور الصافنات

ولم يخش النزيل إذا أتاه ... ولم يرض الكماة بنى الكماة
ولم يكسب بضرب السيف مجداً ... ولم يك صائباً فى النائبات
ويحمى عن حمى الجيران جهدا ... ويروى الرمح من دم العصدة
فقل للناعيات إذا نعوه ... ألا فاقصرن فعــل الناعيات
ولا تنـــدبن إلا ليث غاب ... همام فى الحروب الثائرات
دعونى للحروب إذا ألاقى ... فوت العز أطيب من حياتى
وأضرب بالحسام إذا تنادت ... أسود الغاب عند الضائعات
لعمرى ماألفت لكسب مال ... ولا يدعى الفتى من السراة
سوى أن كان يدرى الضيق يوما ... ويطعن بالرماح الذابلات
ويقتحم العجاج ولا يبالى ... ويضرب بالسيوف القاطعات
ويذكر فى الحروب إذا تنادت ... حماة الحــــرب تصرخ بالحماة
فذاك الذكر باق ليس يفنى ... مدى الأيام من ماض وآت

قال الراوى فلما سمعت السادات من عنتر الأبيات طربوا لة غاية الطرب وما فيهم إلا قوله تعجب ولما رجعوا وقربوا محل القرار جمعهم عنتر للمشورة فى الإقامة أو الرحيل من تلك الديار وقال لهم يا بنى عمى الذى أشير به عليكم أن هذا المنزل لا نقدر على الإقامة فيه لأن سنانا لا يغفل عن غزونا وعما يدبر فى أمورنا والصواب أننا نرحل من هذه الأرض ونتحصن ببعض الجبال حتى نكون آمنين على الأهل والعيال والأموال فقال شيبوب ارحلوا بنا عند الصباح إلى جبال بنى غزية وأقيموا فى تلك الجبال الحصينة العليا لأنها جبال طيبة المساكن خصيبة البقاع والأماكن ومالنا هناك جوار سوى دريد بن الصمة وقومه بنى جشم وبنى هوازن وأن القوم مسافتهم عنا مسيرة يومين وأنا أعلم يا أخى أن دريد بن الصمة إذا سمع أنك رحلت من بنى عبس وعدنان وأتيت إلى هنا ونزلت الى هذا المكان فيأتى اليك ويسألك أن ترحل معه الى أرضه وتقيم عنده وعند بنى هوازن وذلك يكون زيادة فى جاهك بنزولك فى جواره فقال عروة بن الورد لقد أتانا شيبوب بالصواب لأننا كلما بعدنا طالت المسافة بيننا وبين الأعداء واسترحنا من الحرب وكان أهنى لعيشنا وأريح لقلوبنا من العذاب ثم أن القوم باتوا أمرهم على مثل ذلك المقال والقيل فلما أصبح الصباح وقد عزموا على الرحيل وإذا بخيل قد أشرفت عليهم من عرض البر الطويل فكشفوهم فاذا هم مقدار خمسة وعشرين فارساً فلما حققهم بنو عبس أنكروهم وتبادروا إليهم وسألوهم عن أحوالهم وعن أنسابهم فأخبروهم وكانت هذه الخيل من سارات بنى كنانة وقد أتوا يترضون أبا الجارية ويتبعوا معه حد الأمانة لأنه

ذكرنا أنه رجل من عند قومه هو ومن معه غضبان ووقع بهم عنتر فى البر يوم المطر وجرى لهم ماجرى من ذلك الأمر والشأن وفى ذلك اليوم أشرفت عليهم تلك الفرسان وقد تعارف الرجال بعضهم ببعض وفرحوا الآن الله قرب عليهم العنا وتقابلوا فى تلك الأرض وتباكوا من ألم الفراق وعتبوا القامين على المقيمين لأجل الغربة والتشتت فى الافاق قد حلف الفرسان القادمين أنهم لا يعودون إلى قومهم إلا بهم أجمعين ثم أنهم تقدموا إلى خدمة عنتر وفى ذلك اليوم سالوه بعدما خدموه على فعاله وشكروه فاجابهم عنتر إلى سؤالهم وقد استحى منهم ولا خيب قصدهم وقال ياوجوه العرب طيبوا اقلوبكم أنتم فى ذمامى مادمت أملك رمحى وأضرب بحسامى فسيروا من ههنا باءمان وشاققوا من شئتم من ملوك الزمان وزوجا بنتك لابن عمها مالك حينما قبضت منه مهرها فزف عليه زوجته ولا تمثل أمرها فانتم تعدوا إلى مارحلت عن قومى وشاققتهم الامن أجله ومن أجل حصن بن حذيفة وما أبدى من فعله فقال له أبو الجاريه من حيث أنك غضبان عن قومك من أجلنا فسر معنا إلى أهلنا وتكون بين البر الاقفر لأن طبعى صار ينفر من رفقة الشر ياسادة وماقال عنتر لهم ذلك المقال الامن عظم همته وشرف نفسه بين الرجال لانه مارأى على روحه أن ينزل عند قوم كانوا نازلين عليه وتحت ذمامه ولم يرد إلا أنه يعانى أموره وهو يحكم نفسه حتى يبلغ مرامه ثم أنه أشهد على أبى الجاريه المشايخ الذين أتو معه وعزم على الانفصال ثم أنه سار وسار شيبوب على أثره بالاموال والحريم والخدم وتتابعت من خلفهم الفرسان الأبطال وقد قطعوا الآمال من منازلهم والاطلال وكان أشدهم حرقه واعظمهم مشقة عنتر بن شداد لأجل فعاله مع قومه ومايفعلون معه من تلك الأمور التى توجب النكاد فسار شيبوب قدام القوم وقد تبطر الادويه والاثار وهم طالبون جبال بنى عروة وقد بنوا لهم بالسيف منازل عليه حتى قاربوا الأرض التى فيها اليها قاصدون إلى نحوها مجدون فتذكر أرض الشربة والعلم السعدى وتذكر ماجرى عليه من أمامه فجعل فى نفسه يعيد ويبدى وصار هو كثير الافتكار من عزة نفسه صارت دموعه نابعة وحسرته متتابعة فجاش الشعر فى خاطره فباح بما استكن فى فى ضمائره فأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

إذا فاض دمعى واستهل على خدى ... وجاذبنى شوقى إلى العلم السعدى
أذكر قومى ظلم قومى وبغيهم ... وقلة انصافى على القرب والبعد
بنيت لهم بالسيف مجدا مشيدا ... فلما تناهى مجدهم هدموا مجدى

أنا عندهم فى الحرب سيد قومهم   عند انكشاف الحرب احقر من عبد
يعيبون لونى بالسواد معاشر   فعالموا بالقبح أسود من جلدى
فواذل جيران إذا غبت عنهموا   وطال المدى ماذا يلاقون من بعدى
وكيف يحل الذل قلبى وصارمى   إذا ظل يأتى البرق يلمع من تجدى
وما الفخر الا من يجلى غيابها   بطعن سنان أو بمرهفة الهندى
ولا تذكرون لى عبر خيل مغيرة   ونقع غبار حالك اللون مسود
لأن غبار الصافنات إذا علا   نشقت له ريحا الذ من الشهد
وريحانى رمحى وكاسات مجلسى   جماجم سادات حراص على المجد
ولى من حسامى كل يوم على الثرى   نقوش وما تغنى الندامى على الورد
وماذا يغيب السيف اغلاف غمده   إذا كان فى يوم اللقا قاطع الحد
ولله من ليلى غبار لحمته   على ضامر الجنبين معتدل القد
وطاعنت فيه الخيل حتى تبددت   وفرت كاسراب القطاة إلى الورد
فزاره هى هجمتها ليث غابة   ولم يفرقوا بين الضلالة والرشد
فقولوا لحصن ان يعانى عدواتى   ينام على نار من الحر والجد

قال الراوى فلما أنشد عنتر هذه الانشاد طربت له السادات وتعجبوا من تلك الأشعار وقد سرهم منه ما سمعوا من تلك العزمات ثم أنهم ساروا فى ذلك اليوم بلا توانى وفى تلك الليلة وأصبحوا فى اليوم الثانى وإذا قد أشرفوا على حلة تموج بقطانها وترتج بسكانها كأنها بحر زخار وموج وتيار والحلة فى وسط مرج أفيح وفيه زهر قد فتح وعيون ما تسرح وغدير كبير كأنه البحر المستدير وفساطيط أرجوان مضروبه ورماح مركوزة وخيل بجنونه وابل وأغنام وخيل وانعام فلما نظر عنتر إلى ذلك صاح فى أخيه شيبوب وقال يا أبن الام ما يقال لهولاء القوم الذين هم فى هذا الأمر المهول فقال له يا أبا الفوارس هؤلاء قوم يقال لهم بنو الجريش وهم حلفاء بنى عامر ولهم فارس عظيم يقال له معاوية بن شكل الجريشى وله أثناء ومفاخر وهم أقوام كرام ولهم حرمة وذمام فعندها قال عنتر أقصدهم يا أبا رياح حتى ننزل بالقرب منهم حيث ذكرت أنهم ناس ملاح فعندها سار شيبوب إلى أن قرب من الحى وامرهم بالنزول وضربوا خيامهم وعلوا قبابهم عرضا وطولا وسرحوا مواشيهم مع رعاتهم

(تم الجزء الثانى والعشرون ويليه الجزء الثالث والعشرون)

الجزء الثالث والعشرون

من سيرة عنتر بن شداد

فانكرت رعاة بنى جريش رعاة بنى عبس لما رأو صفاتهم وقال العبيد بعضهم لبعض ترى هؤلاء من أى أرض وأنهم قد نزلوا بأرضنا بغير أمر سادا تنا ثم تقدم عبد منهم وقال حيا كم الله يا وجوه العرب من أين تكونون ومن أنزلكم فى هذه الربوات فكان الجاوب لهم بعض موالى عنتر لما سمع منهم ذلك الكلام المنكر بقوله نحن الكاشفون الأمور الشداد الزباحون الضيم عن العباد بنو عبس وآل قراد وفيهم حاميتهم الفارس الجواد وليث الطراد وحية بطن الواد الأمير عنتر بن شداد فلما سمع العبيد منهم ذلك الكلام أسرع الجميع إلى ساداتهم الأعلام وأخبروهم ببنى عبس ونزولهم عليهم فعند ذلك أسرع سادات الحى المشايخ والشبان لاستقبال بنى عبس وتعجبوا من نزولهم فى ذلك المكان فسألهم مشايخ بنى جريش عن قدومهم عليهم لأى شىء كان فأخبروهم بنو عبس بالقصة التى جرت عليهم وأنهم طالبوا جبال بنى غزية ليلتحقوا إليهم فعند ذلك حلف الجريش عليهم ونقلوهم إلى مواضع قرب حللهم وأنزلوهم فيها فنزل بنو عبس عندهم وقد طاب لبنى عبس المقام ونقل إليهم بنو الجريش الطعام والمدام تحالف مشايخ القبيلتين أن يصيروا يدا واحدة وأن يكونوا على الأعداء متعاونين وللاصدقاء وأكرموهم غاية الإكرام وطلبوا منهم أن يكونوا حلفاءهم فرضى بنو عبس فعندها مصادقين (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وأحبابه وأما ما كان من الملك قيس وأصهاره فإنه لما وصل إليهم الخبر بأن قراد وحاميتهم عنتر قد نزلوا على بنى الجريش وصاروا يدا واحدة ندم حيث لا ينفع الندم وتفرقت القبيلة وعادت متباعدة وقال والله لا يخلف لنا الزمان مثل عنتر وبقى من ذلك الأمر الذى طوى عليه والخلاف الذى وقع فى القبيلة مكدر وأما الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد ففرح بابعاد عنتر وآل قراد وقال الربيع لأخيه عمارة إيش يكون شكرك على قلع الأسود الزنيم من هذه الديار فقال والله يا أخى ما بقيت فى هذه النوبة ترى له آثار وبعد ما أبعده الملك قيس لهذا الاخطار ما بقينا نرى له خبر ولاسيما من جهة حصن بن حذيفة وبنى فزارة وما جرى بينهم من تلك الغبون وتلك الإشارة ففرح عمارة بذلك وقال هذا اليوم الذى كنت أشتهى وأريد وأنتظــــر يا أخى إنه

من تمام نفاسته نزل على بنى الجريش وقد حاربهم فهل تقدر ياأخى أن تشتته عن ديارهم فقال أى وحق الرب العظيم وإله موسى وإبرهيم ثم أن الربيع لما فرغ من كلامه وثب فى الحال على أقدامه وأحضر كيسا وأخرج منه نافجة من المسك وخمسين دينارا من الذهب الأحمر وخمس طبلات من العنبر ووضع الجميع فى فارغة وشدها شدا وثيقا وكتب رقعة إلى النابغة الذبيانى شاعر العرب يذكر فيها بانه يسلم عليك ويقول لك أنه كثير الشوق اليك وقد اتكلت فى أمور عرضت لى عليك وأريد منك ومن بلاغتك أن تهجو لى عبلة بنت مالك بما خطر على بالك مما يفرق بين بنى الجريش فاننا نريد أن يبعد عنا ويتهنا بعيش وما نفعل ذلك معهم الالكى يرجعوا إلى أهلهم ويعطفوا على قبيلتهم لأنها قبيلة قد تشتت شملها وأخاف بعض الأعداء أن يغره الطمع فيها (ياساده) ثم أن الربيع بعد مافعل ذلك الفعل الذى لم يفده أنفذ الكيس والكتاب مع عبد من عبيده وكان يثق بذلك العبد فى سائر أموره وكان إذا جلس فى محل خلوته ما يشتاق إليه إلا فى فرحه وسروره فاخذ العبد الكيس والرقعة وسار وطلب المسير فى الأرض والقفار إلى أن وصل إلى النابغة الذبيانى وسلم الكيس والرقعة اليه فقرأها وفهم مافيها من المعانى ثم فتح الكيس وأبصر مافيه من الذهب فاعجبه لأن الطمع كثير فى شعراء العرب وقال العبد أشكر شيدك وقل له ماعندنا فى ذلك خلاف وعلينا كل ماطلبت وفوقه أضعاف وأن الذهب يلعب بعقول الامراء فكيف الشعراء ثم بعد ما انصرف العبد أدار الشاعر فكرة واختلى بنفسه ووضع أبياتا من الشعر تقتضى هجو عبلة وسبها بالزنا بالجملة ورمى فيها بقبيح الفعال وذكر فيها أنها أحبت معاويه بن شكال لما فيه من الحسن والجمال وكرهت ابن عمها ذلك العبد الأسود الذى تعدى طوره وتمرد وان الشاعر أمعن فى القول وابدع ولا فزع ولا راقب الله فى قوله ولا خشع من جملة ما قال عن لسان عبلة هذه الابيات

حضرنا إلى قوم كرام أطايب ... لهم سيد يزهو على كل راكب
محبته قد مازجت منى الدما ... وقد غيرت حسنى وقلبى وقالبى
فان لم أنل من وصله ما أريده ... أموت وتدركنى جميع المصايب
فانى بليت اليوم من عشرة الذى ... له لون أسود من سواد الغياهب
سألت الهى قبل موتى يقيلنى ... ويعتقنى من وجه كلب الاعارب
وأحظى بوصلى من حبيب أحبه ... ويدعى ابن شكل نسل قوم أطايب

قال الراوى) ثم بعد ذلك أعطى الرقعه لبعض العبيد وأمره أن يقصد بها حى بنى عبس من غير

تعنيد ويرميها بالقرب من مضرب عبله ويحسر على ذلك الأمر المنكر قال فاجاب العبد بالسمع والطاعه وأخذ الكتاب وسار وما زال سائرا إلى أن وصل إلى حى بنى عبس وفعل وماقصر فشكرة على ذلك ومضى وبعد ذلك صادف من القضاء أن رجلا من بنى الجريش كان سائرا فى الطريق فنظر إلى تلك الرقعة فرآها مرمية فى الأرض تنداس فاراد أن يرفعها من تحت ارجل الناس وقصد بذلك التقرب لمجالسة الكبار والالتماس فقصد بها مضرب عنتر ورماها بين تلك الخلائق الجلاس وكان عنده جماعة من بنى الجريش وجماعة من بنى عبس وقد تطايبت من بعضهم البعض النفس وكلهم مجتمعون فعند ذلك أخذها بعض الحاضرين وقرأها وامعن فى القراءة ولا اخشى ماوراءها ورأى أن عبلة تراسل ذلك إلى معاويه سيد بنى الجريش وأنها تعشقه حتى أنها من شدة عشقها له تكاد أن لا تعيش فلما سمعها عنتر وسمع هجو عبله ورميها بالقبيح فعندها تغير مزاجه وطبع الزبد على أشداقه وثار ثورة الاسد إذا تهدر وضرب الذى أتى بها على عاتقه حتى طلع السيف يلمع من علائقه فعند ذلك شاش المجلس طولا وعرضا وهم كل من كان حاضرا من بنى الجريش حتى اقلبوا جنبات البر والأرض فبلغ الخبر إلى فارسها المشهور وبطلها المذكور وهو الأمير معاويه بن شكال الجريشى فلما سمع ذلك الصراخ قام ولبس اثوابه وتقلد بلامة حربه وضرابه وركب على ظهر جوادة بعد ما اعتد بعده جلاده وما زال سائرا على هذا الأمر المقدر حتى لقى عنتر ناظرا اليه وإلى جماعته الذين حواليه فرأى الكل لابسين الزرد كاملين العدد وعنتر قدامهم كأنه قطعة جلمود وهو يهدر مثل الأسود قال الأصمعى ثم أن عنتر بن شداد صال وجال وحمل على بنى الجريش وهوفى وهج وبطش ولقى بمقدمها معاويه بن شكال وهو يغرى الرجال ويحرضهم على الحرب والقتال وجعل يصول ويجول وقد أخذ الميدان عرضا وطولا وهو ينادى ويقول ويلك يا ولد الزنا ويا نسل الحرام ويا خاين العهد والذمام اليوم اسقيك كاس الحمام واحل بقومك الانتقام فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام فعند ذلك مال اليه بالجواد وأراد معه الحرب والجلاد وتذكر شيئا يقوله من الشعر والانشاد فجعل يقول صلوا على طه الرسول

سواى الذى يرتاع أو يرهب الردى	وغير يهوى ان يعيش مخلدا
ولكن أنا لا أرهب الدهران سطا	ولم أخش من موت الزؤام إذا غدا
توقد عزمى يترك الماء جمرة	وحكم احتقارى يترك السيف مبردا

وفرط اعتقادى للأنام أنالنى ... أرى كل عار من حلى سوددى مدا
ويأتى إبائى أن يرانى قاعدا ... وأن لا أرى كل البرية اقعدا
وأظمأ إن أبدى لى الماء منة ... ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان إدراك المنى بتذلل ... رأيت الهدى أن لا أميل إلى الهدى
وقد مابغيرى أصبح الدهر شائبا ... وبى بل بفضلى أصبح الدهر أمردا
وأنك عبدى يازمان وأننى ... على الكره منى أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أننى واطىء الثرى ... ولى همة لا ترضى الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى ... لخرت جميعا نحو وجهى سجدا
فلا تنكروا فعلى وشدة عزمتى ... فان علاى فى السعادة قد بدا
وما أنا ممن تنكر الناس فعله ... لأن سعودى كل يوم تجددا
تعودت خوض النقع مذ كنت بالغا ... لكل امرىء من دهره ماتعودا
فرى الخلق دونى إذ مكانى فوقه ... ذكاء وحلما واعتدالا وسوددا
أنا كاشف النيات عقد جلولها ... أنا ضارب كل الهامات والنقع أسودا
وبذل توالى زاد حتى لقد غدا ... من البر منه صار فى البحر مزبدا
ولى قلم فى أنملى إن هززته ... فما ضرنى إلا أهز المهندا
إذا سار فوق الترس وقع صريره ... فان صليلى المشرفى له صدا
ولو شئت ترسى دان لى وهو ساجد ... ولو شئت جاء الترس درعا مسددا
وإن رفع الأقدار أوقع الندا ... فمنى يرجى الجود ويرتجى
ومن كل شىء قد صحوت سواء قد ... أقام عزولى فى الغرام وأقعدا
إذا وصل من أهواه لم يك مسعدا ... فليت عزولى كان بالصمت أسعدا
يلوم ولا يدرى يكون وصاله ... من النجم أعلى ومن الأفق أبعدا
محب حبيبى من يكون مفندى ... فيا ليتنى كنت العذول المفندا
فقالت وقد آنست نارا بخدها ... فقلت وأنى وقد وجت بها هدى
وإنى لأهوى منك ثغرا ممضمضا ... وأنى لأهوى منك خدا ومسجدا
وما رمت ذاك الخد باللحظ إنما ... علمت خلوفا حين أبصرت مسجدا
لقد كنت فيها أبصر الليل أبيضا ... وقد صرت فيها أبصر الصبح أسودا
يراقب طرفى أن يلوح خيالها ... فقد طال ماقد صام حتى تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى ... فيا خجلتى لما اعتبرت التجلدا

كأن بطن فى ما بطر فى صبابه ... فلم ير تلك الدار إلا تعبدا
وكم لجوادى وقفة فى عراصها ... تعود منها الجيد مما تعودا
تعود ذلك الجيد منى أننى ... أصيره من در دمعى مقلدا
وما تلك دار بالعقيق وبالحما ... ولكن هماما إذا خرت منه فرقدا
الا رب ليل بت فيه وبيننا ... عناق أعاد العقد عقدا مبددا
فأصبح ذاك العقد منى محسرا ... و ياطا لما قد كان منى عسددا
وكم أجعل الكف الشمال وسادة ... فبات على كفى اليمن موسدا
وجردته من ثوبه وأعدته ... بثوب عناق كاسيا متجددا
وقربنى حتى طربت من النوى ... وأبعدنى حتى صديت من الصدا
شهدت بأن الشهد والمسك ريقها ... وما كنت لولا أن خبرت لاشهدا
وأن السلاح البابلى لحاظها ... ولا تسألوا إنسانه كيف عربدا
فتة وتسلط كيف شئت فانى ... خلقت لأشقى أو خلقت لأسعدا

قال الراوى فلما فرغ عنتر من إنشاده تلك الابيات المعتبرة حمل على فارس بنى الجريش حملة منكرة وغاب الإثنان تحت الغبرة وسمع لهما همهمة وزمجرة وكان لهما ساعه عسرة ثم أنهما اعتركا مليا واصطدما وفيتو غاصا فى الأوابد وصبرا على الشدائد وقد طلع عليهما الغبار حتى غابا عن الأبصار واشتاقت إلى نظرهما النظار ليعرفوا ما كان لهم من الأخبار قال الراوى ياسادة يا كرام وفى دون ساعة من النهار لاصقة الأمير عنتر بن شداد الفارس الجواد وأبهره وما حكه حتى أتعبه وبهره وأضجره وصرخ فيه صرخة هائلة أذعره ثم إنه تأخر عنه مقدار فرسخ إلى وراء وقد أقفل عليه وحاذاه وصار له متقربا وطعنه فى جانبه وصار يخور فى دله ويضطرب فى عندمه قال ولما رأى بنو الجريش ما حل بسيدهم صعب ذلك الأمر عليهم فصاحوا فيه وقالوا شلت يداك وقطعت مفاصلك وأعضاك فما أقدمك على الأمور وما أجهلك لعن الله ظهراً أنسلك فقد قتلت سيدا كريما بطلا عظيما ثم أنهم حملوا عليه وقد تبعتهم الخيل ومالوا مثل السيل فعدها صاح عنتر فى عروة بن الورد و مقرى الوحش وأبيه شداد ثم جالت الخيل والفرسان وجعلت ترمى من على ظهورها الشجعان والاقران وكثر الضرب والطعان وحكم الصارم اليمان فى الجماجم والأبدان وهمهمت الأسود من الشجعان وطلع الغبار إلى العنان ودمعت عين الجبان وتمنى

أنه ما كان وضاق الميدان وصحا السكران وحلت سنابك النيران وجاء الحق وذهب البهتان وزاد الضرب والطعان وغلبت فرسان بنى عبس فرسان الجريش واستظهروا عليهم كما تستظهر على الرخم العقبان وافترسوهم سباع الاجم للفريسة فى الوديان فلله دره من يوم كان على الأنام عظيم الشان حمى فى الحديد على الأبدان وصار عنتر بحلول جولان ولا يعفو عن قتيل الشيخ والضعفان وصار يحرض بنى عبس على قتال الاعداء وينادى فى الفوارس فلا تسمع النداء وصارت الفوارس تطلبه من جنبات البيداء فلما رأى عنتر الفرسان تقصده من كل جانب ومكان ويحملوا عليه حرصا على قتله من دون الفرسان فصاح بعروة الورد ومقرى الوحش وأبيه شداد وعمومته وسائر بنى عبس الاجواد وصار يقول يا بنى عبس إلى متى هذا التطويل الشديد اقصدوهم كل مقصد واحصدوهم حصد الحصيد فعند ذلك تناخت الأبطال وتتابعت الاقبال من اليمين والشمال وحملوا على بنى الجريش حملة منكره وطلبوهم طلبة الأسود الكاسرة فلم تكن غير ساعة حتى بطحوا أقرانهم وجندلوا أقيالهم وشجعانهم ويتموا أولادهم ورملوا نساءهم وزعقوا عليهم من كل جانب ومكان ورأوا من عنتر فى ذلك اليوم مالم يروه وقد وقفوا فى أمر عظيم ليس لهم به طاقة فطلبوا فسيح الفضا وردوا خيلهم قدامهم مناسقه وتموا منهزمين فى جواب البيداء وخلفوا الاموال والغنائم والاسلاب للاعداء وخدمهم وعيالهم لبنى عبس ومال عنتر يقتفى آثارهم حتى أفنى خيارهم فلما أبعدوا بنى عبس بنى الجريش على الديار رجعوا وعنتر يهدر فى مقدمة كأنه أسد هدار وعاد وهو يترنم بالأشعار يقول صلوا طه الرسول

حيى الديار ببرقة ومحجر ثم الكرام كأنها لم تغمر
زرنا قبائل عامر لحلنا منهم وانهموا بذاذ ومخبر
تعسا ليومك أى يوم زرته ولرب صبحك اى صبح أغبر
أنشد إلى الخلان يوم لقاهموا صرعى بسائرة الصبا لم يفتر
حاشا لعبله أن تخون خليلها بطل يغادرها كريم العنصر
أنى أردت بنى الجريش ولم يكن منها ويكفى بعد ذلك مفخرى
يا عبلة هل بك تعلمين فعالهم إلا الثنا بمدائح وتشكر
ولقد صدقت بما أقول واننى عند اللقاء بهم أريق المزور
أمى زبيبة ليس أنكر اسمها فى الليل ضوء جبينها كالحور

وأنا فى من آل عبس منصبى ... أنمى إلى النسب الرفيع الأزهر
أغشى الكريهة يوم كل كريهة ... وإذا الكرام تخمرت لم أخمر
وإذا رأيت الركب أقبل جمعهم ... يبغوا السلام ذبحت أكبر عنصر
ذاك الذى فوق السماك محـــله ... ومتوج أيضاً بتاج قيصر

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت لها السادات وتعجبوا من تلك الإنشادات وأخذهم الفرح والمسرات ثم أنهم جمعوا أغنام بنى الجريش التى أخذت فى الهزيمة فكانت الغنائم لها قدر وقيمة وأما ما كان من بنى الجريش الذين أخذوا فى الهزيمة فانهم عادوا واستعجبوا من رؤس الروابى والشعاب وهم يقولون بعضهم لبعض لعن الله رؤية هذا العبد المرتاب ما أطعنه بالرمح وما أضربه بالحسام القرضاب ثم أنهم استشاروا فيما يعلمون فقال بعضهم ما فى الأمر إلا أنكم من ههنا تسيرون وترموا أرواحكم على حامية بنى كلاب البحر العباب الفارس القيل المسمى بعامر بن الطفيل فهو صديقه ومحبه الأكبر وندخل عليه لعله أن يرسل الينا ويساله فينا فعسى أن يستوهب منه ذنبنا ويرد علينا نوقنا وجمالنا فعند ذلك تجمع وتزاحموا بالثقيل على يديه وقالوا نحن مستجيرون بك أيها السيد الجيل والمولى النبيل مما قد حل بنا من الويل الطويل فلما سمع عامر مقالهم استخبرهم عما جرى لهم فشرحوا له جميع ما جرى عليهم وما نالهم فاضافهم ورق لحالهم ووعدهم بنيل مرادهم فلما أصبح الصباح كتب لهم كتاباً وأرسله معهم مع نجاب وهو يمدح عنتر ويثنى عليه ويصف شدة الشوق اليه ثم أنه استعطف قلبه عليهم لأنه رق لهم مما نالهم ورساله فى رد أموالهم ونوقهم وجمالهم ثم أنهم أخذوا الكتاب فاخذوه وناوله إلى عروة بن الورد فقرأه عليه وسمع الثناء عليه عامر بن الطفيل وبلغه عنه النجاب الثناء والمفاخر ثم أن عنتر لما رأى وطيب قلوبهم وخلع على الأكابر منهم أعطاهم الدمام وقاموا فرحلوا وساروا طالبين بنى غزية وقد بنى لهم بالسيف منازل عليه وقد قطعوا فى البر أياماً متوالية هذا وشيبوب يسلك بهم فى المنازل الخالية قليلة السكان والمخاطر التى لا يسلكها إلا كل من يكون بنفسه مخاطر فلما قاربوا من الجبال التى هم اليها قاصدون ودنوا من الشعاب التى هم عليها معولون أصـــبحوا فى بعض الأيام فى أرض واسعة وبرارى وحله ساسعة وكانت هذه الأرض يقال لها رمال يقظان وهى قرية من بنى غزيه وهى كثيرة الرمال والكثبان فصبحوها فى الصباح وهموا

بالنزول هنالك فى البر والبطاح وإذا فى قفرها خيل تطرد وصياح منعقد وأسنة رماح فى الحرب متخالفة وبريق السيوف مثل البروق الخاطفة وضجيج فرسان وزعقات شجعان وأمور تدل على حرب عوان فلما نظر عنتر إلى ذلك وقف ودارت به أعمامه وقد زاد به لذلك الأمر اهتمامه وقال شيبوب ويلك يا بن الأم اذهب وائتنا باخبار هذه الحروب وأبصر الغالب من المغلوب فانطلق شيبوب مثل الريح الهبوب وما غاب أكثر من ساعه واحد وقد عاد وهو مسلوب الفؤاد فقال أخوه عنتر ويلك ايش الذى رأيته يا أبا رباح من الخبر فقال له يا أخى هذا صديقك وصاحبك دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وقد أحاطت به بنو الحارث ومافيهم إلا كل خائن باكس وقد نفرت عليه فى سائر بطونها وهو فى خمسين فارس وقد تكلف ثقاها والتى بنفسه إلى الهلاك والموت المبين يريدان أن يسقيها كاس منونها وهو قد أشرف على الهلاك ولم يجد له سبيلا فى هذه الأرض لا ناصرا ولا معين فقال الأمير عنتر واعجباه ايش ارمى دريدا فى هذه الأرض والبلاد وهو فى نفر قليل من الرجال والكبار ولكن هذه عادته أن يأخذ الرجال الأبطال ويذل بنفسه على الحلل والقبائل ويعودها الهجوم على المنازل وإن لم ندركه وإلا هلك وهلك معه كل بطل حلال ثم أن عنتر أخذ من أصحابه خمسين فارسا ما منهم الا كل بطل مدرع ولا بس منهم مقرى الوحش وعروه بن الورد وأبوه شداد وقد ركضوا خلفه على الخيول الجياد وأخذ فى جملتهم ابن أخته الحطال وترك باقى أصحابه حول المال والعيال قال الراوى وكان لاتصال دريد بن الصمة بهؤلاء القوم سبب عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب وذلك أن دريد قد ربى غلاما يتيما يقال له دثار بن رزق وكان أبوه قتل فى بعض الغزوات وكان دثار صغير السن فى فرباه دريد مراعاه لأبيه حتى صار من الأبطال وكان يقاتل فارسا وراجلا ويهجم على الأهوال والأخطار فى ظلام الليل وضياء النهار ويعسف البر فى السهل والجبل ويعمل فى الحرب أوفى عمل ويحتال على سل خيول العرب وكان قد اتخذ له من شباب الحلة أولاد الابطال قدماء وأصحابا وأصدقاء وانجابا وكان كلما وصف له جواد أو فرس من الخيل الجياد يسير حتى شاع ذكره بين الرجال وضرب به الامثال وهابته الفرسان والافيال واتفق فى ذلك الزمان أنه سمع أن عند قوم يقال لهم بنو خويلد جواد من الخيول الجياد ووصف بين يديه مرارا عديدة فلما تمكن خبره عنده توجه اليه وسافر له وملكه وسيلة بعد ما احتال عليه بحيلة عجيبه تسبى العقول وكان صاحبه يقال له بسام بن مسرور ولما عاد بالجواد عرضه على

دريد فتعجب غاية العجب لانه رآه من أفخر خيول العرب وخلقته قد جاوزت عن الحد والصفات وتاهت عن نعته جميع النعات فقال له دريد احتفظ بذلك الجواد ولا ترغب فى ثمنه فانه ينجى راكبه من الاخطار فقبل دثار كلام دريد وعند بنى خويلد خلاه وعاد إلى معاشرة أصحابه ورفقاه ولما أن دخل عليهم هنوه بالسلامة فدعا لهم وشكرهم وأثنى عليهم بفصاحه كلامه وبعد ذلك قال لهم يابنى عمى دعونى عن ذكر الجواد وعزوتى لما فى قلبى والفؤاد فانى خليته فى بنى خويلد وتلك البلاد وما أتيت اليكم إلا وأنا بلا قلب ولا فؤاد وأقول أن هـــذا الجواد غير مبارك على من دون الجياد قال له أصحابه يادثار حدثنا بقصتك وماجرى عليك فى سفرتك وأخبر بحالك ونوبتك فقال لهم دثار اعلموا يابنى عمى أنى لمـــا سرت من عندكم قطعت خلفى البرارى والقفار والاوديه والسهول والاوعار حتى أنى قاربت ديار بنى خويلد فبقيت حائرا بأى سبب أدخل به إلى القوم فلما قربت منى الخيل عدت إلى البر وعسفته فرأيت وحش غزال فطلبته فى جوانب البريه وأجهدت روحى حتى اصطدته ولما صار فى يدى ذبحته وشويته ومنعت جوعتى وأخذت دمه شرابا أحمر وخلعت ثيابى وطلت به جسدى من رأسى إلى قدمى حتى لا أعرف ثم أنى وقفت ساعة فى الشمس حتى جف الدم على بدنى ويبس فعركته من جسدى وبعد ذلك نظرت إلى روحى وجلدى فرأيت جسدى إلى السواد أميل إلى أن لونى لون وحش قذر فقلت فى نفسى هذا الذى أريد وأشتهى ثم أنى بعد ذلك خرقت ثيابى ونفشت شعرى وغرقت سيفانى وأقلبت جفونى وأسلت رياليتى إلى صدرى وقد طلع الزبد على أشداقى وبعد ذلك سرت إلى ديار القوم من بنى خويلد وأنا أمثل المهبول وكان دخولى اليهم وقت المساء فتوصلت إلى أبيات سام ودورت على الجواد فما رأيت له خيال فبقيت حائر لا أدرى كيف أسال عنه فبينما أنا قائم متكى على عصاى إذ ابنت سام قد خرجت من بيت أمها فرأتنى بتلك الحالة فظنتنى سائل فخرجت إلى ومعها قطعة طرموس ولما وصلت الباب ونظرت إلى وأحوال المريض ظنتنى مجنون أو عامرت من عمار الدور والمخازن فارمت الخبز من يدها وعادت إلى أبيها وأمها وهى تجرى وتقول أعوذ برب البيت من هذه الصورة فقالت لها أمها من صدر البيت ممن أنت متعوذة ياسيدتى وايش حالك وما اعتراك فقالت لها ياأماة من هذا السائل الذى هو واقف على الباب ولولا أبنى ياأماه عندك فى تبيت لـــكان أخرجنى من عقلى ثم أن دثار

قال يابنى عمى وكانت الصبية عائدة وهى تتحدث مع أمها وأما أنا فقد غاب عقلى من لين قوامها وعذوبه كلامها وثقل أردافها وسواد عيونها وفترات جفونها وحمرة خدودها وانعقاد نهودها وحسن نغمة خلخالها وتلبيد شعرها وهو منسبل على أكتافها يابنى عمى ومن شده ماجرى على من الهوى والغرام تأخرت عن باب المضرب وقد لبدت بين الاغنام وقد صرت حائرا فى نفسى وأنا أنظر إلى الخباء ساعة وإلى الصبية ساعة وحرت فى قصتى وماجرى على فى وحدتى وغربتى وعظم بلوتى وحسرتى فبينما أنا كذلك وإذا بابيهم قد أقبل علينا سكران طافح بالمدام من أطراف البيوت والخيام وتحته الجواد الذى دخلت إلى هذه الديار فى طلبة والسلام إلا أن المقدم سام لما وصل إلى أطناب الخيام وحول رجله من على الجواد وترجل إلى صوب المنزل نزل عنه وأوصى عليه ثلاثه عبيد ودخل على زوجته وابنته وفى نحو ساعة سكت عن حديثه ونام ونامت العبيد وقد خمد الحى وسكنت الكلاب وانطلقت الأنوار فعند ذلك الوقت تقدمت للجواد قليلا وحليت شكاله وأخذته وفى الحال خرجت به إلى أذيال المضارب وركبت ظهره وأنا أطلب الصحراء وماعلمت بعدى ياوجوه العرب ماجرى على أننى قد وصلت به إلى ههنا وما كان فى دار الدنيا من شدة العشق والجوى ومن نيران الهوى ونى أن أعود إلى ديار بنى خويلد وأكمن لأبى الصبية لعلى أظفر به وأقوده إلى ههنا أسير ولا أطلقة حتى ينعم لى بزواج ابنته التى رأيتها قال المؤلف فلما أن تكلم دثار بهذا الكلام وقد سمع أصحابه منه هذه القصة تعجب منه القوم ومن أفعاله وبعد ذلك التفت اليه العقلاء من أصحابه وقالوا له يادثار اعلم أن ابا الصبية ماله ذنب حتى يستوجب الأسر وإنما الصواب أنك تنفذ إلى خلف الرجل وتخطب منه ابنته على رؤوس الاشهاد ومهما طلب من الأموال اعطة من النوق والجمال وتفعل فى حقه فعل كرام الرجال وتضمن له رد حصانه فان أجاب الرجل إلى ذلك فلله الحمد والا فابذل فى حقه المجهود ولا تترك ياوجه العرب عليك ملاما لا من عدو ولا من حسود قال فلما تكلمت أصحابه بهذا قال دثار أريد أن أشاور سيدى دريدا ثم أن دثار بعد هذه المشورة شرب مع ندماه الخمر وفى ذلك الوقت حمله السكر على البلاء فوثب حتى دخل على دريد وهو فى نار يتلظى وقد خدم بعدما سلم عليه وشرح له قصته وما ناله فرحمه دريد بعد ما عرف قدر ماعنده ثم وعدة ان ينفذ رسولا من أجله فان أنعم أبوها بها قلنا ولا أخذتها لك غصبا وكلفناه أن يزوجها والا اشبعناة طعنا فلما سمع دثار ما قالة دريد.

وما تكلم به انشرح خاطره واستقرت خواطره لما رأى دريدا ناصره وفرح بذلك فرحا شديدا فعندذلك رجع دثار إلى بيته قال الراوى ولما كان عند الصباح أرسل دريد رجلامن من فرسان بنى هوازن وكان هذا الرجل عاقلاوقدأ عله دريدما يقول من الكلام لأبى الجارية سام قال وكان من جملة ما قال دريد من هذه الرسالة اعلم يا أمير سام أنى مازلت لفرسان العرب بالمودة والخير وهذا الأمر الذى أرسلت لك من قبلة فيه الحظ الاوفر إذا زوجت بنتك سعدى بهذا الغلام الذى أنا ربيته وقداخترته لى ولدا وصاحبا وفارسا ومعينا وقدأرتضيته أنه يدرجنى عند موتى فى الكفن لأنه فارس حلو الشمائل والخصال ويرد الفرسان والأبطال ويصير أيضاً خلفك مثلى ومثل سهرى سبيع الحارث المسمى بذى الخمار وأيضاً مثل زوج ابنتك الذى قدظهر فيه الشجاعة والنجابة ما يقدمه على الأهوال ولايأتى فى احدمن الرجال ومن جملة ذلك ياسام أنه تسبب فى أخذ فرسك واحتال عليها وهو فى زى سائل وقدذكر أنه نظر إلى وجه ابنتك فى الليل نظره بالاتفاق أورثته فلقا عظيما وقد بلى بالبعد والأشواق وهذا الرجل ياسام يكون بسعادتك وعلو مجدلا وأنت تنتصر به على جميع الأعداء والحساد وأيضاًفان فرسك ترجع اليك ومعها من الاماء والعبيد مهما تطلب من صداق ابنتك وتريد فهو يوصل اليك فوق المزيد وهذا ما أشرت به عليك والرأى بعد الىك ياسام وأنت أخبر بما يعود نفعه عليك قال الراوى ولما فرغ دريد من هذه الخطبة ومن هذه الوصية أمر دريد الرسول أن يسير اليه فسار الرسول بهذا الكلام وهو يقطع الروابى والقفاز وسار يواصل سير الليل بسير النهار مدة ليالى وأيام فهذا ما كان من أمر دثار بن روق ومن هذا الرسول الذى قد سار بهذا الكلام وأما ما كان من سام فانه من يوم سرق له الفرس قد حرم اكل الطعام ولذيذ المنام وطيب الرقاد ولازم السهر مع السهاد وقد بقى فى مدة ثلاثة أيام لم يطعم بزاد وكان كلما اشتد عليه الغضب يطلب الثلاثة العبيد الذين وكلهم بالفرس ويضربهم ضربا شديدا ثم أن سام جعل كل يوم يخرج إلى البر ويدور فى الطرقات ويسأل عن الفرس من الواردين فلم يسمع له خبر قال الاصمعى ومازال سام كذلك فى هم وغم ورجاء وخوف حتى قدم عليه رسول دريد بن الصمة ونزل فى ابياته وبلغه الرسالة وقد شرح له ماقاله دريد من المقال ففرح سام باتصاله لدريد بالمصاهرة وبردجواده الذى كان فى العدم وقدأجاب الرسول إلى الزواج وفى الحال انزل الرسول فى بعض المضارب والخيام ودخل على ابنته وزوجته وقص عليهما القصة فما فرغ من كلامه وانتهى حتى ضجت ابنته

سعدى بالبكاء ولطمت على خدها المورد حتى بدا الدماء فى الحال وصرخت وولولت
وقالت ياأبتاه من أجل فرسك تزوجنى ببعض العفاريت الطيارة وتبلينى بشيطان من
الشياطين الغدارة الذى هو أوحش الخلائق خلقة وأنا وحق من انفرد بالبقاء وأنزل
الغيث من عنده رحمة لنا غرقا انى من حين رأيته فى زى سائل ما نمت ليلة من الليالى
ولا برحت أنظره كل ليلة فى المنام الا وأفزع من رؤيته من قبيح منظره وصورته
وانتفاع وجهه وريالته التى تسيل على صدره وشعره الذى هو منسبل على أكتافه
وبريق عينيه والدم الذى يسيل من رجليه فان أنت ياأبتاه ! نعمت لرسول دريد بالخطبة
والزواج قتلت أنا روحى والله قبل أوان عرسى فان كنت يا أبتاه تريد أن تزوجنى
بالشياطين فانهم يأخذونى ويطيروا بى ويحطونى فى الجزائر الخراب فان كنت أنا ضيقت
عليك فى هذه المضارب والخيام فاطلقنى إلى حال سبيلى قال الراوى فلما سمع أبوها منها
هذا الكلام والإشارات حار فى نفسه وقد أخذه الدمع والانبهات وفى الحال قال لابنته
ويلك يا بنتى فان رسول دويد قد ذكر لى أنه أحسن خلق الله والبشر فى هذه الأيام
والليالى وأنه أوفاهم حسنا وجمالا وقدا واعتدال وهو اجسرهم على الأهوال وأنه إذا
حضر الحرب يعد بجماعة من الفرسان والأبطال فعند ذلك قالت له سعدى والله ياابتاه
لقد كذب الرسول فيما قاله وادعاه فانا بعينى رأيته أنه وحش من الغول وباذنى سمعت
كلامه يرجف العقول وان أنت زوجتنى به خليت الأهل والديار وهججت على وجهى
فى القفار لانى على كل شىء أصبر إلا على معاشرة الجن ما أصبر ولا أقدر قال الراوى
فلما تكلمت الصبية بهذا المقال فعندذلك شاور أبوها أمها فيما يفعل فقالت له زوجته
والله ياابن العم ماادرى ايش يكون العمل تسير إلى أخى ضبيان ونسأله عن هذا الشأن
فان عنده معرفة وذكاء وعقل وبيان وهو الذى يفصل لك هذا الامر والشأن كما تحب
وتختار من الرجال والفرسان ويكون على يديه تقضى الأشغال قال وكان هذا الرجل
ضبيان خال الصبية وهو من فرسان قبيلة خويلد وقد رأى قبيلته على رأيه ومشورته
البركة فعندذلك أرسل سام خلف ضبيان فلما حضر اعلمه سام أبو الصبية بما هم فيه من
العناد وقد اخبره وفى الحال طلب منه فى هذا الأمر المعونة والابعاد عن ذلك قال ضبيان
والله ياسام هذه الاقصة مشكلة الجوانب صعبة الانحلال أن هذه الصبية قد وقع فى
قلبها من دثار هموم ومصائب ولكن ياشيخ العرب أنا أفصل هذه النوبة بأمر شديد
ورأى حميد وأمر صائب رشيد قال له سام وكيف يكون هذا الأمر ياابن الكرام فقال له

ضبيان أريدك يا سهر اه أن تعود إلى الرسول الذى أرسله دريد وتقول انى قد أجبتك إلى ماتريدوأنالك جملة الخدم والعبيد ولكن البنت قد وقع فى قلبها من دثار أمروما بقى يزول إلاان كنت ترسل دثار بن روق الينا ويكون فى صحبة بعض الشباب ويكون قد لبس أفخر الشياب حتى تراه ابنتى وتبصره وتحقق النظر فان زال مافى قلبها من بغضته فكان وان هى دامت على ماهى عليه أكرمنا رسول دريد واعتذرنا له وسألناه أن لايحملنا مالا نطيق واتخذناه لنا صاحبا وصديق ٥ قال فلما تكلم ضبيان بهذا الكلام عندها قال له أبو الضبية يا ضبيان لقد قلت لنا الصواب وما أبقيت علينا لوما ولا عتاب ثم ان سام سار من عنده إلى الرسول وقد أكرمه غاية الاكرام وحدثه بما جرى فقبل الرسول عذره وقد علم أن هذه الامور متعلقة بعقول النساء فركب من وقته وسار يقطع البرارى حتى وصل إلى ديار بنى جشم ودخل على دريد وحدثه بما جرى وبما تكلمت به الصبية عن دثار وبما شاهدت منه بالزى الذى كان قد أتاهم به دثار وهو فى صفة بعض العمال من تقلب عينيه ونفش شعره على أكنافه والدم الذى تشحب من ساقيه وكذلك الشقق الذى فى كفيه سمع دريد هذه الآخبار تعجب من هذه القصة فقال دريد والله ان الصبية فى غاية الاعتذار وفى الحال أرسل إلى دثار وأعلمه بما قال الرسول فتبسم دثار وقال والله يامولاى ان الجارية معذورة لانها رأتنى وأنا فى أقبح صورة وما رجعت الصبية لامها الا وهى فزعانة مرعوبة فقال لها دريد فاذا كان الامر على ذلك فخذ أهبتك وسر إلى ديار القوم وأرهم صورتك وبعد ذلك مايبقى لهم كلام فقال دثار يامولاى أريد من فضلك وانعامك أن تسير معى إلى ديار القوم لعل بسعادتك وعلو منزلتك بلغ منيتى وتقضى حاجتى فأجابه دريد إلى ذلك فعندها رجع دثار وأصلح شأنه وأوصى عبيدة وجواريه بمايتفق من أحواله ولما أصبح الصباح فى ثانى يوم لبس قماشة وتقلد بسيفه واعتقل برمحه وفى الحال ركب على ظهر حصانه ولم يزل سائرا حتى أتى إلى دريد بن الصمة فاستأذن له فى الدخول فدخل فلما وقعت عينه عليه باس الأرض بين يديه فما كان جوابه إلا أنه زعق فى رجاله وقد انتخب منهم خمسين فارسا من الابطال المعدودين بضرب الصفاح والطعن بالرماح ومقاساة الأهوال وملاقاة الرجال فى أوقات الحرب والكفاح المعروفين بالصبر فى حومة الميدان قال الراوى وقد بلغنى أن دريد لما سار تلاحقت به الرجال فأشار عليهم بالاقامة فى الديار وقد قال ياوجوة العرب قدامنا ما يوجب انزعاجكم والبؤس وإنما هو أمر يوجب خطبة عروس فليكن مقامكم فى الديار أوجب عليكم لحفظ

المال والعيال ونحن مالنا عليكم غيبة إلا مقدار مسافة الطريق فعند ماسمعوا منه ذلك ودعوه ورجعوا إلى ديار بنى هوازن وجشم وسار دريد يطلب طريق ديار بنى خويلد هذا ودريد ودثار سائران فى المقدمة وهم فى المنادمة الحديث وأشعار وأخبار بما قد جرى فى أوائل الزمان عن ملوك الاوائل ويتحدثون عما جرى من ملوك الأرض فى طولها والعرض ولم يزالوا سائرين بطول ذلك النهار حتى أمسى عليهم المساء فعند ذلك نزلوا عن خيولهم وقد ضربوا خيامهم ومضاربهم وأوقدوا النيران وباتوا تلك الليلة إلى الصباح وقد خرج دريد وقام معه الفرسان والأبطال وحملوا وساروا ولو أن لهم أجنحة لطاروا فال الراوى وقد بلغنى أن دريدا وأصحابه لما كانوا سائرين على هذا المسير إذا اعترض لهم أسد عظيم الخلقة وقد ملا البر من الجعير وقد بادر إلى نحوهم من دخال يقال لها دحال المخافة وكان هذا الأسد أحمر مجللا بالشعر والوبر عظيم المنخر من نظره يقشعر بدنه الالباب عند رؤيته تكاد أن تزهق فال وعند اعتراضهم له طلبته فرسان دريد وأرادوا الهجوم عليه وقطافر به الرجال وقد عول دريد أن يتقدم فى طلبه فعند ذلك قفز اليه دثار وباس الأرض بين يديه وقال له أسألك أيها الأمير أن تمهل على وأن تأمرنى بلقاء الأسد فقال دريد دونك ماهذا أسد يقدر مثلك يلقاه فقال دثار وحياتك يامولاى لالقيته الاعريان الجسد خاليا من السلاح ثم ان دثارا نزل من على ظهر جواده وفى الحال رمى بيضته من على رأسه وتقدم إلى الأسد وجرد فى كفه حسامه المهند الا أن دثار لما تقدم إلى الأسد همهم وزمجر ورطن وبربر وقد طلع على شدقيه الزبد وما بقى يعرف ان بين يديه أحد وفى الحال خطى أول خطوة فلما نظر اليه الاسد كشر عن أنيابه وقد حملق لة عينيه فبعد ذلك خطى له دثار ولما قارب الأسد وثب وقرقع بذنبه وزعق فهاربت الخيل من زعقته من شدة صرخته اندهش دثار ثم خطى له ثالث خطوة وإذا بالأسد أفرن أذنيه وقد أبرز له أظافر كأنهم خناجر لما نظر دثار إلى ذلك شجع قلبه وأظهر نخوته وغرز ذيله فى دور منطقته وصرخ فى الأسد بعلو صوته وفى الحال بادره بضربه بعد أن وثب عليه كانت الضربة قد أصابته بين عينيه فطلع السيف يلمع من بين فخذيه فوقع الأسد شطرتين وقد صار جزأين وبقى قطعتين فلما قتل دثار الاسد صار على وجه الأرض ممدد ومسح سيفه فى جلده ثم عاد إلى درعه وزرده ولبسهما وعاد إلى ظهر حصانه بعد أن قبل يد دريد ورجليه فى الركاب فعظم دثار فى عين أصحابه والفرسان وقد علم أنه بلغ غاية المنتهى فى الشدة والفروسيه والشجاعه والحمية لان دثار ابعد ما قتل الأسد قال له دريد لله درك دثار وقد ربيتك فوالله ما ضاعت التربيه فيك فعندها قبل دثار يد دريد

ثانيا وشكره وحمده وأثنى عليه وبعد ذلك سار القوم أيام وليالى وهم يرحلون وينزلون ولما توسطوا نصف الطريق التقاهم مقدار خمسمائة فارس وهم من فرسان قبيلة يقال لهم بنو الحارث ومعهم مقدار خمسمائة وخمسون ناقة وجمل وهم قد كسبوها من بعض القبائل والحلل وهم طالبون بها ديارهم فلما أبصر دمار التفت الى دريد وقال له أيها السيد أنا أشتهى من احسانك أن تترفق فى المسير حتى انى آخذ هذه النوق والجمال التى مع هؤلاء القوم نستعين بها على بعض المهر وتكون والله من ضمن ما يطلبه منى صهرى سام أبو الصبية من الصداق أو أتقوى بها على عمل وليمة الطعام والشراب وأطعم الاصحاب والرفاق وانتم يا بنى عمى اشتهى أن تمهلوا على ساعة من النهار حتى ابدد شمل هذه الخيل فى الاقطار والبيدا فعند ذلك التفت اليه دريد وقال ويلك دثار هذه الفرسان من قبيلة بنى الحارث لان اسلابهم تدل على أنسابهم وأيضاً بيننا وبينهم دم قديمة وأخاف أن يظفروا بك ويستوفوا منك بعض الدماء فان كان ولا بد فخذ معك عشرة فوارس يكونوا خلف ظهرك حماة لك قال دثار وحق الذى أجرى الماء وعلم آدم الاسماء لايبرز القوم إلا أنا وحدى ولو أنهم يكونوا سباع البيداء فقال دريد أن كان هذا الامر قد تصور بقلبك فانا وأنت نبادر القوم ونحمل عليهم ونحرمهم لذيذ منامهم فقال دثار أنت يا أبا النظر ما أقدر أرد عليك فيما تفعل ولا أعدل عن شورتك فافعل يا مولاى ما تريده فانا لك من جملة العبيد فاحمل أنت على أى مكان شئت حتى لا أكون قد تعديت عليك فعند ذلك حمل عليهم دريد وقد زعق على الميمنة وفى الحال حمل بعده دثار وطلب الميسرة وزعق فيها كانه النار المسعرة وكان فرسان بنى حارث أيضاً أبصروهم ورأوا أصحاب دريد فى قله فعند ذلك وقفوا وصاروا يستشورون فى أخذ خليهم وأسلابهم. فلما نظروا بنى الحارث الى هذين الفارسين تعجبوا من أمورهما وقد ابصروا من دريد ودثار طعنا وضربا قال الاصمعى والحديث هنا ما يذكر لان دريد وحده يلقى ألف فارس ولولا ذلك ما كانت تسمية العرب رحا الحرب وكان دريدا كاسمه قال وما مضى النهار حتى فتكوا بنى الحارث وفى الحال هربت من بين أيديهم خمسة رجال وقد ولوا بخيلهم منهزمين هاربين وأخذ دثار النوق والجمال والخيول والاسلاب والأموال وفرحت قومه بما ظهر له من الشجاعة والفروسية وأيضاً من البراعة والشطارة والحمية وفى الحال جميع أصحاب دريد الخيول والدروع وكذلك الاسلاب وبات القوم تلك الليلة فى

المنزل ولما أصبح عليهم الصباح وأضاء بنوره ولاح فعندذلك صرخ فيهم دريد فانتبهت الرجال وشدوا على خليهم وتدرعوا وركبوا على ظهور صافناتهم وقد ساقت العبيد بين يديهم النوق والجمال وتموا فى المسير ليلا ونهار وعدوا وهم يواصلوا سير الليل بسير النهار حتى قاربوا ديار بنى خويلد وقد بقى بينهم مقدار نهار واحد ومن هناك خلعوا ثياب الزرد وآلة الحرب والقتال ولبسوا البهاء والجمال والبس دريد دثار خلعة من ملابسه كلها تشغل بالفضة والذهب وهى تقد وتلتهب وعممه بعمامة خضراء وهى معلمة الاطراف وكان دثار هذا شبابه رائق وجماله فائق فعند ذلك أرسل دريد من أول النهار فارسا من بنى جشم إلى عند سام أبى الجارية يعلمه بوصول دريد وأصحابه أيضاً بدثار حتى يتأهب للقاهم قال الراوى فهذا ماكان من دريد وأما ماكان من سام أبى الجاريه وسهرهم ضبيان فانهم قد حدثوا الحى على هذا الحال وبما جرى لهم مع دريد ودثار وقد أطلعوا أهل القبيلة على هذا الحال فلما سمعت القبيلة بهذا الخبر فرحوا بما قد سمعوا من اللغو والكلام وما فى بنى خويلد الامن فرح بهذا المقال وشكر وادريد على ذلك أثنو عليه فبينما فرسان بنى خويلد يتحدثون فى مثل هذا وأمثاله وهم يقولون لسام كملت سعادتنا ياسام إذا كان تربية دريد صهرنا فنحتزوالله بسيف دريد وتخافنا العرب لاجل صهر هسبيع الجارث المسمى بذو الخمار قال وبينما عرب بنى خويلد فى هذا المقال وإذا بالفارس الذى أرسله دريد قد أقبل اليهم وسلم عليهم وبعد ذلك قال لهم اعلموا ياوجوة العرب أن دريد بن الصمه وارد عليكم هو وأصحابه وفرقة من الأبطال قال الراوى فوالله ماانتهى الفارس من آخر كلامه والمقال حتى تواثبت الفرسان ولبست درعها وأسلحتها وتركبت على ظهور خيلها بعد أن تقلدت بسيوفها وكذلك النسوان والبنات قد خرجت من أبياتها والبعض من بين خيامها ولم يكن فى القبيلة من النساء والغلمان الا وقد خرجوا يتفرجون على دريد بن الصمه وعلى فرسانه كيف يكون عبورهم إلى الحى قال الناقل فبينما الفرسان يهرعون والنساء والبنات يزغرتون ويهللون وإذا بدريد قد أقبل بمن معه من الابطال والفرسان ودثار بن روق فى وسطهم مثل القمر إذا هل وبان وقد احتاطت به بنو هوازن وجشم وهمدان فعند ذلك تلقتهم الفرسان وقد سلمو عليهم وفرح بهم فرح استبشار فعند ذلك زعقت النسوان ورقصت العبيد والصبيان ولم يزالوا فى فرح استبشار حتى انهم وصلوا بهم المنازل والاوطان فعند ذلك وقفت العربان وسط القبيلة وهم ركاب على ظهور صافناتهم وقد ملاوا تلك الارض وسلموا على بعضهم البعض بفرحة ومودة

واحتشام وأمادثار فانه قدوقف بفرسه فى وسط الجميع فعندوقوفه ميزته الرجال وكذلك النسوان فتعجبوا من رؤيته وبهجته ومن شبابه ورونقه وقد استحسنه النساء والرجال وقالوا لبعضهم والله ان كان هذا على الحقيقة دثار فما هو الا فرحة للنظار وان اقام عندنا فى هذه الديار فيفتن والله المتزوجات مناوالبنات الأبكار فهذا ماجرى من الرجال والنسوان وهم وقوف على الاقدام وأما ماكان من سعدى ابنة سام فانها ركبت فى ذلك اليوم وقد صارت إلى جانب أبيها فى زى الرجال والغلمان والأبطال وقد صارت تدير عينيها إلى العربان وقد صارت تكرر النظر فيهم فلا ترى أحسن منه قال ولما أعجبها وقد أفتتنت بشبابه وفتوته فقالت لأبيها ان كان هذا الفتى هو بعلى فاهلا به وسهلا وان كان غيره فما أريد رجلا ولا هوجا فقال لها أبوها يابنتى اصبرى على نفسك فانا أبين لك الحال من المحال وأظهر الصحيح ثم ان سام بعد كلامه لابنته تقدم قليلا وصاح بين الطائفتين وأوما إلى الشيخ دريد بالسلام والاكرام وعند ذلك نادى بأعلى صوته فى نداء أيها السيد الهمام والأسد الضرغام والليث المغوار والفارس الكرار ابن السادات الأمير دثار يظهر من بين الرجال والأبطال ويكشف لنا عن وجهه اللثام حتى يتضح البرهان ويتبين للناس عيان فان النساء نواقص العقول ونظرهم خلاف نظر الرجال وما اتم سام كلامه حتى قفز دثار اليه وفى الحال صار بين يديه ونادى بأعلى صوته وقال يامولاى ها أنا عبدك الخاطب وقد أتيت إلى جنابك وقبيلتك راغب فان رضيتنى ملكتنى وكنت لها عبدا وخادما وكنت أيضا علوكا لهذه البنت وان هى أبعدتنى رجعت ياأمير من حيث أتيت فقال سام لا يا ابن روق نحن ما نريد سواك ولا ندعو إلى الله إلا برضاك وقد بين لهم باطن حديثه وقصته فعندها ارتفع الصياح بالمسره والأفراح قال فعند ذلك تقدم دثار تلك النوق والجمال التى قد كسبها فى الطريق وقال لابى الجارية يامولاى هذه تكون برسم الهدية والضيافه وأما مهر ابنتك فيكون أوفى مما تريد ثم ان دثار ابعد كلامه لحيه نزل وأصحابه يريدون الراحة وقد أمر عبدهم والغلمان ان يضربوا المضارب والخيام فنزلت الفرسان وقد أمر دثار بذبح الخرفان وتعليق القدور فهذا ماكان من دثار وأما ماكان من سام أبى العروس وفرسان بنى خويلد فانهم كانوا عربا كراما ويجيرون الخائف من لهفاته ويشبعون الجيعان ويكسون العريان وما فيهم أحد إلا نحر وعقر وكذلك دريد ودثار واستعدوا ونحروا وعقروا وبعد

ذلك اتصلت الولائم والدعوات مدة سبعة أيام على الدوام هذا والخلائق يأكلون والجوار بالمزاهر يدقون ويزعقون وفرسان دريد وفرسان بنى خويلد إلى الميدان يسيرون والرماح الطوال يتطاعنون والعبيد فى كل يوم ما يقدرون عليه يذبحون وفرسان دريد من ميدانهم ما يرجعون الا ويلتقون الطعام ورائق المدام فلما أصبح عليهم الصباح فى ثامن يوم أرادوا أن تزف العروس فزفت على دثار وكان ذلك النهار نهارا مباركا فعند ذلك تقدم دريد إلى وسط الجدار وأخرج الخلع المثمنة فاخلع على مقدمين الحلة وعلى كبارها ولما فرغ دريد من تفريق المخمع فعندها وثب دثار على قدميه ونثر بين العربان من الفضة والذهب شيئا كثيرا وصفت القلوب وقد عاد حصان سام اليه فكان عنده أحلى من بلوغ المنا ومن نور عينيه وبعد ذلك أقام دريد وأصحابه وفرسانه عند القوم تمام خمسة وعشرين يوما وبعد ذلك استأذن دريد أبا الجاريه أنه يريد الرحيل فلما سمع فرسان بنى خويلد ما نطق به دريد شق عليهم ذلك الأمر لأنهم قد أحبوه ومن معه محبة شديدة فعند ذلك خلعوا عليه فأقام عندهم عشرة أيام اخر وما حنثهم فى الايمان وبعد ذلك رحل دريد وهو عائد إلى قومه فى تلك الخمسين فارسا الذين قد وصلت معه وأما كان من دثار بن روق فانه رفع زوجته فوق هودج عال وقد زينه بالجواهر والفصوص واللالى والعقيق الأحمر ومن البخلش والزمرد الاخضر قال وبقى هذا الهودج من عظم ما رصع فيه كان يدهش العقول وأما التى هى راكبة فيه فهى مثل الحور والولدان وقد شح هذا الهودج بثياب من السندس الأخضر وقد حلى الجمل الذى هو حاملها الذهب الأحمر والفضة البيضاء والقلائد الجوهر وبعد ذلك سارت فرسان بنى جشم وهوزان طالبين الديار فلم يزالو سائرين من مدة أيام وليالى حتى وصلوا إلى جبال نقع فلما وصلوا إلى هذه الجبال بأمكان فلم يدروا الا وقد خرجت عليهم ثلاثة أكمان من فرسان بنى الحارث وكان هؤلاء القوم فى ثلاثة آلاف وهم من كل بطل مداعس وليث ممارس وهم بالسيوف والجحف والرماح والدرق وقد قبلوا عليهم بالخيول والرماح والدرق وتصايحوا من كل جانب ومكان وقد لطموهم الجميع بالقنا والقواضب وما فى الثلاثة آلاف فارس إلا من نادى وقال فى نداء الثار ولمثل هذا اليوم يا دريد قد كنا لك فى الانتظار حتى نستوفى ثار من قتلت لنا من الرجال الاخيار قال أما السبب فى ذلك أن دريد كان أكثر غزواته فى ديار بنى الحارث لأن أهل هذه القبيلة ما كانوا يطيعوه ويعطوه خراجا ولا مالا ولا يحملوا اله جزية ولا عدادا ولا نوقا ولا جمالا

لاجل كثر عددهم وتزايد مددهم فلما ان كانت هذه القبيلة على هذا المنهاج ولم يعطوا سمعا ولا طاعة فعند ذلك أباح دريد دماهم وقد ضيق عليهم وأفنى كثرتهم بكثرة غزواته لهم وقد ذكرنا أن دريد عند مسيره التقى منهم تلك الخمسمائة فارس وقتل فيهم مثل الليث الداعس وقتل منهم هو ودثار بن روق جماعة كثيرة وقد أخذوا منهم أموالا غزيرة ومن جملة ما أخذ منهم تلك النوق وقد انهزم باقيهم ولم يزالوا منهزمين حتى وصلوا إلى الأماء وأخبروا بما جرى عليهم من دريد ومن قتل من فرسانهم ومن جندل من أقرانهم فلما سمع أهل القبيلة هذه الأخبار بكت النساء وفى الحال وصل الخبر إلى مقدم الحلة فأمر باحضار المنهزمين فحضروا فسألهم عن حالهم وعما جرى فعند ذلك حدثه المنهزمين بما جرى عليهم من الأحوال وكيف صدمهم دريد بن الصمة بالرجال ومن قتلهم من الفرسان والأبطال فعندها قال لهم مقدم الحلة ويلكم وما علمتم أين مضى دريد وإلى أين قاصد فقال المنهزمين بلى والله أيها الأمير سمعنا أنه سار إلى ديار بنى خويلد حتى أنه يخطب لدثار بنت المقدم سام ونحن أيها الملك نعلم أنه ما يقيم هناك أكثر من عشرة أيام على التمام وبعد ذلك يعود إلى دياره والخيام فقال الملك سيد بنى الحارث فاذا كان الأمراء ووجوه العرب على مثل ذلك الحال فانا أقلع أثر دريد ومن معه من الرجال فى هذه المرة وأعرفه شؤم هذه السنة لأنه قد بالغ فى العداوة لنا وفى المضرة والأسى علينا وقد طرح أمرنا وبغى علينا ولما انتهى الملك من كلامه والمقال أمر وزيره ينتخب الرجال والفرسان والأبطال فما كان غير ساعة من النهار حتى أنه جهز من عسكره كل فارس كرار وكان جملتهم ثلاثة آلاف فارس من كل بطل داعس وقد ركب على حصان من أخير الخيول التى ما مثلها فى تلك الأيام وقد نشرت على رأسه الرايات والأعلام وخفقت الصناجق والبنود فى الحال زعقت الجاويشية وخرجت النقباء والغلمان فعند ذلك ركب الوزير بين يدى الملك ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى ديار يقظان فعندها أمر الملك بالنزول ولجميع الفرسان وضربت الفراشين السرادقات والمضارب والخيام وقد أكمن بهم الملك تحت ذلك المكان كما ذكرنا فهذا ما كان من أمر الملك وأما ما كان من دريد بن الصمة فانه لما عاد من ديار بنى خويلد كما وصفنا وقد خرجت عليه الكمناء كما وصفنا وقد نادت الرجال على دريد بذلك النداء واخذوا عليه من أقطار الفلا وجوانب البيدا وعرف دريد وتيقن حقيقة الحال كما سبق فعند ذلك التفت إلى رجاله وبه من كان معه من فرسانه وأبطاله وقد وقع بينهم الحرب والقتال واختلف ما بينهم من الحرب والطعان وكان دريد كما سمى رحاة الحرب حقا لأنه

جال وصال فى بنى الحارث شرقا وغربا وكذلك دثار بن روق وأما فرسان بنى هوازن وجشم فقد قتلوا الفرسان وطوقوهم بادميتهم وفعل بنو جشم فعال السادات لأن المدد كان عليهم كثيرا والجميع غزير لأن بنى الحارث كان عددهم ثلاثة آلاف فارس ودريد فى خمسين فارس ولولا دريد ودثار ما بقى من الخمسين الذين معهم أثر ومازال الطعن بينهم يعمل والدما تجرى حتى تعب دريد وكل ومل واندرس رسم شجاعته واضمحل وقتل جواده وصار يقاتل خوفه على زوجته ويناضل وتزاحمت عليه الأبطال وهم يقولون الثار الثار هذا يوم كشف العار قال وفى تلك الساعة اشرف الأمير عنتر وأرسل أخاه شيبوب ورجع اليه بحقيقة الخبر فعند ذلك حمل عنتر ومقرى الوحش واقتحموا القتال وصرخوا يالعبس يالعدنان قال فلما سمع دريد ذلك النداظن أنه كمين آخر للمدا وماهدا قلبه حتى رأى وجه عنتر فاشد ظهره وهان عليه ما تعسر من أمره وقد تعجب من هذا الاتفاق واتسع عليه البر بعد ما ضاق وكان وصول عنتر إليهم نصف النهار فاطال عليهم الوقت غير قليل حتى فوق بنى الحارث فى البرارى ودرسهم الزمان ومزق عنتر الثلاثة آلاف فارس وبقوا طايرين فى البر يزعقون ولما انطفت نار الحرب وشتت المنهزمين وقد التقى دريد بعنتر وصار يشكره على ما فعل وقال له ياأبا الفوارس ما الذى القاك فى هذا المكان وإلى اين سائر ولمن هذا المال الذى معك والأظعان فحدثه عنتر بقصته وكيف اختصم مع بنى عبس وبنى فزارة لاجل فعالهم فى حقه وأنه طالب جبال غزية ومنازلها العلية يريد الأقامة هناك فقال دريد لاوحق مالك الممالك لانزلت إلا عندى وفى ديارى من أشرف أيامى أن يكون مثل أبى الفوارس فى جوارى وأن لم تجبنى إلى ذلك نزلت عن جوارى وقدمت بزمام ناقة عبلة ولا أزال ماشيا إلى أن تصل إلى الحالة فعند ذلك تبسم عنتر من كلامه واستحى من اهتمامه ثم أنه أخذ عنتر ومن معه وساروا إلى المضارب والخيام وما لحق أن يجلس حتى أتاهم الطعام وتقدمت سادات بنى قراد وسلموا على دريد وأكلوا وشربوا والتذوا وطربوا وحدثهم دريد بما جرى له فى بنى خويلد وكيف زوج دثار بسعدى بنت سام وماجرى لهم فى الحرب مع بنى الحارث حتى أدركتنا أنت بهمتك يازين الفوارس فشكره عنتر على مدحه وقبل يديه وصدره باتوا تلك الليلة إلى الصباح واضاءه الله بنوره ولاح وأشرقت الأنوار فأمر دريد بعض العبيد ان يشدوا المحامل على النوق والجمال ففعلوا ما أمرهم به وركبت النسوان والبنات وكذلك الرجال على الخيول العربيات وتقدمت الأبطال وصار الطعن أياما وليالى وغدوا

وأبكار حتى أشرفوا على الديار وقربوا من جبال غزية ومنازلها العلية فاختار دريد لعنتر من الأرض قطعة كثيرة العشب والماء ونحر لهم دريد النوق والجمال وضافهم وأكرمهم سبعة أيام وفرح بهم دريد فرحة عظيمة وصار لا يأكل ولا يشرب وكلما طال به المقام زاد له فى الإكرام وكان لدريد ميدان تقصد إليه الفرسان من كل جانب ومكان ويعرضون أنفسهم عليه فى الطعان وكان دريد يركب هو وجميع أبطاله وقومه ورجاله ويأخذ صحبته عنتر وأعمامه ولا يزالون يتفرجون على الطعان حتى يحمى الحر ويوهج البر فعند ذلك يعود الجميع إلى مجلس الشراب وكان دريد يعمل هذا مع عنتر لأجل انشراح صدره ويطيب قلبه وقد أتت فرسان بنى هوزان وجشم وسلموا على عنتر وعلى جميع الحلل التى يحكم عليه دريد وتسامعت به فرسان تلك الأقاليم والبلاد فاتوا إليه حتى ينظروه ويسلموا عليه لأنهم كانوا يجيئهم الخبر من السفار ويسمعون عن حربه وقتاله وفصاحته وأشعاره وماجرى له مع خدوايد بن كسرى وكيف قتل وردشان وملتم له فى الحرب وكيف أخذ نوق النعمان وما قاسى من جوادث الزمان حتى ضاقت به تلك المكان وصاروا يحضرون الطعان لأن فرسان العرب كانت تراهن فانهم كانوا يعلمون حلقه فى رأس رمح عال وتركض كل الفرسان ويحذفونها بالرماح فكل من دخل رمحه فى الحلقة سبع مرات يأخذ رماح الجميع وصارت القبايل تراهن وتبارز بعضها وتظهر براعتها فى الطعان ودريد يحكم بينهم برأى عنتر ويبين لهم الضلال من الرشاد وأقام الفرسان على هذا المنهاج أياما وليالى إلى أن كان يوما من بعض الأيام برز فارس من فرسان بنى سليم إلى وسط الميدان فنظر إليه الخلائق فاذا به غلام أسود صافى السواد شديد الأكتاف معتدل القوام حلو المنطق واضح الابتسام وعليه غلاله رومية وهو على ظهر حجرة عربية متعمم بعمامة خزكوفية وقد أرخى لها عذبه وعلى عاتقه سيف مجوهر وفى يده رمح طويل أسمر مكعب تكعيب معتدل الأنابيب وكان هذا الفارس شجاعاً من الشجعان وقرماً من الأقرام ولما انحدر إلى الميدان جال وتقلب على ظهر الحصان حتى تفرجت عليه الفرسان ثم هز رمحه وهز الجواد فطار به فلم يزل حتى خرق حلقة الرهان فاستحق رماح الرجال والشجعان فلما أخذها رماها إليهم فلم يأخذ منها شيئاً بل قال يابنى عمى أنتم تعرفون إنى أنا عبد وأنتم الموالى فلايجوز لى أن آخذ رماحكم العوالى ولا أقدر أن افتخر عليكم بفعالى وأنا ما خرجت إلى الميدان إلا على سبيل الفرجة مع الاخوان لا على سبيل الطمع مع الرهان ثم بعد ذلك رجع إلى طائفة أخرى فوجد أبطالها قد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة فعند ذلك قلع من رمحه السنان وبارز

الأبطال والفرسان فما نازل بطلا إلا وسطا عليه ولا شجاعا إلا وعلم عليه ولما أن أقرت له الفرسان بالفروسية وأراد الانصراف تقدم إلى عنتر وقال لى يا مولاى قد أسأت اليوم الأدب بين يديك وتقدمت بجهلى عليك لأنك أنت سيد الفرسان وعين هذا الزمان فالسيوف البتر لكفك طبعت والرماح السمر لراحتك صنعت والفصاحة من بعض ألفاظك سمعت فأى بنان يقدر يحمل بين يديك الحسام وأى جنان يثبت إذا سمع من أفواهك الكلام فقد حملت بقدومك أرضنا ونورت من السعادة حظنا ورفعت عند العرب قدرنا وعبدك يشتهى من تفضلاتك أن تنقل أقدامك إلى منزلى ومقامى وتجبر كسر قلبى بأكل لقمة من طعامى لأن خلاقك تعلم الناس مكارم الأخلاق وسماع صفاتك السائرة فى الآفاق على ألسنة الناس هى التى تركتنى أطلب ما ليس لى باستحقاق ثم تقدم إليه يقبل ركابه فترجل عنتر إليه وقد ملك بهذا الكلام فؤاده واعتنقه وقبله بين عينيه ثم شكره وأثنى عليه وقال له يا وجه العرب كل ما ذكرته من الصفات أنت به أحق والذى يطلب أن يصل إلى أدبك وفعالك فقد ظلم ثم أنه عضده ورده إلى ظهر جواده وشار دريد فى المسير معه فقال دريد والله يا أبا الفوارس كلنا اليوم نسير مع ابن عمنا ولا نخيب قصده ولا نكسر قلبه ثم أنه التفت إلى الغلام وقال له يا خفاف اسبقنا وها نحن على أثرك تابعين فقبل الغلام يد دريد وسار وأما عنتر فانه رد جميع أصحابه خوفاً من التثقيل وما أخذ معه غير أبيه وأعمامه ومقرى الوحش وعروة بن الورد وتمام العشرة من الأبطال وسار مع دريد يسأله عن الغلام فقال له هذا الغلام له خفاف بن ندبة وقد طلع فارساً من فرسان العرب وكسب بسيفه نعم المكسب وصارت له خيام مضارب وخيل وجنائب وقنا وقواضب فقال عنتر وقد تعلق قلبه بمحبته والله ان قصة هذا الغلام تشبه قصتى فتبسم دريد وقال أنت مالك نظير فى هذه الدنيا وبين الورى ولا يقاس النهر بالبحر ولو جرى وكان هذا الغلام فى مشابهة من حديث عنتر بن شداد لأن أمه كانت أمة وألحق روحه بالنسب وصار يعد من أولاد العرب وهم من بنى سليم وكان فى بنى سليم من يحسده ويبغضه فمنهم العباس بن مرادس السلمى رضى الله تعالى عنه قال الراوى فلم يزالوا سائرين بين المضارب والخيام حتى وصلوا إلى أبيات الغلام فوجدوه قد هيأ لهم الطعام والمدام وأجلسهم فى أرفع مقام ووقف فى جملة العبيد والخدم وقد فرح بهم غاية الفرح وزادهم فى الخير والانعام وعقر ونحر لهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قام خفاف على الأقدام وقدم لعنتر جواداً وعدة جلاد وكذلك لدريد بن الصمة فما قبلوا منه شيئاً بل ردوا عليه متاعه وعادوا من عنده وهم يشكرونه ويمدحونه

قال الراوى ولما وصل دريد إلى خيامه وجندسبيع بن الحارث وصل من بنى حمير يأخذ أخبار عنتر لأننا ذكرنا ما جرى له معه فى ديار بنى عامر وكان قد عول برازه وعاد إلى قومه بالحدوأتى إليه دريد وسأله عن حاله فقال ان منزلى قد تقصت عند العرب من يوم أسرنى عنتر بن شداد وأنه قد التقانى وأنه تعبان من قتال بنى عمه وكانوا أربعة آلاف وكان جوادى قد بلغ المنتهى من التعب فوقع من تحتى عند لقاه فبلغ منى ذلك الوقت مناه وكنت أناعولت أن أعلق لى قصيدة على الركن اليمانى فى البيت الحرام وأنال الفخر بين الأنام فانكسر عزمى عما كنت عليه عازم لأن العرب صارت تقول لى كيف تسجد لشعرك وأنت أسرك عنتر عبد بنى عبس والآن قد بلغنى أنه نازل عليك وقد أتيت أبارزه بين يديك ويكون برازى على سبيل الاختيار فان أسرنى اشتريت نفسى منه بكل ما يريد من المال وان أسرته استخدمته مثل العبيد عند الموال فقال دريد والله ياذى الخار ان هذا الامر ما أتركه يتم ههنا فى ديارى ولا يقدر أحد يؤذى جارى لأن هذا الرجل فى جوارى والرى عندى أن تترك هذا الأمر خير لك ولك حجة تحتج بها عند قائل العرب وتقول أسرنى عنتر وأنا تعبان وما قهرنى حتى وقع من تحتى الحصان وتلح فى هذا الأمر وفى معاداة هذا الرجل تندم لأنه إذا انتصر عليك جعلك فضيحة بين الأمم لأنه والله فارس العرب والعجم وشجاع الزمان وما أظن أن تلد مثله النسوان وأنه أخبر منك بالطعان وسداراة الفرسان وله خبرة وساعات طيبة وسعادة ولرب السماء فيه مشيئة وإرادة والرأى عندى أن تعود إلى أهلك ولا تخالفنى فتهلك قال الراوى لهذا الكلام فلما سمع ذو الخار ذلك المقال زاد غيظه وحنقه وكاد الدم يطرش من حلقه وعاد من ليلته طالب أهله وأظهر أنه غضبان ولما أصبح الصباح وانتشرت الشمس على الروابى والبطاح وركبت أبطال القبائل إلى الميدان الذى قدمنا ذكره عنتر وسلم على دريد هو ومقرى الوحش والرجال الذين معه فكان أول من برز إلى الميدان الصبيان الذين فى الحلل وهم أولاد الفرسان لأجل أن يتعلموا الضرب والطعان كما جرت به العادة تقضى نصف النهار وهم على ذلك الحال فأرادت الفرسان أن تخرج إلى المجال وإذا قد أقبل من صدر الميدان فارس غريب وعليه زى عجيب وله هيبة ووقار وثياب جميلة تبهت النظار لأنه كان لابساً ديباج رومية وعمامه خزكوفية وهو مضيق لثامه ومنكس عمامته على جبهته وتحته جواد حسن القدر رقيق لحم الخد طويل الذنب سريع الجوى والخبب فسيح الظهر عريض النحر ظاهر النخوة حسن الغرة فى الميدان ولعب بالرمح والسنان وقد تأمله الأقران وهو يغير فى الحرب أبوبا

حسان من صد ورد وهزل وجد وتركيب العنان وزارق العينان والمقاربة والمواثبة والباعدة والمصادمة والمهاجمة ثم أنه أشهر الحسام وحذفه إلى الهواء واستقبله بقائمة ورده إلى غمده وعاد إلى لعب الرمح حتى حير الفرسان وأذهل الأعيان ونادى أبرزوا إلى الميدان حتى تناولوا منازل الاقران فلم يتم كلامه حتى برز إليه فارس على جواد برأس لا يلم به رعش وهو بالزرد مقمش وعلى رأسه بيضة عادية ترد مضارب السيوف الهندية فحمل على العباس وجال الاثنان وصلا على بعضهما بعض فقرع العباس رأسه برأس الرمح وكف عنه وطلب البراز وسأل الانجاز وقال أبرزوا يا بنى الأعمام إلى موقف الرجال الكرام وإذا عجزتم عن ذلك فدونكم عشرة بعد عشرة فما أتم كلامه حتى تحدر إليه خفاف وصار له ملاصقاً مطابقاً وأراد أن يجول معه فرمق فيه العباس وزعق عليه ارجع ورائك يا ابن السوداء الربطة الاستين المنتنة الأبطين الواسعة الشدقين نحن ماطلبنا الا براز السادات النبلاء لا براز أولاد الاماء فغضب خفاف وخجل ورده يده إلى قائم سيفه وحمل وانطبق على العباس وفعل العباس كذلك مثل ما فعل فعند ذلك جرد دريد سيفه ودثار وعنتر ومقرى وعروة وزعق دريد فيهم فافترقا وقال لهم ماهذه الفعال بعد اللعب والمزاح وقال لى ماقال بين الاقران فهذا قول الرجال الكرام فقال عنتر عليك يا خفاف باحتمال بنى الأعمام وأن اعتدوا عليك فى الخصام وأنت يا عباس لا تتكلم إلا بما تتكلم به الناس الكرام ولا تغضب أحداً بالكلام وعليك بحفظ اللسان والسلام ولم يزل عنتر بينهم بمثل هذا الكلام حتى زال من قلوبهما الأحقاد وأصلح بينهما ولكنه صلح على فساد وعاد هو ودريد وبقية الجماعة إلى حى بنى هوازن وجشم بعد ماودعهم خفاف وعاد إلى أبياته ولكن استولى عليه الغضب وأما عنتر فانه عاد إلى مضاربه وأقام بها هو وفى أكرامه إلى يوم من بعض الأيام قام من منامه وجلس على باب مضربه وأتت إليه أقاربه وأصحابه وإذا هو بعبد مقبل من البرية وما زال حتى قبل يديه فتبينه وإذا هو من عبيد الحارث ابن الملك زهير فلما قدم عليه قال له يا حامية عبس أحل إلى المكان حتى أطلعك على الأمر الذى أنفذنى فيه سيدى ففعل عنتر ذلك وقال له أعلمنى فقال له أعلم أن حصن بن حذيفة بعد زواجك جاء الخبر أن جارك مالك بن قادم وبنى عمه رجعوا إلى بنى كنانة وتزوج ذلك الغلام الجارية فلما سمع حصن بذلك أرسل سرية من الخيل إلى بنى كنانة فاكمنوا لجارك وانفذوا إليه واحداً ليستغيث به وذلك حيلة منهم دبرها وخديعة حكموها فتقلد فلما عاين ذلك الحال والبوائق تيقن بالبلاء الطارق فلما رأته الرجال حملت عليه فصاح

بهم ويلكم بأنذال العرب صرتم تأخذون الفرسان بالخديعة لما عجزتم عن الطعان وأنا وحق من ركب الأرواح فى الابدان وجعل الأرض ميدان ونصب السماء بلا دعائم ولا أركان وهو الواحد الأحد القرب المنان لانزلت عن ظهر الحصان ولا سلمت روحى إليكم حتى أعاين الموت عيانا فى هذا المكان ثم أخذ رمحه بيده وهمز الحصان فخرج من تحته مثل البرق فى اللمعان وحمل على الرجل الذى استجار به وطعنه أرداه وقد اشتهر الأمر وبان وتزاعقت فرسان بنى فزارة وذبيان والتقاهم الغلام برمحه والسنان حتى قتل منهم عشرين من الفرسان فتكاثروا عليه حتى أخذوه أسيرا بالزور والبهتان وقادوه ذليلا مهان وأتوا به إلى حصن فشدوه وثاقا وأخذ يعذبه بأنواع العذاب ويقول له ناديا قرنان بعنتر حتى يخلصكم من هذا الهوان وأنا أقسم وحق من أخرج الماء من الجماد ما أبرح أصب عليك العذاب حتى تنفذ إلى قومك وتأتينى بالجاريه نوار وفديه من قتل من الرجال الأخيار وأن الغلام يا أبا الفوارس قد بكى عليه الطير فى كبد السماء رحمة له ولولا خوف سيدى من أخيه قيس كان دبر على خلاصه بأى وجه أمكن فلما ضاقت به الحيل أرسلنى إليك أعرفك بذلك الخبر قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك الكلام بكى وقال للعبد ويلك والملك قيس اليوم معاشر بنى فزارة قال نعم يا مولاى ويأكل هو وولده زهير ويشربان معهم وأن زهير خرج بطلا من الأبطال القتال وجبار لا تصطلى له نار فلما سمع عنتر ذلك قال أنا إن شاء الله تعالى أسير إلى بنى فزارة والحق حصنا بابيه حذيفة وأما قيس بن زهير وشجاعته وفروسيته فانا بها فرحان وحامد الله تعالى على ما أنعم وعلى ما أنتج الزمان لبنى عبس حاميه غيرى وأراحنى منهم ثم أنه أمر عروة أن يكتب للحارث كتابا ويشكوه فيه على همته ومحبته ويقول له سوف ترى يا مولاى من يندم إذا حضر الأمر وعظم وهذا أمر لابد من آخروها أنا سائر على أثر هذا الكتاب ثم أنه خلع على العبد خلعه سنيه وأعطاه عشر جمال يشترى بها نفسه من رق العبودية وودعه العبد وسار طالبا مولاه وهو شاكر لعنتر على ما أولاه وأما عنتر فانه زعق على مقرى الوحش وعروة بن الورد وعمرو وأخى عبله ومن يعتمد عليهم من رجاله الأبطال فجمع منهم مائة فارس وأخذ أخاه شيبوب بين يديه وساروا ولو كان لهم أجنحه لطاروا وكان عنتر سمع أن بنى عبس وشباب بنى فزارة يجتمعون للمدام مع بعضهم البعض ويشربون هذا ولم يزل شيبوب بين أيديهم سائر إلى أن قارب الديار فقال عنتر يا أبا رياح انطلق وهات لنا الأخبار من القوم فقال أفنى فى بدور وأجازى بنى عبس على فعالهم وأعرفهم قدرى فقال شيبوب على ما ذا عولت

أن تفعل فقال أغير على أموال بنى فزاره وآخذها وأعود وكل من تبعنى منهم فى البر كان لى وله حديث آخر فقال شيبوب أنا أعلم أنك إذا أخذت أموال بنى فزاره وتبعوك لخلاص الأموال ما يقعد عنهم زهير بن قيس وفرسان بنى عبس فقال عنتر إذا أتوا إلى حربى ما أقاتلهم بسنان بل أذلهم بالرمح وأتركهم مزميين على وجه الثرى فهو أشد عليهم من القتل والهوان فقال شيبوب وأنا بهذا أردت أن أشير عليك ثم أن عنتر أوصى مقرى الوحش ورجاله بالذى يعملون وساروا تلك الليلة حتى طلعت الشمس وسرحت الأموال مع الرعيان وانبسطت فى الوديان ولما رأى عنتر ذلك حل هو ورجاله وقطعوا منها خمسة آلاف ناقة وجمل وطرحوا الضرب فى أقفية العبيد وأمرهم بسوقوها إلى بلاد اليمن وهم ينادون يا لقحطان وقد وقع بهم الصياح فى كل مكان وعاد باقى الرعيان إلى عند الاحياء وطرحوا الصوت فى الحلة وأخبروا بما جرى فركبت بنى فزارة جميعهم ومن تبعهم ووصل الخبر إلى حصن وسنان بن أبى حارثة وهم فى الوليمة كما ذكرنا وقالوا جاءت اليناخيل غائرة ساقت الأموال والنوق والجمال فقاموا بلا عقل وكذلك زهير بن قيس قام إلى جواده وهو يقول لحصن لا تخف فلو أن أعداءك فى آخر بلاد اليمن لحقتهم وخلصت الأموال منهم وجازيتهم على فعالهم وكذلك قال سنان ثم ركبت بنو عبس وركضوا إلى أن أدركوا عنتر ونادوا إلى أين يا أولاد الزنا وأنتم بأموالنا سائرون ونحن سباع الآجم واليوم نجازيكم على فعالكم بقلوب حنقة لأجل أخذ المال وما هم فيه من سوء الحال فعاد اليهم عنتر ودة الأسد الريبال ورمى نفسه عليهم وهو ينادى يا أوغاد غير أجاداً ما تعلموا أنى عنتر بن شداد فاليوم أخلص جارى وأجازيكم على فعالكم وأهججكم فى أقطار البرارى والقفار ثم أنه قصد إلى سنان بن أبى الحارثة ومال عليه وطعنه بعقب الرمح فى صدره ألقاه على ظهره وكاد أن يعدمه الحياة ويعجل فناه وأدرك مالك بن بدر وجاه ومسكه من أطراف درعه وحذفه وراءه فكتفه شيبوب وبعد ذلك طلب حصن بن حذيفة وقد تجزع لما علم عنتر فولى وانهزم وأطلق عنان الغبراء فطلبه عنتر وزقه بالرمح فجرحه جرحا موهنا ونادى والحق عليك يا ابن الخنا وبعد ذلك إلى بنى فزاره فأفناهم وأبلاهم بالبلاء وشردهم فى أقطار الفلا وإذا بزهير بن المالك قيس قد فاجاه وهو يقول ويلك يا ولد الزنا تمديدك على مواليك فلا اشفى قلبى منك لأجل تجرتك على بنى فزاره وملوك بنى بدر وطعنه طعنة خفيفة فرماه ورمى معه جماعة من بنى عبس فرماهم كلهم وكذلك رجلوا وكتفوهم وخلوا من البر مكانهم وأخذوا مالك وسنان وساروا يقطعون البرارى

والقيعان حتى وصلوا إلى الأحياء وحط مالكا وسنون فى القيود والأغلال فقال له سنان يا حامية عبس وعدنان أنت مالك حاجة فى اعتقاله إلا الاخلاص جارك فإن وثقت به ولنا فنحن نرسل إلى حصن رسول من عندنا بأن يفكه ويرسله إليك فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له يا سنان احلف أنك تطلقه وأنا أخلصك فحلف له على ذلك فقال عنتر وإن لم تطلقوه فأنتم أخبر على أى شىء تقدمون ثم أمر شيبوبا باطلاقهم وساروا يجدون فى المسير حتى وصلوا إلى بنى فزاره وأطلقوا امالك بن قادم وخلعوا عليه وسار إلى أرضه وأما دريد فانه استوحش إلى عنتر فأتى اليه وسلم عليه وعتب عليه كيف سار ولا أعلمه حتى أنه كان يسير معه فقال عنتر ياسيدى ماهناك شىء يوجب تعبك فبينماهم فى الحديث وإذا بالخيل قد أقبلت وهم يقولون الحقنا يا أبا النظر لأنه قد وقع الخلف بين خفاف والعباس ووقع بينهم الحرب والدعاس وإن لم تلحقهم أفنوا بعضهم فوثب دريد وعنتر ولحقوهم والحرب بينهم قد اتصل واشتهرت السيوف وقومت الرماح وعلت الضجات وارتفعت الصيحات فعندها زعق فيهم دريد وعنتر ودخلا بينهما فرجاهم عن الحرب والقتال وقال لهم عنتر ما هذا الحال ياسادات بنى سليم حتى ركبتم طريق البغى التى ما ركبها أحد حتى هلك فكفوا عن هذا البغى وإن رضيتم تكلمت بينكم فقال دريد ياأبا الفوارس قل ماتشاء فقال عنتر معاشر بنى سليم المطنب فى حقكم والمشمر فى الثناء عليكم عاجز كلامكم مقبول ومالكم محفوظ فضج بنو سليم بالثناء عليه وقالوا الله ابدما تريده من الحط الرفيع قولك صواب فقال عنتر انصرفوا إلى غداة غدا حكم بينكم فامتثلوا أمره ورجعوا ورجع دريد وعنتر وأصحابه حتى أصبح الصباح واجتمع السادات كلهم ليسمعوا ما يقضى عنتر بينهم وكان قد أنفذ إلى خفاف بالليل وسأله عن حقيقة الأمر فأخبره بحاله ولما اجتمع الناس وحضر العباس قال عنتر للعباس وخفاف اعلمونى ماسبب هذه العداوة التى بينكم فقال خفاف والله يا أبا الفوارس مالى ذنب إلا أنى خطبت بنت هذا الرجل على يد جماعة من سادات قومى فطلع هذا الرجل الينا وقال كلاما لاخير فيه وظهر عنادا وعايرنى بسوادى فضحك عنتر وقال يا خفاف إن كانوا عايروك بذلك فقد عايرونى من قبلك فقلت فى ذلك أبيات من الشعر

إذا عاب العدو سواد جلدى ... فما لسواد جلدى من دواء
وفعلى أبيض والمسك لونى ... ولونى ليس ينقص فى علاء
ولكن تبعد الفحشاء عنى ... كبعد الأرض عن جو السماء

(قال الراوى) فلما سمعت العرب ذلك قالت هيهات ياأبا الفوارس أن تقيس نفسك بغيرك وأنت النجم الزاهر وجنة الناظر فقال العباس والله يا أبا الفوارس ماخاف نظيرى حتى يخطب

موضع ما أخطب أنا فقال عنتر احفظ لسانك يا عباس فوالله ما يزرى بالرجال إلا خصلتين وهما البخل والفزع وأما إذا كان كريما يكسب بماله الثناء ويذب عن حريمه ويحفظ جاره من غريمه لا يبقى به عيب يعاب بين السادات الكرماء ثم ان عنتر التفت إلى أبى الجارية وقال له يا وجه العرب أنت وجهك مجمل بكل خير ومكلل بالسرور ومنير وهذا الرجلان رضيت بمن فيهما يكون لابنتك بعلا فتزوجها به ويرجع الآخر عنها بلا اعلاج فقال أبو الجارية والله يا أبا الفوارس لو تركونى من الأول أن أتكلم ما جرى شىء من هذا الأمر ولكن اعلم يا أبا الفوارس والكلام لجميع السادات أن لى ثارا عند رجل من أهل اليمن يقال له المتعجز بن فايز القصاعى وسبب الدم الذى لى عليه أنه أغار على جمالى فساقها مع الخيل وعاد يطلب دياره فلما سمعت بذلك ركبت أنا وأولادى لرد المال ولما لحقناه زعقنا عليه عاد إلينا عودة الغول الحردان وزعق على ولدى الاكبر وطعنه فى صدره ولما رأيت ذلك حملت عليه لآخذ بثارى فكبى جوادى ورمانى عن ظهره وكانت وقعة عظيمة أوهنت قواى فاردت أن أقوم فبادرنى بعض بنى عمه وطعننى فوقعت الطعنة فى فخذى فوقعت على وجهى وقد خاف أن تلحقنى الفرسان من أرضنا فجد فى المسير وقد ظن انى قتلت ولما أبعدت عن القوم قمت وشددت جرحى وأتيت إلى البيت وعللت نفسى حتى برئت وقد بطلت رجلى وبقيت فى أمر مهول فأيهما أخذ بثارى وكشف عنى عارى زوجته ابنتى ورضيته لكريمتى (قال الراوى) فلما سمع الحاضرين ذلك عذروه وقال دريد والله ما بقى على الرجل ملام افعند ما نهض الاثنان وأراد المسير فقال عنتر ما هذا صواب ان ساروا فى طريق واحد نخاف أن تتجدد الحروب بينهما فيقتلان فيكون قد دبرنا تدبيرا به وعليه به وبال فقال دريد كيف يكون الحال فقال عنتر ناقى بينهما القرعة فاى من وقعت عليه سار قبل صاحبه فاجاب دريد إلى ذلك وشكرته العرب على قضائه والقوا القرعة بينهم فوقعت على العباس ثلاث مرات ففرح فرحا عظيما ثم اتفقت العرب ان العباس يبلغ مراده لما يعرفوا له من الاصدقاء والأصحاب لأن من جملة أصدقائه سبيع بن الحارث الملقب بذى الخمار وما كان قلبه قويا إلا به ومن يومه جمع بنى عمه وسار إلى بنى حمير ونزل على سبيع ففرح به وأكرمه وسأله عن حاله فاخبره بما جرى له وما اتفق بينهما من الأمر قدام سادات العرب ثم قال وقد أتيت اليك قاصدا حتى تعيننى لى ذلك لأنى أعلم انك انا يطرح نفسه على عنتر فيشد معه ويسير الى معارضته لانهم عبيد أولاد زنا وأنا سلمت أمرى اليك وتركت معولى عليك فقال ذو الخمار يا عباس أبشر بما يسرك ويكشف عنك ضرك ثم أنه جمع من يعتمد عليه من الفرسان وأحدوا أهبتهم ثم ساروا فى خمسين فارسا عليهم الزرد النضيد ثم ساروا بعد أن أخذوا معهم

ادلاء يعرفون الطريق ويخبرون تلك الأرض لانها صعبة المسالك لأن فيها برية تسمى برية سبروت لابها منهل ولاقوت ولم يزالوا يجدون المسير عده أيام حتى توسطوا البر المنقطع ونزلوا على بعض المناهل والغدران وقدوقع فى زادهم النقصان ولو لم يدركهم المسا كانوا قاسوا اجور البلا لان الحر شديد وقد نشفت المزاود حتى رأوا الغدير فتساقطوا عليه مثل الطير ولما أمسا المساقام ذو الخمار ونادى على الادلاء يا بنى الأعمام هيا بنا نقطع البرارى والآكام فى جنح الظلام لأن هذه البرية لافيها منهل ولا قوت تتلظى بالنار والزفير طولها يوم وليلة للفارس المجد فامتثلوا أمره وملؤا تلك القرب وساروا ثم جدوا فى المسير إلى أن تضاحى النهار واتسعت عليهم الاقطار وقد استشاروا فيما يعلمونه فقال الادلاء ما فى الأمر إلا المسير على مقصد واحد والنجاة من هذه الفدافد مادام فى الخيل روق فان كان لنا نجاة أدركنا المياه وإلا نموت موت الفجأة فقال ذو الخمار وقد آيس من الحياة من شدة الحر الذى دهاه إن كان الموت قد اقترب فما نموت إلا من العطش وقلة الماء إلا أنهم ساروا كما أشارت عليهم الادلاء ذلك اليوم إلى أن حمى عليهم الحرور ثم صار نصف النهار وقصرت الخيل عن المسير من التعب ثم عادوا إلى نحو القرب فما رأوا فيها غير الويل والحر لان الحر كان شديد ثم اتسعت عليهم البيدا وزادبهم البلا وأيقنوا بالهلاك لعدم الماء وقد قل الكلام والشكوة واشتغل كل إنسان بروحه ولم يلتفت الصديق إلى الصديق وكشفت الفرسان الرءوس ورمت السلاح والملبوس وقال الادلاء يا بنى الأعمام فودوا الخيل وامشوا فى ظلالها لأن المنهل قريب غير بعيد فقال العباس لقد كان بئس الطريق رمينا فيها بجميع آفات التعويق وكل هذا جرى لنا بمعاداتنا إلى هذا ولد الزنا خفاف ابن ندبة ولولاه ما كنا وقعنا فى هذه النكبة وأنا أعلم أن عبد شداد يسير معه ويساعده ويعينه برجاله ويبلغه آماله فقال ذو الخمار ياعباس ما آذى بدنى وانحل منى جسمى إلا معاداتى لعنتر ونصرته على مرة بعد مرة وقد أذلنى له صاحب المشيئة والقدرة وأقرب شىء فى هذه المرة لأنى ماسرت معك إلا لعلمك تسير وتفوز بالمراد والتقيه أنا فى هذه البلاد واشفى غليل قلبى والفؤاد لأنى أعرف أنه لابد له من المسير مع خفاف والتقية فى الطريق فما نذنى القضاولم أبلغ منا وبقينا تائهين فى الفلا (قال الراوى) كل هذا جرى وهم سائرون على أقدامهم يجدون إلى أن أمسى المسافنا مواكلهم كانوا أعجاز نخل خاويه وخيلهم إلى جانبهم ترعى من حشائش الفلا آمنون ولا عندهم خبر من ريب المنون بل قلوبهم واثقة لأجل ماقطعوا من تلك الأرض الذى للدنيا مفارقة وللاخرة ملاحقة وما

انتبهوا حتى قوى الحر وتعالى النهار وأحرق وجوههم حر مثل لهيب النار فالتفتوا يميناو شمالا فلم ينظروا الخيلهم آثار فعندها أيقنوا بالموت والدمار فقال بعضهم لبعض والله ان هذا هو اشد ما يكون من العار وذلك اننا مالقينا لخيلنا آثاراً ترى ياقوم من هو الذى أخذ خيلنا وتركنا حيارى بين العباد فقالت لهم الادلاء ياويلكم ماهذه الحيرة ونحن ما بقى بيننا وبين الماء شيء يسير وإذا لم نجد فى المسير هلكنا لأن خيلنا راحت وزادنا فرغ وما بقى لنا بد من قوام الموت على رؤسنا فساروا حتى حمى الحر وزاد بهم العطش وضاقت الانفاس وبردت لأنهم على كل حال رجاله بلا زاد ولا ماء وقوى عليهم الحر وصاح الجندب وصر وأيقن كل واحد أنه هالك وخرج من شدة العطش اللسان وما بقى إلا أن يرموا أروحهم إلى الأرض ويودعوا بعضهم البعض فنادى الادلاء يا بنى الاعمام لا ترموا أرواحكم فان الغدير منا قريب فلما سمعوا ذلك اشتد منهم الانفاس وجدوا فى المسير إلى أن قاربوا ذلك الغدير ونظروا ما على وجه الأرض يسير فما تمالكوا أروحهم حتى تساقطوا على الماء وما فيهم من يحى على نفسة وقد غابوا عن الدنية ولم يدروا أهم فى الأرض أم السماء وكان على الغدير خيل ومضارب وجنائب وفى دون ساعة القوا عليهم الصباح ومدوا اليهم قطع الرماح وصاحوا لهم أو فى الف فارس بالقنا والقواضب وداروا بهم من كل جانب ونادوا ويلكم من أى الناس أنتم سائرين فقال لهم العقلاء من بنى سليم وقد طلبوا المدارة بلين الكلام ياقوم ترفقوا بنا ودعوا التجبر على قوم قد هلكوا من الحر والعطش وغير الجوع عقرلهم والدهش فكنونا من ورود الماء واسألونا بعد ذلك عن أحوالنا قال الراوى وكانت هذه الخيل من بنى قضاعة وهى الف خمسمائة فارس والمقدم عليهم المنعجز بن فايز القضاعى الذى طلب العباس قتلة ويعو برأسه ويتزوج الجارية التى عانده علها خفاف بن ندبة ومعه أخته غمره صدامة الخيل وخواصة الليل وكانوا قد خرجوا من بلاد شريف يطلبو المعاش والمكسب من بلاد الحجاز يوقعوا بهؤلاء الرجال انفاق فى هذا المكان وداروا بهم فلما سمعوا كلامهم رحموهم ثم قال بعضهم لبعض الرأى اننا نمهل عليهم ونشاور غمرة وأخاها ونخبرهم أننا وقعنا باربعين رجلا من صعاليك العرب وقد هلكت خيولهم فى البرية وما فيهم إلا من هلك من العطش وقلة الزاد وأردنا نتهبهم بالصوارم والقينا فقالوا لنا مكنونا من الماء فما الذى تأمرونا فيهم ثم ان الرسل ساروا اليهم عادوا فى اسرع وقت وقالوا لهم اسقوهم وشدوهم كتاف وعادت اليهم الرجال سقوهم وفعلوا بهم مما أمروا به وعند الصباح سقوهم وشدوهم وتوكلوا بهم إلى المسا وساقوهم إلى الخيام لأن غمرة مع أخيها كانت

خيامهم على المناهل والعيون فاحضروهم قدام الاثنين وصفوهم صفين ونظر العباس إلى غمرة فرآها مائلة إلى السواد إلا أنها عريضة الاكتفاف بارداف ثقال وعينين كحال وسواعد طوال وخلقتها مثل حلقة الأسود على أعطامها الفروسيه دلائل وشهود فتعجب الناس من تلك الحلقة وقد هالته رؤيتها فبقى مختفيا بين أصحابه حتى لا يعرفه أحد وأما سبيع بن الحارث صار باهت إلى غمرة ويقول ليتنى هلكت من العطش فى البر لا من الحر وغمرة تنظر إليهم وتميزهم من أشكالهم وتطلب أن تعرف أحوالهم فلما كررت نظرها فيهم أقبلت عليهم وقالت لهم من أى العرب أنتم أيها الاشرار فقالت العقلاء منهم يا أميره نحن من بنى هوزان وسليم ونحن من صعاليك العرب وقد خرجنا فى طلب المعاش والمكسب كما جرت سنة العرب فوقعنا فى برية مالنا بها خبر فبقينا فى ذلة وحيرة وماتت خيلنا وقل من العطش قوانا وحيلنا ووصنا إلى أرضكم وقد وقعنا فى أيديكم وظفرتم مافافعلوا ما شئتم واحكموا فينا ماهويتم فلما سمعت غمرة كلامهم ومقالهم فقالت يا وجوه العرب نحن ما نطلب منكم فضه ولا ذهب وما نريد غير الجمال الذى اتفق علينا الحال وبعد ذلك نقال سنيدكم در بدعلى هذه الفعال لأننا ماكنا نعفو عن بلاده إلا لأجل كبره والآن قد وصل شره إلينا وأما أنتم فاقطع عليكم القدى والا حل بكم الردى فلما سمع العباس هذا المقال أيقن بالخلاص من الاعتقال وأقبل على غمرة وقال لها يا ابنه الملوك أما الفداء فنحن نحمله إليك ويصل إلى بين يديك ولكن يكون على قدر اقدارنا فقال التنمجز يا وجوه العرب كل الفرسان تقول هذا المقال إذا وقعت فى الاعتقال ويجعلون أن مالهم قدرة على مال ونحن ما نبغى عليكم فى الطلب ولا نريد من كل واحد منكم لا فضة ولا ذهب وما نريد إلا من كل واحد ثلثمائة ناقة وجمل فانفذوا واحد منكم يأتى بالنوق وعودوا إلى أهاليكم من قريب وانجوا من الهلاك والتعذيب لاننا ما بيننا وبينكم ثار نستوفيه ولا دين نقضيه فرضى العباس بذلك وما صدق أن أنفذ احد من بنى عمه إلى دريد يعلمه بما جرى عليهم ويحثه على خلاصهم وأخذله من غمره نجيب قوى الأعصاب يسير مثل السحاب واستكثرله من المياه والزاد لعلمه بما قاسى فى تلك البلاد وكل هذا يجرى وذو الخمار ساكت لا يتكلم وهو حيران وكانت غمرة قد شرطت على الرسول أياما معلومه وقالت له ان تعديت الاجل ضربت رقاب أصحابه ولما انفصل الحال قربت الاسارى إلى بعضهم البعض وقالت لاخيها عدنا إلى أهلنا فقد ارتحنا من التعب والعنا وسهل علينا المكسب والغنا ونحن إذا أتانا هذا المال أطلقنا هؤلاء الرجال وعندنا إلى بنى عدنان وقتلنا الفرسان فقبل أخوها مقالها ورجع وتبعهم أصحابهم من

بنى قضاعة وهم يسرقون العباس وذو الخمار ومن معهم من الجماعة وكانت المسافة بينهم وبين أهلهم ثلاثة أيام فقطعوها فى دون ذلك من شدة أفراحهم وأشرفوا على بلاد شريف ونظر أهل الحلة إلى غبارهم فانكروهم وأعلموا اسيدهم بذلك فركب فى جماعة من قومه وأبطال عشيرته وتجارت الخيل من سائر الجهات وعلم فائز بعودة ولده وبنته ومن معهم من الرجال فتقدم اليهم وسألهم عن سرعة عودتهم فاخبروه بالخبر وقدموا إليه الاسارى وأنهم أنفذوا إليه النوق والجمال فتعجب فائز من ذلك الاتفاق وقال ما أنتم الا فرطتم فى أمر كبير وقد أسأتم الرأى والتدبير فقال ولده وكيف ذلك فقال أما علمتم أن هؤلاء الانذال خدعوكم بالمحال ووعدوكم بالنوق والجمال وأنفذوا إلى قومهم يعلموهم أنهم فى الأسر والاعتقال وكانكم بدريد قد أقبل فى جيش تهتز له الجبال لأنه شيخ العرب وغفيرها وله فى قبائل العرب الأمر المطاع وما سار إلا وتبعه الترسان ولاسيا صهره ذو الخمار الذى ذكره قد شاع وهذه نوبته تجلب لنا الصداع والصواب انكم ترتاحوا هنا يومين ثم تعودوا إلى رأس الوادى ثم انكم تملكوه والادهى وانحن فى الأوطان ونتبدل بالخوف بعد الامان فقالت غمرة يا أبتاه لقد غرك الكبر وغير عزمك وأضعف همتك لاننا ما كنا نعهد أنك تخاف من الملوك الكبار ولا من أصحاب الاقطار والأمصار على أن عسكرنا اليوم فى عدد التراب وما كنت أشتهى إلا أن يكون كلامك صحيح ويتعرض لنا ذو الخمار حتى أوريك ما أفعل به تحت الغبار وما زالوا على مثل ذلك الكلام حتى نزلوا فى المضارب والخيام وشدوا ما معهم من الاسار بين الاطناب وصار يبارزوهم إلى وقت الغياب وبعد ذلك خرجت غمرة وأخوها لما أظلم الظلام ونامت أعين الانام وغمرة متفكرة فى كلام أبيها وهى تطلب أن يكون كلامه صحيحا حتى توريه فعالها بالرجال وملتقاها بالابطال . وقد كانت غمرة معتلة النسب فى مذهب العرب لان أمها كانت جارية حبشية ورزقت من فائز هذه الجاريه وكان أبعدها عنه لما رآها سمراء فلما كبرت وتفرست على ظهور الخيل وقاومت الفرسان قربها وقد ألحقها بنسبة لانه رأى من فروسيتها ما أبهره فرفعها فى هذه المنزلة حتى وقعت فى أيديهم الاسارى وقد سمعت وصف أبيها فى دريد وذو الخمار فاشتغل سرها وهمت أن تهجع فسمعت فى مضرب الاسارى صياحا قد ارتفع وصوتا قد وقع حتى كاد الصخر منه أن ينصدع فدخلها الخوف والفزع وقامت من منامها وخرجت من أذيال الخيام وأرادت أن تطلب صوت الصياح وإذا الذين وكانهم بالاسارى أقبل منهم جماعة وهم يصيحون يا أميرة انجدينا على من عليهم وكلتينا فانهم جميعا خلصوا من الكتاف وأبدلوا

فبنا أسياف التلاف وأ كثرهم ركبوا جياد الخيل وطلبوا السير فى ظلام الليل فالعجل قبل فوات الاجل والبدار والندار لهؤلاء اللئام الاشرار فلما سمعت غمرة ذلك المقال صاحت على الرجال وركبت واعتدلت للقتال وركب أخوها لما انه سمعها ساحت فقلبت الأرض وماجت وبادرت الخيل من كل جانب وانكر القريب القرائب وضجت الرجال والقبائل وماجت المواكب والكتائب وحجب الغبار المشارق والمغارب وكضت بنو قضاعة يمينا وشمالا وفيهم من لا يعرف حقيقة الحال (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم ذوالخمار لأنهم لما شدوا كتافهم وكتافه رقوا أطرافه فقاسى منه شدة وهوان وهانت عليه روحه وبات تلك الليلة وهو فزعان خائف ان يعرف فيهلك لما عليه من الدماء وأنه من شدة نخوته وشهامته صبر حتى نام الموكلين عليهم وشد فى كتافه قطعه وحل يديه ورجليه وكان العباس إلى جانبه فحله وحلوا بعضهم ثم قاموا إلى العبيد واخذوا سيوفهم حتى قتلوا أكثرهم وصاحوا فيهم وقاربوا نحو الخيام ثم تواثبوا إلى الأسارى واظهر ذو الخمار الفروسية ودارت من حوله حتى رأت فعاله فهربت من بين يديه فلما اختفت عنه الطلب عاد فى أصحابه وقال ويلكم كل من قتل فارسا يركب جواده ثم اطلبوا عرض الفلا حتى تملك أنفسنا ويخف عنا هذا البلا وأريكم ما أفعل بهؤلاء الأنذال إذا اتسع على المجال ثم أنه وثب إلى بعض الجنائب واستلب رمحا طويلا من بين المضارب طاب البر وفعل العباس كذلك وتشبهوا بقية الاصحاب إلا أنهم ما تخلصوا من بين الخيام حتى قتل منهم عشرة رجال وملكوا أنفسهم وتأهبوا للحرب والقتال واتسعت عليهم المسالك والجبال وتبعتهم الرجال الذين علموا بالحال وتبادروا عليهم من اليمين والشمال واشتد القتال وبذل ذوالخمار الحسام الفصال وصدم صدور الرجال هذا وقد وصلت غمره وأخوها وحولهم موكب كبير وقد وقع فى بنى قضاعة النفير وقصدت الشجعان مكان الطياح وقد دمدم ذو الخمار وصاح وأزعجت القلوب وغلب الفساد على مصلاح وقد لاح الفجر مشرقا وانكر الرفيق الرفقا وفى تلك الساعة وصل أبو غمرة وهو فى محفل مهول ونظر ذو الخمار وهو يجول ويصول ويفرق المواكب عرضا وطولا وهو ينادى يا آل حمير أنا ذو الخمار الأسد القسور فقال أبو غمرة هذا الذى كنت منه احذر فقد جاءكم الفارس الذى كنت له واصف منه خائف وحق الكعبة لقد وقع فى أيدينا ولا عرفناه وكذلك الجاهل الذى لا يحترز فان العباس اشتد بين الأربعة الحراس وقوى الباس وجرى بينهم طعنا تضيق منه الانفاس

وما كان تأخر عمرة عن القتال على أصحابها من غوائل الليل وحيل الرجال فلما ارتحلت جيوش الظلام علمت الأمور وقد اشتد الصدام فعرفت ذو الخمار بالسماع وعلمت أنه قرن مناع فحملت عليه كما ذكرنا ونظرا أخوها العباس فانكبت بحملته عليه وباشتغال هذين الفارسين طمعت فى الباقى بنصر بنوا قضاعة وبلى بنو سليم بأس لا يطيقون له دفاعه وكانت ساعة لأن الفرسان نهبت بالقنا والقواضب ودارت بهم الأعداء من كل جانب وكان ذو الخمار يسمع صياحهم ويطلب معونتهم فيرى عمرة كأنها اللبؤة الشمطاء أو الحية الرقطاء فيعود دمعها إلى الجد والكدر وما زال على مثل ذلك حتى أنه عبر نصف النهار وقد كلت بنو سليم واضمحلت ولطمتها بنو قضاعة لطمة مثل موجات البحار وكانوا احدى عشر فارسا الذين سلموا وقتل منهم ثلاثة وعشرون وأسروا الجماعة المذكورين هذا ما عليه من مزيد وصار ذو الخمار مع عمرة وحيداً فريدا وصار يقاتل ويحارب وهو يحفظ من كل جانب وعمرة تصيح علية وعشيرتها وتردهم عن معونتها وتطلب قتل ذو الخمار وأسره حتى يرتفع بين الشجعان قدرها وما زالت معه فى اتصال وانفصال حتى عول النهار على الارتحال وأسر العباس وضاق الوقت على الناس وزعق فائز أبو عمرة فى الأبطال الذين حوله من شدة غيظه وقال لهم يا بنى الأعمام هذا الظلام قد اقترب وهذا الرجل ما يسلم فى نفسه ولو جاءه العطب لأجل اسمه وذكره بين العرب ولولا ابنتى ثعبانة وما سكت عنا عناه فى طعانه وضرابه لكان أفنانا وحمى أصحابه يا ويلكم احملوا واقتلوا جواده قبل أن يهجم عليكم الظلام بسواده ويمنع الطالب عن بلوغ مراده وربما يجرى على ابنتى أمر تحت ستور الظلام ويقع بنا الندم من هذا الفارس الهمام فقالت بنو عمه لقد صدقت يا أمير لأن الليل يمنعنا عن نظر ما يجرى بينهما ويخفى عنا أمرهما ثم حمل منهم أوفى من ألف فارس وطلبوه من كل جانب فقاتلهم إلى أن ولى النهار وقد قتل من بنى قضاعة واحد وخمسين فارسا كرار وبعد ذلك أخذ أسير بعدما قتلوا فرسه وجرحوه سرحات كثيرة وعاد فائز وأولاده وفرسانه واجاده إلى الخيام وهم متعجبون من حسن قتاله وصبره على الطعن والضرب ونزاله وقال فائز لابنته قيدى هذا الشيطان وكلى به من يحفظه ويرعاه إلى غداة غد حتى أضرب رقبته ورقاب رفقاه وتشتفى قلوب أهل القتلى الذين أورثهم الدمار فى هذه الديار قال الراوى فلما سمع ذو الخمار كلام فائز وما نطق به قال له يا فائز إنى بعد ما شفيت قلبى وفؤادى منكم بضرب سيفى ما بقيت أبالى الشجعان ولو لم أكن خاليا من الحديد وأنا عطشان وجيعان وإلا ما كانت هذه اللخناء

وقفت بين يدى ساعة ولكن السباع تغلب بالمكاثرة وكواسر الطيور تصيبها الأقدار فلما سمعت غمرة كلامه وفهمت مرامه صعب عليها وكبر لديها وقالت لابها أنا ما أمكنك من قتله ما دام قد أنكر شجاعتى وحجز براعتى ولا بد أن أتركه حتى يشبع من الزاد وأسلم إليه كل ما يشتهيه من آلة الحرب والجلاد وأبارزه بين يديك وأشهد فرسان العشيرة إن قهرنى أطلقت سراحه حتى تعلم فرسان العرب أن مالى مثيل ولا عديل فقال لها أبوها احتفظى عليه حتى أسير أنا وأخوك فى خمسة آلاف فارس ونمسك المياه والموارد على من يقصد إلينا فى طلبه وطلب أصحابه لأنى أعلم أن دريدا ما يغفل عنه وما خدعوك هؤلاء بالفداء إلا حتى يأتى دريد ويخلصهم من البلاء وإن لم نحترز على أنفسنا إلا كانت العاقبة غير محمودة علينا ثم أنه سلم ذى الخمار والعباس وبقية الرجال إلى غمرة وصار يوصى فرسانه وعشيرته أن يأخذوا الأهبة التى وصى عليها قال فهذا ما جرى لهم وأما ما كان من الرسول الذى أنفذ القوم إلى بنى هوزان فإنه جد المسير إلى أن وصل إلى دريد وأخبره بما تم عليهم وكيف مسكت غمرة الماء وكيف أخذوهم أسارى والذى تم لهم وجرى وكان دريد سمع بمسير ذى الخمار مع العباس فأيقن ببلوغ مناه ولما أن الرسول أتاه وأخبره بأسر الجميع ضاق صدره وانقسم فكره وقال والله لقد حسبت هذا الحساب وعلمت أن لحاج العباس هو وخفاف تضرب فيه الرقاب ثم أنه أنفذ خلف عنتر وأصحابه وأحضر خفاف وأعلمهم بما قد وصل إليه من الأخبار فأظهر عنتر العجب والانكسار وقال مقرى الوحش هل ترى من قدم على هذه السرية وفيها مثل ذو الخمار فقال دريد ومن هو ذو الخمار عند نزول الأقدار وحوادث الليل والنهار على أن هذه النوبة أتت على ما يريد خفاف لأننا نحتاج كلنا أن نسير مع خفاف فى مائة فارس فقال عنتر والله يا أمير دريد ما ندعك تزعج نفسك فى هذا الأمر بل أسير فى المائة فارس إلى قضائها فقال دريد والله يا أبا الفوارس ما أطاوعك على مثل ذلك الحال ولو كنت أعلم أنى إذا قعدت تقيم لفعلت ذلك ولكن أنا أعلم أنك ما تهمل ولا تقعد عن معاونة صديقك خفاف والصواب أننا نسير فى ألف فارس إلى بنى قضاعة ولا نعود حتى نخرب ورهم ونقلع آثارهم فقال عنتر الأمر إليك فمتى تشتهى المسير فقال ليلة غد عشية النهار فقال عنتر افعل ما بدا لك فما فينا أحد يخالف مقالك ثم أنهم عادوا إلى خيامهم لطلب المنام ويدبروا أمورهم للصدام وخفاف بين أيديهم وهو فرحان بهذا الأمر الذى جرى على العباس لأنه عدوه ومعانده فى الجارية المتقدم ذكرها وصار من شدة فرحه يقول لعنتر يا مولاى لولاك ما نلت المطلوب وكنت مت بحسرة المحبوب قال الراوى

وكان الذى صنع بخيول القوم ماصنع كان شيبوب وذلك أن العباس لما وقعت عليه القرعة وصار طالب بنى قضاعة فبقى فى قلب خفاف النار من ذلك لانه سمع أن ذو الخمار سار معه فزاد به البلا وأتى إلى عنتر وقت المسا وشكى حاله وبكى فألم قلبه بكاه وقال له ياخفاف كيف العمل ودريد شهد علينا أياما معدودة وإن عاب منا أحد فى ذلك وجرى على العباس أمر من الأمور لقال دريد أنه من أعمالنا ونبقى تحت العتب والملام ولكن إن عاد العباس خائب سرنا كلنا فى خدمتك وقلعنا أثر بنى قضاعة فقال خفاف جزاك الله منى خير الانك ما فعلت إلا المليح وما بقى إلا انتظار المرضيات والأمور المقضيات لأن هذه الجارية ان كانت من نصيبى تغلقت فى وجوههم جميع الأبواب وهم خفاف أن يعود ففرحه شيبوب وقال له خفاف طب نفسا وقر عينا فأنا أسد فى وجوههم جميع الروابى وأترك الكل فى البر أذل من الكلاب فارجع أنت إلى خيامك وأخل من هذا الوجه بالك فقال خفاف وقد طاب قلبه جزاك الله عنى كل خير فقال عنتر ويلك ياشيبوب ما الذى تريد تفعل بهذا الوعد الذى وعدت به خفاف أتريد أن تجعل لنا فى هذه الارض حديثا مذموما فقال شيبوب لا وذمة العرب لافعلت شيئا لا يعلم به أحد فقال عنتر وكيف ذلك أخبرنى ما الذى خطر ببالك فقال يا ابن الأم أنا أعرف هذا الطريق التى ساروا فيها إلى بنى قضاعه بها برية تسمى برية سبروت وأريد آخذ معى أخى جرير وأسير على أثرهم وأسوق خيلهم وأترك رجالهم فما يبقى فيهم من ينفع نفسه فقال عنتر هذا الرأى مليح ولكن ضياعهم قبيح وربما يسلم منهم واحد ويشيع الخبر فتبقى فضيحة دريد بن الصمة وأما أخذ خيولهم وتبقى رجالهم عاجزين عن لقاء الاعداء ولا يعود بلا قضاء حاجة ولا بلوغ مرام أحسن ما يكون يا ابن الكرام فقال شيبوب وهذا المقصود ثم أنه أخذ أخاه جرير وجد يقطع البر فى المسير وقصد الجبال من طرقات يعرفها فلحق ذو الخمار والعباس وأصحابه وتم على حاله وآثم إلى اخر النهار وصبر على القوم حتى وصلوا الى الاماء وهم منقطعون فى جوانب البر من شدة الحر والهجير ولهيب الزفير وتولوا على الخيول فى هذا المكان وهم قد هلكوا من التعب والعطش فى تلك الوديان فرقدوا مثل الاموات ودار عليهم ساقى الرقاد بكاس الثبات وهم متنون لانهم يعرفون أن هذه الارض لا يسلكها أحد الا فى يومين وما علموا أن شيبوب سبقهم عليه هذا وشيبوب التفت الى أخيه جرير وقال له اخرج بنا حتى نسوق خيلهم ونعود قبل الصباح فاجابه جرير وقام كأنه النمر وساق الخيل فى ظلام الليل حتى أتوا بها بين الجبال

إلى بنى هوزان فى سبعة أيام ودخل على أخيه عنتر وأخبره بالخبر فتعجب من هذه القصة وتحير وعلم أنه قد بلغ المراد فانفذ خلف خماف وأعلمه بما تم لشيبوب وكيف سرق خيلهم وتركهم فى البر تائهين فانسر لذلك صدره وهدأ روعه وعلم أنهم هالكون وبعد هذا الخبر بايام وصل الرسول إلى دريد بريد يطلب منه الفدا ويعلمه بما جرى ذلك عليه وكبر لديه وأحضر عنتر كما ذكرنا وجرى من الامر ماوصفنا واتفق رأيهم على المسير فى مائتين فارس ثم أنهم تأهبوا فى يوم وليله وساروا فى مائة وخمسين فارس من بنى هوزان والباقى من بنى عبس وعنتر وعروة ومقرى الوحش وكان شيبوب أمرهم أن يكثروا الماء والنجب والمهارى لما بين أيديهم من المفاز والبرارى وسار بهم من الطريق التى يعرفها وكانت أهنى سير وأقرب حتى وصل إلى برية سبروت فى ثلاثة أيام وأخذهم فى اليوم الرابع وسار بهم فى الليل على ظهور النجب وجنب الخيل وأكثر لهم من الماء حتى يكفيهم شر الظمأ وجد فى المسير إلى الصباح حتى تضاحى النهار لأن قلبى حدثنى أن بنى قضاعة قد علموا بنا أن لا بد لنا من المسير إليهم وحسبوا حسابنا وأقول أنهم خرجوا من أرضهم ومسكوا علينا الماء والمناهل والمواضع وهم لنا فى الانتظار حتى نخرج من هذه البرارى والمقاطع وكل من لم يحسب العواقب فليس الدهر له بصاحب ثم أنهم باتوا فى المكان وهم معولون على مشورة شيبوب وعمل كلامه معهم فى رسيس القلوب (قال الراوى) وكان حساب شيبوب الذى حسبه صحيح لان فايز أبو غمرة كان صار فى خمسة آلاف فارس ونزل على رأس الماء كان حسب مثل الحساب وعلم أن العباس وذو الخمار ماأرسلوا إلا فى طلب الفدا إلا مكر وخداع ولا أرادوا بالرسول إلا مجىء دريد يخلصهم طلعت فبادرها بالقتال ولا تتركها تأخذ لدراحة من التعب والكلال وبعث لى حتى أتبعك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ظهرت عليهم الخيل من بنى هوازن وبنى عبس مع شروق الشمس وهم معتدون للقتال والحرب والنزال وفى أوائلهم عنتر ودريد وشيبوب قدام الخيل مثل ذكر النعام إذا نفر ووقعت العين على العين وصاحت فرسان الطائفتين وعرفت الخصوم وبأن السر المكتوم قال أخو غمرة لأصحابه هذه والله طليعة خيل دريد فدونكم وإياها مادامت على أثر تعبها ثم أنه أنفذ إلى أبيه بعض الفرسان يعلمه بالخبر وصاح بالآلاف فارس استقبل الفرقة التى أقبلت ولم يعلم أنها فرسان تصادم المنايا ولم ترهب الأهوال ولا الرزايا وأن كل فارس منهم يعدل فى الحرب بألف فارس ويفرقها ولا يخف التداعس ووقع بينهم القتال وعمل

والحرب والنزال فوقع الفنا فى قضاعة وزال من قلوبهم الطمع ووافقهم الخوف والفزع لأنها رأت رجالا مايدفع ومن الموت مانفزع وظهم فامن ذاوقع على الصخرا نصدع وكان عنتر عند الحالة أشار على دريد الهمام بالوقوف تحت الأعلام هو وسائر عشيرته واراد بذلك تعظيم قدره ورتبته فقال دريد ياأبا الفوارس ماهذا يوم يحتمل المقام لأننا كلنا خرجنا من البر تعانى قطع القفار والرمال وإذا لم تنجز أمر هذه الفرقة ونستريح منها حتى نلق غيرها وإلا خسرنا لأننى أقول إنها طليعة جيش مقبل ثم أنه حمل على الابطال وسطا عليهم واستطال وأما عنتر بن شداد فإنه نهب الأرواح من الأجساد وأعاد صلاحهم فساد ومازال يفرق الفرسان وينثر رؤوس الأقران حتى وقع بالمتنجز تحت الغبار وهو يرد الفرسان من الفرد فعرف أنه مقدم السرية وأتبعه فى حومة المجال وسد عليه طرقه وطرائقه وتعلق بأطرافه وجذبه وأخذه أسير حتى يكون فداء لبعض الأسارى من صناديد الرجال هذا وقد بادره شيبوب وشده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وبعده وقع الفنا فى قضاعة وخسرت منهم البضاعة وتمددوا على التراب وحام عليهم النسر والعقاب وماانتصف النهار حتى قتل منهم سبعمائة بطل وعاد باقيهم منهزمين إلى ملكهم فايز وما فيهم وإنما قصروا عنهم من شدة الكلال ونزلوا بما نهبوا من الزاد والخيل والجمال ولما أبهم هدوا من الشكوى وبرد الهوى فقال دريد وعنتر لجماعة من الرجال أحضروا ما وقع لنا من الأسارى حتى نستخبرهم عن قومنا ومن فيهم سار ومن فيهم عاطب وكيف أخذوا وتمت عليهم الأسباب والنوايب فقدمت الرجال الأسارى أخو غمرة (قال الراوى) فسألهم دريد عن العباس وذو الخمار ومن معهم من الرجال فحدثهم الجميع وعولنا على قتلهم سريع ففدوا أنفسهم بالمال وتم علينا هذا الحال وجرى من القصة ماجرى ثم أخبرهم بمن قتل من الرجال فعرف دريد أن المتنجز بقوله أخته غمرة فقال لعنتر وقد تبسم ياأبا الفوارس هذه حاجة خفاف قد انقضت وبقيت حاجتنا نحن وهى رجالنا فقال عنتر صدقت لأن الضعيف يدرك بنيته مالم يدركه النوى ثم قال لخفاف احفظ خصمك مادمنا فى هذه البلاد ثم أنهم قضوا باقى يومهم فى تنيم الغزال وعند الصباح حلوا يطلبون المناهل والاما وقد استراحت خيلهم من التعب والعنا قال الراوى هذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من المنهزمين الذين نجدا من بين أيديهم فانهم وصلوا إلى الملك فايز فى الليل

وأخبروه بما جرى عليهم من المصائب والويل ونعوا إليه رجاله وولده فذاب لذلك وتفتت كبده وقال لهم يا ويلكم وفي كم كانوا هؤلاء الرجال الذين ظهروا عليكم من البر فورب الكعبة لقد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب فقالوا له يا ملك ما ظهر علينا سوى مائتين فارس ولكنهم أسود عوابس كل واحد منهم يلقى قبيلة بين الملا وما ندري خلفهم غيرهم أم لا والصواب أنك ترحل بنا قبل الصباح والآن أدركونا نهبوا تاعلى أسنة الرماح وشفار الصفاح فلما سمع فائز هذا المقال حار في أمره وأخذه الانبهار وقال لهم أنتم رأيتم ولدي قتيل أم أسير فقالوا رأيناه وقد أدركه فارس أسود مثل الغول وصاح به صيحة تذهل العقول وهجم عليه وجذبه أخذه أسيرا وحذفه في جنبات الصحراء ووصلنا إليه كانت ترى ولو لا الخيل التي ظهرت علينا كانت هالكة من التعب والعنا ما كان وصل واحد منا فقال صدقتم لأن الفارس الذي فعل بولدي هذه الفعال دريد الذي كنت منه فزعا لأنه شيخ الفرسان ولا الكبير غيره وازداد جهله ما كان دخل إلى هذا البلاد ولا خطر هذه الأرض وأنا أعرف أني كنت أخلص ولدي وأبشركم بالنصر والنجاح وأكفيكم مؤنة دريد ومن معه من الفرسان الأوقاح لأننا لو مسكنا عليهم الماء لأهلكناهم عطاشى وظما فلما سمع كلامه بنو قضاعة أجابوا بالسمع والطاعة ولما مضى النهار أقبل الليل بالاعتكار باتوا إلى الصباح وركبوا وساروا في البطاح إلا أنهم ما أبعدوا عن الماء ومسكوا الطريق والأماكن حتى أقبلت بنو عبس وبنو مازان ونظروا الأعداء هم قد جعلوا الماء خلف ظهورهم فعرفوا مرادهم فقال عنتر وحق مكون الأكوان والصور الذي ما يعدك بالعقل ولا بالنظر لو كان على الماء أمة ربيعة ومضر كذلك جنود كسرى قيصر ما أحد منهم بعد ساعة يبلوا أكبارهم وأطير جماجمهم من أجسادهم ألعن أبو سبالهم فاحمل يا أمير دريد كما تريد وانظر العجب الشديد فعند ذلك حمل دريد وحمل بعده عنتر بن شداد وزعق زعقته المعروفة فارتعدت منها الأجساد كذلك فعل مقري الوحش وعروة بن الورد وساير شجعان وصاح أيضا فائز في بني قضاعه فيالها من ساعة بيعت فيها النفوس بلا ثمن جرى الدم على الأطلال والدمن وفرق الحسام بين الرأس وعظمت المصائب والمحن وصار الدرع لصاحبه كفن واجتهدوا بنو قضاعة أن تردهم عن الماء فما قدرت وهالها من الطعن والضرب ما رأت وانحلت عزائمها واقتربت انزاحت عن الغدير وتأخرت وصار فائز ينادي في المواكب

بالرجوع فلا ترجع ويصيح فى الشجعان فلا تسمع وقد خاب أملها وانقطع وملك الماء عليها رغما وتمكنت بنو عبس وهوزان من ورود الماء وتم السيف يعمل إلى المسا وانهزمت بنو قضاعة عند المسا وفائز يذم أصحابه على الهرب ويقول ياويلكم الويل والحرب وما بقيت لنا رأس تنشال بين العرب فقالوا له مايردعنا شر دريد الا ابنتك غمرة ولوكان معنا رأى ماتركناها فى الخيام ولكن ماعلمنا اننا نلتقي من هؤلاء هذا الملتقى ويتبدل نعيمنا شقا ثم قال بعضهم وان فاتنى حذرى ولم يخطىء فكرى هذا عنتر بن شداد لأنى رأيت له وجها عابس قال فائز إذا كان هذا الكلام صحيحا فانا إذا وصلت إلى ديارى وقرارى انفذ إلى بنى كندة وأستعين بهم على هذه الشدة ثم أنه سار هو وفرسان قبيلته تحت أستار الظلام وكان سنتر محول أن يتتبع المنهزمين من أول الليل ويطعن وأصحابه فى صدور الخيل فما مكنه دريد وقال له يا أبا الفوارس نحن فى طائفة قليلة وهذه الأرض بين أيدينا واسعة والصواب أننا لانسير فى هذه القفار الا أن يكون بالنهار ثم أنهم نزلوا على المناهل وأفتقدوا رجالهم فرأوا قد فقد منهم احدى عشر رجلا فكان من جملة المفقودين عمرو أخو عبلة فضاق صدر عنتر وقال أرجو أن يكون أسيرا ولا يكون قتيلا لأنه اركان قتيلا تكدر أخته عيشى ولى يقر لى قرار فقال مقرى الوحش لا تضيق لها الأمر فكرك لأن الذى يلقى بصدره أسنة الرماح وشفار الصفاح لا يكون طول الدهر سالم كما قال بعضهم هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

ومن كان فى عصره فارسا   شجاعا وقد حار فخرا وعزا
وفى الحرب قد ظن ان لايصاب   قد قال زورا وقد ظن عجزا

قال الراوى ولكن يا أبا الفوارس عند تاجماعة مأسورون من بنى قضاعة ناخذ لعمرو منهم الخبر وناخذ له بالثأر منهم ان كان قتل فقال عنتر ما أشتهى ان يكون سالم ولكن ماعندى من ذلك خبر فقال شيبوب أنا أكشف لك الخبر وأقضى شهوتك وأسير خلف المنهزمين واختلط بهم وأقيم بين مضاربهم والخيام فاذا انفذت لكم الرجال وخلت المنازل جميع تسببت فى خلاص الاسارى وأجيبهم خلف أعدائكم وأدعوهم يعينوكم على القتال وان كان فى جملتهم العباس وذو الخمار فيكون انقضى الشغل وبلغنا الآمال فقال عنتر هذه عادتك ياشيبوب واذا فعلت ذلك خففت عنا الكروب فعندها أعتد شيبوب من وقته وساعته وسار يعسف البر تحت الاعتكار وقعد عنتر له فى الانتظار قال الراوى لهذه الأخبار وأما الملك فائز فانه تم فى هزيمته الى الصباح وفى نصف النهار اشرف على الديار فرأى

الناس حول المضارب فرقا ومواكب ورآهم محتاطين بفارسين متقابلين وبينهم حرب تذهل منه الرجال وطمن بقرب الآجال فلما نظر فائز الى ذلك الحال فزع وظن أن الحلف فى العشيرة قد وقع فصاح وطلبهم وتجارت خلفه الفرسان وفزعت على الأولاد وأبصر أهل الحلة سيدهم قد أقبل فالتقوه وعن سبب عودته سألوه فقال أنا عدت بكسور مذلول فما بالكم أنتم راكبين الخيول وما هذين الفارسين الذين تجول وتصول فقال أحدهم بنتك غلـ ة والثانى أسيرها ذو الخمار لأنها أمس أطلقته من الاعتقال وقضت نهارها معه فى القتال ومافيهما من ربح على صاحبه وقد أصبحوا على هذا الحال واننا كنا ذكرنا الشرط الذى كان بين غمرة وبين ذو الخمار بعد أيفلاتة من النوبة الأولى وطلب لنفسه النجاة وقد أخبرنا ماجرى له بعد قتاله ونزاله وقتل رجاله وعودته إلى أسره لان أباها أراد قتله فما مكنته من ذلك لانها كانت تحب وتهوى صدام الشجعان لأجل مافيها من الفروسية فردته الى الشد والرثاق وأوعدته أن تطلقه اذا استراح وأنها تبارزه فان قهرها أطلقته وأصحابه وان قهرته جزت ناصيته وخلت سبيله وأنها لما حلا لها المكان من أبيها اسار الى لقاء دريد وعنتر فصارت كل يوم تفتقده وتاتى اليه وتأكل معه وتسأله عن الذى لاقاه من الفرسان والشجعان فيتعجب منها ويحتقر نفسه كيف صارت امرأة تقاومه وهى معدودة من جملة النسران ومن شدة ماجرى أتفق معها على البراز وطلب لنفسه الفرج وقد ظن أنه ينتصر عليها وكان قصدها هى الأخرى مثل قصده وأتته بجواد كما أراد وحكمته فى آلة حربه والجلاد وقاتلته أول يوم الى وقت الاصفرار وانفصلا ومافيهما من ربح على صاحبه غير أن القتال الذى جرى بينهما قد صار محبة ووداد وتمنى كل منهما ان لايفارق صاحبه وعولت غمرة ان تطلبه بعلا لنفسها فاستحت وحدثت أيضا ذو الخمار نفسه أن يخطبها فرده على ذلك الحيا وقال اذا صرت مالك روحى أفعل بعد ذلك ما أختار وأقدر عليه ثم أنهم بعد ذلك صبروا الى ثانى يوم وقد خرجوا الى ظهور الخيام وعادوا الى ما كانوا عليه من القتال والصدام حتى وصل أبوها كما قلنا وانه لما عرف أنها بنته وعرفوه بحالها دنا منها وقال لها ويلك اذا هلك هذا الرجل اهلكوا اسادتنا وبنى عمنا وأنتى تلعبى معه كل يوم وتطلقيه من الاعتقال ثم انه عاد عليها بما تم له من دريد وبنى هوزان وعنتر وبنى عبس وأخبرها أن الكل ما كانوا أكثر من مائتين فارس فلما سمعت غمرة من أبيها ذلك الكلام تلاف لونها وطار من عينيها الشرر وكاد قلبها ينفطر فقالت لأبيها انك كنت فى خمسة الاف فارس وفعلوا بك هذه الفعال إن هذا لعجب على ان اخى وحده يلقى الف فارس وكنت ترى ما يجرى لى معه حتى

أرجله عن جواده فقال أبوها وحق رافع السبع الطباق ومقدر الآجال والأرزاق أول من أسر أخاكى وجماعة من الرجال ونحن جئنا منهزمين كما ترى من فارس ريبال فمو لت أن تعيد ذو الخمار الى الاعتقال وتجمع بنو قضاعة وتسير إلى القتال فقال لها ذو الخمار بحق من أفنى عاد إلا ما استحلفتينى بما أردت وأخذتينى معك ودعينى أتفرج على قتالك مع عنتر فان أسرتيه فاحكمى فى ربيته وإن وقعت فى يده خرجت إليه وقضيت شهوته من برازه وإذا بانت طبقتى من طبقته وعرفت ذلك فأنا آمر صهرى دريد باطلاقه وإطلاق من معك من الأسارى وعدنا من دياركم بسلام قال فلما سمعت غمرة كلامه عرفت أنه صائب فأخذت عليه العهد والميثاق أن لا يخامر عليها ولا يميل إلى النفاق وأعيدت هى وقومها فى بقية يومها وصارت تطلب بنى عبس وهوزان فى سبعة الاف فارس شداد معدودين ليوم الحرب والجلاد هذا وقد سار أبوها معها بعد ما ارسل إلى بنى عندة يطلب النجدة وكانت الرسالة بغير علم غمرة هذا وغمرة سارت قدام الفرسان وهى فى أول الجيش تنشد وتقول صلوا على الرسول

إذا الزرايا شمرت أذيالها وحار بتنى شدة ما هالها
صدمتها بعزمه لو صدمت جبالا شهلان رمت أحبالها
لو رأتنى النائبات لانثنت خائبة لما رأت ما نالها
لو أن للنسوان بعض همتى وقحونى ماحملت رجالها
خلقت للحرب أفوق أهلها والتقى يوم الوغى أبطالها
بلغ بنى عبس مال لبوة يسبق حد سيفها مقالها
انى رأيت خيلها يوم الوغا خالية قد خفت أثقالها
تخب فى رحالها وتنثنى خائفة قد أبصرت ماهالها
نعالها جماجم إذا اشتكت حر الحصى أو عدمت نعالها
فقد تلت فخرا ساميا ورتبة عالية بدر الدجا ما نالها
والسيف والرمح لكنى خلقا إذا النفوس حققت اجالها
وما سباع البر مثل لبؤة ضاربة قد فقدت أشبالها
ويل لعبس وبنى هوزان إذا أشهرت يوم القنا نصالها
واختلفت سمح الرماح بيننا وقصر بيض الظبا طوالها
لابد لى من حملة فى جمعهم تقصر ما قد طال من أجلها

(قال الراوى) وكانت غمرة تنشد هذه هذه الأبيات وتذكر فيها شجاعتها وذوا الخمار يسمع ويتعجب ويرجو أن يبلغ بها المراد من عنتر وقال فى نفسه إن كانت ما تصل اليه فهى تلقيه وأجدأ نافرصة وأحمل عليه وأقتله ثم أنهم ساروا إلى ثانى يوم وكان أشرافهم على بعضهم عند المساء لأن دريدا ارتاح بقومه على الماء وأراد بذلك الراحة حتى تكون خيلهم فيهم قوة عند الجدال والوجه الثانى يطلب بقومه الرفق والإمهال بعد إبعاد أعادية عن المناهل والأطلال إلا أنه لما وقعت عينيه على بنى قضاعه وأبصر النهار وقد ضاق فوقف وأمر عنتر بالوقوف على جواده وكذلك أصحابه وأوصاهم بالحذر وما زالوا كذلك حتى انتشرت أجنحه الظلام ووصلت بنو قضاعه وغمر فى المقدمة وقدو قد زادها الغيظ وصارت تهمز كاهز الأسد كيف ما التقت أعداها بالنها وشفت قلبها بضرب البتار ومن شدة ما جرى عليها فى تلك الساعه ما نزلت فى الخيام ولا حضرة مع أبيها على الطعام بل أنها غيرت جوادها وتولت حرس قومها فهذا ما كان من غمرة وأما ما كان من بنى عبس وهوازن فإنهم نزلوا وقد تولى الحرس عنتر بن شداد ورافقه دريد وما زالوا كذلك إلى نصف الليل فرد عنتر دريد إلى الخيام وأقام وحده إلى وقت السحر واشتهى أن ينظر بنى قضاعة ومن أين تنزل عليها المصائب فقصد نحوهم وهو يحدث نفسه ويسأل الله أن يلتقى بحرس القوم إلا أنه قارب الميمنة حتى التقى بغمره وهى تصارع النعاس وتلتفت وهى لا تصدق بالصباح حتى بان لها خيال عنتر بطلبته وزعقت عليه وسألته عن حاله فارد عليهم جواب بل أخذ معها فى الطعان والضراب وقد ظن أنها من بعض فرسان الحرس فاراد قتلها وإنجاز أمرها وكذلك هى أيضا ولما اختبروا بعضهم بعضا نسى كل واحد منهم قومه وعشيرته واشتد غيظه على خصمه وحرقته وعبد الصباح انتظرت بنو عبس عنتر أن يعود فما عاد فاشتغلت قلوبهم وأنفذ مقرى الوحش إلى دريد وساله عنه فقال له والله ما عندى منه خبر ثم أنه أراد أن يكشف خبره لأنهم مائتين فارس لهذا الجيش العظيم وقد تجمعت عليهم عربان ذلك الأقليم فخاف دريد من الانكسار على بعد الديار وقد ضاق صدره لبعد عنتر فقال لأصحابه لا يكون قصدكم إلا الاعلام التى لفائز وزاياته لأننا إن قتلناه انكسرت هذه المواكب ونعود نسال عنتر ونفعل على قدر ما نسمع وكان فائز أيضا انتظر ابنته فما رأى لها أثر ولا وقع لها على خبر فجمع أصحابه وقال لهم يا بنى عمى ما أقول إلا أن غمرة سارت فى الليل حتى تكمن خلف الأعـــدا وإذا كسرناهم وهربوا بين أيدينا التقتهم وتردهم علينا وتطالب بذلك أن لا يسلم منهم أحد لأنى أعرف

تدبيرها فى الحرب وخبرتها بالطعن والضرب والصواب أنى أرسل خلفها ألف فارس، وأقول يأخذوا فى غرض البر ويسيروا اليها ويعينوها حتى لانكون قد ضيعنا العزم وفرطنا فى التدبير ثم أمر بعض فرسانه بهذا وسيره فى ألف فارس خلف ابنته وركب هو فى بعض قومه وعشيرته وأمرهم بالقتال هذا والجبان يقول والله أيها الملك ما كان غيابها عنا بصواب وإنما كان إقامتهم عندنا أصوب حتى ننجز امر عنتر وبعد ذلك نفعل ماتريد لآل هؤلاء القوم مادخلوا أرضنا فى هذين المائتين فارس إلا وفى ظنهم يلقوا كل من هنا فقال فائز الآن قد فات هذا الأمر وقد فعلت غمرة على قدر مارأت من عقلها وأنا أعلم أنه إذا طال عليها المطال تاتى من خلف الأعداء هـــذا إن كانت ما اختلطت بهم فى الظلام وما زال يطيب قلوبهم بهذا الكلام حتى حملوا بهمة قوية وكان أكثرهم قصدهم بنى هوازن وتجنبو الفرقة العبسيه لأن الذى كان يعرف قتال عنتر وأبصره فى الحرب يتجنب قومه ويظن أنه فيهم وأما ذو الخمار فانه طلب بنى عبس وجعل قصده إليهم وأراد بذلك أن يقع عنتر حتى أنه يأخذ منه بالثأر ويكشف عنه العار لأنه فرح بغيبه غمرة حتى أنها لاتتولى القتال بنفسها وتعلقه على مثل ذلك إلا أنه لما حمل فتلقاه مقرى الوحش وبذل معه المجهود وجعله نصيبه من غير معرفة له به لأن ذو الخمار تقدم فى الأول ورمى روحه على بنى عبس فما خفى على مقرى الوحش أنه جبار وبطل مغوار فأخذ معـــه فى القتال وقد تعجب من شجاعته وظن أنه غمرة ودام بينهما الطعن والضرب حتى اسود بينهما الشرق والغرب وصافت من الكرب المنافس وكان بينهم شىء لاتصفه الواصفون وساعات وصيحات ولله دريد بن الصمة وما فعل فى ذلك اليوم على كبر سنه لأنه طعن فى تلك الصدور وكان قد علم أنه اتكال ولكنه وقف فى وجه بنى عبس كأنه الأسد القسور وكان لا يقاتل إلا أصحاب عنتر الجميع عليه بعد عنتر فقاتل قتالا منكرا ولولا ذو الخمار كانت بنى عبس ثكلت بنى قضاعة ولولا مقرى الوحش تلقاه وكف شره عن بنى عبس لكان أفناهم ولم يزالو كذلك أقبل الظلام وفرق بين الطائفتين ورجعت الفرسان تشكو تعبا وكربا وقد عاد مقرى الوحش وهو يتعجب من ذلك الفارس الذى قابله وقضى النهار معه فلما قضى النهار معه وقد قلق على قلة معرفته بأخبار عنتر وكذلك دريد أصابه ما أصاب أحدا من البشر وما بعدوا عن الخيام حتى سمعوا صياحا فى بنى قضاعة صياحا عالى وكلام فقال مقرى لدريد إيش حال هؤلاء القوم الأنذال فوالله مايخلو حالهم من إحدى الحالتين إما نجدة

تكون وصلت إليه أو نزلة من جهة عنتر تكون نزلت عليهم والصواب أننا نسير حتى نبقى بقربهم نسمع كلامهم ونستدل على أحوالهم فإذا رأينا منهم فرصة نادينا إلى أصحابنا وكبسناهم فى الخيام وبلغنا ما نريد قبل ذهاب الظلام فقال دريد لمقرى الوحش افعل ما تريد هذا هو الرأى السديد ثم أنهم ركبوا حتى صاروا عند الخيام حتى أنهم يسمعون من القوم كلام وإذا بواحد يقول لرفيقه والله يا ابن العم لو كان أصحابنا رأى فائز لكان تركنا فى هذه الليلة نكبس على الأعداء حتى نبلغ مناننا بعد ما أسرت غمرة عنتر وما بقى أحد يقف قدامنا فلما سمع دريد ذلك الكلام قال لأصحابه أسروا والله حامية عبس وما أقول والله إلا بنائبة من نوائب الدهر ثم تعجب من ذلك الاتفاق وقال وحق ذمة العرب لقد كنت أظن الفارس الذى وقف قدامى فى وجه بنى عبس هو غمرة وكنت متعجباً من حسن صبرها وقتالها وما دام أنه غيرها فهو فارس لا يخاف الآفات ولولا أنه بهذا الوصف ما كان لقى مقرى الوحش والرأى عندى أننا نرجع إلى قومنا ونحفظهم لا يقوى عزم هؤلاء الأنذال على كسبنا قبل الصباح ثم أنه عاد هو وأصحابه وهو يقول ياليت شعرى أى داهية دهت عنتر بعد فراقى له وما أقول إلا إنه أوسع هو وإياها فى البر وغدر به الزمان لأنه لم يزل بأهله خوان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عنتر لما وقع بغمرة وجرى له معها ما جرى فى القتال وقد أبعدوا فى الروابى والتلال لأن خيلهما جياد وهم أصحاب نخوة وحمية وفرسان جاهلية لا يرى أحد منهما على روحه أن يرجع بغير حاجة مقضية وكان عنتر قد فرح بالبعد عن العشائر حتى لا يبقى لأصحابه مغير ولا ناصر إلا أنه متعجب من غمرة وقتالها وهو يقول ماهذا إلا فرس عظيم ولا شك أنه فارس هذه الأقاليم على أنى سمعت أن دريد وهو يقول مافى بنى قضاعة إلا غمرة إن كانت هى هذه ماهى إلا فى طبقة عظيمة من الشجاعة والبراعة وهو متشككاً فيها وعرفت غمرة عند الصباح لما لاح لها من سواد جلده وحسن قتاله ثم أنهما أخذا فى الكر والفر وتعبا من معاناة الحرب والجلاد وتعبت تحتهما الخيل وعلى مع غمرة العطش والجوع لأنها امرأة على كل حال ولكن لقيت رجلا لا كل الرجال فقالت له أى شيء ترى ياعبسى فى العودة إلى أصحابنا قبل إتلاف الخيل وإذا كان عند الصباح فى غداة غد عدنا إلى الحرب فقال عنتر لا وحق من شق الأسامع لا عدنا إلا ببلوغ المقصود فقالت غمرة اصبر على حتى أريح جوادى ونعود إلى الحرب البؤوس فقال عنتر هذا اليك أيها الفارس ثم أنه عدل عنها ونزل عن جواده وأرخى

حزامه حتى استراح من التعب وأسقاه من الماء دون أن شبع وشد عليه ورمى عنه درعه وهان خصمه عليه وعلم أنه صار فى يديه فركب وطلب غرة بعظم بأسه وجلده واذا قد عادت إليه بوقاحتها وقد أظهرت الجلد بهمتها وكانت فعلت بجوادها كما فعل عنتر وخففت لباسها ورجعت وهى فى بردة يمانية قصيرة الأكمام فلما نظر عنتر إلى أعطافها أعطاف امرأة عرف أنها غمرة ورأى حسنها وجمالها فوقع فى قلبه منها موقع عظيم واستعجز نفسه كيف قاسى تلك المقاساة وهى جارية عربيه فصاح فيها ويلك أنت غمرة بنت فائز فقالت نعم أنا غمرة التى لها على الفرسان صور ولولا شدة الحر والهجير وخلو هذه القفار ما كنت اشتهرت هذا الاشتهار على أننى ما أدعك ترجع سالم وتتحدث بما رأيت من المعالم ثم أنها صاحت عليه وعلمت أنها حيرته فى أمره واشتغل بها سره وقلبه وكان عنتر قد غرق فى بحر هواها ونسى عبله ومـا كان غمرة نساها لان هذه الأشياء قد سبق علم الله فيها من قبل أن يخلقها وسواها الا أنه قاتلها وتلقى طعانها وهو يقول والله ماتستاهل هذه الجاريه أن تقتل بعد هذه الفروسية وماتستاهل إلا البوس ثم أنه طاعنها حتى تقاصفت الرماح فتراميا وعادا إلى ضرب الصفاح وتقابضا على ظهور الخيل حتى قل منهما الجلد وبذلت غمرة جهودها ودام بينهما الصدام وهم فى محاربة حتى نصف النهار ووقع بغمرة الانهيار وأشرفت على الهلاك فقالت أرفق باسيرك ياوجه العرب وأدارت يديها كتاف فشدها وقوى منها الأطراف وهو فرحان ودفعها ألقاها على ظهرها وقد افتتن بسواد شعرها فركب على صدرها وصار بين نهودها وضمها إلى صدرة وقبلها بين عينيها فعلمت مراده فديمته ومنعته عن نفسها وصاحت ماالذى تريد ياولد الزنا تهتك أرباب الخدور وتدعى أنك رجل غيور فقال لها وقد صعب عليه قولها ويلك يابنت القرنان أنا من خلف الستور أخذتك أم بقنا ثم سيفى ملكتك وحق ذمة العرب وشهر رجب لولا أنك خلف ستر وخفاء لم كنت نظرت إليك فى هذه البيداء وإنما خرجك عن حد بنات العرب أوجب لك هذه الفعال على أنى قد رأيت كثيرا من اشكالك ولا طلب قلبى غير عبلة بنت مالك والآن قد خطر لى هذا الخاطر وما أعرف معناه وظفرت بك فى هذه الفلا ولابد ما أبلغ المنا (قال الراوى) وما كان لجاج عنتر مع هذه الجاريه الاسبب من الأسباب لانه سبق القضا والقدر أن يحصل بينهما الاجتماع ويأتيه ولد ذكر يكون فى حديثه عبرة لمن اعتبر فلأجل ذلك زينها فى عينيه خالق الخلق والبشر الا أن غمرة لما رأت عنتر قدهم بها ولا بقى لها من يده

مخلص ولا هو من ينخدع بالمقال حتى تماطله بالمحال وإنه لا بد أن يغصبها على نفسها وان ما نعته قتلها فقالت له يا أبا الفوارس وحق من قدر الأرزاق ما أمكنك من نفسى حتى تجعل لى مهرا وصداق وتحلف لى بالملك الخلاق انك ما تبدى ما جرى بيننا لأحد من البشر حتى تتم هيبتى على النساء والرجال فلما سمع عنتر ذلك المقال خجل واستحى وقام قامته وقال لها يا غمرة أما كتمان حالك فانا الذى أعاهدك عليه واحلف لك بمن مصيرنا كلنا اليه واما قضية المهر والصداقة فمالى فى هذا الوقت شىء حاضر إلا طلاقك من الوثاق وهو أحب اليك من الجمال والنياق فقالت غمرة كل ما ذكرته من أعظم الصوا ولكن زدنى من قماشك وعدتك ما أذكرك به فى الحلل والبلاد بانسل الأجواد فدفع لها عنتر سيف الركاب وتمت الأمور والأسباب وقام منجنيقه وصرخ بالعبس يا لعدنان وحط الحجر فى كفة المنجنيق وعاين الباب ونفضه فانفسح الباب وهدم البرج وملك الحصن بما فيه وانشرحت الصدور وبلغ عنتر المراد وانطفت ناره وقر عنتر قراره وبعدها ساروا كل منهم إلى فريقه واما غمره انكسرت نفسها وذهبت عنها عزة البكورية وتمت لو كانت قتلت ولا تم عليها هذا الأمر من عبد أسود فى الأصل راعى غنم الاأن الاثنين ما انفصلا عن بعضهما البعض حتى طلع غمرة الألف فارس الذين كان أرسلهم أبوها وراءها فلما نظرتهم حركت فرسها اليهم وصرخت ليعرفوها وتجاروا اليها وسلموا عليها وسألوها عن حالها فقالت لهم كنت مع اسود بنى عبس فى قتال شديد من نصف الليل إلى هذا الوقت وبعد ذلك اصطلحنا وانفصلنا على كل واحد يعود إلى قومه ويأخذ الراحة بقية يومه ونعود إلى الحرب والقتال ولو علمت أنكم تصلوا إلى هذه الساعة ما كنت فارقته الا بالانفصال ولكن من الرأى يا بنى عمى اننا نلحقه على ما هو فيه من التعب لأنه على اخر نفس وتمسكه ثم إن غمره بعد كلامها غيرت منهم جوادها وأخذت محا من رماح بنى عمها وعادت تطلب عنتر من حرقتها وكان عنتر فى تلك الساعة قلع ثيابه ونزل إلى الغدير وهو يقلب الماء عليه وإذاهم أدركوه وحالوا بينه وبين سلاحه وأخذوه أخذا بالكف وأمرتهم ان يشدوه على جواده عرضا وأمرت بعضهم أن يسيروا به إلى بنى قضاعه وقالت لهم خلوا بالكم معه لأنكم لم تعرفوا من وقع فى أيديكم إذا صلتم به إلى المضارب فشدوه مع بنى عمه ثم انهم ساروا بالأمير عنتر طالبين بنى قضاعة وركضت غمرة طالبه أباها ومازالت سائرة حتى وصلت فحدثته بما جرى ففرح أبوها

بذلك واستبشر وقال لها لما لا أتيتيني به فى صحبتك حتى كنا عند الصباح ضربنا رقبته ورميناها إلى رفقته حتى تنقطع ظهورهم ويحيروا فى أمورهم لأننا اليوم قاسينا منهم مالا قاساه أحد ولو لم يكن فى جمعهم قلة كانوا كسرونا ولكن ذو الخمار ماقصر لأنه وقف فى وجوه بنى عبس ورد شرهم عنا فقالت غمرة غداة غد أفرجك على القتال وأما قولك نأتى بهذا الرجل ونقتله فما هو صواب لأننا لو قتلناه قتلوا أخى وكل أسير عندهم وهو مقدار ألف أسير الذين بنو عندهم والرأى عندى نصبر إلى الصباح وأخرج أنا للحرب والكفاح فاذا أسرت باقى أبطالهم أمرت رجالنا تحمل على بقية أندالهم ونبذل السيف فيهم وما يمسى المسا إلا وقد بلغنا المنا وخلصنا أخى ومن معه ونعود إلى أرضنا وغدا اخرج إلى دريد اخذه أسير واتركه عفير ثم انها ميلت على أبيها وقالت له الصواب القبض على ذى الخمار لأنه لا يهون عليه دريد مع علمه بأسره بعنتر وايس منه فقال أبوها أنا أكفيك أمره وأنفذ له فى هذه الساعة عن لسانك عن نشاوره فى أمر القتال ونقبض عليه فقالت غمرة افعل ما تريد لأنى أقول لو كان حاضرا كان أتى إلى زيارتى وهنانى بالسلامة فقال أبوها وحق ذمة العرب لقد صدقت ثم انفذ خلف ذو الخمار فما وجده فى المضرب وسأل عنه فما أعطاه أحد خبر ولا وقع له على أثر فصدق قول ابنته ولامها على اطلاقه فقالت له لا تضيق صدرك فانا عند الصباح أرده مكانه واخذه من ميدانه قال الراوى وكان السبب فى غيبة ذو الخمار أنه لما وصلت غمرة وأصحابها وسمع أنها أسرت عنتر وأنفذته إلى خيامها فذابت أحشاؤه وقال وافضيحتى بين قومى واويلاه لأن بنى هوازن وسليم صبحت العربان نهبا والساعة ما بقى إلا أن أركب جوادى وأسير خلف عنتر إلى الخيام واقتله مادامت الأحياء خالية واخلص العباس وأصحابه وأعود به إلى قومى وعشيرتى واشدمع دريد حتى نكسر هذ الجيش من قدامه وإلا هلكنا نحن وإياهم وإن لم أفعل ذلك وإلا قبضت على غمرة ويضيع تعبى فى هذه الكرة ثم انه فعل ما خطر بباله وسار طالب أرض بنى قضاعة ليقتل عنترا أو يبلغ اماله وأصبح الله بالصباح فوثبت فرسان القبائل تطلب الحرب وكان دريد أوصى خفاف ودثار بكتمان أسر عنتر وعول أن يخرج بنفسه إلى الحرب والقتال ويريح بنى عبس من النزال لما علم انكسار نفوسهم لغيبة حاميتهم عنتر وكان أشد بنى عبس حزنا وأسفا مقرى الوحش إلا أنه سبق الأبطال إلى الميدان وطلب البراز والطعان وتفكر غيبة عنتر وبعده عن مسيكة وولده سبيع اليمن فانشد يقول هذه الأبيات :

مسيكة قبل بينك وعينا ونوحى فى الدجى وابكى علينا
وإن شط المزار وزاد بعــد فلا تنسى المودة واذكرينا
وداربنا من الأسقام حتى تريننا من تمارضنا شفينا
وزورينا بطيف من خيالك يرى ما نحن فيه وما لقينا
أحـاط بجونا خيل الأعادى بأرض ما ترف فيها معينا
وحامى جيشنا قد غاب عنا وخلانا حيارى نادمينا
نعض أكفنا خوفا عليه ونمسى من عدانا خائفينا
ونضرب بالسيف فليس ترمى ولا نسمع لها إلا الطنينا
كأن رماحنا من حيث ولى عطيا فى أكف اللاعبينا
ولا نلتقى عواليها العوالى ولا ترمى أسنتها طعينا
فوا أسفنا على من كان حصنا لنا نأوى إليه إذا دهينا
وليث يلتقى عند الرزايا إذا ما الطعن كف الطاعنينا
فياليت المنايا سالمته وكان إلى العدا حصنا حصينا
وكنت فديته من كل بؤس كما قد كان يفدى القاصدينا
فإن يك قد مضى فينا باق تربى الأمهات به البنينا
فإن حانه حادثة الليـالى حمدت الله حمد الشاكرينا

قال الراوى فلما افرغ مقرى الوحش من شعره تبادرت إليه فرسان بنى قضاعة من اليمين والشمال وتقدمت غمرة وهى تطالب إيجاز المال لأجل مابات فى قلبها من فقد الختار وخرجت وهى واثقة من نفسها مفتخرة على أبناء جنسها تجر قاناتها فوق التراب وتنظر إلى أعطافها نظر الإعجاب وعند خن وجها حذرها أبوها من مقرى الوحش وقال لها ابصرى كيف تكونى معه لأنه شيطال ما يلتقى فى الميدان ولولا أمس ردشره ذو الختار كان كاجبار فقالت ياأبتى لا تخف على بعد ما لاقيت عنتر ما بقى لفارس عندى منظر لو أنها نزلت إلى ميدانها وصالت وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول .

غبار الخيل فى يوم المجالى أحب إلى من أهل ومالى
وشرب دم الفوارس كل الجال أفضله على المـاء الزلالى
ولايطفى لهيب جوا فؤادى سوى وقع النصال على النصال
خلقت ولى جنان من حـديد وقلب قد من صخر الجبال

ولى قوم قالونى بنقص   وقد جهلوا الزيادة فى كمالى
يعدونى من النسوان يوما   ويوما من أحايجة الرجال
ولولا أن حكم الله حتم   شحيح يدبس بالمحـــالى
لما أصبحت فى أرض قفار   أطاعن بالقنا راعى الجمالى
ولكن للقضا فى الخلق سر   يسود به العبيد على الموالى

قال الراوى فلما رأى مقرى الوحش حالها وسمع مقالها أشكل عليه حالها حتى عادت إليه فقال لها من تكون أيها الفارس المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه ما أنت صاحبى بالأمس فقالت غمرة لا والله ما أنا من ذكرت لأن ذلك يكون سبب جبان لكن أنا أعلمك الطعان وما يمسى عليك المساء حتى أضيفك إلى رفقاك وعبدكم الاسود يكون سبب فناكم جميعا فى يوم واحد حتى تعرفوا سفر تكم ودخولكم إلى بلاد شربة قال الراوى ولما سمع مقرى الوحش هذا الكلام خفق قلبه شوقا إلى معرفة عنتر وأخباره وقال ويلك ياوجه العرب تعنى بقولك عبدنا الاسود فقال له اكشف عن حقيقة الحال قبل طعن العوال فقالت غمرة عبدكم الأسود عنتر فى سائر البقاع وهذا المقام مايحتمل أكثر من هذا المقال فدونك والحرب والجلاد قبل قدم الليل بالسواد ثم انطبقت عليه انطباق السيل وقاربته مقاربة النهار إلى الليل فتلقاها مقرى الوحش وهو متعجب من فصاحتها وطاب قلبه بسلامة عنتر وحار فى أمره وتفكر ودام بينهما الطعن والضرب وقد ضاقت الصفوف واجتمعت الألوف وخاف فائز على بنته فصاح على أبطال عشيرته ونادى دريد بن الصمة فى الفرسان الذين كان يدخرهم لكل ملمة ووقع السلاح بعضه على بعض وارتجت أركان الارض وتلوثت أفاعى الرماح من شوقها إلى شرب دما الاشباح واختلف مقرى الوحش طعنتان قاتلتان لولا مشيئة الرحمن قتل الاثنان لأنهما وقعا قائمين حتى حارت أبطال الفريقين وتعجبت غمرة من أبطال الحجاز وقالت وحق من أعلم مافى الصدر مافى هؤلاء القوم إلا من يلتقى الالف والالفين وأكثر وماميهم الاكل أسود ولما رآها أبوها على وجه الأرض فخاف عليها من نوائب الزمان المرتاعة وصرخ فى الحال على بنى قضاعة فحملت وأطلقت أعنتها وقومت أسنتها وكذلك فعل دريد وصاح فى رجاله وحمل الامير عروة وشداد فى طائفة بنى عبس الأحواد فما أسرع ما نادت بأنسابها فما سمعت من يرد جوابها هذا وغمرة مع مقرى الوحش قد جدت فى ضرابها لانها رأته

منه لم يكن فى حسابها وما زال الانتصار بان اليهما الحتوف وازدحمت عليهما الصفوف وترجلت لهم الرجال وقد اشتد القتال وكان الذى ترجل إلى مقرى الوحش شداد واسيد بن نازح وماجد وسعيد بن خالد وجماعة من الفرسان المذكوره والابطال المخبورة وأما بنو قضاعة طلبوها مثل الأمواج وقد تدفقوا مثل البحر العجاج وصار أبوها يصيح فى رجاله ويقول من يأتينى اليوم بخصم بنتى زوجته أباها وكانت فرسان بنى عبس قد اشرفت على الهلاك لولا دريد وخفاف ومن معهم من الأجلاف فرقوها وكلما اجتمعت مزقوها وما زال الأمر على مثل ذلك حتى طلع الحر والتهب البر واشتدت منافس الخيل من شدة الحر والهجير قال الأصمعى وإذا بسرية خيل قد أقبلت من جهة الشرق وهى تركض أخف من البرق وقدامها رجل اخف من شعاع الشمس من المشرق وهى لا تستقر على الأرض قدماه وهو ينادى يا لقيس يا لعدنا ابشروا يا بنى قضاعة بخراب الديار وقلع الآثار وهلاك الأولاد فهذا عنتر ابن شداد القادح الزناد حمية بطن الوادقال الراوى وما صاح شيبوب بذلك الكلام حتى صاح عنتر ورفقاه تحت الأعلام وطعنوا فى الرجال المختلفة تحت الرايات وبدد وشملهم باسنة الرماح الذابلات وابقى فائز بالهلاك والعطب وطلق العنان وعول على الهرب فادركه عنتر وطعنه فانقلب وانقض عليه شيبوب وشده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وبعد ذلك نكست الرايات والأعلام والتمت بنو قضاعة إلى وراثها وقدر وعها ما سمعت من الصياح وفى دون ساعة علمت باسر سيدها وهلاك من حوله من السادات فعادت تكشف الاخبار وتأخرت من الغبار وتخلى عنها من كان مساعدها من أهلها وذويها وطلبت تركب بعض الخيل النافرة وترجع فامكنها من ذلك مقرى الوحش بل هجم عليم ضربها بالحسام صفحا بين اكتافها فوقعت على وجهها فارس روحه عليها وعاونه عروة وسلبوها إلى بعض الفرسان من بنى عبس وعدنان وركبا من خيول المعمعة وحمل على بنى قضاعة هذا وعنتر مقاتل الفرسان وهو ينادى يا بنى قضاعة أنجوا بأنفسكم واطلبوا غير هذه المنازل والبلاد فان حريمكم سبيت ورجالكم قد قتلت وما زال على مثل ذلك الحال والسيف فى رقاب الرجال حتى ولى النهار وعول على الارتحال وخمدت نار الحرب بعد الاشتعال والتقى عنتر بمقرى الوحش وهو لا يصدق أن يراه وكذلك أباه شداد وعروة ومن معه من رفقاة وما فى الجماعة إلا من اعتنقه وبالسلامة هناه ولما نزلوا واستقر بهم القرار اجتمع به دريد وخفاف ودثار فرأوا سبيع بن الحارث الملقب بذى الخمار معه أسير فى قيود الذل والتعثير فلما إلى دريد

فعند ماراه تعجب من ذلك وقال ويلك يا أبا الفوارس هذا فى اليقظة أم فى المنام وكيف كان سبب أسرك وخلاصك ولأى شيء معك ذو الخمار أسير حدثنى بهذه القصة العجيبة فعندها حدثه عنتر بما جرى له مع غمرة وماوقع له مع ذو الخمار (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو أن شيبوب لما سار من عند أخيه يكشف خبر غمرة وعمرو وأخو عبلة ومن أسر من الفرسان ويتبع المنهزمين الذين مع فائز أبو غمرة فوصل معهم إلى الديار وأبصر غمرة ظاهر الخيام تقاتل ذو الخمار على سبيل الاختيار وجرى لها مع أبيها ما جرى وسمعت بكسرته وأرادت أن تعيد ذو الخمار إلى الشد والاعتقال وتسير هى ومن معها من الابطا وحدثها ذو الخمار بما فى قلبه عنتر وساور على الترتيب الذى ذكرناه أراد شيبوب أن يتبعهم ويحذر أخاه منهم فقال كيف أعود بلا فائدة والله لاأعود إلا أن خلصت عمروا ورفقاه لأنه كان رأى فائز لماشد عمرو ورفقته بقرب خيامهم ولم يتركه عند العباس فبقى شيبوب يناظرهم حتى أمسى المسا وخف الحى من الرجال ففرح بذلك وحل الجميع من الاعتقال وأخرجهم فى الصحراء ورجع وسرق لهم خيلا ورماح فا رجع وقارب وقت السحر حمل لأصحابه العدد وسار بهم يقطع البيداء والقفار حتى عبر نصف النها فلحقه النفير من الحى ولكن ماعليهم هيبة ولاقية رجال تخطر لأحد على بال لأنه كما ذكرنا خال من الأبطال فحصلوا شيبوب وقد عوقوه عن المسير وأخذ فى الضراب والطعان حتى أمسى المسا ووقع بالهاربين التعب وسد فى وجوههم كل مذهب وايقنوا بالهلاك والعطب وفزعت نيال شيبوب فطلب الهرب وخاف يقع فيصلب فقطع الخيل وراءه وطلب الفلا وغاب فى الوديان إلا أنه ما اختفى عن النظر حتى التقى بالعشرة فوارس الذين مع عنتر فطلب الخيل وهو مثل ذكر النعام وهو يقول انجدونا يا بنى الاعمام فقد قتلوا الرجال وفنو الأبطال فلما سمع العشرة فرسان كلا شيبوب تقدموا اليه قالوا له وأنت من أين تكون فقال أنا رجل غريب من خدام بيت الله الحرام ومقامى فى أرض مكة وأنا دائر بين هذه الحلل والقبائل التى للملك فاتوفلما عبر هذه الحلة قالوا لى إن صادفت أحد من فرسان القبيلة أعلمه أن الأسارى هربوا من الاعتقال فلما سمعوا كلامه أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنه وتركوا عنتر فارس واحد وقد أوصوه الوصية البالغة على الأسير هذا وعنتر معارض على ظهر جواده موثوق بحمائل سيفه وقال ماهذا إلا من العجائب ثم أنه تقدم اليه وما الفارس الذى عنده وقال له أول مقتول لأن الفارس ما هوش من تعرف من الفرسان لأنه شيطان فى صورة ثم أن

الرجل بعد كلامه مع شيبوب لحق مع أصحابه فعند ذلك تقدم شيبوب وفك أخاه من الوثاق وأخبره بخلاص عمرو وما جرى لهم مع الرجال الذين أدركوهم وما ألقى اليهم من الحديث فأخبرني أنت كيف أسرك فقال عنتر أسكت ياشيبوب فان هذا ماهو وقت سؤال حتى أشفى فؤادى من هؤلاء الأنذال ثم أنه بعد كلامه سل حسامه وطلب الغبار ولم يزل سائر إلى أن وصل اليهم فنزل على العشرة الذين كانوا معه على الذى خول عمر وأخو عبلة وهو لا يفكر فى الأخطار هذا وعمرو لما نظر إلى قتام وضرابه ونزاله حاشت روحه وقال لرفقاه يا بنى عمى قاتلوا وانصحوا فى قتالكم فحملت فرسان بنو جشم على فرسان بنى قضاعة فرموا أكثرهم على الصعيد وولى الباقى الأدبار وركنوا إلى الفرار وما أقبل الليل وختم الظلام فما بقى منهم لاشيخ ولا غلام ولما خلت لهم الأرض سلم بعضهم على بعض وقد نزلوا للراحة فى تلك الأرض ولما استقر بهم القرار وأخبرهم عنتر بما جرى له مع غمرة من الحرب والقتال وأخفى ما جرى من باطن الحرب فحدثنى شيبوب الآخر بما جرى مع سبيع بن الحارث وكيف أنه اصطلح مع عمرة على قتله فحار عنتر من هذا المقال وتفكر فى هذه الأحوال وقال أن هذا شيطان طلع علينا شر من الحارث بن ظالم ثم أنه أخذ الراحة حتى سكن الليل ورحل يقطع الأرض حتى انقضى أكثر الظلام وشيبوب بين يديه فوقف وقال يا ابن الأم أعدل أنت ومن معك عن الطريق لأنى سمعت قدامنا حس جواد وقعقعة سلاح فارس وما أدرى معه غـــيره أم لا والصواب أننا ننجيه ولا نعارضه فيشغل خواطرنا فلما سمع عنتر كلامه رآه صواب وخاف أن تكون خيل كثير فيعظم الأمر عليه فتجنب الطريق ووقف شيبوب وقد ستره الظلام ولبد مثل ما يلبد الذئب للأغنام وما قر به القرار حتى قاربه الفارس وهو ينشد ويقول

إذا جيش الظلام على مالا ... وأظلم ليلة ودجا وطالا
عسفت البر منفردا بسيف ... صقيل المتن يشتعل اشتعالا
ومهرى يشتهى خفقان نجد ... تكون على حوافره نعالا
ولا أنتى أعلى بجـــدى ... ظهور الخيل ما عرفت مجالا
أنا الرجل الذى خبرت عنه ... حقيقا فاترك الخبر المحالا
اسمى ذو الخمار وما خمارى ... إذا شـــدته إلا جمالا
ولولا عبد عبس كان اسمى ... أجل بأن يسمى أو يقالا
هجرت الأهل من حنقى عليه ... وطلقت المنازل والعيالا
وقد أمسيت فى بر قفار ... فلاة لا أرى فيها خيالا
تئن الجن من حولى رباها ... كأن ضجيجها قيل وقالا

ولو أمسا المسا بها غير فريدا　　تفطر قلبه منهـــا انهمالا
فسيرى يا سباع البر حـــولى　　إذا جيش الدجا ولى ارتحالا
فعند الصبح تروى من حسامى　　ومن علق السنان وما قد مالا
وتحمد ياســـباع لهيب قلبى　　إذا ما العبد فوق الأرض مالا

قال الراوى فلما فرغ ذو الخمار من شعره فيه شيبوب وعنتر وما فيهم إلا من تعجب من أمره وعود الى بنى قضاعة وتاهت عليه قصته إلا شيبوب فانه قال لأخيه عنتر يهنيك السلامة من هذا الشيطان فانه ما عاد إلا ليقتلك ويهلك بنى عمك فقال عنتر وكيف ذلك فقال له أنا ما قلت لك أنه اتفق مع غمرة على قتالك وأظن أنه درى بأسرك فهرب من وراء غمرة وأتى الى الحلة حتى يحل بك الذل فقال عنتر لا بد ما أحمل عليه وأحل به النكال فقال شيبوب قتالك فى هذا الوقت ما هو صواب لأنك ان نصرت عليه يقول التقانى فى الليل ومعه عشر فوارس ويمضى تعبك ومه بلاش وأنا ما عندى من الرأى الا أننا نقابله فى هذه الساعة وإذا بقى فى قبضتك وحضرت قدام الفرسان ابقى بارزه واقض شهوتك ولا تقضى الزمان معه فى المشاقة والخصام والمد باز وتحل قومك وعشيرتك مثل مفرى الوحش وعروة قدام غمرة وأصحابها تحت الذل والهوان لأن دريدكم جهد ما يعمل فى ذلك الجيش والجحفل وما هذا سيبيع تعلم أنه بطل مناع فقال عنتر صدقت وأنا ما خوفى إلا على مفرى الوحش ومن معه فقال ثم أن عنتر بعد كلامه التفت الى عمرو أخى عبلة وقال له دونك يا ابن العم أنت وشيبوب امسكوا عليه الطريق فلما سمعت فرسان هوازن من عنتر ذلك الكلام أخذتهم الحمية ونخوة الجاهلية وقالوا وحق مكور الأكوان وخالق الإنس والجان ما نتخلى عن مقوتك ومعونة أصحابك ولو أن فى أقدامنا القيود الثقال لأن ذا الخمار ما رعى لنا ذمة ولا حفظ لدريد حرمة بل أنه قاتل مع أعدائه وتركنا فى العذاب ولا شيبوب كنا هلكنا فى هذه الرحاب فشكرهم شيبوب على مقالهم والتفت اليهم وقال يا قوم الأمر أقرب من هذا وأنا وحياة رؤوسكم أبلغكم ما تشتهون وأقتل جواده وأتركه عبرة لمن يعتبر فقفوا أنتم وانظروا منى ومنه العجب ثم أن شيبوب بعد كلامه وقف على قدميه وهمز همزات متتابعات ونط نطة وألحقها بالثانية والثالثة فقارب ذو الخمار وصار قدام وجهه وضرب جواده بنبلة فى صدره فشب به ومال على أم رأسه وخباه فى نفسه وطاش عقله وما أفاق حتى شده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وساعده عمرو أخو عبلة وحملوه على أكتافهم حتى رموه بين يدى عنتر فبصق فى وجهه وقال لبعض الفرسان ترجل يا ابن العم عن جواده ثم أمر فرسان هوازن أن يربطوه على

الجواد عرضا ويشدوا وثاقه شدا وثيقا قال الراوى ففعلوا ذلك وساروا به يقطعون الطريق حتى أشرفوا على العسكر وهم فى ضيق الخناق فاشار عنتر الى الفرسان الذين معه أن يقصدوا الأعلام ووقع الحرب وجرى من القصة بما جرى من كسرى العسكر والانهزام وحدث عنتر لدريد بن الصمة بالقصة فلما جرى من ذو الخمار علم أنه خائن العمود فسبه وشتمه وطلب ان يبطش به فرده عنتر وحال بينه وبين ذى الخمار الفرسان وقالوا أيها الامير طول روحك فقادوبد لذو الخمار ياويلك أى شيء أصابك من الدواهي والأسباب حتى خرجت عن طريق الصواب ركبت جواد البغى الذى ماركبه أحد إلا وخاب أما علمت ان معادى أهل السعادة يتجرع الغصص بزيادة أخبرنى ياسبيع ماقصدك من هذا الفارس حتى حنقت عليه هذا الحنق ومن أجله ضربت وجه قومك بالسيف فقال سبيع مرادى يباروزنى وفى الحرب ينصفنى حتى تشهد أنت والفرسان لاحدنا بالعلية وللاخر بعلو المرتبة لأنك تعلم انى ملكت الشجعان وها بتنى الاقران فى كل أرض ومكان حتى التقانى هذا الشيطان وحط منزلتى عند الاقران من يوم أنه أسرنى والى الان ما مكننى منه الزمن وأناما أتخلى عنه حتى أجرب قتاله وحربه ونزاله فان قهرنى فى الميدان رغبت له النوق والأغنام مدة ثلاثة أيام وأناقهرته يفعل كذلك فقال دريد ياسبيع أنا أبلغك المراد واقضى مناك وأزيل عنك عناك لكن حتى ينفصل أمن هؤلاء الاقوام ولا يبقى علينا ملام وإذا عدنا إلى أرضنا أشهد عليك وعلى شادات القبائل حتى لا يبقى للاخر منكم طريق إلى الباطل وأريد ياسبيع قبل كل شيء تحلف لى بمن قدر الآجال والارزاق لابن آدم وهو الملك المتعال الذى أرسى الجبال انك تمارض هذا الرجل مادمنا نازلين فى هذه البلاد والا تركتك هكذا فى القيود والاصفاد فلما سمع سبيع ذلك حلف له بما أرادوا واعتذر وقال له يا أبا الفوارس أنا أثبت عندى أنك الفارس البهلول الذى ليس له من الحرب ملول وكذلك قال دريد والله أنت غاية المأمول فقال عنتر ان هذا الأمر يجرى بينى وبينه توجهت إلى هذا الديار لأنك صرت تعبان القلب بيننا فلما تكلم عنتر بهذه الكلام حمدوه وشكروه واثنوا عليه وحلف سبيع بحق من رفع السما أنه لا أبقى يفارقه ابدا ثم ان القوم بعد هذا الكلام قدموا مناسف الطعام فاكلوا على حسب الكفاية وارادوا دريد ان يركب فنعه عنتر ثم ان عنتر قبل رأسه بين عينيه وشكره واثنى عليه وتولى عنتر الحرس على سبيل الانفراد بعد أوصى دريد بغمرة وأبيها فاتز فقال السمع والطاعة فابقى لهم إلى

النجاة سبيل فلما نظر سبيع إلى عنتر وهو قد تولى الحرس على قومه فاراد الآخر أن يفعل مثل فعله فأمر بعض الغلمان أن يقدم له فرسه فركب وأطلق العنان وصار يدور حول المأسورين وهو ينظر عنتر فى سواد الليل وقلبه بالشر ملآن عليه فحدثه قلبه بما شاء من الحسد ووسوس له الشيطان أن يقتل عنتر فى وسط ذلك الفلا حتى لا يبقى أحد يذكر بالفروسية إلا أنه لما لاح له وجه المحال وغرق فى بحر الجهالة والضلال وخطر له ذلك قصد إلى المأسورين كأنه يفتقدهم حتى وصل إلى غمرة فحلها من الاعتقال وقال لها اطلقى أباك ومن معه من المأسورين ولا تحسبى أنى نسيت ما عملت معى من الجميل على أن هذا ما هو موضع كلام وإنما التدبير إذا صرنا عندكم فى المضارب والخيام ثم أن ذو الخمار وقف بكانه كأنه يحرسهم حتى حلت غمرة أباها وجماعة من سادات قومها وتركت من لاقدرة عليه ومن جملة الذين تركتهم أخاها الآن عنتر لما أسره سلمه إلى خفاف وقال له هذا بغيتك ومقصودك فلا تتهاون فيه فلما تسلمه خفاف صبر لا يفارقه ليلا ولا نهارا ولا ينام إلا عند رجليه ولما خلصت غمرة أباها ومن قدرت عليه بعدت هى وإياهم فى الصحراء وبعد ذلك أتى اليهما ذو الخمار بفرسين وعدتهما وآلة حربهما وكل هذا مما فى قلبه لعنتر من الحسد وساروا تحت الظلام وقد بان لهم عنتر وهو راكب على جواده الابجر كأنه ثنية جبل وهو يدافع النوم من شدة السهر فعندها تقرب منه ذو الخمار فصاح بهم عنتر من تكونوا تكلموا قبل أن تعدموا فناداه ذو الخمار على رسلك يا أبا الفوارس فأنا من تعرفه ولا تنكره وأنا بعد فراقك ما طاب لى مقام فأتيت إليك حتى أتحدث معك وطلبت انى أساعدك على سهر الليل حتى يصبح الصباح فلما سمع عنتر ذلك الكلام شكره وانطلى عليه المحال ثم نظر غمرة فأنكرها وسأل ذو الخمار عنها فقال هذا بعض أصحابى وهو ابن عمى عامر فى صحبتى ثم أن ذو الخمار سار إلى جانب عنتر وهو يحادثه وينادمه فلما نظرت غمرة إلى ذلك انتهزت الفرصة وجذبت سيفها من غمده وضربت عنتر على جسده مع جنبه تريد أن تقطعه قطعتين وكان على عنتر زردية والدرع الأجيجى فلما وقع السيف عليه خرج له صوت مثل المنجنيق فقطع قليل من الزرد فانتبه عنتر على نفسه وعلم انهم غدارين وما أتوا إلا لقتله طالبين فعندها صاح فيهم صيحة ثانية وحمل على غمرة فمنعه ذو الخمار عنها وطعنه بالرمح طعنة لو كانت فى جبل لهدته فانكسر الرمح ثلاث قطع وما جرح وما قطع فأراد عنتر أن يضربه بالسيف فاعترضته غمرة ومنعته عنه فأراد ذو الخمار أن يتقدم إلى عنتر فغاص جواده فى الأرض وهذا يدل على سعد عنتر فان كل من عانده مسعد مات كمدا لأن السعد يساعد صاحبه والله يفعل ما يشاء ويزيد فى خلقه انه هو الحميد المجيد قال الراوى ولم يكن ذلك الأمر أكثر من ساعة حتى سمعت الطوائف

الصياح فركبت وطلبت بريق الصفاح وضج البر من سائر الاقطار وزاد سواد الليل اعتكار نخاف من ذلك ذو الخمار فأخذ غمرة وسار فطلبها عنتر إلى وقت الصباح والخيل مبددة فى الأقطار والبطاح وأكثر الفرسان لا يعرفون هذا الأمر الذى أوجب هذا كله وفى دون ساعة اجتمعت الفرسان على عنتر وعلى الأمير دريد وأطلعه عنتر على هذا السبب والحال فسب ذو الخمار وحلف إن وقع به ضربه وقطع عنقه وهنأ عنتر بالسلامة وشاوره فى العودة إلى الأوطان فقال له والله يامولاى ما بقى لنا فى هذه الأرض مقام ثم انهم عادوا جميعاً إلى الخيام (ياسادة ياكرام) وما قاموا إلا قدر ساعة على قدر ماضربوا رقاب ما بقى من سائر الأسارى وضرب خفاف رقبة المتعنجز أبو غمرة وبردوا بذلك قلوبهم وجدت عزائمهم على الرحيل وساروا وهم يتعجبون من قصة ذو الخمار ويقولون ما عملوا هذه العملة إلا من عشقه لغمرة وحسده لعنتر وجدوا فى قطع القفار وشوقهم إلى المنازل والديار فالتقاهم خمسة نجابة فعرفوا دريد وقد صاروا بين يديه فتبينهم وإذاهم من بنى هوزان وجشم إلا أنهم لما عرفوا دريد رد سلامهم وأنكر أمرهم وقال لهم ويلكم إلى أين سائرون أليس وراءكم خبر من الأخبار من ناحية الأطلال والديار فقالوا يامولاى وراءنا الويل والحرب وما نحن سائرون إلا فى طلبك حتى نخبرك بما تم على قومك من الأهوال فقال لهم ويلكم أى شىء جرى على قومنا فقالوا أغزونا بنو عبس وسبوا الحريم وساقوا الخيل والجمال وعادوا راجعين وهم فرحين بهذا الحال وكل هذا فى عناد عنتر بن شداد فلما سمع دريد والرجال الكرام ذلك الكلام لعبت بعقولهم الفكر والأوهام وأما عنتر فانه غاب عن الوجود وعلم أن نزوله عليهم غير محمود وتمنى أن يكون له أجنحة يطير بها إلى بنى عبس حتى يجازيهم على فعالهم القباح وأما بنو فزارة فانه نوى أن لا يخلى منهم أحد هذا ودريد يسأل عن أخيه خالد وعن الفرسان الذين كان يدخرهم ليوم الشدائد والنجابة تقول قتل فلان وفلان وأسر فلان وجرح فلان وأخوك أسر وحلت به البليات والنسوان فما بقى منهم أحد إلا القليل والباقى مسبيات مع عبلة ومسيكة فقال دريد وقد أظهر الحلم والجلد على ما أصابه حياء من عنتر وأصحابه يا بنى عمى كل هذا الأمر يصعب على غيرنا وعلينا يهون لأن فينا كفاية لعرب المناهل والعيون ولا بد لنا ما نكافىء بنى فزارة على هذا الأمر المنكر وأما بنو عبس فهى حاميها أخبر فقال عنتر يامولاى ومن هم بنو عبس وغطفان وحق ذمة العرب ما بقيت أجاور القوم بعد هذا اليوم على طول الدوام والا اعدمهم اليوم إلا من جملة الأعداء والسلام ثم انهم جدوا المسير فى تلك القفار طالبين الأهل والديار فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس وبنى فزارة وسبب غيرتهم على عنتر وذلك أن سنان بن

أبي حارثة ومالك أخو حذيفة لما فاتهم عنتر من حجرة الملام كما ذكرناها انطلقت في قلب حصن النار فأخذ الربيع بن زياد ودخل على أعمام الملك قيس فأخذهم وصاروا إلى الملك النعمان



ملك البلاد يشكو اليه من عنتر بن شداد وما فعل بهم بين العباد وذكرنا أن عنتر لما جرى له مع بني فزارة ما جرى وأسر سنان ومالك وكان زهير بن قيس معهم ومعه جماعة من ذبيان وتركهم مع زهير مطروحين على القيعان وسار فاجتمع رأي الجميع ذلك اليوم على المسير إلى الملك النعمان وكان ذلك بشورة الربيع وضمن لأخيه عمارة أخذ عبلة وأخذ معه عشرة فوارس من سادات بني عبس وفزارة وسار يطلب أرض العراق وعلم سنان بن أبي حارثة بهذه القضية فأمر بقلع بني عبس الذين مع عنتر في جبال حزية وأنفذ إلى ملك الشام يقول له أيها الملك لا تسأل عما في قلوبنا من الغم لأجل انكسار جيشك لما عطش قيس النوق والجمال وأخرجهم عليهم من الجبال وأنه ما فعل هذا الفعل إلا لأنه كان أشرف على قلع الآثار فخلصه رب السماء بتلك الحيلة وأنقذه من الدمار بعدما كنا أسرنا عنتر والفرسان الذين عليهم المعتمد وقد صولنا أننا نسير إليك بالكلية حتى نأخذ بثأر ولدك بدور النصرانية ونصلبهم على أسوار دمشق ولكن جاءنا الأمر بخلاف ما كنا نأمل وما زلنا ننتظر لعنتر عثرة من العثرات

فى هذا الزمان حتى اختلفت كلمة بنو عبس وعدنان وتفرقوا عن الأقطار ورحل عنهم حاميتهم فى خمسمائة فارس من الفرسان وهم جمرة بنى عبس وعدنان وصار يغزوا علينا فى الليل والنهار وفى كل وقت ما نشعر به إلا وهو معنا فى الديار وما أخذ إليك هذه الرسالة حتى رأيتهم أرسلوا إلى صهرهم الملك النعمان يسألوه أن ينفذ لهم فرسان وأنصار تعينهم على عنتر الكشحان ويبقوا لهم أعوان وأنا أعلم أنه يرسل بعض إخوانه إليهم فى جميع العربان وكل منهم يجدون فى ذلك الأسود الشيطان فارسل أنت إليهم من يأخذ أموالهم والنسوان وإن هان عليكم المسير فى طوائف بنى غسان وأنت فى جملتهم بلغناك المراد ودبرنا على كسر عساكر بنى غطفان وإذا رجعت إلى الشام رجعنا معك كلنا وجعلنا مقامنا عندك وتغزو أرض النعمان وأرض المدائن ونجتهد حتى نترك الأرض كلها قائلة بكلمة المعمودية وبعد فهذه الرسالة من سنان بن أبى حارثة شيخ بنى فزارة وقد أتانا الأخبار عن عنتر وقد سار مع دريد إلى بلاد شريف وأن أحياء هوازن خالية من الحماة والفرسان ثم بعد ذلك أتى إلى قيس هو ومالك ابن بدر وحرضاه على القوم وسبى نساءهم وقالوا يا ملك ساعدنا على هذا الأمر حتى تقع هيبتنا فى قلب دريد وما زالوا به حتى جمع حلفاءه وسارت معه بنى مرة والفرسان فى الطاعة وطرق ديار دريد وكانت آمنة ولا نابها نائبة فقتلوا رجالها وساقوا أموالها وكانت الأرض التى فيها عنتر بمعزل عن القوم فاحاطت به بنو فزارة وشنت عليهم الغارة وشفوا قلوبهم من بنى قراد وسبوا النساء والأولاد وكتف قيس الرجال الذين كانت تخلفت فى الحلة وكانت مائتى فارس والثلثمائة الأخر كانت مع عنتر هذا قد سبوا مسيكة وعبلة وعادوا وقد بردت نارهم من قلوبهم وزالت عنهم كروبهم وسارت فرسان القبائل تلاحق مواكب وفرق شملها قد افترق إلا أن قيس ما طلع من ديار دريد وهوازن بالاموال حتى أهلك خلقا كثيرا وترك الدماء فى جنبات الارض تسير فلما وصل إلى أرضه جمع السبى كله حول العلم السعدى وقال بنى فزارة أرحلوا كلكم إلى عندنا وانزلوا فى أرضنا حتى تشاركونا فى الدماء التى علينا لان دريدا إذا عاد إلى دياره وقر قراره وأخبروه بما فعلنا فى بلاده جمع حلفاءه وأنصاره وغزانا هو وعنتر ومن تعرفون من الفرسان ونفلى منهم بما لا نطيق قبل ما تصل من عند صهرى الفرسان فقال له سنان طب نفسا وقر عينا وأبشر بالنصر على العدا ومن هو دريد أو مقرى الوحش أو عنتر فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطر لا تركت لهم ذكرا يذكر ثم بعد ذلك نقل مضارب بنى فزارة وخيامهم إلى أرض الشربة ونزلت هنالك بالاحمال والعيال وأصبحت بنو عبس تضج بالفرسان فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر ودريد

فانهم لما سمعوا الخبر من النجابة الذي يفرح الأعداء ويغم الأصدقاء فتمو فى سيرهم حتى وصلوا إلى الديار والمضارب فرأوها تضج بالمصائب فتألمت القلوب من تلك الأفجاع ثم قال لهم عليكم بالصبر والجلد وقلبه يتقطع وهو يقول يا بنى عمى كل ما مضى لا يرجع وكأنكم بالذى فعل بكم هذه الفعال قد أصبح فى أسوأ حال فخذوا أهبة الرحيل إلى ثلاثة أيام ثم أنه أمر فرسان القبائل يأخذون الراحة بعد ما ترجل عن جواده ونزل ثم أن دريد أرسل إلى عنتر وبنى عمه خياما ومضارب وكان قد وصل معهم من بلاد اليمن خيولا وأسلاب فنزل فى المنزل الذى كانوا فيه وبنو عبس متفكرون فى تلك الأفعال وكان أكثرهم هما وغما مقرى الوحش وعنتر وبلغنى أنهما بقيا يومين وليلتين ما ناما ولا التذت أجفانهما بالمنام وفى الليلة الثالثة زاد بعنتر الشوق وأقلقه الغرام قال لمقرى الوحش ويلك يا ابن العم إلى متى هذا القعود فاعزم بنا حتى نسير إلى خلاص الحريم ولا نتكل على غيرنا فلعن الله من لا يلتقى فرسان بنى عبس وبنى فزارة ويهلك الجميع ويشتفى من الأعداء سريع فقال مقرى الوحش افعل ما بدا لك حتى أتابع أعمالك ثم وثب كل واحد إلى ظهر جواده بعد ما اعتد بعدة جلاده وما علم بهم غير الأمير شداد وشيبوب وتمام المائة فارس من بنى عبس واستغرقوا فى البر والآكام وتباعدوا عن الخيام وصار يقول مقرى الوحش واشوقاه عليك يا سبيع اليمن وهو ينشد ويقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

ما بال ربعك يا مسيكة قد خلا ... وبوحشة بعد الأنيس تبدلا
بالأمس كان محل غزلان النقا ... واليوم تحجل فيه غربان الفلا
ناديتـــه وسـألته مستخبرا ... عن من بقيت لأجله أشكو البلا
كحلت أجفانه بكحل تربه ... لما ذكرت الغزال الأكحلا
يا ربع إن كان السحاب كأدمعى ... يروى ثراك إذا جنابك أمحلا
با الله يا نسمات أنفاس الصبا ... لك خبرة بالظعن أين ترحلا
فأجابنى ريح الشمال وقال لى ... فى غيلم محبوب قلبك وصلا
نزلوا على وادى العتيق وخلفوا ... فى ربع قلبى للحوادث منزلا
لهفى على قوم سرت أظعانهم ... كرها ولا طلبوا الملال ولا الملا
لجمع العـــدا قلبى فمدامعى ... هطل ونار الصبابة لا تصطلا
يا طائراً قد بات يندب أليفه ... أين الخلى من الحزين المبتلا
لو كنت مثلى كان دمعك قد جرى ... وسقى الغصون وبل أقطار الفلا
إن كان قد اغتال أليفك قانصا ... وبقيت مشتاقا تبيت مقلقلا

فان سبي ولدى عـــدو ظالم حسدا وحق لحاسدى أن يفعلا
لهفى على سبيع اليمانى قد غدا ينساق مغلول اليدين مغلغلا
يا صاحبى إن لم تكن لى مسعدا يوم اللقا طاوعت فيه العذلا
صحبت وحش البر عمرى كله وجعلت للغزلان دمعى منهلا

(قال الراوى) ولما فرغ مقرى الوحش من شعره تزايدت حسراته فتبسم عنتر وقال له يا ابن العم ما نحوجك أن تصاب وحش القفار بل نخلص لك ولدك سبيع اليمن وزوجتك مسيكة ونحن فى حمل المصيبة سواء ولكن لا كلام حتى تقع العين على العين ونبصر كيف يقتضى الدين إن أردت أن تبرد بالشعر صدرك فاذكر سيفك وسنانك لأنهم أعدل الحكام واعلم أن ذكر الأطلال البالية والمنازل الخالية ما تصلح إلا للنساء التى خلف الحجاب إذا تجاوبت بالنوح والتعداد على فقد الأحبة والأولاد ثم أنه أشار يقول صلوا على طه الرسول .

يا صاحبى لا يتبك ربعا قد خلا ودع المنازل تشتكى طول الملا
واشكر إلى حد الحسام فانه فصال ماضى الشفرتين وفيصلا
من أين يدرى البين أنك عاشق أو عنده خبر لصب قد سلا
والله ما يمضى رسول صادق إلا السنان إذا الخليل تبدلا
ولقد عرفت الدهر حتى أنه لو لم يذق منى المرار لما حلا
وكذا سباع البر لولا شرها دارت ببطن الغاب أذيال الفلا
فتحملا يا صاحبى رسالتى إن كنتما فى أرض سلع تنزلا
قولا لقيس بنى زهيراً إننى خطب النشيب على شبابى ما علا
بل لو صدمت بهمتى جبل حرا قسما وحق أبى قبيس تزلزلا
لو لم تكن يا قيس غرا جاهلا ما سقت نحو ديار قومى جحفلا
والله لو شاهـــدته ورأيته ما كان آخـــره يلاقى الأولا
يا قيس أنت تعد نفسك سيدا وأبوك أعرفه أجل وأفضلا
فاتبع مكارمه ولا تزرى به إن كنت ممن عقـــله قد كملا
واحذر فزارة قبل تطلب ثأرها وتريك يوما ناره لا تصطلا
والله لا خليت فى أوطـانهم إلا النوائح صائحات فى الفلا

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره جدوا فى المسير وسرعة التشمير وإذا بغبار من

حلفهم قد سار حتى سد الأقطار فوقفوا ينظرون الأخبار وكان هذا الغبار غبار دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وقد لحق بهم فى عشرة آلاف فارس لأنه لما أصبح فى اليوم الثالث طلب عنتر فما وجد له خبر فعلم أن نيران قلبه قد حملته على المسير وأراد بذلك التخفيف عن قلبه فتعجب من علو همته وقد أتى بالفرسان الذين قد كان أمرها بأخذ الاهبة وجد المسير فلحق عنتر كما ذكرناه فلما أجمعوا اعتب دريد على عنتر دريد وكيف سار على حالة الانفراد وطلب أن يعانى الأمور كلها بنفسه من غير أجناد فقال عنتر والله يا أبا النظر لقد أتعبناك بنزولنا عليك وكل ما قلنا تتحمل عنك الاثقال ماتوا فى الأيام والليالى فقال دريد يا حمية عبس إيش هذا المقال وحق من يعلم وزن الجبال ان هذه الأمور ما تخطر لى على بال لأنى مارسها زمنا طويل وعرفت منها كثير غير قليل ثم أقاموا فى ذلك المنزل حتى استراحوا ورحلوا طالبين ديار بنى عبس وهم يجدون المسير (قال الراوى) وكان القبائل على بنى عبس قد اجتمعت كما ذكرناه وهم منتظرون عساكر النعمان تأتيهم قبل قدوم عنتر وما زالوا كذلك حتى صار بينهم وبين عنتر ودريد ليلة واحدة وأتوهم الجواسيس وأخبروهم بوصول الجيش فصعب ذلك على قيس وقال هذا أمر ما كان لنا فيه حساب وجيوش صعبة ناما وصلت إلينا وعنتر والله ما كان يؤخذ له مال ولا جريم ولا عيال ثم أنه أحضر سنان بن أبى حارثة ومشايخ بنى فزارة وحدثهم بما جرى فلما سمعوا ذلك امتلأت قلوبهم فزع وقال سنان والله يا قيس ما ينجينا إلا المحال والخداع والا بلينا من مقرى الوحش وعنتر ودريد بمصائب الاثقال ونهب الأموال فقال قيس وكيف تكون الخديعة أخبرنى بها فقال سنان أول ما نعمل نرضيهم بالحريم والعيال ونسلم الكل اليهم من غير قتال وأتقدم أنا وأنت وجماعة من ساداتنا والأبطال ونقول لعنتر أيل ما نلقاه وحق اللات والعزى يا أبا الفوارس ما صرنا إلى ديار دريد الا نترضاك ونرضك إلى أرضنا والاطلال لأنها بقيت بلا محامى بازين الموالى ورضينا أن نوفيك دم من قتل منا من الأبطال ونرد إلى ديارنا والأطلال لأن جورك علينا أحب من عدل غيرك الينا وانا لما وصلنا الى أرض الشيخ دريد ما رأيناك وسمعنا أنك فى بلاد اليمن فصعب علينا ذلك وما رأينا على أنفسنا أن نعود إلا بفائدة فجمعنا رأينا على أخذ عبلة ومن معها من النساء وأظهرنا الغارة حتى أنك اذا رجعت من بلاد شريف وسمعت بأعمالنا تسير الينا ونلتقيك هذا الملتقى ويعود شملنا مجتمع ويعود عدونا خاسرا نادما فإذا تم عليه أيها الملك هذا المرام ونزول عندما وطلب المقام كبسنا عليه هو ومن معه وهم فى المنام ووضعنا

فى الجميع الحسام وإن لم ينطل عليه فهو يستحى ويرجع عنا ويكون قد رددناه بالمكر والمواقعة خير ما تلتقيه بالحرب والمكافحة لأنى أعرف أنه شديد مع كونه عبد مريد فقال له قيس والله ياسنان أن هذا الكلام ما ينطلى على عنتر ولا غيره من البشر وأن رجع هو ودريد فما تكون إلا حيالا فزعانين فقال سنان دعه يكون لأننا ما قصدنا غير المهلة إلى أن تصل إلينا عساكر النعمان مع حصن حذيفة والربيع بن زياد وتلحقه ولو طار إلى آخر الدنيا ولا نزال حتى تبلغ منه الأمان فقال قيس أفعل ما بدا لك فعندها رجع الشيخ وهو فرحان ومن ليلته أمر العبيد أن تنحر النوق والجمال والأغنام ويرقوا المدام ولما كان من الغد أشرف عليهم عنتر ضحى نا هو ومن فى ذلك الجحفل الجرار فطلع لهم قتام وغبار وكان القوم قد لبسوا السلاح واعتدوا للحرب والكفاح وعلا الضجيج والصياح وأبصر سنان ابن أبى حارثة هذه الأمور الكبار فخاف من القبائل والعشائر فأخرج المولدات بالدفوف والمزاهر وتصففت على جانب الطريق وألبسهن ألوان تبهت النواظر وصاح فيهن وقد أبعدن عن المضارب والعشائر وأزعجن الدفوف وقال لهم سنان يا بنى العواهر ارفعن أصواتكن بهذه الأبيات الحسان .

عاد حامیتنا ٭ سالما بعد البعاد ٭ فاشكروا الله جميعا ٭ واحمدوا رب العباد قال الراوى فعند ذلك ضربن المولدات الدفوف ورفعن الأصوات بالأبيات فى تلك الفلوات حتى باتت الأعلام والرايات وانتشرت الجيش فى الفلوت بعد الاجتماع وطلب بعد المضيق الاتساع وكان عنتر فى المقدمة ينظر من يقدم عليه فلما رأى المولدات وهل يمدحن عنتر بهذه الأبيات فاخذته الحيرة والبهات ووقف هو ودريد بعد الجد والطلب وتعجب غاية العجب وقال لمقرى الوحش ولمن معه أنش بال بنى عمنا ماركبوا إليه وما بال هؤلاء المولدات تنضربن بالدفوف بين أيدينا لايكونوا قومنا قومنا زوجوا نساءنا إلى عيرنا فضحك مقرى الوحش وقال جزاك الله كل خير على بشارتك وتبسم دريد وإذا هم بقيس قد أقبل وجولة أعمامه وأخوته والكل خاليون من السلاح متاهبين للحرب والكفاح وعليهم الثياب المصبغات والعمائم المفلوقات ومازالوا سائرين حتى قاربوهم وترجلوا لعنتر لما قاربوه ونظروه فتقدم إليه سنان بوقاحته وهو يقول أنت تقول ياحامية عبس أنك ما ينطلى عليك المحال ها قد أعدناك إلى أرضنا بالخديعة والاحتيال ووهبنا لك مافعلت فى حقنا من القبائح والفعال ونحن نسأل الله ان لا يعدمنا شخصك على كل حال لأننا ما ننام فى امان اذا لم نعلم أنك عندنا فى الأوطان ثم أنه حدثه بالحديث الذى كان بينه وبين الملك قيس وأظهر له أنهم

ماطرقوا دياره وسبوا بنت عمه الاحتي يأتى إليهم هذا وعنتر مطرق برأسه إلى الأرض لا يشيلها من شدة الحياء والخجل وحار فيما يقول ويفعل وعول على الرجوع ورد العنان وإذا بأخيه شيبوب تقدم إلى سنان وقال له يا شيخ الشوء أنت ذكرت إنكم ماسرتم إلينا وسبيتم حريمنا إلا حتى يعود أخي إليكم ويصالح كم ودريد أيش كان ذنبه حتى قتلتم رجاله وسبيتم ماله فقال سنان يا شيبوب نحن ما تعرضنا الحريم دريد إلا حتى يأتى مع عنتر وينزل عندنا حتى نخدمه ونكرمه ونجازيه على مافعل بأخيك لأنه أضاف ابن عمنا وقد أحسن إليه وأما تعرضنا إلى رجاله فما كان باختيارنا وإنما لحقوا بنا القوم ونحن عائدين بالحريم والعيال وتعرضوا إلى حربنا والقتال وما سمعوا منا مقالا فقتل بيننا وبينهم من دنا أجله وندم كل واحد منا على عمله ونحن ما نترك سيدنا دريد يعود إلا أن ندفع له دية من قتل من رجاله فتبسم دريد من هذا وعلم أنها خديعه ومحال وأن القوم قد عجزوا عن الحرب وابصر وعنتر وجهه من الحياء فرجع معه وهو يقول والله يا أبا الفوارس لو كان أحد غير بنى عمك وقومك فعلوا معنا هذه الفعال ما كنت تركت منهم بشر ولا أبقيت منهم أنثى ولا ذكر فقال عنتر وحق نعمك أنهم يستحقون أكثر من ذلك لاسيا بنى فزاره ولكن من رمى سلاحه حرم قتاله ولكن بلغنا المنى بخلاص عيالنا وأموالنا ورأينا سادات قومنا بين يدينا مثل العبيد لو كانوا قاتلوا ما كنا تعبنا معهم ولو ظفرت بأحد منهم ما كان يطيب على قلبى انى أقبله وإذا أسرته مالى يد يمتد اليه حتى أ تلفه ثم أنه أنفذ أخاه شيبوب وقال له قل لسنان يرسل حريمنا إلى عندنا وأعلمه أن محاله ما انطلى علينا فقال شيبوب والله ما كان الصواب الا قتل بنى فزارة وبنى زياد الغدرا بين العبا لأنهم لو ظفروا بنا ما أبقوا علينا فقال عنتر صدقت ولكن قيس وأخواته هم الذين يمنعونى من ذلك لانى ما أنسى جميل أبيهم الملك زهير والحاقه لى بالنسب فعاد شيبوب إلى سنان بهذه الرساله التى ذكرها ودريد أخذ جماعه من الرجال حتى يرد العرب والمواكب وجميع الفرسان ونزل بالجميع فى البر الوسيع وأما شيبوب فإنه وصل إلى سنان وأعلمه بما قال أخوه فاظهر أنه صعب عليه وصار يضرب يد إلى ويقول واحرباه ما الذى قسى قلب حاميتنا علينا حتى ما بقى يقبل سؤلنا ولا يأنف أطلالنا بالله عليك يا شيبوب ترجع إليه وأساله حتى يرجع وينزل عندنا فى الديار وبالاطلال وإلا ما يكون لنا مع النسوان هدو وقرار ولولا دريد معه فى هذه العساكر الغربيه وخوفنا من الفضيحة كنا أخرجنا حريمنا مكشوفى الروس يسألوه فى النزول

(تم الجزء الثالث والعشرون ويليه الرابع والعشرون)

الجزء الرابع والعشرون

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) فقال شيبوب والله ياسنان كل هذا محال ونفاق وضلال ثم أنه صار معه وحل أصحابهم من ذلك الاعتقال وأمرهم أن يسوقوا المال والعيال ورحل إلى بنى هوزان وجشم واجتمع كل واحد بمن معه من النسواز والخدم وكذلك عقرى الوحش اجتمع بزوجته مسيكة وولده سبيع اليمن وكذلك عنتر اجتمع بعبلة وشكى كل واحد لصاحبه ما يجده من ألم الفراق ثم وصلت إليهم الطعامات والاقامات فما تعلوا منها بشىء بل رددر بدا الجمع وأقاموا حتى تنصف الليل ورحلوا يقطعون السير وبنهضة بنى فزارة قد تضاعف فى قلوبهم وما زالوا فى رحيل وفى إقامة مدة أربعة أيام وفى اليوم الخامس من أول النهار طلع من خلفهم غبار وقتام مثل الظلام فوقفوا يتحدثون فيه وإذا بغبار آخر طالع من بين أيديهم وهو قاصد إليهم فحاروا من ذلك ووقفوا ينظرون إليه وضاق فى أعينهم الفلا وبعد ساعة راق الغبار وانجلى وارتفع من الصياح ولا وبانت لهم أعلام عراقيه وبيارق حمر كسرويه ورايات سود نعمانيه وسيوف يمانيه فى أيدى رجال تصارع المنية وكان أكثر ضجيج الجيش الذين فى المقدمة وهى تنادى إلى أين أنتم رجعون ياأنذال العرب وبنى فزارة لكم فى الطلب تظنون أننا ما صرنا كم إلا بالخداع ودفعنا لكم الأموال إلا حتى تصل إلينا عساكر الملك النعمان وتتبعكم إلى أبعد مكان ولا نرجع عنكم حتى تجلكم نهبا للعقبان قال الراوى وكان السبب فى مجىء هذه العساكر من بلاد العراق واتباعها لعنتر فى تلك الاوفاق وذلك أن الربيع كنا ذكرنا قبل هذا الايراد أنه أخذ أعمام الملك قيس وحصن بن حذيفة ومضى إلى النعمان يشكو له عنتر وكيف عاونه دريد وقد أنزلة عندة وقواه بعساكره إلا أنهم وصلوا إلى الحيرة ودخلوا على الملك الأسود وشرحوا له قصتهم فدخل بهم على أخيه النعمان وقبل البساط حصن وبكى وانتحب وصاح واحرباه ياملك ما بلى أحد مثل ما بليت ولا لاقى مثل ما لقيت لأن أبى قتل وأعمامى قتلوا وذبحوا مثل ما تذبح الأغنام وربيت أنا يتيم مثل ما تربى الأيتام ولما كبرت قنعت بمالى من المال وقلت أقضى عمرى وأصبر على جور الزمان فسلط الله على عنتر بن شداد يغزونى كل يوم فى الأوطان ويقتل كل من تقع عينيه عليه من الأخوان ويسبى البنات والنسوان ويسوق كل ما يراه

من الأموال ولا تسمع له مقال ولا يخطر الموت له على بال . ثم أنه حدثه بما تم عليه وسأله المعونه ففرق له قلب النعمان وبدل خوفه أماناً وأمره بالجلوس وأخذ الربيع إلى جانبه وأكرامه وقال له يا ربيع لم تنهوا هذا العبد الهجين عن هذا الرجل المسكين لأن الخبر قد وصل إلى حصن قد وهب لكم دم أبيه وأعمامه ولما انكسر عساكر الهيام ورجعتهم إلى ما كنتم عليه ورضينا لكم وقر قراركم عدتم تفكرتم الاحقاد فالذى فعلتم فى حق عنتر بن شداد فقال الربيع قاتل الله من ذكرت وقتله وإلى المهالك أرسله لأنه ما بقى لأحد عنده قدر ولا قيمة وحرض النعمان على هلاكه ثم انه حدثهم بحديث مالك بن قادم والجارية نورا وزاد عليه أضعافه وهو لا يخشى الله ولا يخافه ثم قال أيها الملك وما أتيت أنا وهؤلاء القوم السادات وقصدناكم إلا خوفاً على أنفسنا وعليك لأنه مع تجبره التجا إلى من هو أجهل منه وهو دريد الذى تفرد بالعمر الطويل ونحن ذللنا لهم وقد أرسل عنتر يقول لنا وحق ذمة العرب إن لم تأتوا إلى سيدى دريد وتخدموه وتبالغوا فى خدمه وتدخلوا تحت طاعته وتخلفوا اله أنكم تكونون معه لا عليه لافعلن بكم ما أقدر عليه لأنى فى هذا العام أريد أجعله ملك العرب ونائب كسرى فى مكان صهركم النعمان وإن أبى كسرى زلزلت على رأسه الايوان وهدمت بيوت النيران وأشتت الأعجام إلى اقصى خراسان وأوك مولاى دريد ملك العرب والأرض فى طولها والعرض لأنه حقيق بهذا الحال لما فيه من العقل والكمال قال الراوى وطرز الربيع على هذا الكلام فقال وأننا أيها الملك لما سمعنا هذا المقال ماقدرنا نكافئه على هذه الفعال من كثرة ما حوله من القبائل والرجال ومن شدة خوف قيس على نفسه وعليك أنفذنى اليك ولا أدرى ما تم بعدى من ذلك العبد الزنيم والوغد اللئيم قال فلما سمع النعمان هذا المقال تزعزع من على سريره ومال وانطلى عليه ما قاله الربيع من المحال ثم قال وذمة العرب الأخيار ما كنت أظن ذلك إلا من جهل صهره ذو الخمار وأنا كنت أصدعنه لأجل بعد الديار وأحسب أن دريد يودعقلة وبعد هذا فقد احتكم الأمر وما بقى يأخذنى عنه صبر لأنى أعلم أن عنتر يقوى قلب ذو الخمار لاسيما وعنده اليوم فرسان أوقاح تلتقى بصدورها عوالى الرماح مثل عنتر وذو الخمار ومقرى الوحش وعروة ودثار والعباس ومثل لاؤلاء الفرسان العرايش وما فيهم إلا من يلتقى الفين فارس ثم أنه بعد ذلك التفت إلى من كان عنده من أهل دولته وشاورهم فى أمره وقصته فقالوا أيها الملك أن المملكة لها شروط محكمة ويجب على الملك أن يتركها مقدمة وهو أن يضع السيف فيمن بغى واقامة الهيبة على من طغى ويرسل من يأتون بالكل مكتفين معقدين بعدما يتزلون بهم البدع ويدمرون الخوارج وأهل الطمع

ويتركون أرضهم خرابا بقلع وتتأدب بهم فرسان العرب وتقع الهيبة في سكان البرارى والقيعان قال الراوى فلما سمع النعمان ذلك الخطاب عرف أنه صواب فأكرم الربيع ومن معه ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع جمع العساكر وفرسان العشائر فكانوا مائة مقدم من كل أمير وشجعان قد سما بالفروسية فى سائر البقاع وكل واحد منهم يحكم على طائفة من الفرسان وقع عليهم أخوته عمرو بن هند والأسود وأمرهم بالمسير فى ذلك البر والفدفد وقال لهم اجعلوا قصدكم إلى ذلك العبد الأسود فأجابوه بالسمع والطاعة وقد ملأ قلب الربيع فرحا بكثرة تلك العساكر والأجناد وأمل أنه يبلغ بهما المراد وسار يحث العساكر على قطع القفار وأن يجدوا المسير بالليل والنهار وأى قبيلة مروا عليها أدخلوها تحت الطاعة ويأخذون منها جماعة ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى بنى عبس وهم فى ثمانين ألف فارس من كل مدرع ولابس وكان نزولهم بعد رحيل عنتر بيومين فلما وصلوا استقبلهم الملك قيس وسنان وفرحوا بمن معه من الفرسان ثم أنزلهم فى أعز مكان ونحروا لهم النوق والفصلان وامتلأت أرض الشربة بالجيوش والفرسان وضجت الأقطار من صهيل الجنائب واعتمت المشارق والمغارب ولما نزلوا وحضر الطعام حدث قيس لربيع بما جرى لهم مع عنتر وما فعلوا معه من المحال فلما سمع الأسود ذلك الكلام قال لهم وفى كم هؤلاء الأنذال فقال قيس فى عشرة آلاف ولو كنا علمنا أنكم هكذا أسرعنا لطاولناهم بالقتال حتى لحقتنا بهؤلاء الأبطال فقال الأسود إذا كان الأمر هكذا فنحن نلحقهم فى الطريق ونعدمهم السعادة والتوفيق لأن سيرهم على سير الجمال والحريم ونحن تحتنا خيول جياد يبلغ بها منهم جميع المراد ثم أن الربيع الزياد أخذ جماعة من بنى فزارة وفرقة من بنى شيبان نحو عشرون ألف عنان وقال للملك الأسود أنا أسير بهذا الجيش مع مواضع أرعها واستقبل العدا وأمسك عليهم المقدمة حتى لا يهرب منهم نسمة واحدة فقال الاسود افعل ما تريد وخذ أنت وأصحابك فى القفار والبيد ثم أن الاسود سير أخاه عمرو بن هند فى عشرين ألف فارس المسيرة وقيس بن زهير سير بعض الابطال فى عشرين ألف مضافة على الميمنة وسار هو خلفهم فى باقى الجيش وخلف على الحريم بعض إخوة قيس وجدوا السير حتى لحقوا دريدا وعنترا وحققت الحقايق وطبقوا عليهم من جميع الجوانب وخفقت البيارق هذا والاسود أرسل إلى دريد قبل الحرب رسولا يقول له اعلم يا دريد أن أخى نايب الملك العادل النافذ الأمر فى جميع القبايل أنفذنى إليك فى هذه البلاد بهذا المسير إليه والوقوف بين يديه وتطأ بساطه ويسألك عن شىء سمعه عنك من أقواله وأكثر

ظنة أنه من الحساد وأنا حمدت رب السماء حيث لحقتك فى الطريق وتسهل الأمر من غير تعوق فان كنت سامعاً مطيعاً لله وللدولة الكسروية والأمر النعمانية فانقذ أموالك وحريمك مع طائفة من أصحابك واجب ملك العرب حتى تروحم نفسك واعترف بالعصيان وإلا سرت نهباً للعقبان وهذا ما عندى والسلام قال الراوى فلما وصل الرسول إلى دريد بهذه الرسالة وسمع هذا المقال أحضر عنتر وأخبره بهذا الخبر فاحترقت أحشاه واحمرت عيناه حتى بقيتا مثل احمر الاجمر وقال للرسول وحق من أطلع الشمس والقمر وأمر السحاب فالهدر وأروى به الارض والحجر لولا أنك رسول لجعلتك منهم أول مقتول أرجع يا ويلك إلى الأسود واعلمه وقل له يقول لك عنتر بن شداد لا تغتر بهذا الجموع فلا بد أن ما تركها فرقا ستمزقه طعاما للوحوش وأجسادها ممزقة وأنه ذل واحتقر أن يسير اليه دريد شيخ العرب أو يقدم عليه أو يقف بين يديه لانه أشرف منه قدرا وأنفذ فى العرب حكما وأمرا وفى هذا العام يصير نائب كسرى وافتح له الأرض برا وبحرا وأما قوله يصالحنى على بنى عبس فهذا شيء لا يكون أبدا وما داموا اشكى فى إلى صهرهم النعمان وطلبوا هلاكى بجمعة معربان فسوف أجازيهم بما فعلوا وقد ندمت كيف وعدت وما أثرت فى بنى فزارة فلو كنت عملت بتدبير قيس وما صنع ما كنت رجعت حتى تركت ديارهم بلقع ولكن هذا أو غيره ثم ضرب أكتاف الرسول بالسوط وصاح فيه صيحة أزعجه وقال له ارجع خائبا مما جئت له طالبا فرجع الرسول إلى الأسود وهو لا يعقل على نفسه وأعلمه بما قال عنتر فعظم مصابه وغاب عن صوابه وكان الليل قد اقترب فأقام ينتظر رحيل الظلام لأنه وجد كلام عنتر أشد من ضرب الحسام ثم قال للرسول وما تكلم دريد بكلام فقال لا وحياتك يا مولاى ومن عظم ما جرى عليه ما نام ولا ذاق طعام حتى أصبح الصبح وأمر الطوائف بأخذ الأهبة للحرب والكفاح وكان عنتر ودريد باتا يحرسان الحريم ويتشاورون القاء هذا الغريم والجيش العظيم حتى بانت غرة فى بنى هوزانة تبادرت إلى ظهور الخيل أسرع من نزول السيل وكان قسم تسعة آلاف على ثلاث جهات وأما عنتر فانه حلف ما بقى من بنى فزارة أحد ولا يحمل على هذا الجمع إلا فارس ومقرى الوحش قال الراوى ولقد كنت معهم حاضرا فى هذه الوقعة لما حملت الخيل على بعضها فى هذه البقعة فرأيت الأقطار وهى ترتج والرجال حملت من كل فج وما منهم إلا من زعج وضج وما بقى الجبان حجة يحتج بل امتدت امتداد الافاع وزاد الغبار علو وارتفاع وما بقى فى الممات حتى تزلزلت البقاع بعد وضاق الاتساع وهمت والسباع كان نظرهم يغنى عن السماع وقد

فقسمت الاجساد أثلاثاً وأرباعاً وبقى بينهم بين الموت باع أو ذراع وما رأيت ولا سمعت أعجب مما جرى للقوم فى ذلك اليوم ولقد حضرت وقعات كثيرة من وقعات عنتر فما رأيت مثل هذه الوقعة التى تذكر لأن الطائفة القليلة كانت أبطال أقيال لا يرون على أنفسهم الفرار فاظهرت فى ذلك اليوم العجائب والطائفة الكثيرة كانت تدفق من كل جانب ومقدموها يرمون أرواحهم على المصايب وعنتر ودريد ومفرى الوحش يصارعون المنايا مثل السلاهب بقلوب قد تعودت بخوض الأهوال والمصايب وأصبح الطفل من هول ذلك اليوم شايب إلا أن المسا ما أمسى إلا وما فيهم من يعرف الدهر أحسن اليه أم أسا وقد رأوا أكثر الأعداء وقد ملكت أكنز المال والنسا وهم ما بين لعل وعسى وعنتر قد فتك فى بنى فزارة وأعاد بحهم إلى خسارة ولكن ما عاد الا وهو مثخن بالجراح ولكن قد شفى فؤاده وقتل ألف ومائة قتيل وعاد وهو فى حالة العدم مما جرى عليه من تلك الخلائق والامم ورجعت الفرسان وقد تحطمت رماحها وعدمت صلاحها فكان القوم كما قال فى حقهم الشاعر هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

لقيناصدور الخيل والجو أسود	وبرق المنايا فى الجوانب لامع
فما أمنا من سيد وهو مصلت	لسيف سوى أن طاح منه الاصابع

قال الراوى وكان دريد قد جرح فى ثلاثة مواضع إلا أنه فعل فعال الابطال والرجال وأما مفرى الوحش فانه كان من نصف النهار قتل جواده وقاتل عنه حتى ركبه جواد من خيول المعمعة ولكنه ماركب حتى سالت دماه من جسده وعدم صبره وجلده ونثر من حوله للفرسان وأهلك منهم نحو مائة فارس من الاقران ولم يزل الواحتى ولى النهار وأقبل الظلام فافترقوا عن القتال والصدام هذا وقد نزلت بنى عبس وهوزان من حول الحريم وهم فى هم عظيم وشد كل واحد جراحه واجتمعوا للشورة والمقال فى أمر الحرب والقتال فقال دريد يا قوم لو قاتلنا من جهة واحدة ما كانت جرت علينا هذه الاهوال الزائدة فقال عنتر يا أبا النظر إذا كان الامر على مثل ذلك الحال فعند ذلك نترك العيال وسط النوق والجمال ونأمر العبيد بسوق المحال السوق الشديد وتحمل على الجميع ونجهد ونطلب التل الذى عليه الملك الاسود ونجعل قتالنا من جهة واحدة ونطلب من الله المعونة والمساعدة وإن رأينا أمر أتعسر علينا والاعداء قصدونا سقنا الجمال بالاسنة وميلنا كل الميل وصدمنا بها صدور الخيل فهى يفرقها عنا فى مبيداء فقال مفرى الوحش هذا الصواب ثم من هؤلاء وأما ما كان من الملك الأسود فانه أمسى عليه المساء إلا وهو ضيق الصدر من

هذا العمل وما يدرى كيف يكون العمل فذكرت له فرسان قبيلته بأنه قد قتل منهم ستة آلاف قال الراوى فبينما هم ذلك الكلام وإذا حصن بن حذيفة داخل عليهم فى سادات قومه وهو زائد الاساوس وذكر أنه قتل منهم أربعة الاف وسبعمائة فارس فزاد بالاسود البلبال وباتوا وهم يشتكون إلى قيس من هذه الافعال والاسود يقول ما بقى قدوم لاخى النعمان ملك ولا حكم إن لم يقتل عنتر ودريد لاننا جاهرناهم بالعداوة وما شفينا منهم قلبا ولا بقى الصحيح منهم رجال مثل هذه النوبة ما بقى يتفق لنا لانهم فى قلة ونحن قد ددنا بهم من كل جانب ومكان فقتال قيس لا يصعب عليك أيها الملك هذا الشأن لان القوم ما باب فيهم من يقدر أن يشيل يده إلا وهو من الحرب تعبان لاسيما هذا الشيطان عنتر الذى هو أسد قسور لانى اليوم جعلت أبالى مع فى قتال العرب فرأيت منه العجب وما عاد عند المسا الا والدما من سائر جسمه تنكسب وتجرى مثل أفواه القرب والصواب أننا كلما عند الخروج اليه من تحت الاعلام نهجم عليهم وتكون أنت بيننا وهذه القبائل معنا وقد بلغنا المراد ونفترسهم مثل الاسود فعند ذلك قال الملك الاسود ليس إيش تقول لى فى كبسهم عند الصباح ماداموا تعبانين وهم فى هم الجراح فقال قيس ما هذا صواب لان الفرسان الذين نحن لهم طالبون إذا رأوا الغلبة ولوا هاربين ويدعوا السيف يعمل فى القبائل ونخسر نحن وهذه الجحافل فقال الاسود أنا عند الصباح أحملى بروحى الى المجال وأباشر الحرب والقتال ثم أنهم باتوا ينتظرون الصباح إلى نصف الليل فسمع عنتر ودريد حوافر الخيل والقبائل تفرقت والكتائب تمزقت وصارت كلها من جهة واحدة ولم يعلم دريد وعنتر ما الخبر بل قال عنتر وحق أمة العرب ما رجعوا عنا إلا لسبب أما خبر يشوم قد وصل اليهم نازلة نزلت عليهم ولولا هذا الطعن والحريم وكنا تبعناهم وعلى فعالهم لى حيث لا يرجعون لانهم كانوا طمعوا فى نهب أمرنا وسبى عيالنا وظفرهم بنا فى البر الواسع والقفر الشاسع الذى لاحد منا مكان يلتجىء اليه ولا خيل تجول فيه والصواب أننا نسير إلى الاوطان وندبر بعد ذلك أمرنا ونجازى الملك النعمان على هذا الامر والشان فقال الامير شداد والله يا أبا المظفر لقد قلت الصواب وأشرت بالامر الذى لا يعاب لان أكثرنا جرحى بأسوأ حال ومعنا من يشل قلوبنا ولا يمكننا من القتال ثم أنهم ساروا طالبين ديار هوزان وقلوبهم على الحريم وهم يتحدثون فى رجوع هذه العساكر بعدما كانوا ظافرين قال الراوى وكان السبب فى تلك الحادثة سنان بن ابى حارثة أن يسهر اليهم بعساكر الشام وترك نساءهم أرامل والاولاد أيتام ويرسل بعض العساكر الى

البيت الحرام وبعد ذلك أخذ فى جميع الفرسان من كل جانب ومكان وأقبلت إليه أهل السواحل وبلاد حوران وانفذ الهدايا الى رهبان نجران وصار يطلب منهم الدعاء فى دياجى الظلام وأراد بذلك أن يقيم جاهه ويعظم شأنه عند صاحبه ملك النصرانية فوصل رسول سنان وهو يعرض عساكره فى أرض الاعناك فكانت مائتين وسبعين الف عنان وفيهم طائفة جاءت من داخل الجزائر لاجل الاقامة فى الشام وزيارة بيت المقدس وعين سلوان فلما قدم رسول سنّان ساله عن مولاه فقال له انه فى انتظارك لأن أعدائك وقع بينهم الخلاف وصيدى عول بعد فناهم على الاقامه عندكم لأنك اذا أخذت ثارك وكشفت عارك وأهلكت عنتر وبنى عبس ومن يلوذ بهم من خلفائهم رحلت معك فلما سمع الحارث هذا الكلام طاب قلبه لهذا النظام ثم أنه رحل من ساعة طالبا أرض الحجاز وديار عدنان فلما وصل اليها بعد رحيل قيس وعساكر النعمان بيوم واحد أمر الحارث بالقبض على الجميع ووكل على الحريم وعلى الاموال جماعة من فرسانه الابطال ونظر بنى عبس الى تلك العساكر فايقنوا بالتلاق ولم يقدروا على الخلاف والدنيا وقد انقلبت من لمعان البيارق والصياح الذى عم على المشارق والمغارب هذا وقد نزلت الفرسان من بنى غسنان وملؤا البرارى والقيعان قال الراوى ولقد أخبرت انهم قد تجمعوا لذلك من أرض بنى عامر الى أرض بنى فزارة إلى وادى اليعمورية الى وادى الغزلان حتى ضاق بهم المكان والحارث نزل على رأس العلم السعدى وضربت لهم السرادقات والخيم وكان المقدم على غسان فارسا يقال له دابق حشان وكان شيطانا فى صورة انسان فلما استقر بالحارث النزول ودارت أبطاله من هذه الديار قال أبن القوم ساروا حتى نلحقهم ولو طاروا وترسل أيضا الى بنى غطفان وتأتى بالجميع فى الذل والهوان وتمرق العساكر على جميع الطرق والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب ولا تفوتنا المطالب فاجاب دابق وفرق الفرسان على جميع الطرقات والقيعان وسال من الفرسان فقالوا له أنهم ساروا خلف عنتر مع عساكر النعمان فرجع دابق وأخبر بذلك الشأن وقال كل هذا بسعادتك يا ملك الزمان ولكن الصواب أن ترتاح حتى تأتينا أخبار عنتر وعساكر النعمان ومن يخسر أو يربح فى هذه القيعان فتركب نحن ضريع وتهلك الجميع لأن الكل أعداك وكل من هلك منهم ارتحنا منه فقال له ما أشرت الا بالصواب فارسل الى بنى غطفان من يسوقهم الى عبدى لانهم شركاء بنى عبس فى دم أصحابنا ثم ارسل جاسوسا خلف عسكر النعمان وسيروا الى بنى غطفان عشرة الاف بما جرى عليهم فتفرقوا من حول عنتر وأما قيس فإنه غاب عن الوجود وقال له هذا من سعادة

عنتر لأننا كلما تعاديه نخسر وأما سنان فانه فرح واستبشر وطفح على قلبه السرور والفرح واجتمع بحن وأعلمه بجميع الأمور وقال له ابشر باخذ الثار وكشف العار لانى ماجمعت هذه العساكر الالأجل أن أقطع آثار بنى عبس واشتفى من عنتر الكشحان فاعلم بنى فزاره بالخبر حتى تدور حول قيس والملك الاسود ومن معهم من أكابر العربان ونزعق بعيسى ومريم والصليب المصحم ونقتل صاحب العلم ونزل ببنى النقم ونخلص حريمنا والصبيان ونذكر بهذه الفعلة إلى آخر الزمان فقال حصن وكيف يبقى لنا مقام اذا رجعت إلى بلادها عساكر الشام فقال سنان وما الذى يبقى لنا هنا بعد أخذ ثارنا وكشف عارنا نعود مع الملك الحاوث إلى بلاد الشام ونقيم هناك فى أعز مقام فقال حصن أن تم هذا فقد انقطعت نارى لاسيما إن نظرت عنتر وقد نهبت جسده الرماح المدام ثم دار الحديث بين الجميع وما أعطى من السعادة والاقبال ثم جدوا المسير حتى بقى بينهم وبين أرض الشربة يوم واحد فقال قيس الطوائف خذوا أهبتكم للطعن والضرب وابشروا بالنصر على عساكر الشام لأنهم لوكان لهم قوه كانوا لحقونا وساروا على أثرنا وما أنا خائف إلا من عودتهم إلى ديارهم بالسبايا والأموال ثم أصبحوا معولين على الرحيل وإذا هم بعساكر الشام طلعت عليهم طلع واسودت الاقطار كانما نزل عليهم غمام ودار الصياح من كل الجهات وارتجت الأرض من ركض الصفانات ولمعت الصوارم الخطيات واختلفت الأصوات على حسب اللغات لأن الجاسوس عاد وأخبر الحارث بماجرى وأنهم عادوا على أعقابهم فتجهزت لهم المواكب وساروا اليهم حتى وقعت العين وانعقد الغبار من المشرقين إلى المغاربين فظنوا أن القيامة قد قامت على الفريقين وفى دون ساعة انفردت عساكر الشام وملأت الاودية والاكام وبان لهم وجه الطمع فحملت وبادرت ومواكبها أقبلت وأطلقت أعنة الخيل وارسلت والتقتها طوائف النعمان وأوقعوا بهم الذل والهوان وطلبت بنو عبس خلا الحريم والنسوان فحكمت بينهم عوامل الاشطان واختلفت الطائفتان وودعت الارواح الابدان وضاق على الجبان الميدان وفاض الدم كالغدران وتعثرت الخيل بالجاجم وحاء الحق وذهب البهتان وخرس اللسان من شدة الهول ولاح ملك الموت فى صورة انسان وهان على الرجال فقد النسوان وعاد ربحهم إلى خسران وعمل السنان فى المحاجر والعيان وحامت عليهم كواسر العقبان واشتهر الأمروبان ووقع الفناء فى العربان وتعلم السيف اليمان من ضرب العيدان من سائر الجهات وأبلغت مناها على ما كان بينهم من الاشارات وطعنوا بنى عبس صدوهم والشجعان فى

نحورهم وتحيرت بنو عبس فى أمورهم واستوحش الرفيق من الرفيق وتأخر خوفا من الممات وسمع ملك الشام أصوات بنى فزار بفقال لمن حوله حق المسيح لقد صدقت هذه القبيلة فى وعدها فاحملوا وأعينوها ومن يقدر منكم على أسير يجىء به إلى عندى حتى أسوقه إلى بلاد الشام وآخذ بهم اليد البيضاء عند الملك قيصر وقوى عزمه على غزو هؤلاء الاندال فى كل عام ولا أزال حتى أقلع أثر النعمان وأيضا كسرى صاحب الايوان وأملك العراق وأترك النواقيس تدق فى بيوت النيران فبادر والآمر وخذا أخوة النعمان فتبادرت بنو غسان وكشف عن بنى فزارة فرسان بنى غسان ووقع فى عساكر العراق الاندفاق وزعق عليهم الغراب بالفراق لأن الارواح بيعت بلا ثمن وبقيت الأجساد مطروحة على الدمن وما أمسى المسا حتى قتل من أعمام قيس ثلاثة ومن اخوته اثنان ومن بنى فزارة ثلاثة وكانت نوبة عظيمة صار فيها العزيز ذليل وكان قيس وأخوه الحارث يردان الفرسان إلى الحرب والطعان وما فيهم من يصدق أن ينجى من الشر حتى أنه طاب البر وبانت القتلى فى جنبات الفلا وبنو غسان تجمع أموالهم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فاعرضت على الحارث الاسارى وقدمت الاموال بين يديه فقال الأموال لكم فالى غرض فيها وأما الاسارى فاهريق دماءهم فقال الوزير وكان اسمه جبير وكان عاقلا أرفق أيها الملك على أسراك وافعل فعالا يزيد به جدك وعلاك لأنك سيرت إلى بلاد الحجاز عسكرا ثقيلا سابقا فما عاد منهم أحد وقتل ولدك بدر النصرانيه وكل هذا قد حط قدرك عند أهل الشام والصواب أن ترسل هذا السبى مع عشرة آلاف فارس إلى الشام وتأمر الذى يسير بهم أن يتركهم فى البلاد حتى تأمن قلوب العوام ويعلمون ان لهم ملكا قادرا على ما يريده من مراده لاسيما إذا رجعت بعنتر ومقرى الوحش وبنى عامر والحق الملك قيصر باهل هذه البلاد لاننى أقول أنه إذا نظر إلى هذا السبي والاسارى يقويك بعساكر الروم ويهبك هذه المعالم والرسوم تصير الأرض كلها إلى بنى غسان وتعلو ملة المسيح فى كل مكان وان كسرت النعمان وفتحت بلاد كسرى وخرجت بيوت النيران تبقى تذكر فى هذه الفعلة ما بقى الزمان وترضى عنك القسوس والرهبان وتحمل الجزية عباد النيران إلى عبده الصلبان فلما سمع الحارث هذا الكلام زاد به الطمع وقال له يا حكيم دبرانت هذا الأمر ثم احضر سنانا وسادات بنى فزار واخلع ثياب الديباج واعطهم العمائم وورد عليهم حريمهم والعيال وقال لهم اعلموا أنكم ما فعلتم هذه الفعال وبقى لكم فى هذه الديار قرار والصواب أنكم تسيرون مع أهلكم من يوصلهم إلى بلاد الشام حتى إذا رجعنا من هذه الاوطان أوقفت لكم أرض حوران فقال سنان هذا مرادنا لأننا بلغنا من بنى عبس غاية

المراد وإذا وقع عنتر فى أيدينا انطفت منا نيران الفؤاد فقال لهم ابشروا بما اشتهوه وأنا أبلغكم جميع ما تريدون وإذا وصلنا إلى منازل دريد قلعنا أثر كل بنى هوازن وجشم ودبرنا على أسر عنتر أن وسقناه من جملة الاسارى فقال سنان أولم أيها الملك أننا إذا صرنا كواحد منكم يجب على أن أنصحكم والرأى عندى أن نجعل طريقنا إلى بنى عامر ونبادرهم قبل أن يصل اليهم خبر هذه العساكر فإذا نحن قتلنا فرسانهم أو سبينا نسوانهم تبقى نطاب عنتر لأن عامر وملاعب الاسنة يشتدون مع عنتر ودريد لأن بينهم وبين القوم نسبا وإن لم نبادرهم قبل اجتماعهم والا طال مطالنا وكثر صدامنا فلما سمع الحارث ذلك الخطاب رآه صوب وقال لسنان افعل ما تختار فانت أخبر بهؤلاء الأشرار ونحن إذا عادت سرايانا من بنى عطفان سرنا إلى بنى عامر ووضعنا فيهم السيف ثم أنهم نزلوا فى الخيام يطلبون الراحة وإذا هم بسبى بنى غطفان وضجيجهم أقلب القيعان لأنهم كانوا غافلين عن نوائب الزمان فاحاطت بهم جنود بنى غسان ووضعوا السيف فى الفرسان وسبوا الأولاد والنسوان وساقوهم عن آخرهم حتى وصوابهم إلى ندا الحارث ففرح بهذه الأمور وزاد به السرور فقال وزيره جبير اخلط هؤلاء الانذال على هؤلاء وسيرهم عند الصباح إلى الشام بحريمهم وأموالهم وأوصى الذى يسير بهم أن يسوقهم وكل من وقف منهم يضرب رقبته فقال الحارث أفعل ما تريد ثم أنه جمع السبى على بعضه وصار بهم يقطع الأرض وكان بكاء النسوان قد ملا القيعان إلى أن أصبح الصباح وعول الوزير أن اسير بهم واذا بخمسة نجابة قد أقبلوا من ناحية بلاد الشام وتحتهم نجب قد أشرفت على الهلاك من شدة السير وفى دون ساعة حضروا قدام الحارث وكان معهم كتب فسلموها اليه واذاهم من عند قيصر ملك الروم يقول فيها للحارث الذى نعلم به المقدم المجاهد فى طاعة المسيح أنى بعد ما أذنت لك بالمسير الى بلاد الحجاز وصلت الى عندى مراكب بعدد النجوم والكواكب وفيها طوائف مختلفة الأجناس كلهم من غزاة الافرنج وهم يزيدون عن مائتين الف من الفرسان كلها أقيال تلتقى بأسنتها صدور المنايا ولا تبالى بالاجال ولهم مقدم يقال له الخيلجان تفزع منه الإنس والجان وهو الذى فتح جزائر البحار وخرج يطلب نصرة عباد الصلبان ويهدم بيوم النيران وأريد منك منك أن أخذت ثارك أن تسير الى أرض الكوفة بعساكر غسان وتكفينا مؤنة النعمان وقد تيسر الأمر وهان فلما سمع الحارث ذلك الكلام فرح واتسع صدره وانشرح وقال للنجابة ومن أين فارقتم الملك الرجيم فقالوا له من الغداة فقال الحارث هكذا تريد حتى تملك الدنيا وبعيد ثم أنه خلع على النجابة وقال لوزيره تمهل حتى تأتى سبايا بنى عامر ونسير كل السبى فى مرة واحدة ونسير الى نصر

قيصر بهذا الفتح الاكبر ثم أنه سار فى خمسين الف فارس غير الطائفة المعدودة من الروم والافرنج وكان بين الأرض التى رحلوا منها وبين أرض بنى عامر سبعة أيام فقطعها الحارث فى خمسة أيام فوصل اليوم فى سادس يوم وضيق عليهم الافاق وهم ما حققوا معرفة من أتاهم حين سمع المنادى بالهلاك قد جاءهم فحار شيخهم وفتاهم وغيبهم الغبار حتى لم يعرفوا اصباحهم من مساهم وأيقن بالسبي عبيدهم وركب ملاعب الاسنه وابن خالته عامر بن الطفيل وتواثبت الأبطال الى ظهور الخيل وانعقد الصياح ولمعت أسنة الرماح وانتشرت أعلام بنى غسان ونادوا الثار وأيقن بنو عامر بالدمار وصدمت الرجال ولمعت بروق النصال وجاء الحق وزهق المحال وقاتلت الافرنج أى قتال وأبصرت العرب منها الأهوال وفرقت الجموع ونفذت الطعنات من الخواصر والضلوع وكانت بنى عامر وكلاب اثنى عشر الف فارس فقتل منهم الى المساء ثلاثة آلاف فارس وهرب الباقون الى جبال عالج وتعلقوا فيها وتركوا هنالك الحريم والعيال وانتخوا نخوة الأبطال ونزلت عساكر الشام فى منازلهم والخيام وضيقوا عليهم المذاهب وداروا بهم من كل جانب وعند الصباح زحفوا عليهم بالسيوف والدرق فقاتلوهم حتى ازرقت منهم الحدق ولولا ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل ما كان أتى على الباقين الليل وما كان على بنى عامر أشد من سنان بن أبى حارثة لأنه كان يعرفهم المواضع والطرقات والمقاطع ويدور بهم من كل جانب ويحرضهم على قتال الرجال وبنى عامر فلما نظرت الى هذه الأهوال وأبصرت هذه الفعال يحل بها الوبال وجمعوا أنفسهم فى تلك الشعاب خمسة أيام وفى اليوم السادس فرغ من عندهم الزاد فهانت عليهم الدنيا وكرهوا الحياة بعد سبى النساء والأولاد فانتخوا نخوة العرب ورموا أنفسهم على العطب وما زالوا يقاتلون حتى أهلكوا جمعا كثيراً من الأعداء وهلك منهم بعضهم وبقوا مطروحين والباقين استوفوا ما قضى الله عليهم من القدم ونال بنو غسان ما أملوا وانفذوهم مع مقدم لهم يقال له دابق فى عشرة آلاف فارس بصحبته وقالوا له سر بهذا السبى الى الشام ها نحن فى هذا المكان حتى يصل السبى الى الأوطان فقال دابق بن حيان الى الشيخ سنان ولما نسير من هذا المكان إلى عنتر بن شداد تكون قد بلغنا المراد فقال الحارث لا بد أن نسير له ونقطع منه الاثار فقال سنان أيها الملك لا تخرق هيبتك لأن عنتر اليوم عند دريد نازل ودريد شيخ القبائل وأقل ما يكون اليوم حوله خمسين الف بطل مقاتل ما بين فارس وراجل وان سرت اليه خسرت وعاد الامر عليك وكسرت لأن دريدا عنده أبطال تلقى كل قدامك من الرجال وأنا أيها الملك قلبى فزعان من عنتر لئلا يكون وصل اليه الخبر ويعلم بمسير السبى فى البر فيسير خلفه على

الأثر و يملكه بسيفه الابتر ولو يكون معه أمة ربيعة ومضر ويرجع يطلق علينا شياطين العربان الذين تعبنا فى أخذهم وقاسينا منهم الهوان وربما سار بهم خلفنا فى الطلب وعاقنا لأنه ولدزنا وقد يحمل منه الغضب ولا يشمت بقومه والرأى عندى اننا ما نبرح هذا المكان حتى يبعد السبى من هذه الاوطان لأن لنا فى ذلك فوائد كثيرة الأول ان تكون طريقنا إلى السلامة وذلك ان دريد ما يرجع يفارق الاطلال ولا يبعد عن الحريم والعيال والثانى أن السبى الذى أرملته يكون فى أمان والثالث ان النعمان إذا سار اليك وطلب خلاص اخوته تخليه حتى يبعد عن بلاده وتدهمه اتت فى وسط القفار فلما سمع الحارث من سنان هذا المقال قال له تقول إذا هجمنا على عنتر ودريد بهذه العساكر ما نكسر همتهم فقال سنان أيها الملك ليس هذا بصواب لأن دريد فى جبال عالية يقال لها جبال غريبة وإذا حصر فيه الف بطل وطلبهم كل من كان فى السهل والجبل لا يقدرون لهم على ضرر ولو أن معهم جميع البشر ويطول عليك المطال ويتحصنون فى الجبال وربما وصل اليك النعمان ويعود أمرك إلى خسران وما عندى أحسن من المقام فى هذا المكان وترسل الجواسيس يأتوك بالأخبار ومن سار منهم اليك وسبق ملت اليه وهشمته هشم الورق قال الراوى فلما سمع الحارث من سنان هذا الخطاب بان له الخطأ من الصواب وأمرهم ان يأخذوا أخبار النعمان هذا وقد تسامعت بفعاله قبل تلك الأرض والديار وهم مقيمون حتى تصح لهم الأخبار وفى أيام قلائل وصلت اليهم الجواسيس وما منهم إلا من انبهر من شدة السير وحدثوه بجميع الأخبار وأما العبيد الذين أرسلهم خلف عنتر ودريد فقد عادوا بلا خبر وقالوا والله أيها الملك لقد سرنا ليلا ونهار حتى وصلنا إلى الديار فما وجدنا فيها أحدا لا أبيض ولا أسود غير برارى مقفرة وفلوات موعرة كأنما رميت أهلهم بسهم الشتات وأخلاها من الاحياء والأموات وكل هذا بهيبتك وقوة السلطان لأنهم سمعوا بالاخبار فرحلوا وخلوا الديار قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من جواسيس العراق فانهم اخبروه بما اجتمع من العربان وهم فى ستين الف فارس من كل مدرع ولابس وسمعنا أن قبائل اليمن متتابعه مثل العيون التابعة وتقول أنهم يشرفوا عليك بعد ثلاثة أيام سمع الحارث ذلك الكلام التفت إلى سنان وقال له تركت النعمان يتمهل فانه يفعل ما يفعل ثم أنه قام من ساعته ونادى فى عساكره بالرحيل وترك بنى فزارة فى المقدمة لاجل خبرتها بتلك البلاد قال الراوى فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عنتر ابن شداد فانه كان مقيما فى ديار بنى هوازن وهو طيب العيش آمن وراق له الزمان وقد استراح من طوارق الحدثان ودريد فى النهار جليسه ومحبوبته عبلة فى

الليل ونديسهوهم يتذكرون ماجرى لهم مع بنى عبس وكيف لحقوهم فى عساكر النعمان ولا يعلمون كيف كان سبب عودتهم وبقى كل واحد يشتهى ويعرف أصل ذلك وما زالوا على ذلك الحال فى افتكار حتى وصلت إليهم الأخبار من السفارة وحدثوهم بخروج ملك الشام ورسوله إلى تلك الآكام وما جرى على بنى عبس وغطفان وحذر بنى فزارة فلما سمعوا ذلك السبب تعجبوا غاية العجب وقالوا والله لقد افتضحت بنو عبس بين العرب ولكن بغيها ولجاجها هو الذى كان لذلك سبب ثم أقاموا على ماهم عليه من أكل الطعام وشرب المدام إلى يوم من الأيام أتاهم الخبر بما على إخوة الملك النعمان وكيف غدر بهم بنو فزارة وأوقعوا بهم الذل والخسارة وقتلوا جماعة من سادات عبس وكان ذلك من طريق الغدر وأخذوا بثار بنى بدر وأسروا الأسود وقد أعلموهم بجميع ماجرى فلما سمع الأخبار عنتر طار من عينه الشرار وقال من مثل هذا كنت أخاف على بنى عبس وكنت أنهى قيسا عن بنى فزارة وما زالوا كذلك حتى قلعوا آثار بنى عبس فقال دريد والله لقد صدقت فى مقالك فلعن الله البغى والصواب إننا نحذر من هذه الفوارس الذين كأنهم البحار الطوامس ونجعل عليهم عيونا وأرصادا وإذا سمعنا أنهم قصدوا إلينا تركنا هذه الأرض وخليناها ونزلنا فى جبال غريبة الشامخة العالية ونتحصن فى شعابها وأمنا من كثرة العساكر ولا بد أن يسير لهم النعمان بعساكر العراق ويطلب خلاص إخوته وتعمل معه نخوته ثم أن دريدا أرسل الجواسيس إلى ناحية أرض العراق وقال لعنتر حتى وصلهم حديث بنى عبس وحديث بنى عامر وما جرى عليهم من الأحوال وسبى حريهم والعيال وأخبرهم بكثرة أسرارهم وأنهم أرسلوا إلى أرض الشام ومنهم رجال وأبطال وأما الحارث ومن معه من فرسانه سار إلى لقاء النعمان فى عساكر مايصفها لسان فلما سمع دريد وعنتر هذا الخبر تأسف عنتر وتحسر وخفق قلبه على بنى عامر كما يخفق جناح الطير الطائر وقال وحق ذمة العرب الكرام إن قعدنا عن عبادة الصلبان يملكوا البيت الحرام ويحرموا العرب المسير إليه ويرموا الأصنام من عليه ويتغير مانحن عليه من الأحكام وربما يطلبون منا الخراج والعداد ويستخدمون الرجال والأولاد أن دريدا التفت إلى عنتر يساوره لأنه رآه محروق القلب والفؤاد على ماجرى لبنى عبس من الهوان وكيف تبدل أفراحهم بأحزان وهو يظهر الجلد فلما شاوره دريدا فى هذه الأمور العظيمة وجد لكلامه راحة عميقة لأن دريدا أشار إلى عنتر بالمسير فى ذلك البر والهجير فقال له ياأبا النظر لقد نظرت موضع النظر والصواب مسيرنا إليهم فان لنا فى ذلك فوائد كثيرة وهى تكون سبب النصرة

عليها والخيرة لأننا إن قدرنا على السبي الذي أرسلوه إلى الشام قبضناها وخلصناها بالحسام ولو أن معها كل من في الدنيا من عرب وأعجام وإن وقعنا بالنعمان وهو مكسور مهان نصرناه على عبدة الصبيان ولمن وجدنا له مطمعا في الأعداء هجمنا عليها وشتتناها في البداء وكل هذه الاشياء تحمد نا عليها قبائل العربار فلما سمع دريد كلام عنتر قال له والله لقد أتيت بفضلة يا أبا الفوارس ولكن قبل مصيرنا نحن حريمنا والمال ونترك عندها من نعتمد عليه من الرجال ونسير إلى قضاء هذه الاشغال ثم اهتموا في هذه الامور وحسبوا فرسان تلك القبائل الذين هاكازلون عندها في تلك المدران والمناهل وإذا هاأبعون ألف مقاتل فيها مثل دثار وخفاف ومن يجرى بجراه فقال دريد هؤلاء يكونون هنا لحفظ الحريم ويلتقوا الغريم حتى لايكون في غيبتنا لناشي في الحساب ثم أن دريدا أرسل إلى القبائل وأعلم بذلك مقدمين الجماعل أمرها بالرحيل والمسير إلى جبال عزية بجميع ما لها بالكلية ففعلوا ما أمرها ورحلوا ونزلوا في الجبال وآمن كل واحد على ماله وبعد ذلك اجتمعوا إلى دريد فامرها بأخذ الاهبه وانتخب منا عشرة آلاف فارس من الاقتال وترك خمسة وعشرين ألفا عند الحريم ومال وأوصى بها أخاه خالدا وصار يقطع الفدافد وها على جرائد الخيول والجمال لحمل الماء والزاد في تلك الفلوات وعنتر ما صدق أن تقع عينيه على عساكر الشام حتى عملت فيه النحو عمل السهام وكان ذوماري الوحش في المقدمة وفي قلبه أقوى حرارة وهو متفكر في غدر بني فزارة ومال قيس معه وكيف وقع في الخسارة وتفكر وداع عبلة له فأنشأ ينشد ويقول :

يا عبلة أشجى فؤادى دمعك الجارى ... يوم الوداع وقد حلت الافكار
قلبى بكاك ولا تبكى على طلل ... ولا على جارة كانت ولا جار
فالقوم قد وقعوا بعدى بغدرها ... وهكذا الدهر يجزى كل غدار
بغوا على وبعد البغى مصرعة ... تذل كل شجاع القوم جبار
خانوا فخانتها الايام واحتكمت ... فيها أيادى الأعادى طبق مختار
يا قيس لولا لجاجى فيك ماظفرت ... بنو فزارة منك اليوم بالثار
خلالها البر فاشتدت وقد غنمت ... وقام يخطر منها كل خطار
لو كنت معكم ونار الحرب موقدة ... سقيت كل العدا من موقد النار
بصارم فيه من ساداتها أثر ... وشاهد الخط لايخفى على الجار
فكم لقيتهموا والخيل عابسة ... كأنها شرر يخرج من النار
وعدت عنها وقد فرقتها سربا ... بأبيض ماضى الحدين بار

فلو تركت لجاجى ماتركت لهم ذكرا ولاخبرا يسرى به السارى

(قال الراوى) ثم أنهم جدوا فى المسير وقطع القفار وإذا قد ظهر من بين أيديهم غبار وغبار ورتفع [illegible] وإذا هم [illegible] ناكسين الرؤس وبيارق سود وعليهم ثياب سود وهم مثل [illegible] فلما رآهم عنتر وقف ووقفت الرجال الذين كانوا معه وأنكروا ذلك فظنوا أنهم من عساكر الشام فتحدثوا فيهم فلما رآهم القوم المقبلون عرفوهم فرموا أرواحهم عليهم وهم ينادون [illegible] صوت واحد واذلاه بعد عزاه وافقراه بعد الغنى ياحامية عبس مسنا الضر [illegible] ساداتنا وتهتكت بناتنا وقد آتيناك معتذرين وبذنوبنا مقرين ثم أن المقدم عليهم بكى واشتكى وأشار إلى عنتر يقول:

طرقتنا طوارق الحـــادث ورمت شملنا بجوار شتات
وافتضحنا بين العباد وصرنا مثلا سائرا قبيح الصفات
ولقينا فعالنــــا بك لمـــا غبت عنا يا بن الكرام السراة
فالديار التى عهدت ضراب مقفرات الطلول والعرصات
يصرخ اليوم فى رباها ويعدوا سحرا فى ربوعها الدراسات
لورأيت الرجال ما أسارى مع ملوك العراق والسادات
يا ابن شداد طالما غبت عنا بلغتنا شمــــاته الشامتات
وعلمنا بأن سيفك قدما كان لنا حصنا من النائبات
وبنوا بدر بادرنا كانوا أصل هذا المصاب و الكائنات
غدروا بعد ماوفينا وخانوا واستحلوا منا دم السادات
ذكروا وقعة المريقب لمـــا حاربونا ويوم جفر الهبات
تبعوا جدهم حذيفة فى الغدر وأباهم مع الأمهـــات
فأعفنا ياأبا الفوارس واصفح عن ذنوب مضت لنا سالفات
ياجارنا وعزنـــا وحمانـــا يوم ضرب الصوارم المرهفات

قال الراوى فمد عنتر عينه إلى الذى أنشد القصيدة وإذا به قيس بن زهير والذين معه سادات عبس وعدنان فلما عرفه عنتر ترجل إليه واعتنقه وترجلت جميع الرجال وبكى الجميع ثم تقدم بعده أخوه الحارث وقال لعنتر يا ابن العم إن كنت ماتقبل منا كلامنا سل حسامك

واضرب به رقابنا حتى تشفى فؤادك لأنه مابقى لنا فى الأرض متسع ولا إلى السماء مطالع وليس لنا من نعول عليه ولا ملكا نلتجىء إليه وصهر نا النعمان انكسر وهج فى البر الأقفر فلما سمع عنتر ذلك الكلام بكى وعض على يدية وتحسر وبكى دريد كما رأى سادات عبس قد ذلت بعد العز والنعمة وكذلك فعل مقرى الوحش وعروة ورجاله وارتفع العويل من كل جانب وقال عنتر لقيس ياملك كل ماجرى عليك وعلى بنى غطفان وبنى عامر وصل إلينا وأما كسر النعمان فما أحد أعلمنا بها إلا أنت فى هذه الساعة وإن كان كسرها أهل الشام فما هم إلا فى خلق كثير فقال قيس والله ياأبا الفوارس إن عددهم مثل مبخار الزواخر وهم طائفة قوية الطعن بالقنطارية وهجموا علينا فشتتونا فى البرية وما علمنا السلم من العاطب ولما انقطع عنا الطلب وسكرتنا أجنحة الغيب طلبنا أثر المنهزمين من عساكر العراق وقبلنا الخيل من شدة السير فى الليل والنهار حتى وصلنا إلى أرض المتحف وبقيت الرجال مايصدقون بالنجاة ولما وصلنا إلى الحيرة وجدنا النعمان قد جمع عسكرا كثيرا وهو يجهزهم خلفنا فأقمنا الصياح وأكثرنا النواح ونادينا واحسرتاه وامصيبتاه وأعلمناه بأسر إخوته وماتم عليهم من بنى فزارة وعلى عشرته وشرحنا له كثرة عساكر الشام فجرى عليه مالم يجرى على بشر من الأنام وأنزلنا حول الحيرة وفرق علينا العدد والخيام وكتب من يومه إلى القبائل وأمرهم بالاجتماع والمبادرة وأخبرهم بما جرى عليه من عباد الصلبان ومازال على مثل ذلك الحال حتى صار عنده خمسون ألفا من شجعان الخيل ومافيهم إلا كل شجعاع وبطل وعول على المسير معنا وكتب إلى كسرى يطلب منه نجده من عساكر العجم ويعرفه بهذه الأهوال فرد إليه الجواب على أجنحة الطير يقول له يانعمان قد سمعت أن ملك الروم ركب وقصد إلينا بعساكر النصرانية وأما العساكر فانهم عندى قليلة وكتب إلى خراسان وإلى أمراء البلاد وأنهم يجمعون كل هذا ما كان لنا حساب ولا قلنا إن ملك الروم تحدثه نفسه بهذه الأسباب وأما أنت فعرب الحجاز كلها تطيعك والذى صار إليك نائب مثلك فاجمع عساكرك وارحل إليه والسلام فلما سمع النعمان ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وندم على مافعل كيف أرسل إلى كسرى يطلب منه معونته فرحل مع الخمسين ألف فارس فسار بنا تارة شمالا وتارة يمينا ومن شدة غيظه وحنقه ماعرف كيف يسير حتى وصلنا إلى أرض الشرك وفى ذلك اليوم التقينا ببعض المنهزمين من بنى عامر وأخبرونا بما جرى وحدثوا النعمان بكثرة العساكر فانكسر عزمه وخفق فؤادة وأتى بنا حتى اجتمع بجميع الهاربين فى تسعة أيام واليوم العاشر طلعت علينا العشائر وبانت

عساكر الشام وهن مثل الغمام ورأينا جيوشنا لا يقع عليها عيار وما كنا نبصر إلا صلبانا وصياحا وعيطات مرتفعات وبوارق ورايات وهى نحو مائة فارس من كل أسد عابس من بنى غسان وخمسين ألف افرنجى ومثلها اتباع وغلمان ألا أننا لما رأينا هذه الأهوال انقطعت ظهورنا فحملت علينا الافرنج بالقنطاريات وتبعها العرب المتنصرة من سائر الجهات ودام علينا الصدام والقتال أربعة أيام وخمس ليال وفى الليلة السادسة تفرقت عنا قبايل العرب وطلبت فى الجبال الهرب بعد ماقتل منا خلق كثير لاتعدو لاتحصى وعلم النعمان بذلك فخاف من شرب كأس المهالك فولى وقد تنكست الاعلام وأبصرنا عساكر الشام وقد تبعت أثره فاجتمعنا نحن فى هذا الطريق وقلنا ما بقى ينجينا الا ابن عمنا وحامينا لأن رب السماء قد غضب علينا بعده وقد عرفنا قدره وقدر بعده عناوها نحن قد لقيناك فلا تشمت بنا الاعداء . وبعد ذلك تقدم إليه الربيع بن زياد واخوته ومافيهم إلا من ذل وزالت منه نخوته ونادى الربيع ياحامية عبس ويا كاشف الضر عن كل نفس لما غبت عنا عرفنا قدرك فلا عدمنا منك نظرك ثم أن بنى عبس نظرت انفسها بين الاحتقار لما عدمت الأهل والديار وعلم عنتر ماجرى عليهم فجمع شلهم وطيب قلوبهم ووعدهم ان يجتهد فى نصرتهم ويبادر إلى معونتهم وكذلك فعل دريد بن الصمة ونزل القوم لأجل الراحة وعنتر يقول لقد كان فى قلبى من بنى فزاره حرارات ولولاقيس ماتركت منهم كبيرا ولا صغيرا فقال أسيد ياأبا الفوارس الصواب كشف هذه المصايب حتى لا يجوز عباد الصلبان علينا الرأى ولو عرفنا نبلغ مرادنا لاننا فى أرض هوزان والسبى فى أرض الاهواز فقال عنتر أنه قارب الاهواز ولا قطعوا أكثر عن نصف الطريق ولا فاتونا الا بقليل لأن سيرهم ثقيل على سير النساء والمال فاتنا وسبقنا أخربنا البلاد وسبينا أهل السوء وأرض حولى أن تركنا أرض الشام خراب ووضعنا السيف فى المشايخ والشباب لأن بلاد الأعداء اليوم خالية واذا وصل الخبر إلى أرض العراق تنكسر قلوب الروم فقال مقرى الوحش والله مالنا أصوب من هذا الرأى والآن ان أسرنا خلف عساكر النصرانيه خصرنا من كل جانب ونضيع بين تلك المواكب فقال دريد ان كنتم ترضون بهذا الرأى ونحن نوافيكم عليه ونسارع إليه فكلوا شيئا من الطعام واستريحوا قليلا فى هدا المقام وقوموا بنا نبادر الأمر الفوات لأن كل ساعة تمضى علينا باوقات ثم انهم أكلوا شيئا من الطعام وأخذوا فى الحديث والتدبير والكلام حتى ظهر

لهم حقيقه الأمر وبان لهم ظاهرة وعرفوا سرائره فهاجت النخوة فى رؤسهم والحمية وعملت معهم الحماسة الجاهليه فتواثبوا مثل سباع الاجام وقالوا والله لا أشبعنا أجوافنا بطعام ولا أجفاننا بمنام حتى تدوس بحوافر خيولنا أرض الشام وتخرب تلك الديار والاكام وندع نساءهم أرامل وأولادهم أيتام ونعمل أقوى بما عملوا بغيرنا ثم أنهم نزلوا عن الخيل وركبوا على ظهور النجب والمهارى والجازات وقلوبهم فيها النيران المضرمات على سبى النساء والبنات وساروا ينهبون البر نهبا ويقطعون الأرض ركضا وخببا والخيل فى إعارضهم جنائب وهم يجدون كأنهم السلاهب وهم بقلوب قويات وقدهان عليهم شرب كأس الممات قال الأصمعى وكان سير دريد بن الصمة ورواحه بهذه الهمة لأجل بنى عامر لأن بينه وبينهم نسب متصل وحسب غير منفصل وكان فى قلب عنتر النار أيضا من أجل عامر بن الطفيل لانه صديقه ومؤاخيه وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا هذا ماجرى لهؤلاء من الايراد ٭ وأما ما كان من الملك النعمان فانه لما انكسر وعاد وهو مقروع الفؤاد خائف على البلاد وعلم أن العساكر تفرقت عنه والاجناد ومازال يجد المسير هو وبنو عمه إلى الحيره وأقام ذلك اليوم ينتظر المنهزمين أن يأتوا على أثره وبعض قبايل معرت تقدم عليه فما رأى أحد ظهر ولا وصل اليه بشر فخاف عد نفسه من عساكر الشام ان تدركه وتسبى حريمه ومن شدة خوفه جمع أهله وماله وعياله وسار بهم إلى المدائن يطلب حماية كسرى وقد برز إلى البر والسياسب ونصبت خيامه والمضارب والدنيا منقلبة من ازدحام الفرسان تموج بالخاص والعام والنهار قد صار مثل الليل من شدة ركض الخيل وارتفاع القتال ترك الدنيا ظلام قال فدخل النعمان على الملك كسرى ومعه عشرة من عمه مع خواص بنى لخم فقبل الأرض وخدم وبكى على زوال دولته وأخبر الملك كسرى بقصته وبكى واعلمه بما جرى من عساكر الشام وخرق ثيابه لما انتهى فى الكلام فانزعج كسرى غاية الانزعاج وسكر من غير مس الزجاج وقال ياليت شعرى من أى وجه دخل على دولتنا هذا العارض لكن الأمر للرب القدير رب موسى وابراهيم ثم قال للنعمان ياملك العرب لقد قطعت ظهرى بهذا السبب لأن عساكر خراسان أنها فارقت وأنها تزيد على أربعه ألف بطارقة وافرنج زنادقة وماقد برزت حتى أسير اليها والتقيها وأترك الهيبة بمسيرى إليها حتى لايزيد طمع ملك الروم وأنت الإن قد أتيت بما لم يكن فى الحساب لأننا أن سرنا عن المداين وأبعدنا أنت المنتصرة فى وأثرك وملكت من خلفنا البلاد وأن أقمنا هنا طمعت فينا

الحساد على أننا ما بقى لنا صواب من هذا المكان لأنه أجود لنا وأعود علينا مادام الطلب قد صار منه ومن بين أيدينا وإذا كنا ههنا تكون قلوبنا قوية ببلادنا وأهنا وتطاول الاعداء عند وصولها بالقتال ونبارز الفرسان إلى أن تصل الينا عساكر خرسان فقال الملك النعمان نعم الرأى عندى ولعل الأمر يتأخر بفاضل يوم أو عشرة يأتينا من قبائل العرب من يشددنا لان مسيرى أنفذت اليهم وأمرتهم بالقدوم وما وصل منهم إلا القليل وأقول أن الباقى يأتوا بعد شىء يسير ثم أقاموا يصلحوا اعددهم وينظروا من يأتى اليهم وينجدهم ولما كان بعد أيام قلايل أقبلت ملوك النصرانيه وجيوشها وطلعت غبائرها المتواترة وأمواج بحارها الزاخرة فسلت الجنبات بقساطل القتام المرتفعات وبدلت أنوار النهار بدياجى ظلمات وسترت عيون الشمس عن عيون الناظرات ونادت نقباء النعمان وكسرى فى الأعاجم والديالم فسارت على ظهور الصافنات وهزت القواضب فى أيدى الأعاجم وسلت السيوف المرهفات واصطفت المواكب تطلب الحرب وقد أخلصت للملاك النيات وانكشف الغبار عن الروم فاذا هى مثل الجراد المنتشر فى رؤس الروابى والفلوات وأقبلت الافرنج بالطوارق والصلبان على رؤوس ملوكها والسادات وامتلات بالرهبان يقرؤن الأنجيل ويعظمون الصلبان وبعدهم طائفة من أولاد الفرسان يخجلون بالوجوه والقدود الاقمار والاغصان وكلهم بالشعور المسبلة المرخاة والسيوف المجوهرة المحلاه ألا أنه ماتزل فى سرادقه حتى أقبل ملك الافرنج خيلجان كأنه شيطان أو مارد من مردة الجان وكان موكب الخيار قتل الظلام الغاسق من لمعان القنطريات والبيارق وكان خيلجان فارس جبار لا يصطلى له بنار قد غزا ملوك الاقطار وفتح جزائر كثيرة فى البحار وأعاد جمعا كثيراً إلى عبادة الانجيل وشد الزنار وبعد ذلك الامر والشأن خرج يطلب الحج إلى بيت المقدس وعين سلوان والغزاة إلى عبدة البار والأوثان ألا أنه لما أشرف على عساكر كسرى استقبلها وحدثه نفسه الخبيثه أنه وحده يلقاها من عجبه بنفسه فنزل فى سرادقه وأنفذ إلى كسرى رسولا يقول له ارحل من هذه البلاد وان كان قد دخل فى قلبك من قدومنا فزع والا عد إلى عبادة المسيح بن مريم وكن لدينا تابعا واهدم بيوت النيران وابن بدلها كنائس وصوامع وإلا رأيت فى عد قنطاريا تنا طعنا أحد من الأجل واسرع وضربا اذا وقع على الصخر انصداع والسلام على من عرف الترتيب وابصر الحق فعاد اليه

من قريب ولما وصل الرسول إلى كسرى وقص عليه هذه الرسالة غضب كسرى وحرد من ذلك الكلام وقال لولا أني عرفت بالاناف ما كان جواب هذا الرسول الا القتل والاتلاف لكن هيا اسر وقل له أني قسمت بالنور والنار اني لا أدع أحد يشد على وجه الأرض زنار في هذا العام يصح القسم إذا وصلت العساكر من بلاد العجم ورأيت فوارس تفترس سباع الآكام وأبطالا لا تبالى بالموت إذا هجم هنالك تندم ولا ينفعك الندم وتذل إذا زلت منك القدم والسلام على من اتبع الدين القدم المكرم وسجد للنور إذا أضرم قال فعندها عاد الترجمان على الرسول هذا الخطاب وقال عند الصباح ترى من يكون المغبون لأن كسرى يظن اننا مثل فرسان الروم فوحق المسيح لا لاقى هذه العساكر عند الصباح ألا أنا وحدى ولا تركت فى هذه الديار حديثا يذكر من بعدى ثم بات ينتظر الصباح وباتت العساكر تموج مثل البحار الزواخر حتى انفر الفجر ولاح فركبت الفرسان الجراد القداح وتحدرت جميع الخلايق والأمم واصطفت الأفرنج قبال الديلم وقابت الروم والعجم وارادت الطوايف ان تحمل على بعضها بعض، وتحول على وجه الأرض فلم يصبر خيلجان بل قلب القنطارية وصرخ وحمل عاجل الحال وكانت حملته تصدع الرجال هذا وقد أجابت الأفرنج صرخته فى الحال كذلك فعلت الروم قدام الملك قيصر وحملت كالبحر إذا زخر واطبقت العساكر انطباق الأسد الضارية فالتقتها العجم والديلم بالحراب الماضية والعمد الطوال والرماح والنصال قال وكانت عساكر كسرى مائتى الف فارس وراكب وراجل محارب ومقاتل لأنه كان أنفذ يطلب الجيوش إذا اشتد الصدام والقتال فجرى بهم ذلك اليوم مع جيوش النصرانية وقعد تذكر ما بقيت الشمس والقمر لان ذوى الالباب حارت والحكام والجبابرة ولت والكرام ذلت والخيل ملت والرقاب طاحت والأسود صاحت والدماء سالت والجبال مالت والنهار اظلم والغبار اغتم والشجاع همهم والجبان الفحم قال الراوى وقد بلغنى عن هذه الوقعة أضعاف ما رويته وحكى لى أمثال ما حكيته لأنها كانت وقعة عظيمة فى أرض المداين فرغت فيها النبال من الكناين ونثرت الفرسان من على ظهور الصوافن وما أمسى المسا وعساكر كسرى قد التجوا إلى الجدار وعولوا على الهرب والفرار ولو كان طال عليهم النهار ما كان بقى منهم الديار ولا نافخ نار ونزلت الطوايف وبقيت الشجعان ممدودة من ضرب الحسام وجلس الملك كسرى على سريره وغلبت همومه على سروره وأخذ فى الحديث والشكوى لأرباب دولته وأكابر

عشيرته وقال ياقوم إيش ترون فى هذه الأمور وحق النار والنار إذا لم تدركنا النجدة من خراسان وإلا كسر تناهذه العساكر وأحلت به الهلاك وأزالت دولتنا وملكنا من هذه البلدان والصواب أن نأمر أهل البلدان والعوام أن يعبروا بأموالهم ورجالهم وعيالهم إلى الجانب الآخر ولا يبقى عندنا ههنا إلا من يقاتل ويناضل حتى إذا رأينا الغلبة وأطبقت علينا هذه العساكر عبرنا كلنا وقطعنا الجسور بيننا وبينهم وتحصنا بالماء إلى أن يأتينا من أعواننا من نعول عليه ونجعل معتمدنا عليه فقال الحاضرون والله يا ملك لقد أشرت بالصواب وأتيت بالذى لا يعاب ولا بد أن نسرع فى هذه الأمور والأسباب قبل أن يكثر علينا العدد وباتوا يدبرون هذه الأمور وباتت السندبدة حول بيوت النار والنوز يتلون تلاوة المجوس ومعهم كل شيخ معكوس وهم يسجدون ويرمون قدامها العود وكل واحد منهم يهمهم ويندو ويسألون النار أن تنصر الملك كسرى وتعينه على الأعداء فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من ملك الافرنج الخيلجان فانه لما رجع من حومة الميدان غضب على خيالته ولامهم ووبخهم على تقصيرهم وقال لهم ياويلكم أنتم ما خرجتم من بلادكم ودياركم إلا لتكسبوا الثواب وتربحوا الأجر وتنجوا من العذاب فلم لا تنصحون فى القتال وتجتهدون فى الحرب والنزال فقالوا له يا ابن السادات قل للقسوس يصلوا علينا صلاة الأموات لان ما فينا من خرج من الجزائر حتى ودع أهله وداع من لا يرجع وإنما أنت لأجل فروسيتك أيها السيد الامجد لا تنكر فعال أحد ولا يعجبك أيها السيد المصان فعال إنسان لأنك فريد الزمان وفارس الأوان قال فلما سمع ملك الافرنج ذلك الكلام أعجبته نفسه وقد انشرح صدره وقال فى غداة غد أفتح باب الحرب والبراز وما يجرى من الانجاز وأخرج إلى الميدان وأفرجكم على عباد النيران قال وما زالت الطائفتان على مثل ذلك الإيضاح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فتبادرت الفرسان الوقاح وركبت الجرد القداح بعد ما لبست السلاح وعولوا على القتال والحرب والنزال وإذا بغبار صاحب الشام من ناحية الكوفة قد أقبلت وعساكرها قد تسلطت وظهر ذلك العسكر الجرار كأنه البحر الزخار لان الحارث الوهاب صاحب الشام تبع أثر النعمان إلى حيرة وتلك الآكام فرآها قليلة السكان خالية من الفرسان وما فيها إلا فقير أو عجوز أو شيخ كبير فعلم أن النعمان انهزم وأخذ خواص الاعوان وفرسان العرب الأعيان فرح بذلك الأمر والشأن وأعطى المقيمين بها الامان وقال نحن ما نطلب إلا الاجواد أصحاب والجلاد وملاك هذه البلاد وأما العوام فهم رعية لنا ولغيرنا إذا ملكناهم أخذنا منهم الجزية فى كل عام إلى أن يدخلوا فى طاعة

المسيح عليه السلام ثم أنه دخل البلد وجلس على سرير النعمان وحكم فيما كان تبقى من خزائنه والأموال واحتوى على جميع الرجال وقال لأرباب دولته لولاخوفى من عتب الملك الرحيم اسرت إلى المدائن وحاصرت كسرى والنعمان وقضيت ذلك الأمر والشأن إلى تقدم عساكر الملك الكبير والخنزير الحقير وإنما الصواب أخذ أخباره إلى أن يقارب المدائن وأسير إلى خدمته أنا ومن معى ثم أنه أنفذ من يأتيه بالأخبار وأقام مدة يسيرة فى هذه الديار حتى عاد الذى أنفذه لهذا الأمر والشأن وأخبره عساكر النصرانية وصلت إلى الأنبار وأنهم اليوم الفلانى يكونون على المدائن فى أرض كسرى ويملؤن تلك الارض والصحراء فلما سمع ذلك سار إلى الكوفة هو وعساكره الموصوفة وحسب حساب المراحل حتى وصل فى الوقت الذى ذكرناه ونزلت عساكره فى جانب الصفراء فلأت الأقطار والفلاة إلا أن صاحب دمشق لما وصل أمر عساكره بضرب الخيام وسار هو إلى خدمة ملك الاروام ومعه جماعة من خواص بنى غسان وترجل لما قارب الاعلام والصلبان وخدم ثم عظم الملك وأخبره بما فعل فى أرض الحجاز من الأموال وكما انفذ بلاد الشام من الهدايا والاموال ومن بقى معه من الأبطال والفرسان فلما سمع ذلك المقال فرح واستبشر وزال عز قلبه الخيال وخلع عليه ملابسه وأركبه على بعض نجائبه وقال ماهذه الاسعادة زائدة وكرامة وارده من السيد المسيح لأننا نحن قد حاصرنا ملك الاعاجم وقد بان لنا من النصر براهين وعلائم وقد صارت الكلمة كلها مسيحية قائلة بكلمة المعمودية قال الملك الحارث هذا الذى ذكرته يكون اليوم أو غد بسعادتك أيها الملك المسعد ثم عاد إلى عسكره وصاح فى نقباه أن يأمروا العساكر بالجملة حتى يتبين قدام ملك الروم عزمنا هذا وكسرى قد ضاقت عليه المذاهب ومن كثرة ماجرى عليه أمروزراءه وخدامه أن يظهروا الاعجام الاموال والخلع واللامات ففعلوا ذلك وقد هانت عليهم النعم هذا وقد أردت خيالة الافرنج أن تبرز إلى الميدان فما صبرت عساكر الروم الكلاب بل حملت وصاح قدامهم ملكهم الحارث الوهاب وطلب أن يبين قدام ملك النصرانيه فعاله ويظهر همته وشجاعة رجاله فلما حمل حملت معه طائفة الافرنج والروم وركضت الخيل حتى ارتجت الارض من التخوم وانعقد الغبار مثل الغيوم وعاد نسيم الرياح سموم وبضت السيوف الجماجم والجسوم وكان يوم دبره معلوم إلا أن البلاء زاد على كسرى وتكاثرت عليه جيوش الاعداء وإنما الديلم غلظت أكبادها ودارت أحقادها وترجلت ظهور جيادها ورمت المرد على أجسادها واستقبلت خيالة الافرنج بحرابها وشكت صدورها مع أجنابها ودام الحال على ذلك الامر

والشان حتى رأى الملك كسرى الهوان وعول على العبد إلى جانب الايوان وكذلك أراد أن يفعل الملك النعمان بعدما قتل ذلك اليوم حتى اشرف على اهلاك وسوء الارتباك وعول على الرجوع والانفكاك وإذا بغبرة قد أقبلت من ناحية أرض الحجاز وحالهم يدل على أنهم يريدون الانجاز وتحتها ضجيج وصياح قد اقلب الأرض والبطاح وفى دون ساعة تقاربت وتدانت إلا أنها كانت مقبلة على عجل والوحش منها قد جفل وفى أطرافها بوارق تشعل والبرمن ركض خيلها قد تزلزل قال ولما رأيها الطائفتان اشتغلت عن الحرب ومدت الأبطال اليها الاعين وتحدثت فيها الالسن حتى انجلى غبارها وبانت فرسانها وسمعوا صياحها وهى تنادى بالكندة ابشر يانعمان بالنصر والفرح من هذه الشدة قال وكان فى هذه الخيل فارس مضيق الثام تقصر عن وصف شجاعته الاوهام وهو ينادى أنا ذى الخمار الفارس الذى لاتهوله الاخطار ولا تنكره ملوك الاقطار ومن خلفه فارسان آخران وكان أحدهما حجار بن عامر والآخر عمرو بن معديكرب ومعهما من الفرسان عشرة تلتقى باسنتها سحايب الموت وكان لهؤلاء الفرسان ووصولهم سبب عجيب وذلك أننا ذكرنا ماجرى لغمرة مع ذو الخمار وكيف قبح على عنتر وحسده فما قدر وكان فى آخر فعاله أنه كذب فى الايمان لما أطلقه دريد من الوثاق والهوان وعاد بعد ذلك غدران وخان وخلص غمرة وأباها من الاسر ودبر على قتل عنتر مرارا عديدة وأحسن التدبير وهجر دريد وأطلاله وما بلغ آماله وعاد مع غمرة وأبيها وقد زاد طمعه فيها ثم وعده أبوها أن يزوجه بها ويجعل مقامه عنده ألا أن ذو الخمار لما وصل مع القوم إلى ديارهم ثم أراد أن يخطبها وصل اليهم الخبر بقتل المتعنحز فلما سمعت غمرة ذلك الخبر شقت ثوبها فعلم ذو الخمار أنه خابت مقاصده فطول روحه وأقام حتى انفض العزاء وأرادت غمرة أن تجمع فرسان قومها وتطلب ثار أخيها فبان عليها الحبل وتغيرت أحوالها وارادت أن تقتل نفسها فكبرت بطنها واصفر لونها وأظهرت الكسر وصار أبوها يتردد اليها وقد أنكر حالها ولح عليها بالسؤال فاخبرته بعنتر وكيف غصبها رغما عن أنفها وغصبها على نفسها وأخذ وجهها فى البر الوهاد وقد أخذت تعيد عليه قصتها من أولها إلى أخرها فلما سمع أبوها ذلك عذرها وطيب قلبها وقال لها يابنتى هذا أمر قد تم على كثير من بنات العرب وكثرهن من عشق الرجال وأنت مافعلت ذلك إلا غصبا والصواب أنك تقيمين على ذلك حتى أنك تضعين هذا المولود

وتخلصين منه ونحن نذبحه تحت الليل وتكتمين أمرك وتعودين إلى ما كنت عليه ولم يعلم أحد بهذه القطية ويقولون أنك كنت مريضة حتى لا تنقص منزلتك وتنحط مرتبتك قال إذا كان الأمر على ذلك فاصرف عنى ذلك الرجل واقطع اياسه عنى فانى لا اضجعت رجلا فى الأيام والليالى ولا اطلعت أحدا على حالى لئلا يقال غمرة تركت الاقران واتبعت أصحابه ثم خرج من عندها متفكرا فى قصتها ومن يومه احضر ذو الخمار بين يديه وزاد فى شكره وقال يا ولدى أبت تعلم بما حل بنا من جهة ولدنا وبالله أقسم أننى متأسف كيف نزلت عنا هذه المنازلة ويخرج مثلك من أيدينا إلا أن ابنتى غمره التى كنت عليها مولا سارت من عندى إلى ديار اخوالها تطلب منهم المعونة على أخذ ثار أختها وكانت عند مسيرها متشوهة البدن من شدة البكاء والحزن وقد اسرفت على الهلاك وأنت مقيم عندنا وكذلك أصحابك وقد اشتهيت ان ازوجك ولهم من بنات سادات العرب واتخذكم أنصار على سائر النواب لأنه إذا اتصلت انسابكم بنا خاف كل واحد منكم فلما سمع ذو الخمار ذلك حار فى رد الجواب وقال هذا الأمر لابد لى فيه من المشاورة ثم اعلمك بجوابى قال ثم عاد إلى أصحابه واطلعهم على هذا الحديث فضاقت صدورهم ثم قالوا ياذو الخمار لقد رميت نفسك فى غير مراميها ورميتنا فى قضيه مايحسن تداريها وهذا أمر قد جلبك حسدك لعنتر بعد القضاء والقدر فقال والله يابنى عمى لقد صدقتم لأنى فرطت فى قول دريد بن الصمة عن العرب وقطعت ما بينى وبينه من النسب ولا بلغت وما بقى فى الامر إلا أن انشد خيلنا فى غداة ونسوق أموال هؤلاء اللئام ثم نطلب ديار الملك النعمان ومن تبعنا ضربناه بالسيوف فاذا وصلنا إلى النعمان دخلنا عليه وسالناه أن يصلح بيننا وبين دريد ويردنا إلى أهلنا قبل أن يشيع بين العرب أمرنا فقال العباس بن مرداس أما مسيرنا إلى النعمان فما به بأس وأما تعرضنا لهؤلاء القوم واخذ اموالهم فما هو بصواب لأننى أحس أن تكون عمره قد اخفت نفسها زهداً فيك وامرت اباها أن يدفعك بهذه الحجة فان نحن تعرضنا لهم تتبعنا بكل من فى الارض وتسقمد علينا بشجعانها ونبقى نحن طعاما لسيف قبيلتها فقال ذى الخمار ياعباس لقد قلت قولا صادقا أنها من الفروسية بمقام عظيم وما مال قلبى اليها إلا لاجل شجاعتها ولو علمت أنها كما قال أبوها فى حالة العدم كنت سقت كل ما فى الحلة بين يدى سوق الغنم لكن أخشى أن الحساب الذى حسبته غير صحيح وتشتفى عدانا منا والصواب خروجنا تحت إذيال الدجا والغيب من

هذه الديار وتتسبب فى عودتنا إلى الأوطان على يد الملك النعمان لأنى أعرف أن عنتر ابن شداد قد رحل اليوم إلى دريد وعاد إلى قومه وبنى عمه ولا بد أن أتعرض له فى بعض المواضع وأترك وحش البر لحمه راتع ثم أخذوا أهبتهم تحت غياهب الظلام وقد نده واغايه الندم وساروا ومازالوا سائرين يقطعون البر والآكام حتى التقاهم عمرو بن معديكرب بأربعة آلاف فارس وهو سائر بهم إلى نصرة الملك النعمان ولما رآهم ذو الخمار أنفذ بعض أصحابه اليهم فسار وأتى بالخبر فتعجب وقال وحق الملك الديان هذا أمر قد جرى على الملك النعمان وإلا فما استنجد بالعربان ولو لم يكونوا هؤلاء سائرين لخدمته لكنت أخذت أسلابهم وضربت رقابهم ولكن نحن محتاجون إليه لأجل أن يصلح أمرنا ولاسيما إذا لحقناه وهو فى شدة وكشفناها عنه ثم عدل إلى بن معد يكرب وترجل كل واحد منهم إلى صاحبه وسلم عليه وأخذوا أخبار بعضهم بعضا وبعد ذلك قال ذو الخمار ياوجه العرب ما الذى أحدثه الملك النعمان من الأمور حتى أنفذ يطلب أبطال الحلل والعشائر فقال له عمرو والله ما سمعنا خبرا صحيحا إلا قيل لنا أن عساكر الشام ظهرت إلى الحجاز فى خلق عظيم وأن النعمان سائر إلى لقاهم وهذا ما سمعناه وبعد هذا ماندرى ما قد جرى فلما سمع ذو الخمار ذلك قال إذا كان الأمر على هذا الحال فنحن نسير معهم وما قال ذو الخمار ذلك المقال إلا ليستر أحواله حتى لايقال أنه قبح على وريدو حسد عنتر على ما أعطى من الفروسية والشجاعة والبراعة وقال وسار الجميع طالبين الحيرة وفرح عمرو بن معديكرب بمصاحبة ذو الخمار فكان كل من لاقاه يسأله عن الأخبار فيسمعون عن النعمان أخبار مختلفة وأخبار مؤتلفة ومازالوا على ذلك الحال حتى أشرفوا على أرض النجف وصحت الأخبار وعاينوا الديار وسألوهم عن النعمان فأخبروهم أنه انكسر عسكره وقد هرب إلى المدائن وطلب حماية كسرى فلما سمعوا هذه الأخبار وقعت بهم الحسرة والانبهار ثم قالوا ما فى الأمر إلا أخذ الراحة والمسير خلف هذا العسكر وإلا ملكت عبدة الصلبان الأقطار وبعد علينا الملك كسرى ثم نزلوا هناك وراحوا إلى وقت السحر وعولوا على الرحيل وفى ذلك الوقت وصل حجاز بن عامر فارس بنى كندة ومعه سبعة آلاف بطل يضرب بها المثل فلما رأوه ركبوا إلى لقاه وسلموا عليه وقال له ذو الخمار لاتنزل بقومك فإن الأوقات قد تبدلت والأمور عن الراحة قد اشتغلت ثم قص عليه القصة وجميع ماجرى من الأمر فصارت عيناه مثل لظى الجمر ونادوا واحرباه كيف ماحقنا عساكر الشام فى هذه الديار حتى

كنا أروينا منهم السيف اليمان ثم سار هو ورجال على حالهم ولم ينزل رجاله لأنه كان يحب الملك النعمان وكان فارسا لايلتقى فى الميدان وله نخوة والمام وكرم وصدق لسان فركض معه وركض معه عمرو بن معديكرب الزبيدى هو وسبيع وقد صار فى عشرة آلاف فارس وأرادوا أن يلحقوا عساكر الشام ويرموا أرواحهم فما لحقوهم إلا خارج المدائن وهم فى قتال الملك كسرى وقد ضيقوا عليهم الأقطار وأشرفت عساكره على الهرب والفرار فحملوا حملة صادقة بعد ماركوا الخيول السابقة وصاحوا وطعنوا بأسنة الرماح وضربوا بشفار سيوفهم النحور وعمل كل فارس منهم كما يعمل الجيش وفرجوا عن العساكر بعد البلاء النازل وتصايحت أيضا جيوش الدلائم والاعجام وعادت أرواحهم إلى الاجسام وعمل الحسام فى الهام واختلفت بينهم رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على الأقدام وانثرت عليها جماجم الكرام ومازال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل وعادت الفرسان تخوض فى بطون القتلى وتخب فى سيول الدماء وقد تلقاهم الملك النعمان بالخلع والجنائب وفرح بهم فرحة قدوم الغائب على الحبايب وشكرهم عد فعالهم وقال لهم يا وجوه العرب لولا قدومكم فى هذه الطائفة الحمية كنا قد هلكنا وما كنا نريد إلا نجدة أخرى مثل نجدتكم وسرية مثل سريتكم تأتينا وقد حمينا نفوسنا إلى أن تقدم عساكر خراسان علينا ثم شرح لهم ماجرى عليهم من الافكار وأن إخوته فى الاسر مع أهل الزنار فقال له عمر ياملك سمعنا أن صاحب دخل إلى أرض الحجاز فى هذه العودة وما كنا سمعنا بعساكر الافرنج وما كنا توانينا ولا تركنا أحد من الفرسان فى ديارنا إلا وقد أتينا به هنا فإخوتك فى أى وجه وقعوا فى الاسر وكيف وقع بهم عبدة الصلبان فقال الأصل فى ذلك أن بنى فزارة أتوا فى ساداتهم مع الربيع بن زياد وشكوا إلى أمور أجرت لهم مع عنتر بن شداد وظنوا أنه التجا إلى دريد ابن الصمة وأنهما قد اتفقا على خلع مملكتى وأخذ مكانى فقدمت إخوتى على عساكر العراق وسيرتهم اليهم ليجتازوا على أفعالهم وما بلغنى من أقوالهم فوافق وصولهم ظهور عساكر الشام عبدة الصلبان ونافقت بنو فزار عليهم لاجل مابينهم وبين عبس وأخذوا الجميع وقتلوا من أصحابى خلق كثيرا وما عاد منهم إلا جمع يسير وكل ماجرى علينا من الانكاد إنما هو لمعاداتنا لعنتر بن شداد فقال ذو الخمار وحق الرب القديم ياملك صدقت لان عنتر له حظ وسعادة ماوصل إليها أحد من الفرسان وماعداه أحد إلا وتعثر بأذيال الحرمان

والذل والهوان وقد جرى له معه أمور ما أشرحها لك إلا فى وقتها وأما هذه العساكر الذين حلت همها نحن نداريها يوما بالقتال ويوما بالبراز حتى تأتينا عساكر خراسان وقبايل الحجاز ثم نزلوا من وقتهم وتشاروا فى ذلك ونزلت طوائف النصرانية وهم يعجبون من قتال ذوالخمار ومافعل حجار وحملات عمرو بن معديكرب تحت الغبار فجمع ملك الشام خواصه عند نزوله وقال وحق الملك الجبار إن فرسان هذه الأرض لم يقع عليها عيار ولو أن معى عشرة منهم ينصرون دين المسيح لكنت فتحت بها سائر الأمصار فقال سنان يا ملك اعلم أن أفرس مافى هذه الجموع ذو الخمار وهو أشجعهم الذى وصل اليوم مع الطائفة التى أتت نجدة النعمان لأن العرب تحسبه بسبعة آلاف فارس وهذان الفارسان الآخران اللذان معه يقاربانه فى الشجاعة وأنا أعلم أنهم عند الصباح يخرجون إلى البراز والقتال ويطلبون الخداع بذلك المقال إلى أن تصل عساكر اليمن إلى النعمان وتظل إلى كسرى عساكر ويكثر المدد والرأى عندى أنكم تبادروا الأعداء فى غداة غد وتحملون عليهم بهذه الجموع من كل جانب ومكان لعلكم تملكون هذه الديار فقال الحارث وحق الصليب يا سنان ما ذكر الا نعم الرأى لأننا ماعندنا نحن من يطلب البراز إلا طائفة الأفرنج لأنه شلغها ونحن لذا رأيناهم يريدون أن يفعلوا ذلك منعناهم عنه ولا نملكهم ونحمل بجميعنا على من يبرز من هؤلاء الفرسان ونطلب الانحياز وإلا وقعنا فى الخسران فقال سنان هذا الذى أريد وإن كنتم ماتفعلون بهذا الرأى وإلا لكم فيه غرض ويعسر عليكم فتح هذا البلد فانا أشير إليكم بما قد خطر فى سرى وأدبر لكم تدبيراً تأخذون به النعمان وكسرى ولا أزل حتى أجلس الملك الرحيم قيصر فى هذا الايوان وأملكه بلاد خراسان ثم باتوا على مثل ذلك وبات الخليجان ملك الأفرنج أيضاً متعجباً من فرسان العرب وهو يقول لخيالته ان لم نتولى نحن أمر القتال لأنى أرى الروم عن الجهاد مقصرين عن طاعة المسيح ومريم قاعدين ومازالت الطوائف على مثل ذلك حتى مضى الليل وتبادرت الخيول ولمعت شفار النصول وقلقت الأشباح والأرواح وخفقت بيان الرماح وشرعت الرجال وتقدم ذلك اليوم النعمان وقد اشتد ظهرة وقويت عزيمته بالشجعان وكان قد ترك فى الميمنة ذو الخمار وقواة بجمع كثير من الديلم وترك فى الميسرة عمرو بن معد يكرب وبنى زبيد ومعه طائفة من العجم وأقف فى القلب بن عامر وبنى كنده وخواص الدولة الكسروية ولما خفقت الأعلام واشتد الزحام وقل بينهم الكلام وبرز ذو الخمار إلى الميدان وقارب يارق

لافرنج والصلبان وطلب براز الخيالة والفرسان وكذلك فعل حجار بن عامر مع الروم وعمرو بن معديكرب مع بني غسان وما فيهم إلا من طلب الانصاف والبراز ووجهوا حملاتهم إلى الأعداء مع المعاضدة والاجتهاد وكانوا يخرجون اليهم من تحت الأعلام والبنود وهم يفترسوهم افتراس الأسود بطعن لا تهتدي اليه الأوهام ولا تعرفه الافرنج ولا عساكر الشام (قال الراوي) وقد بلغني في الأخبار أنه ما قارب في ذلك اليوم نصف النهار حتى قتل كل واحد منهم ما ينيف على مائة فارس كرار ولكن ذو الخمار كان أوفى عيار وأثقل معيار لأنه قتل من الخيالة مائة فارس عسكر مدرار وأبصر مشكهم هذه الفعال فصارت عينيه مثل لهيب النار وزعق زعقة دوت لها الاقطار وهم أن يخرج من تحت الأعلام والصلبان ويحمل على ذى الخمار فغدرت بنو فزارة بعمرو بن معديكرب الزبيدى وصاح فيهم سنان فحملت من كل جانب ورأوا بنو زبيد ما قد جرى على فارسهم فحملوا يطلبون خلاصه من مخاليب الحمام فحملت أيضا عساكر الشام وتتابعت مثل قطع الغمام ولما أيضا طوائف الروم على حجار بغير أمر الملك قيصر وعلا لهم صياح بفلق الأحجار وعلم بذلك ذو الخمار فخاف على نفسه من البراز وخافت خيالة الافرنج أن يفوتها بعد قتل أبطاريا تها مثل ثنايا الحبال على ظهور صافناتهم وصاح النعمان في طوائف العرب والعجم ونادت الفرس والديلم فتقدم الملك كسرى وعلى رأسه علم كبير على صورة ثعبان على رأسه ازدهار يظله من حر الشد الشمس والنهار وأوقدت الرجال ببوت النيران وطبع الغبار والدخان وركضت الخيل حتى ارتجت سائر الأقطار وندمت الرجال على فوات الأعمار وجرت الدماء وسالت مثل الأنهار وبأجت القلوب وهتكت الأسرار وهانت المنية على الفارس الكرار وبرقت السيوف واشتد الغبار وما أتى المساء إلا وعساكر الفرس ضعفت وتضعضعت وعادت إلى ورائها واندفعت لأن المدد كثير عليها وزاد عن حد القياس فصدمتها مواكب وكتائب مختلفة الاجناس وأما عمرو بن معد يكرب الزبيدى بغدر بني فزارة لأن أصحابه وقت الحملة ما وصلوا إليه وحوله بحر فياض وموج من الصوارم والاسنة لا ينسلك ولا يتخلص فقاتل أحسن قتال وهو يدفع عن نفسه حتى وقع به التعب والنصب والملل وقد قتل جمعا كثيراً من الابطال وأنه لما أخذ أسيراً كان قد أقبل الليل الحالك بسواده وقد جرح وقتل جواده وأخذ بعد ذلك أسيراً وشدوا وثاقه وأما حجار بن عامر فان بني كندة وصلت إليه وقد أشرف على التلف من الجروح والهلاك فعاونوه وقاتلوا معه حتى خاص بعد الحرب الشديد والنار التي زادت عن حد اللهيب والوقيد وكذلك ذو الخمار فعل ذلك اليوم في الافرنج والخيالة

لما لحقوه فعالا يبقى ذكرها ما بقى الليل والنهار وقتل من الخيالة فرسانا لا يقع عليها اعتبار وتخلص بقوته وشجاعته وسعادته وانفساح مدته ولولا ذلك كانت الافرنج فنت عساكر كسرى وبددتها فى الاقطار لأن الطرائف قد انفصلت عند الظلام ونزلت فى الخيام وفى قلب خليجان ملك البحر من ذى الخمار نار لا تخمد لما شراز لأنه جبار لا يصطلى له نار ولا كان على وجه الأرض من يقف قدامه ولا يقابله اذا سل حسامه فحلف بالصليب والانجيل انه لا يترك أحد عند الصباح يحمل ولا يثير غبارى حتى يبارز ذو الخمار ويأخذ لفرسانه منهم بالثأر وبات وهو لا يصدق بان يرى النهار هذا وسنان بن أبى حارثه قد ارتفعت منزلته عند صاحب دمشق لأجل أخذه لعمرو بن معد يكرب ولأجل ما ظهر منه من الغدر والفضيحه فوعده أن يجعله خليفة على أرض الشام ومقدم جيشة كلما رحل أو قام ففرح بذلك سنان وصرف همته إلى الحيل والدبير ووعد حصن بن حذيفة أن يجعله ملكا كبير وقد أصبح الصباح على الخلق وبان الباطل من الحق وركبت الجموع ولمعت الدروع وترتبت المراكب والفرق ولمع صارم المنايا وبرق وأرادت العساكر أن تحمل على بعضها بعض فظهر ذو الخمار فى الميمنة وطلب البراز وكذلك فعل حجار فى المسرة والسبب فى ذلك أن النعمان كان ضاق صدره لأجل أسر عمرو فارس بنى زبيد وشكا ذلك الى حجار وقال لها أنا تعلمان ماقد بلى به الملك العادل كسرى وما بقى لنا من نعتمد عليه غيركما فان أنتما حميتما هذة الدولة الكسروية إلى أن تقبل العساكر من أرض خراسان حكمتكما فى سائر القبائل ويصير أمركما نافذا وتقون خزائنى وخزائن كسرى مباحة لكما ما بقى الزمان ويكون مثلى خلعكما فى كل وقت وأوان وهان على ذى الخمار وحجار المهالك ووعداه ابذال المجهود ثم أن انفاذه من العدم الى الوجود واخذ ذو الخمار يشرح قصته للنعمان بما جرى فأخبره بذلك وقال له يا سلك أما أنت فسبب اصلاح حالى على يدك فقال النعمان لك ذلك ثم قال له والله أنا قد سمعت فى دريد كلاما وأنه اليوم على عتبان فانفذت أخوتى إليه فاخذتهم عبدة الصلبان وكان كل ما سمعته عنه زورا وبهتان وأنه إلى اليوم على عتبان والا فما كان قعد عن تصرفى ولا بد أن أنفذ اليه وأصلح بينكما ففرح ذو الخمار وخرج هو وأصحابه عند أقبال النهار فطلب البراز هو وحجار ولكن لم يبعد واحد منهما عن أصحابه فزعا مما جرى عليه فى اليوم الماضى قال الراوى هذا وسنان قد رأى هذا الحال فنبه بنى فزارة للغدر والقتال وطلب بذلك إنجاز الاشغال فبينما هو على مثل ذلك وإذا بعساكر الافرنج

انتشرت حول الصفوف انتشار الليل وردت الفرسان عن الحملة وضربت وجوه الخيل وأمرتها بالمهلة والوقوف حتى يأتي مقدمهم يأخذ الإذن من ملك الروم في البراز لما أنه قد تقدم الخليجان المقدم عليهم ثم أقبل وهو يقول أنا قلبي مشغول على ذو الخمار وكان حوله جماعة من الفرسان وهو على جواد ضامر من خيول الجزائر وفي يده طارفة خوذبه ومعه قنطارية قوية وعلى صدره زردية هندية ولكنها عتيقة سليمانية وكان لهذا الجبار أخوان آخران معه في المعسكر وكانا يقاربانه في الفروسية وكلهم يتعاونون للبس السواد والزهد ومن أجل هذا هجروا النساء والأولاد وكان هذا الشيطان أشدهم بأسا وهو الذي ملك جزائر البحر وتقوى على أصحابها وأخذوا بالسيف قهرا فحمل على ذو الخمار وعيناه تلعب في أم رأسه مثل شعل النار اذا علقت في الكبريت وهو مثل العفريت الذي يسكن في القفار (قال الراوي) وقد علا الصياح من الفارسين واختلفا في الكلام لاجل اختلاف الجنسين ولعبا بالرماح بعد الصياح وكثر الضرب وازدهر لان هذا فارس البحر وهذا فارس البر فحيروا الأبصار إلى أن عبر نصف النهار وزاد الغيظ بذي الخمار لانه رأى بين يديه فارسا جبارا ما كان يقول أنه يلتقي مثله في الأقطار فجد في طلبه حتى أضجره وأتعبه ولما رأى منه التقصير قاربه إلى أنه ما رآه على تلك الحالة حتى طارت عوامل الرماح وما بقي في أيديهما ما ينفع الطعن فعادوا إلى السيف فتلاطما بها وأبصرت أخوته من أخيهم التقصير فخافوا عليه من الهلاك وكان اسم الواحد منهما كوبرت والآخر موبرت فصورت في أنفسها قتل ذو الخمار ولما تصور لهم ذلك حملا من اليمين والشمال على خيول أسرع من ريح الشمال وما أدركا أخاهما إلا مجروح وفوق الأرض مطروح لان ذو الخمار حين رأى منه التقصير ضربه ضربة عظيمة جرحته فوقع على الأرض من خوف الموت وقد صار النهار في عينه ظلام وعول ذو الخمار أن يثني عليه فادركه إخوته وقد طعناه طعنتين صائبتين وكانتا أخف من نظر العين فوقعت الواحدة في جواده والأخرى في أضلاعه فوقع وانقلب الجواد ولما أبصر النعمان إلى هذه الأمور تعوذ بالنار والنور وصاح في طوائف العجم وقال وحق النار من خلص اليوم ذو الخمار بلغته ما يختار فعندها التقت الرجال نفسها في الهلاك وحملت عساكر تلك النصرانيه من سائر الجهات وعملت الرماح والقنطاريات في صدور الفرسان والسادات وارتعدت الأبدان من شدة الاهوال الحادثات وندم الجبان على الثبات وأخذ الشجاع الحيرة والانبهات وتطايرت الجماجم بضارب السيوف المرهفات

وانصمت المسامع لما سمعت من اللغات المختلفات فكان النهار قد ضاق عن مثل هذه الصفات إلا أن الليل ما نشر على الأرض رايات الاعتكار حتى ردت الافرنج عساكر كسرى إلى الأسوار وأخذوا ذو الخمار وشدوه وأركبوه على بعض الجنائب وعادت إلى الخيام ولما نزلوا أخذوا الراحة وشاوروا أصحابهم على قتل ذو الخمار فقالوا لا وحق المسيح ما نقتل هذا الفارس ولكن شدوا جراحه وأقرنوه إلى أصحابه حتى نفتح هذا البلد وندعو كل من فيها إلى طاعة الملك ومن تنصر قبلناه ومن أبى قتلناه ففرح اخوته بما أمر قال الراوى ومن الغد قاتلت عساكر كسرى من خلف الاسوار وصبرت على طول الحصار كان الملك كسرى والنعمان عولا أن يعبروا بالناس إلى الجانب الآخر ويقطعون الجسور ولولا بنوا كنده وحجار بن عامر فإنه اصطلى نار الحرب بنفسه وضبط المكان عشرين يوما ليلا ونهار وبعد ذلك تعبت رجال الشام وقد تعبوا البلد وعولوا على الدخول وأخذ المدائن وأيقن كسرى بالهلاك والبوار ورأى نفسه فى الهوان وأبطأت عليه عساكر خراسان وقال له الملك النعمان ما بقى غير العبور إلى الجانب الآخر والصبر على نوائب الزمان الى أن يأتينا الفرج والا يزداد علينا الضيق والحرج فقال كسرى وحق النار والنور لا طوعتكم على العبور حتى أخرج عند الصباح إلى الميدان وأطلب البراز من ملك عبدة الصلبان بعد ما شرط عليه وأوعده وأقول له إن أنت أسرتنى سلمت إليك كل ما أملك من البلاد بعيد وقريب ودخلت فى ملتك وعبدت الصليب وإن أنا نصرت عليك فارحل بهذه الجيوش فى هذا العام وأورد عليك جميع ما أوردت من المال والانعام وهذا الامر لابد لى من فعاله فلا يلومنى أحد ولا يضيع عليه مقاله ثم غلبه البكاء فقام من بين يدى وزرائه وأكابر دولته ومشى حافيا على قدمية إلى المعبد ودخل اليه ووقف يومىء إلى النار بالسجود والموبدان إلى جانبه يقرأ كلام المجوس ومشايخ النار يبخرون قدامة بالعود وهم ما بين قيام وقعود والكل يدعون للملك بالنصر حتى لا يغير عليهم المعبود قال الراوى وكان النعمان قد أوجعه قلبه على كسرى من حين ما سمع المقال الذى قاله ورأى فعاله وتركه على حاله وتبتل لحفظ البلد وحرس الأسوار وبنو كندة وحجاز طوائف الاعجام والديلم وما الو على مثل ذلك حتى أقبل النهار وتشعشعت الأنوار وانبسمت الشمس فى الفلوات والقفار وخرج الملك كسرى من بيت النار وعول على الركوب والخروج الى ما قد ذكر وعول عليه واذا بالنعمان قد أتى اليه وخدم وسلم وقال أيها الملك قد أتانا رسول من ملك الروم بطلب الحضور إلى بين يديك ويذكر أن معه رسالة ويريد أن يقصها عليك فلما سمع كسرى ذلك تعجب غاية العجب وقال من

يكون فى هذا العسكر الجرار وهو قد أشرف على أخذ هذه البلاد والديار وقد علم أننا قد أشرفنا على الهلاك من ضيق الحصار فكيف ينفذ يطلب الصلح فقال الموبذان شيخ النار



اعلم أن الرب القديم قد أراهم آية من الآيات وقد ألقى الرعب فى قلوبهم لأنهم قد أتوا يمحون ملة قديمة صحيحة الاعتقاد ويظهرون دينا باطلا فقال كسرى إن كان طلبهم الصلح فيجوز أن تحضروا الرسول حتى نسمع ما يقول ثم جلس على سريره وكان من الفضة البيضاء ولبس ثياب الـ دا ووضع التاج على رأسه والإكليل على جبهته ودارت به الحجاب بالثياب الديباج والسيوف المحلاة بالذهب الوهاج وأدخل النعمان الرسول بين يديه وكان بطريقا عظيما ومعه وزير صاحب دمشق فقبل الأرض وخدم وقال أيها الملك أن قيصر ملك النصرانية يخدمك وحلف بالأيمان وبين ركب الأجساد ما سار إليك باختياره وما حمله على هذا إلا هذه الطائفة الأفرنجية التى خرجت من البحار ففزع من القسوس والرهبان لئلا تحرمه الأجر والثواب وسلم سرير ملكه وإلا فما كان نقض الإيمان ولا غدر ولا خان والآن قد أشرف الملك الذى معه على الهلاك من الجرح الذى جرحه ذو الخمار وقد أنفذنى إليك أطيب قلبك وأؤمنك على بلادك بشرط أنك لا ترجع تطالب منه دما ولا خراجا وهو يرحل عنا بهذا العسكر ثم أطلقنا من قد أسرناه إلا ابنى عبس غطفان فإنه

صاحبى الحارث قد حلف أنه لا يطلقهم حتى يتركهم شهراً فى الحبوس ويذيقهم مرارة العذاب والبؤس وبعد ذلك يطلقهم إذا نفذ له قومهم وسألوه فيهم وأهدوا له شيئاً من المال حتى يحلهم إلا أن النعمان يعلم ماقد عملوا من القبيح فى حقنا وماقتلوا من عباد المسيح ومعه منهم هاهنا فرسان لو أطلقهم أشعلوا قلوبنا من جهلهم لأنهم يجمعون أندال العربان ويلحقوهم إلى أى مكان فلما سمع كسرى ذلك الكلام وقع به الانبهار ورأى أن الصلح أعظم الصواب فأجابه وقد انفرجت عن قلبه الهموم ومن شدة فرحه فتح خزائنه وأخرج أموالا كثيرة وسير الجميع صحبة الوزير البزرجمهر وأمره أن يستخلف ملك الروم بعدما حلف الرسول وعاهده على الصلح وما أمسى المسا إلا والرسول قد عاد بالخلع للملك قيصر وسهل الأمر وتيسر وعاد ملك الروم من على شاطىء الغدير كما أتى وكذلك صاحب دمشق طالب أرض الحيرة والحجاز وهى الطريق التى أتى منها وما أصبح الصباح إلا والدنيا قد خلت من تلك الخلائق حتى كأنه ماعبر بها عابر وركب ذلك اليوم كسرى والنعمان وخرجا فى موكب كبير من خواص الفرسان وقد انفرجت عنهم الهموم والأحزان ولما أبصروا عساكر النصرانية قد اختلف فى طريقين وحارت فرقتين فأعجبوا من كثرة تلك الخلائق فنادى والنعمان يقول ماصلحنا عبدة الصلبان ورحلوا عنا إلا من أمر عظيم وأكثر ظنى أن بلادهم قد جرى عليها محنة وإلا ما رحلوا وجه ياسادة (قال الراوى) وكان لرحيل العساكر سبب وحديث يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب لأنهم ليلة نقبوا سور البلد وقت الصباح وصل إلى الملك الحارث الوهاب فى الليل خمس نجابة ودخلوا عليه فى الظلام وبكوا بين يديه بضجة وانتحاب بعدما خرقوا الثياب وأرخوا العمائم فى الرقاب فاندهش الملك وحار وسألهم عن حقيقة الحال فقالوا يا ملك خربت بلاد الشام وهلك من فيها من الخواص والعوام وفتحت دمشق بالسيف والحسام وتهدمت أبرجها وأبوابها وذبحت قسوسها ورهبانها وسبوا حريمك ونهبت خزائنك ونقول إنها بعدك قد نزل عليها القضاء وملكها شياطين الحجاز فبادروا الأمر قبل فوات البدار والعودة من هذه الديار ولا تطمع فى العراق فتخرج من يدك بلاد الشام وربما تسكنها عرب الحجاز فلما سمع الحارث هذا الكلام صار النهار فى عينه كالظلام وخيل له أنه فى منام فقال للذين أتوه بهذا الخبر ومن هم هؤلاء الذين فعلوا هذه الفعال ومن أى العرب هم ومن هو المقدم عليهم من اللئام والاندال فقالوا ما سمعنا لهم مقدم إلا عنتر بن شداد ومعه عشرة آلاف فارس

تبع ولكن كل واحد منهم اذا صاح فى ملك الموت انجزع وإذا ضرب بحسامه الصخر انصدع
فقال هذا هو الصحيح والخطأ منى لأنى سرت إلى هذه البلاد وخليت خلفى مثل هذا الشيطان
قال والسبى الذى أنفذته من أرض الحجاز مع نادر بن غياث إيش كان منه قالوا يا ملك السبى
خلاص ونادر قتل وما سلم من الذين كانوا معه إلا القليل وكذلك بنو فزاره الذين كانوا معهم
وساروا والسبب فى ذلك ناشر بن غياث فإنه وصل إلى الاعناك وأنفذ قدامه المبشر ببشر أخاك
سنام بما قد وصل معه من المال والأنعام ولما وصل البشير زين الأسوار وضربت بوقات الفرح
والاستبشار وخرج هو ومن كان عنده من الفرسان واجناد وأتبعه الخواص والعوام يريدون
الفرحة على سبايا الأعداء وما بقى فيها أحد الاشيخ كبير أو عجوز منقطعه ومشت الرجال
أوفى من فرسخين؛ وأما الخياله فإنها السبى إلى حد يومين وهنوا بعضهم البعض وإذا قد
عولوا على العود إذ قد طلع عليهم ألف فارس مثل النسور على خيول أخف من الطيور وركبوا
فى عارض البرحق حاذوهم وأطلقوا الأعنة وطلبوا أبواب دمشق ولما وصلوا إليها
افترقوا عليها وملكوها وكان أخوك ونادر قد ظنوا أنهم من جلتهم إلى أن رأوهم وقد فعلوا
تلك الفعال وسبقوهم إلى البلد وسمعوا صاحبهم وهم داخل البلد فانكروهم وتجاروا
خلفهم بجيش يزيد عن عشرة آلاف فارس وكان مسيرهم كالسيل إذا انحدروهم ينادون
بالعبس بالجشم أين تنحون يا كلاب النصرانية ثم انطبقوا عليهم انطباق الليل وعلا ضوء
النهار وأظلم الغسق وكان أصحابنا أوفى منهم عدد ولكن لهم عليهم تفاوت عظيم فى الصبر
والجلد وافترسوهم افتراس السباع الجياع وسقو من دماهم الروبى والبقاع وما نجا منهم إلا
من كان فى أجلة تاخير وصار الباقون بين قتيل وجريح أما الرجال فإنهم هلكو بالسيف
والحسام وبعد ذلك وصل الأعداء إلى البلد وملكو خزائن الأموال وسبوا البنات والصبيان
من أولاد النصارى وهدموا الكنائس وذبحوا القسوس فى الصوامع والقلال والذى سلم
من الناس طلب أرض حوران وفيهم من تعلق بالجبال وتركوا الأولاد والنسوان
وقد كثر الحديث والكلام وما فيهم من ذاق منام أو شبع بطعام (قال الراوى) فزاد
بالحارث الكمد واشتد به الخوف وأما سنان بن أبى حارثه فإنه عض كفيه من الغيظ
والندم والنهب فؤاده على أموال بنى فزارة وزادبه الكمد فشق ثيابه ولطم على رأسه
وصار يصيح مالك يا عبد السوء لا لقاك الله خيرا ولا سقاك قطر الندى لا نك
أبدا تبدل الأفراح بالأتراح والسرور بالقبور ثم قال للحارث إيش عولت أنت

الآن نفعل ياملك بعد هذه الأخبارقال إيش اعمل أقوم إلى الملك الرحيم وأعيد عليه ماجرى واحوجه العودة إلى بلاد الشام لعلنا نلتق هذا العبدهناك ونجازيه على هذه الفعال ونخلص من يده الأموال والعيال وإلا بقينا مثلا يضرب بنا الامثال فقال سنان هذا هو الصواب ولكن لاترحلوا حتى تصالحوا الملك كسرى وتظهروا لهاتكم ندمتم على فعالكم وأن رحلتم وعلم برحيلكم فانه يلحقكم بالعساكر والجنود ويستوفى منكم كل ما فعلتوه ولاسيما أن وصلت النجدة التى فى انتظارها من بلاد خراسان ويفزع الملك النعمان بجميع العربان ويأخذكم فى الطريق وأنتم سائرون سير الخائف الفزعان وان التقانا عنتر بن شداد وأصدقاه خلص حريمهم وأموالهم وأسراهم واقل مايكون القوم فى عشرين ألف فارس أو يزيدون فقال الحارث ياسنان فعلى هذا الحساب نريد عندعودتنا نقسم قسمين وأعوادنا إلى طريق الحجاز كما أتيت واترك الملك الكبير يسير على شاطىء الفرات حتى لا يفوتنا العبد ابن اماء ويوسع بأموالنا وحريمنا فى الصحراء فقال سنان بهذا أردت أن أشير عليك فكنت أنت إلى الصواب أسبق فقال قم الساعه إلى الملك الرحيم وأعلمه بهذا الأمر العظيم مادام أن الليل فيه رمق فعندها قام مقدم بنى غسان وفى قلبه مما سمع النيران وهو يحلف بالمسيح والصلبان أنه لاتأنى ولا قصر عن هلاك عنتر ومازال حتى دخان على الملك قيصر فوجد عنده ملك الافرنج وجماعة المقومين الذين للخيالة وبطارقة الروم وهم يتشاورون ويدبرون فى الزحف على المدائن عند الصباح فحدثهم بماجرى وقص عليهم ماقدمناه فبقوا عند ذلك حيارى وفزع الملك قيصر على انطاكية لئلايجرى عليها مثل ماجرى على دمشق وهى كرسى مملكته ودار عزه فاشتد به ا الأمر وقال للحارث ياملك وحق نعمتك ما تانيت عنه ولاقصرت أول خروجى من الديار الابنى عبس وسبيت كل من فيها من الرجال والنسوان وعنتر ماوقع فى يدى لأنه من عظم سعادته كان غضبان على قومه وقد سار إلى طائفة يقال لها بنو هوازن وسمعت أن ديارهم وعر وصعبة المسالك فخفت على أن أقضى فى طلبه الزمان وتسمع بظهور قبائل العربان فتا كلنى من كل جانب ومكان وتحترز لانفسها ولا أنال منها بطائل فبادرت الحلل والقبائل وسرت إلى غطفان بعد أسرى لاخوة الملك النعمان وأتونى باموالهم والرجال وبنسائهم والأطفال فاطاعتنى بنو فزارة هم سائر بطونها وأشار على شيخها سنان بالمسير إلى بنى عامر فوصلك إلى كتبك مع النجابة يخبرونى بظهور الافرنج من البحار وطلبهم للجهاد ومسيرك أنت معهم إلى هذه الديار والبلاد وتامرنى بطلب الملك النعمان وأنا أكفيكم بمن معنا من العربان فقوى ظهرى بذلك واشتد عزمى ومضيت إلى بنى

عامر وقلعت آثارهم وسبيت صغارهم وكبارهم وجمعت السبي كله وسيرته إلى بلادنا فى عشرة آلاف فارس وما برحت لهم حافظا وحارس وبعد ذلك سرت إلى الملك النعمان ففرقت الجموع الذين كان جمعهم وملكت بلاده وأتيت إلى خدمتك بعد أن عفوت عن العوام وأمنتهم على أموالهم وعيالهم وقلت مادام أن الملك قد جد فى طلب هؤلاء الأقاليم وخرج فى هذا الجيش مابقينا نبالى بشر وما نخاف من عنتر وما بقى فى أرض الحجاز أحد يظهر إلا أن يطيع دولتنا وبعد هذا كله ما أدرى ما جرى من الأحكام ولا كيف وصلت هؤلاء العبيد إلى أرض الشام ولا من أى طريق لحقوا اسبايا هم فقال ملك الروم الساعة ما بقى يمكننا المقام ولابد لنا من الرحيل من هذه البلاد والاستدراك وإلا نما الشر وزاد وخرج علينا أهل القرى والبلاد سبوا الزرارى والأولاد فقال ملك الافرنج ارحلوا أنتم إلى بلادكم ودعونى أنا ههنا للجهاد ولا أريد منكم نصرة ولا اسعاد فقال قيصر لا تقعد أيها السيد واعلم أن هذه الديار ما تبقى خالية من السكان ولابد أن تأتيها العساكر والعربان ونخاف عليك أن تنكسر وتضعف ملة الصلبان والصواب عودتنا إلى هذه العرب الذين قد كسرت عزمهم وإذا فرغنا عدنا إلى هؤلاء وبلغنا كلنا المنى ومادام عنتر عند بنى عبس سالما مايكون لنا عيش هنىء ثم وعده بمثل هذه الأسباب حتى لان وأجاب ولما قوى عزم القوم على الرحيل أشار عليه ملك بنى غسان بمصالحة كسرى وحكى لهم ما أشار به سنان من قسمة العساكر قسمين ومسيرها فى طريقين حتى لا تفوت الأعداء وتوسع بحريمهم فى البيداء فقال ملك الروم هذا هو الصواب ففعل ما فعل وصالح الملك كسرى ورحل وقد أخذ أسارى بنى عامر وعمرو ابن معديكرب وذو الخمار معه فزعا من عرب الحجاز أن تجتمع على الحارث ومنه تخلصهم قال الراوى وجرى من القصة ما جرى وعدنا إلى سياق الحديث الأول ومسير العساكر الافرنجية وعودتها من اقليم العراق فانها مازالت تسير السير الحثيث بلا هدو ولا قرار حتى عبرت أرض هيت وقاربت أرض القاصريات وهى خلجان وأنهار مثل الفرات فنزلوا عليها وباتوا فى طلب الراحة وكانوا قد وكلوا على الأسارى جماعة كثيرة من الروم والافرنج وهم الذين كانوا يسيرون بالنهار فلما جن الليل والظلام ونامت العيون وتبدل القوم بعد تحريكهم بالسكون فقال ذو الخمار لعامر بن الطفيل وملاعب الأسنة وفرسان بنى عامر إلى متى تسوقنا هؤلاء الكلاب سوق النساء ونرضى بالذل صباحا ومساء وهذا كله فزعا من الموت ورغبة فى الحياة قوموا بنا نأخذ سيوف هؤلاء اللئام النيام وبعد أن نأخذها نضرب بها رقابهم ونشفى قلوبنا منهم ونطلب بعد ذلك النجاة والهرب ولا نبالى يسلم من يسلم

ويعطب من يعطب فقال عامر بن الطفيل يا ذو الخار وأى قرنان يشتهى هذا ويهواه والله لولا هذا الشداد والوثاق الذى قطع منا الأوصال والأعناق وكذلك قال عمرو بن معد يكرب فقال ذو الخار أما أنا فقد قطعت كتافى من حيث نزلوا لأنه كان ضعيفا وقد همتنى نفسى أن أقوم وآخذ بعض هذه السيوف وأدافع لولا هذا الجرح القاتل فأنا أحل الجميع وأرجع أقاتل معكم حتى أنى أقع طريحا ثم صار يدنو من واحد بعد واحد ويحله ويقول له أنت حل رفيقك وخلص صاحبك وقاتل عن نفسك وتقدم إلى المتوكلين وكانوا فى السكر غارقين وأخذ له عدة على حسب ما اشتهى قال الراوى وما مضى من الليل ساعة حتى خلصوا الجماعة وصاروا على ظهور الخيل وكانوا نحو المائتى فارس إلا أنهم لما وسعوا فى البر أنكرهم الحارث وانتبه الذين كانوا موكلين بهم وماج العسكر تحت الظلام وخرجت الخيالة من المضارب والخيام وسلت المرهفات الصفاح وقاتلوا الهاربين قتال الأسود فى البطاح وجاءتهم الفرسان من كل جانب وانتشرت عن الفرسان الرقاب وانشقت أذيال الدجا وأبصر ذو الخار الهلاك بعينه فأطلق عنانه نحو أرض العراق ونجا لأنه من أهل الغدر والدهاء ومنه تعلمت شياطين العرب الخبث والسهاو قاتلوا هؤلاء بعد لمحات الضحى لأنهم على كل حال أبطال الهيجاء وأسود الفلاة لاسيما عامر بن الطفيل وملاعب الأسنة وعمرو بن معد يكرب فانهم اختاروا الهلاك وقاتلوا حتى اشرفوا على العطب والارتباك وفعلوا فقال من لا يخاف من هلكات العرب ولولا خيالة الافرنج ما كان أحد من الروم لحقهم وإنما لمعان الطوارق حيرهم وقتل منهم ثلاثون فارسا ودارت بالباقين المواكب وسدت فى وجوههم المذاهب وترجل إليهم كل راكب ونادى ملك الروم ياويلكم لاتهلكوهم وخذوهم أسارى حتى يشتفى بعذابهم قلوبنا مرة أخرى (قال الراوى) وما زال الملك يكثر من ذلك الكلام حتى طلع عليهم غبار وقتام وكان من ناحية أرض الشام أشد من سواد الليل فقال الملك أبصروا ما هذا الغبار فانى وحق المسيح أظنه هو الجيش الذى للعرب وقد سمعنا به أنه خرب بلاد الشام وقد ساقهم المسيح إلى هذا المكان لفراغ أعمارهم ثم ان الملك قيصر قال للملك الافرنج صح فى خيالتك وقل لهم يسرعون فى أخذ من بقى من القوم بالسيف القرضاب وأنفذ النقباء إلى باقى العسكر ليركب إلى هؤلاء الجيش الذى كنا له طالبين (قال الراوى) فعند ذلك ركبت العساكر على الجرد السوابق ورفعت الأعلام والبيارق وضجت من المغارب والمشارق وانصمت المسامع من اختلاف الزعاق

والصمت المسامع من اختلاف الزعاق والصياح وقلعت الأرواح فزعا من أسنة الرماح الخوارق وارتعدت الابدان لما لاح بريق السيف البيارق يا سادة يا كرام وكان هذا الجيش القادم هو الأمير عنتر بن شداد ودريد بن الصمة واخوه الملك النعمان والعربه الذين كانوا معهم بنى هوازن وجشم وكان مع القوم طائفة قوية من عسكر العراق الذين أسروا مع اخوه الملك النعمان عمرو بن هند والملك الأسود الذين خلصهم عنتر ودريد من الشام وكان سبب الحاقه للسي من أعجب الأسباب لأنه لما كان التقاه الملك قيس وبكى بين يديه وقبل عذره وكان ذلك بواسطة دريد بن الصمة واتفق رأيهم على المسير إلى أرض الصام خلف أموالهم وعيالهم وبنى عمهم وأبطالهم فركبوا النجب وطردوا الخيل بين ايديهم فقطعوا القفار وكان تحتهم نجب ومهارى تسبق النجوم الدرارى وجمازات أهون ما عليها قطع الفلوات ويقال أنهم صاروا فى سبعة أيام مالا يسيره غيرهم فى شهر كامل وكان سيرهم ليلا ونهارا ونومهم على الاقتاب لأن فقد الحريم والأولاد منعهم على الرقاد وأكل الزاد وشيبوب مع هذا المسير يسبقهم ويأخذ أخبار الأحياء والقبائل وما زالوا على مثل ذلك حتى قال لهم فى اليوم الثامن أبشروا با والله بالحاق الطلب وقله للتعب والنصب فالقوم الامس رحلوا من الأعناك طالبين دمشق استريحوا أنتم فى نهاركم وعودوا إلى ظهرو الخيل واكضوا خلفكم فانكم تدركونهم فى دون البلد فتحكمون فيهم تريدون فقال دريد لله ياشيبوب فو الله أنك نعم المشير فقال الملك قيس بن زهير يا وجوه العرب اسمعوا منى ما أقول فقال عنتر وكيف ذلك فقال يا بن العم أن هؤلاء القوم مارحلوا من الأعناك إلا وقد أنفذوا قدامهم بشيرا إلى دمشق لأجل ذلك ويخرج كل من فيه من الخواص والعوام والفارس والراجل يوسعون فى البر ويلتقون القادمين من مسير يوم والرأى أن نجرد منا ألف فارس تسير فى المقدمة طالبين ولا يظهروا لهم حتى يشرفوا على المدينة ويروا هذا الحساب الذى حسبته ويصح لهم عند ذلك ويركضوا فى غرض البر ويسبقوا إلى الأبواب ويملكوها ويملكنا البلد فلما سمع جماعته قوله أطاعوه وعلموا أنه صواب فقال مقرى الوحش ما لهذه الأمور غيرى أنا أسير فى المقدمة وأمسك لكم الأبواب لأن البلاد بلادى وأنا أعرف بها منكم ثم نزلوا ذلك اليوم الراحة وتلك الليلة وعند السحر ركب مقرى الوحش الجنيب وطلب

من يسير معه على الترتيب فتواثب إليه الفرسان واعتدت معه الأقران وطلبوا المسير إلى النهب لأن العرب فيها الطمع فسار معه من أصحاب دريد خفاف بن دثار بن ورق فتمام الخمسماوية فارس وسار من بنى عبس عروة بن الورد فمالك بن قراد فقرى الوحش وبقى عنتر ودريد بن الصمة مع باقى الجيش واتفق انهم ماأرادوا بهذا التدبير وخلصوا أموالهم ونساءهم وكان ذلك شيئاً كثيراً وكان الذى خلصوه من الفرسان ثمانية عشر الفاسوى النسوان وملكوا دمشق بعد ماأهلكوا خلقا بعدد الرمل وأسروا بسامى بن أبى شمرخ الغسانى أخو الحارث وبقى النهب يعمل البلد خمسة أيام والنياق تساق سوق الأغنام لأنهم جاهلية كاسو ذالبيداء قد ظفروا بأموال الأعداء قال الراوى وبعد النهب عادوا إلى الكنائس فخربوها وإلى الصوامع فهدموها وذبحوا القسوس والرهبان وأخذوا القناديل والستور والصلبان وقد أسروا جماعة من بنى فزارة وصلبهم أخو النعمان على الأسوار وتركوا النساء هم من الجوارى وخرجوا إلى ظاهر البلد وقد تركوها فضائح وخلوا القتلى مطروحة فى الأزقة مثل البطائح ولما نزلوا فى الخيام تباشروا بالأنعام واجتمع كل منهم بأهله وتقدمت كبشه أم عامر بن الطفيل إلى عنتر ودريد بن الصمة وكان معها جماعة من نسوان بنى عامر وقد بقوا فى أرض العراق أسرى مع الحارث ثم بكين قدام دريد وسألته أن يعاونهن على خلاصهن فطيب قلوبهن وقال نحن لابد لنا من المسير إلى أرض العراق فى خدمة أخى النعمان ولاجل معاونة الملك كسرى على من قد سار إليه مع ملك الروم عن عباد الصلبان فعندها أنشدت أم عامر بن الطفيل بعد كلام دريد تقول هذه الأبيات .

أبا الفوارس ضاع الصبر والجلد	وانهد حيلى وذاب القلب والكبد
أنت الهمام الذى قد سل صارمه	يوم المعامع أنت الضيغم الأسد
أخوك عامر قد أضحى فى القيود ولم	يجد له ناصرا يفديه ياهند
فانهض وخلصه يامن قد سما ورقى	أنت المفرج للكربات ياعضد
لازلت فى درج العلياء مرتقيا	وزال عنك العنا والهم والنكد

قال الراوى فلما فرغت كبشة من شعرها تقدمت إلى عنتر هى وجميع النسوان اللاتى كن معها وقد صار رجالهن أسرى مع الحارث الوهاب فبكين قدام عنتر وسألته أن يعاونهن على خلاص رجالهن فطيب دريد وعنتر قلوبهن وقالوا لهن نحن لابد لنا من المسير إلى العراق فى خدمة النعمان ولاجل معاونة الملك كسرى على من سار إليه من عبدة الصلبان ونخوض فى خلاص رجالكن على أى وجه كان ياسادة ثم أن عنتر بعد أن قال لكبشة أم عامر على ذلك

وعدها بخلاص ولدها وقال لها أنا أحرص منك على خلاصه لأنه أخى وصديقى وما فعلت هذه الفعال إلا من أجله ثم بنوا أمرهم على مثل هذا وضموا السبى الذى وقع فى أيديهم والأموال والحريم والعيال وسيروا الجميع إلى أرض الحجاز مع خمسة آلاف فارس من الأبطال وأرادوا أن يدخلوا بأنفسهم يطلبون أرض العراق على خيولهم فقط فقال لهم مقرى الوحش قد شبعنا من مسير هذا البر ولاقينا منه ما كفانا والصواب إنكم لا تضيقوا طريقكم من هاهنا بل تسيروا معى على بلد قيصر انطاكية حتى أغنيكم من الفضة والذهب ومن الجوار الروميات لتفتخروا بها على سائر العربان وبعد ذلك نقصد أرض بالس وننهب ما هناك من الديور والكنائس فقال الملك الأسود والله لقد أشرت بالصواب والرأى الذى لا يعاب لأننا نعلم أن ملك الروم قد خرب بلاد كسرى ثم بنوا سيرهم على مثل ذلك وساروا مع مقرى الوحش وكان عدد الجميع خمسا وعشرين ألفا إلا أن البلاد بين أيديهم خالية ما فيها من يدافع فنهبوا وتركوا الديار بعدهم قفارا وأخذوا من بلاد أنطاكيه غلمانا وجوارة أحسن من الشمس وطلبوا بعد ذلك طريق الفلاه وقد بلغ كل واحد منهم مناه وقال عنتر بن شداد والله ان هذه سفرة تكفينا خمسين عام فلعن الله من لا يحمل غزواته إلا على بلاد الشام فقال شيبوب طب نفسا وقر عينا فادام انى قد عرفت هذه البلاد سوف أريك ما أفعل بأبطالها فقد جدوا فى مسيرهم حتى عبروا وادى فروة وأرض بالس وساروا من الفرات فالتقوا بعساكر الروم فى أرض الغادرات وكان عنتر ودريد ومقرى الوحش فى المقدمة وعباد الصلبان حول عامر ابن الطفيل واصحابه مشتبكة والخيل حولهم مبادرة وهى معتركة فقال دريد ما حال هؤلاء يدل على خير وانى لأعجب كيف رجعوا عن أرض العراق وهم فى هذا الجيش الذى لا يحدى فقال عنتر أما رجوعهم فانى أقول أن أخبارنا قد وصلت إليهم وسمعوا بما قد فعلنا فى بلادهم فعادوا الينا خوفا على بلادهم منا وأما هذا الصياح المعقد عليهم فهو لا شك خلف قد وقع بينهم كما قلنا أو أن بعض طاعة العرب تبعتهم تريد أن تنهب أموالهم وقد رجعوا إلى قتالهم أو يكون بعض الأسارى قد هرب ولا بد أن أخرج فى ألف فارس وآتيك بحقيقة الأخبار فقال دريد ما أنت إلا قدها نت عليك الأخطار وإلا ما قلت أحمل فى ألف فارس فقال عنتر يا أبا النظر لا يهمك كثرة الأعداء من عبدة الصلبان فان العرب أثبت منهم جنان فقال دريد افعل ما تريد فنحن نتبعك ونقتحم من خلف العجاج فعندها حمل عنتر

ومقرى الوحش وعروة بن الورد وشداد بن قراد وتمام الف من أبطال بنى عبس الشداد وطلبوا مكان الصياح وجردوا الصفاح وقدموا قطع الرماح وكانت جملتهم كما ذكرنا فلما صاروا تحت ودارت بهم الاعلاج ووقعوا فى بحر عجاج واحمرت نار الهياج وأبصر دريد وأصحابه ذلك الخبر المنكر ففزع على عنتر ودعا بدثار بن روق وخفاف ابن ندبة ورتب معهم عشرة آلاف فارس وأمرهم بالحملة فى أثر عنتر فحملوا على الخيل الجياد وزعقوا زعقات تفتت الأكباد واشتد الأمر وزاد وثارت الجماجم بالسيوف الحداد واشتكت البقاع من شدة القراع وافترق الشمل بعد الاجتماع وضاقت الأرض بعد الاتساع والالام والأوجاع وتقسمت الابدان ثلاثا وأرباع وفر الجبان من هيبة الشجاع ونهمت السباع من حولهم والضباع ومازال دريد قائما حتى رأى الافرنج قد رفعت البيارق وقلبوا القنطاريات وافترقت قسمين وسارت وحملت الفرقة الواحده مع الروم اللئام والفرقة الأخرى قصدت الاعلام ولما تحقق ذلك صاح فى باقى الجيش وحمل وبان الصواب من الزلل وقد بطلت الأسباب والحيل واختلف الطعن بالاسل وانتثرت الجماجم نثر الحرمل وفعل دريد فى ذلك اليوم فعل الجبابرة الأول لأنه قاسى الأهوال وعرف نوائب الدهر الثقال وأما عنتر فانه حمل فارس وخاض المعمعة وصار يقاتل ويطلب الصياح الذى سمعه وما يحمل فى صدور الخيل حتى قارب عامر بن الطفيل وسمع صياحه وعرفه وكان قد بقى من أصحابه أربعون وهلك الباقون لأن خيلهم عطشت وعددهم فنيت وطلب بعضهم من بعض الوداع وقد بقى بينهم وبين الموت قدر باع وفى تلك الساعة قاربهم عنتر وعرف من أصواتهم ما أنكر فقال والله ملكت سادات بنى عامر ثم صاح فى رجاله وحمل الروم ففرق صفوفهم وأطال عذابهم وطير قحوفهم وشق أعصابهم وطعن فى صدورهم وأجنابهم وسكر من ضرب السيوف وطعن الرماح كاسكر شارب القداح قال الراوى وكانت فرسان الجاهلية إذا دام عليها الحرب وكثر عليها الطعن والضرب فانها تسكر وتقاتل وهى غائبة عن الوجود لاسيما بنى عبس الاسود وفارسها عنتر الذى كانه الحجر الجلمود وقد ذكروا أحواله فى مقاله ووصف سكره فى شعره وقتاله ومن ما أنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

إذا طرب الرجال على الاغانى وغيب رشدهم خمر الدنان

فرشدى لايغيبه مــدام ولا يغتالنى صوت المغانى

ولا يقتادني طرب ويشتق فؤادي غير ضرب الهندواني
وأسكر كلما سكر الاعادي ونادوا لا مفر من الطعان
وأطرب ان رأيت النقع عالي وذلك شهوتي عند الرهان
أميل إلى العجاج بعزم ليث شديد اليأس بالعضب اليماني
وأروى من دما الأبطال سيفي ومن ليات خيلهمو سناني
وكم من فارس أضحى جديلا على الصحصاح مخضوب البنان
وأقتحم الورى حتى تراني خضيبا بالدما كالأرجوان
ورمحي شاهد لمقال صدقي ويخبركم به طعن الحصان
وأسد الغاب تخشى من ضرابي وترعب خيفة لما تراني
ولي سعد ونجم قد تعالى على متن السها والفرقدان

قال الراوي ثم ان عنتر في ذلك اليوم لما سمع صيحات بني عامر ونداها وهي تئن من جوار أعداها غابت عنه رؤية الأرض والسماء وبذل نفسه لاطراف القنا وما أفاق على روحه حتى ماجت من حواليه الدماء وقد هاجت الروم على وجوهها وهربت من بين يديه فزعا وقد وصل إلى عامر بن الطفيل ونادى يهنيكم السلامة والفرح فتأنوا على انفسكم من غير حرج ومن قدر منكم على جواد فليركب ويأخد الراحة من التعب ونحن ندافع عنكم الأعداء (ياسادة) وما كان في القوم من بقي له جواد سالم إلا عمرو بن معد يكرب الزبيدي لأنه حمى نفسه من العطب ولما أبصر عنتر وحققه عادت اليه روحه ودنا منه واعتنقه وقال لله درك يا فارس العرب لقد أتيتنا في أضيق الأوقات وأحييتنا بعد الممات وكان عنتر قد سمع صوته وسمع منه ذلك المقال فعرفه وقال رأيتك يا أباثور وأنت من جملة الأسرى فايش الذي أوصلك إلى هذا المكان فقال أتيت إلى نصرة النعمان وكسرى لجرى علينا هذا المجرى. فقال عنتر أبشر بالسلامة وحصول الراحة بعد الندامة فأنا أشفي فؤادك من عباد الانجيل ثم ترك الجميع خلفه وقاتل عنهم إلى أن وصلت العشرة آلاف فارس الذين كانوا وراءه مع خفاف بن ندبة ودثار بن دوفي ومقرى الوحش فقوى بهم على أعدائه وما فيهم إلا من نزل بالسيف حتى كانت يداه هذا وشيبوب يرعى أبطال بني عامر ويرد عليهم الخيول الشاردة من أقطار الفلاة حتى ساروا كلهم فرسان وحملوا على طوائف الروم وعبدة الصلبان فقاتلوا قتال من ذاق الهوان وأما عمرو بن معد يكرب فانه أظهر كل العجب وطعن وضرب حتى ترك الدماء حوله تسيل وكذلك عامر بن الطفيل وملاعب الأسنة وما زال السيف يعمل بين

الروم والعرب إلى أن طار طائر الظلام وانفصلت الطوائف وأمن كل قلب خائف وسكنت تلك الرواجف هذا ودريد بن الصمه قد لقى من قتال الافرنج شدة وقتل من أصحابه ذلك اليوم جماعة تعز عليه ولولا الملك الأسود حمل فى ألف فارس وأعانه والا ما كانت طوائف الافرنج تخلت عنه قال الراوى ولما انفصلوا من بعضهم البعض نزلوا فى جنبات الأرض وقد تركوا الدنيا ملآنة من القتلى وعاد عنتر معد يكرب وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وتبادرت كذلك بنو عامر وقد وجعل عنتر يذكر الواقعة التى جرت وهو يترنم ويقول صلوا على طه الوسول ء

إذا مـــد الغبار رواقا	صفا كأس المنية لى وراقا
فتطربنى بروق البيض حتى	أهيم إلى مغاربها اشتياقا
وأعشق للعوالى السمر عشقا	وغيرى يعشق البيض الرشاقا
أنا كأس المنيه لى شراب	ألذ بها صبوحا واغتباقا
وأطراف القنا لحظى ونقلى	وتفسح لى إذا الميدان ضاقا
جزى الله الأغر اليوم عنى	بما يجزى به الخيل العتاقا
كففت بصدره موج المنايا	فمحمحم خيفة وشكا الفراقا
ولولا صارمى وسنان رمحى	لذاق الموت حقا لانفاقا
ألا يا عبله لو عاينت طعنى	وخيل الروم تنطلق انطلاقا
لزدت مسرة وشكرت فعلى	حقيقا ما حدا الحادى وساقا
سلى سيفى ورمحى عن فعالى	هما فى الحرب كانا لى رفاقا
سقيتهما دما لو بات يسقى	به جبل اليمامة ما أفاقا
وكم من سيد خليت ملقى	يحرك فى الدما قدما وساقا
أنا العبد الذى خبرت عنه	رعيت جمال قومى والنياقا
ومن هذا علوت وبان عزمى	ومجدى يخرق السبع الطباقا

قال الراوى ولما استوفى عنتر هذه الأبيات مالت العرب والسادات لها طربا وقال عمرو بن معد يكرب إن عنترا ما ترك لشاعر مقالا ولا لفارس قيمة ولا مقدارا فقال عنتر ياوجه العرب وحق من أوسع البيداء ما أقول هذا الشعر افتخارا على الفرسان وإنما يجىء شىء على صدر الإنسان فينطق به اللسان ثم قال لعامر بن الطفيل وأصحابه ياوجوه العرب نحن سمعنا فى الحجاز عن عرب الشام ومنتصرة بن غسان أنها أسرتكم وسبت حريمكم ونراكم مع الافرنج وما نرى معكم من عرب الشام أحدا إيش المعنى فى ذلك لعل هؤلاء سمعوا بفعالى

وهم فى بلاد النعمان فقال عامر لا والله يا أبا الفوارس ما بقى فى أرض العراق من هذه الطوائف لانهم لما سمعوا بفعالكم احتالوا على كسرى وصالحوه بعدما كانوا حصروه وأسرفوا على أخذ المدائن وأرض العراق لأن العراق والعجم كانت قد أبطأت عليه وبقى مشرفا على الهلاك وما بقى يصدق برحيلهم عنه ولما عولوا على الرحيل فزع ملك الروم أن يخالفكم فى الطريق وتسيروا إلى أرض الحجاز بأمراله وعياله فساروا على الطريق كما أتى منها ولكنهم عاروا على الخيل جرائد بلاثقل ولا عائق وسرنا مع هؤلاء الروم وكان معنا ذو الخمار وهو ماسور مجروح فخلص نفسه وقاتل معنا حتى الصباح وأبصرنا الهلكة فهرب وراح ثم عاد عليه قصته وما جرى فى أرض العراق فتعجب عنتر وحار من حديثه وقال ياليت شعرى ماجرى فى بلاد اليمن مع غمرة وبأى وجه قد عاد إلى هذه البلاد ثم فزع على السبي وكانوا أنفذوه إلى أرضهم من بلاد الشام مع حريمهم وقال لا بد أن يرجع صاحب دمشق ويخلص سبى بلاده ولقد ضاع تعبنا قال الراوى فجرى على قلب الملك قيس مالا يجرى على قلب بشر وما فيهم إلا من بكى على أهله وحريمه ونزل الجميع عند أخى النعمان وأعاد عنتر عليه ماسمع فضاق صدره وقل صبره وقال والله لقد وقعنا مع عباد الصلبان فى أمور مالها أواخر وضيعنا الزمان فى شىء يفطر المرائر وما ظفرنا بطائل وان بنى عامر أيضا مع حريمهم وأموالهم وما بقى فى الامر الا أننا نحرض فى أسر ملوك النصرانية وقد خلصنا بهم الجميع ولا يؤخذ منكم عقال لاننا لأرض الشام مابقينا نقدر نرجع وقد أتانا هذا البحر الزاخر ولو رجعنا لاجتمع علينا مثل هؤلاء وأضعافهم وأشرفنا على التلاف فقال الجميع كل ماذكرته يادريد صواب ولكن كيف يكون التدبير فى هذا الخلق الكثير حتى ننجز أمرهم ونظفر بملوكهم فقال عنتر إذا اعتدلت الصفوف يخرج منها خمسون فارس يطلبون البراز فان برزوا أفنينا أبطالهم والفرسان وأن كانوا ما يخرجوا إلينا طلبناهم فارسا لفارس فان أبوا صحنا فى باقى أصحابنا وطلبنا الاعلام واجتهدنا فى أسر الملوك فيهون علينا الامر لاننا أن يقع ملك الروم فى أيدينا خلصنا به العيال والاعوان هذا أن كان الامر صحيحا وقد وقع بهم الحارث والاسلناه إلى الملك العادل كسرى يفعل به ما يشاء فقالوا هذا هو الرأى السديد ويجب أن نمتثل ثم باتوا وقد بنوا أمرهم على مثل ذلك وفى قلوبهم النار على الاولاد والعيال ثم اصطفت صفوف الروم والافرنج فملأت الأرض وقد ضيقت الآثار وكذلك فعلت طائفة العرب.

لما ولى النهار والغيب الا أنهم فى مثل مركب فى لجج البحار أو القفل السائر فى واسع القفار قال أبو عبيدة وأرادوا من عساكر النصرانية أن تحمل فى سائر العساكر لأجل ما يأتى فى قلوبهم من خلاف أسارى بنى عامر فخرج دريد إلى الميدان وتبعه عنتر مثل الأسد الغضبان وبرز مقرى الوحش وعروة بن الورد وملاعب الأسنة والأخوص بن جعفر وخلف بن ندبه وروق عمر بن معد يكرب والربيع بن زياد وشداد بن قراد وتمام الخمسين فارسا من فرسان الحجاز الذين ما فيهم الا من يلقى ألف بطل إذا تصف فى البراز ولما صاروا بين الصفوف وقاربوا العساكر وجالوا عليهم ولعبوا بالرماح السمهرية وابصروا يفارقه الروم والافرنج فاحنيت عليهم أفعالهم فخرج إليهم أمثالهم فى عددهم وقد طمعوا فى أخذ اسلابهم إلا ان كل واحد منهم لما قابل خصمه ضربه طير رأسه على جسمه وفيهم من طعن صاحبه قلبه على جانبه وحملت فرق أخرى فالحقوها بمن تقدم وفعلوا بهم مثل ما تفعل الذئاب بالغنم والنسور السكواسر بالرخم وتتابعت بعد ذلك إليهم الفرسان وقصدتهم الشجعان من تحت الاعلام والصلبان وما زالوا على مثل ذلك حتى انقضى النهار واهلكوا خلقا ما لها عيار ولا يقطع عليهم آثار لانهم فرسان ما تقاس بالكواعب ولا تساوى السباع بالثعالب قال الراوى وقد أبصرت طوائف النصرانية فعالهم فانتبهوا من قتالهم وقال ملك الروم قيصر لخلجان ما ساء ناسوى قلة التدبير فنتدارك قضيتنا مع هؤلاء الأنذال وإلا خسرنا وطال علينا المطال وانكسرنا لأنى أعرف شجاعة شياطين الحجاز وقد رأيت فعالهم فى المعامع وفى البراز ومن أجلهم كنت أهادى الملك كسرى والنعمان وأكشف شرهم من أننا تنفذ إليهم ونصالحهم ونتركهم يمضون إلى بلادهم ونمضى نحن إلى بلادنا وإلا أفنوا أبطالنا وبطارقنا وأجنادنا وما نقتل منهم فارس حتى يقتل منا جمع كثير وهذا نقص فى العقل والتدبير (قال الراوى) فلما سمع ملك البحر الخليجان هذا المقال زاد به الغيظ لأجل ما هلك من خيالته والابطال فقال للملك الروم وحق المسيح ما رأيت كله إلا رياء وفسادا لانك ما خرجت معنا على نية الجهاد ولا تبعتنى إلا خوفا من عتب القسوس والرهبان العباد ولاجل هذا وحلت عن ديار كسرى حتى لا تملك بعضها وتصير جوار فى هذه الديار وأنا وحق المسيح ما أطيعك على هذا المقال أبدا ولا أصالح القوم ليسكون لدين النصرانية أعداء فان شئت أن تصالحهم دعنى أن أبذل المجهود فى طاعة الوالد والمولود وإلا تقاتل أنت يوما وأنا يوم حتى تعلم أمة عيسى على من يقع التعب واللوم وأولادى وأرجع بهذا الخلق والعدد وما فتحت قلعة ولا بلد ثم ولى باعلامه وانعزل بمن معه

من المواكب والفرسان وقال لهم اعلموا أنني قد عولت أن أحمل بعساكري على هؤلاء واجتهد أن أكسر هؤلاء الرعاة في أقطار الفلاة وأعود إلى هذا الملك الخامل الذي قد اشتغل عن آخرته بدنياه ولا أزال كذلك حتى أعجل قتله وأملك بعده بلاد المسيح وأظهر فيها العدل الصحيح والدين المليح وأريد منكم الدعاء الصالح وأريد أن تصلوا على صلاة الموت فقالوا له السمع والطاعة افعل ما بدالك وصف هذه العساكر فنحن نعينك على هذا الخامل ثم دار بالخيالة وصاروا يصلبون على وجوههم ويصلون عليهم ويحرضونهم على القتال وما زالوا على مثل ذلك حتى ضجوا من شوقهم إلى الجهاد وكان سوقهم وزعاقهم يفطر الأكباد وحلوا من كل شعب وواد بآلة الحرب والطوارق وكان الخمسون الذين قدمنا ذكرهم في الميدان ينظرون براز الفرسان ولما رأوا عساكر النصرانية انقسمت قسمين حاروا في أمورهم قال عنتر ابن شداد ما أقول إلا أن أعداءنا قد وقع بينهم الخلف وهم يريدون أن يقاتلوا جميعا كل طائفة يوما والصواب أننا نحترز لأنفسنا من الجهتين ونقسم أصحابنا فرقتين وإن رأيناهم قد اختلفوا دهمناهم بأجمعنا ونثرناهم بأطراف القنا كما يريدون ونفعل مثل ما يفعلون ثم عاد وقسم أصحابه قسمين وتقدم عنتر بخمسة عشر ألف فارس بارائهم وترك الباقين حول أخي النعمان والملك قيس إلا أنه ما فرغ من هذا الترتيب حتى حملت الافرنج قبل الثبات ومدت أسنة القنطاريات بعد ما صلت عليهم القسوس والرهبان صلاة الأموات وقد رأى دريد هذه الفعال فالتقاهم فيمن معه من الأبطال واشتد بينهم القتال واصطفت الأقدام وبطل القيل والقال وجست الأرواح بالانتقال فما عليهم إلا حمل الأثقال وهبت عليهم أرياح الصبا والشمال وزادت الحروب اشتعال وعملت فيها عوامل الرماح الطوال وحكمت فيهم السيوف الصقال وقد خسرت في وسط المجال ونيران حربها زادت اشتعالا في أنابيب النحور والأوصال وطعان أسنتهم تسابق بفعالها الآجال وكان حرب أعدائهم لا يغني من جوع ولا يشفي غلال (قال الراوي) لهذا الكلام والمقال قد جرى ذلك اليوم والناس على هذا المقال وكانت الدماء تجري كالغيث الهطال إلا فارس عبس وحاميها وموقد نارها ومصطليها لأنه الالباس والطوارق والأعلام والبيارق وهد الأكتاف والمغارق وترك الجماجم نعال الخيول السوابق والتقى بملك البحر وهو يجول ويحمل على العرب عرضا وطولا وله وجه مثل وجه الغول فصاح به صوت مهول وحمل عليه حملة جبار لا تصطلى له نار وطعنه في صدره خرج السنان يلمع من ظهره ولما أبصر خيالة الافرنج صاحبها قتيل مالت واضطربت وعلى وجوهها صلبت وأطلقت على عنتر بمواكبها وأفواجها وجاءته كالموت إذا فاجأ وكان معه مقرى الوحش وأخوه شيبوب وعروة بن الورد جماعة من رجاله فردت الافرنج عن الطعن رغما وهدمت بنيانها بصارم السيف هدما وفرت

الروم من بين أيديهم هزما وشيبوب قد قطع رأس المقدم وحطه على سنان وعرفت عبدة الصلبان رأس المقدم خلنجان فوقع بهم الخذل وبلغ الخبر إلى أخوته فدمدما وبربرا ولطما على وجوههما من شدة الاحزان وحملا يطلبان الثار وقد خففا اللباس والدثار وكان بين أيديهما دريد بن الصمه فى بنى فزارة وبنى جشم وماقار بوه حتى استقبل الكبير منهما وضربه على رأسه كسر بيضته فانزل السيف إلى قفارته وطعن ملك الروم ذلك اليوم من فرسان الحجاز ماقطع ظهره وحيره فى أمره فلاجل فى ذلك ما حل بعساكره ولأمان فرسان البحر بل انعزل عنهم ترك السيف يعمل فيهم إلى المساء لأن معول على الإصلاح وترك الحرب والكفاح قال الراوى وعند الزوال أحضر جماعة من خيالة الافرنج وقال لهم أتظنون أنى اليوم تركت معاونتكم إلا غيظا منى على ملككم لأنى نهيته عن قتال هؤلاء القوم السباع الجياع فما انتهى لأن أجله كان قد حضر وانقضى والآن فهذا أمر قد فات وقد عولت أن آخذكم معى إلى بلادى وأساويكم بعسكرى وأجنادى ومن أراد منكم الرواح إلى دياره خلعت عليه وسيرته فى المراكب ثم طيب قلوبهم وخلع عليهم وعلى رهبانهم وقسوسهم حتى لا يقوموا عليه ويحرموه من دين النصرانية وعند الصباح أرسل إلى طائفة العرب يطلب منهم الصلح ويقول الذى كان قد لج فى قتالكم وأحوجنى إلى معاداتكم قد راح وأنا ما رحلت من أرض العراق حتى صالحت الملك النعمان وعقدت معهم عقد العهود والأيمان وعفوت عنهم بعد القدر عليهم وكذلك أنتم فعلتم بأرض الشام وما عليكم عتب ولا ملام لأنى علمت أن هذا الأجل حروب قد جرت بينكم وبين بنى غسان والآن فقد رأيت من الرأى أنكم تدعون الصلح مقيم وتسيرون إلى بلادكم ولا تبغوا على من طلب إصلاح الشأن لأن عواقب البغى مذمومة ومدة الصلح بالإصلاح محروسة والسلام قال الراوى وكان جيش العرب قد ركب عند الصباح وغاصت فرسانه فى الحديد والسلاح وعولوا على أن يعملوا فى الروم مثل ما عملوا بالافرنج فوصل اليهم الرسول وبلغ لهم الرسالة وشرح لهم القضية من غير إطالة فقال عنتر هذا الصلح كيف يكون وصاحب دمشق سار إلى أرض الحجاز بعساكر من بنى غسان يلتقى حريمنا وأموالنا ويردها إلى بلاد الشام وحق زمزم والمقام والمشاعر العظام والبيت الحرام لافترقنا عنكم حتى تسير ملوككم معنا إلى أرض العراق وهم مربوطون فى الوثاق أو أترك الارض غارقة من دماء الافرنج والبطارقة يظن قيصر اننا ننخدع مثل ما انخدع على أهلها حتى لا يجرى عليهم أمر من الامور إذا وقعوا فى يد الحادث ملك

بني غسان مرة أخرى ولا ينفذهم إلينا إلا وهم مخدمون ومكرمون مع الأموال والعيال وإن لم يفعل ذلك وإلا ضربنا رقاب الرجال الرهائن الذين عندنا في الاعتقال وبعد ذلك كلنا نسير إليه وإلى بلاده بمن قد عرف من الأبطال ونخلص حربنا على رغم أنفه عنفا بصدور الرماح وضرب البيض الرقاق الصفاح قال الأصمعي وأبو عبيدة رحمهما الله تعالى ولما أن سمع الرسول عن عنتر ذلك الكلام حار وقد وقع به الإنبهار وقال يا وجه العرب هذا ما عندنا منه خبر وسوف أعود إلى صاحبي وأعيد عليه ما قلته لي من المقال وأنظر ماذا يكون منه من الجواب وأودعه يدبر نفسه فيما يرى فيه الصواب ثم أنه عاد من عندهم وسار إلى أن أتى عند الملك قيصر وقد قص عليه الخبر فلما أن سمع من الرسول ذلك الجواب فزاد خوفه وفزعه ولم يدر ماذا يرد من الجواب أو يقول من الخطاب وقد علم أنه مغلوب وقد ترادفت عليه الكروب ففزع أن يخرج من هلكه مكسوب فقال وحق المسيح لقد أتعبنا أنفسنا بأنفسنا وكان ذلك كله منا وبايدينا بمعاداه هؤلاء العرب الذين هم لا يخفون من العطف ولا يفزعون من الموت إذ هو منهم قد دنا واقترب ثم أنه جمع أرباب دولته وقد أعاد عليهم ما قد أتى له من الجواب ثم أن الملك قد شاورهم فيما يفعل فقالوا له ما الذي يحوجك أيها الملك أن تشاورنا وحربهم ونزالهم وإننا ما نقابل من قد جعلوا الحرب دأبهم والضرب والطعن طعامهم ونقلهم وشرابهم وشغلهم فقال لهم الملك إن منهم ذلك وإني على مثل معلول لأن هؤلاء القوم مالهم ذنب وإنما الذنب لنا وكان سببه الحارث الوهاب فهو الذي قد أضرم علينا نار هؤلاء القوم ونارهم شديد الالتهاب ثم إن الملك قيصر رد الرسول إلى عنتر بالإجابة وقال له اجتهد أن تنقصهم من الخمسة آلاف الذين يطلبونها شيئا وإن كانوا ما يجيبونك إلى ذلك فلا تعد إلى إلا ومعك منهم من يحلف لنا ثم تعطينا الذمم على أصحابنا فقال له السمع ثم أن الرسول مضى عندهم يطلب جيش العرب وكان عروة قد قال لعنتر بعد مضى الرسول من عندهم ويحك يا ابن العم لم أجبت ملك الروم إلى الصلح وطلب الرهاين منهم ويذلوا بين أيدينا فدعنا ننهب أموالهم ونفني أبطالهم ونأخذ الملك بقوائم سيوفنا ولا نفرج عنه إلا بكل ما تريد فقال عنتر والله يا عروة ما تطلب نفسي البغي ولا تستحسنه ولا يمكن أن أحارب من يطلب الامن ونكف عن سفك الدماء ولا أمن الحوادث التي تنزل من السماء وأعلم أن الخلق كثير ما نقدر بنجز أمرهم في يومين أو أكثر وإذ كسرناهم ما ندري إن كان يقع الملك وتركوا شيئا من تلك الخمسة آلاف فارس الرهاين فقال له عنتر اعلم أنه لابد لنا من ذلك

ولا نترك منهم شيأ ولا نفعل بل كان الملك ما يحيينا إلى ذلك فنحن نقاتله لاننا نعلم أن هذه نائبة الحارث الغسانى يلقى حريمنا وأموالنا ويأخذهم ويرد الجميع الى بلاد الشام وهو حريم ثلاث قبائل بنى عبس وبنى عامر وبنى غطفان ومعهم أموال ورجال وأموالنا ما تأ كلها النيران وإن لم تستظهر لأنفسنا ما نصالح فقال الرسول إذا كان الامر على مثل ذلك فانفذوا معى من يحلف الملك ويعطينا الذمام على أصحابنا فقال عنتر إن ذما منا نحن أكل أصحابكم من طعامنا أموالنا عقال قال الراوى ثم ان عنتر أنفذ معه جماعة من مشايخ القبائل الكبار ولما أن دخلوا على الملك قيصر أكرمهم وقد ترحب بهم وقد عاهدوا الملك وحلفوا له وكان مقرى الوحش معهم ولما تعاهدوا وتحالفوا على ما وقع عليه الشرط فاختار خمسة آلاف من عظماء الروم كلهم أقارب ونسائب وهم من بيت أهل الملك فاخذهم وقد انصلح الحال وعادت مشايخ العرب بالرجال قد أنفذ معهم هدايا لاجل الأمراء والمقدمين من الفرسان وقد سألوهم فى أطلاق من معهم من القسوس والرهبان وغيرهم من الفرسان فاطلقوهم وبعد يومين رحلوا وقد ساروا وهم طالبون العراق وصارت عساكر النصرانية يطلوبون بلادهم الا أن جيش العرب مازال سائرا إلى أن أشرق على مدائن الملك كسرى وكان الملك النعمان مقيما عنده ينظر ما يتجدد من العرضيات وقد وصلت اليه بعض قبائل العرب ووصلت الى الملك كسرى من خرسان قوة لكن وصولهم كان بعد فوات الأمر ورحيل الأفرنج وعساكر الروم فانفذ الملك النعمان من يكشف الخبر فسارت على الأثر الكشافة وعادت باخبار دريد وعنتر وقد أخبرت الملك النعمان بخلاص أخوته وأهله وعشيرته فاستبشر بالخبر لما أن سمع ذلك ثم أنه قام من وقته وساعته وأخذ معه موكبا كبيرا من العرب والعجم والفرس والديلم وصار إلى لقاء عنتر ودريد ومن معهم من الفرسان ومازال سائر إلى أن التقى القوم أحسن ملتقى وسلم عليهم وقد هناهم بالنصر والظفر على الاعداء الانذال وقد استعجب الملك النعمان كيف أنهم ظهروا من هذه الطريقة فسألهم عن حالهم وعن عساكر الروم إن كانت التقت بهم أم لا فحدثه دريد بالحال وشرح له ما جرى من الفعال وأعاد عليه ما فعلوه فى رض الشام وما تم لهم من حيث ساروا من أرض الحجاز إلى أن أخذوا الرهائن من عبدة الصلبان بعد أن هلكوا الافرنج وقتلوا ملكهم وأخوته قال بعد أن سمع النعمان ذلك غاب عن الوجود من كروب ولكن ما صالحنا لكلب الروم الا لما وصلت اليه أخباركم ثم أنه بعد ذلك قد هنا

أخوته بالسلامة وقد عاد وهم إلى جانبه سائرون وهم يحدثونه بالاهوال التي جرت من عنتر فى بلاد الشام وقتال الافرنج وهو يصدقها فى ذلك ويقول ماتحت السماء أفرس منه ولا أكثر منه سعادة ولا مروءة ولكن نحن ما نعرف عدرة قال الاصمعى ومازالوا سائرين الى أن وصلوا إلى المدائن وقد خرج كسرى فى سائر مواكبه التقى بهم وسلم عليهم وقد فرح بهم وبعد ذلك نزل القوم والخيام ونقل اليهم العلوفات والطعام والمدام وقد أكرمهم الملك كسرى وهو فرحان بما سمع عن عبده الصلبان ركب الملك النعمان وركبت العرب من حواليه وساروا الى ملتقى الملك كسرى وسلموا عليه وتقدم الملك النعمان وقال له يا ملك الزمان لازلت منصورا على عبده الصلبان ثم أنه حدثه بفعال عنتر ودريد شيخ العرب ففرح بذلك وازال عن قلبه الغمة وخلع فى عاجل الحال على عنتر خلعه الرضا وكذلك فعل فى حق دريد ومقرى الوحش وعروة بن الورد ومقدمين العربان وقد أركبهم الجنائب الحسان وسار بهم يطلب الفرجة على البساتين وهم من حواليه بما جرى لهم مع الملك قيصر وعساكر الافرنج والروم وكيف قتل ملك البحر خلنجان وكيف قتل ملك تركه ملقى القيعان وكلما سمع الملك كسرى يطرب من ذلك الشأن ويقول كيف دار ذلك الدولاب كله على الملك قيصر وذلك كله بعد الذل والهوان قال مجد بن هشام ومازالوا سائرين وهم فى هرج ومرج إلى أن وصلوا إلى البستان وقد كان بستانا من البساتين المعدودة للملوك الاكاسرة وهو كأنه روضة من رياض الجنان وفيه من الأشجار والرياحين الوازوهى كأنها العرايس المجليه بانواع الازهار مكسية ويد تريح به ريحان فاحت فاكهة والبان والرياحين قد ابتهجت جنباتها وتنفست فلواتها واكتملت حلل إيقاعها وقد أشرقت شقائقها وفاحت أزهارها وأينعت أثمارها وأثبلت بنور فجاجها وترنحت غصونها كأمواجها وأصول النسرين من جنباتها ورايح البنفسج من أبراجها ومقل النرجس قد فتحت عيون انزعاجها والربيع قد خلع على أغصان البان حلا قد جرت فواصلها على الكثبان وهام الغصون قد اكتسبت التيجان وظهرت أزهارها مختلفات الالوان فابيضها يفوق أحمرها شقيق يميل به النسيم كأنها مثل نشوان تلاقى الاغصان كأنها جوق وراقص وفى أرجاهن قيود من سلاسل الريحان والشمس تنظر من بين خلال الاشجار الى ذلك المكان ونظروا إلى نحو الحدائق كما تنظر العيران قال الراوى وأن أعجب ما فى ذلك المكان أن الارض ضاحكة بغير نطق لسان والسحاب لضحكها باكى حتى اذا ابتسمت ثغور الزهر كمطوم الجنان والماء يسرع فى تدفقه والجريان وكلما مرت عليه الرياح مال شمالا ويمينا وتارة كأنه النعيم

وتارة كأنه كوارع الغزلان فهو كما قال فيه أديب ذلك الزمان الذى حاز فضائل الأوائل وما زلوا يصف لهذه المعانى ثم أنشد يقول هذه الابيات

خلع الربيع على غصون البان حللا فواضلها على الكثبان
وزكت فروع الدوح حتى صافحت مقل الايب ذوائب الأغصان
وتوجهت هام الغصون ومزجت حلل الرياض شقائق النعمان
وتنوعت بسط الرياض فزهرها متباين الاشكال والالوان
من أبيض زاه وأصفر فاقع مع أزرق صافى وأحمر قانى
والطل يسرق فى الخمائل نظرة والغصن يخطر خطرة النشوان
وكأنما الأغصان سوق رواقص قد قيد بسلاسل الريحان
والشمس تنظر من خلال فروعها نحو الحدائق نظرة الغيران
والطلع فى حلل الكمال كأنه حلل تفتق فى نحور غوانى
والأرض تعجب حين تضحك والربا تبكى بدمع زائد الهملان
حتى اذا اقتربت مباسم ثغرها وبكى السحاب بمدمع هتان
ظلت حدائقة تعاتب جوده فاحاب متعذرا بغير لسان
فاض السرور على حتى أننى من عظم ماقد سرنى أبكانى
والماء يسرح فى التدفق كلما عجلت علية يد النسيم الوانى
نورا كأنه الفلاة وتارة متمثلا كما كارع الغزلان
فاعرف همومك بالربيع وزهره ان الربيع هو الشباب الثانى
وختمت أقواله بمدح محمد خير الورى سيد ولد عدنان

قال الراوى وما زالوا فى ذلك البستان وهم فى أكل وشرب وغناء ولعب وضحك إلى آخر النهار فركبوا وعادوا من ذلك المكان إلى الايوان وعنتر راكب بجانب الملك كسرى ومعهم من مقدمى العربان الكرام ولما أن دخلوا من الايوان نزلوا عن الخيول التى كان الملك كسرى قد وهبها لهم وقد جلس الملك كسرى وأمر بالجلوس لسائر العربان وأما عنتر فإنه قد أجلسه بجانبه على السرير كأنه الأسد الزئير وقد صارت جميع الملوك جلوسا من ورائه وقد أحبه الملك كسرى وصافاه وجعله نديمه من دون رفقاه وقد قدم من بعد ذلك الكاسات من المدام وقد أخذ الملك كسرى قدحا من الساقى وناوله لعنتر فاخذه منه وانبشر فى وجهه وعند ذلك قام عنتر ناهضا على قدميه وقبل يديه وشكره والسرور قد طفح

عليه وناوله إلى الساقى والملوك ناظرة اليه ثم أن عنتر أشار يمدح الملك كسرى ومجلسه بهذه الأبيات يقول صلوا على طه الرسول :

قم يا نديم وزر مجالسة الكرى ... بمهجر يصفو النوار لمجلسى
إذ ما رأيت النور يشرق بالندى ... والفجر ينصل من خضاب الحندس
والثوب فى حلل الحديقة دائر ... والغصن من حلل الازهار مكتسى
والروض يبرز فى غلائل لؤلؤ ... والارض ترفل فى غلائل سندس
لا تعدم الحظات كيف تصرفت ... وجنات ورد أو لواحظ نرجس
والجو بين مكوفر ومصدل ... وممسك ومورد ومورس
فكانما نفحت حدائق زهرها ... عن ذكره المتعطر المتقدس
الضاربين بكل أبيض مخذم ... والطاعنين بكل أسمر مدعس
من كل أزهر فى الغلاظة أفلج ... أو كل أحور فى العريكة أشرس
سلبت أكفهم المقايا والمنى ... سكن الصواعق فى الغيوم الدحس
لله مجلسك المنيف قبابه ... بمواطر فوق السماء مؤسس
بمواقفك جبل المجرة تلتقى ... فيه الجوارى بالجوارى الكنس
تتقابل الانوار من جنباته ... فالليل منهم كالنهار المشمس
عطفت جناباه وبردت سماته ... عطف الاهلة والحواجب والقسى
واستنشرت عمل الرخام وزهره ... باجل من زهر الربيع وانفس
فهواؤه من كل جانب أهيف ... وشراوه من كل خد أملس
فلك يحير فيه كل منجم ... وأقر بالتقصير كل مدانس
فبدا لحظ العين أحسن منظرا ... وغدا لطيب العيش خير مفرس
وزهابة قمر إذا ما أطلعت ... شمس الخدود عليك ثم الاكوس
فالناس أجمع دون قربك رتبة ... والارض اجمع دون هذا المجلس
ملكت عطايات الملوك باسرها ... أيضا وعم الكل ليث اشرمى
خذ من عبدك عنترا بكرا أنت ... تجلى بها أنوار ضوء المجلس
وختمت أقوالى بمدح محمد ... من جاءنا بالدين مثل الاشمس

قال الراوى وكان عنتر كلما انشد وأعرب يتمايل الملك كسرى من شدة الطرب وياخذ

الكاس من ساقيه ويشرب لأنه كان فى لغة العرب له معرفة وفصاحة فى معرفة الأدب ولما أن فرغ من إنشاده له هذه الأبيات تعجب من فصاحته سائر من حضر من السادات فعندها نهض الملك كسرى قائما على قدميه وخلع كل ما كان عليه من الخلع ورماها عليه ثم أنه أمر له بمال جزيل غير قليل فقال له يا عنتر وحق بيوت النيران وما فيها من البرهان أنك أنت فريد العصر والأوان فى نظم الشعر وكل الفصاحة وملتقى الأقران فى حومة الميدان وقد أتوا الحجاب للملك كسرى ببقجة ثياب فلبسها وترك التاج والاكليل على رأسه وقد طابت له الاوقات بين جلاسه وقد دارت الكاسات وأردفوها فى الطاسات إلى أن أعمل فيهم المدام وساروا كأنهم نيام قال نجد بن هاشم ياسادة يا كرام يامستمعين الكلام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العليم صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الكرام صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الزحام كلما غرد القمرى وناح الحمام ولما أن انقضى النهار قاموا وخرجوا من ذلك المجلس وساروا الخيام الجميع وما فى الحاضرين إلا من خرج من المجلس وهو يميل فرحاً وابتهاجا وهو يجر أذيال الحرير والديباج وقد قدم لعنتر جواده الابجر وكان واقفا عند من يخدمه من الخدام فركب وعاد الجميع إلى الخيام وكان عليهم ذلك اليوم لا يعد من الاعمار قال المؤلف وكان ذو الخمار فى تلك الايام عند الملك النعمان لانه لما أن خلص من الأسر عاد اليه لانه لما أبصر فعل الملك كسرى مع عنتر زاد به الحسد والكمد وقد جرى على قلبه مالا يجرى على قلب بشر وقال فى نفسه أوحق الرب الاكبر لادبرن فى هذا هذا العبد الاعبر ولد الزنا الاشر ولو تعلق بالسهاثم أنه صار ينظر لما أن ركب إلى جانب الملك كسرى ليحضر معه فى الميدان ويحكم بين الرجال والفرسان وقمت الطعان ويعود معه إلى الإيوان وقد اشتد به الهيجان ومن عظم ما جرى عليه دخل على الملك النعمان أراد استححىّ منه فقال له الملك النعمان حبا وكرامه اركب معى إذ ركب الملك العادل إلى الميدان حتى أصلح بينك ولا تتكبر ولا تعاد أهل السياده فتخسر فقال ذو الخمار والله يامولاى لقد كنت مغرور بهذه الاشياء والان فقد عرفتها وأولتنى الغربة ولولا ذلك ماقصدت إليك وجعلت معتمدى علتك من دون العباد قال الراوى ثم أنه ركب فى اليوم الثانى فى موكب الملك النعمان وقد حضر معه فى الميدان وقد ركب الملك كسرى ومن حوله سادات خراسان الفرسان وقد إلى سار الميدان واصطفت المواكب لطلب الفرجه على الطعان فعندما دعا الملك النعمان بدريد بن الصمة وعنتر وقد حدثهما بقصة ذو الخمار وسألهما لاجله

أن يهباه خطأه وأن يساعاه مما جناه وقد عرفهما كيف أنه قاتل بين يدى الملك كسرى حتى أنه أسر معجملة الأسرى ثم أنه قال لدريد يا أبا النظرات أنت تعرف أن هذا الفارس الذى مثل البطل يجب أن يدارى ويحتمل ولا يؤاخذ أبدا إذا بدا منه ذنب لأن وقت الحاجة إليه تمحو أفعاله من ذنوبه ويوهب له خطاه وعيوبه لاسيما مثل هذا الرجل ذو الخمار الذى قد شاع ذكره فى سائر الأقطار وقربنا الك بمصاهرته المجد والافتخار ولا له فى هذا القصر مقاوم ولا مماثل إلا أن يكون هذا البطل الحلال الذى تهابه القبائل كلها وقد ذكر لى أنه قد لح فى برازعنتر وأنت تمانعه بالقضاء والقدر وقد كنعه يا أبا النظر تمنعه وتعدله وهو لا ينعدل وما فعل ذلك كله إلا حسدا له وكان جاهل بفروسيته وشجاعته وقد رضى من ذلك اليوم أن يكون له صاحبا وصديق فى الشدة والضيق وما زال الملك النعمان يتكلم بمثل ذلك الكلام إلى أن استحى دريد من الملك النعمان وعفاعتة وأما عنتر فإنه قال والله يا ملك إنى أقل فارسا يكون للعرب اتخذه إلى مولى وأتمنى له حاجة أقضيها له وإنهم يركبون معى طريق الحجاج ويتمنون لى أن أعود إلى رعى الجمال فى البيداء وهذا شىء يكون ولا يجرى لأن بقيت أفعله أبدا وأن فعال ذو الخمار ما كانت عندى خطأ لأنه كان طلب البراز حتى به المرتبة العليا فمنعه من ذلك مولاى دريد على سبيل الاشفاق على ما جرى منه وهذا أمر هين متى أراد منى أطلعته عليه حتى يرضى لأن لى فى برازه الحظ الأوفر لأنه سيد ومقدم وأنا عبد راعى جمال وغنم فعندها تعجب الملك النعمان من مروءته وقال له دريد يا فارس القبائل وجميع العربان ثم أنه دعا بذو الخمار فعندها تقدم ذو الخمار إليه وقبل قدم دريد فى الركاب وأظهر له الاعتذار واعتنقه وتصالح هو وإياه وقد عاد بعد ذلك مع دريد إلى الميدان ووقف بين الصفوف فرأى الأمير عمرو بن معد يكرب يجول بين الفرسان وهو يطلع الأقران ويركض فى الميدان والملك كسرى إلى فعاله هاج بلباله وقد زاد اشتما لفبرز بخيله وتجاله فجال معه ساعة من النهار وسطا عليه سطوة جبار وما تركه حتى أنه واهنه بطعنة تدهش الخواطر فعاد عمرو من قدامه وفى أضلاعه منه علائم وآثار فبرز إليه عامر بن الطفيل فجال معه ساعة وقد علم عليه فعاد وبرز بعده اليه ملاعب الاسنة وتجاول هو وإياه وعاد من بين يديه من بعد ما غيبه ذو الخمار عن رشده وقد تراسلت إليه فرسان بنى عامر فامنهم من عاد من قدامه إلا خاسر فرأى الملك كسرى فعاله فاعجبه قتاله فسأله عنه الملك النعمان فقال له يا ملك الزمان إن هذا الفارس هو ذو الخمار الذى قتل بين يديك الروم والافرنج وأسر الجموع بكثرة

ثم أعاد عليه جميع ماجرى له مع قومه ومع دريد وقد أصلح بينهم فقال الملك كسرى نعم مافعلت فى حقها ياشاه زبان لان مثل هذا الفارس لانفرط فيه ولا نهمل أمره ولو فعل مهما فعل ثم أنه قربه وأدناه وبفرسان العرب بالخلع وساواه وقد أركبه جنيبا من خاص جنبه بمركب من الذهب وقلده بسيف مشطب وحمائله مثل شعاع الشمس يلتهب وقد تركه فى ذلك اليوم عنده وجعله من بعض ندماء وأقام عنده ذلك اليوم بطوله ولما أن عاد من الميدان فما خرج من عنده الا وقد أعطاه واغناه قال الراوى ولما أن كان من الغد عاد والى الميدان فعاد إلى العادة وقد ترتبت الصفوف فى سائر الجنبات وخرج إلى البراز من له بها عادات فبرز ذو الخمار على الجواد الذى وهبه له الملك كسرى بمركب الذهب وجال بين صفوف العرب والعجم وكان قد برز فى ذلك اليوم برمحين طعن بهما وتقلدا عن ظهر الجواد وقد أظهر ما أمكنه من فروسيته وشجاعته العجب وكانت الرماح بلا أسنه فنقلها من يديه وعلقها فى الهواء وتلقاها وهى مثل الأفاعى تتلوى ولما أن فأبهت بغفلة النواظر تقدم إلى بين يدى كسرى وخدم وعاد إلى قدام الملك النعمان وعنتر واقف بجانبه وهو على جواده الأبجر وباس الرمح الواحد وأومأ به إلى عنتر وقال له يافارس الزمان ويابلا تبطل عنده حيل الشجعان تقدم اليوم وفرح هـــذا الملك العادل بين هذه الصفوف والجحافل لأنه ما هنا يشفى القلب بالطعان سواك يافارس الزمان واعلم أننى اليوم قد عولت أنا أفخر ببرازك ولقاك لأنك أنت غاية الشرف لمن لك اعترف ومنتهى المراد إذا بالغ الانسان فيك ووصف وسنابك يسبق الوصف ويأتى بما الوهم وحسامك فى أرواح الأبطال سهم وبفمك تعرف كل فهم ومجدك علا فى السهل وخصالك ثبت لها اليها قال الراوى ومازال على مثل ذلك إلى أن استحى عنتر من الملك النعمان ومن حضر من فرسان العربان الذين فعل بهم قدام عنتر وذو الخمار من جهة عامر وعمر وملاعب الأسنة من يليهم من فرسان بنى عامر الذين خجلهم بين القبايل والعشاير فأتاه الأكما أراد بلا حجة ولا عنادا إلا أنه أظهر حلمه وخضوعه وقد كتم ما اشتملت عليه ضلوعه وقال الله ياذو الخمار لقد وصفتنى بأوصاف أنت أحق بها منى وأولى لأنى أنا عبد وأنت المولى ولولا أنك طلبتنى وقصد قصدت الفرجة ما امتثلت لك قولا ولكن ياوجه العرب من يكون قصده الطعن والضرب بلا أسنة أيش يحتاج الى لبس الحديد هو الصواب أننا نخف عنا الزرديات والدكار ليكون قتالنا أفرح لعيون النظار وكان عنتر قد أراد بذلك أن يوهن مقاتله بالطعن ويعرفه قدره حتى يكف عنه شره لأننا قد ذكرنا ذو الخمار فى براز عنتر والأسباب تمنعه بالقضاء

والقدر ولما أن كان فى ذلك غلب على رأيه وقد استحى من الملك النعمان علم أن ذو الخمار يعود ربحه إلى خسران لان ذو الخمار قال لعنتر والله لا خرجت إليك إلا عريان الجسد على جواد أجرد فقال له هذا هو الصواب والانصاف الذى يعرف بين الملوك والناس من الرجال الاشراف والابطال المعروفين بين قبائل العربان قال مجد ثم أنهم بعد ذلك الكلام كشف كل واحد منهما رأسه وقد خفف حديدة ولباسه ثم أن عنتر سار فى ثوب خام قصير الاكام وقد قد أخذ فرسا لكن من الخيل الجياد ورمى من عليه السرج والحزام قلع من رجليه المهاميز ووثب بعد ذلك وصار على ظهرة كانه أسد من الاسود وذو الخمار لا يصدق بذلك لان فى قلبه من حسد عنتر حرارات ثم أنهما برزا إلى الميدان الاثنان ولما تقاربا جال عنتر وصال وأنشد وقال :

تروم اليوم فى البيدا قتالى ... لقد منتك نفسك بالمحـــال
قعد ياذو الخمار ودع كماحى ... فإنى قد نصحتك فى مقالى
وراجع لا تريد تفض حظى ... كنقص البدر فى وقت الا كال
ألم تسمع مقارعتى وحربى ... وشدة ساعدى ثم اغتيالى
فكم أرديت من بطل همام ... بطعن الرمح فى يوم النزال
وكم جرعت كاسات المنـــايا ... بحد البتر والسمر العوالى
فلى قلب على الاهوال جلد ... وفى حمل الشدائد ذو احتمال
فلو أتت الجيوش إلى زحفا ... وأطلقت الاعنــــه لا أبالى
فيا عبلة اسمعى بفعال عبد ... يذل لســـيفه نعم الموالى
فإنك إن ذكرنى يوم حربى ... وضربى باليمين وبالشمال
فشخصك ثابته فى نور عينى ... ثباتا ليس يمحى بالزوالى
وإنك لو ترين اليوم فعلى ... لكنت تعجبى مما جرى لى
وموقف ذو الخمار يريد حربى ... ويرجو أن أرى من النكالى
فنى جزع الطوائف غداة أضحى ... يريد الحرب بالبيض العوالى
وقد خليته فى الارض ملقى ... وأيقن أنه أدنى رجالى
فعاد يهز عطفيه افتخارا ... وقال ابرز سريعا للمجال
بهمة مالك الاقطار كسرى ... ومن فى الفخر يكبر عن مثالى
مليك عادل قد حاز فخرا ... بما قد جاز من رتب المعالى

أنا ملك جبرت اليوم كسرى   وأسرعت العطا دون المطال
وقد أتحفنى بجزيل مال   وأصناف الجواهر واللآلى
ونعمان الجليل القدر فينا   لقد حاز المكارم بالتوالى
وقد شاعت مكارمه جهارا   وسرا فى الأنام بلا سؤالى

قال الراوى ثم أنهما بعد ذلك الشعر والنظام وما قد زاد بينهما من الكلام صر خاصر ختين صرت لها آذانها وارتعدت من الفرسان أبدانها وبعدها انفسحا عن بعضهما كما تنفسح الكباش إلى النطاح ثم عادوا وقد جردوا السيوف فكان لهم ساعة تقشعر لها الجلود وتذوب من شدتها الكبود ويلين من حرارتها الحجر الجلمود ويعرف الانسان منها حرارة العدم من حلاوة الوجود ثم أنهما التصقا التصاق جبال وادى زرود وقد ظن الحاضرون أن كلا منهما مفقود وافترقا بعد ذلك افتراق جبال وادى الاخدود وقد تقلبا على ظهور الخيل وهم بلا سروج إلى أن تعلمت الأبطال منهم حقيقة الدخول والخروج فلله درهما من فارسين ودرما كان تحتهما من جوادين لأنهما قد أظهرا بواطن الخداع فى مقام القراع وقد خيل للناظرين أن فرسيهما من أملاك الافلاك أوكأنهما من شياطين الجان الذين لا يفزعون من الهلاك فى مقام الارتباك قال المؤلف وبعد ساعة من النهار قد النهار قد تجت من بينهما اطعنتان وقد سمع لهما صيحتان عجيبتان فأما طعنة ذو الخار فانها كانت بحنق وعجل فخلاها عنتر وقد صيرها باطلة وأما طعنة عنتر فانها كانت بمعرفة وفروسية وخبرة صناعية فاحسن بها ذو الخار إلا وعنتر يقول خذها باسبيع من كف فارس لا يخشى ملل ولا ربع وقد وقعت تلك الطعنه فى أضلاعه فغيرت أحواله وأدهشت طباعه إلا أنه أظهر الصبر والجلد وأخفى الوجد والكمد واستحى أن يطلب الانفصال والاقامة وقد طاب له الموت ولا ينصل أمرهما إلى تلك الحالة ومن عظم ما أصابه وجرى عليه رمى الرمح من يده وقد جذب الحسام وطالب بالعنتر وتقدم إليه عوده الأشد الحردان واراد أن يطعنه ثانى مرة برميه فى الميدان فضرب ذو الخار رمحه فبراه وزعق فيه وفاجأه فسل عنتر حسامه وحمل عليه وصاح وقد عاد الأمر بينهما جد بعد ما كان مزاح وخديعه وانشراح ثم أنهما تضاربا بالصفاح فى بواطن الأرواح وكان الملك كسرى يتفرج عليهما والنعمان من حوله ومن حوله من فرسان ويتعجبون منهما وقد تقدمت الشجعان من كل جانب ومكان لايفوتهم النظر إلى مثل هذه ويتعجبون منها وقد اشتهوا أن ينظروا المغلوب من الغالب والملك كسرى قد أهاله ماجرى وخاف على هذين الفارسين

لأنهم من جبابرة الشجعان فالتفت الملك كسرى النعمان وقال له يا ملك افصل بين هذين الفارسين لئلا يحل بهم العطب فما مثلهما من تفرط فيه وكل من فقد منهما تأسفنا عليه لأن هؤلاء أساس الدولة ومانعهما على الأعداء حرمة وصوله ونحن أحوج ما نكون إليهما وإن داما على مثل هذا الحال فما يتخلص أحدهم من صاحبه إلا وقد حل به الوبال فبادر فريق بينهما قبل أن تصل الأذية إليهما فعند ذلك حرك الملك النعمان جواده وطلبهما ومن حوله المقدمون والفرسان وركضوا من خلفه إلا أنهما ما خرجا من تحت الأعلام حتى خرج عنتر من الميدان فلاقاه دريد فرآه وهو يهمهم ويبدمدم ويزمجر وينقر وفي كفه الحسام فقال له يا أبا الفوارس أين خصمك ذو الخمار فقال أنظره هاهو عند تحت الغبار فقال له دريد بحقك يا أبا الفوارس لا تقل ذلك المقال ولا تفعل هذه الفعال لأنك والله مالك في هذا الزمان مقايس ولا مماثل فقال له عنتر يامولاي أنا ما طلبت أن هذا يكون ولا اشتهي ذلك الأول ولا تعرضت له ولا كنت عليه معون وإنما هو الذي أتى إلى وابلاني بروجه وكان لي مشاقق وأنت تعلم أنه تقدم بين يدي وناوانى الرمح بين تلك الخلائق وكان ذلك بحضرة الملك العادل كسرى والملك النعمان وقد أقسم على بالرب القديم خالق الزمان فعند ذلك استحيت من العربان وخرجت إليه وما كان في ظني أنه يفعل هذه الفعال وأنه يريد أن يفرج الملك العادل كسرى والملك النعمان ومن هاهنا من الأبطال على ما يجري بيننا من الضرب والطعان ويرتفع وبذلك قدره بين الفرسان وما علمت أنه يريد هلاكي وإذلالي ويبذل الجهود في خربي وقتالي ولما صح عندي حقيقة طعنته تلك الطعنة وجاءت هي باطلة فقلت إنه يريد عما هو عليه ويطلب الإنكار ويكسر شره عني فما فعل إلا أنه جرد سيفه من غمده وعلى قد حمل وزاد حقده وعناده وقد ضرب رمحي بسيفه براه وقد طلب قتلي كما رأيت بين هذه المواكب ولما أن علمت أحواله وإنه يريد هلاكي أنزلت به المصايب وقد ضربته بالحسام صفحا على رقبته فوقع في الأرض فابسط لي العذر يا أبا النظر وأحمد الرب القديم حيث ما عجلت قتله وأنت وأنت تعلم إني بليت من هذا الرجل ببلاء ماقدرت على دفعه إلا بركوب الخطر والتجري بين يدي هذا الملك العادل حتى هذا الأمور المنكره فقال له دريد وحق الحرم يا أبا الفوارس أن عذرك واضح ولكن لعلو قدرك أنت مسامح وأجل مكافح وأما هذا الرجل فما كنت أشتهي إلا أنه يمسي طعاما لسائر الوحوش أو الجراد في عرصات الفلا لانوله لله ما قد مه وما بشبهه قال ثم إن دريد بعد ذلك الكلام دنا من ذو الخمار وقرب منه فرآه قد قام من على الأرض وهو ينفض من عدر أمه الغبار وهو لا يبصر ما بين يديه من شدة ما قد جرى عليه فقال له

دريد ويلك يا ابن العم أنا قلت لك ألف لا تعارض القضاء والقدر ولا تعاد رجلا مسعود فتخسر وقد افتضحت بين هذه الأمم وقد صرت مثلا بين العرب والعجم فقال له ذو الخمار لا تلمنى يا دريد على هذه الفعال فان الذى جرى على جرى من قبل على فرسان العرب وأكثر وأن الفارسين إذا التقيا فى المبدار كانا على غاية الخطر ولا بد لأحدهما أن يرجع على صاحبه والآخر يخسر فقال له الملك النعمان ياسبيع أن نينكما تفاوتا كثيرا لأنه قدر وعفا وقد دارى من القلوب أمراضها وشفى قال ثم أنهم بعد ذلك أخذوه وأتوا به إلى الملك كسرى خلع على الاثنين وسالمها هو الملك النعمان أن يزيلا ما فى قلوبهما من الحقد والغيظ كله وقد قال الملك كسرى اعلموا أن حلاة صلحكما على تكونون فى بعض الثرى فى غداء غد ثم أنهم رجعوا من الميدان ونزلوا فى الخيام والناس ليس لهم كلام إلا عنتر وذو الخمار قال ولما إن كان من الغد ركب الملك النعمان وسار إلى إلى الملك كسرى لينظر حاله فرآه اشتغل فى تلك الساعة بكتاب وصل إليه من خراسان وقد تقدم الوزير بزرجمهر وقرأه عليه فتقدم الملك النعمان ووقف يسمع ما فى الكتاب وإذا بخيل قد أقبلت من ناحية الحجاز وتركض وهى متتابعة وعبايرها متزايدة وهى مرتفعة والجو طالعة ولما أن أبصرتها العرب ركبوا وقد أطلقوا نحوها الأعنة وقوموا الاسنة ثم تلقنها عندما قربتها وكشفت عن أمورها وتبينتها وإذا هى جملة الخمسة آلاف فارس الذين مع السبى قد أرسلها عنتر فلما حضروا بين يديه قال لهم عنتر وقد عرف أنهم انهزموا وأتوا نحوه شاردين وإليه طالبين ياويلكم هل التقى بكم الحارث صاحب دمشق وأخذ ما كان معكم من السبى والمال وخاص منكم الحريم والعيال فقالوا له أى والله يا أبا الفوارس التقانا وما كان لنا به طاقة ولا قدرنا له نقايس فسلمناله ما كان معنا وقد هرب نامنه وعدنا إلى نحوكم طالبين فقال لهم عنتر أنقتل منكم أحد لما أن التقاكم وأنزل بكم الردى فقالوا له ما قتل منا إلا نفر قليل لأن عساكر الشام قد التقتنا عند الماء وقد منعونا من النزول وما كان لنا على القام من سبيل ولما إن لاحت لنا صلبانهم وعلمنا إن عددهم زاد فاستشرنا فيما نفعل فما رأينا اننا أصوب من النجاة فنجونا وقد تركنا كل ما كان معنا من المال والحريم والعيال وما ظفروا منا إلا بمن قصر جواده وكان قد دنا أجله وعدم رشاده ومن بقى قد غاضوا فى البر وطلبوا أحياء العرب وكانت النجاة لهم غاية الأرب ومافينا من سأل عن صاحبه ولا إلى نواحيه قد طلب وإنما نحن كانت خليفا جياد فرمتنا بعدما نجت بنا إلى هذه البلاد وقد وصلنا ونحن فى هذا الحال وقد ساءت بنا عما قاسيناه الأحوال لاننا قد حسبنا

حسابك الآن تشتتنا فى الافاق وقلنا ماالتقانا صاحب دمشق إلا وعساكر الروم قد رحلت من العراق وهناك نلتقى بأصحابنا ونشكى إليهم فقال عنتر وقد عظم عليه هذا الخطاب والله لاتركت دياره بعد ذلك الاخراب يعوى فيها البوم والغراب ولاقودته إلى أرض الحجاز قود الكلاب ثم أنه طيب قلوبهم وحدثهم بحديث الرهائن التى هى معهم وكيف أنه ظفر بعساكر النصرانيه فى الطريق وكيف إنهم خلصوا بنى عامر من الهلاك والقصة التى جرت لهم من أولها إلى آخرها وقد شرح لهم باطنها وظاهرها وكان أكثرهم من فرسان بنى عبس والباقين من بنى غطفان فطابت قلوبهم وأنشرحت منهم النفس وقد نزل الجميع فى الخيام ودارت بينهم المشورة والكلام وقال عنتر اعلم أن الملك مايغدر بنا ولا يحنث فى الإيمان ولكن قد بقى فى القصة شيء آخر وهو أننا ماندرى على أى طريق يسير ونحن كنا تقتفى منهم الآثار فقال إذا كنت حايراً فى هذا الأمر فاقم أنت هاهنا من يومك ويكون معك نفر قليل وخل باقى العربان تسير إلى أرضها وتلتقى بأهاليها وإذا وصلوا إليهم يرسلوا إليك ويعلموك بالأمور ومافيها وتعلم أهل دمشق برهائن دمشق حتى لايصل أحد إلى الاسارى بحال من الأحوال وإذا أطلقوهم أطلق أنت الآخر الرهائن من الاعتقال ذلك بعدما يسير إليك قومك ويعلموك عن يقين فانت تطلقهم وترسلهم إلى أهلهم سالمين فقال الملك قيس مابعد هذا الكلام إلا الفعال ونحن مطيعون لك فى كل ماتامرنا به من الأحوال فقال عنتر لدريد الصواب عندى يامولاى أن تسير من هنا إلى اهلك لأن قصتنا طويلة ومانشتهى أكثر من هذا التعب الذى تعبتة معنا لأنك قد تعبت معنا تعباً شديداً فى هذا العام وسرت معنا إلى بلاد الشام وإن لنا فى دعوتك الحظ الاوفر والرأى الأكبر لاننا خلينا حريمنا عندك وإلى الآن ماسمعنا لهم خبر ولا أتانا منهم أحد والصواب رجوعك إليهم فى جميع الأمور ويكون نظرك عليهم وعلى كل حال أصواب والرواح إلى هناك من قعودك هنا أوجب فقال دريد والله ياابا الفوارس ولو أننى أقضى باقى عمرى فى حوائجك أنا وبنو جشم فلانجد لذلك تعباً ولا ألم ولكن أنت بالأحوال أعلم وأنا على المسير كنت قد عولت قبل ماتشير به وتتكلم لأني قد رأيت الصواب من وجوه عديدة أحدها أننى أفرج عن قلبك هذه الشدة والثانى أنى أتحمل عن قلب الملك لاننا فى جمع كثير نريد كلنا الزاد والعليق والثالث فزعاً على الأموال والعيال الذين تركناهم فى الجبال والرابع لاجل ماجرى بينك وبين ذو الخمار من القتال وأنا خائف من شره ولجاجه ونكاده وغدره وأن يفعل شيئاً يبقى فيه العار لأن الشر والغدر من بعض مساوبه فحمده عنتر على ذلك وعلم أنه نظر موضع

النظر وشكره مع جملة من شكره وقال له يا مولاى إذا كان الأمر كذلك فخذ معك مقرى الوحش فى مائة فارس من قومنا حتى يسير بابنة عمى وزوجته مسيكة وبقية الحريم إلى أرضنا فقال دريد أفعل ماتريد وتختار ثم أخذوا اهبتهم فى ذلك اليوم ومن الغد أصبحوا معولين على الرحيل إلى الديار وكذلك عساكر الفرس والديلم وأيضاً عساكر الترك والعجم لأن الملك كسرى كان قد وصل إليه كتاب باخبار عن بلاد خراسان وأن كانت الترك فسدت من البلدان فقال للوزير بزجمهر والوزير المو بذان افتحوا الخزائن واخلعوا على الولاة والأجناد وردوها إلى أماكنها لتحفظ ما تحت يدها من البلاد ففعلوا ذلك الأمر قال الراوى وكان فى ذلك اليوم دريد والملك قيس وعمرو بن معديكرب وفرسان بنى عامر وسادات بنى غطفان قد اجتمعوا ودخلوا عند الصباح إلى الملك النعمان طلبوا منه الاذن فى الانصراف لأنهم قد اشتاقوا إلى ديارهم والاوطان فقال لهم اصبروا حتى أخذ لكم الاذن ثم أنه قام من عندهم ودخل عليه واعلمه بأن الباس قد قلقت من المنام فى هذه الديار وقد أرادوا الرجوع إلى بلادهم وهم فى قلق عظيم فقال له الملك كسرى إن خزائن الأموال أصبحت مفتحة فافعل فيها ماتريد وتترك أحدا من العربان يمضى الا شاكر لنا لأنهم هم الذين دفعوا عنا عساكر النصرانية ولا تدع أحدا منهم فقيراً ولا غنيا إلا ترضية بالمال والنوال فدعا له الملك النعمان وخرج من عنده وأتى إلى قبائل العربان فخلع وأعطى ووهب وفرق عليهم ثياب الديباج والفضة والذهب إلا عنترفان الملك كسرى قد قال له تدعه يرحل مع قومه حتى تشبع منه ومن منادمته وبعد ذلك ترسله كما يحب ويختار على أن يكون مقيما على عهدنا بقية العمر ففعل النعمان تلك الأمور التى قد رحلت تلك العسكر وما فيهم إلا من رحل وهو شاكر وداعى له وللملك كسرى ولدولته بالدوام وكذلك عساكر الفرس ومرازبه الأعجام وملوكها وساداتها الكل على التمام قال نجد بن هشام ثم رحلت العساكر يتلون بعضها بعضا ساروا وقد ارتجفت من سائر جنباتها الأرض من شدة الركض وهم فرحى بما أولاهم الملك كسرى على يد الملك النعمان وما صنع معهم من الجميل والاحسان الكامل وما أمسى المساء إلا وصارت تلك الأرض ساكنة بعد ذلك الزلزال وخزاين الملك كسرى أصبحت خالية مما صرف من المال وكان حجراً راقدا عاقة أيضاً الملك النعمان لانه قد رأى ما أعجبه منه مع الفرسان وكان أيضا حسن الشباب ملح المنادمة فصيح الخطاب شجاعا إذا أسد المصاب وكان فيه عقل وأدب وقيل أن الملك النعمان قد اصطفاه لنفسه وجعله

صاحب الحجاب وقدوعده أن يزوجه بابنته الرباب ولما أن خلا بال الملك كسرى وحلت عنده الأفراح واظب الاكل والشراب مساء وصباح وقد صار عنتر عند رأس ندماء الخلص ولا يجد له عن مفارقته بدا ولا مناص وكان من جملتهم الملك النعمان وحجار والمقدمين من الاعاجم والأكابر وكانت كل مجالستهم تنقضى تارة بضجيج الاغانى وتارة يتحدثون مع الملك كسرى ومن حضر لحكايات فرسان الأقطار ومايجرى لهم من الأحاديث والأخبار وماز الواعلى مثل ذلك إلى يوم من بعض الأيام فبينما هم جلوس يتحدثون فى أمر الفرسان فاطنب حجار فى وصف ذى الخمار وقد فضله على ساير الفرسان فاغتاظ الملك كسرى من نقله لتلك الاخبار وقد زعق فى حجابه والتفت إلى الملك النعمان هو ومن حضر فى ذلك المجلس من الشجعان وقال يجوز أن يمدح فارس أو يذكر إذا حضر أبو الفوارس عنتر فقال الملك النعمان أيها الملك الرفيع الشأن ما فى زماننا اليوم أخبر منه بأمور الحرب ولو كان له نسب صحيح وكرم صريح لكان قد ساد على العرب والعجم فقال عنتر بعدما اغتاظ يا ابن المنذر أما نسبى فقد صح عند كل العرب ولا ينكره إلا كل جاهل لا يعرف له أدب وأما ذكرك لى بالبخس فما أنا بخيل فكيف أنك تنسبنى إلى شىء ما هو جميل فقال الملك النعمان لاتحرد يا أبا الفوارس ولا تخرج خلقك فو الله ما قلت هذا القول مذمة لك ولا انحطاطا لقدرك وأنت أكرم من غيرك ولكن فى العرب من تفرد بالنسب كما أنك نفردت بالفروسية على ساير الأمم فلما سمع ذلك الكلام سكن ما به من الغيظ واشتهى أن يعرف من هو أكرم العرب ومن هو هذا الذى قد تفرد من بينهم بالنسب وصار يتفكر فى معرفته فقال الملك كسرى يانعمان اعلم أن شجاعة هذا الرجل الذى هو أبو الفوارس قد عرفناه وأبصرناه ونحن نشهد له بها وأنه قد بلغ من كل الفروسية حد المنتهى ولكن أخبرنا أنت من هو الذى أكرم العرب ومن هو الذى قد اشتهر بعلو القدر والنسب على أن النسب عندنا ما يحط قدر الرجل فى أعماله ولا يرتفع قدره إلا بشجاعته ومن يروم حربه ونزاله وعناده قال المؤلف فعند ذلك الخبر قبل عنتر كلام الملك كسرى وقد انشرح فقال الملك النعمان اعلم أيها الملك أنك أنت الهمام أن فى زماننا هذا ثلاث رجال قد بلغوا المنتهى بين العرب فى الشجاعة والكرم وعلو النسب فاما من كان صاحب النسب والحسب فهو عبد عبد المطلب قاضى العرب وهو الذى يفتخر باجداده وحاكم العرب يعجز عن فصاحته كل من مشى على الاقدام وأما الثانى الشجاع القرم المناع الذى ليس له مثال فهو هذا الرجل أبو الفوارس عنتر بن شداد لأنه قد علا بشجاعته على

سائر الفرسان والأجناد وقد حاز طرفا من الفخار على كل من أفتخر وما ترك لفارس فى هذا الزمان ذكرا يذكر وأما الثالث فهو رجل قد لشا فى العرب وهو ذو حسب ونسب يقال له حاتم طى وقد حاز الجواد والكرم ولا يوجد مثله فى سائر الأمم لأنه يؤثر بقوته ويعيش يومه وليلته على معدوم يجد لذلك مشقة ولا الم وبلغنى أنه فى البذل والقناعة مثل عنتر فى الفروسية والشجاعة لأنه يحب البذل فى المال كما يحب عنتر الطعن فقد ثبت عند كل الخلق وقد شاع ذلك فى أقصى الغرب والغرب أما شجاعة عنتر فقد عرفت بما فعله فى تلك الوقائع واشتهرت وأما كرم حاتم فما بلغنا من فعله شيء وأنت قد فضلته بما نسبته له على سائر الرجال فحدثنا أى شيء قد رأيته من كرمه حتى استحق عندك هذا المدح وهذا المقال فقال الملك النعمان أنا أحدثك أيها الملك بحديثه من حين نشا ثم أقيم الدلائل والبراهين على أنه أكرم أهل زمانه من على الأرض مشى لأن خالق الأرض بيده الملك كيف يشاء ثم أنه قال أعلم أيها الملك أن هذا الرجل قد ورث الكرم من أمه وقد علمته أياه فى عهد الرضاع وقد خالف أباه فى الفعال والطباع لأن أباه كان أبخل من الكلب وأحقر وأمه كانت فى قومها أكرم من كل أنثى وذكر وكان زواجها به من أعجب العجب لأن الجمع بين الاضداد لابد له من سبب وكان السبب أن أم حاتم كان اسمها عفيفة بنت عفاف وكان أبوها قد مات وخلف لها مالا جزيلا وكان ذلك من الجمال والنياق غير قليل وكان كل من قصدها أعطته وكل من استوهب منها أوهبته فلما رآها اخوانها تبذل المال على كل طارق منعوها من ذلك وخرجوا عليها وضيقوا أمرها إلى أن عظمت عليها المساءة وقالوا ربما أنها تكون بعد ذلك الحال عرفت المال وتابت عما كانت تفعله من الفعال فاعطوها قطعة من النوق لعلها أن تعيش منها وتأكل مما يأتى منها وطعمها الله من فضلاتها ولما أن صار المال بحكمها وترى فيه رأيها وقد علمت أنه تحت أمرها ونهيها طاب قلبها وهدا بالها وسرها رقرارها ولما كان فى يوم من بعض الأيام قالت إلى متى يكون ذلك الامساك على المال والبخل على الضيفان وماهذا شيم الكرام قال المؤلف فبينما هى فى هذه الأمور وهى إلى أموالها تحسب وعلى أخراجها للاضياف تعزم أتتها امرأة فقيرة من بنى هوازن وكان لها عليها رسم فى كل عام تدفعه لها وكانت تقصدها وما تعود إلا وهى غنية من عطاها ولما أتتها فى هذه المرة قالت لها أعذرينى فى هذا العام يا حرة العرب فان اخوتى قد عادونى وخرجوا علىّ وعلى مالى من الأموال وما بقيت أقدر الا على ماترين من النوق والجمال فخذيها واستعينى بها فى بقية زمانك فقد علمت بالحال فان احتجت شيئاً

فاستقرضى على لعل أخوتى أن يزوجونى ببعض الرجال ويملكونى مابقى لى من الأموال فشكرتها تلك المرأة شكراً زائداً على تلك الأحوال وقدساقت بين يديها ماأعطتها من النوق والجمال وعادت إلى حيها وهى فرحانة بما ساقت من الأموال فبلغ ذلك إلى أخوتها وما فعلت من الفعال فاتوها وسبوها وقالوا لها ياويلك ياابنة القوم قد بذرت على أوباش العرب أما علمت أن عاقبة الاسراف تؤول إلى الوبال ثم التلاف ويكون عاقبته الفقر والفاقة ماذلك الجوع الذى ماىجد الانسان لدفعه من طاقة فقالت لهم وقد بكت أى والله ياأخواتى لقد ذقت مرارة الفقر والتقتير ولهذا قد صار قلبى فرحم من يقول أناجايع فاعطيت على قدر ماأملك قليلا كان أو كثير ثم أنها قد زاد بها البكا فاتت أنين التعلل والاشكا وأنشدت تقول هذه الآبيات:

لعمرى ماقد عضنى الدهر جايعا ... وعلى لاأمنع الدهر جايعا
وماذاعسا كم أن تقولون لاختكم ... سوى عيبها والعيب مازال ضايعا
أنتم ترون البخل طبعا وأننى ... أرى كرمى للقاصدين طبايعا
فان كان ذا عيبا فما العيب عندكم ... وكل امرىء يبدى الذى فيه شايعا
وان سخا الإنسان يعلو مقامه ... وأن دام بخل صار للخير مانعا

قال الراوى فلما سمع إخوتها منها هذه الأبيات أخذتهم الحيرة فلما أخذتهم الحيرة والانبهات قد خافوا أن تسمع عنهم هذه الأمور وصاروا يتشاورون فيما يدبرون من شىء يكون سببا لحفظ أموالها فقال الكبير فيهم اعلموا أنى أشير عليكم برأى أن فعلتموه يكون مليحا وهو إلا أن تزوجوها برجل يكون بخيلا ليحفظ عليها مالها وماتملكه وإلا أن دامت على مثل ذلك الحال فهى تضيعة وتهلكه ولا تتقيه ولو كان من كان من الرجال قال ثم أنهم أيها الملك اجمعوا رأيهم على رجل يقال له سعد وكان هذا الرجل أبخل أهل زمانه وأزراهم من حين ماأوقد نار ولاعزم على جار ولا ضحك ولاتبسم ولاعبر على أحد ثم ساروا اليه وطلبوه فتعجب وقال فى نفسه والله أن هذه الجارية قد خطبها سابر ملوك بنى طى وقبايلة معن وما انعموا بها اخوانها إلى أحد وباتوا إلى مثلى أنا ويخطبونى لها أن هذا لعجب ولكن السعاده إذا أقبلت للانسان لابد أن يكون لها سبب فعندها أجابهم إلى ذلك ذلك فتزوجها لجوفهم عليها.

(تم الجزء الرابع والعشرون ويليه الخامس والعشرون)

الجزء الخامس والعشرين

مسيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) فلما دخل عليها أبصر منها درة الغواص وظبية القناص فتملى بها ومن ليلة دخل بها علقت منه وقد قاست فى مدة الحمل من مخلة ومن خلقه ما لا يسأل عنه إلى أن كملت أشهرها فاشتهت الموت وقد قعدت القابلة التى قد أتتها وهى تدعو على إخوتها وعلى نفسها بالقضاء مدتها ولكن إرادة الله تعالى أغلب من إرادتها فوضعت غلاما بلا صيحة ولا ألم ولا مشقة فسمته حاتما وتعنى بذلك أن الله حكم عليها ثم أنها لما وضعته حنت عليه وقد صارت تربية إلى أن كبر وخرج عن حد الرضاع وقد بانت فيه علائم أخلاق مكارم الطباع فكان ولدا لعوبا يشوس بوجه كأنه الدينار المنقوش يتكرم بزاده على أقرانه كلما وقع فى يده شىء من البيت يواسى به جيرانه ويضحك لكل من يناديه باسمه ويجمع الصبيان حوله ويعطى لكل واحد منهم قسمه ويوهبهم ما يكون عليه من الثياب ويوادهم ويؤانسهم بنفسه ويحسن لهم الخطاب وكانت أمه كل ما رأته يفعل تلك الفعال الملاح ما تسعها الدنيا من كثرة الأفراح وقد صار أبوه يدعو عليه وعلى أخواله ويندم كيف أنه أجابهم إلى الزواج وكانت أم حاتم كل ما أبصرت أباه من ذلك يتغاظ ويتكمد علمت ابنها ما يزيده حسرة وكمد وقبل أن أباه أتى يوما من بعض الأيام فرأى حاتما قد نقل كل ما فى البيت من الطعام وقد جمع جماعة من صبيان الحى وصفهم ومدلهم سماطا فجعلوا يأكلون ويثنون عليه رأى أبوه إلى زاده يؤكل اسود فى عينيه السهل والجبل ومن شدما جرى عليه صار لا يدرى ما يفعل إلا أنه طلع على رابية عالية وكشف رأسه وصاح ونادى وقد جعل يلوى بعمامته ويستغيث بأهله وناسه وينادى يا أهل جبيلة البدار انجدونى على ما نزل بى من المصائب كلها والأضرار والحقونى فقد ذهب مالى كله وقد ساءت بينكم أحوالى فلما سمع أهل الحى صياحه وعرفوا مقاله ورأوه وهو يلوح بعمامته لبسوا السلاح وركبوا الجرد القداح ثم أنهم بعد ذلك طلبوه من كل جانب ومكان وركضوا بالخيل حتى أنهم قاربوه فلم يروا حوله إلا الصبيان ولكن لما أن قاربوه قالوا له يا سعد ما حالك وإيش هو الذى جرى عليك ونالك أين الخيل الغائرة التى جاءت لأموالك فقال لهم ما هنا خيل ولكن ما هنا

إلا البلاء والكرب والويل وماهنا إلا أولادكم وقد أخذوا زادى وأكلوه فانظروهم قد داروا حول ولدى ونهبوه ولم يخافوا الله فى حالى وإن لم تنهوهم عن هذه الفعال وإلا رحلت عنكم ونزلت فى أعلى قرون الجبال حتى لا أبصر أحداً يبلغ زادى الآ.ال فلما سمعوا منه ذلك المقال ضحكوا عليه وعادوا فى ساعة الحال عنه لأنهم كانوا يعرفون أحواله وطباعه فلم يلتفتوا إليه بل قالوا له أذلك الله بين العرب إذا كانت هذه الفعال فعالك ولما سمعت أم حاتم تألم قلبها وهطلت دموعها وصارت تدعو على إخوتها وتقول يا إخوتى لا نجاكم الله من المصائب كما أنكم زوجتمونى بهذا اللئيم البخيل الخائب ثم صارت تغايظ بعلها ويلقن ولدها أسباب الكرم وتقول له ياولدى إذا خرجت بالزاد ولا رأيت أحدا يأكله ألقه على رؤس الروابى والآكام حتى تأكله الجوارح والعقبان والرخم فالولد مازال كذلك كل يوم يخرج بزاده لجائز الطريق وإذا ما رأى أحدا يطعمه له يرميه للوحوش ولم يزل على تلك الفعال حتى أنه كبر واشتد فصار كل يوم يضارب قومه على الضيوف حتى يأتى بهم إلى عند أمه وهى تروج لهم الطعام وصار ينحر ماقدر من الأغنام ويجمع عليه الأرامل والأيتام. وأبوه يرى ذلك حسرة وكمدا ويخاف من الفقر ويقول ليس لى على ذلك من صبر ولما أن أعياه الأمر فى حاتم أحسن معه التدبير وقد أظهر له المحبة ومشى معه مشى الرجل الخبير أنه وهب له جارية جميلة وأعطاه حجرة سابقة نبيلة وقطعة من النوق وافرة جزيلة وقال له اعلم أن أموالنا قد قل عليها المرعى وقد ضعفت عن السير والمسعى وأنى أريد منك مرعاها لأنه من اليوم المال مالك والجمال جمالك ثم أنه سلم إليه ذلك كله وقد وصف له مرعى بعيدة وهى منقطعة عن الطريق والمسالك وأمره بالمرعى هنالك وقد أ اد بذلك إبعاده عن الناس حتى لايلتقى أحداً بكرمه ولا يطعمه وينقطع عن ضيافة الضيوف لإيناسه ثم أن حاتما أيها الملك فعل ماأمره به وأخذ النوق والجمال والجارية وركب الحجرة وسار إلى ذلك المكان المشار إليه وأقام فيه أياما وهو منتظر أحد من جائزى الطريق أو أحد فى ذلك المكان يقصده أو يأتى إليه أحد من الذين يأكلون معه الزاد أو يعرفوه بحال من الأحوال إذ كان من حسنهم أو من غيرها حتى أنه يطعمهم ويهبهم شيئا مما عليه ولو كانوا أقواما أقواما كثيرين فلم يجد فى ذلك المكان أحدا من المسافرين ولا من أطراق فصعب عليه ذلك الحال وما هان عليه ماوقع له من هذا الاتفاق وقد ضاقت عليه أنفاسه من الوحدة وقاسى ذلك الألم وشدته وصار فى كل يوم يركب على ظهر حجرته ويبعد فى البر ويودلو سار إلى سائر الآفاق ولم يلتفت إلى جمال ولا نياق ولم يزل كذلك على

ذالك الحال إلى يوم مر بعض الأيام وإذقد أقبل عليه من صدور البريه ثلاثه رجـل وكان ذالك أعجب مايكون من الأحوال وهم قد أقبلوا من صد البريه على عجل منهم وكل واحد منهم راكب على مطية وكان من الاتفاق العجيب والأمر المطرب الغريب أن هؤلاء الثلاثه رجال القادمين الذين كانوا على النوق مسافرين كانوا شعواء سائرين على نصيبهم وهم يطلبون رجلا كريما يقصدوه أومورد يوردوه وكان أول واحد منهم يقال له عبيدة بن الأبرص الأسدى والثانى بشر بن حازم السلمى والثالث النابغة الزبيانى ولما رآهم حاتم أسرع اليهم وسلم عليهم فردوا عليه سلامه ثم قالوا له يافتى هل عندك شىء من القرى لمن أضربهم الجوع والسرى فقال لهم حاتم يا وجوه العرب ما أمركم إلا عجب تسألونى عن القرى وهذه النياق بين أيديكم تساق وتسعى. ثم أنه تركهم وقد أنزلهم فى الظل الظليل وقد نحر لهم فى الحال ثلاث نياق مطاويل وقدح الزناد وعجل لهم بالزاد فحار هؤلاء الشعراء من فعاله وما فيهم إلا من أبصر ما أهاله فقال عبيدة ابن الأبرص يافتى ماهذا الإفراط فى هذا المعنى ونحن ما قصدنا إليك إلا فى طلب المال وشرب اللبن وما تريد إتلاف مالك على غير وجه حسن على أن ناقة واحدة كانت تكفينا حيث أردت أن تكرمنا وكنا نمضى عنك شاكرين ولأياديك ذاكرين ولكن يافتى فات الأمر فشكر الله خيرك لأنك فعلت مالا فعله غيرك فقال يا وجوه العرب الأفاضل اعلموا أنى نظرت إلى زيكم فرأيته مختلفا فعلمت أنكم من ثلاث قبائل فنحرت لكل قبيلة ناقة لتأكلوا منها وتسيروا من غير عاقة ثم قال لهم كلوا يا إخوانى بما تريدون من هذا الخبر وإذا سرتم خلوا الباقى للوحش والطير لأن الذين سبقوا من الأوائل قد قالوا كلاما لطيف وهو أن ضيف الكرام يضيف واعلموا أن الطبع غلب التطبع والتكليف قال المؤلف فعجبوا من حاتم وكلامه وقد شكروه على فعله وأكلوا طعامه وقالوا له يافتى من أى العرب أنت ما اسمك وتنسب إلى أى حى فقال لهم أما اسمى فحاتم بن سعد الجهمى وقبيلتى بنو طى فقال له أكرمت وزدت من الخير والانعام ولكن أنت ما تعرفنا ياغلام فقال لهم لا والله يابنى الكرام فقالوا اعلم أننا نحن شعراء العرب أهل الفضل والادب وطول أعمارنا ندور قبائل العرب ونقصد الرجال الافاضل الكرام أهل الرتب فما رأينا أكرم منك ياغلام على مالك من قلة الاعوام فوحق من أدسى الجبال كالاعلام وأنزل القطر من الغمام لاضيعنا حرمة الطعام، ولابد أن نذكرك فى دواوين السعادة والاكرام ونقول ما يروى ويبقى على ممر الدهور والأعوام ثم أن النابغة أشار يقول :

أنت تسرى بك المعـــانى ومن ندا كفك الربيع

فأنت من طى فى صريم كالقلب تحيا به الضلوع
فى كل يوم تريد شكرا يشيعـــه عنك من يشيع
وأنت أهـــل لـكل فخر وكل مجـــد لك المطيـــع

(قال الراوى) ولما أن فرغ النابغة من مدحه تقدم إليه من بعده بشر بن حازم السلمى بمدحه ويقول :

يجود على كفك بالعطا وبالعس الكريمة للنزال
فنزالك بالعطاء بكل خير كمنزله اليمين على الشمال
وإنك ذو كمال مـــع فخار وجود شائع بين الرجال
وإنك كامل من غير نقص وصاحب مفخر باهى الكمال

(قال الراوى) ولما فرغ بشر بن حازم السلمى من مدحه تقدم من بعده عبيدة بن الأبرص وقد أشار يمدح حاتما بهذه الأبيات :

ألا قل لسارى الليل لا تخش ظلمه فحاتم طى حوى كل بلاد
نشأ سيد قد فاق عن كل سيد جوادى جرى قبل كل جواد
يطول على الرمح الردينى قوامه ويقصر عنه باع كل نجاد
كريم كريم الأصل والفرع دائما ويعطى ولا يكدى على القصاد

قال ولما سمع حاتم ذلك النظام دمعت فى الحال عيناه ثم قال واحرباه إننى أردت أن أتفضل عليكم فصار لكم على الافضال ولا بقيت أقدر أن أكافئكم على ماقلتموه لا بمال ولا بنوال وإننى والله ما تملك يدى فى هذا الوقت غير هذه النوق والجمال فاقسموها بينكم بالسوية واعذروا غلاما ماعرف حق سعيكم عذر مسامح لان العذر عند كرام الناس واضح فقال له بشر بن حازم لاوعهد الله يا غلام إننا ما نستحق على ماقلناه من ذلك الكلام بعض هذا الكلام ولا نرى من المروءة أننا نفقرك ونحن نستغنى وما أنت بقيت عندنا إلا كواحد منا فقال حاتم وحق ذمة العرب وشهر رجب إن لم تأخذوها أعقرتها بالحسام ثم أنه قد سل حسامه وقصد إلى النوق والجمال فلما رأى هؤلاء الشعراء فعاله وسمعوا ما أبداه لهم من مقاله شكروه وفى عاجل الحال أخذوها واقتسموا نوقه وجماله قال وقد ذكروا لنا قبل هذا الحديث أنها كانت ثلاثة آلاف ناقة ودعوه وعولوا على الانصراف أعطاهم أيضا الجارية والحجرة وعاد للحى راجلا كأنه ما أبدى شيئا من الفعال وهو يقلب كفيه

ويهز عطفيه ولما قارب المضارب لقيه أبوه فانكره لأنه قدرآه على الخلاف التي بها امر فقال له يا حاتم أنى أراك قدأتيت راجلا فاين الحجرة قال وهبتها قال والجارية قال لمن يستحقها أعطيتها فقال له وأين النوق والجمال فقال له أعلم أننى قدأشتريت ما تشكرنى عليه مدى الأيام والليالى لأنك تموت ويبقى ذكرك على طول الزمان الطويل وأحاديثك باقية ما بقى الجديدان فقال له ولك يا حاتم أيش الذى هو اشتريته باموالى أخبرنى فقد انقطع قلبى وتحللت أوصالى فقال له يا أباه قد اشتريت بها شعرا لا يفنى ولا يزال على مدى الدهر يروى على طول المدا وقد أخبرتك بذلك حتى تقيم عذرى وتعرف فيما فعلته قدرى ثم أنه أشار إلى أبيه يقول هذه الأبيات .

سأمنح مالى كل من جاء طالبا ... وأجعله وفقا على الجاه والعرض
أصون به عرض الكرام واتقى ... لئيما إذ ظننته ساء فى عرضى
فطيب بها قلبا ولا تك مانعا ... فيبقى عليك اللوم للحشر والعرض

قال الراوى فلما أن سمع أبوه منه ذلك المقال تفصلت مفاصله وساءت منه الأحوال قال له ياويلك اشتريت بمالى شعرا ماله رجوع لا يروى الظمآن ولا يشبع من جوع وحق البيت الحرام لا بقيت تلبعنى من اليوم أبدا ولا بقيت أرافقك على طول المدى لأنك ولد الردى قال الراوى ثم أنه فى عاجل الحال جمع جميع أمواله وقد عجل فى ذلك الوقت ارتحاله ورجل من الحى فاتى إلى حاتم أقرانه وأعلموه بعدما عتبوا عليه بما فعل أبوه وقد عرفوا أن أباه قد أخذ أمواله ورحل فضحك حاتم وقد تبسم لهم وقال يا بنى عمى والله لقد زال ببعده عنى همى وغمى ثم تمثل اليهم بهذه الأبيات يقول :

إذا سار عنى مبغضنا برحاله ... وأمواله فالمال غاد ورايح
ومن يشترى حسن الثناء بماله ... يقولون هذا خاسر وهو رابح
لحا الله من أمسى يقلب زاده ... ومن حوله قلب الى الجوع ماح
دعوا والدى يمضى بعيش ببخله ... فما أنا عن يردهيه القبايح
فلا شكاه شكلى لا أنا مثله ... ولا الرزق يعدونى إذا كان نازح
لأن الذى أعطاه باق وخيره ... الينا مع الانام ماس وصابح
وما الفخر الا بالسماح وبالعطا ... ولا خير فيما كان للبخل جانح

قال الراوى رحمه الله وسامحه وغفر له وللمسلمين ثم أنه دخل على أمه وأعلمها بما كان من أبيه ففرحت برحيله وبعده عنها وقد نزل على قلبها الفرح والهنا وقالت غيش الأنسان فى

الفقر وذكره جميل أحسن من معيشته فى غناء وهو بخيل ثم سلمت باقى مالها لولدها وقالت له يا بنى هذه الأموال مسلمة لك بعددها فا كسب فيها ثناء ولا نكسب بها ذماو قبحاثم أنهم أيها الملك أقاموا على ضيوف واغاثة الملهوف إلى أن افتقروا وتفذ ما كان معهم ولم يبق لا ناقة ولا جمل ولا عبد ولا أمة تخدمهم وذلك من كثر تفريطة وتكرمة وة صبر هو وأمه على قلة الطعام من الزاد والشراب وإذا أتاهم ضيف لم تطعمهم أنفسهم أنهم يحتجون عليه باحتاج حتى نفذ ما كان عندهم من المصاغ والثياب والديباج وبعد ذلك باتوا ليالى وأيام طاوين من الجوع ثم أن الملك النعمان قال وقد بلغنى أيها الملك فى بعض الايام قد أتاهم ضيوف ففرحوا بهم وفد التقوهم باحسن التحية والأكرام وأظهر والأنفسهم الصبر وقوله حتى لا يشمت بهم عدو ثم ان حاتم أقبل على أمه وقد زاد به من ذلك الأمر . همه وغمه ثم قال لها ايش نطعم هؤلاء الضيوف وهم معتادون بالاطعام منا فقالت له أمه والله ياولدى أننى فى ذلك متحيرة ولا أدرى ما أفعل وأنت تعلم ياولدى كيف كان مبيتنا البارحة وأن يدنا ما بقيت تملك عادية ولا ساحة ولا مروحة ولكن شد عزمك ولا تشمت بنا الأعداء ولا تفعل فى حقنا فعلا غير صالح ولا تخل أحدا من ضيوفنا يذمنا وتفعل معهم فعلا غير الذى اعتادوا عليه منا أبدا وقم من وقتك هذا وخذ بيدى وأخرج بى إلى هؤلاء القوم الذين ما يعرفونى وأنت ولا تبدى ثم نادى على أين من يشترى هذه الأمة البازلة وتبيعنى لهم بما سهل وتيسر من تلك النياق التى معهم حاصلة وانحر منها لاضيافك ما يعمهم وتقوت أنت وأختك بما يتبقى وبعد ذلك إذا تيسر وسهل الله عليك اشترينى بما يصل من الخير اليك فلما سمع حاتم ذلك المقال قال والله لا فعلت أبدا ولكن ان كان ولابد فبيعنى أنت فهو أولى لأن الرجل على كل حال أصبر من المرأة على الخدمة وأنا أقسم بمن كسا الليل سوادا أن لم يطيعنى وتفعلى ذلك وإلا قتلت روحى وأسقيتها كاس المهالك فى هذا الوقت والساعة ونفسى على ذلك مطاعة قال الراى فلما سمعت أنه منه ذلك القول خافت عليه أن تصل الاذية اليه ثم وضعت منديلا فى عنقه وسارت به وهى تنادى عليه وتقول من يشتر هذا الغلام النجيب المولد المطيع للبعيد والقريب يحطب الحطب ويحلب اللبن ويصنع ما يحتاج الامر اليه من أخرج الزبد والسمن ثم أنها دارت به على تلك الطعن الذين على حيهم نازلون وكانوا كما ذكر قالم يعرفوهم لأنهم من غير تلك القبايل وتلك البلاد وكان نزولهم فى تلك الأرض الا لشىء إلا أن يستضيفوا وإذا أرتحلو برحلوك فهم عن القوم فتقدم

إلينا منهم رجل وقال لها بكم تبيعى يا حرة العرب هذا الغلام فقالت له يا سيدى ما أعطيتنى من الخطام فأخذه منها وأعطاها ناقتين فأخذتهم منه ورجعت وهى على فراق ولدها ما تدرى أين تضع أقدامهم وقد نحرت الواحدة منهما وردجتها أضافت القوم بها وتركت الأخرى وأقامت حزينة على ولدها ومن الغد رحل القوم فى عاجل الجمال وحاتم معهم سائر يسوق النوق والجمال ويفعل كما تفعل العبيد مع الموال إلى أن وصلوا إلى حللهم وكان مولى حاتم قد تركه فى المرعى ويرعى النوق والجمال ويمضى اللبن إذا مرت عليه أيام وليال إلى أن كملت عليه ثلاثة شهور من قدرة الله تعالى أن يحدث من بعد الأمور أمور فبينما مولى حاتم مقتم على تلك الأمور وإذا قد أتى إليه صديق يسمى لائم بن أبى حارثة ولما قدم ذلك الرجل على مولى حاتم أمر باحضار الطعام فأحضر العبيد وهو قائم فأكل ذلك الرجل ورفع رأسه فرأى حاتما واقفا مع جملة العبيد ويخدم معهم ولا يبدى ولا يعيد فعرفه ذلك الرجل وعلم بحاله إلا أنه رأى خدمته فقال لمولاه من أين هذا العبد يا وجه العرب تبسم وقد ظهر ظهر العجب فقال له سيده اعلم أن هذا اشتريته بناقتين وقد مال قلبى إليه لما رأيت منه من الفعل والحياء والسجايا التى هى ساكبة عليه واليوم وذمة العرب لو جاءنى فيه ألفين ناقة ما بعته لأنه قد زاد عندى محبة لأجل أمانته وثقته وشطارته ونداوه وهو كلامه فلما سمع الرجل ذلك الكلام زاد ضحكه وعلم أن أهل ذلك الحى ما يعرفون أحدا من بنى طى فقال له والله يا وجه العرب لقد اشتريت عبدا ما له قيمة ولا قدر ولقد وقعت فى البر بدوره البحر اليتيمة ولو أنك عرفت هذا العبد ما كنت استخدمته بل كنت أنت فى خدمته وأكرمته الإكرام الزائد قال الراوى فلما سمع سيد حاتم هذا الكلام رفع عند ذلك يده من الطعام وقال له بالله عليك يا وجه العرب الكرام اخبرنى ما معنى هذا الامر والمرام وإن كنت قبل هذا اليوم تعرفه لأننى أراك بفعال المعروف تمدحه وتصفه فقال له لائم ما هذا والله عبد وما هو إلا سيد من سادات العرب أصحاب المفاخر والرتب الذى تأوى إليه سائر العرب وبجوده افتخر أصحاب المفاخر وتبلغ منهم الارب وهو حاتم الذى بلغ هو وأمه ما لم يبلغه أحد من المكارم لا من العرب ولا من العجم والله ما باع نفسه إلا وله سبب عجيب وهو أعجب من العجب وله حديث وطرب قال محمد وكان ذلك الرجل الذى هو سيد حاتم رجلا كريما مذكورا بين العرب فى تلك الأقاليم ولما أن علم أن حاتما عبده طاش عقله وحار فى أمر مولاه افتضح ثم قام من وقته وساعته إليه واعتنقه وقبله وأخذه بيده وأجلسه بجانبه وأكرمه وفضله وقد صار عنده أعز من أهله وأقاربه كلهم وقد أمر عبيده باحضار أفخر ثيابه وألبسه تلك الثياب وزادة إكرامه واعتذر اليه من استخدامه له ثم أنه بعد ذلك سأله من سبب بيعه لنفسه بتلك القيمة وقد

استحلفه على ذلك بالإيمان العظيمة فحدثه بما جرى له ولأمه من الفقر والفاقة وإنه لما نزل الضيفان عليه ما كان عندهم شيء فى ذلك اليوم لا جمل ولا ناقة ففلت به أمه تلك الفعال وقد باع نفسه بما تيسر من ذلك النوال حتى لا يقال عنه من جملة الأقوال أنه أتاه زائر وعاد غير شاكر فتعجب سيده هو ومن كان حاضراً من قصته وقد لحقهم الحياء من معظم مروءته وبانوا تلك الليلة ولما كان الصباح أراد ذلك الضيف أن يرحل فقام سيد حاتم إلى ماله واقتطع منه لحاتم ثلاثة آلاف ناقة ولم يتكدر لذلك وأظهر الفرح ثم أنه قال له يا حاتم خذ هؤلاء لك واعلم أنهم حق خدمتك لنا فى مدة ثلاثة شهور ولكن لا تخبر أحد عنا بهذا الحال ولا تقل لأحد إنى قد استخدمتك فى رعى النوق والجمال حتى لا يذمنى أحد من الرجال ثم أنه أعطاه جارية مليحة كانت تسمى ظريفة وقال يا حاتم خذ هذه الجارية اعطها لأمك حق دلالتها حتى لا تتغير عن فعل المكارم لأنها قد باعت بيع السماح فاستحقت بذلك الفائدة والأرباح فشكره حاتم على ما أولاه من الأفضال والمكارم وعاد من عنده عودة إسافر الغانم وقد سارت العبيد تسوق قدامها الأموال وهو طالب ديار بنى طى والأوطان وقد زاد شوقه إلى أمه وأخته ومن فراقهم قد حزن فؤاده ولم يتغير لبعده عنهما فى هذه الايام وداده وقد كانت أمه لبعده تبيت وتصبح متألمة لفقده لأنها قد بليت بالفقر ومن الحبايب بالإبعاد قد خفاها أخوانها الأجل فعالها تلك الفعال وشمتوا بها الحساد ولما أن أعياها الأمر وساء حالها فما كان يسليها ويعينها عوحزنها إبنتها وكانت طريدة حاتم صغيرة السن فايقة الذهن رايقة المعالى وكان اسمها أسماء وكانت أحسن بنات ذلك الحى وكانت إذ رأت أمها تلح فى البكاء تساعدها على الأنين والاشتكا وتعد كما جرت عادة النساء ولما صبر عظيم على وتقول يا حاتم ما خلفت بعدك للارامل والايتام أترى يا أخى يكون لنا بعد هذه الفرقة تلاق والتئام يا أخى لو رأيت كلاب الحى وهم يترددون على أبوابك بالملا وهى تطلب عدايدك وفضلات ضيوفك الى كانت ترد إليك وكان اتكالها بعد الله عليك قال الراوى ولما أن كانت أمها تسمع منها ذلك يلذها التعداد وقد دام عليها ذلك الأمر إلى أن كادت تشرف على العمى وكاد ينفطر منها الفؤاد ومما قد ذكرته الرواة أنها كانت تخرج كل يوم من الحى إلى الصحراء وتجمع حشائش البر ما تقتات به هى وبنتها ولا تكسر نفسها لأحد ولا تطلب منه شيئاً تقتات منه فلما كان فى يوم من بعض الأيام خرجت أم حاتم على عادتها تجمع من حشائش البر فاتت إليها جماعة من الخباء وقد بشروها بقدوم ولدها حاتم وأنه قد عاد من غيبته وهو سالم ومعه أموال كثيرة وغنائم لانها كانت فى حال غيابه كل من كان يسألها عنه تقول له مضى يطلب المعاش والكسب كما تفعل صعاليك العرب

ولما أنها بشرت فى ذلك الوقت بوصوله إليها كادت أن تخرج من عقلها ولما ان رأت جال الحى متبادرين إلى لقاه شكرت الله على رجوعه فعادت إلى ابنتها أسما وبشرتها بقدوم أخيها إلى الحى وأنه قد عاد وهو سالم ومعه أموال وغنائم فوقف الاثنان على باب الخباء متشوقين إلى رؤيته وكان انتظارهما إليه فى تلك الساعة أشد عليهم من جميع غيبته فلما جاء حاتم صار يفرق على شباب الحلة النوق والعبيد حتى شكروه على تلك الفعال إلى أن وصل إلى أبياته وقد فرق ألف ناقة وبقى معه ألفان وأهل الحى يشكرونه ويقولون هذه فعال من لا ذاق عمره لا فقرا ولا فاقة وبعد ذلك التقى بأمه وأخته ودخل معها إلى المضرب وصار يحدث أمه بما جرى له مع مولاه وصار يثبت لها ما كان من إكرامه له وما فعل معه من مكارمه وسخاه وأمه تقول سبحان من لا يقطع الرجا ولا يخيب من عليه اتكل وعلى كرمه التجا ولما كان من الغد خرج حاتم من الصحراء والتلال وقد نحر أربعمائة ناقة وجعلها نهبا لكل النساء والرجال وبعضها للوحوش والطيور وبعضها للأصحاب وبعضها للرفاق وقد ترك الباقى وقفا على المسافرين والطرق الذين يأتون على اسمه من سائر الآفاق والوديان وما أمسى المسا إلا وسائر أحياء بنى طى على تصبيحه له بالدعاء وتثنى عليه أحسن الثناء إلى أن شاع ذلك فى جميع الحى ومن كان هناك من العربان قال الراوى ثم أن الملك النعمان كان يحدث الملك كسرى بهذا الحديث وهو يسمع ويطرب ويتناول الكاس من ساقيه ويشرب ويقوب وحق الجمر إذا أضرم أن هذا الرجل أوسع منا نفسا وأكرم لو كنا نحن أظهرنا العدل والجود بين الامم وأما عنتر فقد أسكره حديث حاتم وذكر الكرم وأكثر عند سماع ما أطربه من أقداح المدام ثم قال ان وقعت بهذا الرجل لأقبلن يديه ورجليه وآخذ منه الذى أقدر عليه وقد طربت لذلك سائر الحاضرين والندماء من أبطال العرب وملوك العجم والمشايخ القدماء وأهل الأدب الكرماء وأهل الرتب قال المؤلف وقد قال أيضا بعض الرجال الحاضرين للملك كسرى وأنا الآخر أيها الملك سمعت عن هذا الرجل حكاية أخرى وذلك أنه قد عبر يحى من أحياء العرب فرأى فيه أسيرا مربوطا فى قيد وغل وهو يقاسى الكرب فوقف عنده وقد توجع له بما هو فيه من آلام الجور والاعتداء فقال له يافتى ألا تفدى نفسك مما أنت فيه من الضرر والأذى فقال له الأسير والله يا مولاى أن الذى أنا أسيره ردىء الخلق وليس لى به من طاقة وقد قطع على فداء نفسى مائة ناقة وانا قادر عليها ولكن مالى ههنا من يضمنى إلى أن أسير إلى قومى وآتى بها فقال له حاتم أنا أضمنك واقعد مكانك إلى أن تذهب وتأتى بالنياق ثم ينقضى شأنك وان كنت ما تعود ولا لك بهذا الفداء من طاقة فأنا

أسوق إلى صاحبك المائة ناقة وأفدى بها نفسي ولا يلحقني ذلك تقصير ولا عاقة ولا تعسير. وأنا قادر عليها ثم أن حاتما أتى الرجل الذى هو عنده وفى أسره وقال له يا وجه العرب أعلم أن هذا الرجل الذى فى أسرك هو ابن عمى وبينى وبينه قرابه ونسب وقد سألنى أن أضمنه وأن اعتقل مكانه إلى أن يمضى ويأتى لك بالفداء فاربطنى مكانه وأطلقه إلى أن يسير إلى قومه ويصلح شأنه ويأتيك بما طلبت فقبل الرجل قوله وقد أتى إلى الاسير ومعه جمع من أهل ذلك الحى وأطلق الاسير ثم أشهد على حاتم بذلك وقد ربطه مكان الاسير بين يدى ذلك الملك بعد أن أطلقه مما كان فيه من البلاء ومازال حاتم فى القيد إلى عاد ذلك الرجل بالمال وأطلق حاتما وسار الاثنان وذهبا ولم يعرف منهم أحد ولم يطلع لهم على حال إلى أن شاع ذلك الخبر بعد أيام بين القبائل وساير العربان ولما سمع الملك كسرى ذلك الكلام زاد به الى رؤية حاتم الهيام وقال وحق ذمة العرب الكرام لقد اشتهيت أن أجرب ذلك الرجل فى أمر من الامور ولو مرة واحدة لان الاخبار ما تغنى عن المشاهدة ثم أنه أمر بحاجب الحجاب وقال له سر من وقتك وساعتك بهذا الكتاب إلى قبيلة بنى طى واسال عن حاتم فاذا اجتمعت به سلم عليه ثم قال له ان صاحبى الملك كسرى قد أنفذنى اليك وهو يطلب منك الزاد ليعود نفع ذلك عليك ثم انفذ له أنت من النوق والجمال ما يقدر عليه ويكون ذلك عاجلا لانه محتاج الى ذلك لان نائبه الملك النعمان بلغه أن فى تلك السنة تدهمه عبدة الصلبان ويريد أن يلقاهم فاهتاج النوق الجمال فاجتهد له فى ذلك ليكون لك عليه المنه والافضال فقال له الحاجب السمع والطاعة ثم أنه تجهز فى عاجل الحال فى ذلك الوقت والساعة وسار معه ماية فارس من أبطال العجم وأخذ معه من العرب دليلا عارفا عند عند الملك النعمان يدل بهم بين الروابى والاكام وقد انقضى ذلك فى ذلك اليوم مجلس كسرى بحديث حاتم وقد تفرق الندماء وهم يتحدثون بما سمعوا عنه من الكرم وأما عنتر فانه صار يقول لمن معه وهو عروة وأبو شداد وحق الركن والبيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لولا هؤلاء الرهائن التى هى عندى وانتظارى إلى خلاص السبايا ووصول حريمنا لما كان سار لحاتم رسولا الا أنا لان حديثه قد أهاننى وكرمه قد اطربنى وهيمنى وقال الراوى فهذا ما كان من عنتر وما دار بينهم من الكلام وأما الرسول فانه لما سار من عند الملك كسرى طالبا بنى طى فما زال سايرا إلى أن وصل أرض بنى جلهمة وتلك المعالم وهى فرقة من بنى طى ومنها كان حاتم ولما أن قرب الرسول من الخيام سال عن حاتم وعن أبياته فارشده اليه الخدام وكانت أبياته منفردة من الحى وهى منعزلة إلى جانب فقدنا الحاجب إليها ولما دخل بين مضاربه فوجده قد صف القدور وأضرم النيران وهو جالس يصنع

الطعام لمن يأتي إليه من الضيفان ويطبخ بيده حتى لا يطبخه أحد من الخدمه الذين عنده فربما يكون غير صالح فتنفر قلوب الضيفان منه ولم يأكلوه بقبول فيحصل بذلك أمر مهول فتعجب الحاجب من حرصه على من يأتيه ولما أن نظرت كلاب الحى إلى الرسول ومن معه من رؤسا العجم ما أنكرتهم ولا نبحت عليهم ولا منهم شيء هجم ولا لهم بأذى قرب بل تقدمت إليهم بهدو وصارت تحرك لهم الأذناب وتمرغ خدودها على الأرض والتراب بخلاف غيرهم من الكلاب وصارت تمشى قدامهم وتدلهم على المضارب والقباب وهذه كانت صفات كلاب حاتم من دون سائر الكلاب قال الراوى ومازال الرسول سائرا إلى أن قرب من المضارب والخيام فرآه حاتم فقام إليه وتلقاه بترحيب به وسلم عليه وزاد فى إكرامه بعدما فرغ بما قد وجب عليه من سلامه وقد أبصره فاختفى عليه أنه رسول من عند رجل كبير جليل القدر والجاه ففرح به وأنزله فى خباه هو وأصحابه ومن معه من رفقاه وأمر العبيد بتسيير خيلهم فى البر والآكام وقد بسط لهم البسط والوسايد وأكرمهم غاية الاكرام فى عاجل الحال قدم لهم ما راج من الطعام ووقف يخدم فى جمله العبيد والخدام القيام وكانت هذه عادته على عمر السنين والشهور والأيام ولما ان نظر الرسول إلى ما صنع معهم من الأكرام قال له اجلس يافتى وكل معنا الطعام واعلم أننا قوم أعجام لا نفرق بين القعود والقيام فقال له حاتم بالله عليك ياسيدى دعنى حتى ألتذ بخدمتكم وأكل ماتدعوه من فضلتكم ولا تغير يامولاى على عادتى وأبطل رسمى بما أبقى اليوم واليوم بين الثلاثه لا أنتهى نطعام فاجابه الرسول إلى ذلك ما أطال عليه فى الكلام وقد أكل هو وأصحابه الزاد إلى أن اكتفلوا ولما فرغوا من أكل الطعام قدم لهم شيئا من المدام وطابت لهم الأوقات التفت الوزير وقال له والله يافتى لقد زادت فعالك على السباع وأنا ما أتيت ضيفا بل أنا رسول من الملك كسرى فقال حاتم بماذا أتيت من عند ذلك السيد الذى هو مالك رقاب الأمم ثم إن حاتما قام وخدم فبلغه الحاجب الرسالة وقال له أن الملك كسرى يتذلل بالسؤل ويقول لك أنفذ إليه شيئا مما قدرت عليه من النوق والجمال ليقضى عليها بعض الاشغال فقال حاتم سمعا وطاعه لمولاك الملك الهمام ولن يكون هذا بعد ثلاثة أيام فقال الحاجب مالى سبيل إلى المقام لأن الملك أنفذنى وأجل لى أياما فقال حاتم إذا كان الأمر على ماذكرت فاشرب وخل بالك فقد انقضت اشغالك قال الراوى وقد بلغنى عن أثق إليه واعتمد فى كلام الصدق عليه أن حاتما فى ذلك اليوم لا يملك من النوق والفضلان غير ناقة واحدة ينقل

أمه ذاخته عليها من مكان إلى مكان إذا ساروا فى جملة الاظعان فقضى تلك الليلة مع الحاجب. يا كل الطعام وشرب المدام ولما أصبح الله بالصباح طلع على رابية عالية تشرف على كل مكان فى الحى ونادى باعلى صوته يا آل طي فتبادرت اليه الفرسان من كل جانب ومكان وهم يقولون له لبيك يا حاتم اليك ماشئت فها نحن بين يديك فقال أن الملك العادل كسرى قد أنفذ يطلب منى بعض جمال ليقضى عليها بعض الأشغال وأريد منكم أن تفوضوا فى كل واحد منكم على قدر مايملك من النياق إلا أن يسهل الله على الرزق وأنا ضامن لكم العطا وكان أهل الحى يحبونه ولا يحلفون إلا بحياته لاجل ماشيد لهم من المجد بخيراته فلما سمعوا مقاله مشى كل واحد منهم إلى نوقه وجماله فاذا كل منهم على قدر حالة وفى دون ساعة من العمل اجتمع عنده خمسة آلاف ناقة وجمل فسلم الجمع إلى الحاجب واعتذر اليه وقال يامولاى إذا وصلت إلى الملك العادل قبل الأرض بين يديه واقم لى العذر عنده لأنى ما كنت تأهبت لخدمته فشكره الرسول على ذلك وخرج وسار يطلب المداين ولم يزل بجد السير أياما وليالى إلى أن وصلوا ودخلوا على كسرى وحدثه الحاجب بما جرى وماصار من كلاب حاتم وتحريكه أذنابها بين يديه وحدثه بحديث فقره ولم يزد لذلك همه وكيف أنه اقترض النوق فزاد محبة فيه كسرى وتعجب من كرمه وكان ذلك اليوم الذى هو فيه عنده ندماه الذين ينبسط بهم فى حضرته وقال هذا الرجل قد تخلق بهذه الخصال الجميلة ولو طلب غيره أن يتبع أخلاقه منعه التقصير من ذلك والصواب أننا نعينه على حمل أثقال المكارم حتى لا تخلى عليه لومه لائم فقال النعمان وقد فرح بصدقه وقال يامولاى ما الذى أن تفعل فى حقه فقال أحمل هذه النوق والجمال وأوثقها من خيرات هذه البلاد وأعيدها إلى هذا الرجل ليعيدها إلى معشرة لئلا يمهم ذلك فاننا قد علمنا جود حاتم على قلة مافى يده من الدراهم ثم التفت وقال له أريد أن لا يمضى تمام هذا اليوم إلا وهذه النوق كلها محملة تمرا ودقيقا فى ذلك الوقت خرج ذلك الحاجب واهتم لما أمره به ثم قال له زده من عندنا خمسة آلاف ناقة وجمل من ثياب ملونات وعمائم مذهبات وفى ذلك الوقت قضى كما أمره كسرى وفعل ماقال وبقى الملك كسرى فى أكله وشربه ومن عنده من الرجال من الغد ركب وعرضوا عليه العشرة آلاف ناقة وهى محمله كما ذكرنا وناقة حاتم فى المقدمة وعليها فردان من الدنانير الكسروية فى أكياس خز كوفية فسر بذلك الحال ثم استدعى بذلك الحاجب المقدم ذكره ومن كان معه من الرجال وقال وصل تلك النوق والجمال إلى عند حاتم ولا تعد الا بخطه وشهادة كل من كان الحى فقال.

الرسول السمع والطاعة وهم بالمسير من تلك الساعة فأعطاه الملك النعمان ثوبين ديباج من عمل القسطنطينية وعمامة حزكوفية وقال له خذ هذه الخلعة وإذا وصلت إلى حاتم سلمها اليه وسلم لى عليه وكان عنتر حاضر فقال الحاجب قل لحاتم طى أنه فى ذمامى ماعاش فى طول أيامى وأن كان له عدو تركت دياره خراب يأوى فيها اليوم والغراب فعلم الحاضرون أنه يعول على مايقول وأنه أهل لذلك الأمر المهول ثم سار الحاجب بهذه الأموال ولم يزل سائرا حتى وصل إلى حى بنى طى وأوصل تلك النوق إلى حاتم وقال له ان الملك كسرى يسلم عليك ويقول لك قد استغنى عن النوق والجمال فتسلمها واعنى خطك بما وصل إليك من المال فقال حاتم حفظ الله الملك العادل لكن امهل على يامولاى حتى أرد النوق إلى أهلها ثم أنه طلع على الزابية المقدم ذكرها ثم نادى يا آل طى فاجابوه وأقبل عليه أهل الحى ثم أنهم اجتمعوا حواليه فقال لهم يابنى عمى كل من كان له نوق أو جمال فيعرفها ويسوقها إلى بيته بما عليها (قال نجد) فعند ذلك دخلت بنو طى بين الجمال وكل من كان له شىء عرفه وساقه بما عليه من الأحمال والرسول واقف وقد تحير من هذه الأفعال وهو يقول والله مامثل هذا الرجل لافى العرب ولافى العجم لأن هذا عطاء من لايخاف لافقرا ولاعدم ثم أقبل عليه وقال له يافتى هذا الذى فعلته خطا وأسراف فى البذل والعطاء فقال حاتم وقد تبسم من هذا الخطاب والله يامولاى مافعلت إلا عين الصواب لأن فقر واحد ما يتعدى لجميع الناس والمال المكنون مايرد الموت واعلم أن الرجل مايرده عن طباعه لاعذل ولاملام قال الزاوى ولم تبق إلا ناقة حاتم فساقها إلى بيته وأنزل الحاجب فى ضيافته وقد اجتمعت فقراء الحى وأتوا إلى حاتم قالوا ياصاحب الأفضال والمكارم لقد انكسرت قلوبنا لأجل فقرنا وما كان لنا نياق نقرضك اياها حتى كانت تعود لنا محملة مثل نياق أهل الحى التى رأيناها فضاق صدر لذلك وطاف بعد هذا كله من ملامة زيد وعمرو وقال لهم يا بنى عمى لاتضيقوا صدوركم لما سلف فعلى عوض مامضى لكله من الخلف لم فتح الفرمين الذين أتيا على ناقته ولم يخف فاقته وصار يكبش ويفرق عن يمينه وشماله والرسول يتعجب من فعاله ومازال يفرق على الصعاليك والأرامل والأيتام حتى فرغ مفرين ثم نقضهما دينارا فانتهى إلى جاريته طريفة وقال لها خذى هذه الأشياء الخفيفة فانها من سهمك وهى من دون الورى قسمك فهامت الجارية من كلامه وشكرته على انعامه وقالت له يامولاى ما أمرنا إلا عجب من دون قبائل العرب لأن الدراهم مانحبنا ولا يغنا الذهب فلما سمع حاتم منها هذا الكلام أنشد وجعل يقول

قالت ظريفة ما تبقى دراهمنا ... ولا لها عندنا عهد به تثق
ان يفن ماعندنا فالله يرزقنا ... ممن سوانا لانا نحن نرتزق
مايالف الدرهم المنقوش راحتنا ... لكن يمر عليها ثم ينطلق
أما إذا اجتمعت يوما دراهمنا ... ظلت إلى طرق المعروف تستبق

قال الراوى فتعجب الحاجب من فعله وشعره وعلم أن عذله ما يرده عن طبعه ثم أنه أخذ منه خطه وقرأه وعاد إلى صاحبه الملك كسرى وحدثه بما جرى فقال كسرى والله أن فعال هذا الرجل قد كفرت مللى والذى يرى هذه الفعال يهون عليه الأمر حتى لا يبقى بعيد ولا يبدى وأنى قد هانت على الدنيا حتى ما بقيت أفكر فى فقر ولا فى غنا فلما سمع عنتر هذا الكلام قال وأحر باه ان أن أدركنى الاجل ولم أجتمع بهذا الرجل لأنه والله كعبة الوجود وما فى الحاضرين إلا من تعجب غاية العجب (قال الأصمعى) وأبو عبيدة وجهينة وهم المصنفون لهذا الكلام فهذا ما جرى لهؤلاء وما دار بينهم من الكلام * وأما ما كان من حاتم فانه قد تذكر بعد أن مضى الرسول من عنده إلى الملك كسرى وقد حار فى عقله وفكره فيما جرى وقال ايش المعنى فى هذا الأمر حتى أن مثل كسرى أرسل يطلب نوقا وجمال ويردها على مع هذا النوال وما هذا الأمر الاعجب فلا بد لى عن المسير الى الكوفة عن قريب واجتمع بالملك النعمان واستخبره عن هذا الأمر والشأن ثم تاهب بعد يومين وسار على ذلك الوصف قاصدا إلى مدينة الحيرة وهو مع ذلك كثير الافتكار وصار لا يهدأ له سر فبينما هو سائر قاصداً بلاد العجم إذ نزل فى طريقه على قوم يقال لهم بنو فهم فاضافوه وأكرموه غاية الاكرام وأقام عندهم لامر يعلمه الله تعالى وكان فى تلك القبيلة جارية يقال لها ماريه بنت الضحاز قد خدمتها عند ولادتها كواكب الافلاك وكانت زائدة الملاحة والفصاحة قال الراوى وكانت قد تعلمت الخفى والعلم وقد خلف لها أبوها أموالا فلما مات أبوها تبادر إليها الخطاب فردت الجميع على طلبتهم بلطافة خطابها وإذا بها حلفت على نفسها أنها لا تملك روحها إلا لمن تجربة فى فعاله وتعاين بعينها خصاله حتى لا تقع مع رجل صعب الاخلاق قليل المعرفة وكثير الشقاق يضيع عليها أموالها ويبهد ما منحته من أحوالها ومن حسن تدبيرها وكرم نفسها تركت حول مضاربها نزلا لعدوم الضيوف كمن هو بين العرب بالخيرات موصوف وأقامت له الجراية والرواتب فصارت تقصدها الأضياف من كل جانب وصار كل ضيف نزل عندها تختبره فى كلامه وخطابه وتجربه فى فعاله وآدابه وتكبر عليها

نفسها أن تسلمها إلى غير جنسها أنها مازالت على تلك الحال ملازمة حتى طرق ديارهم حاتم ونزل فى مضربها ومستضاف بها وبالاتفاق كان سبقه فى ذلك اليوم ثلاثة أضياف ونزلوا عليها قبل نزوله لما أبلغهم عنها من الأوصاف فكان منهم النابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمة وعبيدة بن الأبرص القحطانى والثلاثه كانى شعراء العرب فقدم عليك حاتم ودخل المضرب فقاموا له وسلموا عليه وشكروه وأثنوا عليه بكلامهم فشكرهم وأيضا وسألهم عن أحوالهم وقال لهم لأى شىء طرقتم هذا المكان لمن أنتم مادحون وقاصدون من العربان فقالوا والله ياحاتم ماأتينا نمدح أحد ولانقصده ولكن أتينا فى أمر نرجوا أن نرشده ونعلمك به وهو أننا ماجئنا إلا لأجل أن نخطب هذه الجارية الفصيحة اللسان الكاملة الحسن والإحسان وقد بلغنا أنها أعجوبة الدهر وفريدة العصر ثم أنهم مازالوا يصفون له بكرمها حتى استاق إلى نظرها وإرسماع خطابها الما سمع عن خبرها وقد يتجدد من انعامها وما تبديه لهم من إكرامها إلا أنهم ما استقر لهم المكان حتى أتت لهم الجارية التى لها وأبدت لهم السلام وقالت ستى مارية تبدى إليكم السلام والتحية والإكرام وتقول لكم من فيكم له حاجه أو مسألة ترد له جوابها وتبين له خطابها فقال لها زهير بن أبى سلمى يامولدة العرب قد بلغنا عن ستك أنها صاحب الحسب والنسب ونحن ثلاثة شعراء قد نزلنا على هذا الحى ومعنا حاتم طى وكلنا قد أتينا وعزمنا أن نخطبها من نفسها وكل منا يريد أن يكون صاحب عرسها من رغبته لها بعلا قام ومن أبعدته رحل عنها بسلام فلما سمعت الجارية هذا الكلام عادت بسرعة وغابت قليلا وعادو أسرعت لهم فى خطاب وقالت يامولات ستى تقول لكم إذا كان فى غداة أحضروا فى التماس خطبتها حتى تتكلم معكم من خلف حجابها وتختار منكم من يكون من رزقها فأجابوها إلى ماأبدت من المقال وأقاموا ينتظرو تمام الوعد أن مارية أرادت أن تختبرهم لتعلم أيهم أكرم حسبا وأحسن أدبا ففرقت وضربت لكل واحد منهم مضربا وأنفذت ولكل واحد منهم جزورا وقدرا يطبخ فيه ثم قالت الجارية قولى لكل واحد منهم بما عليه الكلام مع ستها قد انتهى ثو ثب كل واحد إلى جزوزه فنحره وسلخ جلده وأضرب النار وأصلح ماياً كل قدره وعلمت مارية بذلك فخلعت ما كان عليها ولبست خلقيات مقطعات ولبست على وجهها برقعا خلقا وعلى رأسها وقاية سابلة ثم أنها أتت إليهم فى زى سائلة فأول ماوقفت على مضر النابغة واستعطت وأبدت سؤالها اليه فأعطاها من زور الجمل فأخذتها منه ودعت له وأتت له بعد ذلك إلى مضرب عبيدة بن الأبرص وقدمت عليه فاستطعمت

منه فاعطاها وقطع لها مبرك يدى الجمل فأخذتها ودعت له وأتت بعد ذلك إلى مضرب حاتم طى فوقفت واستعطت منه ساعة فقال لها اجلسى يا أختى بالسمع والطاعة ولكن امهلى على قليلا من النهار فان القدر كاترين على النار فلما استوى الطعام نزل القدر وقلب ما فيه فى الجفنة وتركة حتى برد وأعطاها اللحام وجنبى الحالك وقطعة كبيرة من السنام وهو ما يكون ألذ لحم الجمل ولاسيما إذا كان سمينا وقال لها ياحرة العرب ترددى إلينا ما دمنا هنا مقيمين فدعت له وأخذت ما أعطاها من طعامه وعادت وقلبها ملوب بطيب كلامه ولما أن حصلت على مضربها أعطت كل ما جاء معها للجارية وكان اسمها منى وقالت لها إذا حضروا غداة إلى مجلسنا وقلت لك أحضرى ما يأكل ضيوفنا من الطعام فحضرى لحم كل واحد فى طبق وحطيه قدمه فقالت منى سمعا وطاعة فصبرت ماريه بعد ذلك القول وقد وجهت همتها إلى شىء نفعله معهم فأخذت شيئاً من الطيب وقسمته على أعدادهم وأعطت القسم الواحد لجاريتها وقالت أوهبى هذا إلى النابغة الذبيانى او قولى له يامولاتى تسلم عليك وقد افترتك من أصحابك بهذا الطيب وتقول لك بهذا الطيب وتعلم به أحد من رفقائك لأنها قد استخصتك به من دونهم لأجل مكانك من قلبها لأنها تريدك إذا حضرت غدا تكون مطيبا به ففعلت الجارية ما أمتها به مولاتها فلما عادت أرسلتها معها إلى الجمع وفعلت بهم مثل ذلك فصار كل من أتاه شىء من الطيب يفرح به ويقول فى نفسه أنها ما خصتنا بهذا الطيب إلا وقد اتخذتنى لها حبيب ثم يخبيه ويكتم حاله عن رفقائه إلا حاتم فانه قال هذ هذا والله البخل بعينه كيف أحضر أنا غدا عليهم ثم أمير بهذا دون أصحابى والله ما فعلت أنا ذلك أبدا وصار يمشى مر مضرب إلى مضرب بعد ما قسمه أربعة أقسام ويعطى كلا منهم قسمة على التمام ويقول تطيب بهذا يا أخى العرب حتى لا تخطبنى وإلا وأنت متطيب ومازال على مثل ذلك حتى ساوى الجميع بنفسه وجعل يفعل كذلك وأبصرت الجارية كيف أخذا أقسامهم وأبصرت هو كيف يأتى اليهم وصنع ما صنع فعادت إلى مولاتها وقد أعلمتها بما جرى ثم فى نفسها هذا والله الذى كنت أنتظر وأرى ولمثلك يا حاتم كنت أطلب وله رائدة وفى انتظارك كنت قاعدة ومن شدة فرحتها طربت حتى أنى افيل باقباله وأحضرت أربع صوانى وملأتهم تمراً وقالت لجاريتها اذهبى بهذه الصفيه إلى النابغة الذبيانى وبلغيه السلام وقولى له مولاتى أرسلت هذا التمر البزيل به زفرة الطعام وتقضى به بعد الظلام ولكن ادفن النوى حتى توجهت النابغة الذبيانى ووضعتها وقدمتها إليه فحمدها على ذلك ثم تقدم إلى ذلك التمر

وصار يأكل منه ويجمع النوى إلى أن أتى بالاستوى فقال وحفر له ودفنه والجارية تعاينه بنظرها ثم عادت إلى مولاتها وأخبرتها فتبسمت وقال هذا كان قصدى اذهبى الان إلى الباقى بالصوانى وافعلى كما فعلت فى الاول من غير تعدى فجعلت تقتصد واحد بعد وتقول مثل ذلك وهو ياكل ويدفن النوى حتى ما بقى إلا حاتم فاتت له بالتمر ووضعته بين يديه بعدما اعلمته أن ستها أرسلته له وأنها تقول لك يا مولاى كل هذا التمر لتزيل زفرة الطعام الذى قد أصابك فانها قد خصصتك به من أصحابك ولكن إذا فرغت من أكله أخف النوى ولا تظهر أحد عليه من أصحابك ولا تخليه يراه فلما سمع حاتم مقالها تغير منه لونه وانخطف كونه وقال لها ايش اسمك يا مولدة العرب فانى قلبى من قولك هذا قد تعب فقالت له اسمى منى فقال مالى حاجة بتمرك مثل ذلك الكلام أنسب مولاتك إلى البخل مثل ما تنسب أولاد اللئام وتريد منى أن أبقى على طبائع وخصال ما كسبتها جوارحى بين الانام ثم أشار اليها يقول

أتحسبنى ما رأيه الخير اننى ... بخيل وكفى للنداء غير راجح
وهل كل هذا التمر بالزبد طيب ... من الجواد أحنت عليها جوارحى
وتطلب منى أن أخلى طبائعنا ... ودفن النوى فيه كبير الفضائح
فان شبعت بطنى وجاعت رفاقتى ... دعوت على بطنى بضرب الصفائح
خذى ما حملنى من طعامك واذهبى ... ولا تفضحينى بين غاد ورائح
الا أن أكل التمر من دون رفقتى ... ودفن النوى يا منى أقوى الفضائح
فلا خير فى عبد يكرن بماله ... بخيلا ويضحى وجهه وجه كالح

قال الراوى فلما سمعت الجارية كلامه وما أبدى لها من نظامه وقعها الحياء والخجل وصارت بما سمعته منه تتذلل وقالت يا وجه العرب لا تحرد من مقالى ولا تؤاخذنى فيما أبديه لك من فعالى فان الرسول إذا بلغ ما حمل من الكلام لا يكون عليه من مقاله ملام على أن مولاتى الساعه غائبة فافعل أنت ما تريد من الامور الصائبة ثم أنها وقفت حتى قسم بينه وبين أصحابه التمر بالسوية ثم عادت إلى مولاتها بعدما أخذت من عنده الصينية وأخبرتها بما جرى لها مع حاتم وما قال لها من الكلام وما أنشد لها من الشعر و النظام فتعجبت من ذلك واندهلت من فعاله وهامت عند سماع ذلك القول إلى قربه ووصاله وصبرت وقالت المرأة لا يكون لها أربعة أزواج والصواب أن يذكر لى كل واحد منكم عربه ونسبته ويخبرنى

عن ذلك حتى أنى أدبر بعقلى واختار منكم واحداً لأنى امرأة قد رمانى الزمان بقلة الرجل وقد صار حكمى فى يدى وأنا ما أريد أحد منكم تشبه لى أحواله لا فى شعره ومقاله لافصحاء العرب عليها ازدواج الكلام وإنما أحب إلى أهل الفصاحة من دون الانام وكان أول ما وصف نفسه النابغة الذبيانى وأشار اليها يقول

هل سالت بنى ذبيان ما اتصلت عند الطعان إذا ما احمرت الحدق
وجاءت الخيل مبتلا زخائمها بالماء يقطر من لباتها العرق
ويطعن الفارس الحامى طعينته بعالى الرمح والهيجاء تحترق
والخيل تعلم أنى لا أقاس بها حتى يقاس بثوب الجيد الخلق
ولى لسان إذا رد الملوك به أميل نحو سحاب الماء يندفق

قال الراوى فلما فرغ من ذلك الخطاب لم ترد عليه الجواب ثم أنه سكت فتكلم من بعده عبيد بن الابرص الثعلبى وانشد يقول

أماى لم يخطبك حى مذحج زهير بن سلمى مع يريد وحاتم
وأن تطلبى زيداً ففارس قومه إذا الحرب يوما اقعدت كل قائم
وان تطلبى يا مارى الخير حاتما فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر اكثر همه اغاثة ملهوف وفرحة قادم
وأن تطلبى أن تظفرى بمسدد مكارمه تحكى جميع المكارم
ونحن جميعــــا من اناس اطايب لهم شرف فوق السها والنعائم

قال الراوى فلما فرغ عبيدة من شعره فلم ترد عليه الجواب ولا أبدت له الخطاب ولم يبق إلا زهير بن أبى سلمى فتكلم الآخر بكلام نثر ونظم فلم ترد عليه جواب كما فعلت بمن قبله من الأصحاب هذا كله يجرى وحاتم ساكت لم يتكلم فطلبوا منه الموافقة فتبسم وقال يا وجوه العرب ان الأمور والاسباب ما كانت لنا فى حساب واننى ما كنت الا طالبا أرض العراق وأننا كلنا فى هذا اليوم وقعنا بكنز ما يعرف قدره والواجب علينا مثل تلك الحضرة أن نجد فى طريق الاجتهاد ولا نعرض أنفسنا فى سوق الكساد ولعلى منادى السعادة ينادى بعلو حظنا وتكون هذه السيده بعض رزقنا ثم أنه أنشد وقال

امارية طال التباعـــد والهجر وقد بان فيما قد فعلت لنا القدر
أمارية بالروح ما أنت غالية فكيف تباع الشمس أو يشترى البدر
أمارية فالمال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر

أمارية لسنا نقول لسائل ... إذا جاء ياذا ليس فى مالنا بدر
الا أن مال الأرض ما ينفع الفتى ... إذا نفسه حانت وضاق به الصدر
وكل يقينى أننى بعد مدة ... أصير إلى قبر جوانبه جعفر
ويرجع من خلفى الذين أحبهم ... يقولون قد آذى أناملنا الحفر
أصبح وحدى ساكنا وسط حفرة ... من الأرض لامال لدى ولا أمر
ألا أننى قد عشت أوحد أمة ... فقيرا فلا بيع على ولا أسر
وقد علم الأقوام لوان حاتما ... أراد جزيل المال كان له وفر
ولكننى أحظى بمالى صنعة ... فاولها زاد وآخرهـــا ذخر
أفك أسيرا ثم أكل طيبا ... واحفظ عرضى منه هذا هو الذكر
فعينى على جيران بيتى عميـــه ... وفى أذنى عن ذكر عيب لهم وقر
قطعنا زمانا بالتعلل والفنا ... وكل سقى منا لكاساته الدهر
فما زادنا بغيا على أهل أقاقة ... عنانا ولا أزرى بساحتنا الفقر

قال الراوى وكان حاتم ينشد ويترنم بهذه الأبيات ومارية تتململ من تحت الستار من كثرة ماطربت من نظامه وقالت له والله يا حاتم مايسمع بمثل هذه الأشعار أحد من الناس يبكى على أموال وفمع ذلك قد ذكر أنك كنت سائر على بلاد العراق وأنك ماعبرت علينا إلا باتفاق فاى شىء كنت إلى هناك طالب وهذا مقال من هو زاهد فيناغير راغب فقال حاتم لا والله ياسيدة العرب ماذكرت ذلك إلا لأجل هذا السبب وإنما الملك كسرى أرسل يطلب له من بنى عمى خمسة آلاف ناقه وبعير فردها كلها موقورة بالأحمال وأرسل يقول أنه استغنى عن النوق والجمال فرديتها إلى أصحابها بما عليها من عليها من أحمالها وإننى سائر بعد ذلك إلى الملك النعمان حتى استخبره عن هذا الأمر والشأن ثم أنه حدثها بما آتى على ناقته من الذهب والدنانير وكيف فرق الجميع فى ساعة واحدة على كل فقير قال الراوى فلما سمعت مارية هذا الكلام وتلك الفعال زادبها التعجب والاندهال وقالت يا حاتم ان هذا اسراف فى العطا والبذل ولمثلك يصلح اللوم والعزل ثم أنها التفتت إلى أضيافها وقالت لهم ياوجوه العرب لا يخفى أنكم أصحاب حسب ونسب وأنتم أخبرتكم أنكم شعراء هذا الزمان وطول أعماركم وتنزلون المناهل وتقصدون الكرام من العربان فهل رأيتم طول أعماركم من بالغ فى العطا مثل هذه المبالغة فكان المجاوب لها من دون الجماعة الشاعر النابغة وقال لها لا وحق

الكعبة الحرام وما عليها من الآلهة والاصنام بل أننا نأتى الممدوح ونجعل راحته أوسع من البحر وأنامله أهنا وأجرى من تيار النهر حتى يعطينا ناقه أو بكرة وهذا الرجل قد حاز حمد المدائح وقد افتخر بهذا العطا على كل غاد ورائح فقال حاتم لا تقولوا هذا المقال ولا تكثروا لى ما فعلت من الفعال لأن الأرض ولادة واسعة والخلق فيها مثل العيون النابعة وأنا أعلم فى هذه الأيام من يبذل فى يوم واحد ما أبذل أنا فى عام تمام وقد رأيت بعينى ورافقت من متفضل عنى بالكرم والجود وبقيت فى جنبه مثل العدم عند الوجود فقالت له ماريه وقد ألذها حديثه واعترافه وتعجب من حسن انصافه ياحاتم حدثنا بحديث هذا الرجل الذى قلت عنه أنه أفضل منك وقص على شيئا قد رأيته منه لعلنا أن نتعلم بعض أخلاق الكرم ونبقى نتذكر حضورنا معك فى هذا اليوم ما بقيت الليالى والأيام فقال حاتم السمع والطاعة أنا أقص عليك وعلى من حضرتك ماجرى لى من هذه السبب وذلك انى خطرت خطرة من بعض الخطرات وانتهى بى المسير إلى بعض الطرقات فنظرت إلى مرج واسع وماء نابع وقد آلمنى العطش والظما فحولت إن أنزل على ذلك الماء فرأيت عليه رجلا أعربيا مضيق اللثام معتدل القوام متقلد بحسام واعطافه تدل على أنه بطل حمام فجبيته بالسلام ونزلت عنده وقد دار بيننا الكلام فوجدته قد خرج من عند أهله يطلب المكسب وأنا الاخر طالب ما هو اليه طلب فترافقت أنا واياه وقد تصاحبت معه فى المسير فى طلب الغنيمة والمكسب أوشىء نكتسبه ان كان قليلا وكان قد انبسط علينا ضوء القمر فقال لى يا فتى خل هذا الوقت ثم أنه ركت باقى الزاد على الأرض ومدده طولا وعرض وقال لى يا وجه العرب اركب ونحن محتاجون اليه وقدامنا هذا البر الواسع وما كل ساعة ينال الإنسان ما يؤمله من المطامع فقال لى يا رفيقى لا تياس وتضيق خلقك فان الله يبعث لك رزقك فلما سمعت منه ذلك الكلام ازددت فيه محبة وقلت فى نفسى هذه والله شيم الكرام ثم أننا ركبا وسرنا وعلى والله توكلت وقد سمعته وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

رحلنا وخلينا على الأرض زادنا ... وللطير فى واد الكرام نصيب
ورزق غد يأتى غداً ويسوقه ... إلى العبد جبار عليه رقيب
فيانفس نفس لا تبقى على قوت ليلة ... فان مزاد الموت منك قريب

وقال الراوى فوالله ماسمعت منه آخر هذا الأبيات حتى غبت عن الأرض والسموات قلت والله ما يحق حد أن لا يفتخر على أبناء جنسه ولا يظم على غيره بنفسه لأن الأرض ولادة

والخلق بين نقصان وزيادة ثم إننا سرنا حتى تضاحى النهار وقطعنا جملة برارى وكثبان فانتهى بالمسير إلى بعض الغدران فنزلنا عن خيولنا إلى ذلك المكان فلما جلسنا عمد إلى الزاد الذى كان معى بسطه قدامنا وصار يحدثنى وهو يؤكل ومازلنا حتى اكتفينا وأقمنا على جانب الغدير وشربنا ورويناً فلما عولنا على المسير عمد إلى باقى الزاد ونقضه على الغدير فبينما نحن كذلك وإذا بكلب من عرض البر قد أقبل طالبا الماء واليه وصل فشرب وتقدم إلى الزاد فأكل وأبصرنا وقد ركبنا خيلنا فهرول معنا طالباً أمرنا فقال لى رفيقى يا أخا العرب ألا ترى هذا الزاد كيف كان من رزق الكلب فكيف كنا نحمله وهاهو خلى بقيته كما أننا خليناه ولابد أن يكون هذا الكلب أقوى منا يقين فقلت له والله مافعلت باقى الاغاية ما يكون من الكرم المبين ثم إننا سرنا حتى تبطنا فى تلك القفار وكان قد مضى أكثر النهار وقد بدأ الجوع يعمل معنا فقلت فى نفسى أين يكون الليلة عشانا فوالله ماخطر ببالى الخاطر حتى رأيت الكلب قد انطلق وخلانا وقد غاص فى عرض البر والملا فظننت أنه قارب قومه التهم نفر لنا أنه يقول قوموا إلى هذا الرزق فإن الله تعالى قد من به عليكم فبادروا اليها فعندها تقدمنا اليها وأخذنا منها مايكفينا مدة ثلاثة أيام ثم إننا نزلنا وصنعنا لنا الطعام وأكلنا حتى اكتفينا وسرنا والكلب معنا مايفارقنا ورفيقى يقول والله ماخاب فيك أملنا ولابد إذا سعدتنا الأيام أن نكافئك وقد أشرفنا فى اليوم الرابع على بعض أحياء العرب فتقربنا فرأينا أموالا سائبة ليس معها أحد من الناس فعندها حملنا فى جوانبها وسقنا الابل من أمامنا كنها وعدنا على أعقابنا مثل السيل والغبار من ورائنا مثل سواد الليل فعندها عدوهزنا فى أيدينا قطع الرماح ورجعنا نطلب الحرب والكفاح فتبسم رفيقى فى وجهى فقال لى يافتى أنالى هؤلاء الأندال ولا يصعب عليك من هذا المقال لأننى إذا علمت أن مثلك خلفى يقتفى أثرى فينشرح فى القتال صدرى فلما سمعت كلامه استحييت منه ووقفت مع الغنيمة وبلغته مراده وقلت فى نفسى أريد أن أنظر هذا الرجل فى قتاله مع هؤلاء الفرسان فان وافق حربه فيكون أوحد هذا الزمان فى طعام الطعام والضرب بالحسام ثم إن جعلت أنظر إلى الغبار وأحققه بالعيان وإذا قد تنافرت نحونا الفرسان كما يتنافر ذكر النعام هذا وقد ترك الغلام أكثر الرجال مطروحة على الأرض مثل النيام ولم يزل معهم فى عراك ولزام وصدام حتى أرواهم فرأوا منه ماحير الإبصار ودهش النظار فولوا الأدبار وركنوا الفرار

وعاد وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا سنان الرمح لا تشك الدما ان فى ذلك اليوم أريك الدما
فالحق وحش البر خلنى واقعا فى رجال خالفوا أهل الحما
وعنان لو بدا الموت له ورأى صوته انهزما

قال الراوى ثم قال حاتم والله يا بنى الأعمام لقد هالنى من ذلك الرجل ما رأيت تعجبت منه ولكم أحكيت وقد قلت عزيمتى وانكسرت همتى ورجعت أسوق ما أخذناه قدامى وسار يركض على أثرى وهو ولى ومحامى كل هذا والكلب معنا لا يفارقنا ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى المكان الذى فيه انبطحنا فنزلنا حتى أخذنا لنا راحة هذا والجمال صارت ترعى فى تلك الساعة ولما عزمنا على المفارقة من ذلك المكان قام ودخل فى المال وقسمه بثلاثة أقسام وقال نحن ثلاثة وهذه الغنيمة ثلاثة أقسام فخذ قسمك واطلب أهلك فقلت له يا أخى إذا رجعنا إلى الحق والتدبير فأنا لا أستحق منها لا قليلا ولا كثيرا ولا ناقة ولا بعير لانى ما باشرت قتالا ولا طعنا ولا نزال وانك أنت بافعلت هذه الفعال إلا تحملا منك وافضال ومع ذلك أراك تقول هذه الغنيمة ثلاثة أقسام فمن هو ثالثنا ونحن ههنا منفردون بأنفسنا فى هذا المكان فقال هذا الكلب الذى قد صار له علينا حرمة الطعام فقالت له يا مولاى هذا الكلب إيش يعمل بالنوق والجمال فقال يفعل فيها ما يريد لأنه قد صار صاحبنا وأكل من زادنا وعلى هذه الحالة ما نخليه بلا قسم منا فخذ أنت قسمك واطلب إلى ناحية أهلك وأنا الآخر آخذ قسمى وأفعل كفعلك وكل من تبعه هذا الكلب أخذ معه قسمة فلما سمعت أنا هذا الكلام قلت له يا وجه العرب لقد كملت الشجاعة والكرم فأفعل بمعرفتك ما تريد واحكم بما تراه حكم الموالى فى العبيد ثم إنى تمدمت اليه وشكرته على فضله وكرمه ووعدته وسقت تلك الغنية وانصرفت إلى عربى وإذا بالكلب قد تبعنى فعدت إلى وأضفته إلى قسمى وسقت الجميع وطلبت أهلى إلا أنى ما أبعدت عن رفقى وغبت عنه فقلت فى نفسى يا ترى إيش مراده وما أظن أنه مارجع إلا ليأخذ منى ما أعطاه لى من الغنيمة وما هى إلا قد حلت فى عينه وصار لها قدر وقيمة فما هو إلا نظر موضع النظر فإنه قد قاتل عنها وساعده عليها إلا القضاء والقدر وأنا ما طعنت برمح ولا ضربت بحسام وقد أخذت الثلثين وحفت عليه كل الحيف وهذا والله ظلم بين وهو بالأرواح هين ثم إننى انفصلت عن المال ووقفت بعيداً عنه إلى أن وصل اليه فناديته يا فتى الذى خطر ببالك خطر ببالى قدونك والغنيمة بارك الله لك فيها

لأنك أحق بها منى لكون أنك تعبت عليها فقال لى يافتى لاتنسبنى إلى البخل وقلة الادب فانى مارجعت اليك لأجل هذا السبب ولكن قد اصطحبنا فى هذه الايام وافترقنا من بعد ماتمالحنا وأنى رافقتك هذه المدة ماسألتك عن اسمك ولا عن حسبك ونسبك ولا عن قومك وعربك وكذلك أنت الآخر ماسألتنى عن حسبى ولا عن نفسى لأجل عزة نفسك وأنا أشتهيت أن أتخذك لى صاحبا ورفيقا وخلا وصديقا وتكون لى عدة عند كل ضيق فبالله عليك من لك بين العرب بالله عليك الا ما أخبرتنى عن هذه الأمور وكل دم بينى وبينك فى هذا اليوم مهدور فان كنت ماتعرفنى فانا أعرفك بنفسى وأخبرك بخبرى أعلم أن أسمى عطاف بن فايض النظرى وقومى بنو النظر وهذا ما عندى من الخبر فانت ياوجه العرب من يقال لك ومن هم قومك فقلت له أنا حاتم طى بن سعدى وعشيرتى بنو طى فوالله ما عرفت من كلامى حتى أنه ترجل عن جواده وسعى إلى قدامى وصار يقبلها فى الركاب يمرغ بخديه على التراب وقال ياحاتم أعذرنى فى التقصير فانى ماعرفتك معرفة الخبير لأن لى سبع سنين وأنا أسمع عن أخبارك وما قد ثبت عند جميع العرب من جميل أفعالك وقد أردت أن أتبع أخلاقك والتمس بعض طبائعك فى الكرم فما قدرت ولا قسم لى من القدم ثم أنه عاد إلى قسمه وقد أخلطه بقسمى وقال أنت اسمك كبير وهو أعلى من اسمى والطارق عليك كثير واشتهى منك أن تمن على بقبول هذا الشيء اليسير وأن أردت أن تعود معى إلى عشيرتى حتى أتشرف بخدمتك أنا ومن يلوذ بى بين عشيرتى وأسوق الفين تستعين بها على كثرة الضيفان فافعل وارافقنى فى هذا المكان ثم قال حاتم ياوجه العرب قلت فى نفسى ماهذا وقت انى نزلت اليه وقبلت رأسه وبين عينيه قلت له ياوجه العرب لقد كنت فى غنى عن مسالتك وسؤالك عن اسمى لأنى قد أفقرتك واستغنيت بما نالنى من قسمى وقد عجزت عن مكافاتك وأنا مطلع الى مراعاتك وأنا أسأل الله اسما أن يحن لك الجزاء وأن يقدرنى على مجازاتك فى الأيام الآتية وأن يجعل أيامك كلها غنا ولا يحمل عليك فيها ولا عنا لانك وحتى البيت الحرام وما عليه من الالهه والأصنام قد تركت قلبى لذكرك خائفا ولسانى لشكرك ناطقا ثم أنى ودعته ورجعت أطلب قومى وأنا أقطع البر قال الراوى فلما أنتهى حاتم من حديثه تعجب كل من حضر وقالت مارية إن هذا الحديث يجب أن يؤرخ ويسطر لأنه يزعج الأعضاء والمفاصل ويتمنى كل انسان أن يكون اليه واصل ثم أنها قالت للشعراء الذين يخطبونها هذه ياوجوه العرب أمور غير أموركم التى أتيتم تريدونها وأنه بخلاف ما فعلتم ماهو مثل

مابين أيديكم قدمتم لأنه أمر مايقدر أحد منكم يدركه وطريق لايستطع أحد منكم يسلكه وماهو مثل أكلكم التمر ودفنكم النوى فان أعمال الناس ماهى كلها سواء وبخلكم بالطيب الذى أرسلته إليكم وفرقته الجارية عليكم فقال شاعر النابغة الذبيانى فانت دبرت لنا هذه المعانى وأمرتنا بذلك وفتحت لنا هذه المسالك فقالت لهم نعم لأنى لما أمرتكم فما أنا إلا أستمحنتكم حتى بانت عيوبكم عندى وصحت ذنوبكم لان طباع الإنسان تتغير عند الامتحان كما قيل فى الأمثال عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وقد رأيتم حالتى لما استمحنتكم فى ذلك الامر وكيف نفر طبعه منه ورد جاريتى بالتمر ولولا جاريتى وقعت عليه ما كان قبله منها وقد فرقه عليكم مثل ماوصل اليه وكذلك الطيب لما وصل اليكم أخفيتموه حتى أنكم ما رأيتموه ولا عرفتموه إلا هو فانه لما وصل اليه الطيب لم يقبله حتى فرقه عليكم مثل مايفعل الحبيب مع الحبيب فكان الجارب لها من الجماعة النابغة الذبيانى وقال لها نحن قد علمنا أنك ماعملت هذه العمل واخترعت هذه المعانى إلا لأجل محبتك له وأقبالك عليه حتى أنك تريدين افتضاحنا فتقربى اليه فقالت مارية لا حرمة شهر رجب والرب الذى اذا طلب كل العباد غلب أن لكم عندنا أعظم من هذا العمل ثم أنها أمرت جاريتها ان تقدم لهم الذى تصدقوة به عليها فقدمت لهم ذلك ليأكلوا منه فما فيهم من دنا من طعامها ولا أكل منه الا حاتم فانه لما تقدم له ذلك الطعام الطيب الذى كان أعطاه لها فى اليوم الماضى أكل منه ثم أنه دعاهم إلى الأكل معه فاجابوه وقد علموا أنهم تعبوا فعند ذلك قال له ياحاتم ما الصيد لمن تعب فيه وتعنى وإنما هو لمن حل اليه وأكله وتهنى قال الراوى ثم أنهم خرجوا من الحى وهم يجرون أذيال الخيام وصاروا متأسفين ومن وقتهم ركبوا خيولهم وساروا إلى خيمهم طالبين وهم بما أملوا خائبين الأصمعى ومن ثم أن الجارية هيكت ستر الاحتشام بينها وبين حاتم وخرجت اليه وقبلت يديه وقالت له ياحاتم تحظى بجمالى حتى يقول العرب فى كل قبيلة وحى هذه مارية زوجت نفسها بحاتم طى وإذا كنت تتكلم فى بذل نعمتى عليه وأننى ماأفعل هذا الفعال إلا من أجل محبتى لك ورغبتى فيك ثم أنها خلعت البرقع عن وجهها وأعرضت عليه صورتها فبان من تحته عجب شفتان عقيقتان يحيابها قلب العليل إذا لها رشف وخدود تحسر المعاند والحسود وأمور تغيب الإنسان عن الوجود قال الراوى فلما رأى حاتم هذه الأسباب فقال والله أن هذا ما كان لنا فى حساب ثم أنه عزم على الزواج واستعان بالله رب الأرباب وقال لها يامارية ردى البرقع على الخد الناعم فانك

قد أبهرت عقل حاتم ونبهته بعدما كان نائم فعجلي باصلاح الحال ولا تخافي من لوم لائم فاني بما تريديه كل من الأمور قائم الراوى فتبسمت مارية لما علمت أنها نالت من حاتم ما أملته من المرام وفرحت كيف أعجبه جمالها وأبهره مانظره من جمالها ودلالها وبعد ذلك أحضرت جماعة من أكابر الحي وأخبرتهم بأنها زوجت نفسها لحاتم طي ففرح قومها بما سمعوا منها من الكلام ثم أنها أظهرت ما كان لها من الملك والأنعام ونحرت النوق والأغنام وأمرت بترويج الطعام وقد رتع أهل الحي في ولائمها سبعة أيام وفي الليلة الثامنة أقبلت وهي تخطر الى حاتم في حللها الملونات وعقودها الثمنات وجلاها عليه جماعة من النسوان والبنات وهي ابهى من البدر والنجوم الزاهرات فتلقاها حاتم كما تلق الأرض العطشانه أوائل المطر واعتنق الاثنان فكانا أحسن من الشمس والقمر فوجدها درة ماثقبت ومطية ماركبت فاقتصها وابتكرها وقد أحبته حبا شديدا ماعليه من مزيد وقاما في أرغد عيش واهناه وقد نال كل منهما مناه وأقام عندها شهرا من الزمان ونسى حديث الملك كسرى والنعمان وقد طاب له عندها من المقام وما تفكر في يوم من الأيام وبعدها افاق من سكر الهوى وكان طفى الوصل نيران الجوى وتذكر أرضه التى فيها قد نشأ فتقلبت جوارحه والحشا وخاف أن يهدم مجده الذى بناه وتقطع به الاسباب وتنساه فعندها شكا حاله إلى مارية وقال لها يامنية الصبا أنى رجل كثير الطارق والزوار وأبياتي مباحة وقد عولت على الرحيل عليه ولا تركت العرب تقول أنى أشغلتك عن فعل المكارم وأنى له ولك امتثل بل لو أودت أن أسعى على عاني وأسير بين يديك ماصعب ذلك فتى عزمت على على الرحيل والمسير فاعلمني حتى اسارع اليه وأوافقك على ما أنت عازم عليه فقال لها يا ماريه في غداة غد نعزم على الرحيل والجد والتشمير فقالت سما وطاعة ثم أنها أمرت خدامها برفع رحالها وجلست ذلك اليوم لوداع أترابها ومن الغد رحلت مع أصحابها معها جميع ما تملك من رجالها مالها والاطلال وسار معها جماعة لأجل خدمتها وسيرها في الأودية الخوال فاتركهم حاتم بل أنه حلف عليهم وردهم إلى الأوطان وذلك شفقة من مرارة العرب له في كل مكان وبعد ذلك سار يقطع البر والقدفد حتى أنه غاب عنهم وأبعد واذا قد طلع عليهم غبار أسود علا وانعقد ساعه من النهار وانكشف عن سبعين فارسا كرار من كل ليث مغوار وأسد هدار في مقدمتهم رجل طويل في تقاطيع الفيل وعليه درع مذهب وجوشن مقصب وتحته جواد أشهب قال الراوى ولما وقعت عينيه على مارية حاتم زاد به الفرح والطرب والسرور

وتيل الارب والتفت إلى مارية وقال لها يا الخناء إلى أين أنت سائرة مع هذا الجاهل القليل الأدب أبشرى فاليوم تزعق حولكم الغربان وتنهب لحومكم العقبان وكان السبب فى هذا العربان الثلاث الشعراء الذين طردتهم ماريه بالذل والهوان فانهم لما عادوا من عندها صارت فى قلوبهم النيران فساروا يقطعون البرارى والقيعان حتى وصلوا إلى عند عابس وأحكوا لهم على ماتم عليهم وأن ماريه أبت عنهم وأخذت حاتما من دوننا وأننا أتينا اليك قبل أوان الزيارة ثم أنهم حدثوه بجميع ماجرى لهم مارية وحاتم من الأمر الذى وقع لهم من أوله الى آخره وكيف أنها تزوجت بحاتم وردتهم خائبين وقالوا لقد أتينا اليك وجعلنا معولنا عليك فلما سمع هذا الكلام صار الضياء فى عينه كالظلام وقال والله ياوجوه العرب قد أتيتم إلى بحديث تستاهلوا عليه الخلع لأننى أنا الآخر جرى لى معها مثل ماجرى لكم ومضيت اليها خاطبا فردتنى خائبا وأنا الآن فى قلبى منها بلاء ومصائب ولكن مادامت أنها قد تزوجت بحاتم لا بد لها أن تسير معه لبنى طى لأنه ما يخلى وطنه ويقيم عندها فى الحى وأنا وحق اللات والعزى لأكمن لها فى البر المنقطع وآخذها مسبيه بين السيوف والرماح السمهرية فقال النابغة وأصحابه فاذا عزمت على ذلك فنحن نسير معك ونشفى قلوبنا من هذه الخناء بنت الجواهر ونظر وتقر منا النواظر فقال عابس اذا أردتم ذلك أغنيتكم من أموالها وأفضلكم عن أصحابى وأصحابها فى قسمة نوقها وجمالها وأقنع بحسنها وجمالها ثم أنه أخذ أهبه ثلاثة أيام ورحل من يومه يطلب مارية وبصحبته سبعون فارسا من قومه وتبعه النابغة الذبيانى ورفقته طمعا فى نهب المال لأن العرب قد نشؤا على الطمع وأخذ الأموال من الرجال ولا سيما الشعراء الذين يأكلون أموال الرجال بالمحال قال الراوى ومازالوا سايرين وفى سيرهم مجدين حتى وقعوا بحاتم فى ذلك البر كما وصفنا وصار عابس يصيح بمارية كما ذكرناه وهو يقول لها إلى أين يا الخناء تسيرين مع هذا الاحمق الذى يفعل فعالا ما وافقه عليها عاقل من الرجال ثم أنه طلب هودجها وطلب رفقاه نوقها وجمالها ودوابها من كل جانب وفى أيديهم القنا والقواضب قال الراوى ولما أبصرهم حاتم وقد فعلوا تلك الأمور عرف المقصود وعلم أنه ما يخلو من حسود فارس العبيد بمارية وتأهب لدفع تلك الرزية إلا أنه ما اوسع فى البرية حتى ضجت مارية بالبكا وخافت عليه أن يقتل ويشرب شراب الردى وتشمت به العدا فارمت روحها من الهودج إلى الارض وصاحت وقد أعلنت بالبكا ونادت واحرباه من شر هذا اليوم الذى قد أتى واذلاه بعد العز وافقراه بعد الغنى أنا أنشدكم بالله تعالى أن تمدوا الينا أكف الظلم والاعتدا وخذوا ما معنا من الأموال والعبيد لأننا قد رضينا أن نعاش بين الناس فقراو لا تقتلوا حاتما فتقطعوا

شجرة الكرم من الدنيا قال الراوى فما فرغت مارية من هذا النداء وتدقاربت حاتما رماح العدا حتى أقبلت من الطريق التى أتوا منها عشرة فوارس وهم مثل النسور على خيول أخف من الطيور وفى أوائلهم رجل له تقاطيع الفيل وهو غائص فى الحديد وهو يصيح ابشر يا حاتم فقد أتاك من يكشف عنك الأمور العظام ويقتل أعداءك اللئام وكان هذا الفارس هو عطاف ابن قايض النظرى الذى حدث حاتما لمارية بحسن شيمه وكيف أنه قد تفضل علية بكرمة وكان السبب لمجيئه إلى هذا المكان أن خبر حاتم وزوجته مارية وصل اليه فقال فى نفسة لابد أن أسير الى زيارة حاتم أهنية بزوجته فاخذ معه بنى عمه هؤلاء العشرة الى أن وصل الى بنى فهم وسأل عنهم وكان قد وصل اليهم بعد سفر حاتم بيوم وليله فاخبروه أنه سار إلى أهلة عن قريب فقال والله لا أضيع طريقى ولابد أن أسير فى طلبه ولو أنه وصل إلى أهله ثم أنه ركض على جواده وبنو عمه بصحبته حتى أدركه وهو فى تلك الحالة ولما أبصر الصوارم لامعه والضحيات مرتفعه نادى واحر باه وفع الله بحاتم من لا يرعاه ثم أنه صوب سنانة إلى صدور العدا وحمل عليهم حملة الأسد المدرع وطعن فيهم طعنه الأسد المدرع وطعن فيهم طعنة الفارس الصميدع فردهم الى المتسع وقد زال من رؤسهم الطمع ولما أن ابعدوا واتسعت عليه البطاح ناداهم ويلكم يا كلاب أما تستحقوا أن تقاتلوا حاتما أيليق أن تبذلوا فيه الرماح فو الله قد خابت منكم الامال ابشروا بالويل وقلة النجاح وها قد عاد عليكم شؤمكم وانقلبت نيتكم ثم انه بذل فيهم سيفة الفاصل وطعن فيهم طعنا بقصر الاعمار الطوال قال الراوى فلما سمع بنو أسد مقاله ورأوا حسن قتاله انتخت منهم الابطال وردا اليه وطلبوا قتاله فردهم عابس وقال لهم أصبروا على حتى أختبر لكم أمر هذا الشيطان الذى قد لحقنا فى هذا المكان وأهلك من معه من الفرسان لانه لا ينبغى أن يكون من أهل الشجاعة والطعان ثم أنه قفز بجواده حتى صار مع عطاف وقال له ويلك از رواحك وأنت سالم أحسن من تصرتك لحاتم وسوف تقام فى أهلك المآتم اذا التقيت بعابس بن حازم ثم انهما اصطدما اصطدام البحر اذا كان متلاطم وتطاعنا باسنة الرماح اللهازم وجرى بينهما حرب تتحدث به الفرسان فى المواسم ويعجز عنه كل قاعد وقائم فما كان أكثر من ساعة من النهار وهما تحت الغبار حتى شاح به عطاف وانقض علية مثل الغزال وطعنه طعنا رجية أخرج الرمح منه سبعة اشبار وحمل على أصحابه حملة الليث القسور وتبعته الرجال الذين كانوا امعة وكانوا أبطالا قد تعودا ركوب الاقطار وهان عليهم ركوب الاخطار والاهوال وقاتلوا قتالا يسكر من لا يسكر من المدام وأراهم العبر ورميت الجماجم مثل الاكر فهذا

وحاتم قد لاح له لائح النصر والظفر وذهب عنه الخوف والحذر فعاد إلى زوجته ثم سكنها من البكاء والانتحاب وقال ياسيدة العرب ادخلى فى هودجك والحجاب فقد فرج عنك ربك فاجابته إلى ذاك ثم ان حاتما تقدم إلى معاونه عطاف فرآه قد أبلاهم بأليم العذاب وهو يطعن فيهم طعن من لايخاف فقال له لله درك من فارس مكين ماله فى الشجاعة والكرم قرين ولايحتاج عند النوائب إلى معين ثم أنه هجم على العدا هجوم الفحل اذا حل من العقال وقتل من الفرسان والأبطال ودام على تلك الحلل حتى تغير لون النهار واستحال وضعفت رجال بنى أسيد وعادت على أعقابها والطعن يعمل فى ظهورها وقد أيقنت بالهلاك والوبال والهبا بالطعن عطاف الأسد الريبال وأما النابغة فانه قال لأصحابه لقد تعبنا رشقينا وخيرا مالقينا والصواب أننا نطلب النجاة وإلا متنا موت العاجاء لاننا نأكل أموال الناس بالمحال ونصنع زخاريف المقال وأيش بيننا نحن وبين القتال ثم أنهم ولوا تحت الظلام وأطلقوا الأعنة مع بنى أسيد هذا وقد عاد عطاف فتلقاه حاتم وشكره على مافعل وقال له والله يامولاى قد حملتنى مننا مايحملها جبل فقال له عطاف ياحاتم ماخدمتك عندى الاكما تخدم العبيد ساداتها ولازارتك الامثل الحج إلى بيت الله الحرام فشكره على هذا المقال وعاد إلى زوجته فى الحال وقال لها يا مارية هذا نبذى وصفت الك صفته وقلت الك أنه قد تفضل على بكرمه وحسن شيمه فصار عندها من هذا الكلام طرف من محبته وتلقته عنه عودته وشكرته وقبلت يديه وأقاموا فى تلك المنازل باقى ذلك اليوم وتلك الليلة لأجل الراحة من أجل القتال وعطاف يهنيهم بالفرح والاتصال ولما كان من الغد ساروا يطلبون ديار بنى طى والعبيد تسوق الجمال والأموال ومازالوا سائرين إلى ضحى النها وقد عولوا أن ينزلوا على بعض الغدران واذا قد طلع عليهم فارس مثل الأسود وخلفه عبد أسود وهو راكب على ناقة مشقوقة الأذان حمراء الوبر مليحة العينان قال الراوى وكانت عادة العرب تسمى النوق والجمال بالاسماء المعهودات وقد سميت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم بالعصباء لأن سعة خطوتها وحسن حركتها لأنه ما كان فى نوق العرب ناقة تسبقها قال الراوى إلا أن العبد الذى لاح لحاتم وعطاف على الناقة كان يحمل عدة مولاه ويتبعه وكان هذا الفارس يقال له عتبه بن شهاب اليربوعى وكان يلتقى الف فارس ولا يفزع من الموت إذا كان كابس وكان خرج وحده لكبس الحلل والمكسب من أحياء العرب وبريد نهب الأموال وقتل الرجال كانت عادة أبيه شهاب وكان يعد بألف فارس ولا يغزو الا وحده ولا يعود الا ببلوغ المقصود ومن أعجب الاتفاق أن عتبة وقع بهذه التى فيها عطاف وحاتم وأبصر ما معهم من

الأموال والغنائم والهوادج سائر ومعهم هودج عالى وهو سائر وما معه غير فرسان قلائل فعطف بالرمح عليهم وطلبهم كما يطلب الأسد صيدة وزعق إلى أين يا أنذال العرب تسيرون بهذا الهودج السايب ولا تفتكرون فى عواقب المصايب خلوا ما فى أيديكم واطلبوا النجاة لأرواحكم قال ولما أبصر غطاف صورته وسمع صرخته انخطف لونه وتغير كونه وقال والله هذا عتبة بن شهاب فارس بنى يربوع الذى لا يخاف لمعان الدروع ثم أنه قال لحاتم قف أنت مكانك واحفظ زوجتك وأنا أفديك بمهجتى دون مهجتك لأننى أعلم ان مافينا من يلقاه ولا يقدر أن يقاومه ثم أنه ثبت جنانه وحمل هو وفرسانه وتلقى عتبة وهو يقول له ارجع على أثرك وتكلم على قدرك كل هذا وعتبة لا يلتفت اليه وثم فى حملة وهو يتبسم ولما قارب عطاف طعنة بعقب الرمح فى فؤاده وقلبه عن جواده وقتل منهم أربعة وأسر الباقى وكان لما يأسر فارسا يسلمه إلى عبدة ويأمره بكتافه هذا وحاتم أهاله ما رأى وأيقن بالهلاك وسوء الارتباك وقال أما السلامة فما بقيت أقدر عليها ما من المروءة أن أهرب وأترك هؤلاء القوم الذين يبذلون دون حرمتى الأرواح وما يكون إلا أن أبذل المجهود كما بذلوا وأفعل كما فعلوا ثم أنه حمل عتبه وقاتله ساعه من النهار وأخذ عتبه وشده مع أصحابه على جواده وتقدم إلى مارية وأخذ زمام ناقتها وحاز حسنها وجمالها وصاح فى عبيدة فساقوا أموالها وصارت مارية تنادى ولم تجد لها نصيرا وهى تلتفت فى أقطار الفلاه وتقول هل نصير وصارت تلطم على خدها وتخضب بالدم نحورها وعتبة يصيح عليها كما يصيح على الأمة ويهددها بالقتل والأسى وهى لا تعلم أحسن الدهر عليها أم أساء قال فما أبعدت فى البيداء حتى رأت بين يديها غبارا قد علا وسد الأقطار والفلاه فلما أبصرته صارت تنادى وتقول يارب الأرض والسماء ويامن يرى حركات أرجل النمل فى جنح الليلة الظلماء سهل لنتمن عنده ناصرا ويكون على يديه فرجنا إنك ملجأ لمن لا ملجأ له هذا وعتبه لما أبصر الغبا فوقف وسمع كلام مارية فاغتاظ وقال لها من يقدر على خلاصك من يد قناصك والله لو أتاك أهل الأرض والسموات لم يقدر وأن يخلصوك من يدى فى هذه الفلوات (قال الراوى) إلا أنه ما تم الكلام حتى انكشف ذلك الغبار والعثام وظهر فارس وبين أيديهم عبد أسود كأنه حجر جلمد تشهد له الماطقه بالشجاعة وقدامه رجل أخف من الظنبار وأسرع من ريح الصبا وكان ذلك هو شيبوب والفارس الأمير عنتر بن شداد والمائة فارس الكل من بنى عمه وهم الذين كانوا معه عند كسرى وقد شاكر الإحسان فلما سمع عنتر كلامه فرح فرحاً شديداً ماعليه من مزيد وقال النجاب يا ابن

العم إيش عندك من خبر بنت عمي عبلة فقال له اعلم ياأبا الفوارس أن عبلة وصلت قبل وصول السبي لأن مقرى الوحش سيرها من عند دريد بن الصمة وزوجته مسيكة ونساء أعمامك في غاية الإكرام والإنعام وهي إليك شديدة الاشتياق والغرام ثم أن عنتر قال للنجاب مابقى لنا قعود بعد بلوغ المرام ثم أطلقوا الرهبان التي للروم وورد إليهم خيلهم وعددهم عليهم وقال سيروا واشكروا مسيحكم لأني أقسمت إن بقي لقومي عندكم قال صليتكم كلكم على سرر المدائن بالحبال قال وهام القوم على وجوههم وركبوا خيولهم وساروا في الفلاء ومافيهم من يصدق بالنجاة قال ولما وصلت السبايا للملك قيس فرح فرحا عظيما وأرسل إلى عنتر نجابا يعلمه بماجرى والتقى عنتر بالنجاب وحكى له ماجرى وأمرة بإطلاق الرهائن التي للروم فأطلقهم عنتر وساروا على أثره ومازال سائرا حتى التقى بحاتم وماريه وخطاف وعتبه بن شهاب اليربوعي قال فلما نظر إليهم هو والفرسان وقف وقال لعروة بن الورد تقدم وانظر لنا من هي هذه الباكية النائحة الصائحة لأني أرى هودجا عاليا وصراخا منعقدا أمامي ومامع الجميع إلا فارس واحد منفرد في البرد وأقول أنه من شياطين العرب وقد وقع بقوم ضعاف وقد قوى عليهم ونهب أموالهم وساق نوقهم وجمالهم فأطلق العنان واكشف لنا أخبار ذلك الشيطان فقال له عروة السمع والطاعة ثم أنه أطلق عنان جواده وفي عاجل الحال قاربهم وأراد أن يسألهم عن هذه الأحول فرأى عتبه قد برز يطلب القتال وقد قفز إلى الميدان مثل الأسد الريبال فعندها ناداه عروة من تكون من الفرسان والابطال ومايكون هذا المال فقال له عتبه ويلك ياابن الأنذال في مثل هذا المكا يكون السؤال فدونك والقتال ودع مقاله الجهال وإن كنت ماتقاتل إلا من تعرفه في المجال فأنا عتبة ابن شهاب اليربوعي ثم أنه زعق عليه زعقة الأسد الوثاب وانحط عليه انحطاط السحاب وأراد أن ينجز أمره وقبل أن تدركه ففر فقال عنتر وماحالك وما الذي رأيت حتى وليت وألويت عنانك ونجروت بحصانك فقال له عروة اعلم ياأبا الفوارس أن ما كل فارس يقدر الإنسان أن يقاومه في الميدان ولا كل صيد يظفر به الإنسان وأنا والله رأيته أسدا مهولا وفارسا لايخشى الفحول ولايخاف الموت والحلول فقال له عنتر عنتر وقد صعب عليه هذا المقال ويلك ياابن العم كنت أشغلته حتى ألحقك ولا تفضحنا بهزيمتك فقال له ياحاميه عبس خفت أنك ماتلحقني وخفت إذا حمل على يخنقني لأن هذا وأباه حماة الحضر موت ولافيهم من يخاف ولايفزع من الموت ولكن أنا متفكر في هذا السب وما أقول إلا أن طريقة خابت وفي هذا اليوم ياأبا الابيض أريك في قتاله العجب

ثم أنه اطلق عنان مهره كوكب وطلب عتبة كانه سلهب وكان عتبة قدوقف لما راى عروة قد انهزم من قدامه لأن فرسان العرب الانجاب ماكانت تتبع الهاهب من مقام الحرب والضراب ثم أنه صبر حتى ينظر ايش يكون من باقى الخيل التى اشرفت عليه ومازال كذلك حتى أنه رأى عنترا قد وصل اليه فعند ذلك حمل عليه وهو ينشد ويقول صلوا على الرسول

ما كان صاحبكم ولى وقد ظهرت ... عيناه الا السيف يقطع القضبا
فلو قام تركت الوحش زائره ... تحت العجاج ويلقى لحمه سربا
وقد فدى نفسه منى بصاحبه ... حتى يعيش ويلقى غيره العطبا
حتى أنى واغتدى من صورتى فزعا ... وقام ولى فرارا يطلب الهربا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر منه ذلك الشعر والنظام اجابه يقول .

إذن كان صاحبنا قد مال للهرب ... فاصبر قليلا ترى الفارس العجبا
فالخيل من شأنها تكبو بلاعجب ... إذا الجوادى جرى فى مهمه العطبا
وقد ترى الليث عباساله حرد ... ودمه بدما الأبطال مختضبا
وليس فخر أسود الغياب ساجده ... لسيفه وهو من عبس إذا انتسبا

قال الراوى ثم أنهما تدانيا وافترقا وصاحا وزعقا وتطاعنا بسيف الحدود ونواظر الرمق وطلع عليهم الغيام واحتجبا عن الأبصار وتضاربا والتصفا وما كان أكثر من ساعة من النهار حتى صار البر فى وجه عتبه أسود وعرف أن منتهى أمره يؤل إلى التلف والنكد فعندها أمسك رأس الجواد ووقف وقال لعنتر بحق من أمر العبث فعكف وخالف بين النبات فاختلف من تكون من جبابرة العرب وأى عرب اليك تنسب لأنى أرى لك طعنا يرتد وحربك ماعليه حد فقال له ويلك أنا عنتر بن شداد حامية عبس يوم الجلاد قال فلما سمع عتبه بن شهاب ذلك المقال رمى الرمح من يده وقال له ياأبا الفوارس لا تتعب على جهل وماوقع من قلة عقلى فانى لو عرفتك عند اقبالك ماتعرضت لقتالك لان أبى شهاب من حين ماتولعت بالغارات وصرت مع السادات قال لى ياولدى قاتل من أردت من الرجال وجميع الأبطال الافارس عبس الادهم وشجاعها المعلم وأسدها الضيغم ولما حار بتك وجربتك وسالتك عن حسبك ونسبك تاسفت وندمت على نفسى قال عنتر اعلم يافارس فلما سمعت هذه الجارية تدعو إلى رب الأرض والسماء ان يرزقها بمن يخلصها من السبى أو يكون لها حمى وأقول أن سبحانه وتعالى قد استجاب دعاها وسمع نداها وساقنى

اليك حتى أفرج كربها وبلاها أن ختنها أنا بعد هذا الأمان فما آمن عواقب الزمان لأن الله تعالى بلغها المفقود ولا شمت بها عدو ولا حسود قال الراوى فلما سمع عتبة بن شهب اليرنوعى مخاطبته تعجب من مروءته وقال والله لقد وصف لى أبى شيئا لا يعد ولا يحصى من فعالك الحميدة وخصالك المفيدة قال مناقل فهذا ما كان من المشاجرة والكلام وأما ما كان من عروة ورجاله فانهم مضوا إلى السبى وإلى صاحبه الهودج ليسألوها عن حالها ويطيبوا قلبها ويزيلوا أعوالها وأبصروا حاتما وعطاف والرجال المقدم ذكرهم وهم مشدودون بكتاف فقال عروة ياوجوه العرب أنى أرى أمركم عجيب وحالكم غريب لأنى أرى عليكم ذلائل الشجاعة والبراعة فكيف أسركم شاب لا ثبات بعارضيه أما خشيتم من العار والفضيحه فى جميع الاقطار فقال له عطاف يا وجه العرب أما رأيت أنت ما جرى لك من الغلام حتى أنك تلومنا والكلام صاحب المثل يقـــول زافق الاسود ولوا كلوك ولا ترافق القرود ولو خملوك وأما سؤالك عن أنسابنا فانحن من قبيلة واحدة بل أنا أسمى عطاف وقومى بنو النظير وهذا حاتم طى ثم أنه أعاد عليه حديثهم من أوله إلى آخره فلما سمع عروة مقاله تعجب وأتى إلى عنتر وأعلمه بذلك الخبر فقال له عنتر سر إلى حاتم وائتنى به وحله من وثاقة ففعل عروة ذلك وحله وأقبل به بين يديه فقال عنتر والله يا حاتم ما كان طريقى هذه إلا اليك فالحمد لله الذى من على بان أتفق لى أنى وقعت بك فى الطريق وإلا كنت بليت بالتعويق ثم أن عنتر التفت إلى عتبة ولامه على تعرضه بهم فقال عتبة والله يا أبا الفوارس ماعلمت بهم ولا عرفونى بحالهم فالحمد لله الذى وفقنى لأنى ما فعلت معهم سوء ثم أنهم حطوا رجالهم فى ذلك المكان وقد عقر لهم عنتر ابن شداد وروج لهم الطعام وقاموا فى ذلك المنزل إلى الصباح وساروا وهم يقطعون الروابى والبطا فعندها ودع عتبة بن شهاب عنتر بن شداد وهم بالمسير إلى أرضه فأعطاه عنتر أربع خيول من جنائب كسرى وسروجها بالذهب الأحمر مرصعه بالدر والجوهر وقال له يا عتبة خذ هذه الخيول حق تعبك حتى لا يضيق صدرك فدعا له عتبة وشكره وأثنى عليه وقد سار عنهم بعد الوداع ومضى هؤلاء فى سيرهم وعنتر سائر معهم وهو يحادثهم فى أحاديث الكرام وقد شغف بحاتم وحاتم يتعجب من حلاوة كلامه وقد تمكن من قلبه وزاد به غرامه وصار يحدث عنتر بحديث عطاف وامسائه اليه فى الأول وفى الاخر وهم سائرون ثم أن حاتما قال لعنتر يا أبا الفوارس أعلم أنى أشتهى من عنتر أراد أن يتكلم مع عطاف بمثل هذا الكلام وإذا بعطاف أقبل على عنتر وناداه يا ابن

الكرام سألتك بالله الملك العلام أن تتفضل على بأن تخطب لى أخت حاتم لأنه رجل كريم من دون العباد فقال له عنتر إن شاء الله أفعل ذلك وحق الملك العلام ثم أنهم نزلوا فى بعض الأماكن وقد روجوا الطعام وأكل منه الخاص والعام وبعد ذلك التفت عنتر إلى عطاف وقال له إنى قد تحدثت مع حاتم بما قد ذكرته لى فأجاب ولم يبدى خلافا ففرح عطاف بذلك وقد جمع عنتر بينهم وزوج عطاف بأخت حاتم وأقام إلى الصباح ثم أنهم ساروا يقطعون الروابى والبطاح إلى ان قاربوا بنى طى فنزلوا فى منزل يقال له ذات العيون وفيه من الأنهار وأرصاف الأشجار أنواع الفنون فخلع عليهم عنتر ثم ودعهم وأراد الانصراف فترجل حاتم ومسك بعنان جواد وقال له وحق من رفع السماء ما أدعك تعود إلى أرضك حتى تحضر عرس أختى أسماء لأنك أنت الخاطب وما عادة الخطاب إلا حضور الولائم والأفراح فقال عنتر يا حاتم والله إن خدمتك شرف ومعرفتك فخرا ولكن يا وجه العرب أنت تعرف ما لقومك على من الدماء وما جرى لى من فرسانهم وأخاف أنى إذا حضرت معك أتعب قلبك وأكدر عليك عيشتك ولولا ذلك ما كنت إلا صحبتك ولكن أنا أكون معك حتى أوصلك إلى قومك وحلتك فقال حاتم واعجباه يا أبا الفوارس كيف يفعلون ذلك والغرباء من القبائل يكرمونى ويجبروا ذمامى فكيف يفضحنى أهلى وبنو أعمامى عمرتهم با كرامى ثم أنه أقسم عليه فأجابه إلى ما طلب وسار بأصحابه ورجاله إلى أن وصل إلى بنى طى وعلمت العشرة بقدوم حاتم ثم أنه شرع فى أمر الزواج والعرس قال وكانت قبائل العرب من بنى طى مقاربة من بعضها بعض فشاعت الأخبار بوصول حاتم وزوجته مارية ووصفوا ما قد أتى معه من الأموال والنعم وأيضا سمعوا أنه زوج أخته لعطاف سيد بنى نظير وأن عنتر ابن شداد قد معه فى سبعين فرسا من بنى عبس ليحضروا العروس فثارت الأحقاد الكامنة وتذكرت أصحاب الدماء دماءهم القديمة وكان أكثر الناس حقدا وأعظمهم قلبا بنى معن لان عنتر قتل فرسانهم وأباد أبطالهم فلما قتل ناقد بن الجلاح اجتمع منهم مائتين فارس وتشاوروا كيف يدبر أحوالهم ويقضون أشغالهم لأنهم خافوا جانب حاتم فقال رجل منهم وكان أكثرهم شرا وأقلهم خيرا يا بنى عمى نصير ميلة العرس وتسير من هنا فى أول الليل ونصل إلى عنتر وأصحابه وقت السحر لأنهم يكونوا قد

عادوا من الوليمة وينطرحون فى الخيام وهم سكارى من شرب المدام فننزل عليهم فى مائة فارس منهم سبعون لمن مع عنتر والثلاثون يهجمون على عنتر وتهاجم عليهم وقت السحر ويضرب كل واحد منا صاحبه وتسكون الفرسان قياما على ظهور الخيل حتى إذا سلم منهم أحد يضربه فقالوا له وقد استصوبوا رأيه يا رابح ما قصدنا إلا عنتر الذى رمل النساء ويتم الأطفال وباقى أصحابه إذا قتلناه يكونون نهبا للسيوف الحداد ولكن يا ابن العم كل واحد يقدر يبلغ المراد من عنتر بن شداد فقال معاذ الله نحن ما نهجم عليه إلا ثلاثين من الأبطال وإن كان وقع فى قلوبكم الخوف فدعونى أنا أهجم عليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولا يدنو أحد منكم إلى خصمه حتى أخرج ورأسه فى يدى تقطر دما وإن لم أذبحه وأشفى فؤادى والا سبونى على كل غاد وبادى ولا ترجعوا الآن تسمونى رابح والعنوا آبائى وأجدادى ثم أنهم بنوا أمرهم على مثل ذلك وأرسلوا بعض عبيدهم إلى هناك لينظر متى يكون الزفاف وابن عنتر نازل من الحى ويعرفوا ومضربه الذى هو فيه قال وقضى حاتم ضيافته لبنى عبس وأولم وليمة الزفاف وجمع سادات الحى بعد ما عقر ونحر وأشبع العبيد والإماء وغنت المولدات وطابت لهم الأوقات وما بقى أحد من بنى طى إلا وتعلم من عنتر شيمة الكرم قال ولما انقضى النهار وأقبل الظلام وزفت أسماء على عطاف وما بقى خلاف وركب عنتر وأبوه وعروة ورجاله وعادوا طالبين الخيام التى أعدت لهم وكان شيبوب فى ركاب أخيه فقال له عندما قاربوا الخيام هذه والله ليلة انتهى فيها العروس والعدا لكم فى الانتظار ليقضوا منكم الأوطار لانكم الليلة قد امتلأتم من العقار وما بقى فيكم من يعرف الليل من النهار وأنا خائف عليكم من العداء وإن لم تحترز على أنفسنا وإلا اشتفت العدا منا ولا ينفعنا حاتم ولا عطاف ولا يردوا عنا كاس التلاف ثم أن عنتر خاف أن يضطجع تلك الليلة للمنام فحلف بخالق الضياء والظلام أنه لا يغفل ولا ينام بل أنه قال كل واحد يحرس نفسه لما يحب ويختار حتى يطلع علينا النهار ثم أنه بعد ذلك قال أنا أكفيكم أمر هذا إن أجبتمونى إلى ما أريد فقالوا له قل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك فقال لهم اعدلوا معى إلى هذه الروابى التى عن أيماننا ونترجل عن الخيل ونسكن عندها ونخلى مضاربنا خالية وشيبوب يكون فيها وإذا كبس أحد على الخيام يأتى إلينا ويعلمنا قال فلما سمع بنو عبس هذا الخطاب رأوه صواب ثم أنهم قصدوا إلى الروابى والهضاب ركمنوا فيها وقد خطر لهم هذا الأمر وكانت فيه سلامة نفوسهم إلا أنهم ما زالوا كذلك حتى أقبلت العدا وقابلت الخيام فى جنح الظلام وانقسموا قسمين وترجلوا وفعلوا ما كانوا عليه عولوا وسلت المائة فارس السيوف

والقواضب ودخلوا بين الخيام والمضارب فوقفت المائة فارس الأخرى على ظهور الخيل لمعت رماحهم مثل نجوم الليل فعلم شيبوب بجميع أحوالهم فعندها صاح فى أخيه ورجاله فخرجوا من التلال وعنتر يقول يا بنى عمى اقلعوا أسنة الرماح وتجنبوا سفك الدماء وهلاك الأرواح حتى لا يكون علينا لوم لاتم مادمنا ضيوفنا عند حاتم واقصدوا الخيالة قبل الرجالة لأنكم تبلغون بذلك الأرب ولا أحد منكم يعول على الهرب لأن ما فى خيامنا من يظفروا به قال فستصوبوا ما قاله وفعلوا ماخطر بباله وطلب أصحابه الخيل فى ظلام الليل وصاحوا عليهم وقالوا لهم يا أنذال بنى على لقد خاب آمالكم ثم أنهم طعنوهم بعوامل الرماح ودحرجوهم من على ظهر الصوافن قال وكانت فرسان بنى طى قد انذهلت لما أن سمعت الصياح وحارت فى أمورهم وتخبلت وتقطعت عروقها لأنهم أبصروا بنى عبس قد نزلت عليهم نزول القضاء والقدر فأيقنوا بالهلاك والذهاب وسمعوا صيحات عنتر رجعوا على الأعقاب ومانجا منهم إلا القليل وأكثرهم ساروا مطروحين فى جنبات الفلا وهم مثل القتلى فنزل إليهم عروة ورجاله وشدوهم كتاف وقوا منهم الأطراف وكشفوا منهم اشؤس هذا شيبوب جرح منهم جماعة بنبالة وبلغ منهم آماله وقتل منهم رابح الذى ضمن لقومه قتل عنتر لأن شيبوب ضربه بنباله فوقعت فى نحره وخرجت تلمع من حلقه والباقون لما سمعوا الصياح وشيبوب يزعق فى جوانبهم ويشغلهم حتى عادبنوا عبس إليهم وداروا بهم وأخذوا منهم جماعة والباقى هرب إلى عند حى حاتم ورموا أرواحهم إلى داخل البيوت واستجاروا بأهلها وما أصبح الصباح إلا والدنيا منقلبة وكل واحد يسأل صاحبه عما جرى وكان مقدم الحالة يقال له زامل بن الصباح فركب ومعه حاتم وسألوا عن حقيقة الحال فركب عنتر ورجالة إليهم وحدثوهم بالقصة وما جرى وأما شيبوب فإنه ساق الأسارى إلى بين أيديهم فلما نظروهم أطرق حاتم برأسه إلى الأرض وقال لزامل وحق من أوجد الأشياء إن لم تقابل هؤلاء الأنذال على ما أبدوا من الفعال لأرحلن من هذا الحى ولأهدمن ما شيدته لبنى طى لأنهم فسخوا ذمامى وأتوا يريدون قتلى من أحسن إلى وصان حرمى وأكل طعامى ٭ وكان زامل يحب حاتما محبة صادقة فسل سيفه وعول على ضرب رقاب الأسارى فتقدم عنتر وسأله فيهم وقد اجتهد فى إطلاقهم فقال زامل يا أمير عنتر قد وهبتك دماءهم ولكن لا بد لى من تأديبهم على ما فعلوا ثم أنه أمر عبيده فنصبوا لهم خشبا وعلقوهم عليها طول ذلك اليوم إلى وقت المساء وأطلقوهم وعند الصباح استأذن عنتر حاتما فى المسير إلى أهله وشكا إليه شدة شوقه إلى عبلة فقال وذمة العرب يا حامية

عبس إن فراقك عندى مثل فراق الروح من البدن لمالك من الفضل والمتن ثم أنه سار لوداعه يوماً كاملا وعاد حاتم إلى قومه وسار عنتر وجد فى المسير يطلب أرض الشربة والعلم السعدى وقد خلا قلبه لذكر عبلة ولا بقى له حديث مع أصحابه إلا فيها لأن البعد من ديار الأحباب يزيد النيران التهاب وصار يعاتب البرق كلما هتف ولاح ثم أنه هاجت به الأشجان والأشواق فانشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول .

إذا رشقت قلبى سهام من الصـد	وبدل دهرى حادث القرب بالبعد
لبست لها درعاً من الصبر مانعا	ولو بات غيرى فى الظلام على الوجد
وكيف يزور الطيف من كان ساهراً	يبيت بأجفان شهور على صد
علالة قلبى لا تصح فإنها	إذا مرض المشتاق علل بالوعد
فبالله ياريح الحجاز تنفسى	على كبدا حرا تذوب من الوجد
ويابرق إن جاوزت من جانب الحما	فحى بنى عبش علم السعدى
وإن خمدت نيران عبلة موهنا	فكن أنت فى أطلالها نير الوقد
وخل الندى ينهل فوق خيامها	يذكرها دمعى إذا أنكرت عهدى
عدمت اللقا إن كنت يوم فراقها	ارى صورة فى مثل صورتها عندى
ألا قاتل الله الهوى كم لسيفه	قتيل غرام لايوسد فى اللحد
وأسأل سيفى كم أقل بحده	صروف الرزايا وهو يقلق فى الغمد
أجرده فى يوم كريهة	فيفرق ما بين المشايخ والمرد
وتلمع من تحت الغبار بروقه	وأصوات عالى البيض تسمع كالرعد
ومازل كلب الروم إلا وقد لقى	رجالا ترى الموت أحلى من الشهد
واهنا إلينا تلتقى الطعن دائما	كما يلتقى العطشان من صافى الورد
حملت على الفرسان فرقت جمعها	فنالت بنو عبس بها الفخر من عندى
لقينا ثقال الجيش فى العلاة وفرقه	ثقال غمام حالك اللون مسود
ينادون عيسى والصليب ومريم	ونحن بعون الله بالشكر والحمد
فبادرتهم بالطعن حتى تساقطوا	إلى الأرض من فوق المضمرة والجرد
أنا عنتر العبسى فارس قومه	أموت ويبقى لى أحاديث من بعدى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره تعجبت الفرسان ثم أنهم ساروا قطعون البرارى والقفار حتى أنهم وصلوا إلى الديار فعندها أمر عنتر أخاه شيبوب أن يسبقهم ويبشر أهل الحلة بقدومهم ففعل ما أمره به أخوه وكان وصوله نصف النهار وأخبر أهل الحى بما كان لهم

من الاخبار (قال الراوى) ولما قارب عنتر وأصحابه الى الديار فالتقى به مقرى الوحش وخلفه جماعة من بنى عبس الاخيار وبين يديه ولده سبيع اليمن وهو فى دون المائتين فارس ولكنهم من فرسان بنى الأشاوس وكانوا التقوا به على بعد من الديار وسلموا على بعضهم البعض وهم فى فرح واستبشار ورجعوا يتحادثون بما كان لهم من الأخبار وعنتر يحدثهم بحديث حاتم طى وكيف التقاه أسيرا وخلصه وسار معه إلى رجلته وكيف أضافه حتى عمل عرس أخته وكيف زوجها عطاف بن فائز النظرى واعلمهم بما جرى له من بنى طى وكيف غدر به رجال الحى وبعد ذلك سأل عنتر مقرى الوحش عن الملك قيس وأخوته وفرسانه وعشيرته وهو يتعجب كيف ما خرج أحد منهم اليه وقال مالى أراكم فى نفر قليل أما كان لى فى بنى عبس محب غيركم فعلت معه جميلا فقال مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس ما فى الحى أحد حاضر تعتب عليه بل أن الجميع غياب مع الملك قيس فى بلاد اليمن فتعجب عنتر وخاف عليهم وصار من ذلك فى فكر فلما رآه مقرى الوحش فى اشتغال قال له ليس الأمر كما خطر ببالك وانما بعض السلاطين قد أتى إلى الملك قيس يخبره بأنه قد ظهر فى بلاد اليمن ولد لأخيه مالك وأنه هو وأمه فى حالة من حال بنى كلب وهم ضنك عظيم من الشقاء وقد سار اليوم يريد أن يخلصهم من ما هم فيه من ذلك البلاء وتركنى أنا ومن ترى هنا لحفظ الاموال والحريم قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك الكلام تعجب من تصاريف الايام وتذكر مالك وما كان يفعل معه فى أيام الصبا وتناثرت الدموع من أماق عينيه وقال لمقرى الوحش والله لقد هيجت أشجانى وقد ذكرتنى برجل كان عندى أعز من روحى وأنك يا أخى ما تعرف ما كان فيه الادراك لأنه قتل قبل ما فعارف أنا وإياك وذمة العرب ما كان فى أولاد الملك زهير أكبر منة مروءة ولولاه ما كنت الى الآن خلصت من رق العبودية وأنا أقسم لك بالبيت الحرام لو كنت سمعت أنا قبل حضورى أنه ظهر له ولد ما كنت أتيت اليكم ولا كنت احتجت الى رفيق ولكن ان أحيانى الزمان لافعلن فى ولده فى حالة نمائه كما كان يفعل بى فى حياته وانى ما أقيم هنا الا مقدار ما آخذ الراحه وأتزود من بنت عمى عبلة بالنظر وأعود أطلب بلاد اليمن على الأثر كل هذا يجرى وهم سائرون حتى وصلوا الى الابيات فتلقتهم النساء والبنات وهن قد أرخين الشعور ورمين البراقع عن الوجوه البدور وعبلة بينهم تتباهى بما كساها الله به من الجمال والندو الاعتدال والجبين تمايلن كأنهن الاغصان البواقع وعليهن الملابس الفاخرة على ذلك الجمال البارع وقال وكان كل هذا فرحا بعنتر وعودته الى الحى سالما ولما رأوا امامه.

من الأموال والغنائم هذا وعنتر لما أن رآه من أتى رجله وترجل وصار إلى خيامه ولم يصدق أن يرى عبلة قدامه قال الراوى وكان السبب فى سفر الملك قيس وذلك الاتفاق أنه بعد مفارقته لعنتر وهو عند الملك كسرى وعودته من بلاد العراق قد صار إلى رحلته وجمع شمله بأهله ورفقته وأقام حتى وصل السبي اليه من أرض الشام ولم يتخلف منه عقال وكل ذلك لأجل حاميتهم عنتر البطل الهمام وبعد ذلك أقام مواظب الولائم والدعوات واغتنمت بنو عبس أوقات المسرات فاتفق أنهم خرجوا فى بعض الأيام الى غدير ذات الارصاد وقعدوا يتحادثوا بما جرى لهم من الانكاد الى أن أزال الله ما كانوا فيه من الضنك كل ذلك يتذكروه وهم يشربون المدام وإذ هم بنجاب قد اشرف عليهم من البرارى والاكام وقد بدأهم بالسلام وقال لهم ياسادات العرب الكرام أريد منكم من يرشدنى إلى طريق الخير ويدلنى على طريق أسلك منها إلى الملك قيس ابن زهير قال الراوى فعندها قدموه اليه واوقفوه بين يديه فقال له ياوجه العرب أنا الملك قيس فقل ما حاجتك فقال الاعرابى يامولاى فان كنت أنت الملك قيس المذكور فانى أعلمك بشيء يسرك ولكن ما أبشرك بتلك البشارة حتى آخذ حق بشارتى فلما سمع الملك قيس من الاعرابى ذلك الكلام اشتاق إلى سماعه وامره فى عاجل الحال بنزول من ناقته فنزل وأمر الملك قيس باحضار الطعام فاكل ولما أكتفى اعطاه قدح امر المدام فامتنع وقال يامولاى أن صاحب هذه الرسالة عاهدنى عهدا لا أضيعه حتى أننى أبلغ رسالته واؤدى ما حملت من أمانته فقال الملك قيس هات ماعندك فعندها ابتدأ الأعرابى يحكى حكايته ويشرح لهم قصته وقال اعلم أيها الملك انى رجل سلال وصنعتى حرامى لص محتال وادور قبائل العرب بكل حيلة وسببه حتى أرسل الخيل وادعى عليها نهارا أو ليلا ولو كان الفرس فى وسط قلب صاحبه توصلت اليه وانتزعته منه وانزلت به مصائبه وأننى يا ملك سمعت بخبر جواد كالب بن زبرة فسرت قاصد اليه لعلى أسرقه واحرق قلب صاحبه وأحسره عليه فسرت إلى أن وصلت إلى الحى الذى هو فيه فدخلت اليه وتأملت معانيه واقتحمت عليه إلى داخل الضرب ولى قلب أقوى من الحجر ثم قطعت شكال الجواد من رجليه ويديه وقدته على يدى إلى ظاهر البيوت وقد ستر على الحى الذى لا يموت ولما إن بقيت على ظهره وكان حصانا مثل العقاب فلما أحس بى نفضنى أرمانى على التراب وعاد يطلب معلفه وهو يمر كمر السحاب ولما وصل مكانه سهل وسار يضرب بحافره الحصى والجندل حتى كادت الأرض أن تتزلزل فانتبه صاحبه على حس سهلة لأنه يعرف سهيلة من دون الخيول فانصره وهو محاول فصاح فى فرسان القبيلة فأتوا اليه وهم راكبون الخيول وكل فارس منهم كأنه بهلول فصار يقول لهم يابنى عمى قد طرق الليلة أبياتنا سلال وقد غدا

حار بافخذوا عليه الطرقات والمذاهب وبادروه قبل وفاء انجازه وفوات المآرب ومازال ينادى بمثل ذلك النداحتى ملكوا عليه سائر أقطار البيداء فلما علمت أنى ما بقى لى خلاص من كبد هؤلاء اللئام سرت أغدو وأنا مهرول بين الخيام وايقنت باتلاف مهجتى بين الايام ومازلت مهرولا والعبيد تصيح على وتضربنى بالحدقات حتى وصلت إلى بيت منفرد عن الابيات فقلت فى نفسى التجىء إلى هذا البيت لعل أن يكون لاحد من السادات أو يكون صاحبه فى هذه القبيلة موصوف وبإجادة الرماح معروف فوجدت فيه امرأة عجوزا جالسة تغزل صوفا فدخلت عليها ورميت روحى بين يديها وقد استجرت بها فاجارتنى وآمنتنى على نفسى بعد ما كان انقطع حسى وقامت إلى الرجال الذين لحقونى وقد صاحت عليهم فوقفوا عنى وقدها بونى فاخبرتهم إنها اجارتنى فعادوا عن مضربها ومقامها وهم يقولون هذه امرأة من أكابر قومنا ما نفسخ ذمامها وبعدها رجعت العجوز وهنتنى بالسلامة وامرأتنى عندها بالاقامة وقدمت لى الزاد فاكلت وعطشتنى قعب لبن فشربت ثم أقمت عندها إلى الصباح فقالت لى يا هذا أعلم انك يضيق صدرك أن أقمت عندى فى البيت فاخرج وتفسح بين الروابى والقيعان ولا تبعد فى البر بعيدا فيتعب قلبى عليك ويصير بينى وبين قومى الشر والعداوة لان بعلى وأولادى فى هذه الايام غائبون ولا بد أن يأتوا فى هذا الحى وأراعيك وآخذ حسك لعلهم ان يأتو ويسيروا معك إلى موضع تأمن فيه على نفسك قال الراوى فلما ان سمعت منها ذلك الكلام صرت كل يوم أخرج إلى الغدير وقد أمنت على نفسى من الصغير والكبير وصرت كل يوم أفعل ذلك وأعود إلى البيت التى للعجوز فلما كان فى بعض الايام وأنا جالس تحت هذه الشجرة الذى ألفتها وكانت وقت الضحى والشمس على الأرض قد ارخت حزمنا وإذا الجارية قد أقبلت من البر وقد اشتد عليها الحر وعلى وجهها برقع خلق وعلى بدنها جبة صوف ووجهها بالخير معروف وبين يديها صبى ووجهه أحسن من الهلال لكن غيرت محاسنه ومحاسن أمه تقلبات الايام وزمن العمر ما يقارب عشر سنين ولبسه مثل لبسها وحسنه مثل حسنها الا أنهم فى الهم مشتركون وقدامهم اغنام يسوقوها إلى تلك المرعى وعليهم حالة والذل والهوان وهم بذلك الشقا ولزفهر والجارية تقول لولدها يا مجيد رد الغنم إلى ناحية ذلك الغدير فقفز الصبى حتى يعين أمه على ذلك الشقاء فعثر فى حجر فوقع على وجهه وتكبكب وقد أدمت قدماه وجبهته فاحرقتنى قلبى عليه وعلى ما صار من قصته وصار يبكى ولا يقدر أن يقوم على قدمية فلما أبصرت أمه حالته عادت وعدات وضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه وشقت رداءها وعصبت به جبهته

وصارت تقول له يا ابن الشكلى وابن المفقود ليلة الجلا يا ابنى واهقت أمك على صغر سنك فى الشقاء والتذيب وربيت فى اليتم وخدمت من هو ليس منا بقريب ياولدى أنت أمك ماتت ولا رأتك فى هذه الحالة تخدم العدا أو ليت أباك بقى ولا كان شرب كاس الردا ثم أنها ازدادت بها النحيب والبكاء فانشدت تقول على طه الرسول

وافقتنى فى الشقا والحزن أيا ولدى ... على أبيك الذى ولى ولم يعد
وقد بكيت بدمع بعد فرقته ... وكم أبيت ونار الشوق فى كبدى
ياليتنى كنت فارقت الحياة ولا ... بليت بالذل والتقصير والنكد
وليت أمى رمتنى للسباع ولا ... رأيت دا المولاو الاحزان والكمد
أو ليتها دفنتنى فوق رابيـــة ... بين التلال وشلت ساعدى ويدى
كما فجعتم فؤادى يوم فرقته ... بفارس كالهمام الضيغم الاسد

قال الراوى ثم أن السلال قال بعد ذلك الملك قيس وأننى يامولاى لما رأيت الجارية وحرقتها وقد سمعت نداءها وأبصرت صوتها عرفت أنها من هذه الديار غريبة وان الزمان تعدى عليها وجار فعدلت عليها رسلمت ثم أنى قلت لها ياجارية لقد أحرقت قلبى وزدتنى كربا على كربى فان كنت غريبة من هذا الديار فاخبرينى أنت من أى العرب الأخيار وكيف السبب لعراقك لأهلك والاوطان لأنى أراك شديدة الاحزان زائدة الوجد والاشواق عظيمة التهلف والاشتياق فقالت لى ياهذا أنى غريبه كما ذكرت وولدى فى هذه الديار كما أخبرت ولكن ياهذا من يكشف عنى ما أنا فيه وأيش تنفع الشكوى لمن يضيعها وأيش النفع للذى يشكى بلوة تكون فيه لمن لا يزلهم عن صاحبها فقلت لها من هم عربك وعرب هذا الغلام فقالت يا أنا ماقدر أخبرك من أنا ولا أقدر أشرح لك قصتى خوفا على ولدى من النعاد ولولا أننى أعرف أنك غريب من هذه الديار ما كنت أطلعتك على شىء من هذه الاحوال فقلت لها أنا أحلف لك بمن كسى الليل حلة السواد وأغسقه وتفرد بوحدانيته بالدوام والبقاء وأننى ما أكشف سرك لأحد من البشر ولا أبيح لانثى ولا ذكر إلى حين أموت وأقبر وما قصدى بهذا الا خلاصك وإظهار أمرك لعلى أن أصل إلى قومك وأكشف لهم عن خبرك لأن قلبى قد رحم بكاك ولعل الله أن يفرج ما بك ويجعلنى من السوء فداك وكل هذا لأجل هذا الطفل الصغير الذى كأنه ولدى كبير وهو على صغر سنه يقاسى الشقاء والتشمير كل هذا ياملك الزمان وهى لم تجبنى بسؤال وبعد ذلك مال قلبها وأخرجت سرها على وقالت يافتى أعلم أن هذا الصبى أمير بن أمير كبير وأنا أخبرك بقصته وأشرح عن حكايته ظاهرا وباطنا وأخبرك

بما جرى علينا أولا وآخرا أعلم أن هذا الصبى أبوه مالك ابن الملك زهير معدن الكرم والجود والخير الذى أفخر العرب نسبا وأعلاها حسبا وفضلا وأما وأبا وأهلا وكان قد تزوج بى لما وقعت الفتنة بين بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان من أجل سباق الخيل وأنا كنت فقيرة فاغنانى وأعطانى من المهر ما كفانى وقد زففت عليه من أجل والمغانى ولما ان خلونا ببعضنا كدر الدهر علينا صفو عيشنا ثم أنها اخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها قال الراوى وأخبرته كيف الدهر أتى عوف أخو حذيفة وشن عليهم الغارة هو ومن معه بنى فزارة وأنه قتل منا السادات فهربت أنا مع جملة من هرب وهمت على وجهى فى الفلوات من شدة الخوف والممات وقد عولت أن التجىء إلى بعض العربان الذين يحمون من استجابهم فالتقانا عرب هذه الديار أنا ومن معى وكنت من البنات الاحرار فساقون كبار وصغار وقد وقعت من شؤم بختى مع هؤلاء القوم وكنت علقت من بعلى بهذا الصبى على دم الزفاف ولما تكاملت أشهره وضعته فى هذه الديار وقد ربيته فى ثياب الذل والأضرار وكنت نسبه خوفا عليه من البوار وكل من يسألنى عنه أقول هذا الولد رزقته من ابن عمى وقد حلت به الافات ومات مع من مات هذه قصتى شرحتها عليك وأريد منك إذا حضرت إلى بنى عبس فى بعض أسفاك فاقصد ملكهم قيس بن زهير وقل له أما تخشى أن تكون ملكا شجاع وابن أخيك يرعى الجمال والاغنام فى تلك البقاع فما يرضى بهذا من هو بطل شجاع ثم قال السلال ولما فرغت من كلامها يا مولاى بكت على أهلها وما زالت على ذلك أسالت من أجفانى العبرات وبعد ذلك قالت ياوجه العرب سالتك بحرمة شهر رجب أنك توصل خبر إلى قومى وتتحمل هذه المشقة فقلت لها ياحرة العرب وحق من فى علم غيبة قد احتجب ان سرت من هاهنا إلى قومك لاعلمهم بقصتك وشؤمك وأعلمهم بحديثك الذى ذكرتيه لى فى قومك ثم أتى يا ملك طيبت قلبها وفارقتنى وفارقتها وسرت إلى البيت العجوز وقمت عندها إلى أن قدم أولادها وبعلها واخبرتهم أنها قد أجارت ذمامى ترحبوا بى وأعطونى الناقة هذه لتعيننى على قطع الربا والآكام وسار وامعى معى إلى مكان الآمن والسلامة وتوددت عنهم وأمرتهم بالرجوع إلى أطلالهم والربوع وأنا أتشكر من أفعالهم وما فعلوا من الجميل لأنه غير قليل وبعد ذلك يامولاى صرت قاصدا اليكم وأعدت حديث ابن أخيكم فهى والله أمه على وجهها الخير والرجا وولدها أحسن من بدر الدجا إلا أن لهم والبلاء قد غير أحوالهم وأمور الدنيا قد أزرت أحوالهم قال الراوى فوالله ما سمع الملك قيس هذا الكلام من السلال حتى بكى الملك قيس وكل من من كان قدامه من أهله

وبنى أعمامه هذا وقد شاع ذلك الحديث فى الحلة وقد تشامعت به الرجال والنساء جملة وأما الملك قيس فانه غاب عن الدنيا من شدة ما جرى عليه وفاضت مدامعه على وجنتيه ثم أنه ناول الكاس لساقيه وحلف أنه ما عاد يشرب باقيه حتى أنه يخلص ابن أخيه وأمه عما هم فيه ثم أنه فى عاجل الحال خلع على السلال وأركبه على من أرقى الخيول الجياد ونادى فى فرسان الحى بالرحيل وسرعة الجد والتحويل وركب وسار فى بنى عبس الأخيار وكانوا ثلاثة آلاف فارس ومن خوفه على الأحياء وهذه الديار من كيد الأعداء الأشرار ترك مقرى الوحش حامية لها وترك عنده خمسمائة فارس ربيال وذلك لأجل حفظ الحريم والأموال لعلمه أنه يعادل عنتر فى الفرسية والشجاعة وسار الملك قيس وهو يقول للربيع بن زياد أتى علينا عنتر بن شداد عاين علم أنه قد ظهر لصديقه ولد من الأولاد لأنه كان فى زمانه من أفخر متعصبيه وكان أخا له وصديق وكان دائما يتعصب له فى كل شدة وضيق ولو كنت أعلم أنه يقدم سريعا من أرض العراق كنت أنفذت اليه ولكن أخاف ان النعمان يعيقه ولا يتركه ياتى الينا إذا أرسلت اليه نجاب لاننا خليناه عند كسرى فى مجلس الشراب ونحن الذين قد ضيعنا الحزم لكن الغائب حجته معه وأخاف ان نتكاسل عن هذا السبب فيشيع عنا فى قبايل العرب أن ابن أخى عند الأعداء مقهور وأعاير به أنا بطول الأزمان وربما يسمع أهل الحلة التى هو فيها ان نسبه متصل اليمانية فيقتلوه لأجل الدماء التى علينا قال الراوى فعند ذلك قال الربيع بن زياد ايها الملك المهاب ما رايت غاية الصواب حتى لا يصير له كلام يقول انهم ماقدروا ان يخلصوا سيداً من ساداتهم حتى أتيت وخلصته ثم الراى عندى ان نشير نحن اليهم وتخلصه منهم وتلقى كل من بلاد اليمن بمن معنا من الأبطال ثم انهم سلكوا البرارى والقفار وطلبوا بلاد اليمن وها نيك الديار قال الراوى وكان بالأمر المقدر ان الأمير عنتر وصل الحلة بعد ان ساروا ثلاثة ايام وحدثه مقرى الوحش بما جرى لهم من الكلام فعند ذلك دخل على عبلة وبل شوقه منها وبعد ذلك اشتاق الى ذلك ابن مالك وتذكر اباه وقد علم ان بنى عبس لا بد ان تجمع عليهم قبايل اليمن ولا يكون عندهم من يحميهم من تصاريف الزمن فجد عزمه على اتباعه ليعينهم على اعاديهم وقد خاف على بنى عبس ان يقعوا فى التعس والنكس وايضا خاف على بقاياهم من بنى فزارة بن ابى حارثة ان يبلغه ما هم فيه من المرام وربما ركب عليهم ملوك الشام من اجل ما جرى بينهم من الحرب والصدام لأن بنى غسان اقوام لئام وقد علم ما جرى منهم من الحرب والصدام وما وقع حتى تبدد شمل العشيرة ورجع اجتمع وقد تعبوا حتى رجعوا

إلى الديار وقربهم القرار ثم أنه قال يا بنى عمى الرأى عندى أنكم تقيموا فى الأوطان مع أخى عروة ومن له من الفرسان وأيضا يكون معكم الرجال الذين كانوا معى بأرض العراق وأسير أنا ومعى أخى مقرى الوحش فارس النياق ونأخذ معنا أخى شيبوب ونسير العشيرة لعلنا أن نلحقهم من قبل أن تجتمع عليهم الجموع ونقضى حوائجنا ونعود وشملنا مجموع وأن طالت يا بنى عمى غيبتنا وسمعتم مالا ترضوه عن بنى فزارة أو بنى غسان لأننى أعلم أنهم طائفة غدارة خيان فلا تطلبوا بينكم الكلام بل ارحلوا إلى منازل شيخ العرب دريد بن الصمة أو إلى بنى عامر وكونوا غدا فى أحد الجهتين حتى نرجع بسلام فقال شداد والله يا ولدى لقد نظرت موضع النظر أفعل ما بدالك واعلم أننا مستيقظون على أنفسنا من مقالك فيب قلبك من جهتنا فنحن ما نتهاون على أنفسنا ولا نتغافل عن أخبار أعدائنا بل نقيم لنا عيونا وارصادا تأتينا بالأخبار من سائر الجهات إلى أن تقضى حاجتك وتعود فى خير وسلام فعندها طاب قلب عنتر على قومه وتجهز للسفر ولم يأخذ معه سوى مقرى الوحش وأخيه شيبوب وساروا ولم يأخذوا معهم لا ناقة ولا جمل بل طلبوا الوحدة والانفراد وبلوغ الامل وسلكوا البرارى واقتحموا الفلوات وسلك بهم شيبوب تلك التلال المقفرات وقطع بهم تلك الهضاب الموحشات وما زالوا على ذلك الحال ستة أيام متواليات وفى اليوم السابع فرغ منهم الماء وألهبهم العطش والظما وقد عرض لجواد مقرى الوحش عارض فهلك وارتمى فصار مقرى الوحش راجلا وصار يقطع على قدميه الفلا فنزل عنتر عن جواده موافقة لصاحبه وترك العدبفوق جواده الأبجر وساروا يجدون المسير فى ذلك البر الاقفر فقال عنتر لأخيه شيبوب لم لا أعلمتنا يا ولد الزنا أن هذه الأرض مهلكة كثيرة العباد حتى كنا اعتدنا لها بالخيل الاصال ولا كانت جرت علينا هذه الأهوال فقال شيبوب الله ما كنت أعلم إلا أن هذه الأرض كثيرة الماء والمناهل ولكن الانسان ما يعلم ما خبى له فى الغيب من القضاء النازل ولم أعلم أن جواد مقرى الوحش يموت فى هذا المكان ولم أعلم فروع آجال الخيل وما يقع لها من الهوان وما يجرى عليها من الحدثان فقال له مقرى الوحش هلا تعرف لنا منهلا ندركه على عجل قبل أن يأتى المساء لأنه ما يأتى آخر النهار وفينا من يعرف أحسن الدهر اليه أم اساء فقال له نعم أنى أعرف قدامنا منهلا قد يما للعرب يقال له بنو باباعث وهو غدير واسع وله منافس ومنابع وما بقى قدامنا إلا هو ولا اتكالنا إلا عليه وان كنا لا نجد فيه ماء إذا وصلنا اليه فوحق الرب القديم ما يرجع منا من يخبر بخبر لأن بعد مفاوز صعبه واسعة الفضا لا يقطعها لاتساع أرضها وصعوبة مسالكها إلا أنا فقال مقرى الوحش ما أنت إلا قطعت ظهرى فعلن ابا سبالك

ومن المصائب لأ فالك وحق الرب القديم إذا وصلنا إلى هذا الغدير ووجدناه ناشفا لا تركناك تنتقل عا بشبر قصير ولا بدلى ما أشد يديك ورجليك وادعك تموت معنا على جانبه ويقضى عليك لأن الدليل أحق من غيره بالعذاب . وكان شيبوب يعلم أنه يلقى الماء إلا أنه أراد أن وهم مقرى الوحش ويروعه لما أن رآه عادز رجلا وصار يمازح معه ويهول عليه إلا أنه مازال سائرا بهم حتى أوصلهم إلى الغدير قد تعبوا تعبا شديدا ولما أن وصلوا إلى الغدير نزلوا لأجل الراحة وقر بهم القرار فى تلك الساعة فشربوا من الماء حتى ارتووا وبعد ذلك أضرموا النار وكان معهم شىء من اللحم فشووه وأكلوه وقليل من الخمر فشربوه وبعدها قال عنتر لأخيه شيبوب يا ابن الام كيف نعمل فى مقرى الوحش أنسير به راجلا معنا إلى بلاد اليمن فو الله ما فيه قوة إلى هنا البطش فقال شيبوب أصبر على قليلا حتى أستريح وأغدو وأجدر فى الطلب وادبر نفسى جواد وأجيبه له يركبه وأقيموا أنتم ها هنا على الغدير وأنا أسير وأحمل عنكم التعب والتعثير وآتيكم بما تأكلون لأنى أعرف أن هنا بالقرب مناعر با يقال لهم بنو صابح وهم بعيدون عنا بمقدار نصف يوم للمجد الناصح ولا بدلى ما أسير اليهم وأتوكل على رب العباد وأتجسس أخبارهم وأفجعهم فى خيلهم الجياد فقال له عنتر أتريد أسير معك وأعزم على الرواح فقال له يا أخى أنا ما أسير إلا وحدى وأنا راجل خال من السلاح ولا يتفكر فى أحد من عرب البطاح وأما أنت لا تسير إلا فارسا مشتد وإن رأوك وأنت على هذه الحالة نفرت عليك أهل الحلة خيالة ورجالة ويصير بينك وبينهم الحرب والقتال والطعن والنزال وتضيع الفوائد ويطول الأمر فقال مقرى الوحش والله رأيته سائرا ملك ما أخليه يخطو خطوة واحدة ولا كان يطيب على قلبى أن أبقى فى هذا البر وحيدا وأكون مستوحشا فى هذا القفر والبيدا فقال له شيبوب صدقت وأنا من أجل ذلك ما طاوسه على مراده لأن مرافقته معى لا شك تورثنى الهم والتنكيد ثم أنه أقام عندهم إلى وقت السحر وقد قرب الصباح وخف ما به من التعب واستراح فسار يطلب العرب الذين ذكرناهم وهو خال من السلاح وهو مثل العبد النزال وباطنه باطن الأسد الرئبال حتى تضاحى النهار وقد قارب الأرض التى هو طالبها وتلك الديار وإذا هو يرى عن يمينه واديا كثير الماء والمنابع وفيه مراع كثيرة ومناع وفى سطه قبة من الاديم تسع جماعة كثيرة من بنى آدم ومن حولها عشرون رأسا من الخيل الجياد وهى مختلفة الألوان وهى تموج فى مقاودها مثل الغزلان فقال شيبوب هذا الذى كنت طالبه من المأمول لكن الصواب أننى ادبر فى أخذ هذه الخيول وأعود إلى أخى عن قريب وأغتنم السلامة لأن الدهر يومان يوم يصاب ويوم يصيب ثم أنه عرج إلى الوادى وسار فيه ومازال إلى أن وصل إلى تلك القبة المضروبة وقد دار من حولها فلم يجد

أحد من البشر ولا يسأله عن ذلك الخبر فقال شيبوب هذا هذا من تمام السعادات التي تأتي على مراد الإنسان ثم أنه دار من حول تلك القبة وجعل ينظر إلى ذلك المضرب ويتعجب غاية العجب يقول يا ترى من أتى بهذه القبة إلى هذا الوادي ثم أنه ألقى أذنيه إليها وأصغى فما سمع من داخلها حسا ولا نفس ولا أبصر أحدا قام ولا جلس فزاد بذلك تعجبه ورفع ذيل القبة وبقي من داخلها مثل الثعلب ونظر فيها فرأى رجلا وهو نائم في ركن من أركانها وقد أبصر أعدالا ملآنا معبأة بعضها فوق بعض وفيها تمر ودقيق في جانبها ظروف ملآنة سمنا وعسلا فلما رأى شيبوب ذلك قال في نفسه أن الاقبال إذا أتى للشخص فيكون سعده وقد حصل وما بقي إلا أن أحمل بعض هذا الخبل الأصايل من هذا الخير الحاصل وأسوق الباقي وأقطع بهم بهم البر الأقفر لأني أعلم أن صاحب هذا الخباء ما يأتي إلا عند المساء والساعة أكون عند أخي عنتر ثم أنه عول أن يخرج ما يكفيه إلى خارج الخباء وإذا هو بجد ناقة مقبلة من صدر البر صياحها قد قلب الفلا وعلى ظهرها هودج عالي محلى بالحرير ومن حولها خمس عبيد بالقنا والنبال والسيوف وفي أيديهم الحجب الغوال فلما رأى سيبوب هذا الحال عام إلى الخباء وخنس بين الأعدال وهو يقول هكذا الدهر ما يبقى على حال ولا ندما يخيب الآمال ويكدر ما صفا بعد الإقبال ثم جعل باله من الناقة حتى وصلت إلى باب الخباء فأبركوها العبيد ونزلت من الهودج امرأة عجوز تقارب الشيخ النائم في العمر إلا أنها أنهض منه ولها حيل شديد عنه ولما دخلت الخباء صاحت بالنائم وجلست بجانبه وقالت اجلس يا نايم من غفل عن نوائب الدهر ومعانته فعند ذلك جلس الشيخ لما سمع كلامها قال غبتي فأوحشتي وقدمتي يا ابنة العم فآنستي فأخبريني اما كان من غرماء ولدك هل تركوا آدم أخيهم ووهبوه إياه أو يريدوا من أجل ذلك أنهم يقاتلوه فقالت والله يا ابن العم ما انصلح له حال ولا بد أن يقع بينه القتال وأنا والله خائفة عليه من الأعداء الأنذال لأنني لما سارت من عندك البارحة عند المساء وصلت إلى الأحياء نصف الليل وأنا أقول لعل وعشى ثم دخلت على جارتنا سلمى بنت حازر وسألتها عما جرى من مبتدا تلك الأمور العظام فقالت والله يا ابنة العم لقد شق علينا رجلكم من الحلة وصعب على جميل مقدمنا وقد صاروا وراء رافع أخو القتيل وقد سأله لولدك دم أخيه ويأخذ فداه من المال ما يرضيه فما رضى أن يفعل بل قال أنا لابد لي من أخذ ثار أخي ممن قتله ولا بد ما أتوصل إليه وأقتله كما قتل أخي وأجند له وإني ما قعدت عن طلبه إلا حتى يأتي باهم أخواتي ونسير إليه كلنا ونأخذ منه بثارنا ونبلغ منه مرادنا ولما أتى الرسول يا ابنة العم إلى مقدم عشيرتنا بهذا الخبر زاد غضبه وغيظه وتقطعت به الأسباب وقد خاف على شمل العشيرة أن يفرق ويحل بهم الذهاب

فما كان جوابه لهم إلا أن قال لهم افعلوا أنتم وخصماؤكم ما أردتم فأنا ما أدخل بينكم ولا أكون عليكم ولا لكم على حامية العشيره وفارسها ولا أعينكم عليه بعد ما أحسن إلينا المرار العديدة وحمى حريمنا قد ونكم وإياه وإنى لا أمنعكم عن طالب حقكم وأرضى بتركه لكم ثم أنه رحل أبو الجارية التى كانت سبب هذه الفتنة وقال لها ارحل أنت عنا لئلا تفرق شملنا وغاية الأمر يا ابن العم أن القوم طالبون ثأرهم من ولدك فامضى اليه واعلمه بهذه القصة ثم أنها قالت ولما سمعت بهذا الكلام الذى منه تفتت كبدى عدت من ساعتى من خوفى على ولدى وأريد أنه إذا أتى أعلمه بالحال وأشير عليه بالرحيل من قبل أن يأتيه شىء ماله به طاقة فكان يعقبنا الوبال فأين هو مضى يا ابن العم فقال لها إنه مضى إلى الصيد والقنص من الصباح وإلا الآن ما عادوا أنا أسأل رب العباد أن ينصره على الأعداء والأضداد ولا يفجعنا بطرده والابعاد قال الراوى ثم أن الشيخ بعدما عاد إلى مرقده وانفجع وعينه من قبل ولده تدمع فقال شيبوب فى نفسه من هذه الأقوال والأحوال كنت أخاف فما أتم شيبوب كلامه إلا وقد من صدر هذا الوادى شاب معتدل القوام كأنه البدر التمام وهو طويل القامة كبير الهامة عريض المناكب حسن الوجه أخضر الشارب تلوح الشجاعة من شمائله وكذا الفروسية تدل على العاطفه وهو قوى العزم ليس به فشل وهو لابس بدة شاملة وآرحرب كاملة وتحته جواده عال من الخيال شديد القوى والحيل يندفق مثل السيل وهو أشد من سواد الليل وقداه قطعة جيده من غزلان وأرانب ووحوش وثعالب وعدة من أصناف الوحوش (قال الراوى) وكان ذلك هو صاحب الخباء وابن هذه العجوز وزوجة هذا الشيخ الذى نحن فى ذكره وهو عامية هذه القبيلة التى اتت أمة منها وايضا هو فارسها وراجلها الذى يدفع عنها النوائب (قال الراوى) وكان السبب لرحيله عنها أنه عشق جارية من بنات الحى وهام قلبه بها وكان للجارية ابن عم وكان قد خطبها من ابيها وحمل مهرها اليه ولما راح زواجها ودخوله عليه عرف ذلك الفارس والتهب قلبه من جهتها وزاد غرامه وكربه وعظلت من المحبة بلباله وخاف ان تفوته محبوبته فرصد ابن عمها حتى خلا به فى البر وقتله وقط خاف به ما فتله من رجال الحلة ومن تعصبهم عليه انهم يقتلوه يصلون الأذيه إليه فرحل عنهم ونزل فى هذا المكان وهام يدبر اموره وقد اتى ومعه امه وهذا الشيخ ابوه وصارت امه تمضى إلى الحلة وتكشف له الأخبار فوقع ما سمعته السادات الحضار (قال الراوى) وكان للقتيل اربعة إخوة وكلهم فرسان اقيال ولكنهم ما كانوا حاضرين تلك الأيام فى الديار وما كان حاضرا منهم سوى فارس واحد يقال له رافع وبقى الأمر معوق من وقت إلى وقت وجعل ينظر حضور إخوته وهو يدافع ويسأل شباب

العشيرة أن يعينوه على مصيبته فما أحد أجابه خوفا من سنان هذا الفارس و يعلمون من شدته وصار هذا الفارس يرقد بهم صباحا ومساء ولا علم قلبه من أحسن إليه بمن أسيء و يقول له من له عندى دين يأتى يأخذه منى فى القفار لأنى أقسمت بالملك الجبار لو أتتنى أهل القبيلة تطالبنى لبددت شملها وفرقت جمعها . ونرجع إلى سياق الكلام و نصلى على البدر التمام ولما أن عاد الفارس فى ذلك النهار تلقته أمه بالفرح وقامت إليه العبيد وأخذ ما معه من الصيد وفى عاجل الحال أضرموا النار وقعدوا يصنعون له شيئا من الزاد وأمه تحدثه بما جرى لها وما سمعت من لواريتها من الأمور الخطيرة وأن رافع يا ولدى يريد أن يستنجد عليك بشباب العشيرة ثم أنها بكت بعد ما انتهت من ذلك الكلام وقالت له يا ولدى اعلم أن هذه الديار ما بقى لنا فيها مقام مع أنى أعرف أنك لا تبالى العربان ولو كانوا بعدد رمل وادى كنعان ولكن المطرود مذموم فى الصباح وفى المساء والصواب يا ولدى أن تسير بنا إلى بعض أحياء نقيم فيها وتنتهى فقال لها والله يا أماه إنى على هذا الحال معول ولكن أنا ما أبرح هذا المكان إلا بعد ما أقتل رافع وإخوته وأنزل بهم الذل والهوان وأن هذا لم يفوتهم منى عن قريب ولا بد ما أخضب حسامى من دمائهم يختضب وأشبع من قتالهم الوحش والديب ابينما هم فيه من الكلام وإذا بعبيد أقبلوا إليه يصيحون وإلى نحوه يتبادرون وهم ينادون إليه ويقولون يا مولانا الحق أموالك لأنهم شردوا إلى البر منا وقد ظهر علينا أسد عظيم فما رأينا أعظم من جثته وشردت النوق والجمال من زعقته وقد ظهر علينا فى أثرك ويفر الوحش من التلال فلما سمع الفارس من عبيده هذا الكلام تبسم الخردو صار فرحانا بلاقاة ذلك الأسد وفى عاجل الحال وثب قائما على قدميه وأخذ سيفه وجحفته وقد خرج طالبا الأسد بشدة همته وحسامه فى يمينه مجرد عيان وهو يقول لعبيده ويلكم يا أبناء الزوانى تخافون على أموالى من كلب من كلاب البرارى والقيعان وأنتم قد شاهدتم فعالى فى كل مكان فوالله بطول ما أنا مقيم فى هذا الوادى ما أجعل طعامكم إلا من لحومهم ثم أنه طالب تلك القفر والبيداء وقد تجارت خلفه جميع العبيد وهم يريدون الفرجة على قتاله مع ذلك الأسد وينظرون ما يجرى من مولاهم عليه من النكد هذا كله يجرى و شيبوب لا بد بين الأعداء وهو مما حصل له فى انذهال إلا أنه لما رأى المكان من صاحبه خلا قال فى نفسه هذا وقت انتهاز الفرصة فى هذا القلا ثم أنه عول يخرج من مكانه الذى هو فيه ويركب الذى اتى به هذا الفارس و يعود مسرعا إلى مقرى الوحش وعنتر اخيه فبينما هو اراد ان يفعل ذلك الأمر الذى عول عليه وإذا بالشيخ زحف إلى جهة العجوز وهو يدبدب برجليه وصار يضاحكها ويمازحها ويطلب منها ما يطلب الرجال من النساء وقلبه على ذلك قد قسى ومد يده إلى العجوز ومسك جيبها

فنترت يده ودفعته فى صدره القته على ظهره ووبختة على فعاله وقالت له دع عنى ذلك الحمى أما تعلم ما نحن فيه وما هو أهم من الشغل الذى تدعو تنى إليه فعند ذلك اج عليها فى السؤال وطلب منها الوصال فقالت له أبعدنى ابعدك الله أما فيك عقل يردلا عما أنت طالبه أما تعلم أن قلة رجالى وكثرة أعداء ولدى الذى تعاملت عليه أذايت كبدى ياولك أيكون ولدى فى قتال وأنا نائمة إلى جانبك قال لها يابنت العم أما هو ولدى فقالت لا والله إن الأمر الصدق مالك فيه لا قليل ولا كثير ولا شىء يساوى ناقه ولا بعير ولو كان فى رأسك عقل كنت به تستغنى عن هذا الأمر وكنت عقلت على نفسك لأنه فيه شىء يشبهك ولا أمره كأمرك وما تكلمت العجوز بذلك الكلام وأباحت بما فى سرها والنيه وإلا وهى زهدة فيه بالكلية إلا أن الشيخ لما سمع منها ذلك الكلام صار الصباقى وجهه ظلام وقال لها هذا الولد يازنيه يابنت اللئام وإيش المعنى فيما أبديتيه من الكلام فقالت له أدرى والسلام فقال وحق ذمة العرب ما بقيت أقر وأهدى حتى تكشفى لى عن هذا المقال وتعلمينى بحقيقة الحال وتعلمينى لمن هذا الولد ينسب لأنى أنا الآخر قلبى منه فزعان وبنفر منه ولاله فيه شفقه ولا حنيه وأنت قد زدتينى فيه قساوة بالكلية فقالت إن كان الأمر وما فيه وأظهر لك الحق فأبين لك معانية لأن كل من قال قو لا فعليه أن يحققه أعلم أنه ولد شداد بن فراد فارس عبس الأجود أبو عنتر الأدهم الذى أذل به العرب والكل يخشون سنانه حتى دولة العجم والترك والديلم واعلم أنى ماقلت هذا الكلام وأبحت بما عندى إلا حتى أنى عنى هذا الكلام وكل عتب وملا وقد عولت بهذا المقال على أن آخذه وأسير به إلى عشيرته وأرد إلى شداد وديعته وأعيش أنا وأباه فى العز والهنا وآمن عليه من كيد العداء وما يأتينا منهم من العنا وإننى ما كشفت لك هذا الأمر وأوضحت لك ما عندى إلا غيظا منك وأنت تقول ولدى من أين لك ولد وقد قضيت هذا العمر الطويل ولم ترزق سواه وأنت ذليل حقير ياويلك كيف يظهر من ظهر الجبان شجاع أو يأتى من نسل الدياب سباع ثم أن العجوز تركته على حالة وقامت إلى باب الخباء ونظرت إلى البر والربا ووقفت تنظر ولدها حتى يقدم عليها ويطلب علية قلبها وتصلح ماجرى له فى قتل الأسد هذا والشيخ قد صار يدمدم ويزوم ويشتم ويحلف أنه إذا حضر ولدها يشكوها له حتى يقتلها كل هذا يجرى وسيبوب لا بد بين الأعدال ينظر ويسمع إلى هذا المقال ويتعجب من هذا الحال وقال فى نفسه والله إن هذا الخدتماما تم مثله من تقدم ولا سمعناه طرى ولا جرى فى سائر الأمم عربا كانت أو عجم وأن هذا من أعجب العجب ولا بد بأن يؤرخ ويكتب لانه إذا نظره العاقل منا انذهل ولا سيما إذا رآه فى اليقيظة

وإذا سمع به العاقل لا نكر بعضه والحاذق اللبيب يكتبه باقلام من الذهب والفضة وأنا أقسم بالملك العلام الذى خلق الضياء والظلام ومدبر الاحكام مابقيت ابرح من هذا المقام حتى أدبر حيلة آخذ بها هذا الغلام وأعود به إلى أخى عنتر وأجعله عونا له على الشدايد التى تذكر لأجل أن يساعده على أعدائه قال فبينما هو على ذلك الحساب وإذا بالغلام قد عاد إلى الخبا وسيفه يقطر دما والعبيد من خلفه يحملون الاسد مثل الثور لأن الغلام لما أتى اليه صاح فيه وزعق وراوغه مراوغة الثعلب وهجم عليه وضربه بالحسام فى جبهته أطلعه يلمع من ظهره وعاد بعد ذلك إلى خيمته فلما رأته أمه قبلته وبالسلامة هنته وعادت معه إلى الخبا وكان الطعام قد راج واستوى فأتت به العبيد إلى بين يديه وكان الغلام مارن فجلس للاكل وقعدت أمه إلى جانبه ونادى على أبيه أن يأكل معه فابى وصار معبسا فقال له الغلام تقدم ياأبى وكل معنا ولا تخف على شرب من كاس الحمام فما يقع الاما يريده الملك العلام فقال له الشيخ ما أنا فزعان من هذا المعنى ولكنى لم آكل طعام مع أولاد الزنا ولو كان معى جيل وقوى لاحرمنك تشم نسيم الهوى وأجعلك طعاما لوحش الفلا حتى لا يبقى عارك على وتشمت بى الأعداء وكان هذا الغلام أسمه مازن وكان صاحب عقل وزن فلما سمع ذلك الكلام رفع يده من الطعام وقال أيش المعنى ياأبتاه فاعاد عليه الشيخ ما ذكره من أمه فجرت دموعه من شدة الغضب وطار من عينيه الشرر وجذب سيفه من غمده ثم عزم على قتل أمه فقالت اصبر ياولدى واسمع حديثى وأنا أحكى لك حكايتى ولا تقتلنى تندم ويفوتك الشرف الاعم إن لم تسمع منى ما أقول لها مازن أخبرينى عن قصتك وقصتى وكيف قطعت من أبى نسبى قال الراوى ياسادة ياكرام فقالت العجوز أعلم ياولدى أن أهلى لما زوجونى من هذا الشيخ وفى الليلة التى أرادوا أن يزفونى عليه أخرجتنى أمى فى منتصف الليل إلى الغدير أن تغسل شعرى وإذا بفارس قد أقبل من ومنظ البرية وورد الماء ثم قال لفرسه أشربى ياجزوة ثم نزل عنها ونحن نسمع ذلك الكلام وكنت أنا برونق الصبا وجبينى يشرق بالضياء فطلبنى وقد سل حسامه وصاح على أمى فهربت بالظلام من شدة الفزع وبقيت مكانى أبكى من الخوف والجزع فدنا منى وأزال بكارتى ولما قضى شغله قام عنى وطلب فرسه وإذا بامى عادت اليه وقالت له والله عليك ياوجه العرب تخبرنى أنت من أى الناس تكون حتى أعرف حال أبنتى وأسيرها جهدى وطاقتى لأنى اخاف أن تكون علقت منك وتكون عبد فأبى الولد

أسود وتنفضخ عند كل أحد فقال لها لا تفزعى من أحد من العباد فانا شداد بن قراد فارس عبس يوم الجلاد ونسبي متعال بين عبس وعدنان وفزارة وذبيان وهذا الذى جرى من الأمر والشأن قال فلما سمع مازن هذا الكلام جرد حسامه ومسكها من ذوائب شعرها وأراد أن ينحرها من أذنها إلى أذنها وإذا بشيبوب قد ظهر من وسط الاعدال وقال له أمسك يدك فقد صدقت أمك واغمد يا بنى سيفك واجعلنى على هذا الطعام ضيفك ثم قعد شيبوب يأكل من الطعام فقال أعوذ برب البشر من شر هذا الذى قد ظهر فقال له أنا عبد أبيك وأخيك وما هو منك قريب وان فرطت فى أمك يحل بك الهوان والتعذيب فقال له أريد أن تخبرنى ايش الذى ملكك هذه الربا وكيف فعلت حتى وصلت إلى هذه الامكنة فقال له ساقنى رب السماء ولابد ما تسير إلى أخيك وتجتمع باهلك وذويك فقال له وكيف وصلت إلى هذا المكان وأنت تدعى إنك من بنى عبس قال فقال اعلم أن ملكنا قيس بن الملك زهير سمع أن لأخيه مالك ولدا فى بلاد اليمن قد ظهر وهو أحسن من الشمس والقمر وهو فى حر عظيم وهو يرعى هو وأمه الغنم ويخضون اللبن فسار فى فرسان الحلة طالبا خلاصة وكان اخى عنتر غائبا عند الملك كسرى ولما عاد وعرف الحال خاف على الملك قيس وبنى عبس فسار خلفهم هو ومقرى الوحش وسلكت أنت بهم فى هذه البرارى والمهاد وقل علينا الماء والزاد وهلكت من تحت صاحبنا الجواد ووصلنا إلى غدير بنى باعث وتركتهم هناك مائتين فارس وسرت أنا الاسرق لمقرى الوحش حصانا فوقعت بكم وجرى لى معكم ماجرى وقد خليت معلق القلب خائفا على بنى عبس من الأعداء وهو ينتظرنى حتى أسير اليه وأحصل بين يديه وانا أعلم أنه يدخل على قلبه فرح ومسرة اعظم من قدومى بك عليه وأنت ولد شداد لأنه رأى مناما كأنه له جناحين وطار بهم فى الفضاء كلما عبر على حلة من الحلل يعاين منه أهلها نزول القضاء فينادوا به يا شداد لا تفعل هذه الفعال وأرحم تساؤنا ففسره على كاهن العرب فقال له هذا أمر وسبب وهو يدل على ولد يكون شجاع يضاهى عنتر فى القراع وكان هذا المنام لأخيه شيبوب الهمام فلما سمع مازن هذا الكلام تعجب ثم قال والله أن هذه القضية لو سمعها مولود لشاب وشاور الشيخ فى المسير وقال ما بقى لى مسير إلا إلى أبى واخى فان كنتم تعولوا معى على المسير اليهم والقدوم عليهم والاخذوا هذا الذى عندكم وعودوا إلى دياركم والاطلال وعيشوا فيها باقى الاعمار فقالت العجوز له يا ولدى أنا ما أقدر أصبر عليك يوم واحد ولا اقدر أفارقك ولا أسير الا معك وأما الشيخ فانه طلب العودة إلى الحلة وشكى العجز والكبر والقلة فاجابه مازن إلى ذلك من غير لجاج ولا عناد

وكان الليل قد أقبل براءات السواد فاقام الى الصباح وجهز إلى الشيخ مع بعض العبيد واعطاه قطعة من النوق يعيش منها ودفع امه فى هودج عالي وامر العبيدان يسوقوا الخيل والنوق والجمال وسار مع شيبوب وهو لا يصدق بذلك الحال ورحل من ذلك البر الاقفر طالبا الوصول إلى عنتر وكان مازن قد قسم على شيبوب أنه لا يسير معه الا راكب حصان فاستحى منه وخاف ان يرقاه بعين النقصان فشد له على ظهر جواد من الخيل والجياد ولبس طاسه زرد ضيقه العدد وتقلد بسيف مهند بعدان ضيق اللثام واعتقل برمح معتدل القوام وسار إلى جانبه وهو يحدثه بما لاقى من عجائبة ويصف له شجيعة اخيه عنتر وما عاين من معاله وما بصى إلى ان تضاحى النهار واوسعوا فى البيداء حتى طلع من ورائهم غبار الاعداء وهو مثل الغمامه السوداء فقال مازن هذا والله غبار اخى القتيل واقول انهم قد تشعونى فجمعوا ارياش الحى ولحقونى واليوم افرجك ياشيبوب على قتالى واخيك تحدث اخاك عند وصولنا الية بفعالى قال الراوى فاتم كلامة حتى ظهر عليهم عشرة فواس اخر من فم المضيق والوادى إلى الصحراو باقى امرها بعد الاستتار والاختفاء فتبينها شيبوب وكان حاد النظر شديدا ينظر الشيء ويحققة من امر بعيد فراى فى اوائلها ذو الخمار ومعه تسعة فوارس اخر غائصين فى الحديد واللباس والدثار وهم دائرون باسيرين مشدين على جوادين فحقق اليهم بالنظر فراى احدهم مقرى الوحش والثانى اخاه عنتر فلما لمح ذلك عنده انقطع ظهره وحار فى امره وقال لمازن اثبت مكانك ولا تحرك ساكن فهذا اخوك ما يخطر مثله على قلب بشر فصعب على مازن هذا الأمر وسكر بلاخر فقال شيبوب ماادرى الا ان الدهر يتقلب باهله اى منقلب على ان الفارس الذى ظفر بهم يقال له ذو الخمار فارس بنى خمير الجبار الذى ذكرة شاع فى الاقطار والابطال تحسبة بسبعة آلاف من العساكر فى يوم القتال وهذا الحديث ماعند احد فيه خلاف وقد جرى واقول انه لا حقنى بل حقد عليه ودبر فى المرة بالاحتيال واخذ من غير حرب ولا قتال مع انه ما فارقة حتى اصلح بينهم الملك النعمان واكد الصلح بالاقسام والايمان وانا اعلم ان ذو الخمار قد غدر وخان وقد ساعدتة صروف الزمان ونحن قد وقعنا بين هاتين الطائفتين وقد ساقتهم الينا المقادير وما فى هلاكنا شك ان لم تحسن التدبير وتقبل انت منى ما به عليك أشير لانى لمثل هذه الاحوال خبير ولمعرفة الخلاص منها بصير فقال مازن أنا ما عندى رأى الا القتال والطعن فى صدور الرجال فقل أنت ما عندك من الرأى والمقال حتى يتبين الصحيح من المحال فعندها اشار الية شيبوب بشورة فيها يكون الفريقين

افلاك الأكبر ولكن ما تذكرها حتى نشرع فى سبب أمر عنتر وكيف ظفر به سبيع الحارث فارس بنى حمير لأن الحديث إذا لم يترتب قواعده وانسدت على المستمع سبيله ومقاصده وكان السبب فى أسر فارس بنى عبس الاسود حديث يجب أن يؤرخ ويكتب لكن ما أذكره حتى أسمع الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ورضى الله عن أصحابه ما دار نفس وتردد قال الراوى لأن سبيع بن الحارث لما بارزه عنتر قدام كسرى وجرى ما جرى وقد ذكرنا أن عنتر وهن اضلاعه ولكن ما ردعه ولا رجع عنه بل لج فى قتاله حتى ضربه بالسيف حتى وقع واغتم دريد بن الصمة ورجع وعاد أصلح الملك النعمان بينهم وأكد بينهما العهود أنه لا يضمر له سواء ولا يكون له عدوا وسار ذو الخمار مع دريد إلى الديار وحلف أنه لا يتخلى عن عنتر وحار كيف يفعل وقال فى نفسه ما أرجع حتى اخاطر برأسى مع هذا العبد الأسود وأسير إلى مكة واستنجد بالرب العظيم وأسأله ان كان قضى له على يدى اجل والا فأ له حيلة حتى القاه على عماه ولم أقدر أغالب رب الأرض والسماء ثم زاد به القلق والهيام فسار الى بيت الله الحرام وأقام ثلاثة أيام يهجر أكل الطعام وينوى الصيام قدام الالهة والأصنام ويبكى قدام الهبل اذا جن الظلام ويسأله النصر على عدوه عنتر الهمام ولم يزل كذلك حتى نشفت رأسه من عدم الاكل وترك المنام ولما كان فى الليلة الرابعة نام الى وقت السحر فرأى فى منامه كأن الصنم الكبير المسمى بالهبل يقول له بكلام مرسل ابشر ببلوغ الامال فان عنتر دنا عطبه وساء منقلبه وقد استحق منا العقاب واستوجب العذاب لأجل اشتغاله فى كل عام وفى هذه يفنى عمره وينقطع أجله وترى بعينك الساعة ولكن لا تضربه بسيف ولا تقربه بحديد فان فعلت ذلك ما تنال منه ما تريد لأن أجله قد حكمنا فيه ببئر حضر موت فاحمله وارمه هناك على أم رأسه فى جب برهوت حتى يذوق العذاب ويموت قال الراوى وهذا البئر معروف إلى يومنا هذا وفيه تعذب كل أرواح الكافرين والعصاة المخالفين فلاجل ذلك قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أن خير بئر فى الارض زمزم وشر بئر حضر موت وقد ذكر الأصمعى إنه سأله صحيح لأن ما فى يوم ويأتى من ذلك الموضع الرائحة المنتنة المرة والمرتين والثلاث فنعلم أنه قد مات بعض الكافرين والعصاة المتمردين وان تلك الرائحة عذابهم ويقال أن هذا البئر اذا قاربه الانسان يسمع فيه ضجيج مثل أصوات الحجيج وهو ضجيج كفار وأصحاب النار يقال أن المرأة اذا كانت حاملا شمت رمت الجنين ليلا كان أو نهار وقد أخبر

رسول الله ﷺ أن أرواح الشهداء يكونون في حواصل طيور خضر في الجنة وقال الله تبارك وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا كان يوم القيامة يرسل الله مطر من مق السماء فتنبت الاجساد وتقوم إلى بارئها وأهل الكفار وأهل النار فانها تكون في بئر حضرموت المسمى بهموت (قال الراوى) ورجعنا إلى حديثنا الأول بعد الصلاة على محمد المفضل إلا أن سبيع بن الحارث لما رأى هذه الرؤيا وسمع من الهبل ذلك الكلام انتبه وقد خف ما به من حمل الجوى والغرام وعاد طالبا بني عمه عند الصباح والدنيا ما تسعه من شدة الأفراح وكان له تسع رجال قدماء وأصحاب وكلهم أقارب وأنساب ويعتمد عليهم في الشدة والرخاء ويطلعهم على أحواله في البأس والشقاء وكان فيهم إلا من دخل على قلبه من فعال عنتر بذو الخمار قدام الملك كسرى ما لا جرى على قلب أحد والسار إلى مكة ما علم أحدا منهم أين مضى بل قال بعضهم لبعض من عداوة عنتر أن ذو الخمار مثل السكران المختبل ما يدرى ما يعمل وما خوفنا إلا انه عاد يطلب من ذلك العبد ثارة ويلج معه إلى أن يقتله ويقلع آثاره وما زال على مثل ذلك حتى عاد من مكة وجمعهم اليه وحدثهم بما فعل لاو ما سمع في المنام من الهبل خفت كروبهم وطابت قلوبهم قالوا ما بقى بعد هذا المنام كلام ولا بقى بعدو عدا الأرباب والأصنام خطاب فقال ذو الخمار يا بني عمي ما بقينا من اليوم نترك العيون وامار صاد على عنتر بن شداد وننظر حتى يحضر من بلاد العراق ويجد في طلبة لعل في هذه النوبة نعطيه فقالوا إيش الحاجة إلى ذلك فان لك بأسوقه إليك بلا تعب ويلقيه في يدك من غير نصب من حيث لا تحتسب وقد سمعنا في هذين اليومين في طلبه وتقول عنتر إن سمع بذلك يسير من أرض العراق ويطلبه والصواب أن تقتنه وخلف الجميع ونعود ونجعل الانتظار الوعد فيما بعد فقال سبيع هذا هو الصواب والرأى الذى لا يعاب اتخذوا يا بني عمي للمسير ولا يعلم بنا لا كبير ولا صغير حتى لا يعلم دريد بالخبر فيعتب على في ذلك اليوم الثالث وأظهروا لأهلهم أنهم سائرون يطلبون المعاش والمكسب في بعض أحياء العرب وساروا على غير طريق طالبين آثار بني عبس فوقعوا في أرض بني باعث وسلكوا الطريق التى سلكها عنتر وشيبوب دليله فقاسوا من العطش ما غيب عقولهم وأيسوا من إدراك كل ما حولهم وابصروا المناهل والغدران بين ايديهم ناشفة فطلبوا غدير بني باعث لأن دليلهم ساروا وأثار عليهم بذلك وقال لهم إن وجدنا ذلك المنهل مثل هذه المناهل ودعنا الحياه ومتنا فجأة كما مات غيرنا من فرسان القبائل في الفلاه وكان فيهم رجل

يقال له ملاعب بن وائل فقال لهم يا بنى عمى ما أخوفنى أن يكون المنام الذى رآه ذو الخار باطل وسبب لنا فى هذه المصايب والنوازل لأن الهلاك له علائم ودلائل فقال الدليل ويلك يا ملاعب ويكون الهبل الاكبر اختلف فى الكلام وهو أكبر الآلهة والاصنام فقال ملاعب نعم لان الشيخ كل ما كبر يقل عقله والهبل قد كبر وكثر كلامه وكذب سبيع فى منامه فقال الدليل اسكت ياشيطان ولا تقول الهبل كثير الكلام وتشك فى الآلهة والأصنام التى تقربنا إلى الله زلفى فنموت كلنا عطشا وكل واحد من المنافقين يهلك جماعة من المحققين ثم جدوا فى المسير حتى قاربوا الغدير وكان يوم شديد الحر والهجير وكانت خيلهم قد أشرفت على التلف إلا أنهم ما قاربوا من الغدير حتى اعترضهم الابجر جواده عنتر وصهل وطلبهم لانه كان قد تعود من صاحبه إذا رأى الخيل يقصدها فعرفه ذو الخار ولما قاربهم صاح بالتهليل الاعلى وقال وحق اللات والعزى صح المنام وتفسرت الاحلام وهذا جواد عنتر وأنا أقول انه عند الغدير إما عليل وإما نائم وإما قتيل وهو وحيد فى هذا النفر والبيد ولو أنه فى جماعة من الفرسان كانت خيلهم حولهم فى هذا المكان بنى عمى هنونى بهذا اليوم السعيد الذى بلغت كل ما أريد فيه قال الراوى وكان الحساب الذى حسبه ذو الخار لعنتر صحيح كأنه نقش فى حجر لانه فى تلك الساعة كان نائما لا يعلم من غاب ولا حضر لان شيبوب لما سار من عندهم يطلب جواد مقرى الوحش وخلاهم على الغدير أقاموا حتى أظلم الظلام وما فيهم من نام خوفا من الوحش والهوام ولما أصبح الصباح جدوا فى المسير حتى طلعت الشمس وعلت وتوهج البر والقفار فعادوا إلى الغدير وقد قوى الحر والهجير وأزعجهم البراقلة السالك فيه والوحش يمرح ويلعب والغزلان ترعى وتسرح فسار عنتر يقول أنا والله ما تفاءلت بهذه الغربان التى باكرتنا بالصياح والنعيق والنوح وإنى أخاف أن سفرتنا غير محمودة ونبتلى بمكيدة فى طريقنا تكون منصرة به ثم أنهم أعطوا ظهورهم إلى حرارة الشمس واستقبلوا هواء الماء وانبطحوا على وجوههم وأخذوا فى الحديث والشكر فقال مقرى الوحش لعنتر لاعدمتك من دون الاخلة والاصدقاء وزل عنهم الهم والاشتكاء لان الدهر بالاحياء طبعه الانتقال وغيره الاحوال لانه يأتى بالقضاء والقدر ويحدث بعد الصفا كدر ثم أخذوا فى حديث شيبوب وإبطائه وحديث بنى عبس ودخلوا إلى اليمن وتمموا بالحديث حتى وقع بهم الشبات كما يشاء رب السموات وغرقوا فى النوم لما يريده رب السماء وغابوا عن الدنيا ولما وصل ذو الخار هو وأصحابه إلى الغدير وجدوا الطعام قد راح والصيد قد وقع بلا تعب ولا شرك ولا حبائل فتبادرت تلك العشرة فرسان مثل

عفاريت الفلا فوقعوا على فارسين غائبين عن الدنيا وكان سبيع قد أخذ معه أربع فرسان ورمى روحه على عنتر وأراد أن يدير كتافه ومانع عن نفسه حتى شدت بقية رجال مقرى الوحش وعادوا وقد عاونوا ذو الخمار على عنتر الكرار وما زالوا به وهو مرمى على الأرض حتى شدوه كتاف قال وهذه أسباب من جملة أحكام الله عز وجل ليس للعبد منها مفر ولا مدفع ولا يقدر العبد يرد طائرها إذا انقض أو وقع لأن الله سبحانه وتعالى أوقع مثل هذا البطل القسور فى الأسر والضر حتى يعلم أن الشجاعه لا تنفع عند نزول المشية والقدر إلا أن عنتر لما أفاق على نفسه وعلم أن ذو الخمار ظفر به اشتد به الجزع وقال ويلك يا سبيع يا قرنان نسيت العهود والأيمان التى أوثقتها بيننا بحلاة الملك كسرى والنعمان فقال ذو الخمار ويلك يا ولد الزنا وتربية الأمه الخنا وأنت لك عهود تحسب عند أرباب الحسب والنسب وفرسان العرب على أنى ما فعلت ذلك بمشيئتى وإنما فعلته بأمر الأرباب والأصنام الذين على البيت الحرام ولولا الهبل الأعلى ما قدرت القاك فى هذا الفلا لأنه أمرنى أن أسيرك إلى أرض حضر موت وأرميك على راسك فى برهوت حتى تذوق ما ذاقت الجبابرة الأولون ثم



باتوا فى ذلك المكان بقية ليلتهم وقد شدوا عنتر على جواده الأبجر وشدوا مقرى الوحش على بعض الخيل المجنونه معهم وساروا يقطعون البيداء وذو الخمار لا يسعه الدنيا وذلك من شدة فرحه بوقوعة بعنتر لأنه بعده يبقى فارس الزمان وكان قد عول بعد هلاك عنتر يعود إلى الكة ويعلق بعض اشعاره على البيت الحرام ويأمر العرب ان تصل لها فى كل عام ولا يزال فى خدمة الهبل حتى يدركه الحمام قال الراوى ولما تضاحى النهار التقى بهم شيبوب

ومازن وجرى من القصة ماجرى وقد طلع من خلفهم غبار الأعداء ولما استشاروا فى أمر الخلاص من الطائفتين قال شيبوب لمازن الصواب أن تقف فى مكانك وتقول لأمك تنزل من الهودج وتكشف رأسها وتقف بين يديك حتى أتقدم أنا إلى ذوالخمار وأصحابه وأكلمهم بكلام قد خطر ببالى وأدعهم يحملون على هذه الخيل التى قد طلعت من ورائنا وتتسبب فى هلاك هذين الطائفتين وتخلص أخانا فقال مازن لما رأى القضية مشكلة افعل ماتحب وتختار ثم أنه أمر أمه فنزلت من الهودج مثل ماأمر شيبوب وأطلق شيبوب عنان جواده وقد طبق لثامه وطلب ذوالخمار ولما قاربه رفع صوته شيبوب بالصياح وصار يقول ياوجوه العرب هل فيكم رجل غيور ومعهود على كشف الشدائد ودفع الأوابد يعيننا على ما بلينا من الذل والهوان ويربح المدح والثناء لأن معنا حرمه قد قتلت رجالها ونهبت أموالها وأشرفت على هلاكها وهى كانت سائرة إلى بيت الله الحرام تطلب الزيارة إلى الآلهة والأصنام فاغتنموا ثوابنا يابنى الكرام ومازال كذلك حتى وقف ذوالخمار وقال لمن معه من الفرسان اسألوه عن حاله وعن قصته وعن عربه وعشيرته فقال شيبوب يافتى نحن بنى الريان سرنا من أرضنا فى عشرين فارسا أعيان ومعنا هذه الحرمة التى ترونها مهتوكة قدام الهودج وهى تدعو إلى ربها وتطلب لأنها من نساء أمراء الحى والقبيلة التى نحن منها ولها نعمة كثيرة وهى امرأة دينة تشبع الضيفان وتكسى العريان وهى فى هذه الأيام طلبت الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة الآلهة والأصنام وأخذت معها أموال كثيرة كانت قد جمعتها نذور الهبل ومن جملتها طوق من الذهب الأحمر عليه صورة اللات والعزى مصور وأخذتنا معها نسير بها ونحفظها فنزلنا فى مياه بنى صالح وطلبنا الراحة فعلموا بنا أندالها وعلموا أن معنا أموالا سائبة فركب إلينا منهم مائة فارس وداروا بنا وأرادوا أخذ مامعنا فقاتلناهم وبذلنا معهم المجهود إلى الليل ودفعناهم عنا بعد ماقتلوا العشرين فارسا وصاروا يتلاحقوا بنا فى الليل ويحفظوا ما معنا من النياق والخيل ونحن ندافعهم ونسير إلى أن أصبح الله بالصباح وقد بقى خمس فرسان تركناهم فى قتالهم الآن وه.. نا نحن نؤمل النجاة بهذه المرأة فلقينا كم أدركونا يابنى الكرام ونقول إن باقى أصحابنا هلكوا وحلونا وهربوا ولابقى لنا من يحمينا إلا أنتم يابنى الأعمام فان فعلتم ذلك دعونا لكم عند زمزم والمقام وإلا أسلمنا أرواحنا إلى هؤلاء اللئام ثم أعطيناهم مال الأرباب والأصنام وعذرناكم عند تقصيركم فى هذه الأمور العظام لأنكم عشر فوارس وأعداءنا مائة فارس همام قال الراوى فلما سمع ذوالخمار وأصحابه كلام شيبوب رق له

قلبه من داخل الجنوب وقال له أبشر يا غلام بالنصر وأخذ الثار وأبصر ما يحل بأعداك بعد ساعة من البوار لأن معنا فارس واحد يلتى كل من فى هذه الديار وهو ذو الخمار إن كنت قد سمعت بخبره من السفار فقال والله ما أنا إلا قد سمعت به وبكرمه ووصف لى شجاعته وفروسيته وكرمه ونسبه فحياه الله وحيا عربه وأعانه على من عاداه وحاربه فعندها رجع الفارس إلى ذو الخمار وأعلمه بتلك الأخبار فأرغى وأزبد وأبرق وأرعد وقال أكون أنا نائب الهبل وينهب له ماله ولولاة فى هذه الكوة ما بلغت الآمال ثم أنه أطلق العنان وقوم سنان وهو يقول صباح ما أو شمه على هؤلاء الأنذال ولا تركن دماهم تجرك فى السهل والجبل ولآخذن أسلابهم وأنفذها مع هؤلاء القوم هدية إلى الهبل هذا وقد تجارت خلفه الفرسان وتبعه من أصحابه خمس رجال وقد بقى عند عنتر ومقرى الوحش أربعة رجال وقالوا لشيبوب ارجع أنت يا فتى إلى أصحابك الذين قد تبقى منهم وقل لهم ردوا المرأة إلى هودجها وبعد ساعة ترى أموال أعدائها تصير قدام جملها فعندها عاد شيبوب إلى مازن وقال ها قد انشغل أعدانا ببعضهم بعضا وقد بقى عند أخيك أربع رجال فدونك وإياهم فالذى كنت أخاف عليك منه والذى عليه المعتمد قد أخذ رفاقة وأبعد فعند ذلك ركض مازن حتى قارب جماعة ذو الخمار وزعق فيهم وطعن أحدهم فى قلبه والثانى كبكبة هذا وشيبوب على أثره يقول لا لا يا ابن العم لا تفعل فإن هؤلاء من أعدانا هؤلاء الذين فرجوا عنا كربنا وبلانا ثم أنه دنا إلى الآخر وهم يظنون أنه يحميهم من مازن لما آمنوا معه وعولوا على كلامه حتى قربوا منه وطعن أحدهم بالرمح الذى كان معه أصرعه وأبصر الآخر فعله فحار فى قصتهم وحلف أنهم يلحقوه برفقته فهرب طالباً ثار ذو الخمار واشتد فى الهرب واشتغلوا عنه بحل عنتر ومقرى الوحش وكان قد أشكل عليه أمر شيبوب وما عرفه لما أبصر فارسا معه بل سأل فيه حتى اطلق عنتر وحله وسأله عن سبب وقوعه فى أسر ذو الخمار فأخبره بما جرى عليهما على الغدير فقال له عنتر وأنا والله والله قد فرحت لك بالفروسية والكوب الخيل ويلك متى جرت لك بهذه عادة يا ابن الملعونة فقال شيبوب أما أنا فقد صرت فارسا وقد خلصتم من هذا الاسى والمصاب ولولا ما التقتكم والله أعلم كان يصير عليكم العذاب والان تقدر تخلص نفسك من الاسر اذا وقعت فأخبرنا من يقال له من العرب حتى نكافئه يوما من الدهر فقال له يا ابن الأم هذا يقال له مازن بن شداد بن قراد وما أخبرك بما جرى له وحدثه حتى عرفه فاستراح قلب عنتر شرح خاطره ومات جراح عنتر إلى مازن فدنا منه واعتنقه وقبله وعظمه وبجله وما زالوا

متعانقين حتى كادت أرواحهم تذهب من الجسد من حلاوة الفرح والمعرفة والنسب وتعجب مقرى الوحش من هذه القصة كل العجب وقال والله هذا الحديث ماجرى مثله فى العجم ولا فى العرب ثم دنا مقرى الوحش من مازن وضمه إلى صدره وقبله فى عارضه ونحره وقال يا فرحة أبيك شداد عند عودتنا إلى الحى والبلاد وقال الراوى ياسادة هذا ماجرى . وقلب عنتر إلى ذوالخار حائر لأجل مافعل فى حقه لأنه أشرف على الهلاك من حنقه وقال لأخيه شيبوب ترجل وقف قدام والدة أخى أم مازن ولاعبها وسلم عليها ملء قلبى ولم أصدق العبد والمال الذى معها حتى أتبع أنا هذا القرنان الذى قد غدرنى بعد الأيام وأشفى قلبى منه ثم ركض بالأبجر على أثر ذوالخار وكان مقرى الوحش قد اعتدوركب الجواد الذى كان تحت شيبوب وكذلك فعل مازن وركض إلى جانب أخيه عنتر والدنيا لا تسعه من شدة فرحه به (قال الراوى) ياسادة هذا ماجرى لهؤلاء وأما ذو الخار فإنه كان قد استقل الخيل واخترق الغبار فرآهم ثمانين فارسا مع أخى القتيل الذى قدمنا ذكره فصاح بهم يا لى أولاد الزنا ثم حمل عليهم حملة الأسد وطعن فيهم طعن جبار وهذه ثمانون إيش تعمل قدام ذوالخار قد أسهم بجواده دوس وأنزل بهم الذل والبؤس وكان لهم معه وقت منحوس زعقت منهم فيه النفوس وقتل أخا المقتول وهلك كل من معه من كل بطل مهول ولا نجا إلا من طلب الهروب وخاف على نفسه من العطب وعاد ذوالخار يلم خيل القتلى وإذا بالفارس الذى نجا من مازن أقبل عليه وهو يصيح ياويلكم يا بنى عمى خلوا اشغال واجمعوا الخيل واطلبوا لأنفسكم النجاة لأن عنتر قد تخلص من الكتاف وهو الساعة يطلبنا ويقلع منا الآثار فلما سمع منه ذوالخار هذا المقال سأل الفارس وقال كيف كان خلاص عنتر ومن الذى فكه من الوثاق فقال له إن الفارس الذى قد أتى إلينا وذكر أنه مظلوم حمل على أصحابنا هو ورفيقه الآخر وقتل الثلاث فرسان الذين كانوا معى ونجوت أنا بنفسى ولولا اشتغالهم بخلاص عنتر ومقرى الوحش ما كنت نجوت منهم بل كانوا لحقونى وها هو عنتر قادم عليك اطلبوا لنا النجاة بغير مطل ودعونا من التطويل فى المقال هنالك ارتعدت فرائص ذوالخار وزاد وجده وحل به الانبهار فقال له الدليل ياسبيع وحق من أوثق الشجر بالثمرات الرجل الذى أتى إلينا واستجار بنا وقال إننا سائرون إلى الجبل فهو شيبوب أخو عنتر لأنى عرفت مقاله وخداعه فقال ذوالخار مليح كل قولك صحيح مافيه مجال فهذه الناقة والهودج والمرأة المكشوفة الرأس والوجه من أين كانت ومن أين أحضروها حتى تمت هذه الحيلة علينا فقال الدليل ما أدرى وربما

اتفق لهم الطريق هنا وظفر بهم مثل ماظفروا بنا وأراد أن يسوقهم إلى أخيه عنتر حتى يأخذهم معه ويتقوى بهم على السفر فاترك كثرة الكلام واتبع فى هذة الساعة البرارى والآكام حتى أمضى بكم على غير طريق والا عدمنا السعادة والتوفيق فقال لهم ذو الخار وحق اللات والعزى والهبل الأعلى ماأرجع حتى ألقى عنتر وأرده إلى ما كان فيه من الآلام لان الهبل قدأوعدنى به فى المنام وأناماأشك فى مقاله الاصنام وربما أطلق عدوى من يدى حتى يختبرنى ويبصر جلدى فقال الدليل أقبل منى واتبعنى واترك الطمع ولا أبصرت طعنا لو أبصره الهبل لمال عن البيت ووقع وإن كنت ماتفعل فأنا أنجو بنفسى ثم أنه أطلق عنان جواد وطلب البر الاقفر وأطلق أعنة خيلها الخمسة فوارس خلفه وبقى ذو الخار وحيدا فريدا فى تلك القفر والبيد فاستوحش وخاف أن يدركه عنتر ويتركه طريح معفر ومن شدة ما جرى عليه من الغيظ والغضب شتم الهبل الأعلى وهرب وكذب المنام الذى رأى فيه لعنتر العطب واتبع رفقائه فى الصحراء وهو متعب عارأى إلا أنهم ماأبعدوا فى القيمان وغابوا عن الأعيان حتى وصل عنتر ومقرى الوحش وسار فى الاثر وأبصروا مكان المعمعة فعلموا بجلية الخبر وعلموا أن ذو الخار وأصحابه هربوا فى البر الاقفر من شدة الخوف والفزع فقال عنتر لولا خوفى على ملك قيس وبنى عبس من عرب اليمن وتلك الديار ما كنت إلا اتبعت آثارهم ولو غاصوا فى البحار ولكن شغلنا فى هذا الوقت أهم من غيره ثم جمعوا ماقدروا عليه من العدد والزرد والخيل وعادوا إلى الراحة قال عنتر لاخيه شيبوب هذه الاسلاب والنوق والجمال مالها إلا أنت تسير بالجمع إلى الاوطان وأم أخى مازن توصلها إلى مكان تعرف أنه أمان وتعود تلحقنا فإننا بعد فواتك مانسير إلا السير الرفق قصدنا بذلك أن تلحقنا أول من يأتى لنا تعوقنا لاننا داخلون فى بلاد واسعة ومضيق فوما صديق ولا رفيق فقال شيبوب افعل ماتريد وسيرا كيف شئتم وأنا أصل أم مازن إلى أرض بنى زبيان وأترك عبيدهم يوصلوها إلى ديار بنى عبس وعدنان وأرجع ألحقكم قبل أن تشيع أخبار بنى عبس ولى يلتقم إلى مطلع الشمس ثم أكل معهم شيئا من الزاد وقام إلى أم مازن فأركبها على بعض الخيول الجياد وقال لعبيده سوقوا أنتم على أثرى النياق واضربوها على أجنابها بالعصى والحقونى ولا أحد منكم يحدث نفسه بالراحة ولا يشكونى من سفر ولاضجر فاشق جونه بهذا الخنجر قال الراوى وسار بهم شيبوب فى البر الاقفر على طريق وطلب طريقا يعرفها خيلنا ولنستريح لاجل أن نتقوى عداتنا بالحرب عند تصرم الرجال لكن يا سلال أريد أن

تخبرنى عن القوم التى أقمت عندهم فكم يكون عددهم إذا ظهروا من الخيام فقال السلال
يا ملك إن القوم يزيدون خمسه آلاف قال الراوى فعند ذلك أراحوا خيلهم ورحلوا
عند الصباح وما زالوا سائرين حتى قارب نصف النهار فنظر واعشرة فوارس على تل عالى
وتلك العشرة فوارس لما أبصروا غبار بنى عبس عادوا على أعقابهم فقال الملك قيس إن
فاتنى حذرى أن هذه الخيل طلائع الاعداء فقال السلال خذوا أهبتكم عند المساء
تشرفون عليهم (قال الراوى) وكانت العشرة فوارس الذين رأوها طليعة القوم والسبب
فى ذلك حديث عجيب وهو أن أم مجيد التى أنفذت السلال إلى بنى عبس كانت فى بعض
الأيام قعدت فى المراعى وأخذت ولدها وسارت تحك له رأسه وجسده وتفلى شعر رأسه
حتى نام وقد نامت بجانبة حتى أمسى المساء من شدة التعب فخرجت لها مولاتها فرأتها
نائمة حتى نام وقد نامت بجانبه حتى أمسى المساء من شدة التعب فخرجت لها مولاتها فرأتها
نائمة على تلك الحالة وكانت ضيقة الخلق متكبرة من دون النساء ومن شدة تجبرها شالت
العصا من جنب أم مجيد وضربتها على أم رأسها فبطحتها وسالت الدماء وقالت لها يا لخنا
أنا قلت لك خضى اللبن وأخرجى الزبد فنمت وتهاونت فى مقالى ثم شتمتها ودخلت إلى
بيتها فأخذت أم مجيد فى البكاء والتعديد وكذلك ولدها يبكى لبكاها ونادى وصار يقول
مثل ما تقول اليتامى والغرباء إذا نالهم الذل والحزن والشقاء من الأعداء ولما أبصرته أمه
ينادى يا الويل والحرب نشفت دماءها من شدة الكرب فآلمها قلبها واحرق احشاءها
فكتمت امه لأجل ما رأت منه واظهرت الصبر والجلد وسارت سريعاً تمسح دموعه وتقبله
بين عينيه وتقول له اصبر يا ولدى على البلاء والتعذيب فان شرحنا إن شاء الله يكون قريب
وعما قليل ترى اعمامك وقومك فى هذه الديار مثل العقبان يخلصوك من هذا الشقاء
ويأخذوا لك بالثار من الأعداء (قال الراوى) فسمعتها مولاتها وهو تقول هذا الكلام
فاستعاذت منها وانكرته وصبرت حتى جاء زوجها وكان يقال له صابر بن جفال فأعادت
عليه ما سمعت من ام مجيد وحدثته بما جرى لها وانها قد انفذت إلى اهلها ثم تينا بقول لى
انا موَلده من ارض الحجاز وولدى من رجل زوجنى به واعرفه وهذا محال ولابد لى
الليلة من كشف احوالها حتى اعرف معنى اقوالها وملك قولى لى من اين لك هذا الفرج
الذى ذكرتيه لولدك من ابن يأتيك ومن اى وجه تنتظرى به عرفينى جلية الحال وإلا
وحق من اطلع البدر وأنار الهلال ذبحت ولدك بين يديك وكويتك بالنار بين عينيك ثم
انه جذب ولدها من شعره وهدده وقد اعماه من سعده ووضعه على نحره فبكت ودقت على
صدرها وحارت فى امرها وخافت على ولدها من ذلك وكثر خوفها من البيه لأنهم إذا

باعها مولاها يضيع تعب بنى عبس التى انفذت خلفهم ويطول البعد بينها وبينهم وتيأس من اجتماع شملهم بهم فلما نظرت ذلك فى نفسها خافت على ولدها فقالت لمولاها أعطنى الذمام على حتى أحدثك بقصتى وأن كان لابدلى من قتلى وقتل ولدى فاقتلنى قبله فحلف لها على ماأرادت وقال لها وحق من كل شيء تحت حكمه لو ان أباهذا الولد قتل ولدى أو أبى ماسفكت له دما وعفوت عنه فعند ذلك حدثته وقالت له يامولاى ان هذا الغلام من عبس الكرام وأن عمه الملك قيس بن الملك زهير وأخبرته كيف كانت قتلة ابيه وكيف كان سبب هروبها الى هذه البلاد وكيف انفذت السلال إلى بنى عبس حتى ياتوا يخلصوها فتعجب منها ومن صبرها وكتمان سرها هذه المدة كلها وقال ولها ويلك لما دخلت بنو عبس إلى هذه البلاد فى النوبة الأولى ما كنتى تسببت فى خلاصك فقالت يامولاى ماوجدت من انفذه اليهم وهم أيضا من سوء حظى لم خطروا إلى هذه الارض فقال صدقت ثم أنه قام من عندها وسار حتى دخل على مقدم الحى وكان يقال له طلايع مقدم القبيلة وهم من طايفه بنى كلب بن وبرة ملكهم يقال له حسان بن الملك مسعود بن مصاد الذى قتله عنتر بن الشداد وكان طلايع مقدم هذه القبيلة والمشار اليه ولما أن سيد الجارية صابر بن جفال أعلمه بما سمع من أم مجيد اشتغل قلبه وانشغل على قومه وقال له ياصابر أن أتت بنو عبس إلى بلادنا فما يعودوا منها الا بالاموال والنعم وأنا أعلم أنهم ما ياتونا الا فى خلق كثير والصواب أننا ننفذ خلف بنى عمنا ونخبرهم بهذا الحال لعلهم يظفرون منهم بالثار ويقلعوا منهم الآثار ولكن احفظ أنت هذه الشيطانة فاذا وصل اليها قومها ترمى لهم رأسها ورأس ولدها وان كان قولها صحيحا نرسلهم إلى الملك حسان قال الراوى ياسادة وكان هذا حسان بن مسعود الذى قتل عنترا أباه لما شق عيلة وجرى له ماجرى وكان بعد قتل ابيه تولى أبنه حسان هذا وملك الأرض مكانه وقوى سلطانه وكثرت جنوده وأعوانه ولكنه لم يكن ينام الليل والنهار عن أخذ الثأر ويقول كل من أتانى بعبسى أعطيته مائة دينار وكان يرسل الى فرسان القبايل ويقول كل من أتاه بعبد من عبيدهم يعطيه عشرين بعيرا لأنى نذرت على نفسى شرب دماهم وأكل أكبادهم وجعلت نصف ماأملك من الفضة والذهب لفقراء العرب إن جمع الزمان بينى وبينهم فى هذه البلاد وطلايع بن الصباح لما سمع من أم مجيد هذا الكلام كتب كتابا إلى الملك حسان بن مسعود يقول له يامالك أمالى إلى عندنا تعاوننا على أخذ الثأر من بنى عبس الاشرار ويوم وصولك الى عندنا نستقبلك بولد وأمه عندنا من أولاد ملوكهم وساداتهم تفعل بهم ما تريد ثم بعد

فلك أرسل إلى بنى الأشجع وإلى بنى الحكم وإلى بنى حذيفة وربط لهم الطرقات ثم أقام مايكون من الأمور المقضيات قال الراوى ياسادة وأماسيد الجارية فانه لما رجع من عند طلائع كنف مجيدا وأمه وربطهم وبقى منتظر الأمور والعجايب وأيقنت أم مجيد بالهلاك من كل جانب وصارت تبكى على ما حل بها من المصائب فى ضياء النهار وكان فى الحلة فارس مذكور وبكل مشهور يقال له بدر بن شكر وكان فى قلبه من أم مجيد محبه إصلاح لامحبة نكاح بل كان يتعجب من غضاضة طرفها وانفرادها عن العبيد وحدها ويقول والله إن بيتا تكون فيه ما يخرب لأنها كملت من الجمال والصبر والأدب والله لو أنها من بنات العرب لكنت بذلت لها كل ما أملك من خيل وجمال وذهب وكنت تزوجت بها وأقضى منها وطر ولكن أخاف أن تقول العرب بدر خلى بنات وتزوج بأمه وإذا رزقت منها بوله يكون مقطوع والنسب ومازال ينهى قلبه عنها حتى جرى لها ماجرى من العذاب والهوان واشتهر مرهاو علم أنها سيدة من سادات عدنان فعند ذلك التهب قلبه بالنيران وزاد به الهوى والهيان وندم غاية الندم كيف أنه ماتزوج بها قبل أن سمع عليها وقد انتقل من محبة المزاح إلى محبة النكاح ومن الهزل إلى الجد ومن شدة ما جرى عليه انفذ اليها يقول اعلمى أنك قد أشرفتى على الهلاك وحق من أدار الافلا قد نحل جسمى فى هواك وكنت معولا على شراك من مولاك ولكن سبقنى فيك القضاء وقد قرع قلبى بالليل بكاك وقد عولت أن أخاطر وأبذو مهجتى فى هواك وأجىء وأحضر إلى عندك فى وقت الظلام وأهجر السكرى والمنام وأسير بك إلى أهاليك وأرغم أنا فى أعاديك ولكن بشرط أن تكونى لى زوجة وصيفة وصاحبة وفية ولا تختارى على أحدا من أهلك إذا اجتمع بهم شملك فلما وصلت الرسالة اليها أجابت أم مجيد بذلك طمعا فى السلامة وقالت متى يكون ذلك حتى أكون له أمة بعد أن يخلص ولدى ويجتمع بأهله وبعده ما أبالى باى جرى على ثم ردت الجواب بهذا الخطاب وأقامت وهى تنتظر الفرج بهذه الأسباب فلما وصلت الأمة بهذا الجواب بردت نيران كبده وعلم أن محبوبته قد حصلت فى يده فصبر أتى الظلام وأمر عبده أن يشد له على ثلاثة خيول جياد ويخرج بهم إلى مكان عينه لهم وكان ذلك العبد قد رباه من صغره وقد ربى معه وأطلعه على سره وهو عنده مثل الأخ ففعل ما أمره به وسار إلى المكان الذى تعين ذكره وصبر بدر بن شكر حتى نام أهل الحى وخمدت النيران وقام يطلب البيت الذى فيه أم مجيد وولدها وكان قد تولع بحبها وجفا أهله ووطنه من أجلها ولما قرب من المضرب

رآه خاليا من العبيد والغلمان لأن سيدها صابرا ما يعرف أن أم مجيد تهرب بعدما قامت عنده حينا من الزمان وما حسب هذا الحساب فدخل بدر إلى الخبا وحلها هى وولدها والذى تعسر عليه قطعة وأخرجها بين يديه ويبشرها بالسلامة ويطيب قلبها حتى وصل الى المحل الذى أمر عبده أن يقيم فيه ولما وصل أركب كل واحد على جواد وقصد أرض الحجاز فلما أصبح طلب صابر أم مجيد فما وجدها فحار فى أمره وقد خاف من مقدم القبيلة لئلا يقول له كيف هربت بعد هذه المدة فاخذ معه أربع رجال وصار يقتفى من أم مجيد الآثار وبعد يومين وصلت بنو عبس وقد حجبت نور الشمس والعشرة فوارس الذين قد ذكرناهم فعادت وأخبرت القوم بقدوم الاعدا فباتت الحلة تموج من سائر جنباتها إلى أن أصبح الله بالصباح فساروا إلى نصف النهار ثم لما أبعدوا عن الخيام أقبلت مواكب النيام ولما التقت العين على العين حملت فرسان الطائفتين وتراموا باليدين وقال الخصم لخصمه إلى أن هذا وبنو عبس قد صاح فيهم الملك قيس وتخاها وفعلت فرسان بنى كلب كذلك وتصادمت الفرسان هذا وبنو عبس على قلتها قد ردت أعداءها إلى الخيام ولما رجعت عند اقبال الظلام قال الملك قيس يا بنى عمى لو كانت حالتنا اختفت كما بلغنا الامام من هؤلاء الانذال هذا وبنو كلب بن وبرة رجعت وهى ما تدرى أين تضع أقدامها من عظم ما لقيت من الحرب بنى عبس وما لها وهى لا تصدق أن تصل إلى خيامها قال الراوى هذا ما كان من هؤلاء وأما طائع بن الصباح فانه لما نزل الخيام وأكل الطعام قال لقومه يا بنى عمى إن لم تلحقنا هذه القبايل التى أرسلنا اليها والا أكلتنا هذه السباع الجياع الى لا تفزع ولا ترتاع وما لنا الا نرسل لهم الجويرة وولدها ثم نرحلهم عنا بسلام فقالوا له يا طائع الجارية هربت هى والولد ومولاها سار خلفها والى الآن لم عاد فلما سمع طائع هذه الاخبار اندهل وحار وأخذه الانبهار وحس أن فؤاده قد انملى مما لحقه من القلق وقال ويلكم كيف هربت هذه الشيطانه وجسرت على هذا الحال وقد عرفت أن بينها وبين قومها أمدا بعيدا فقال رجل يا مولاى . الله ما أدرى كيف هربت بل الحديث الصحيح بدر بن شكرا أخذها وهرب بها وان الجارية لم لها ذنب انما الذنب على ابن عمنا الذى أخذها وهرب بها وأولاد العجوز الذين طلقوا السلاسل من أيدينا وسيروه الى مكان بعدما كان أشرف على الصلب والهوان فقال طائع لما سمع هذا الكلام وحق ذمة العرب لقد صدقتم فهى أهل الفساد تحب أهل الفساد وهذه العجوز قد بلغت من العمر هذا ورزقت هذه

الأولاد وبعد عينها إلى أيام الصبا وأن من رأت فيه شرا وخيانة تصادقه وتصافيه قال وكانت هذه العجوز التى أجارت غادر السلال وأطلقته من الهلاك وكانت طارقة من طوارق الزمان ونائبة من نوائبه لأنها فى الصبا كانت تقاوم الرجال الا أنها لما بلغها من كلام مقدم العشيرة وسمعت ما قال هذا المقال الا من ذله وعجزه عن القتال واذا لم أتجرد أنا لهذه القبيلة وأفرق شملها بالحجال والا أخذونا كلنا سبايا لأنى أعرف ضعف رأى مقدمنا وقلة تدبيره فقال لها بعض أولادها بالله عليك يا أماه فعلى هذا الذى ذكرتيه ان كنت قادرة عليه لعلنا نستريح من الحرب ونكشف عن هذه العشيرة الكرب ولا يبقى لأحد من القبيلة علينا ملام ولا كلام وعسى يقع فى أيدينا السلال بن الشام الذى أطلقناه من الهلاك وسوء الارتباك فقالت العجوز أما السلال فارصده أنت وأختك عند أبيات صابر بن جفال فانكم تجدوه عند الاطلال لأنى أعلم أن لا بد أن يدخل الحى فى طلب الجارية العبسية حتى يطيب قلبها بقدوم أهلها وان قدر على خلاصها خلصها ولم يعلم أنها هربت فقال أولادها يا أماه ان أكثر ظننا أن أهلها وقعوا بها فى الطريق وقد جاءوا الينا فقالت لهم أفعلوا ما قلت وانظروا العجب فعند ذلك تجرد أولادها وكانوا ثلاثة مثل السباع وسلوا السيوف وداروا بأبيات صابر ولا زالوا إلى نصف الليل واذا بغبار السلال قد أقبل من المكان الخالى من الحرس من ناحية الخيل فلما رأوه وعرفوه وقالوا الله والله ما تموت أمنا و يخلف الزمان مثلها ولا أخبر منها بعواقب الدهور ثم أمهلوه حتى صار بين المضارب وتواثبوا عليه وقبضوه وقالوا له يا شيطان هذا جزاؤنا منك بعدما خلصناك من الموت سقت الينا هذه القبيلة وتركت أهلنا يمزقوا جلدنا بالكلام فقال لهم وقد عرف المعنى لكلامهم والله يا وجه العرب ما فعلت ذلك الا لأجل اليمين الذى حلفته للجارية فبلغت خبرها لأهلها وقلت لعل رب السماء يفرج عنها كما فرج عنى بكم وقد دخلت هذه الليلة فى طلبها لأجل خلاصها واذا خلصتها رحلت أهلها عنكم ثم أنه صار يرقق لهم فى الكلام ويطلب منهم الخلاص فما سمعوا منه بل أوصلوه إلى أبياتهم وأمروا عبيدهم بحفظه وأعلموا أمهم بأن حسابها قد أصاب وأن خصمهم قد وقع فى المصاب ثم شاوروها فى أمره فقالت احملوه على طلائع بن الصباح مقدم القبيلة

(تم الجزء الخامس والعشرون ويليه السادس والعشرون)

الجزء السادس العشرون

من سيرة بن شداد

(قال الراوى) وقالوا له خذ هذا الشيطان الذى لمتنا علية وأما أمنا فتقول لك قاتل غداة تدفى أعداك فان بلغت منهم مناك وإلا فامنا تقدر تفرق شملهم فى الليل وتنزل بهم



الذل والويل تقود اليكم ملوكهم أسارى بالمكر والخداع والحيال فلما سمع أولادها كلامها امتثلوا وأقاموا حتى انجلى الظلام وقامت الرجال تطلب الحرب والصدام فجابوا الى طلائع بن الصباح غادر السلال إلى أن يبصروا على شىء ينفصل الحال وبلغوه رسالة أمهم فتعجب من فعالها وقال والله إن فريقا يكون فيه مثل هذه المرأة ما ينكب وكل من يقتدى برأيها يغلب ثم أمر بتقييد غادر السلال حتى يكون الانفصال قال الراوى وكانت بنو عبس قد ركبت عند الصباح وتبادرت للحرب والكفاح وصاح فيها الملك قيس والربيع بن زياد وما فيهم إلا من قال يا بنى عمى انصحوا فى القتال واطلبوا انجاز الحال قبل أن تتسامع بنا قبائل اليمن ويقصدونا من سائر الأقطار والدمن ثم ارجعوا إلى بنى كلب بن وبره واهجموا

على المضارب والأبيات وأخرجوا النساء والبنات ولذ الموت للجميع وطاب وقاتلت عبيد الحلة والنسوان وكان القوم يوم لا يجب فيه عتب ولا لوم لأن بنى عبس قاتلت عشرة آلاف فارس عبيد وأحرار وملأت بالقتلى جنبات البرارى والقفار وعادت عند اقبال الظلام وقد نالت العلا والافتخار ورجعت بنو كلب وهى فى غاية الذل والانكسار واسودت ستور الظلام بالاعتكار وأوقدوا النيران وأخذ طلائع بن الصباح فى لوم رجاله فقالوا له لا تلمنا أيها الأمير فابلينا بامر قليل فان هذه القبيلة لما دخلت فى النوبة الأولى إلى بلاد اليمن قد سمت ماجرى لها مع حذيمه ومع معاوية بن النزال عند عقبه الفاروق وما فعلوا بالملك مسعود بن مصاد على مياه عراعر ونحن ما نلقى فرسانهم الا بالمدافعة إلى حين ، يأتينا من يعيننا عليهم ونغلبهم بكثرة العدد وتزايد المداد إلى أن لا يبقى منا أحد فقال لهم ما قلتم إلا الصواب وكون بالسكم من أسودهم الكذاب فاجابوا إلى ذلك ولما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح نادت الرجال إلى بعضها بعض تطلب الحرب والكفاح وتقاتل الفريقان قتالا شديدا الحنق حتى سال الدم واندفق ورموا بعضهم بعضا بالحدق وبقى الجبان فى قلق وحمل الشجاع وزعق وذهبت منهم الأرواح وزاد الملك قيس اليوم فى الارباح وقتل من بنى كلب كل هما وما فرقهم إلا الظلام فلما استقرت تلك الطوائف أكلوا الطعام فانت العجوز كانها ريح الهبوب إلى عند طائ فقام لها قائما وقال لها ياسيدة العرب أما ترى على ماجرى لبنى عمك فى هذا النهار فقالت طيب قلبك فأنا أتيت اليك حتى أعلمك أنى سائره إليهم وأدبر حيله عليهم ثم أمرته أن يركب معها ماس وتكمن بهم فى موضع يكون قريب من بنى عبس وأما العجوز فانها لبست لباس الرجال بعدما لثمت وجهها وسارت طالبة إلى بنى عبس إلى عند الحرس فصاحوا عليها وقالوا من أنت ياوجه العرب فقالت لا تزيدوا فى قلبى الفزع وأشتهى أن تدلونى على الملك قيس حتى اقص قصتى عليه فلما سمعوا منها ذلك دلوها على الملك قيس فقال الملك قيس ما بالك ياوجه العرب وما حالك فقالت امولاى ارحم من قبض على أولادها وانصدع من شاكم فؤادها ، قد أتيت إليكم وقدمت عليكم أطلب المعاونة على خلاص أولادى فقال الملك قيس ياوجه العرب بين لى هذا السبب واطلعينا عليه وأبشرى بكل خير فقالت يامولاى أعز ن سلال الذى أوصل اليكم خبر أم مجيد وأتى بكم إلى هذه الديار أنا الذى خلصته من الـ .. نقة من سيوف بنى كلب لأنه أتى إلينا فى طلب حصان بسرقه فلما وقع به بنو عمى .. نطيه دماءى وسيرته .. أولادى وكانت بنت عمكم قد حملته رسالة يوصلها إليكم وطلب أن .. ج عنها بعض كربها بكم وبعد انفاذها له قد أساءت التدبير وقصرت فى

خدمة مولاتها فضربتها وسبتها فباحت بسرها خوفا من البيع وخافت أن تصير فى أرض خربة ولا تعود تجتمع بكم وبضيع تدبيرها وتعبكم لحدثتهم بحديث ولدها من غير ضير وأن أباه مالك ابن الملك زهير وأن نسبه يرجع إلى بنى عبس وعدتان فرسان المنايا والموت الزؤام وأنها خوفتهم بكم وقالت سوف عن قريب يقع بكم الندم إذا سبيت أولادكم والحريم ويبقوا خدم وسوف يأتيكم فرسان لا تخاف الموت إذا هجم فلما سمع سيدها كلامها شدها هى وولدها بالحبال وقص على مقدمنا ما سمع من المقال وقال والله لولا هذه العجوز الملعونة ما أعطت السلال الذمام وإلا ما كان لها من يوصل خبرها إلى أهلها ومن فزعه منكم أقام الخيل على الطرقات وأنفذ إلى القبائل التى لها عليكم مطالبات وقال إذا قدم بنو عبس لنا أرمينا رؤسهم حتى ينقطع طمعهم وينحل عزمهم وأوصى صار بها وبولدها فلما نظرت أنا ما هى فيه من العذاب رحمتها ورحمت ولدها وقلت لأولادى بالله عليكم اجتهدوا فى خلاص هذه الجارية قبل الوصول لئلا يحذفوا إليهم رؤسهم فتحدثوا أولادى مع فتى من فتيان الحى يقال لها بدر بن شكر فأتى فى الليل وسرقها وسرق ولدها وسار بهم بالليل يقطع البرارى والقفار فلما فقدها مولاها صابر خاف من أمير الحى فركب وسار خلفها نحو دياركم وبعد مسيره يوم جرى ما جرى وقد منا نحن كيف ما صبرنا إلى أن تقدموا علينا فرجع أهلنا علينا بالملام ومن تمام المصيبة وصل إلينا البارحة غادر السلال فقلنا يا ميشوم الناصية ايش أوصلك إلينا فى هذه الساعة والله لو علم بك أهلها قتلوك فقال ما حال الجارية والغلام فقلت هربوا من يومين فقال أنا ما جئت فى خلاصها وأوصلها إلى قومها وإذا ذلك رحلت تمام المصيبة ن صابرا أتى بالجارية وبالذى أخذها وأحضرهم قدام أمير الحى وكان له سيد العشيرة هذا الكلام قال هؤلاء خامروا علينا وعلى أهل الحى واختاروا علينا الاعداء ثم أنه قبض على أولادى وأضافهم إلى أصحابهم وثقلوهم ورموهم بين الأطناب ثم وكلوا بهم العبيد وحلف وإذا جاءته النجدة يصلب الجميع على الخشب ويقطع رؤسهم ويرميكم بها ومد شدة ما جرى على أخربت غضبى فى السلال وقلت له غليظ الكلام فقال لى لا تفعلى أنا أخلص لك الجميع أن قبلت منى وأحسنت الصنيع فقلت ماذا تريد منى أصنع فقال تغيرى زيك وتسيرى من أول الليل إلى بنى عبس وتحدثيهم بما جرى على فى هواهم وتعطى الملك قيس هذه العلامة من عندى وخذى معك عشرين فارس وعودى بهم فى عرض البر الاقفر وتعبرى إلى من وراء البيوت تجدينى قد حلتهم بحديدهم وقيودهم على

أكتافى وخلفتهم والميعاد إلى لحف الجبل إلى أنت تأتى أنت وبنو عبس على ظهر الخيل وتعود بهم فى ظلام الليل وبعد ذلك تبصرين ما يحل باهلك من الويل ويرجع اليك أضعاف مالك وتصيرى عندهم أعز الخلق أنت وأولادك قال الراوى فلما سمع الملك قيس كلامها قال للربيع وهذا نعم الرأى وحق ذمة العرب لقد فعلت معنا هذه العجوز فعلا ما نقدر على مكافاتها أبدا وكذلك السلال وما كنا نريد فى هذه الساعة إلا عنتر بن شداد حتى كان يمضى مع هذه العجوز ويخلص لنا أحبابنا ونبلغ المراد فعندها نهض عمارة قائما على الاقدام وقد أغاظه هذا الكلام وكلم الملك قيس وقال أيها الملك الهمام نحن لو حملنا قدامك الجبال أو خضنا البحار والنار ما تذكر إلا هذا العبد الكشحان فوحق اللات والعزى أننا فعلنا اليوم فى هذه القبيلة فعلا لو أبصره عنتر لاذله ولم أتذكر إلى ذلك العبد وفعلة وأن كنت ياملك تقول أنا جسور على سير الليل فانا الليله أسير مع هذا العجوز وآتيتك بجميع الاسارى حتى تنظر خسارة عنتر من خسارة عمارة قال الراوى فلما سمع الملك قيس بكلام عمارة شكره على فعاله وسيره مع أخيه الحارث فى ستين فارس وسار الربيع بالجملة خوفا على أخيه ولم يبق من الليل الا نصفه حتى وصلت بهم العجوز إلى الكمين وحصلت بهم فى وسط الاعداء وكانت الاشارة بينهم أن تعود مثل الكلاب فلما وصلت إليهم عوت وصرخت فظهرت الخيل فاول من ترجل كان الأمير عماره فلما أبصروا بهم وعلموا أنهم وقعوا فى شراك الخيل والخداع ولم لهم عن أنفسهم اندفاع أراد عمارة أن يركب فما قدر من رجفات الركب وأما أخوه الربيع فانه قاتل عن نفسه فمن شدة فرحة زعق وصاح وأخذ جماعة من بنى عمه الأماثل ما وصل حتى أخذ الربيع وعمارة بجملة الاسارى بعد ما قتلوا تسعين فارسا من بنى كلب ابن وبرة وسقوهم فرسانهم وقوا شداذهم وفى قلوبهم منهم حسرة حتى وصلوهم إلى قدام مقدمهم وقد انقلبت الأرض عند وصولهم إلى الحلة من كثرة الأفراح وتزايد السرور وعدم الاتراح وكان قد أصبح الصباح فلما نزلوا بالاسارى بين المضارب ركبوا الجنائب وتبادروا إلى العبسيين من كل جانب بالقناة والقواضب وصاح فيهم عند ذلك طلائع وقد لاحت له ولقومه حلول المطلع وكان الملك قيس قد أنكر أيضا بنى زياد وبقى فى قلبه نيران زائدة الانقياد وقد صار لهم فى الانتظار حتى مضى الليل وأقبل النهار فانكر عند ذلك أمرهم غاية الانكار قال لمن حوله من أصحابه وقد عظم مصابه والله ما أقول إن بنى عمنا ما لمواخير الانكار وأن صدقنى حدرى فان العجوز التى جاءت ما أتت إلا بالمكر والاحتيال

ولا حدثتنا إلا بالمحال بحديث السلال وأعطتنا جميع العلائم والأقوال والأمور التى مضت بها من عندنا وحدثتنا بجميع ما جرى لنا من أمورنا فقـــال له عمه أسيد كيف يا ابن الأخ تكون الحيلة فقال الملك قيس ما أدرى عجائب الزمان له وقعات ومصائب قال الراوى ياسادة ولم يزالوا على مثل ذلك حتى أصبح الله بالصبح واضاء بنوره ولاح فعقد ذلك رآهم بنو عبس وقد ثاروا إليهم بنيات صحاح وهم ينادون يا أنذال الحجاز أظننتم أنكم تدخلون أرض اليمن مرة ثانية وتعودوا سالمين أبشروا بالويل المبين لأن أصحابكم وقعوا فى قبضة العجوز وأتم الساعة يأتيكم البلا وتنقاسم أبطالكم ملوك هذه الأرض والعلا ويفوزن منكم بالثار وينقلع منكها الاثار وقال فلما سمعت طائفة بنى عبس هذا المقال زادهم اللهيب والاشتغال وكثر فيهم القيل والقال وقد أيقنوا بالذل والخبال وضجوا من هذه الأمور وقل صبر الصبور وقال الملك قيس يابنى عمى غابقى بذل الأرواح والطعن بالرماح والضرب بالصفاح والذل والافتضاح وأن لم تجردوا فى القنات رضا أيشم الرواح يقال إن بنى عبس لها بينا فى العلاو نازل الافتخار والفوز فى أرض اليمن وهربت من البلا بحيلة امرأة عجوز قادتهم أسارى قود الكلاب وتحكمت فيهم الأعداء بالقتل والعذاب ثم خرج قيس من تحت الاعلام وقد اشتد غضبه ولم يسمع كلام وكشف رأسه وحملة من باع بناه وتمنى فناه وقد فعلت بنو عبس مثلة وحملت خلفها كأنها السحاب إذ هطل وقد اختلطت الطائفتان واختلف بينهما الطعن وقد حجب الغبار حجاب الشمس فاحتجب وفاض الدم وانسكب وضاق عليهم البر بعد ما كان وسع السبسب وقد عم الجميع الويل والحرب واشتد عليهم طريق الهرب ووقع بالفرسان فى المناكب الخذلان والتعب ووشت الخيل بعد الجرى خيب ودنا الأجل من الجميع واقترب مضاربها فى الأجساد والقمقم فعندها انقلبت المضارب بصياح الصهيان وقد أيقن بنو كلب بروره بالهلاك والعدم وفى تلك الساعة أشرفت بنو الحـقم وهى قبيلة من جملة القبايل التى كانوا لها فى الانتظار وكان أشرفهم عليهم نصف النهار وكانوا الف فارس من كل بطل مداعس مغوار ولما أن أبصر نار الحرب تشتعل ونسوان بنى عمها على أبواب البيوت ولولوا وزعقوا وحملوا على بنى عبس وطلبوهم مثل سهام المنايا إذا أرسلت وكانت ستريحة فردت بنى عبس إلى أقطار الفلا وقد ساء الأمر فزعا عاجلا وصار سهل الأرض فى النواظر جبلا وبقيت الأبصار الصحاح من شدة الخوف حول المنايا على قبض النفوس وكلا وأسنة الرماح فى أكباد الشجعان تجد بالمهلا ولله در بنى عبس لقد أجادت قتالها بين الملا وكان حوله الشجعان تسيل من رؤس الشعاب والجبال والأبطال إليهم

باطراف العوامل تميل وهي ثابته لا تزول وصابره على البلا وهي تلسع فيهم بافاعى الرماح وتضرب بمضارب الصفاح إلى أن ولى النهار وعزلت الطائفتان على الانفصال وقد كفوا عن القتال ولما أن افترقوا عن الجال أقبلت فى تلك الساعة بنو الاشجع فى ثلاثة آلاف فارس كل بطل صميدع وفارسها بالحديد مقنع إلا أنها ما أتت إلى الخيام حتى أقبل الظلام قد انفصلت الطائفتان من ضرب الحسام وعاد طلايع سيد بنى كلب التقى القادمين وشكرهم وأثنى عليهم وقد أخبرهم بالعجوز وما فعلت بحيلتها وكيف فرجت عنهم الكروب بعد ما كانوا قد أشرفوا على العطب فقال لهم طرفة بن بشار سيد بنى الأشجع أبشروا يا طلايع النصر والظفر وانظر عند الصباح ما يحل بأعدائنا وأعدائك من العبر واعلم أن الاقدار ساقتهم إلى هذه الديار حتى نستوفى ما لنا عليهم من الثار ولكن كم وقع فى أيديكم من أسير فقال له يا طلايع أسرنا ثلاثين فقال له طرفة اعلم أن هؤلاء عند الصباح أحلق رؤسهم قبل حملتنا عليهم لأن فى ذلك ما يقطع منهم الظهور ويزيل الطمع من رؤسهم وصدورهم فقال طلائع أنا قد عولت على ذلك إذا وصل إلينا حسان بن مسعود صاحب مياه عراعر لأنه على كل حال سيدنا الحاكم علينا وأنت تعلم ما جرى لأبيه مع هؤلاء الانذال وكيف قتل أسود دهم أبوه مسعود لما عشق عليه وأقول أنه عند الصباح يقدم علينا واتركه بضرب رقاب هؤلاء بيده فقال طرفة هل وقع أسود دهم وقد سألت عنه بعض الاسارى فقال لى أنه عند الملك كسرى وما عنده علم بمسيرنا أحدثك باعجب من هذا لأنى قد رأيت لى المنام أننى قتلته وأخذت رأسه على سنان رمحى وقد درت بها ساير الحلل التى فى بلاد اليمن وفى الاخر أهديته إلى حسان بن مسعود وقلت له خذ أنه بعد ذلك الكلام أمر الكتايب والعشاير أن تدور ببنى عبس ففعلوا ذلك وبنو عبس لما رأت أن الكتايب قد سدوا عليهم ساير الطرقات والمذاهب قد آيست من أنفسها أن أبصرت ذلك العدد وقد زاد عليها وكانت كلها الخيل تحرس أنفسها وهى لا بسة سلاحها وكان فيهم جماعة كثيرة مثخنة بالجراح فآيسوا من الفلاح وما فيهم إلا من ندم وأخذ يسليهم هو بمقاله ويقول اعلموا يا بنى عمى أن تذكار الرجل إلى أهله وولده يضعف بصره ويقل جلده وكل أحد ما يقدر يعيش فى النعيم وأطيب المنازل وإنما الرجل يفتخر بالصبر عند حلول الشوايب والنوازل لكم أسوة بى وبولدى زهير الذى كل نظره إلى وجه أحب إلى من الدنيا وما فيها وقد رضيت بقتله وهلاكه وهلاك نفسى معه فى هذا المقام ولا اترك

العرب على عتب ولا ملام وعند الصباح وحق من يشفى من الأوجاع أنا لم أنصب على رأسي علم ولا أكون إلا في أوائلكم أضرب بالسيوف حتى تتصلب الرياح في جسدي وأوقع تحت الخيل أنا وولدي وإن فعلتم مثل فعالي فرد ثم يذكر الجميل بعد التلاف ويقال إن بني عبس ماهلكت في بلاد اليمن حتى أهلكها مثلا أضعاف وإن فزعتم من الموت فما ينجيكم الفزع من المعطب بل تقتلون وتذمكم العرب وما زال الملك قيس يقول لهم المقال حتى هان الهلاك على الرجال وقالوا والله أيها الملك إن مالت علينا الجبال في صدور الرجال لقيناها ولو رأينا المنايا تجر أذيالها نحونا لسقناها ولا بد ما نطعن بأسنة الرماح الدقاق حتى تلعب برؤسنا حوافر الخيل العتاق ولكن لو أننا كنا كفينا مؤنة هذه العجوز التي احتالت علينا وأسرت سادت بني زياد ما كانت هذه القبائل ولا تهلك الأمم والجحافل وكنا قد بلغنا مرادنا فقال لهم الملك قيس صدقتوا يا بني الاعمام ولكن إذا نزل القضاء من السماء عمى البصر وحير الفكر ثم أنهم باتوا تلك الليلة يعللون أنفسهم بلعل وعسى إلى نصف الليل قد ملوا من ركوب الخيل وعولوا على النزول من عليها للراحة إذا قد رجل قد أقبل وهو طالب إلى سوادهم من ناحية خيام الأعداء وهو يهتف نحو مثل ذكر النعام تحت ستور الظلام فعدها تبادروا إليه وقد داروا حواليه وإذا بشيبوب أخو عنتر ففرحوا به فرحا شديدا لما عرفوا وقد أملوا منه فرجا ثم أنهم أتوا به إلى عند الملك قيس وقد بشروه بوصوله ففرح بذلك غاية الفرح وزال ما بقلبه من الهم والترح وقال لشيبوب والله يا ملك ما عندي من أخي خبر وما حسبته إلا هو عندكم ومقرى الوحش ومازن اعلم أيها الملك أن فراقي له سبب عجيب ثم حدثه بما جرى لهم من حين ساروا من عند الملك وقد رأوا الأحياء خالية منكم وأنكم قد سرتم خلف مجيد وأمه فخاف أخي عليكم من هذه الأمور وسار خلفكم أخذ صحبته مقرى الوحش فجرى عليه في الطريق كل عجيبة من سبيع ابن الحارث وأنه قد أسر أخي وكنت أنا غائبا في طلب فرس لمقرى الوحش ثم أنه عرفهم بحديث مازن وكيف خلص أخيه عنتر من الاسر وقصة التي جرت قال لهم في آخر الكلام وقد رجعت أنا بأم مازن إلى الحي بعد ما دللت أخي على الطريق التي تلحق بكم إلى الآن ما أعرف الذي جرى عليه وما ظننت إلا أنه وصل إليكم مع أخيه مازن ومقرى الوحش ولولا إعاقتي بامرأة أخيك مالك وولدها مجيد ما كنت إلا لحقته قبل وصوله إليكم ولكن هذا الذي قد أعاقني إلى هذه الأيام فلما أن سمع الملك قيس وأعمامه من شيبوب هذه العجائب فرحوا ما كانوا

فيه من النوايب وقالوا والله ياشيبوب لقدجرت لكم أمور تشرح الصدور ولاسيما غدر ذو الخمار وظفر بأخيك وخلاصه بحيلتك وخداعك على أنك قد ذكرت لنا فى آخر كلامك أنك لقيت عند عودتك ابن أخى وأمه وأعاقوك عما كنت له طالبا فحدثنا على ما جرى لك معهم من تلك العجايب وأعلمنا إن كنت خلصتهم من الأسر لأننا سمعنا أنها هربت وما صدقنا ذلك وقد تم علينا بسببها حيلة من عجوز فى هذه الديار اسمها عدوة ولولا ذلك ما كنا أقمنا حتى اجتمعت حولنا هذه الجموع التى تراها بل كنا قضينا حاجتنا ورجعنا من قبل أن يعلم بنا أحد فقال شيبوب صدقت أيها الملك لا تزال المقادير تنفذ التدابير والإنسان مع القضاء الواقع أسير ما يقضى عليه عند المشيئة بعد التدبير ولو كنا علمنا أن يجرى عليكم هذا المجرى ويضيع أخى فى الصحراء وتتخلص أم مجيد على يدى فلو علمنا أن هذا كان يصير ما كنا أحوجنا كم إلى هذا التعب وتشتتو فى بلاد اليمن والسبب فى ذلك أنى لما فارقت أخى عنتر وسرت بأم مازن وأوصلتها إلى الديار وقت ربيت من يومى على صغرى أقطع القفار وكنت فزعان على أخى لقلة معرفته الطريق ومن مثل هذا الذى أصابه فسرت فى أربعة أيام ما يسير هذا الفارس فى عشرة أيام ليلا ونهارا حتى قطعت حولى اليمن وتركتها من خلفى وقد وصلت إلى واد يقال له وادى الدروح وزعمت أنى أرج روحى اليه وأقطعه فى الليل على غير أما أشرح لكم ما أنا فيه من سوء الحال فقد بعد تم عنى وعن هذا الصبى الذى قدر بى فى اليتم فلما أن سمعت أيها الملك هذا النداء اسودت الدنيا فى عينى وقد طلبت الصوت فرأيتها قد هرب بها مع مولاها فى القتال ومعه خمسة فورس أبطال وقتل منهم اثنين ودار وابه وسمعت حديثها فتركتها عند ولدها وطلبت أعداءها بالنبال وقالت لبدر بن شكر يا وجه العرب ارجع أنت عن القتال فقد بذلت المجهود وساء بك الحال ولا بد أن تجارى هذا الحال فارجع أنا أقضى هذه الأشغال وأبدد هؤلاء الأندال ثم أنى ضربت واحد بنبلة قتلته فعند ذلك اشتد قلب بدر لما رآنى وحمل على واحد قتله وبقى واحد فمول على الهرب فسبقته أنا إلى المضيق وضربته بسهم فى صدره طلع من ظهره ولما انتجز الأمر وهلكوا الأعداء جمعت الخيل والأسلاب وأنزلت بدر بن شكر من على فرسه وشديت جراحه وقلت له أبشر بما تلقيه من السلامة والخير والكرامة لأنك قد زرعت الجميل فى أرض طيبة زكية وسوف ترى ما تجازى من مليح الفعال المرضية ثم أننى يا مولاى عرفته

من أنا و بشرته ببلوغ المنا وطيب قلب أم مجيد وولدها ففرح مجيد وأمة وزال عنهما همهما وغمهما ثم أني حدثتهم بدخولكم خلفهم إلى بلاد اليمن وهذه الأرض حتى أنكم تخلصوهم من الأهوال والمحن فقالوا لى والله ماعندنا خبر من هذا ولولا أنك أدركتنا لكان حل بنا الضرر ومسنا البلاء وصرنا عبرة لمن اعتبر وإن كانوا أهلنا وصلوا إلى تلك الديار فما يكون إلا بعد ماسلكنا فى هذه القفار فبشرتهم بعد ذلك بالسلامة من الوبال وقد أصعدتهم فى لحف جبل من الجبال وتركتهم فى مفازة من الشعاب ومعهم عبد نجيب وهو عبد بدر بن شكر لأجل خدمتهم وقضاء اشغالهم ولكن اطلعت على صحة الخبر فرأيت بدر بن شكر حكم عليه سلطان الهوى والقدر وعشق ام مجيد وانحصر وكان سبب فكها من الأسر والضرر وشرط معها على الزواج وهى راضيه بذلك ولا بقى لهم عن بعض مصطبر فزوجهم فى تلك الأرض وجعلت يد ام جيد فى يد بدر بن شكر لأجل الزواج حتى لايبقى على لوم ولا احتجاج واشتدت عليهم بذلك الشأن الملك الديان وباتوا تلك الليلة وهم فى امان ولما كان عند الصباح قلت لهم اقيموا انتم هاهنا فى هذا المكان حتى اسير انا إلى الملك قيس واخى عنتر ومن معه من الفرسان وايضا ابشرهم بخلاصكم من الأسر والهوان واتى بهم إلى هذا المكان ونرجع كلنا إلى الأهل والأوطان ثم تركتهم وسرت اقطع القفار والكتائب حتى وصلت إليكم وانتم فى تلك المصائب وعلى ان غيبه اخى من أغرب العجائب (قال الراوى) ولما ان سمع الملك قيس من شيبوب ذلك تعجب من ذلك الاتفاق ما جرى ثم انه قال ياشيبوب لوكان اعمى لأننا عند الصباح ماندرى كيف تلتقى هذه العساكر والأمم فقال شيبوب وقد ضاق صدره من ذلك وتألم وقال ياملك مابقى إلا الخير والسلامة إلا انكم عند الصباح تلتقون هذه العساكر والقبائل وتصبروا على هذا البلاء النازل لأننا خلق كثير واقيال ابطالهم شجعان ولكن طاولوهم بالبراز ومدوهم بالنزال وداوموهم واصبروا واصبر الرجال الكرام وإذا رايتم عين البلاء والغلبة والاذلال إلى إحدكم نجدة اخرى من غيره هذه البلاد والاطلال وزاد عليكم العدد والجدال فالتجؤا إلى هذه الجبال واصبروا على الحرب والنزال حتى اعود انا اليكم من بين هذه التلال بخبر صحيح واكشف عن امر اخى عنتر ومن معه من الاصحاب الأجواد وآتيكم به اسرع من البرق اليمان يهتز على ظهر الحصان إذا كان معه اخوة مازن ومقرى الوحش الليث الوثوب وآتى بهم إلى هاهنا وهم مورد الحمام وينزلوا عليهم نزول الموت الزؤام فقال قيس بالله عليك ياشيبوب انك

لا تبطىء علينا ولا تشدل عنافها قد نظرت ما نحن فيه سوء الحال وكيف دارت بنا هذه المواكب والابطال فقال له شيبوب لا بأس عليك يا ملك الزمان فان شاء الله تعالى الملك الديان أعود إليك سريع يأخى عنتر ومن معه من الفرسان ثم أن شيبوب رجع من عندهم على عقبية يقطع البرارى والآكام وقد نظر الحرس الذى لبنى كلب يقيمون فى جندس الظلام ولما نظروا شيبوبا طلبوه ومعهم جياد الخيل فرق فى سواد الليل كانه الريح الهبوب وترك الفرسان من خلفه فى القفار ولا لحقوا إلا الغبار فقالوا لبعضهم البعض ماهذا إنسان وماهو إلا مارد أو شيطان وإلا لو كان من بنى آدم لما فعل هذه الفعال لأن قطع خيلنا من ورائه فى الصحصحان والتلال قال الراوى ولما سار شيبوب وغادوا عنه تلك الرسان فا عادوا إلا وهم تعانى من شدة الكد واقاموا من السير خلفه ولما عادوا طلبوا لأنفسهم الراحة للمنام شفقة على الخيل الجياد حتى تعينهم فى الحرب والجلاد قال الراوى ولما أصبح ركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح واعتقلت الأبطال بالرماح ولبست الصفاح وقد علا من الفريقين الصياح حتى نزلت الشمس على الربا والبطاح ثم حمل كل شجاع وصاح ونادت الأعداء ما أدركه من صباح فاصرت ترى فى ذلك الوقت إلا دما قد ساح ورأسا من على جسد صاحبه طاح والفارس صاريئن من شدة الجراح وآخر على نفسه عدد وناح وآخر يمكنون سره باح وآخر طلب الهرب والرواح قال الراوى فيالها من وقعه ما كان أشد نكالها وأعظم بلاها وأهوالها قد قطعت فيها الرؤس وفيها اختطفت النفوس وحمل الفارس العبوس وولى الجبان المتعوس ورجع بالمذله والعكوس وقد عظم الوبل والبؤس وحملت الجنود ثم عاد الصلاح مفسود وعظم الأمر وقطعت المناكب والزنود وخرقت الاسنة المعاليق والكبود وقد أبصرت فرسان بنى عبس الصادى عليها مسدود فقاتلت قتالا من عدم الوجود واعلم أنه لأهلا لا يعودو من شدة طمع العرب فى بنى عبس اليوم ماشروا والحرب والنزال بل إنهم وقفوا تحت الاعلام يتدرجون على القتال والصدام وهم فى نفر قليلا من الفرسان وقد دارت ببنى عبس جميع الاقران كما يدور الخاتم بالاصبع أو السوار بالمعصم وقد أخذوا على بنى عبس الطرقات وطلبوهم أهل اليمن بالقنا والقواضب ومازالوا على مثل ذلك حتى قارب وقت الزوال وكادت الشمس تميـــل على قبة الفلك وقد قتل وهلك من هلك وقد ملت طعن الرماح العوال وقد خمدت أصواتها وتحسرت على ديارها وبوانها وأوطانها وزهراتها وانقهرت بعد العز ليوثها وشجعاتها ورجالها وفرسانها وتعبت وانحطت بعد

علو الشان وأبصرت الذل والهوان ورأوا بعد الزيادة إلى نقصان وعاينت شخص الموت عنده عيان وقاتل الملك قيس فى ذلك اليوم بنفسه حتى كلت يداه وأشراف على هلاكه وفناه وقد تصور له ملك ملك الموت حاذاه والأمير طلائع يقول لفرسانه وعشيرته أين حسان بن مسعود حتى ينظر بعينه إلى أعدائه الذين قتلوا أباه فى هذا اليوم ببقوا مطروحين فى الفلا وقد نهبتهم الصوارم والقنا وهم يتجرعون كاسات الفنا وما كنت أريد إلا أنه يصل إلى ها هنا قبل إذهاب النهار حتى كان يشتفى فؤادى أين عينك ياحسان ياابن مسعود ياصاحب عراعر والعساكر والجنود حتى ترى ما يسرك وتزيل عن قلبك ما يضرك فما استتم كلامه حتى أنه رأى غبارا قد ثار حتى سد الأقطار وتمزق ذلك الغبار بعد ساعة وبان من تحته ثلاثة فرسان ومن جملتهم فارس الحديد لابس وهو مندرج بالحديد والزرد النضيد وهو كانه قلة من القلل أو لاقطعة من الجبل (قال الراوى) فلما نظر طلائع إلى هذا الغبار والفوارس القابلة قال ياقوم أظن أن هذه الفوارس المقبلة علينا من مياه عراعر وهى مثل العقبان وبين أيديهما رجل كأنه خشب غزال وفى يده رمح عال وعليه سنان على السنان رأس إنسان وهم يقبلون ولهم صباح فلما نظر طلائع إلى ذلك وحق نظره فى تلك الفوارس المقبلين فرح فرحا مبينا وقال يالقحطان وحق ذمه العرب هذا الملك حسان وهذه بوادر خيله طلعت وصوارمها لمعت ولكنى أنكرت هذا الفارس الأسود وقدامه ذلك الرجل ومعه ذلك الرمح الذى عليه ذلك الرأس وأقول أنها رأس بعض الأعداء من بنى عدنان فلما أن سمع بنو كلب هذا الكلام من طلائع صاروا الكل فى أوهام فقال منهم شيخ يقال له مرة وقال له يا ظلائع إلى كم تعلل نفسك بالمحال وتتحدث بحديث الجهـــال وأنا صح عندى أن كل ما تقوله زور ومحال وبهتان فوذمة العرب إن هذه الثلاثة فوارس الذين قابلة علينا ماهى من خيل اليمن ولا من فرسان الدمن والدليل على ما أقوله لك أيها البطل المكرم إن هذه الفرسان طارقة من طوارق الزمن لأنها اقترنت وقد طلب كل فارس منهم من الاعلام علم وقد استخفت الأبطال الذين تحته والرجال وبعد ساعة ترى الاعلام قد مالت لأننى أنا عرفت هذا الفارس الذى هو قابل علينا وهو حاطم بالجواد وأقول إنه فارس الحرب والجلاد وحية بطن الوادى المسمى بعنتر بن شداد وهذه الفرسان رفقاؤه فلما أن سمع طلائع من الشيخ ذلك الكلام فضحك منه وقد استقل عقله من رأسه والإدام قال فبينما هو معه فى الكلام وإذا بالفارس زعق عليهم زعقة تفلق الحجر ونادى وقد هز العود الأسمر وقال يالئام الاجداد اعلموا أننى فارس الحرب والجلاد

ومصادم الابطال عند العناد وحيه بطن الواد وسيد الفرسان الشداد عنتر بن شداد ثم أنه طلب صاحب العلم وطعنه طعنه جبار وشاله من على رأسه وأرماه فصار يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه واستقبل فارس آخر بركيز الرمح ففتق أمعاه وأعدمه الحياة فلما رأت الفرسان إلى هذه الطعنة التى قتلت اثنين فى نوبه واحدة فتفرقوا من بين يديه مثل الغنم فلما رأى طلائع مقدم هذه العشائر إلى تلك الطعن والقتال الذى ما ترده الدروع الثقال ما كان له إلا أنه ألوى عنان الجواد وكان هو أول من انهزم لانه خاف من الهلاك والعدم وقال وحق رب الارباب ومعتق الرقاب لقد أخطأ اليوم حذرى ولو كان عنتر عرف مكانى ما كنت انفلت ونفذت من جانبه وأما مقرى الوحش ومازن فإنهما فعلا فعالا أحسن من فعال عنتر لان كل واحد حمل على صاحب علم وقتل المقدم الذى تحته وأباد كل من كان حوله من الفرسان والحشم (قال الراوى) ولما نكست الأعلام فى مشارق الأرض ومغاربها أخذ



شيبوب الرمح الذى عليه الرأس وطلع بها إلى أعلى الآكام وصار يصيح ويقول اعلموا أن هذه رأس حسان بن مسعود قد قطعها وقتله أخى عنتر بن شداد واليوم تنظرونه يخطف منكم الأرواح من الأجساد ويسل علائقكم من الأكباد قال الراوى

وكان السبب فى ذلك هو أن عنتر لما سار هو وأخوه مازن ومقرى الوحش يطلبون أرض بنى كلب وبرقة فى أثر بنى عبس فى البر الذى أعطاهم علائمه شيبوب وكان وعدهم أن يوصل أم مازن ويلحقهم وقد أشتغل عند رجوعه بماجرى له مع مجيد وأمه وقد اتسع بر اليمن قدام عنتر ورفقاه فضلوا عن الطريق وطالت عليهم فأنكروا ذلك وقال مقرى الوحش لعنتر ياأبا الفوارس مانحن إلا ضالين فى هذه القفار والصواب أننا نطلب الطريق الواضح ونسال الركاب عن بنى عمنا فما يخفى على السالكين والخطار الأخبار ونحن ما نخاف على أنفسنا لأننا نطيق نقاتل كل قبيلة طلبت قتالنا ونفزع أيضا أن تكون بنو عبس مالهم به طاقة قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه انعزل عن البر يطلب السلوك فالتقى بحسان وهو فى ألف وخمسمائة فارس سائرين إلى بنى عبس فقالوا والله إن هذا جيش كامل العدد فتأهبوا للحرب ومنهم ناخذ الخبر لأنهم من جملة أعدائنا ثم أنه ركض بجواده إلى نحو الجيش وجعل مازن ومقرى الوحش على أثره سائرين وكان حسان قد أبصرهم الآخر فقال لبعض فرسانه امض وأسألهم عن حالهم فصار وقد أقبلوا على عنتر وقالوا له من تكونوا من العرب فقال عنتر اعلم ياوجه العرب أننا من البر الأسود من ناحيه جبل الدخان جئنا نطلب المكسب والمعاش لأننا سمعنا أن بنى عبس فى أرض اليمن فى نفر قليل وأن القبائل التى لهم عليهم الدماء صارت تطالبها باخذ الثأر وكشف الدار فقالت له الفرسان أبشروا وأعلموا أننا نحن سائرون اليهم مع الملك بن مسعود نطالبهم بمالنا عليهم من الدماء والثأر فرافقونا وابشروا بالغنى ونيل المنى ثم أنهم بعد ذلك عادوا وأعلموا امقدمهم وأخبروه بذلك وأما أخبارهم شاعت فى بلاد اليمن وأن القبائل تقصدهم وهؤلاء أيضا سائرون اليهم والصواب أننا نقصد مقدم الجيش ونورية أننا نسلم عليه ويطعنه واحد منا والآخر يطعن صاحب العلم والثالث منا يقتل واحد من الذى بجانبه وبعد ذلك نزعق فى أجنابهم ونجتهد فى تفريقهم من قبل قدوم الليل ونعود إلى بنى عبس من على هذه الطريق التى هم سائرون عليها فقال مازن أعلموا أن الصواب عندى أننا نحمل على القوم من غير سلام ولا كلام ونشتت شملهم قبل الظلام فقال عنتر صدقت ياأخى ولكن أخاف أن يهرب حسان اذا أشتغلنا بمن معه من الفرسان ويفوتنا هذا القرنان حسان قال الراوى ثم أنهم بعد ذلك حملوا وطلبوا حسان ولم يزالوا يركضوا إلى أن مقرى الوحش طعن فارسه جعله على الأرض بجملة الرمح فعند ذلك عرفتهم جميع الفرسان وصاحوا عليهم من كل جانب ومكان وطلبوهم بالسيوف الحداد والقنا والقواضب وعظمت

عليهم المصائب وقل منهم السالم وكثر العاطب وقد طلع الغبار وعلا وأظلمت الدنيا من المشارق والمغارب واختلف الطعن والضرب وزاد الكرب وعنتر ورفقاه تجول فى أقطار الجيش طولا وعرض وتسرعهم من على السروج إلى جهة الأرض المهاد وأبصر عنتر من أخيه مازن ماشد به ظهره وأطربه لأنه ماحمل على جميع إلا وفرقه وفجأة ولا طعن فارسا الا ودحاه وأرماه الى ورثه واما مقرى الوحش فقد عرفت شجاعته دن قبل ذلك الوقت وكذلك فعاله بارض الشام وكذلك عنتر دلت لشجاعة صناديد العزب والعجم وماولى ذلك النهار إلاوقدارتوت الارض من دماء القتلى وامتلا الدنيا بالقتلى مرطمنات أبطال لاتهاب الموت ولاتخشى القوت وكان كل من سمع صوت عنتر وقد عرف قتاله يقول إلى رفيقة يابن العم مالنا ومال هذا الزنيم ومالنا أن نداقع مالا نطيق حتى تقع فى حلق المضيق وقد عرفنا ماجرى على سيدنا العاشق عبلة زوجة هذا العبد الأسود وجمعنا علية الجموع ثم فرقتها فى ليله واحدة وأنا أعلم أنه كان ههنا فى الكمين وأما قوله نحن قوم نطب المكسب والمعاش حتى لايهرب حسان ولاتقدر عليه والصواب أننا نهرب مادمنا قادرين على الهرب ثم ولى وتتبعه رفقاه وماولى ذلك النهار وأقبل الظلام حتى قتل سمائه همام وقد هرب الباقون كلهم وعنتر ورفقاه قد بعدوا عنهم الراحة ساعة من الليل وعادوا إلى ظهور الخيل قال الراوى وفى تلك الساعة وصل اليوم شيبوب وماصدق أن يراهم سالمين ولما أن اجتمع بهم سألهم عن حالهم فحدثوه بما جرى لهم من الضيعان وقالوا له نحن سرنا فى الطريق التى أعطيتنا علامتها فطال علينا الأمر فسرنا وقد عبرنا على بنى كلب بن وبرة وماعندنا خبر وظننا أنك تعود علينا فى الأثر وتلحقنا سريع وماالذى أشغلك عنا فحدثهم بحديث أم مجيد وولدها وكيف لقاها حاتم ثم أنه حكى لعنتر عن بنى عبس والملك قيس وما هم فية من التعب والضيق وكيف هم فى حالة العدم فما دار حولهم من الخلائق والأمم من أهل اليمن من سائر العرب ممن لهم على بنى عبس الثار فجاؤوهم من كل فج عميق لاخذ الثار وكشف العار قال الراوى وأعلمه أيضا سر بنى زياد وحكى له على قضيه بنى عبس من أولها إلى آخرها وعلى ما جرى على ماجرى على السلال وكيف عملت العجوز حيله وملكتهم الجميع وقال لهم عجلوا بالمسير فركبوا وهم لايعقلون من خوفهم على الملك قيس وأخوته وأعمامه وعشيرته والأمم وسمعوا أصواتهم وهى خفيفة ولاتكاد أن تسمع فعندها صاح واحرباه عليكم يابنى عبس ثم أنه ابصر الاعلام من حولهم متفرقة فاتفق كل واحد منهم ان يقصد غلمان جرى

ماجرى وافتحوا قسطل الغبار وطعنوا فيهم طعن من اشد عليه الغضب على من تعدى وظلم وكانت بنو عبس تقاتل قتال الموت حتى سمعت زعقان مثل الرعد القاصف اذا دمدم والأسد الكاسر اذا زجر وهمهم وأتاها بحسن طعنات أشد من وقع الحجر على القمم وصارت الفرسان التى حولها تلتفت وراءها وتنفر مثل نفير الغنم اذا رأت الذئب عليها هجم وقم وسمعت صيحا مازن ومقرى الوحش فبلغت بنو عبس أرياقها وكانت مثل الملسوع اذا شم رائحة الترياق فرقعت أصواتها من بعد ذلك الخوف رضحت واستغاثت بمن أنجى يونس من بطن الحوت وأطلع بخلقة قوت وهو الحى الذى لا يموت وهزت فى أكفها السيوف وسمر الاصل وعاد اليها النشاط بعد الكسل وبشر بعضهم البعض بوصل حاميتهم وأخلصوا فى القتال نيتهم وعنتر سطى بشجاعته على الاعداء سطوة جبارة اذا اعتدى وفرق جميع القوم وعاد شملها معبدا بعد ما كان على بنى عبس مجتمعا ومشتدا وما علموا من أتاهم هذا البلا فحار عقلهم واندهل الشيخ والفتى وبقى الفارس الشجاع مجدلا ومن سرجه مائلا وولى الجبان وما التفت وكان كل من خرج من تحت الغبار وابصر علم قومه مال وانقلب ويرى شيبوبا واقفا على التل ورأس حسان معه على رأس سنان ويصيح مثل الغراب ويولى يطلب الهرب ولا يسأل عن السبب قال الراوى وكان للقوم يوم يؤرخ فى الكتب على ما جرى عليهم من العجائب وما أتى الليل بجيوش الغيب حتى خف الحمل عن بنى عبس وانكشف وقد قتل من أجله قد اقترب وفاز من خلى وهرب فنجى من العطب واجتمعت طائفة بنى عبس وعنتر وما فيهم الامن فداه بالسمع والبصر وقد قال الملك قيس واذال العشيرة من بعدك يابن العم فأنا أسال الله أن يذيقنا فراقك ولا يبعد عنا شخصك ويديم لنا عزك يامن تصلى على النبى ثم بكى قيس من شدة فرحة بالخلاص وبكوا لبكائه سادات القبائل ونظر عنتر حالهم مع اذلالهم وانكسارهم فعلم أنهم لاقوا شدة عظيمة وأمور عظيمة وأمور غير مستقيمة قال الراوى والله يابنى عمى مادامت أنا فى الحياه مايذل أحد منكم ولا يشقى وان الأجل قد اقترب ودنى فما علينا اعتذار وبعد ذلك تقدم مازن إلى قدام الملك قيس وترجل وقبل الأرض وركابه وكان الملك قيس سمع حديثه من شيبوب فترحب به وشكره وأثنى عليه ونزلوا للراحه واضرموا النار وجلس مازن وعنتر ومقرى الوحش إلى جانب الملك قيس ودارت بهم فرسان القبيله فعند ذلك قال عنتر لبنى عبس يابنى عمى ناموا أنتم الليله وداووا عيونكم وانظروا فى غدة غدما أفعل باعدائكم ثم أنه قام من عند هم وتولى حرس القوم هو

ومقرى الوحش وقربهم القرار وانطق مابهم من النيران قال الراوى فهذا ما كان لبنى عبس وعنتر وأما ما كان من طلائع فانه كان قد هرب من قدام عنتر لما صدم العلم وانكسر وما صدق بالنجاه وسار طالبا إلى الحى والمضارب ومازال بين الخيام واقف وهو يشاهد الحرب حتى أقبل الظلام وأبصر و فرسان عشيرته قد رجعوا وهم خاسرون والقبيلتين وات بعد قتل أمرائها فانقطع ظهره وحار فى أمره واجتمعوا اليه وجوه القبيله عند المساء وهم خائفون على أموالهم والنسا وقالوا له أيها الملك أنت اليوم كنت بر المعمعة قائم فاخبرنا بما قد جرى وكم كانت النجدة التى وسلمت إلى بنى عبس حتى نكست هذه الأعلام وقتلت الأمراء التى كانت تحتها قيام فقال لهم والله يابنى الأعمام ماوصل اليها أكثر من ثلاث فوارس من ناحية مياه عراعر ومعهما رجل مثل الثعلب النافر وهو ينادى يابنى كلب هذه رأس سيدكم حسان بن مسعود ثم أن كل واحد منهم حمل على علم وقتل الأمير الذى تحته ودعسوا فيكم كما يدعس الذئب فى الغنم وسلمت أنا بعد ماعاينت الهلاك وعلى أن هذا الذى جرى علينا اليوم بشئوم المنام الذى أبصره سيد بنى الأشجع لأنه قال رأيت كأنى قتلت عنتر الأسود وحملت رأسه إلى حسان وكان أجله قد اقترب على يديه وماأظن الا بنى عبس لما أن دخلوا فى طلبنا خافوا من فرسان مياه عراعر أن تأتى إلى نصر تنافسيروا أسودهم ومعه فارسان آخران إلى هنا فقتلوا الفرسان وافنوا الشجعان ثم قتلوا حسان ورجعوا الينا وفعلوا بنا هذه الفعال ولما سمع بنو كلب هذا المقال زاد بهم الخوف والفزع ولافيهم إلا من حس أن ظهره قد انقطع وقالوا له أيها السيد لوكانوا وصلوا الينا من أول النهار ماكان أمسى منا أحد فى الديار والصواب أننا ننقل الحريم إلى الجبال وتحترز على أنفسنا قبل الصباح وعلى العيال والمال والا افتضحنا فى غد فضيحة إلى الأبد وبدنا نريد قبل الشروع فى هذا الأمر تنفذ العبيد إلى سائر قبائل اليمن وتقول لهم بادروا الينا والا خربت ديارنا وقعت آثارنا فقال طلائع يابنى عمى والله هذا منكم الأمل بعيداً وأننا أعلم مانقدر نحمى نفوسنا إلا أن يحمينا من يحمينا لأن العرب العربية منكم قد جرى عليها ماجرى والقبائل المتفرقة فى أقطار البيد أجمعها أصعب مايرى لأن العدو راكبنا والبعد يمنعهم عنا وإذاهم لحقونا ما ينالوا من إلا هذا المثال ولايبقى فى الأمر إلا شىء واحد وهو الذى نزل هنا المنادوا الاوابدوذلك أن أموالنا وحريمنا ونخلع عليهم ونطلق لهم فى سبيلهم لعلهم يرحلوا عنا بهذا الأسود ويصلح هذا الأمر الذى قد انفسد لأن عندنا منهم أو فى سبعين رجلا أسارى ومايخفى أنهم من

سادات عبس الكبرى وان قولهم عندقومهم مقبول فيما بينهم يجرى فلما سمع القوم مه كلا علموا أنة صواب وأنه أنه أصوب من رأيهم فاطاعوه وما خالفوه وقد قالوا له افعل ما بدالك واعلم أننا لا نخالف مقالك ففى عاجل الحال أمر باحضار الربيع وأخيه عمارة السقيع الذقن الرفيع وهم فى حالة الذل والانكاد ومعهم بقية الامراء الذين قدمنا ذكرهم واسرتهم العجوز بالخبث وفيهم من كان أسر فى هذا اليوم ولما أن حضروا قال لهم طلائع اعلموا أنكم كنتم أنتم وقومكم بلا خلاف قد أشرفتم على التلاف والآن قد فرج الله عنكم بقدوم حاميتكم عنتر الذى لا يحمد بفعاله معكم ولا يشكر وقد فرق عنكم هذه القبايل التى جمعناها وبدد شملها وقتل ا ر امها ونحن أصبحنا فى هذه الليلة خاسرين بعد ما كنا عليكم رابحين ، أهلنا فزعوا على النساء والبنات والاولاد وقد أشاروا علينا بهلاككم أجمعين وبعد ذلك نحصن حريمنا فى الجبال ونرجل وبعد ذلك ننفذ العبيد إلى سائر العربان ونجمع عليهم من السهل والجبل ونفتشهم بكثرة العدد وتزايد المدد فقلت لهم هذا ما لا أطاوعكم عليه لأن أكثر هؤلاء الاسارى ما أخذناهم فى الحرب وما أخذناهم إلا بالحيلة والخداع أن قتلناهم ظلما عادت عاقبة ظلمنا وبغينا علينا وربما يكون بظلمهم تصل الاذية إلينا والصواب إننا نحضرهم ونطلب منهم الذمام الاصلاح فان فعلوا ذلك وإلا بد لنا فيهم شفار الصفاح واطلعنا الحريم إلى الجبال قبل الصباح واعلموا أنى قد أحضرتكم من أجل هذه الأسباب فان أحسنتم الجواب وقلتم بيننا وبينكم العتاب والا ضربنا منكم الرقاب لأن الجارية التى قد أتيتم لاجلها فى هذه البلاد قد هربت هى وولدها وكان مولاها قد سار خلفها ليردها إلى هاهنا فالتقاه بعض أصحابكم وخلصها منه وقتله واليوم هذا قد سمعناه من رجالكم وأنكم ما بقى لكم عندنا طلب لأنكم قضيتم من حاجتكم الأرب ونريد منكم الانصاف أن كنتم من سادات أشراف وإن لم تفعلوا وإلا سقيناكم شراب التلاف قال الراوى ولما سمع واخواته ذلك الكلام وما أبداه لهم طلائع من المرام قالوا أيها الامير ما يحتاج لهذا الكلام فنحن علينا ما طلبت من الذمام ونوفى لك الانعام وهذه أيدينا عنا وعن أصحابنا بالامان والذمام على جميع ما تريد من قبيلك ومن أموالها والحطام ثم قال الربيع واعلم أننى أنا شيخ بنى عبس وكبيرها ومدبرها ومشيرها وهذه يدى لك بالوفا وأنى أرحل عنكم سائر قومى وأنتم تونوا على صفا ثم عاهدهم على ذلك وأعطاهم الذمام وانصلح الأمر بينهم واستقام وقال الحارث

ابن الملك زهير المتعال لا يصح بيننا صلاح الا باطلاق غادر السلال لأن ما فى المروءة إننا نعفى ونخليه فى الاعتقال ولا بد أننا نجازيه على فعاله بالاحسان ثم طلبه من طلائع فاحضره وبحضوره انتظم الأمر بالاصلاح وطابت القلوب بعدما كانت متيقنة بعدم الفلاح وعمارة يقول حق الملك الفتاح إن ضرب الرقاب أهون من خلاصنا بهيبة هذا العبد المرتاب ولكن ما يقدر أحد يعارض رب السموات فقال الربيع اخرص يا عمارة الله يخيب أصلك من دون الاغرة فوحق الذى خلق وقدر لولا أن قدم علينا فى هذا اليوم عنتر ما أمسى من فرسان القبيلة من يخبر بخبر قال الراوى فعند ذلك خلع عليهم طلائع الابراد والعمايم الخزكوفية والابويسمية واركبهم على الخيول العربية وقلدهم بالسيوف الهندية وأعلقهم بالرماح الخطية وأنفذ معهم الملك قيس هدية سنية وسيرهم إلى قومهم فى موكب كبير كلهم بالمناطق المذهبة وكان عنتر ركب ابجره عند الصباح وزحف يطلب الحرب والكفاح ومدحوه الأبطال وهم غائصون فى العدد والسلاح وقد أقبلوا يطلبوا الاعداء بنيات صحاح وركب الملك قيس بقلب ملان بالسرور بالنصر على تلك العرب الاوقاح والرايات على رأسه تخفق بها الأرياح وعنتر ومقرى الوحش ومازن ينادون ألا ما أبركه من صباح فبينما هم يتشاورون على الحرب وإذا هم بالجماعة الذين كانوا أسارى أقبلوا والربيع وعمارة أقبلوا راكبين على الجرد القدح ولابسين الثياب وإلا يرادكانهم تزينوا للدواسم والأعياد ولما رأت بنو عبس زينتهم التى عليهم تمهلوا عن الحملة حتى وصلوا اليهم فداروا بهم من كل جانب وسألوهم عما جرى لهم فاوضحوا لهم الخبر بما جرى وتقدم الربيع بمكره ودهاه إلى عند أبى الفوارس عنتر واعتنقه وقبل صدره وأثنى عليه وقال له ياابن العم مازالت هيبتك تذل أعناق الاعداء ولا برحنا بسيفك منصورين على سكان البيداء والإلابسعادتك قدسببت لنا الاطلاق ومن أجل شجاعتك تخلصنا من الوثائق ثم أنشد الربيع يمدح عنتر يقول صلوا على طه الرسول

أباالفوارس ياذا الجود والكرم ... يامعدن الفضل والاحسان والهمم
تعطى وتغنى لمن وافاك مرتجيا ... وتكشف الضير يوم الروع مبتسم
أوليتنا نعما ما عشت أذكرها ... مثبوتة عند كل الخلق والامم
كشفت عنا العدا لما أحطن بنا ... ولم تزل كاشفا عنا يد النقم
فلا تؤاخذنا بالجهل من رجل ... منا وامسح لنا بالجود والذمم
لازلت اذكر ماأوليت من كرم ... بين الانام فقد أصبحت كالعلم

وأنت وأبذل خلق الله كلهم ... بالجود والخير والاحسان والنعم
وقال ربك ما تخشى وتحذر ... ياأوحد الناس من عرب ومن عجم

قال الراوى ولما فرغ الربيع من شعره شكره عنتر وتبسم وتعجب من خبائثه المخفية فى طى المدح الذى له نظم فقال له والله ياربيع لقد أقررت أعين هؤلاء الكلبيون وقد قطعتنا عما كنا عليه عازمون ولو كنت صبرت على فعالهم ورميت عن قلك مقالهم كنت أغنيتك من أموالهم فقال الربيع وحياتك ياابن العم مافعلت هذه الأسباب إلا ورأيت فعلها صواب من وجوه عديدة الأول خلاصنا مما كنا فيه من الشدة والثانى فزعا عليكم لئلا تبلوا بشىء لم يكن لنا فى حساب لأن القوم أرادوا يحصنوا حريمهم فى الجبال ويدبروا أنفسهم فى شىء لا بد لهم منه وذلك أنهم أرادوا أن ينفذوا عبيدهم إلى قبايل اليمن ويستعينوا بهم على ما نزل بهم من طوارق المحن والوجه الثالث سمعت أن أخاك شيبوب خلص أم مجيد وولدها مما كانوا فيه من الكروب فخفت أن يتفق لهم من يأخذهم ويسير بهم إلى مكان آخر ولم نعرفه فنعود خائبين فقال له عنتر ماقصرت فيما نظرت ثم أنهم عدلوا إلى الملك قيس وأخبروه بما اتفقوا عليه فعند ذلك اتفق الجميع على اجازة ذمام الربيع وعاد فرسان بنى عبس إلى الراحة ذلك اليوم وانفذوا إلى طلائع يعلموه مع فرسانه أنهم قد أجازوا له الذمام ثم أن الملك قيس أمرهم بالرحيل فى اليوم الثانى فهدوا وشدوا وطلبوا ديارهم وساروا طالبين البر الاقفر فرحين بما نالوا من الظفر على يد أبى الفوارس عنتر وعمارة كادت مرارته تنفطر وهو يود لو أنه قتل ومات ولا كان خلاصهم على يد عنتر وأما عنتر فانه قد طالت عليه مدة السفر وأقلقه الشوق إلى الديار وكثرة السهر فتذكر ما جرى له هذه السفرة من الخطر فجال الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فانشد يقول صلوا على طه الرسول :

يادار عبلة قد حييت من طلل ... وزال عنك الشقا والبؤس والملا
ياراحلين وقلبى فى ربوعهم ... وليس ينقل أظعانا لمن رحلا
سقيت ياعلم السعدى غادية ... من الهوى أطل تروى السيل والجبلا
ياعبلة يهنيك جمع الشمل مع بطل ... إذا امتضى سيفه لاينفع الاجلا
ياعبلة قد شاب رأسى فى الحرب ولم ... أخش الفوارس إذا نقع الغبار علا
وقد لقيت بنى عبس بجيشهم ... عرج الجوارح فى القيعان والجبلا
لقيت حسان والفرسان تتبعه ... مسربلين ببيض الهند والاسلا

من كل أشرس لا يخشى النزال ولا … يرعى الذمام إلا من نحوه عدلا
تجرى به سابقات الخيل فى لجج … من الغبار ولا يسترعى البطلا
طعنته فانثنى فى التراب مجندلا … من السنان وقد أوفى به الاجلا
وملت نحو جيوش القوم مبتدرا … تحت العجاج أجد الطعن بالاسلا
ونلت سؤالى وما كنت أطلبه … من سيد القوم لا أستنكف العملا
وعدت أقطع سهل الأرض من شفق … على بنى عبس قوم سادة فضلا
وافيت أرض بنى كلب أطالبهم … بماجرى منهم والقلب فى وجلا
مزقت شجعانهم من بعد ما قتلت … ملوكها ففروا فى السهل والجبلا
أتيت فى الحال لما سرت نحو همو … بعقرى الوحش نعم الفارس البطلا
غدير باعت لاحييت من طلل … لاقيت فيك أمورا ما لها مثلا
وذو الخار أسرنى فى مكادته … وعاد خائبا لما أتقن العملا
وافاه شيبوب سؤلى ثم خلصنى … من الشداد وأنقذنى من العطلا
ياعبلة هل لاسألتي الخيل عن عمل … وقت المجال إذا نقع الغبار علا
لقد عركت صروف الدهر أجمعها … حتى عرفت أجل القول والعملا
ياآل عدنان إن الدهر ذو غير … لم يصف يوما ولا يحلو لمن عدلا
ونجم سعدى على كيوان منصبه … والفرقدان يوافيه إلى زحلا

قال محمد ولما سمعت بوعبس السادات من عنتر هذه الاشارات والأبيات فطربت من تلك المقالات فقال الملك قيس أحسنت ياأبا الفوارس فى هذه العبارت ما أحلى كلامك وما أحد حسامك وما أمضى سنانك فقبل عنتر يديه وأثنى عليه والربيع سائر إلى جانب عنتر وهو يهنيه بالنصر وباخيه الظفر ويهنيه مازن ومازال شيبوب سائر اقدام الجيش إلى أن وصلوا إلى الشعاب ثم شارفوا تلك الأرض والهضاب ولما ساروا قريبا من الرحاب سبقهم شيبوب إلى الكهف الذى ترك فيه مجيد وأمه وبدر بن شكر وأما بدر فانه لما أن وصل إلى ذلك المكان بالسلامه فنذر أن زال عنه همه وغمه جزهم أجمعين بما يقدر عليه فبينما هو فى الكلام وإذا بشيبوب دخل عليهم فوجدهم سالمين وكانوا القدوم منتظرين فبشرهم بسلامة الفرسان القادمين وأخرجهم إلى لقاء الملك قيس وبنى عبس فتقدم مجيد إلى عمه وقد اطمأنت منه النفس فحين رآه الملك قيس وبنو عبس تذكر أخاه مالك فبكى كل من كان حاضر ودار بينهم الوجد والاشتكا ثم أخذه وضمه إلى صدرة وفعلت سادات بنى عبس مثل

مافعل اجلالا له ولقدره وقد أمعنوا النظر فى صورته فرأوه يشبه أبيه الامير مالك وخلقته وخيل لهم أن مالك عاد إلى الحياة ففرح به كل من رآه وأما عنتر فانه أخذه وضمه إلى صدره وبكى حتى كاد أن يغشى عليه وصار كلما قبله انهمر دمعه من مآقى عينيه إلى أن بل الثرى ولما فرغ عنتر من تقبيل مجيد دعا له بكسوه فاخرة وفى عاجل غير ما عليه من الملبوس وقد ارتاحت برؤيتهم النفوس وصار كأنه من أولاد الملوك وقد استراح وصار عند أهله عزيزا مكرم بعد ما كان عند من لم يعرف قدره فسبحان الاله العزيز الجبار المتكبر الذى يفعل فى خلقه ما يشاء ويختار وأيضا أكرموا أمه وأفاضوا عليها من أحسن الملبوس وصرت بينهم جليلة المقدار وشكروا بدر بن شكر وأقام الملك قيس فى تلك الليلة ولما كان من الغد ركب القوم وساروا طالبين الأرض البلاد وعنتر أركب مجيد على جواد من خيار جنائبه وانتشرت على رأسه الرايات وهو يهنى أهله وأقاربه وتمثل عنتر بخدمته وصار لا يشبع من رؤيته ومن شدة فرحه به قال لعمه الملك قيس أنى اشتهى منك أيها الملك أن تبلغنى مرامى وتدعنى أترك مولاى مجيد عندى وان أجعل خيامه إلى جانب خيامى لأنك تعلم أننى ما رزقت ولدا فى طول عمرى فاننى أشتهى أن أجعله بمنزلة ولدى واحكمه فى كل نهى وامرى ويقوم مقامى لعلى أن أكافىء أباه مالك بعد وفاته على بعض ما أولانى من الجميل فقال له الملك قيس قد أجبتك يا أبا الفوارس إلى ما طلبت لأننا كلنا بسيفك وبك نستعز على كل من فى الدنيا وقد أعطيتك كلما أردت وما رضيت ثم ركبوا وجدوا فى المسير ليلا ونهارا إلى أن قاربوا من المنازل والديار فعندها سبق شيبوب إلى الحلة فى زى بشير وقد جد فى المسير والتقى المقيمون بالقادمين وقد حدثوا بعضهم بما جرى لهم فى بلاد اليمن من الأمور والأسباب وما لاقوا من الحروب فى تلك المدة التى هم فيها غياب فعندها ركب عروة بن الورد فى رجاله الاجواد وركبت فرسان بنى قراد وفى أولهم أبو عنتر شداد وكان سداد اشتاق إلى رؤية ولده مازن لأن أمه كانت حدثته بحديث لما أوصلها شيبوب اليه فى تلك الاماكن وأعطاه العلائم من غير تهاون حتى أنه فضلها على زوجته سمية وصار يستفيد منها الحديث على جثيته ثم يسألها كيف أنه نشأ فى قومه ويتلذذ بقصته ويشتاق إلى رؤيته حتى أتى شيبوب إلى المضارب فى زى بشير وعلمت به أهل القبيلة وسارت الفرسان إلى لقائهم والتقاهم الملك قيس وأحسن ملتقاهم وما بقى أحد إلا ندم وعانق مجيدا وقبله وعظم قدره لاجل أبيه قال الراوى وبعد ذلك أقبلوا إلى مازن ودنوا منه وسلموا عليه وعانقوه وشاوه شيل ونظره أبوه فاشتد به ظهره وأعجبه حسن سورته فعظم عنده قدره وعانقه وعاد الجميع وهم

فرحى بزيادة العدد مستبشرين بزيادة المدد ولما قاربوا المضارب والخيام وذلك المكان خرجت النساء والاماء والمولدات وفى أيديهم قطع الخلوف والزعفران وقد رفعن أصواتهن كالن بالصياح والافراح فارتج البر من عطرهن وفاح وأن عبلة تقدمت إلى أم مجيد وأخذت زمام ناقتها إلى أبياتها واجتمعت أهل الحلة بساداتها والفرسان ودخلت إلى خيامها واجتمعت بنسائها وأحبابها وكان لهم يوم أحسن من أيام الأعياد لأجل عودتهم من سفرتهم وبلوغهم المراد وفى عاجل الحال أمر عنتر عبيده فضربوا لمجيد قبابا من الديباج المطرز بالذهب الأحمر وقدمت له المقدمة الخيول المسومة ومن الغد أتى اليهم بنو غطفان واجتمعوا بتلك الأماكن وصاروا يهنون القبيلة بظهور مجيد ومازن وقد عملوا لهم الولائم والدعوات ونهبوا معهم أوقات المسرات ولما تمت التهنئة جمع عنتر العبيد والرعيان وقال لهم أنتم وكل ما فى يديكم من النوق والجمال لمولاى مجيد بن مالك يتصرف فيهم كما يتصرف فى المملوك المالك فاجابوه بالسمع والطاعة قال الراوى وكان عنتر فى كل صباح يدخل إلى مضرب مجيد يتفقده ويطل عليه ثم يتحدث معه ويقبله ويقدم له الجواد ويركبه ويسير هو واياه إلى الصيد والقنص ويشتق به على المناهل والغدران ويفرجه على كل ما كان ويبارز بين يديه الفرسان ويطالعه على بواطن الضرب والطعان وأهل الحى يتعجبون من مروءته مع مجيد ومودته وكان مجيد كامل الصورة زايد الجمال خياء أهل القبيلة كان كل بيت عبر اليه تخرج البنات والنساء ويدورون من حواليه من سائر الجهات ويسرحن له ناصيته ويحملنه ويكثرن فى اهابه مالم يزل لهم بهذه المعال حتى زاد به العجب والدلال ويجلس مع البنات بالليل والنهار ويطارحهن الأخبار وعنتر يعلم بذلك ولا يعتبه بل يطلب بذلك فصاحته وتهذيبه لأنه فى مذهب العرب وسيرهم أن الصبى إذا خالط النساء والبنات وسمع حديثهن اشتد خاطره وانطلق بالشعر لسانه فكان عنتر إذا سمع عنه ذلك يعرض عنه ويقول دعه يفعل ما يحب ويختار ومجيد ينشد مع البنات ثم أنه يعمل لهم الدعوات والليالى تمضى عليه والأوقات إلى أن توسلت منه الاوصال ومازج طباعه طباع الرجال فصار يقسم الزمان باللذات والاغتنام ويضم الأوقات والأيام فيكون يوما مع بنات الحى فى انتهاز الفرص ويوما يكون مع زهير بن الملك قيس عمه فى عز واكرام يكون مع سبيع اليمن بن مقرى الوحش يشرب هو واياه المدام ويخرج مع البنات والنساء إلى المروج ويتفرجن على الروابى وقد اعتاد بينهم على الدخول والخروج قال الراوى وأن الملك قيس قد اتفق له فى بعض الأيام أنه ركب وصار ودار على المنازل والغدران

وأوسع فى أراضيه ودار على مراعيه بين تلك الروابى والآكام فرآها مخضبة النبات وهى مخضرة الجنبات ريانة المياة فشكر رب الأرض والسموات وبعد ذلك أوسع فى طلب الصيد فرأى ركبانا سائرة وظعنا عابر إلى تلك الأرض والبيدا فاقبل على بعض بنى عمه وقال له يا نائل اعترض هذا الظعن القابل واسألهم عن حالهم وإلى أين هم سائرون بأموالهم وعيالهم ومن أين هم مقبلين فعند ما أطلق نائل عنان جواده وركض حتى أنه قارب القوم فلما أن رآه القوم وهو طالبهم فى بُعد وارتياب وابصروا رايه الملك قيس العقاب فقال بعضهم لبعض هذا الملك قيس سيد بنى عبس وعدنان وهذا رسوله أتى الينا ليسألنا عن قدومنا إلى هذه الديار والصواب أننا نلتقيه ونسمع كلامه وأن اتفق الأمر نزلنا إلى هذه الأرض تحت زمامه ثم خرج من بينهم شيخهم المشار اليهم فيهم وحوله جماعة من أكابرهم وساروا إلى أن التقوا بنائل لخباهم وسلم عليهم وقال لهم من تكونوا من قبائل العرب لان القوم الكرام تجب أن تنتسب فقال له الشيخ يا وجه العرب نحن من بنى بشر بن جهينة بن قتيان وقد أتينا من ديارنا إلى هذا المكان نطلب الضيافة والأمان من هذا الملك العظيم الشأن سيد بنى عبس وعدنان لأننا قوم قد قصد بنا الزمان وأمحلت بلادنا أى محال وقل حظنا من الأصدقاء وبلينا بكثرة الأعداء فلما سمع نايل منهم ذلك القول وفى قلبه اهم ولز وقال أبشروا ببلوغ الآمال ونيل الأمان وسعة الدار ولمساعى الرى وكثرة المراعى ثم أن نايل بعد ذلك عاد إلى الملك قيس واعلمه بذلك الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وله شكر وقال الحمد لله الذى بلادنا أخصب البلاد وأوقع هيبتنا فى قلوب العباد ثم أنه قال لنايل عد اليهم وأدع شيخهم إلى عندى حتى أنى أسمع منه ما يقول وأعرف ما يعيد وما يبدى فعاد اليهم نايل وقال لهم يا وجوه العرب الكرام قولوا لشيخكم يأتى إلى الملك قيس ويطلب منه الزمام لانه طالبه ليكرمه غاية الاكرام فعند ذلك خرج الشيخ وقد فرح ببلوغ المرام وكان ذلك الشيخ اسمه ومناخ الحيا وكان طيب الكلام وأخذ معه جماعة من وجوه قبيلته وأكابر قومه وعشيرته وقد ساق بين يديه قطعة من النياق والجمال والمهارى والخيل العتاق وسار حتى أنه وصل إلى عند الملك قيس وترجل وترجل بنو عمه وتقدم بين أيديهم وقبلوا الأرض بعد ما حيوا بالسلام فرد عليهم الملك قيس السلام بالتحية والاكرام فعندها قال الشيخ أيها الملك الهمام والأسد الضرغام هل فى دياركم مربع وفى جاركم مطمع فقال له الملك قيس والله يا وجه العرب أبشر ببلوغ الآمال ونيل الأرب وحسن الجيران والرحب والسعة والكرامة وطيبة الماء والمراعى والذمام من كل ما على وجه الأرض ثم أن الملك قيس أخذهم وصار بهم إلى خيامه وأوعدهم بكل جميل وأشملهم بالخير وأدخلهم كما أراده تحت ذمامه وأنزلهم

فى أرض واسعة ومراعى مخصبة يانعة ومياهها دافقة وأرض بهجة وقال لهم ياقوم أضربوا خيامكم فى هذا المكان حتى تكونوا لنا جيران وتتخذكم لنا مسعفين وأعوان فنزلوا فى ذلك المكان وفعلوا ماأمرهم ومافيهم الامن فرح واستبشر واوحمد الملك قيس وله شكر وطاب لهم المقام وساروا فى كل يوم يأتوا الى خدمة الملك قيس فى جملة من حضر وكذلك من أجل السلام على أبى الفوارس عنتر وساروا يأكلون معهم ويشربون وكانوا يفعلون ذلك مساء وصباح وقامت بينهم الأفراح وكان هناك غدير ماء يسرح وإلى جانبه شجرات أتلى تلقح ومن دونها مرج واسع أفيح فكانت النساء يجتمعون فيه والبنات والصبيان وبنات بنى بشر وبنات بنى عبس كانوا يتحادثن ويلعبن مع بعضهما البعض على الغدير وبعد ذلك يرجعن إلى الأبيات وهى فرحى مسرورات وكان مجيد يأتى اليهن ويلعب معهن ويناشدهن الأشعار ومافى البنات إلا من تطيبه من طيبها وتناديه وهو بينهن وكان لسيدمن بنى بشر بنت يقال لها أسماء وهى أحسن من الشمس والقمر وكانت تروى عن العرب أخبارها وتنشد أشعارها ووكانت تسبى العقول بجمالها وآدابها وقد سمعت ماجرى لبنات عمها من عبس على الغدير وبما يجرى لهن من مجيد بن مالك ثم يتعابدن ماسمعته من فصاحته ومقالته فعند ذلك لما سمعت اسما منهن ذلك الكلام فى حق مجيد اشتاقت الى نظره والامتحان فى الأشعار معه وتختبره فقالت لبعض الأموات ويلك انى أرى فى يوم تخرجن البنات إلى الغدير ويتفرجن هم ومن يأتى من النساء وبنات العبسيين السادات ويمدحن مجيد بن أخى الملك قيس وله يصفون ويذكرون عنه أنه يقول الشعر الموزون وقد زعمت ان فيه آداب وفنون وأننى كما تعلمون أنا على ألفاظ العرب التى يلفظ بها من هو غير مستحقها وبغير منها ألفاظها والآدب وأننى غداة غد أخرج إلى الغدير مع البنات وأتفرج معهن ثم أنها بعد ذلك استأذنت أمها فى الخروج إلى الغدير مع بنات عمها فاستأذنت أبيها فأذن لها فأرسلت إلى أترابها وأعلمتهن أن يأتين عند الصباح إلى عندها ويأخذونها معهم إلى الغدير فأجابوها إلى ذلك القوم ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قامت اسما من منامها ولبست أفخر ثيابها وعملت الاكليل على جبينها ثم أنها تطيبت واشتملت بملاية منامها وخرجت مع بنى عمها وسارت هى بينهن كأنها القمر المنير إذا صحا فى ليالى الشتا والبنات من حواليها كأنهن النجوم الزاهرات ولما وصلت الغدير فتمشين بجانبه وتفرجن على زهره ونباته فما كانت إلا ساعة حتى أنت البنات العبسيات وأقبلن من أطراف المضارب مثل الظبا السارحات واجتمعن مع البنات البشريات وقد رأين إلى أسما وهى فى جملتهن وهى بحسنها تتباهى فتعجبت من حسن قدها

وتوريد خدها فعلمنا أنها بنت سيد العشيرة وقد لحقهن من إشراق وجهها الانبهات والحيرة فرحبن بها وسلمن عليها وما فيهن إلا من ضمتها إلى صدرها وكشفت برقعها وقد قلن لها والله لقد أشرقت منازلنا بنور وجهك يا أسما لأن رب السما قد أعطاك الحسن والجمال أوفر قسط فقالت لهن والله إن لم أحببت الخروج من الخبا ولا ارتاح قلبي الى نظر ربيع والأماه ولا اشتهيت أن أخرج إلى البطاح والآكام وإنما كان خروجي لما سمعت بنات عمي يتواصفن ما فيكن من المزاح وما يتم بينكن من المسرة والأفراح فاشتهيت الخروج معهن الى هذا المكان والفرجة على الغدران وسمعت أيضا أن لكن غلام من أولاد سادتكن يألف الحديث معكن وينظم من الشعر أبيات ثم يتكلم على ما قالوه أهل العبارات ويدعى بتعجبه أكثر معانيه وأنا والله أغار على كلام العرب إذا تغير وانفسد وخالط كلام من لا يدرى قول ولا عذر وقلت هذه الأشياء فيها ما يعسر وما يسر لأن كلام العبد ما يقاس بكلام الحر وما ارعيت بذلك علما ولكن الله تعالى جعل هذه الأشياء بخاطري واشتهيت أن أجتمع مع هذا الغلام وأمتحنه في شيء من الشعر والنظام وأنظر ما أعطى من كرم الطباع وأنظر إذ كان نظر العين يغني عن السماع وإن يكن اليوم على يختفي يأبى الحضور ويعيقه على أمر من الأمور ولما أن سمعت البنات هذا المقام السالم من العيوب ارتحن اليه ثم قالت لها إحداهن والله لقد حظينا من جمالك بالمعاني ونلنا برؤيتك في هذا اليوم الأماني وأما جيد فهذه أوقات حضوره واعلمي أن ما له شيء يعيقه في أموره وإن أعاق أنه ذنا خلفه بعض الأموات ونحضره اليك حتى أننا نتفرج على ما يتم بينكم في هذه الخلوات فوحق اللات والعزى ما بقى لنا صبر على سماع كلام ولا تفرغ قلوبنا إذا لم تهب علينا نسيم أنفاسك أما تقوليه على البدلية وأما مضى تشكوني قبل ذلك اليوم ذكرتيه فتبسمت عند ذلك أسما وقالت أما هذا شيء مضى فما يحتاج أن يعاد ويذكر غير أنكم تطلبوا شيء على البدلية لم يكن قيل في غير هذا المحضر فقالت لها المتكلمة صدقت وأنا قد أقسمت عليك بأبيك وحياته أذكري لنا هذا الغدير وحسن نباته وفرجتنا ومشينا على جنباته ووصفي فيه قدنا وخدودنا وعيوننا ونهودنا وملبوسنا ويكون هذا اليوم على وجهك المليح وطيبة تيشنا بك في هذه الأيام فلما سمعت أسما ذلك الكلام ازداد تبسمها وأعجبها الكلام فعندها أنشدت ورجال الشعر على خاطرها وأنشدت تجعلت تقول

نحن نحكي الزهور حول الغدير … وغصون لبس مثل البدور
ورياض له إذا الروض ولى … وشكى نبته سموم الهجير
وكذا أرضه قد أضحت تحاكي … جنة عند فقده المنثور

كان عدبا ونحن زدناه شهدا ... برضاب مبرد فى الثغور
وتثرنا ورد الخدود عليه ... وعقونا قلائد فى النحور
وفضحنا ميل الغصون بلين ... زائد فى بدر نار الخصور
ياقومى قد هدين ثقل رذى ... وبياض منقط بالعسير
وشغلنى جمالكن عن الشعر ... ثم عذرى قد بان فى التقصير

قال الراوى فلما أن سمعت البنات هذه الأبيات طربت لها ومالت النسوان والبنات من هذه المقالات وما فيهن الا من اشتهى مجيدا ان يحضر فى هذا المقال حتى يتفرجن على ما يجرى بينه وبين الجارية أسما ويسمعن منهما فبينما هم على ذلك الحال الا ومجيد قد أقبل وهو راكب على جواد أدهم وعلى رأسه عمامة لطيفة وهى مقصبة بطرازات الذهب وقد ردفاضل عدبانه على كتفيه وقد تقلد بسيف على بالجواهر ينقط من يراشقه وكان ذلك السيف أعطاه له عنتر لما خلصه من أرض اليمن وإلى عندهم حضر وكان لا يقدر على مثله قبائل العرب وكان فى ذلك الولد رأى وأدب الا أن الجوارى لما رأينه والنساء والبنات أقبلن يتعادين اليه وفرحن به وسلمن عليه وقلن له أهلا وسهلا بوجهك المبارك فنحن وحق الاله العظيم كنا كلنا فى انتظارك لأننا وقعنا بين تشابهك فى الملاحة وتضاهيك فى الشعر والفصاحة ولولا أتى بك الزمان لنا فى هذا اليوم لكنا أشبعناه ذم ولو فتبسم مجيد من عذوبة كلامهن وترجل اليهن ووقف من قدامهن ففهمن له الجوارى البشريات إجلالا وكذلك الجارية أسما وقفت بينهن وهى فى وسطهن تزهو عليهن جمالا وتمايل على بنات عمها عجبا ودلالا فعلم مجيد أنها هى وصفوها بنات عمها وطلبوا منه ان يسمعوا نظمه ونظمها قال عند ذلك قلبه اليها وقد لعبت بعقله لما أن نظر الى سواد عينيها وبهت لها فصار يتامل فى معانيها ويتمايل عجباً وصبابة فيها فأنشد شعر :

سلام على من جاء وزار فاشرقت ... بهم أرضنا حتى انجلى ليلها عنا
وأهلا ببدر زار من غير موعد ... وقد أتعب القلب المعنى ولاعنا

قال الراوى ثم قال لها عجب ياحبيبة القلب ولله دركيف قد زرتينا من غير ميعاد وأنا أسأل رب العباد أن لا يجعل بعد هذا اليوم بيننا تلا ولا بعاد فعناها تبسمت أسما من مقاله وقد نمعنت إلى حسنه وجماله وقد ردت عليه سلامه ومقاله وقد اشتغلت بفصاحة ألفاظه وحسن فعاله ثم أنها قالت له وأنت حياك الله ياوجه العرب من عبس وعدنان وريحانة شملت كل إنسان والله لولم يجمعنى بك الزمان لكنت زدت صبابة مدى الدهر والازمان لأن بنات

عمى قد هيجن إليك أشواقى بما قد وصفن عندى أرادوا بذلك احتراقى وقد ثقب وصفهن حميم قلبى فخرجت اليوم إلى هذا القدير لافرج همى وأزيل برؤيتك كربى وأنظر إلى حسنك وجمالك واختبر ماقالوه من فصاحتك ولما أن رأيت إلى حسنك فرأيت فوق الذى وصفوه ونشكر الله على ما أولانا من الاجتماع وأرى قلوب بعضنا على بعض قد ارتاحت وأسفنا بما فى الضمير قد باحت فقل ما شئت وخذ الجراب وتزه خاطرك قبل الخطاب فقال لها مجيد انطق بما شئت يا قمر النساء وغصن الاراك واعذرى من قل عقله وتبلد خاطره لما رآك وقد عدم قواه ونشاطه والحراك فقالت له أسما صدقت لاننا ما كنا على بالك ولا كنت مستعد إلى أقوالك فاسمعنا فى هذا الوقت بما قد حوته الصدور وإن عجزت عن الجواب فانت فى ذلك اليوم معذور ثم أنشد يقول

ياشمس عبس من السادات والكبر	اسهرت طرف فتاة قط ما سهرا
لانى ما رأت عينى ولا نظرت	مثال حسنك لا فى البدو والحضرا
خيال طيفك أن زار الحجب غدا	أسير ويرى من خونه سحرا
وميت عاد حيا بعد ما بليت	عظامه وبراه الشوق وانـثرا
قتيل هجرك يحييه الوصال وأن	جدرت عنه بواء السقم وانقبرا
القوس منك التى ترمى بلا وتر	وسط القلوب بنبل يسبق القدرا
وهى حاجباك التى ترمى مقاتلها	وما يرى سهمها أبدا ولا وترا
وصارم يقطع الاوصال مضربه	ونصله فى صوان الغمد ما ظهرا
سيوف لحظيك تهوى وهى مفحدة	إلى القلوب فلا تبقى ولا تذرا
أما المدام التى ما داسها قدم	ولا رأت مذ نشب شمسا ولا قمرا
سلاف ريقك يا من لاشبيه لها	إذا ترشفه الصاحى فقد سكرا
من لؤلؤ وعقيق كاسها ولها	در تكلل بالياقوت واشتهرا
هذا جوابك يا أسما وقد سمحت	به الخواطر فلا تلمى على فقرا
واستغفر الله من ذنبى ومن ذللى	ومن الخطايا وما قدمت وزرا

قال الراوى ولما أن سمعت أسما من مجيد جوابها وما أبداه لها على خطابها هدى قوامها وزاد ابتسامها وقالت له والله أنك عذب الكلام وفصيح فى الشعر والنظام وقد طربت فى ذلك اليوم البنات العبسيات والبشريات لما طابت لهن المنادمة فى تلك الخلوات وقد قعدن على جانب القدير يذكرن كل العرب وقد لحقهن الفرح والطرب وما فيهن الامن عادت يخطف من يد مجيد وتنهب وقلب مجيد إلى أسما يتلهب وكذلك أيضا قد إشتغلت به

فصارت لا تأكل ولا تشرب بل تناشده الاشعار وتورده موارد الأخبار حتى تقضى أكثر النهار وعول على الارتحال وقد تواعدن أنهن يأتين عند الصباح ومافيهن إلا من ضمت صاحبتها إلى صدرها وجعلت نهودها على نهودها وكانت أسما من تصيب مجيد

ما زال ذكرك حتى شفنى كمدا — وعند لقياك زاد الهم واشتهروا
لأننى مارأيت عينى ولا نظرت — سيفاً تقلده من يشبه القمرا
ياحامل السيف خلى حمـــلة فلنا — من جن عينك سحر يصدع الحجرا
واسمع فديتك أبيـاتاً وفسرها — كما يفسر قول الشاعر الشعرا
ما نائم صـــار يقظانا فأوثقه — شدا وما راعه خوفا ولا انذعرا
وميت عاد حياً بعد ما بليت — عظامه وفاجأه الشوق واندثرا
وماهى القوس إذ ترمى بلا وتر — وسط القلوب بنبل يسبق القدرا
وصارم يقطع الأوصال مضربه — ونصله من صوان الغمد ماظهرا
وما المدام الذى ما داسها قدم — ولا رأت مذ نشب شمس ولا قمرا
من لؤلؤ وعقيق كاسها ولها — در تكلل بالياقوت واشتهرا
فبين الآن معنى ماســبقت به — ولا تلم خاطرا قد تاه واقتصرا

قال الراوى فلما سمع مجيد مقالها اشتغل قلبه بجمالها وقد تاه باله فى حسن معنى دلالها وقال والله يا أسما انك تشغلى الخاطر عند الكلام ومن نظر وجهك وهام فما عليه حرج ولا ملام ولابد أن أجتهد فى التفسير وأطلب منك العفو فى التقصير ثم أنه اتكأ على حسامه وباح بما عنده من كتمانه وغرامه ولما أن تمكن العشق من خاطره باح بما كنت عليه ضمائره وأجابها على توانى مقالها يقول

ماجال طيفك ياأسما وما خطرا — الا وجدت لها بين الحشا ضررا
ولا خطرتى دلالا عند عتبك لى — الا أحببت فغيب البان قد خطرا
وقد تحكمت ياأسما على رجل — ماذاق طعم الهوى يوماً ولا سهرا
وقد سألت سؤالا سوف أذكره — مادام لى رمق أسمع به وأرى
ما نائم صـــار يقظانا فأوثقه — شدا وما راعه خوفاً ولا انذعرا

قال الراوى فلما سمعت أسما تلك الأبيات فعانقته وألصقت جسمها الى جسمه وقبل بعضهم بعضاً تقبيل أهل الهوى وافترقوا بعلة مالها دوى ولما سار كل منهم بعدو داعه إلى صاحبه بخيامه هجر منامه ولا أكل طعامة ولا صدق بالصباح أن يصبح ويعود إلى ما كان معتى أنهم يحضروا إلى مكانهم المعهود ولما طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح خرجوا إلى البر

والفضا وكان اجتماعهم مثل اليوم الذى مضى وتقدموا وسلموا على بعضهم البعض لما اجتمعوا وصاروا يمرحون فى تلك الأرض والفلا اجتمع مجيد بأسما وسلم كل منهما على صاحبه وفعل كما يفعـــل المحب بمحبوبته واعتنقوا بعضهم البعض وما زال من بينهم الفلا وقد تحادثا حتى تضاحى النها وعلا فعندها قالت أسما لمجيد أسمعنا شيئاً من أشعارك ولذذ مسامعنا وخفف بخطابك فقال مجيد سمعاً وطاعة يا أسما ثم أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

سلامى على كل من سادا الملاح — ومن قوامه قلق غصن الرماح
جاذب قلوب الخلق من لطفه — ولينه حاول السخا والسماح
اهيف ظريف الكل حلوا الما — وثغره النسام مثل الاقاح
من أخجل الأغصان من قده — إذا جرى بالميس نشره قد فاح
يحكى نسيم الروض من لطفه — وسيره يحكى هبوب الرياح
وبعـــده ملا فؤادى ضنا — والدمع عن عينى باخل ساح
اخجل مهاة الريم من جفنه — اكحل ولحظه مثل حد الصفاح
من كثرة هجرانه سلا مهجتى — ولم يمل قلبى لكثرة الجراح
زاد الهوى فى مهجتى ذا الرشا — بالحسن قد افتن جميع الملاح
سؤالى منا قلبى عزالى الحما — مياس رشا احور جبين الصباح
وجهه كبدر التم ظبى الفلا — من طلعته بالنور أشرق ولاح
قد حار نظم الدر فى ثغره — خمرة سلافأفيه قوّمـــوراح
يا غايتى يا ظبيى يا فاتنى — انى على وصلك كثير النواح
فاسمح وصلنى زاد غرامى كما — زاد الجفا منكم فما ذا صلاح
يا كنز يا بهجة ويا روضة — يا منهج العشاق وأهل الصلاح
إن زرتمونى بالوفا ساعة — أو تنعموا بالوفا الهم ولى وراح
إن كان لى ذنب جرى خبروا — فاعينى بالدمع أمست قراح
فانفذوا بالله من ذا الجفا — البعد والهجران وجد بالسماح
بأبى قبيس والمشعرين والصفا — بمن أنار الفجر ضوءه ولاح
رب السموات العلى العظيم — يلطف بنا عند المسا والصباح
بالمصطفى المختار خير الورى — الهاشمى نوره أضاء الصباح

قال الراوى ولما فرغ مجيد من شعره والنظام طربت النساء والبنات وتمايلت أسما عند

ما سمعت ذلك الكلام وقد أعجبها وازلت محبة مجيد فى قلبها وقالت له والله انك فصيح اللسان وبديع الحسن والجمال وقد لعبوا وانشرحوا ومرحوا وبعد ذلك قالت اسما لمن حولها كنا نريد الساعة فى هذا المرج الأفيح لارآ تتأجج وتفلح وعليها من لحم الفصلان المشرح أو سويق ونأكل منه ونلعب ونفرح والسريق فى لغة العرب هو لحم سنام الجمل إذا شوى على النار وفاح فلما سمع مجيد كلامها تبسم وقال هذا شىء قريب ثم قام من عندها واهتم وقصد إلى المراعى التى هى بحرمة أعمامه مهيبة ولما وصل إليها وإذا هو رأى لعمه فيها جمالا تسرح ونوقا تمرح وفصلانا تموج لان رعاة الملك قيس على الدوام تكون أقرب من غيرها من الخيام الآن مجيد لما مضى إلى نحو المراعى وعليها قد أشرف فرأى نوق عمه الملك قيس بما عليها من الشحم لا تكاد توصف وكانت ألف ناقة فى ذلك المكان غير ما يتبعها من المهارى والفصلان وهى من سمنها تنجلى وتتمخط وقد فاقت على أموال الحى بحسنها من حولها فما رأى فيها أحسن من فحلها وكانت بنى عبس به تفتخر وتسمية الاصهب قد شاع ذكره بين قبايل العرب لانه يلقح ألف ناقة فى كل عام ولا يتغير ولا يضعف له سنام وما كان له فى ذلك الزمان مثال الافحل فى داخل بلاد اليمن يقال له غيها وكان من الفحول الثقال وبهذين الفحلين ويضرب الأمثال وإليهم كانت تنسب النوق والجمال فلما دار مجيد من حول تلك النوق رآهم قدامه فرأى الفحل الذى يسموه الأصهب فاعجبه سنامه وقال مثل هذا اشتهت اسما ودنا منه وسل حسامه وضربه فارمى رأسه وفور منه السنام وأرماه الى الأرض وشق جلده وخلصه من بعضه ثم أخذه وسار وقصد بعض الأشجار وقطع منها غصنا وعاد إلى الغدير وألقى ما معه بين يدى أسما ولما رأته مطيعا لامرها فرحت فعندها أمرت الاماء ان تضرم النار ففعلوا ما أمرت ولما أن هدت قام مجيد يشوى بيده من السنام وقد زاد وهيج واضرام وقد رأى ذلك أحب الأشياء ودارت جميع البنات حواليه وصاروا يشوروا ويأكلوا وقد ثار قتام النار وفاحت الروايح وصار مجيد يلقم أسما تلقمه وهم فى لعب وانشرح على جانب تلك الغدير قال الراوى فبينما هم ذلك الحال وإذا بعبيد عمه وانتبهوا لما شموا تلك الروايح وتواثبوا إلى النوق يتفقدوها فرأوا الفحل الاصهب منحور وهو على الحالة التى تركها عليه مجيد فعظم عليهم ذلك وقد زاد منهم مصابهم وحل الاتباك فلطموا على وجوههم وخافوا من الهلاك وانهم من خوفهم على انفسهم أشرفوا على العطب ونادوا بالويل والحرب ولما انهم رأوا دم الفحل طرى وهو على الأرض يجرى فتبعوا أثره وهم بذاك الجمع الكثير حتى إنهم

وصلوا وهم مهرولين إلى الغدير فوجدوا النار تضرم وقودها وبجيد جالس عندها يقلب قطع اللحم عليها فعند ذلك زاد نداءهم وقالوا له يا مولانا ما هذه الفعال التى فعلتها معنا والله لقد حان هلاكنا وضرب رقابنا بتجرؤك على هذا الفحل الاصهب الذى عقل عمك به مغلق فياليتك كنت علمتنا حتى كنا أتيناك بما شئت ولا كنت عقرت ذلك الجمل الاصهب وسعيت فى ضرب رقابنا بهذا السبب لانك لو كنت عقرت ألف ناقة وتركت الفحل الاصهب ما كان عمك يحمل من ذلك هم ولا يعتريه غضب ثم أن العبيد لحوا عليه بالكلام فخجل من الجوريات فقام على حيله وسل حسامه وطلب العبيد وهو ينادى يا أولاد اللئام إلى كم تطيلوا هذا الكلام ولما أن رات العبيد إلى ذلك هربت من قدامه خوفا من سيفه ولم يزالوا منهزمين إلى عند الملك قيس طالبين وهم على وجوههم لاطمين إلى الملك قيس فلما رآهم على تلك الحال قال لهم يا ويلكم ما حالكم فاخبروه بعقر الجمل الأصهب والأمر فيه قد فرط وذهب فلما سمع الملك قيس منهم ذلك الكلام خرج وقال لهم ياويلكم من هذا الذى تجرا على مثل ذلك الأمر أخبرونى به حتى انى اتركه على الأمر بجندل ولحمه للطيور ماكل ومنهل وقد زاد به الغضب فازرقت احداقه وزاغ منه البصر وانقلب فقالوا اعلم ياملك أنه ماتجرأ على هذا الأمر المتدارك إلا بجيد بن مالك هو الذى فعل ذلك وكنا نحن نيام فى المرعى ولما اتيها شممنا روائح اللحم على النار وهذه قصتنا والأخبار قال الراوى ولما سمع الملك قيس ذلك الكلام التفت إلى من حوله من العبيد والجبابرة وقال لهم ائتونى بابن أخى بجيد ولا تخشوه فتجارت العبيد نحو الغدير أفواجا وقد تتابعت إلى عند بجيد أفرادا وزواجا قال الراوى وكان بجيد لما أتو إليه العبيد فى الأول وعاتبوه على عقر الجمل وسل سيفه وقام إليهم فتهاربوا من بين يديه وأوسع خلفهم فى البر وكان منهم من عزت روحه عليه ولما فاتوه عاد وهو يهمز همزات زائغات فلم يجد فى ذلك المكان من البنات أحدا وجوانب الغدير منهم خاليات وكلهن ساروا وقد يطلبون الابيات خوفا من الفضيحة والعار فلما عاد ما رأى منهم أحد ضاق صدره لذلك وصار وقد قعد وهو مرتبك فى أمره وقد جرت دموعه على خديه فبينما هو على ذلك وإذا هو بالعبيد قد أتت إليه وهم الذين قد أرسلهم له عمه فرأوه جالسا وهو باهت ويبكى وقد زادهمه وغمه وهو غائب لا يعلم أركان فى أرض أو فى سما من أجل فقد محبوبته اسما فداروا به العبيد من كل جانب ومنهم من تقدم إلى بين يديه وقالوا له يا بجيد أجب عمك لانه قد أمرنا باحضارك وان عصيت سقناك إليه بغير اختيارك فقام معهم وهو مثل

المسحور ما يعلم قدامه ولا يدرى من شدة ما جرى عليه ابن يضع أقدامه وقد مضت عزة نفسه واهتمامه لأن الذى كان جسره على سل حسامه هو عشقه وغرامه ولما أن سار مع العبيد أصلوه إلى بين يدى عمه قيس وقد قسى عليه وشتمه وقال له ويلك هل ضاقت عليك الدنيا فما وجدت ناقة ولا جمل الله لولا خوفى من مذمة العرب لكنت أسقيك هذا الشراب العطب والخزى مثل ما نحرب الأصهب بلا سبب قال الراوى فعندها بكى بجيد وقد انهلت عبرته وصار يكفكف من على وجناته دمعته ويمسحها بطرف عمامته ولما زاد به الحال فاشار إلى عمه وجعل يقول .

ياعم كن عادلا فى الحكم وانصفنى	ولا تزل فيغشا بجدك الزلل
ما مالك بنى زهير قد زعمت أبى	فكيف تشتمنى والحبل متصل
ضيعت ماشيدت كفاك من حسن	إلى اليتيم الذى ضاقت به الحيل
أنا عقرت بجهلى عندكم جملا	فكان ظنى بانى منك احتمل
ياعم قل اننى ضيف ألم بكم	والليل معتكر الاذيال منسدل
وليس عندكموا شاة ولا جمل	ولا دقيق ولا سمن ولا عسل
وقد نحرت لكم تحت الدجا جملا	بغير علم وكان الاصهب الجمل
فهل لكم تقتلون الضيف من حنق	وتكسبون مذمات الذين خلوا
أو تسمحون بما قدكان من زال	كما تسامح أهل الفضل إذ عدلوا

قال الراوى فلما سمع الملك قيس هذا المقال من ابن أخيه زادت نيرانه اشتعال وقال له ويلك ما كنت غنى عن هذا الأمر العسير وما كان عندك عذر تتخلص به غير هذا الشعر والتدبير ثم أنه قال للعبيد خذوه من قدامى وإلا خضبت من دماكم حسامى فلعوه ثيابه وإذا كان عند الصباح خذوه معكم إلى المراعى ولبسوه بعض ثيابكم واجعلوه راعى وكان ابن عمه زهير حاضر وهو ينظر إليه فلما سمع مقال أبيه لجيد صعب عليه وقال له ياأباة من حيث أردت أن ابن أخيك يرعى الجمال كنت خليته فى بلاد اليمن على ما كان عليه وقد أعلمت الناس أن بيننا وبينه اتصال الله أن هذا الأمر ما نطوعك فيه ولو طارت رؤسنا ولا اناه أخلى ابن عمى يرعى الجمال مع العبيد ولا نبلغك فى هذا الأمر ما تريد قال الراوى ولما تكلم زهير بذلك الكلام ساعده من كان حاضر وكذلك عمه نوفل قال مثل هذا المقال ثم أنهم أرادوا ان يغيبوه عن عينيه فى ساعة الحال فقال لهم الملك قيس والله ما أعفو عن ذلك وأخليه حتى يحلف بحياه وأبى باختياره أنه ما عاد يجلس مع جوار ولا ينشد من الاشعار لا فى الليل ولا فى

النهار وذلك أنه قد فضحنا بهذا الأمر وألبسنا العار ورجال الحى والقبيلة قد شكوا إلى منه مرارا وقد قالوا إلى إن أخيك قد أفسد نساءنا وبعض الجوار ونحن نتحمله لأجلك ولأجل قربة منك أيها الملك وأنا أريد أن يتوب عن هذه الفعال وإلا فتلته واسترحت منه على كل حال فقال له نوفل نحن نستوفيه وتمتثل مقالك وتحرمه أن يفعل شيء من ذلك ثم انهم بحياة رأس عمه قد حلفوه ولما حلف وتاب أخذوه من قدام عمه قيس قال وكان عمه نوفل يحب مجيد محبة عظيمة ومن حين أتوا به من بلاد اليمن وهو له عنده قدر وقيمة قال الراوى وكانت هذه الأمور التى جرت وعنتر ورفقاه فى بنى غطفان غائب وذلك أن ابين أخته الهطال عمل وليمة وقد عاد إليها فأخذ معه أخاه مازن ومقرى الوحش وعروة بن الورد وقد مضى إلى الدعوة والوعوه والوعد ولما أن خلص مجيد من قدام عمه عاد إلى البيوت ودخل إلى عند أمه وبكى بين يديها وقد شكى ماحل به من تلك المصائب إليها فقالت والله يا ابنى لقد أخطيت وبالقول والفعل على عمك فعديت وتجريت ولولا مراعاته لابيك لكان أبادك وكان على قتل جمله يكافئك ثم أنها كسرت وعظمت عليه القصة ووبخته على فعاله وقالت والله يا والدتك قد جلبت لعمك نكدو لقد كان الفحل الاصهب الذى قد عقرته أحب اليه من ولده فراغى جنابه ولا تعد إلى مثلها وإن عدت ماتلق خيرا بعدها ولا قبلها ولما سمع مجيد من عبلة ذلك القول تاب وعلك أنه أخطا وعما كان تولع به انقلب إلا أن لهيب أسما فى فؤاده قد أشتد وهواه لها جاز عن الحد وعند الصباح عاد إلى الغدير وصار يمشى وإلى مكان وقد الذار ينظر ويشير إليه ويفكر والآثار ويتمنى انه يرى أحدا حتى تناثرت من اجفانه العبرات وقد سقت الزهر والنبات فانشد وجعل يقول.

رحل الصبر والغرام اقاما ... فى فؤادى ما ذاق قط غراما
كان غر من حادثات الليالى ... ليتنى لم عرفت لى أعماما
يا عيونى جودى على أثر اسما ... بدموع واهجرى الكرا والخياما
كان يوم الفراق يوم عبوس ... لا سقا الغيث بعده الايام
فكان السنام كان سموما ... فى مطاوى قلوبنا قد حاما
يا ترى أن قلبها مثل قلبى ... هائما يشكى الفنا والسقاما
يا ظبا الريم قد اصبح اليوم ... وحلال الغدير غدى حراما
وكذا نبته على جانبيه ... بات مثلى مثيا مستهاما

يشكى العنا فينهل دمعى ويروى بها رقها والخزامى

قال الراوى ولما أنشد مجيدهذا الشعر والنظام فتناثرت الدموع من مآق عينيه وقد بكى وكاد أن يغشى عليه وبنى على جانب الغدير إلى المساوهوغائب عن الدنيا من العشق والغرام وهو قد سار لايعرف أحسن إليه الدهر أوأساء فلما أن رأى حاله على هذه الحالة ولا أرى بما كان يعهده أحد فعاد وقد اشتد به الوجد والغرام والكمد وأتى إلى الخيام ونام فلم يأته منام فبات شهران يرعى النجوم ويطلب من الله علام الغيوب أن يجمع شمله بشمل أسما ولما أصبح الصباح حديثه شائع بين القبيلتين وتحدثوا به رجال الطائفتين فمنعوا بناتهم من الدخول والخروج والفرجة على الغدير والمروج وقد جرى على أبى أسما ما لم يجر على قلب بشر بما حل به من ذلك الأمر المبكر ومن خوفه لايفتضح فى بلاد العرب صار يذم الأيام والذى نزل فيها من العلم السعدى وأرض الشربة ولما أن زاد به الأمر دخل على ابنته وقدجرد حسامه عليها من وقته وساعته وقال لها يا لخنا وحق الإله القدير أن عدت سمعت أنك خرجت الى الغدير فانى أذبحك من قفاك وأفصل بهذا السيف أعضاك ثم أنه أوصى أمها بها وقد أعلمها أن تلك الفتنة الثائرة من أجلها ومن سببها قال الراوى وكان جرى على أسما من حب مجيد أكثر ما جرى عليه منها فوق المزيد فبقيت متحيرة من شدة ما نالها من الغرام وصارت إذا أكلت لاتشبع بطعام وإذا نامت لاتلتذ بمنام وقد علمت إن دام الأمر على مجيد يهلك من عشقها وعلمت أنه تم عليها مخافة على قلبه أن يحترق بنارها فدعت بأمة لها وقد أطلعتها على أسرارها فقالت لها امضى إلى عند مجيد وسلمى لى عليه وطيبى قلبه واعلميه أنه مثل ما يحبنى أنا أحبه وقولى له طب نفسا وقر عنا ويكون ذلك لى منهلا لم أختر غيره مؤنسا ولا بعلا ولا أنساك على مدى الدهور والأيام أصلا فصارت الجارية اليه ودخلت عليه فرأت حاله قد تضعضع مما به حل من تحت رأس محبوبته أسماء وكان مجيد من يوم فراق أسما له وهو فى ناريته إلى أن أتته الجارية وبلغته هذه الرسالة مما قد قالت له من ذلك المقال خف عنه كربه وقد طاب بهذا الوعد قلبه وفى ذلك اليوم عاد عنتر من بنى غطفان وقد أخبروه من ذلك الأمر بما كان وقد اشتد ظهر مجيد وقد أيقن ببلوغ ما يدبر ولما أن دخل عنتر على عبلة شرحت له القصة فعند ذلك صعب عليه هذا الأمر وقد تكدر لما سمع بهذا الخبر وكان غيظه من وجهين وكل وجه له سبب الأول من جهة الجمل الذى هو الفحل الأصهب والوجه الثانى كيف أن الملك قيس شتم مجيدا وقال لها عنتر أنا على كل حال قد حكمت مجيدا فى كل ما أملكه من مال وجمال

وعبيد حتى أنه لايلتفت إلى عمه ولا يثقل عليه بسبب من الأسباب وفى الآخر جرى منه شىء ما كان لنا فى حساب وهذا أمر ما أشاقق أنا فيه ولا أقدر أشاقق الملك قيس ولا أساويه ولا أجلب له شيئا يؤذيه ولا أعتب عليه فيما فعل فى حق مجيد من نكده لأنى أعلم ان الفحل الاصهب كان عنده بمنزلة ولده ثم أنه سكت عن ذلك الكلام خوفا على أهل العشيرة أن يقع بينهم الخلف والمقال من كثرة اللجاج ويفسد بينهم الحال قال الراوى فهذا ما كان من أبى الفوارس عنتر وما جرى له وما قال من المقال وأما ما كان من مجيد فانه قد شكى حاله إلى عمه نوفل وكان أحضر أخو الملك قيس وأعلمه بما يجده من حب أسما محبوبته وكان نوفل يحب مجيد محبة زائدة وكان أكثر إخوته مروءة وكانوا على ما هم فيه من ذلك الأمر المتدارك يتذكروا به ما مضى من أيام مالك ولما أن شكى حاله إليه وعظم بليته رق له ورثى له وصار يركب معه فى أكثر الأوقات ويقف له بعيداً عن المضارب ويسير معه فى البر والفلوات ثم يتركه يسير إلى أبيات أسما ويسارقها منه بالنظر وما زال على تلك الحالة حتى أنه عرف الأوقات التى تأتى فيها ويقصد مشاهدتها وبالنظر يباريها وقد صارت الأخرى إذا رأته علمت منه ما يريد فعندها تخرج من خبا إلى خبا تلاعب الأمة واللعب بينهن يزيد ثم أنها ترفع برقعها وما تزال على تلك الحال حتى أنه يتملى بوجهها وبنظر ويشبع كل منهم من النظر من صاحبه ويود لو بلغ كل واحد منهما مأربه لأن ذلك ما كان إلا أياما قلائل حتى علم أبوها منهم بتلك الفعائل وعلم بذلك أنه لابد أن يفتضح ويزيد همه فشكى حاله إلى وجوه بنى عمه وقد شرح لهم قصة مجيد ابن أخى الملك قيس وتجرءه عليه فقالوا له ياأمير سر بنا إلى عمه حتى أننا نشكوه إليه أنه مادام عليه غضبان فان نهاه عن أبياتنا وإلا رحلنا إلى هذا المكان فقال لهم هذا هو الصواب ثم أنه أخذ بنى عمه وقد سار بهم إلى الملك قيس عند الصباح ودخل عليه وقد أرمى روحه أبو أسما بين يديه وقص قصته عليه وما جرى له وقال له اعلم أيها السيد الجليل والمولى النبيل أننا قد نزلنا فى دياركم واخترنا جواركم إلا لنطلب بذلك ستر حريمنا وإقامة عزنا فى جوارك خوفا من ذلنا والذى حذرنا منه غيركم قضى فيه عندكم فاعلم أيها الملك أن سبب ذلك قد تعرض لابنتى لامن لا أقدر أن أكلمه ولا آذيه لان هيبتك أعظم منى قدرا وأنفذ فى هذه الارض أمرا ثم أنه حدثه بفعال مجيد وما جرى وأنه أتى إلى أبياتهم وقد أنشد الشعر الذى بلغه عنه فلما سمع الملك قيس ما جرى من ولد أخيه مجيد تغير لونه واضطرب كونه وبقيت عيناه مثل لظى الجمر فقال له الشيخ ولم صبرت على هذا الكرب أما كان فى رأسك نخوة العرب كنت نحرته مثل ما نحر الاصهب ثم

أنه قال لمن حوله من أعمامه ومن وجوه العشيرة الذين واقفين قدامه أشهدوا على ياوجوه بنى عمى أنى قد وهبت دم ابن أخى لهذا الشيخ ليطفىء به ناره وإن قتله لا يطالبه به أحد بثأره وإن طالبه أحد به كنت أنا من أعوانه ولو كان من يكون من الناس قال فقبل أبو أسماء يد الملك قيس وشكره وأثنى عليه وقال أيها الملك أنا أقتله فهذا شىء ما أفعله ولا لى يد تمتد إليه ولكن إذا عاد تعرض إلى أبياتى فأنا أقبضه وآتى به إليك تفعل به ما تريد فقال له الملك قيس ياشيخ الأمر إليك ثم اعلم أنى قد أشهدت الحاضرين على وعليك بأنك برىء من دمه وقد حكمتك فيه إذا رأيته أتى إلى أبياتك فاقتله كأس حنفه وبعد ذلك افعل أنت على قدر ما ترى لأنى قد أشهدت الحاضرين بذلك قال فلما سمع الشيخ أبو أسما ذلك عاد ومن معه من بنى عمه من الرجال الكرام وهو والله إن الرجل ما ترك عليه ملام فقال له بعض بنى عمه ياأمير الرأى أنك لا تغتر من الملك قيس بما قاله من المقال ولا تؤدى ابن أخيه فأنا أعلم إن ذهب من شعره شعرة واحدة فيقطع عنترا أصولنا وفروعنا فى كرة واحدة فارجع عن هذا الرأى واحقن دماءنا ولا تعمل على ضرنا لأنك قد هيجتنا من ديارنا وتبعناك وقد قلت أنى لم أزوج بنتى لرجل معلول النسب فعذرناك لأنك كنت فى ذلك مظلوم وكان ميسرة أراد أن يأخذ ابنتك منك غصبا فكنت فى ذلك الأمر معذور ولولا سواده وقلة علمنا بنسبة وخبرته لكنا غصبناك على زواجه بأسما وعشنا تحت ظلال شجاعته هذا وبجيد خلاف يسرة لأنه سيد من سادات عدنان وعمه الملك قيس والرأى عندنا أن تزوجه ابنتك على ما تحب وتختار ودعنا نقيم باقى عمرنا فى هذه الديار وإلا فنتركك نحن ونعود إلى ديارنا ونستريح من هذا الأمر (قال الراوى) فلما سمع أبو أسما ذلك القول ممن كان له مجاوب فقال له ياابن عمى أزوج لرجل ما أتانا خاطب فارغب أنا فيمن لا هو فى ابنتى راغب فهل عمركم رأيتم رجلا قبلى من الأقدمين خطب لابنته بعلا حتى أننى أقوم أنا وأقول لهذا الرجل تعالى خذ ابنتى منى فوالله لا فعلت هذا الأمر أبدا ولا أسمعت بى أحدا على طول المدى فمن اشتهى عند المقام يقيم من أراد ومن أراد الانصراف فلينصرف ولا تكثروا على العتب والملام قال فلما سمع بنو عمه كلامه عذروه على هذا الامر ما استكثروه وقالوا له ارحل بنا من هذا المكان ودعنا نبعد عنهم مسيرة نصف يوم فى تلك البرارى والآكام حتى أننا ننظر ما يكون منا ومن هذا الغلام لأنه يخلو مرة من حالتين إما يمنعه عنا بعد المر يقين وإما يصالح عمه ويتراضوا مع بعضهم الاثنين ويحوجه أن يخطب على أمر ترضاه فإن فعل ذلك

ـوخطبها بوجوه عشيرته زوجناه وإن حمله الهوى وأتى على سبيل التخفى وعلمنا به قبضناه وسرنا به إلى عند عمه وبين سادات قبيلته واليه سلمناه من هـــذه الديار وتركناه فقال الشيخ يا بنى عمى اعملوا فإن هذا الأمر أوافقكم عليه وأجيبكم فيما قلتم ثم إنهم عادوا إلى الخيام بعد مادار بينهم الـكلام وأقاموا بها ثلاثة أيام ولما أن كان فى اليوم الرابع أظهروا أن الماء قد ضاق عليهم لأن القوى منهم قد جرى على الضعيف ثم أن الشيخ رحل بقومه إلى أرض يقال لها أرض الروم وكان بينها وبين منازل بنى عبس يوم أو دون يوم فنزلوا هناك فى تلك البرارى وضربوا هناك المضارب وأقاموا مدة أيام قال فلما علم مجيد بذلك عظم عليه وكبر لديه وزاد بلباله وجواه فشكى إلى عمه نوفل وقد بات عنده ليلتين لم يذق فيها طعم منام ولا أكل فيها شيء وفى اليوم الثالث قال له ياعم أن لم تسر معى إلى منازل أسما فانا أهلك لامحالة فسر معى لعلى أن أراها فيبرد قلبى وإن لم تفعل ذلك قتلت نفسى واسكنت روحى رمسى فقال له ويلك يا ابن أخى لاتفعل ذلك ولا تخاطر بنفسك توردها المهالك فعلا تعد تذكر أسما لاسيما وقد رحلوا وأبعدوا عن هذا الحى وابوها قد أتى إلى عمك قيس وقد اشتكى له منك وبكى عليه من أجلك بين يديه وأن عمك قد وهبه دمك واشهد بذلك عليه فان تعرضت لها أخاف عليك وربما وقعت فى سوء الارتباك فاقبل منى ودع عنك ذكرها وأنف عن نفسك ذكرها وإلا هلكت بسببها فقال له مجيد ياعم لا تعذبنى وان لم تساعدنى على وجدى فاننى أعلم أنى أموت من غير أجل ولو مت من غير أجل وسكنت ضريحى ثم أنه بكى واشتكى وقد زاد به الهيام فتنهد من فؤاد قد احترق فلما سمع نوفل من مجيد ذلك البكاء والانين والاشتكى فخاف عليه أن يتحكم فيه الوجد فضمه وقال له اسكت فاننى أساعدك على ماتريد ثم أخذه وخرج من بين المضارب وسار معه كأنه يفرجه فى البرارى والاكام وكان قد مضى بعض النهار ثم أنهم ساروا حتى أبعدوا عن المنازل والديار ثم أنهم عرجوا عن الطريق المستقيم وقد سلكوا بين التلال وقد ستروا بأحافيف الرمال حتى غسق عليهم الظلام وقد ستر عليهم الملك العلام وكان نوفل قاطن بها ونازل عليها وهى أرضه وبلاده فعرج به إلى منازل الماء وهو يقول لعلنا من هنا نأخذ أخبار اسما لان هذا المنزل قريب من منازلهم والحى وكى تانى بعض الاما ونستخبر منها ما كان من الأمور قال ولما أنهم ساروا إلى الغدير الذى فيه ذلك الماء فوجدوا عليه جارية من جوار اسما وكانت تلك الجارية هى التى أتت من عند اسما الى مجيد بتلك الرسالة وطيبت

قلبه قبل الرحيل بما بلغته من ذلك المقال قال الراوى فلما رآها مجيد وهى بالبعد منهم عرفها فتقدم إليها وقرب منها وناداها ياسعده فلماسمعت نداءه أجابته وأتت اليه وتقربت لما أن عرفته وسلمت عليه وقبلت يديه ثم قالت له يامولاى فكيف جرى لك حتى أنك خاطرت بنفسك ومولاى أبو أسما ان قدر عليك اسكنك رمسك فقال لها قد عرفت ذلك وفعلته لأجل محبوبة قلبى قال الراوى فلما سمعت الجارية من مجيد ذلك الكلام بكت رحمة اسيدتها حتى أشرفت على العمى فقال لها كيف حالها فقالت إنها ميتة بين الاحياء وقد تغيرت أحوالها واعلم أن هذه الحال حالتها من نهار عزم أبيها على الرحيل فقال مجيد كذلك أنا والله ما أجد فى بعدها راحة ولا هنا ثم قال لها ياسعده هل تقدرين الليلة أن تعودى اليها وتعليمها إنى قد أتيت من أجلها وخاطرت بروحى من شدة شوقى لها فلعلها أن تزودنى بنظره أو ترد على رسالة أعود بها طيب القلب لعل أن يهدأ مابى من الشوق والتعداد فقالت له الجارية نعم يامولاى استتر فى ظل هذه الشجرة حتى أمضى وآتيك بها قال نجد ثم أن الجارية بعد ذلك ملات وعاءها من الغدير وعادت إلى الحى وهى مهرولة خوفا من أن يقوم عليها نمر من الحى ولما دخلت إلى المضارب دخلت على أسما وأعلمتها بمجيد فلما سمعت ذكر مجيد بكت وقالت لها أحق ما تقولين فقالت لها نعم وإن أردت سيرى بنا اليه فى ذلك الوقت فاجابتها إلى ذلك وقالت لها قوى بنا فاخذتها الجاريه وقد خرجت بها إلى المضارب والخيام وأقبلت على مجيد وصحبتها مولاتها اسما وهى ملتحفة بكسوة سوداء وهى تمشى وتلتفت فى البر والفدفد ولما أن قربت من مجيد ورآها بين تلك الأشجار مقبله فأنشد وجعل يقول :

أهلا وسهلا ببدر غاب عن نظرى ... وأبدل النوم بالأفكار والسهر
غبتم فاظلمت الدنيا لغيبتكم ... قد توهمتها ليلا بلا قمر

قال فدنا منها ليقبلها ويبل شوقه بها فاجابته :

يانور عينى وحق الركن والحجر ... ما غاب شخصك مذ بعدت عن نظرى
ولا وردت غديرا إلا نزلت به ... إلا وجدت خيالا منك فى أثرى

قال ثم أنهم من فرحة التلاق اعتنقا عناق العشاق وقد تشاكيا إلى بعضهم مايجدوه من ألم الفراق وما فيهم إلا من ارتعد وارتجف وبنار المحبة انكوى وقد علمنا أنهم فى مقام التلاف كلهم سوى الا أن حلاوة اللقا وطيب الملتقى بالحبايب أنساهم النظر فى العواقب ولما تحدث كل واحد منهما بما لقى من فراق صاحبه وماجرى عليه من أهله وقومه وحبايبه فبينماهم كذلك

وإذا بأسما التفت فنظرت إلى خيال نوفل وهو واقف بالبعد منهما وهو مايدو عن اشتياقهما إلى بعضها فقالت لمجيد من هو هذا الفارس الواقف من قومك حياه الله تعالى فقال لها مجيد هذا عمى نوفل اخو الملك قيس قد جئت أنا وإياه لأنه يحبنى بخلاف الأعمام ولولاه ما كنت قدرت أقرب هذه الخيام ولا أدور بين هذه الروابى والآكام ولقد سعدنا هذه الليلة بنظرك فقالت له أسما فوالله يا مجيد أن كان عمك نوفل يرى من فضله أن يساعدنى فى هذه الليلة باحسانه لكنت أبيت أنا وإياك هاهنا إلى الصبح ونسأل السير علينا من العزيز الفتاح وتجعلها ليلة بعدة بليالى وأن هلكنا بعدها فما نبالى بعد أن تكون خففنا الكروب ونلنا المطلوم وطفينا النيران التى هى بين الضلوع والجنوب قال فلما سمع نوفل كلامها دنا منها وكلمها وقال لها وماهو أيديه لى لعلى أن تبلغى مرادك واسكن يا أسما فماذا تكون المساعدة أخبرينى ماذا تريدى من الفعال حتى انى أفعله عسى أن يكون فيه الفائدة ولو يكون فيه هلاكى اكراما لابن أخى عسى أنه يخلص من بلاه فقالت اسما أعلم يا مولاى ان أردت ذلك اخلع ثيابك وأعطنى إياها والبس أنت ثيابى بعدما أخلعها قال الراوى فعندها خلع نوفل ثيابه والقاها فأخذتها اسما فلبستها وخلعت ثيابها والبستها لنوفل وقد برقعته ببرقعها وقالت له سر مع أمتى سعدى فهى توصلك إلى الخيام ولما تدخل إلى المضرب فاترك رأسك على ركبتيك وعلى فراشى نام حتى يأتيك أخى فيقول لك يا الخنا حب مجيد غلب على عقلك حتى أنك قللتى أكلك وشربك واشغلك عن ذلك ثم يعطيك قعب لبن ملان فخذه منه واشربه وناوله اياه فانه يعزم على الرواح ويعود بقرب الخيام إلى الصباح فاكون قد رجعت إلى خيمتى فقال نوفل السمع والطاعة ثم سار مع تلك الجارية إلى الخيام وهو فى زى النساء بالبرقع وقد جسر على ذلك الأمر وخاف ولا ارتاع ومازالت تمشى ونوفل وراءها حتى أدخلته فيها وتركته وراحت وليس أحد عنده بعد أن أرخت عليه أستارها فما استقر نوفل الجلوس حتى دخل أخوها والقعب اللبن فى يده وقال له خذى واعلمى أنه لو كان الأمر لى ما سقيتك الاسم الافاعى فلما سمع كلامه اظهر الخجل وتحسر وتنهد وأخذ القعب منه بغيظ وأراد أن يشرب فارتعدت مفاصله من شدة الخوف الذى هو نائله فسقط القعب اللبن منه فزاد بأخى اسما الغيظ والحنق ومسك سوطا وضرب نوفل على أكتافه والاضلاع ومازال يضربه حتى كاد يقطع نفسه والنخاع وصار يقول يا الخنا إلى كم هذا التنفيذ لأن كل يوم تزيدى فى عشق مجيد وكلما ذكرتيه زادت بك الرعدة والخفقان حتى أنك صرت زائدة فى الحد من بنات العربان ثم أنه زاد عليه بالضرب حتى

أو جعه ومن شدة الوجع جرى على خدوده مدامعه فعند ذلك هم نوفل أن يسل الخنجر من على وسطه يقتل أخا اسما لاجل مايصر به ذلك الضرب الشديد لكنه قد خاف أن تفتضح اسما والجارية ويهلك هو ولم يزد فصبر على ما ناله من الالم الزائد وما قدر أن يصيح ولا يتكلم وما زال أخو اسما يضرب نوفل حتى كلت يده وتعب ساعده وزنده وقد سمعت أم أسما هرج ولدها فعلمت بالحال فدخلت الخبا وقد أبصرت ما فعل بنوفل فاشتفى كبدها وصارت تقول جور عليها ولا ترحمها فانها تستاهل القتل لان شوم وجهها قد هيجنا من بلادنا بعدنا عن الاوطان قال الراوى لانه كان جرى لهؤلاء القوم فى بلادهم حديث من أعجب العجب مع فارس من فرسان العرب كان يقال له ميسرة بن الغريب لانه خطب اسما من أبيها ورده عنها لان الغلام اسمر اللون وميله إلى السواد أكثر من البياض والحمرة وكان غريب من تلك الارض والبيد فخشى أبوها أن يكون من نسل العبيد لكنه كان فارس شديد وبطل صنديد لا يلتقى فى الميدان إذا بارز الأقران فواظب على غاراتهم حتى أنه شتتهم من بلادهم ولا بد ما نشرح حديثه فى مكانه ونبين قواعده حتى يلتذ به السامع إلا أن اخا اسما ما زال يضرب نوفل حتى علم كل من فى الحى بذلك العمل وما فيهم إلا من قال تستاهل الذل والضنا والهوان لأنها كانت السبب فى تشتيتنا عن الاوطان أن تعب خرج من المضرب هو وأمه وارخوا أذيال الخبا عليه وقد بقى نوفل فى هم وغم وصار يتململ من شدة الضرب ولا يدرى ماذا يصنع فبينما هو مفكر فيما وصل اليه وجرى وإذا بجارية دخلت عليه وكانت من أتراب اسما واخت صاحباتها فسمعت بضربها فاتت اليه تتوجع إلا أنها لما سارت قدام نوفل بكت وقربت منه وإلا عنده تقدمت ثم سارت تقول ويحك يا اسما ما تخافى على نفسك وتخشى رب الأرض والسما إلى متى هذا اللجاج أما تعب قلبك من الانتهاك وقد فضحتينا ولا نلت مراد ولا راعى لك أحد ودادثم مدت يدها إلى بين أفخاذها وأرادت بذلك أن تمزح معها حتى تسليها عن مرادها وتخفف ما عندها من ألم الضرب فوقعت يدها على الضنا والوبل وشعرا أخشن من شعر الكسا وعظام ثابتة بخلاف عظم النسا فقام شعر بدنها وقد جذبت من بين أفخاذها يدها وهمت أن تقوم على حيلها فكشف نوفل وجهه لها وقال يا ابنة الكرام بحياة اسما تمهلى على قليل واسمعى ما أقوله من الكلام فقالت له وقد ذادفزعها ويلك من أنت ومن الذى أتى بك إلى هذا المكان أما على نفسك فزعت أخبرنى ما خالك وما الذى صبرك على هذه الفعال من قبل أن أصيح عليك واسمع كل من فى الحى من النساء والرجال فقال لها نوفل لا تفعلى يا حرة العرب ولا تفسدى ما دبرته رفيقتك وصديقتك اسما وتكونى لهلاكنا معنا سبب فلما أن

سمعت منه ذلك المقال قالت له قل لى على أجل ذلك فابتدأ وحدثها بحديث بجيد وأسما قال لها إن أسما قد باتت عند بجيد على الغدير حتى يبلغ كل منهما ما يريد وأنا أتيت إلى هنا بعد أن ابست ثيابها وأتيت لأبيت مكانها حتى لا ينكر أحد أمرها ثم أنه أخبرها بما دبرت أسما فقالت وهى من حديثه متعجبة وبه مستأنسة ومنه متقربة وقالت له يا بن الكرام وأنت قد احتملت هذا الضرب والآلام التى جرت عليك من حب هذه الجارية والغلام حتى يشفى كل واحد منهما ما يريد من الإلمام ويبلغ المراد واتبعت بهذه الفعلة سنة الناس الكرام فقال لها نعم ولكن تقدرى وان تكونى أكرم منى فقالت له لما أن سمعت منه ذلك فأخبرنى بماذا تريد قال تبيتين عندى إلى الصباح ولا أبيت وحدى مخاطرا بروحى خاف من الافتضاح لأن جسمى قد تركه الضرب مشطب بالجراح وبقيت معافا فى صفة عليل وليس لى من النوم سبيل وأن كان قلبك لا يرق لهذه الشكوى فاكتمى حالى وحال اسما وروحى ودعينى وحدى أكابد البلوى لأن والله من أبصر جمالك فقد بلى ببلوى ويموت بعلة ما لها دوى قال الراوى فلما أن سمعت الجارية من نوفل ذلك الكلام قالت وما تكون أنت من بنى عبس فقال لها أنا نوفل أخو الملك قيس عم بجيد فلما أن علمت الجارية أنه أخو الملك قيس سيد بنى عبس لانت جوارحها وقد ارتخت مفاصلها وتبسمت بعد التعبيس وطابت منها النفس وقالت أبشر يافتى فاننا ما ندعك تمل علينا بكرم الطباع وعانقته وعانقها وقبلته وقبلها وباتت عنده إلى أن قرب الصباح وقد برد ما كان يجده من ألم الضرب واستراح ولما أن بان ضوء الصباح قامت تلك الجارية من عند نوفل وقد ودعته وانصرفت إلى حيث تريد وخرج هو الاخر من الخيمة وما تم عليه من ذلك الأمر الشديد وقد أوراهم أثر الضرب الذى ضربه له أخو أسما على أكتافه وأضلاعه ولما أخبرهم بما جرى عليه وناله نزع ثياب أسما من عليه وقد قلعت الاخرى ثيابه وودعت بجيدا وقد عاد كل احد منهما بعد تلك يطلب دياره وقد خف عنهم ما يجدوه من الافتكار إلا أنهم ما بعدوا من ذلك المكان حتى لقيهم عبد من عبيد الملك قيس وصار لهم مقارب لما أن رآهم ذلك العبد عرفهم فقرب منهم وميل نحوهما وقال يا موالى إيش الذى غيبكم عن الحى والله أنكم من الهلاك سلمتم فقال له نوفل ولم ذلك العبد اعلم أن أخيك الملك قيس قد أنفذنى إلى أهل أسما أقول لهم أن بجيدا قد أتى إلى دياركم والحى ففتشوا عليه حول بيوتكم وأنظروه وأيتما وقعتم به أقتلوه وأنتم فى حل من دمه وما يجرى عليه وكان الملك قيس قد بغض بجيدا من حين ما شكا أبو أسما إليه ولو لا أنه فى أبيات عنتر كان قتله لأجل تعرضه بجاره لأن

العرب كانوا فى ذلك الزمان عندهم إغاثة الملهوف والضمان وحفظ الجار وإعطاء الذمام واطعام الطعام والصدق فى الكلام وكان أبو أسما رجل من بنى عبس وأبعد عنهم فعلم الملك قيس أنه مارحل من جواره الاخوفا على ابنته لا يفتضح فيها فرحل من تلك الأرض هو وأهلها ودوابها فزاد بالملك قيس الغضب على ابن أخيه مجيد وقد عرف أنه ما يصبر عن أسما ولو وضعوا فى رجليه قيدامن الحديد وأنه لا بدله من الرواح اليها فاوصى عليه جماعة من العبيد وقال لهم أرقبوه واذا رأيتموه قد غاب عن الديار وعلمونى به حتى أفعل به الذى اختاره فتركوا عليه العيون والارصاد حتى أنه غاب عن الحى وأعلموا عمه وقالوا أنه قد سار هو ونوفل بطلب المنازل التى فيها أسما وكانوا قد جاوزا عليه فى المرعى ضحى النهار فتحققوا أنهم قاصدون إلى منازل اسما تلك الديار فلما أن رجع العبيد من المرعى إلى الحى أعلموا الملك قيس برواح مجيد وعمه نوفل فكاد من الغيظ أن يغشى عليه وقال والله لا أبقيت على هذا الولد الزنا الذى نهيته عن جيرانى ولا انتهى ثم أنه أنفذ ذلك العبد الذى قدمنا ذكره ليعلم أبو أسما بجان مجيد وما كان من أمره يقول له ياشيخ اعلم أن ابن أخى قد غاب عن قبيلتنا وكون ابن أخى قد عجزت عنه قبيلتى فان كان قد سار إلى دياركم فارصدوه رأيتما وقعتم به اقتلوه ولا تبقوا عليه ولا تهملوه قال الراوى كان ذلك العبد الذى ارسله الملك قيس عاقل ومحبا لمواليه فلما سار قد تقابل مع نوفل ومجيد فحدثهم عن جلية الخبر وقال لهم يا موالى اذهبوا إلى الحى وادخلوا اليه واخفوا أمركم بكل ما تقدروا أما أنا فلابد من دخولى إلى بنى بشر على هذه الحالة وأبلغ رسالة الملك قيس إلى أبى أسما كما امرنى مولاى ثم ان العبد سار نحو ذلك الطريق ولما ان سار العبد عاد نوفل ومجيد إلى الحى واطمان خاطره الذى يعلمهم تلك الاخبار ولما ان أمن عليهم واعلم انهم استقاموا على الطريق من غير اطالة صار الآخر يطلب خيام بنى بشر ليبلغ أبا أسما ما حمله له مولاه الملك قيس من المقالة ذلك كان من خوفه من سيدة فاعقبه وما دبره من العمل ٭ أما كان من مجيد وعمه نوفل فانهم كانوا يسيرون فى ذلك البر من غير محفل ومجيد يبكى ويشكى لعمه حتى قربوا من الحى وبقى يشاوره كيف بقى ينتظر أسما ونوفل يقول له والله يا مجيد ما بقى لك على ذلك من سبيل ثم أنه تيقن منها بالعباد ولا بقى يقدر على كشف ضرك إلا عنتر بن شداد والصواب انك الآن تدخل وتصل إلى البيوت وتدخل اليه وتقص قصتك عليه وتخبره بما كان من أمرك وما نالك وان هو سمع منك ذلك فقد انقضى ما تريد أشغالك ونلت آمالك ثم أنهم تمادوا

سائر بنوهم على تلك الحالة إلى أن دخلوا إلى المضارب والأبيات فى الليل حتى تخفى عن أهلهم أمورهم ثم طلب كل واحد منهم واحد منهم أبياته وأما مجيد فقد أيقن بهلاكه وعماته وكان قد بقى من الليل القليل فدخل مجيد على أمه وفى قلبه من الهم شىء ما يقدر على حمله وكان قد اصفر وجهه وتغير لونه ولم بقى يدرى ما يفعل فى تلك الأمور التى طرأت عليه ونابته فلما أن رأته أمه سألته عن حاله وما الذى قد جرى له وابن كان تلك الليلة الماضية وما الذى غيبه فقال لها كنت عند عمى نوفل اتحدث أنا وإياه على ما جرى الشباب من العمل ثم أنه اتكا على جانبه من غير أكل زاد ونام وقد زاد به الوجد والغرام واشتد عليه العشق والهيام وأخذه القلق والسهاد ولما أبصرته أمه وهو على غير الاستوى علمت أنه أسير العشق والجوى فقالت وقد لحقها عليه الوجد المحرق ياولدى ايش هذا الهيمان الزائد والقلق لا يكون قلبك ببنات العرب قد تعلق والله يابنى إنى حسبت لك هذا الحساب وقرأت لك عنوان هذا الكتاب وعلمت أنه ما يحصل لك خير لمجالستك لبنات الأعراب يابنى بتربة أبيك إلا ما أطلعتنى على ما أنت فيه من أحوالك ولا تخفى على شىء فيما نالك قال الراوى فعندها حكى لها حكايته قالت له والله ياولدى إنه زاد بكلامك نكدى وتفتت من أجلك كبدى وقد حدثتنى بحديث ما كان لى فى حساب وأنا ما بقيت أخفى عن عنتر هذه الأمور والأسباب ولا بد عند الصباح ما أشرح له قصتك ولا أدعك بهذا الأمر ثم إنها باتت تشاغله بالكلام والميعاد حتى انبسطت الشمس على الربا والوهاد وعلمت أن عنتر قد صحى من سكره وان مقرى الوحش عند عروة ابن الورد ومازن أخوه فسارت أم مجيد اليه ولما عرفها رد سلامها وزاد فى اكرامها واستوحش بمجيد فشكرته على إحسانه وانعامه ثم أنها قعدت بين يديه. وقصت قصة مجيد عليه فلما سمع عنتر منها ذلك الكلام اشتد به الغيظ وظهر وقال وحق الركن والحجر والبيت العتأنى المطهر لقد كنت احسب لكن ماقلت انه يقع مع بنات الغرباء من الاعراب بل كنت اقول انه يقع مع بنات عمه حتى كنا نزيل همه وغمه واما اسافا كانت لأحد على بال والآن قد جرى من الأمر مافيه وانا من الأمراض أداويه وأرد قلب عمه عليه ولا أدعه يابى عليه وأحد الرب القديم الذى مامد عينه إلى بنت ملك عظيم ولا فارس جسيم ولو كان عمه راض عنه غير غضبان كان زوجه بها وأزال عنه الاحزان ولكن بغضه لأجل الفحل الاصهب وضيع حرمة القرابة والنسب ولكن آخذ له أسماء لو حوها أمة ربيعة ومضر وكسرى وقيصر فقال مقرى الوحش وقد زاد به الابتسام باى وجه تاخذ له أسماء بالفوارس

فقال له أسير إلى أبيها وأطلبها إلى مجيد وأعطيه من المال ما يشتهى ويريد وإن احتج على وقال أنا ما أزوج بنتى لمن فضحنى بين الملا سقت الجميع بالسيف نهبا وآخذها منه غصبا فقال مازن ايش هذا الكلام أيها الفارس الضرغام فان أردت تسير بنا الى هذا الظلام ونضع فى قومها الحسام وننشط فى الربا والاكام ونأخذها من قومها غصباً فقال مقرى الوحش يا فارس الشدائد إن هذا الرأى فاسد يسر العدو والحاسد فقال عنتر وكيف ذلك يا فارس النياق فقال إن القوم فى جوار الملك قيس وهم تحت ذمامه وأقاموا فى خيامه وأكلوا من طعامه وسار بينهم وبينه ذمام فإن تعدينا عليهم تتفرق العشيرة أحزاب فى هذه الايام وترجع إلى المنهاج الاول يا ابن الكرام والصواب أننا نركب إلى حضرة ملكنا ونسلم عليه ونقدم عليه مجيدا بين يديه ونتركه يقبل يديه ويعتذر اليه ولا تزال تلطفه فى زواج أسما وتطلب منه المعونة على ذلك الحال فان أجاب هانت الامور من غير غبن وإن أبى فافعلوا ما تريدون فقال عنتر وحق الملك الديان الذى خلق الانس والجان إذا لم يفعل معنا ذلك لاهججتهم من الاوطان وأقلع من بنى عبس الاثر على آخر الزمان وآخذ أسما إذا أردت فقال مقرى الوحش إن هذا الامر محسوب عليك فافعل ما يعود نفعه عليك فقبل عنتر مقاله ونظر فى عواقب أفعاله وأحواله فركب فى الحال وأخذ مجيدا معه بين رجاله وسار وقد طيب قلبه بالكلام ثم أنهم وازوا الى الملك قيس وادرت إخوته من حوله وتقدم عنتر حتى صار بين يديه وأمر مجيدا أن يقبل الركاب مع قدميه فتقدم اليه وترجل وقبل الأرض واعتذر اليه وبكى وقال يا ملك الزمان إنى قد سمعت أنك قد أبحت دم ابن أخيك وجعلته هدرا لبنى بشر أولاد الزوانى أعلم أنك ما ازددت عليه غضب إلا لاجل الفحل الاصهب وقد قطعت بينك وبينه من النسب من أجل هذا السبب ونسيت مكارم أبيه مالك وما كان له من الود او اهدرت دمه لقوم أراذل لاجل الفحل الاصهب ولا فعلت به هذا الشأن الا لاجـــل ما تعرض بجيرانى واستصغر بين الملا شأنى وهتك حرمة جارى وفسخ ذمامى وحط بين الملا مقامى ومازال يطرق ديار القوم حتى بعدوا عنا ورحلوا من جوارى وساروا فى البرارى ورحلوا عنا وهم غير شاكرين بعد ما أتى أبوها إلى عندى هو وقومه أجمعين وشكى الى من الضيم الذى نزل عليه وما كان يكلمنى والدموع تتناثر من عينيه لانه فضحه فى ابنته وخرق حرمته بين قومه وعشيرته فلما صح عندى هذا الشأن هان على حتى يرايرنى بنقض الذمام

العربان ويتكلمون فى القوم اللئام فقال عنتر والله يا ملك إذا كان أبو أسما قد أتى إليك وشكى ما فعل
بابنته ابن أخيك فلم لا خطبتها له وجبرت قلبه وزوجته بها ولا يبقى عتاب ولا كلام ولا كنت تركته
يقاسى الجوى والغرام فقال الملك قيس والله يا عنتر هذا شىء لم يخطر لى على بال ولا قدرت أن أفعله
من حياى ولا يمكننى أن أجاوب الرجل الجواب وهو قد أتى يطلب لابنته الستر والحجاب فقال
عنتر إن كنت لا تفعل ذلك فأنا أفعله ولا أخليه يموت بعلته وأريدك أن تبسط لى العذر فى هذا المرام
من غير احتجاج ولا تنسبنى إلى اللجاج لأن هذا أمر ما أقدر أعمله ولا بد لى ما أفعله ولا أخليه يموت
بهواه وغرامه وأنا قادر على طعن الرمح وضرب الحسام فلما سمع قيس من عنتر علم أنه متى بلا حجة
يطير بينهم الجرب فصير الملك قيس وقال يا عنتر والله ما يدخل أحد معك فى هذا الأمر لأنك تولت
أمره من الأول وأنت أيضاً تتولاه فى الآخر وأحسن فى أمره التدبير لا يعارضك منا أحد ثم أنهم
ساروا إلى حول مراعيهم إلى أن حمى عليهم الحر والهجير وعادوا إلى المضارب والخيام وعاد مجيد
وبنى الأعمام فطيب قلب مجيد ووعده بزواج أسماء وأعلمه أنها قد حصلت له وزال عنه العنا هذا
وعنتر يقول لمقرى الوحش كيف يكون فى هذا الأمر العسير فقال مقرى الوحش يا فارس
عدنان تقيم أنت فى الأوطان وأمضى وأنا وأخوك مازن ونوفل وندخل على أبى أسما ونخطب
منه ابنته ونبالغ فى إكرامه بعد ما أقول يا شيخ العرب الكرام إن الملك قيس قد شق
عليه بعدك فى هذه البلاد والبرارى والآكام لخالف من معيرة العرب له بفسخ الذمام
وقد رضى على ابن أخيه فى هذه الأيام بعدما كان عازما أن يسقيه كاس الحمام ولكن استخبر
وهو وعنتر فرأوا كل ما قيل عليه زور فأنفذنى إليك رسولا وخاطب وجعلنى فى
هذا الأمر له نائب حتى يصير بينك وبينه صلة نسب وتعود إلى ديارنا وتبقى لنا من
جملة الإخوان وتعلو على أعدائك بهذا الشأن وتأمن من نوائب الأيام والازمان ولا
ترجع إلا ببلوغ الآمال وقضاء الاشتغال ولا تسير أنت ولا مجيد معنا ربما تزيد والرجل
لجاج ويقع بيننا القيل والقال ولا يؤلمنا إلا الوبال لأن الرجل فى ذمام الملك قيس
وفى حمايته وهذا الذى أقوله أصوب ورأيك أنت بعد هذا أوجب فقال عنتر ما فى هذا بأس
ولا يذمه أحد من الناس ثم أنهم نزلوا فى الخيام وأرسلوا إلى نوفل وأعلموه بما دار بينهم
من الكلام وعولوا عليه من الاحكام فلما سمع نوفل أجاب وأتى إليهم فى المضارب
وقال نعم من رأى يا فارس الأعراب وعند الصباح عزل عنتر خمسين ناقة من النوق العصافير
وعنتر مهارة مزينة بثياب الحرير فسيوف فرماح فعقود من الجواهر تقوم بمال كثير
فسلم الجميع إلى نوفل ومقرى الوحش وسير معهم أخاه مازن فى جماعة من الفرسان وقال له اعلم

أنك إذا وصلت إلى أبى أسيا سلم هذه النوق والهدايا إليه وسلم بعد ذلك عليه وقل يقطع مهر ابنته بما يشتهى من النوق والمواشى ويطالب بعد ذلك من المال ما أراد ولا ترجع من عنده إلا ببلوغ المراد فقال نوفل ما لنا إلا أن نجتهد فى هذا الامر يا فارس الطراد ثم أنهم ساروا حتى وصلوا إلى أبى أسيا فى جدوا الديار قفار ما فيها ديار ولا من ينفخ نار فانبهر نوفل وحار وقال الله خاب تدبيرنا وأشكلت أمورنا وما قدر حل القوم من هذا المكان فطلبوا امنازلهم ثم أنهم فتشوا عليهم فى تلك القيعان فلم يروا لهم أثر فقال مقرى الوحش لنوفل ما الذى نفعل نقيم ها هنا وأنت نعود إلى الاوطان فقال يا فارس غسان إيش بقى لنا من العمل فى ملك الأوطان نسير نحن الثلاث فوارس بل نقيم ها هنا إلى وقت السحر ونعود إلى الاوطان ونخبر عنتر بذلك الخبر فهو أخبر منا بهذا التدبير وننظر ماذا علينا به يشير فقال مقرى الوحش والله يا فتيان لو كان عنتر معنا لتبعناهم إلى بلاد اليمن وما كنا نعود إلا ببلوغ الآمال فلما سمع نوفل ذلك المقال قال له هذا الامر قد مضى وفات ولكن انزلوا بنا فى هذا المكان إلى وقت السحر ونعود إلى الاوطان ثم أنهم نزلوا فى ذلك البر الاقفر وقاموا فيه يتحدثون إلى وقت السحر وعدوا يطلبون المجيء على الاثر وما فيهم إلا من يتحدث عن مجيد وما يجرى على قلبه والغم إذا به يسمع بهذه الاخبار وما زالوا يقطعون الأرض والوهاد إلى أن وصلوا إلى العلم السعدى فدخلوا على عنتر فلما أن رآهم عنتر ونظر سرعة تلك العودة قام ماشيا على قدميه وتلقاهم أحسن ملتقى وسلم عليهم وفرح بقدومهم ثم أنه حار فى ذلك وانبهر وقال لهم إيش هذا الأمر والحال أليس خيرا يا رجال فقالوا يا عنتر ما تم شيء فقال لهم حدثونى بما جرى لكم وما تم لكم يأخبروه بالحال وقالوا له اعلم أنه لما مرنا من عندك إلى منازل أبى أسيا فما رأينا فيهم غير اليوم ولا نظرنا هناك ديار ولا نافخ نار قال الراوى فلما أن سمع عنتر منهم ذلك الكلام زاد به الوجد الغرام وقد توجع لاجل مجيد وزادت به الآلام وقال والله ما هذا الأمر المراق وأنا خائف على مجيد أن يهلك من وقع الغرام والفراق فقال مقرى الوحش أقول أن أبا أسيا ما طلب منازلة والديار وما سار إلا إلى البيت الحرام ولا يشير إلى أوطانه لاننى قد سمعت طرفا من حديثه أنه قد نشأ عندهم غلام وهو أسمر اللون لكنه بطل همام وليث قمقام وقد قيل لى عنه أنه يسمى مقسرة بن القريب وهو فارس ضرغام وكان يحب أسيا كما استهام وقد خطبها من أبيها فلم يجبه إلى ما طلب لأنه عبد معلول النسب فأخذها أبوها وهرب بها وقد أتى إلى أرضنا واحتمى بديارنا وأقول إنه بلى بها مجيد ورآها وقد تعرض

لما فخاف من عاقبته فعند ذلك أخذها ورحل بها من أرضنا وسار إلى البيت الحرام حتى يحتمى به ويأمن عليها منه ومن غيره من سائر الأنام فقال عنتر يا نوفل وحق مسير الغمام وصاحب البيت الحرام وزمزم والمقام لو صار بها إلى مظهر الملك الدوار لأسير خلفه ولآخذها منه على رغم أنفه فخذوا أهبتكم إلى وقت الصباح واعتد من قومه ورجاله إلى المسير خلفه فأجابوه إلى ذلك فبلغ الخبر إلى مجيد بجيد برحيل أبى أسماء فهام وقد امتنع من الشراب والطعام ولا أتى منام وصار حزيناً مستهام فلما أظلم الظلام ونشر على الخافقين أجنحة الغياهب وقد أرخى ستوره على المشارق والمغارب ورقدت أهل الحى فى خيامهم إلا مقرى الوحش فإنه بات يتحدث مع زوجته مسيكة وولده سبيع اليمن ويتمتع بنظره إليهما قبل الرحيل ثم أنه أراد بعد ذلك أن يهجع قليل فلم أتاه منام إلى أن عبر نصف الليل فعول أن ينام وإذا قد دخل عليه شيبوب أخو عنتر وقال له يا أمير أحب أخى عنتر فانه يدعوك اليه مهم فتعجب مقرى الوحش من ذلك وقام معه وقال يا ترى ما الشغل الذى عرض لأخيك فقال له شيبوب والله لا أدرى لأننى ما سألته عن ذلك فسار مقرى الوحش إلى خيام عنتر ودخل عليه فرآه جالس والنار تضرم بين يديه فدنا منه. وسلم عليه وجلس إلى جانبه وقال له ما مخبر يا أبا الفوارس فقد أشغلت قلبى بدعواك فى مثل هذا الوقت وإنى فى ليلتى هذه ما نمت إلى وقتى هذا فقال له عنتر إننى قد نمت من أوله إلى هذا الوقت وبعد ذلك قلقت لأجل منام رأيته وعجب أبصرته ومنه قد فزعت وطار نومى من بصرى فدعوتك لأجل استأنس بك فقال له مقرى الوحش ما رأيت يا رأيت الفوارس ولكن قص على ما رأيت فى الكرى فقال له عنتر إنى قد نمت وأنا مشغول القلب على مجيد ضيق الصدر فرأيت فى منامى ولذيذ أحلامى كأن القمر قد طلع من الشمال واستدار وطال فأنا قبضت عليه وأردت أن أرده إلى مطلعه لقراره فاحرقنى شعاعه وأنواره فرددته إلى يدى اليمن وقلبى خائف حزين وإذا به صار نصل سيف يلمع مثل البرق إذا أضاء وبرق فضربت به سواد الغسق وإذا بالصباح طلع وأشرق وذهب الظلام وترق ثم إنى انتبهت من منامى وأنا مرعوب شديد القلق وقد أخذنى من ذلك السهاد والأرق وقد طرقتنى سوارق الفكر وأنا أريد منك أن تعيننى على تفسير هذا المنام إن كنت تعلم أن تفسير لك فيه خبرة وأحكام فعند ذلك قال مقرى الوحش وقد أخذه الاندهال من هذا المقال يا أبا الفوارس ما يقدر يعبر هذا المنام إلى علماء البيت الحرام لأنه منام يحير الأفهام واعلم أن هذا المنام يتجدد لك منه سعادة ورتبة ورفعة وزيادة لأن تأويل السيف والبدر يدل على ولد ذكر هكذا قالت علماء التفسير وقد سمعت منهم ذلك فقال له عنتر يا ابن العم ما قصرت فيما ذكرت ولقد خففت عنى.

ما به فقد أشرت وأقول إننا ما نرجع من حاجة بجيد الا ببلوغ المنال بعد هذا القلق والتذكر ما بقي يأخذني هدوء ولا قرار ولا بد لي من المسير قبل طلوع النهار فعد إلى خيامك وشد على جوادك واركب ودعنا نسير ونقطع الأرض تحت هذا الغيب فإن خاطري بعد هذه الأمور قد اشتغل ونفسي تحدثني بأشياء ما لها محتمل ثم إنه بعد ذلك أنفذ شيبوب إلى عروة بن الورد ورجاله وقد نادى بأخيه مازن فحضر فأمره أن يشد جواده ثم أنه ليس آلة حربه وحلاده فسار وفعل ما أمره به أخوه عنتر وأما عنتر فإنه ودع عبلة وقال لشيبوب شد لي الابجر فشده وقد أتى به إليه فركب وسار إلى ساحة القفار وفي دون ساعة تلاحقت به الخيل وساروا في ظلام الليل فعند ذلك سأل عروة عنتر عن مشيره في الظلام فقال عنتر نحن سائرين في حاجة بجيد ثم أنه بعد ذلك حدثه بالمنام الذي رآه في الكرى وأعلمه أن في قلبه من أجل بجيد النار التي لا تطفى واللهيب الذي لا يخفى فتعجب عروة من قصته وحار من عظم همته وما زالوا على مثل ذلك حتى وصلوا إلى المنازل التي كانت فيها أسماء وأهلها وكان الوقت ضحوة النهار ومن هناك صار بهم شيبوب على الآثار إلى أن وصلوا إلى منزل يقال له علم الناظر وإذا هم ينظرون إلى غبار ثائر ملء الاطراف وكان عهدهم خالي المكان فوجدوا آثار حروب وأمور تدل على نزال وقتال ورجال مطروحين على مال فعند ذلك ساروا إليهم ولما أن قاربوا منهم وتبينوهم ما لهم أمرهم لما أن أبصروهم وتقدموا إليهم وحققوهم وإذا هم من بني بشر بن جهينة ملقحين قتلى فقال عنتر يا ترى ما كان من أمرهم وما الذي جرى لهم فقال نوفل والله خابت سفرتنا وضاع تعبنا وما تعبنا وما بتنا إلى ابن أخي بجيد وكيف يكون العمل إن عدنا خائبين نموت بلا أجل فقال عنتر لا وحق من أمر الغيث فنزل وخالف بين السهل والجبل لا عدت من سفرتي هذه خائب سر بنا يا شيبوب على هذا الطريق الذي كثر فيه وطء الحوافر ولا تخالف ما بين يديك من العساكر لان سيوفنا مغمدة قد اشتكت الظما وأسنة الرماح لها مدة ما تخضبت بالدما وساوت الخيل على أثر شيبوب وهم في سبعين فارس لكنهم فرسان تخافهم الجن والابالس قال الراوي فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى له وأما ما كان من أبي أسما وما كان منه وقومه فإنه كان لهم حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أنه كان سبب خروجهم من ديارهم ونزولهم على بني عبس كان أصله من الذي خضبها من أبيها كما ذكرنا وقد أبى أبوها أن يزوجه بها وأراد أن يأخذها منه غصبا وهو الذي قد هجم على أوطانهم وأذلهم أرسانهم وقد ذكرنا أن هذا الفارس لم يكن في أرض القوم ولا بينهم وبينه نسب ولا معاملة ولا حسب ولا وإنما كان قد التجأ إليهم وهو صبي وقد نشأ عندهم في الابيات وقد تربى وقد قتل مولاه في بعض الغزوات وبقيت أمه تخدم في بيوت

العرب وهي تر به هذا الفارس إلى أن اشتد عصبه وعقل وبلغ مبالغ الصبيان فرأى أمه وهي تتحن بالليل وتتبعه بالنهار وتميزه على نفسها إلى إن نشا وسار مع الأولاد الكبار يرعى الجمال ويركب الخيل ويساعد أمه على النوائب وإذا خلا وحده تحدثه نفسه بكل أمر صعب الاخطار ونفسه تطلب منه العلو والافتخار وسار يركب على ظهور الخيل العتاق ويتقلب على ظهورها ويقسمها مواكب وشرب ويطعن الاشجار بأصول القضيب ويفتخر على أبناء جنسه حتى أنه تمهر وصار له من الشجاعة أشيا لم يخطر لأحد على بال لأن السعادة إذا خدمت إنسان هونت عليه إلا أنه ما زال على مثل ذلك الحال حتى هانت عليه الاهوال وصار يبيت أكثر الليالي على المناهل والغدران ويقبض الوحوش التي تأتي وترد الماء وفي النهار يقصد السباسب والغابات ويخاطر بنفسه مع السباع في تلك الفلوات ويصطادها ويقودها إلى الأحياء كما تقاد الفهود والغزلان ثم ينحرها ويأكل لحومها ويفرق منها على الفرسان وإذا عرتهم فرسان القبائل في النهار وفي الليل فيقول بالله عليكم يا موالي لا يتعب أحد منكم نفسه في قتال ويصبر حتى يرى مني ما يسره ويشرح صدره في الحرب والنزال ثم إنه يحمل على الفرسان ويشتتها في القيعان وإذا تكاثرت عليه القبائل ويردها قهرا بالرماح الذوابل وكان أهل الحلة يقومون له ويحفظونها له إلى حين يفرغ من قتالها ويدفعوها له ويأبى أن يأخذها ويأمرهم بأخذها والركوب عليها يوم الورود في مقام الحر والجلاد لأنه من وقت أن نشا صار فارس الشجعان وأخبرها في الميدان فهانت عنده مقاومة الفرسان وكان مع هذه الفرسية والشجاعة كريم المحيا ضحوك السن وكان قد لجأ به مقدم العشيرة الأمير سابق ابن عقال وسار يتقوى به على الأعداء ويحكمه في أمواله ويفضله على سائر أهله ورجاله لما صارت له تلك المنزلة وعلا قدره وقد بلغ من دون الفرسان أعلى المراتب وصار له ذلك العز والسان على مقاومة الفرسان فأصاب مقابل سعادته القصا وغربة الزمان الذي ما زال بأهله غادر وخوان فسلط عليه الغرام أشغله بحب أسما البشرية وأشغلته عن المكسب والمعاش بالكلية قد ضل عقله بها وطاش وأخذه الكسل والاندهاش ومن شدة ما جرى عليه أنفذ إلى أبيها وخطبها منه وقد سار يتخضع له ليميل اليه ويقول له على لسان الخاطب يا مولاي اعلم أني فيك راغب وأنا لبنتك خاطب لا تنجم لي بالزواج حتى تطلب مني المهر وجميع الصداق وما تحتاج وارغبه فيمن هو فيك راغب واطلب مني ما تعجز عنه فرسان العرب بنيل المني. والأدب واتركي لك من جملة العبيد حتى أبلغك جميع ما تريد قال الراوي فلما سمع خداش هذا المقال والكلام

اغتاظ غيظا شديدا أو حضرت نفسه عنده وقال الرسول والله لقد نفخ الشيطان فى مغاطيس ميسرة الضعيف النسب والحسب ونسى ما كان فيه من اليتم ورعى الجمال ولكن أنا أقسم بالذى يعلم مواقع الأسما الذى جعل الليل والنهار رسما وساق إلى كل ما تحت ماء كنته من النظر إلى بنتى اسما ولا زوجته من عندى إلا ما أنى أدرى كيف ساقته المنايا إلى المهالك ثم أنه رد الخاطب من عنده وهو خائب فلما سمع ميسرة ذلك الكلام الذى هو أمر من الحسام صار يشكو حاله إلى محبيه بما جرى له وما هو فيه وما زال الأمر كذلك حتى زاد الخبر وشاع وكانت هذه الأخبار إذا وصلت إلى أبى اسما يذوب جسده ويزداد هما ومن شدة غيرته شكا حالة إلى الأمير سابق مقدم العشيرة وقال له والله يا أمير ما بقى لنا فى هذه الديار مقام ما دام قد ترك ميسرة لابنتى حديث كلام على أنه لو لا تقربك اليه ما كان قد طمع فى ابنتى فقال سابق يا خداش ولم تغير بسلفة وتروحة بابنتك لأنك ما تجد رجلا مثله يقاومه فى الفروسية ولا فى الفكر ولا فى كثرة الحياء والحشم فقال خداش يا أمير كيف أزوج بمن خالف لونه لون أمه وأبيه وصفات العبيد فيه فقال سابق يا خداش هذا الأمر لا يعلم به إلا رب الأرض والسما الذى يخلق الضياء من الظلام والذكر من الأنثى وخالف بين الألوان والأصناف شتى فان كنت أنت تخاف أن يكون خصلة العبيد فهذا والله منه بعيد وأنا أشهد له بطيبة الأصل وأناديه ابن العم حتى ترضى ويزول ما بقلبك له من البغضاء قال الراوى فلما سمع خداش هذا الكلام من سابق حار فى أمره والنجم بلجام وعلم أن أهل الحى يكونون أعوانا عليه وأن ابنته تخرج من بين يديه وأن هو رحل يرده ميسرة غصبا ويشبعه طعنا وضربا ويأخذ منه ابنته غصبا فما كان منه إلا المداراه وقد عول على أمر يفعله سوف نذكره فى مكانه ونوضح للسامعين بيانه لما إن خطر له هذا الخاطر قال لسابق يا أمير إن كنت رضيت لميسرة أن يكون من بنى عمك فانا أطيع أمرك ولا أخالفك حتى يكون لى سيفا على الأعداء وكل من طلبنى من الفرسان أسقيه كأس الردى والآن خذلى منه الصداق وسارطه على المهر باتفاق وأريد منه ثلثمائة ناقة من نوق صاحب الأرض السوداء وجبل الدخان ويكونوا زرق الاعين كحل الالوان لانى أعرف أنها ما توجد فى ساير البلدان إلا أن تكن عند رجل يقال له عنتر بن شداد وقد سمعنا بهذا الحديث من الوارد وبعد ذلك يكون لابنتى عرس أحسن من يوم الاعياد إذا هى تزينت يوم الزفاف بثياب الديباج الملونات باحسن الالوان وتركب الناس فى الفرح والسرور وياتوا الينا من كل ناحية ومكان وقال الراوى فلما سمع سابق هذا الحديث قال له ابشر يا ابن العم بكل ما تريد وذكرت ويا تيك أكثر ما طلبت واعلم أنك قد ملكت رجلا لا يقاس بالرجال ويلا ما يقاس

الأبطال ولا مثله في الشجعان والفرسان ثم إنهم بعد ذلك انفصلوا على مثل هذا الحال وكان قد أمسى المساء وقد بلغ هذا الحديث لكل من في الحي من الرجال والنساء وسمع ميسرة بان المقدم سابق تكلم في أمره والحال أنجزه وقد شرط عليه ولا استعجزه فعندها اتسع صدره وانشرح وداخله السرور والفرح لأنه قد حقد على أبي أسما لما رده عنها وسمع عن ذلك الكلام الذي عليه أصعب من ضرب الحسام وعو في نفسه أن يقتله إلا أنه لما سمع هذه الأخبار فرح واستبشر به غاية الاستبشار وعند الصباح دعا بجواد وفي الحال ركبه وسار إلى خدمة الأمير سابق فلما وصل إلى عنده دعى له وشكره على أعماله واستعاد منه الحديث فاعاده الأمير بما طلب من نوق جبل الدخان والمال فظن ميسرة إن قلب أبي اسما لمحبته قد انقلب فقال له ميسرة والله يا مولاى لاسوقن إليه كل ما طلب وأجلب جميع أموال العرب ثم أقام بعد ذلك الكلام ثلاثة أيام وأخذ معه محبيه مائة فارس تمام وسار يطلب جبل الدخان فاراد مقدم العشيرة أن ينفذ معه الفرسان فقال لي وحق الملك الديان لو لا خوفي أن تقول الناس من الشجعان والفرسان المعروفة الآن بالفروسية والطعان إن ميسرة قد أعجب بنفسه واستحقر الابطال عند القتال بعدزعيه الجمال وإلا ما كنت أسير إلى هذا المكان إلا وحدي وألتقي فرسان جبل الدخان ولو كانوا في عدد الرمال ولو رميت بسهام المنايا وطوارق الحدثان وغايأتي في الزمان من الرزايا والآلام فتعجب سابق من مقاله وقد علم أنه كفؤ إلى مقاله ثم ودعه من كان حاضرا من القبيلة وكان أبو أسما حاضرا فودعه وقبله بين عينيه فقال له ميسرة والله يا مولاى ما على من ذلك الكلام شيء ولو أنك طردتني وذلك الأمر يجرى على كل من طلب البنات مر أولاد السادات العربيات لأن البدور غاليات المهور والشموس لا تعلى بالنفوس ثم ودعه وسار وفي قلبه شعل من النار وسار مع أصحابه إلا قلبه فرحان وقد كان أبو اسما بلغ المراد منها لما أراد وقال إنه مابقي يعود إلى البلاد حتى إنه إذا رحل بابنته لا يكون له من يعقبه عن مراده وقد علم أصحابه وأقاربه وقال لهم لا يتبعني أحد منكم إلا أن يكون بارادته قال الراوى ثم أنهم أجابوا على ما يريد إلا أن أبا أسما ما أقام بعد ميسرة إلا أيام قلائل وقد شكى مقدم الحلة قلة المراعى والماء فقال له إن المراعى حوالينا كثير فاختير لك مكانا يكون كثير المرعى وأنزل فيه فعند ذلك رحل بعشيرته ومن يعز عليه من أقاربه رحيته فكان رحيله بامر مقدم الحلة وكان رحل معه من الشجعان خمسون فارس لأنهم كانوا يقربوا إليه ويعزوا عليه وكانوا من جملة المبغضين لميسرة فساروا باموالهم وطعنهم لأن أكثرهم

اغتاظوا من سابق سيد القبيلة لما ألحق ميسرة بالنسب وأدخله فى الحسب وما هو منهم وكانوا من جملة الفرسان المعدودين من العرب وقد كان يقوى بهم الأمير خداش على الأمور التى تأتى إليه فرحلوا معه وهو لا يصدق بالبعد من تلك الديار والانتزاح عن المكان التى فى تلك الأوطان وقد اطمان قلبه بمصاحبة هؤلاء الفرسان لأنه أخبرهم إنه أبعد ميسرة إلا خوفا من شره فاستحسنوا تدبيره وعجبوا من غيرته على ابنته وعظم نخوته وإن ذلك بحق له لأنها كانت تفتن العباد بما قد أعطيت من الحسن والجمال والكمال والدلال والقد والاعتدال ولها وجه أضوأ من الهلال فهى ظبية القناص ودرة الغواص ولما أن بعدوا عن أرضهم قالوا لخداش إلى أين عولت تجعل مقامنا ومستقرنا فقال لهم يا بنى عمى إلى أرض الحجز انستجير ببعض القبائل المنيعة العزيزة الجوا فعلهم يجيرونا من هذا العبد الأسود ولد الزنا ولترك مقدمنا سابق ان عاد ميسرة يأخذ ما أتى به معه ويزوجه ابنته أو بعض أهله ويلحقه بلسبه ويعتز بسيفه وإن لم نجد فى ارض الحجاز من يجيرونا ويحمينا وإلا طلبنا مكة المشرفة أو قمنا فى ظل الشيخ عبد المطلب واسترحنا من سائر القبائل فقالوا افعل ما بدلك فنحن مستمعين الى مقالك لان حماية الحريم والنساء أحب الينا من الأوطان ثم إنهم لم يزالوا مجدين وهم سائرون الليل والنهار يقطعون البرارى والقفار إلى أن وصلوا إلى ديار بنى عبس وكان عبورهم عند طلوع الشمس فرآهم الملك قيس فسال عنهم فاخبروه بانهم مستجيرون فنزلوا فى الوادى.. وفى الآخر علم أن ابنته باتت مع مجيد على الغدير وأن نوفل قد إلى بل مضار به فى زى الشنوان وبات مكان ابنته فى الخيام وقد شاع هذا الخبر فى الحى فلما سمع أبو أسما بذلك اشتعلت فى قلبه النيران وقد عول على قتل ابنته فتفكر فى العواقب وقال إن قتلتها وعلم مجيد بذلك فيدبر فى هلاكى ويساعده عنتر بن شداد ولا ينفعنى قيس ثم أنه قال مالى إلا أن أقصد البيت الحرام وأجعل مقامى عند الآلهة والأصنام وأهلك بعد ذلك أسما هنالك فى بعض الليالى ولا أطلع أحد على حالى وأقيم هناك باقى زمانى لاننى قد هجرت الديار خوفا من العار ثم انه كتم قصدته وقد شكى حاله إلى أرباب العقول من أهل عشيرته وأخبرهم أنه عول أن يرحل من هذه الديار ويجعل مقامه فى مكة المشرفة والبيت الحرام ويجاور الشيخ عبد المطلب برهاشم ويقيم فى أمان هو وحريمه من تصاوف الزمان وجورة فاجابوه إلى ذلك وقد اتبعوا رأيه ثم شاور ابنته أسما فلم يمكنها مخالفته فرحل وقد رحل معه وقومه وأهله وما زالوا يجدون المسير إلى أن وصلوا إلى علم الناظر والتل الرمل

الذى قد ذكرناه وكان هذا المكان منزلا مذكورا من منازل العرب وهو كثير الماء والمرعى فنزلوا فيه وسرحوا أموالهم وعلا صياحهم وقد غولوا على المقام هناك مدة ثلاثة أيام وقد طاب لهم المقام وسرحوا مواشيهم والانعام وفى الليلة الرابعة طلع عليهم عشرة أبطال وخمسة رجال طوال بأيديهم الحراب والنباب وهم وأخف من ريح الشمال وأوائلهم فارس عظيم وبطل جسيم أسمر اللون غميق السمرة هائل المنظر يرجف القلب من هيبته ويحير الناظر من عظم خلقته وتحته جواد ينهب الأرض انتهاب لا يمل فى الخبب إذا جرى لا يتعب ولا يبعد عليه مطلب بيده رمح غليظ أسمر لمعان سنانه يأخذ بالبصر وعلى عاتقه سيف طويل النجاد محل القوايم فيه الضرب آثار وعلايم قال الراوى وهذا الفارس هو ميسره بن مرزوق الذى مضى ليأتى بمهر أسماء لأنه وصل إلى الأرض السوداء وجبل الدخان وعاد إلى أهله بعد تلك المدة أخذ فيها ابنته وقومه وسار بهم إلى بنى عبس ومسيره من تلك الأرض والديار طالب البيت الحرام وكان ميسرة قد عمل بأهل الأرض السوداء عمل تقصر عنه الجبابرة لأنه قد أخرب تلك الديار وأقفرها من سكانها وقد غار على بنى رياح وبنى الصياح وبنى وشاح وقتل فارس جبل الدخان شداح وكان أبو أسماء قد طلب مهر ابنته ثلثمائة ناقة زرق العيون دهم الالوان فعاد ميسرة ومعه منهم ألف ناقة غير الفحول والأموال والخيول ولكن قتل من أصحابه الذين ساروا صحبته أوفى من عشرين فارس وجرح تمام الثلاثى ورجعت بقية أصحابه سالمين قال الراوى ثم أنه بلغنى بعد عودته وأنه ارتجز هذه الأبيات

أسمعانى وقع السيوف الحدادى ... وصرير الرماح فى الأجساد
وأسقيانى دما الفوارس صرفا ... بين بيض الظبا وسمر الصعاد
واتركانى ذكر ألحان صب ... ومغانى هند وربع سعاد
ماافتخار الفتى بكاسات خمر ... دائرات فى ظل كرم وواد
انما الفخر ضــــربة اشجاع ... يوم حرب أو طعنة فى فؤاد
ليث أنا أسمو ببرق حام ... خاطفا فى غبار ركض الجياد
وسنانى مثل السهام إذا انقض ... من أعالى السبع الطباق الشداد
وجوادى يخب فى الدم خبا ... يغتدى على بطون الأعاد
قد تفردت فى الشجاعة وحدى ... وخدمنى الزمان بعد العناد
وبلغت العلا بسعدى ومجدى ... بعد قتل الآباء والأجــــداد
يا سباع القفار لاتنكرينى ... والحقى الفارس الطويل النجاد

عزماتى أشد من نائبات تأتى الدهر والطلا والاياد
وإذا كنت فى الفلاة وحيدا ففراشى درعى وسيفى وساد
فارس فى الزمان فى طول عمرى ساهرا لا أذوق طعم الرقاد
وطلبت الامان أرسلت إليه خلعة بهجة كسيت من سواد

قال الراوى ثم أنه جد فى المسير ورفقته متعجبون من فصاحته ويشكرون من شجاعته ولم يزالوا مجدين إلى أن وصلوا إلى الديار ودخل أبياته والدنيا لم تسعه من أفراحه ومسراته ومن يومه أعطى رجاله أقسامهم من الغنيمة وقد عول أن يسوق الباقى إلى بيت أبى أسما فقالت له أمه اعلم أن خداش قد سار ياولدى بابنته من هذه الاطلال فلما سمع ذلك المقال كادت روحه أن تزهق وغشى عليه عند المقال والسماع وقد غاب عن وجوده وقد علم أن خداش رجل خبيث فجار فى قصته واشتعلت النار فى قلبه ومن شدة ما جرى عليه أتى إلى عند سابق مقدم العشيرة وقدم له بعض الغنيمة فشكره وهناه بالسلامة وقال له يامولاى أين أبو أسما الذى اتفقنا واياه وأرسلنى ان احضر مهر ابنته حضرت يا مولاى ما وجدته بهذه الاطلال وقد رحل بظعنه وخلانه فقال سابق والله ياميسره لقد اتعبت نفسك فى خدمة من هو أعز انسان وقضية الزمان وما أنفذك إلى جبل الدخان وأبعدك عن هذا المكان الا حتى سار بابنته فى أمان لانه قد علم اننا كلنا نكون لك أنصارا عليه ومافينا من اطلع على ما فى قلبه فلعن الله بطنا وعاه من الشروقاه ما أمكره وما أكثر دهاه فقال ميسرة يامولاى ماسمعت أين نزلى ولا أين استقر ولا بمن قد استجار من العربان فقال له والله ياولدى ماسمعت صحيحا ولكن قد ذكروا انهم وجدوه وهو طالب أرض فدعه يذهب إلى سقر وبئس المستقر ولكنه وبغيه لايرجع ولايهجع ولكن أخطب أنت من شئت من بنات عمك فان الكل يحبوك ويتمنوك وهم يشتهوك فقال له ميسرة يامولاى وعلى هذا عولت أن ميسرة بعد ذلك عاد إلى مضاربه وخيامه وهو لايدرى أين يضع أقدامه وقد خطر فى نفسه أنه يكبس على الحلل التى قد نزل فيها أبو اسما ومازال الوسواس يحدثه ولا يأخذ له قرار ثم صار فى كل يوم يتردد إلى منازل أسما ويتهم ويبكى على آثارها ومازال على مثل ذلك ثلاثة أيام فزاد به القلق والهيام فهام وقد زاده البكاء والانين على حالة وقد شكى إلى أصدقائه الذين كان يعتمد عليهم ويسألهم المسير معه فأجابه منهم عشرة فوارس على الخيول الضمر وكان له من حول ابياته عبيد كأنها زبر الحديد يقفون بين يديه لخدمته إذ حضر ويحفظون امه واموالة إذا هو سافر فاختار منهم خمسة عبيد مثل العقاب او العقارب وإذا تعرضت للقضاء

والقدر لا تخاف من حذر ولا تهاب الموت إذا هو حضر كلهم يصطادون الوحوش على رجلهم من البر ويقتلون بالنبال والحرب قتالا زائدا منكر فاخذهم معه فى ذلك اليوم وسار وقد وافقه أصدقاء وركبوا معه الاخطار وكان ميسرة قد سار بهم آخر النهار وقصد نحو الحجاز وقد علموا مقصوده فساروا وقد قطعوا معه البر الاقفر وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى علم الناظر ولما ساروا فيه التقوا أبا أسما ورفقته بعد ما جرت لهم مع جحيش وكانوا قد عولوا على المسير إلى مكة ويستجيروا بالبيت الحرام ويقيمون هناك ويتخذوا لهم منزلا ومقام إلا ان ميسرة لما التقى بهم وعرفهم صاح وا يحاه بعد تر حاه اليوم والله أقاتل من غدر بى ونافق على وآخذ أسما بلا مهر ولا صداق ثم أنه زعق هو ومعه وقد زجوا اليهم النبال والحرب فاصابت المصادق والأصداق وتواثبوا إلى ظهور الخيل العتاق واستلبوا عوامل الرماح الرقاق وكانوا خمسين فارس وأوفى من مائة عبد فانتحوا الانفسهم وقد قاتلوا فقال بعضهم لبعض ويلكم تكونوا خمسين من جهينة ونزل بكم عشرة فوارس لا قدر لهم ولا قيمة اعلموا انكم ان تهاونتم بهم ساقوكم قدامهم مثل الإبل فلما لاح لهم وجه الحرب وأقبلت النفوس بالطعن والضرب صاح أبو أسما على أصحاب ميسرة وقال لهم يا بنى عمى إيش بيننا وبينكم من العداوة حتى تعملوا بنا هذه الفعال لأنكم تعلمون سبب رحيلى لأى وجه كان لأنى خفت على ابنتى من هذا الشيطان وما أردت أيضا أن تعينوا عبداً أسود لا قدر له وقيمة وأنه قد لحقنى إلى هذا المكان يريد ابنة عمكم أسما وقصده يأخذها مسبية وأن عارها يلزمكم ان أن كان لكم نخوة وحمية فاحموها ودعونا نقتل هذا ولد الزنا ونعود إلى منازلنا والاحياء لأن هذا اذ قتل ماله بأخذ بثاره ولا هو من بنى عمنا نحمل همة وأعلموا ان مافرق شملنا غيره فاعينونا علية والا أنتم تعزلوا عنة وأتركونا نحن وأياه حتى ننجز أمره ونصرم عمره وتعود إلى أهلنا فقالت أصحابة والله يا أخذا هذا أمر ما نطاوعك علية وتنصر الظالم ولا تميل إليه لأنك زوجتة بابنتك وأنفدتة يأتيك بالمهر وقد أشهدتنا عليك وما يمكن بعد ذلك نقدر نخليك لأننا قد علمنا منك الخيانة وما أنت أهل أمانة ولا بد لنا من نهب جسدك بالرماح الذوابل جزاء ما تركت الحق واتبعت الباطل ثم انهم ما لزموا اللجاج وعزموا على الاختلاف والامتزاج فردهم مقسره من شده ما جرى عليه من خداش وكلامة وقال لهم بالله عليكم لا تقطعوا ما بيننا من النسب واتركونى أنا ارمى روحى معهم فى ذلك الأمر الصعب فان انا قتلت عودوا كلكم إلى الديار وان نصرت على غريمى ومن معه وقتهم إلى أمير حينا يحكم فيهم كما يحب ويختار ثم انة اقسم عليهم بأجل الأقسام انهم لا يعاونوه فى القتال ولا

الصدام فاجابوه إلى ماطلب من السؤال وعلموا أنه وحده يقضى الاشغال وحمل ميسرة على فريق أبى أسما وصرخ عند حملته صرخة أرتهم الصداع وسار أبو أسما يقول لقومه دونكم وهذا الشيطان يابنى عمى لأنه وقع الخطأ بيننا وبين أهلنا وهججنا عن أوطاننا وفى دون ساعة ثار على الجميع القتام واشتد الجهد وزاد الانتقام وقد أطلقت عبيد ميسره من حوله الاقدام وقصدوا إحراجهم مقاتل الرجال وقد سطا عليهم ميسرة بفر وسية على الابطال وكان قد قلع من على رمحه السنان وطلب بذلك الشأن أن يبقى على من يقاتله من الفرسان فسار يتجنب المقاتل والنحور ويطعن فى الجوانب والظهور والاضلاع بطعن غير قاتل ويرمى الابطال من على الصافنات الاصايل وما زال على مثل ذلك حتى اتسع عليه المجال وقد رأى أسما يصرخ على الرجال فناداه لعن الله سبالك ومن المصائب لأقالك فما أقبح فعالك وفاجأه وطعنه طعنة خفيفة وصاح عليه وزعق فيه فاذهله عن جوادة كركبه لأن ميسرة لما طعنه كانت الطعنة فوقانية فالتفاها خداش بالدرقه وقد أراد أن يسبح الرمح فسبقه ميسرة بسرعة الجواد فوقع الرمح فى وجهه قلبه من مركبه كما ذكرنا وكانت الطعنة قد جاءت فى عينه فأفسدها وكانت عينه الشمال وصار هو وأصحابه مطروحين على الرمال مثل الاعدال وسافوا العبيد والاموال إلى رأس العلم ونزلت بمنزلة مواليها فسمعت أسما صوت أبيها وهو يعدوه على عرصات القفار فبكت بالدموع الغزار فاراد ميسرة أن يترجل ويطلع وراءها على رأس العلم فامكنه أصحابه من ذلك وقالوا له أعلم أن مقصودك قد حصل فى بدل والرأى أننا نرفق بهم ونردهم إلى الديار وتصلح بينك وبين خداش كان فى قيد الحياة ونساله نحن ومقدمنا سائق وتأخذ لك أسما بغير العناد وتبلغ ماتريد وأنت مشكور ثم أنهم دنوا من المطروحين وافتقدوهم فرأوهم يشنون على وجه الارض وكان أبو أسما من جملة المسلمين فافاقدوه وشدوا عينه وقالوا له الذنب من الاول كان منك ولولا لجاجك ما كان جرى عليك شىء من هذا ولو كان غير ميسرة ما كان بقى عليك وانما رده عنك طيب ابنه والآن فقد بلغ الأمر منتهاه وأمسيت أنت وقد ساءك فى أسره وتحت يده ومافى القضية إلا عودتك معه إلى الديار ومطاوعتك له على مايحب ويختار وترضاه لأنه أتاك بأموال أكثر مما طلبت فرد إلى عقلك من قريب ولا تموت فى هذه الرمال غريب فلما أبو أسما منهم ذلك الكلام ندم على رحله من بنى عبس وعلم أنه قد غلب رأيه فاجابه إلى ماقد طلبوه واعتذر لهم وقال لاصحابه وأصحاب ميسرة يابنى عمى لا كلام حتى تبرأ عينى من هذا الجرح وأسلم وبعد ذلك أسلم ابنتى لكم وأجعل معولى عليكم وإن كنتم قد أخترتم هذا الرجل يكون ابن عمكم فانا تابعكم فلا أخالفكم فشكروه

على مقاله وقد أصلحوا بينه وبين ميسرة قبل المسير فقبل ميسرة رأسه ويده وقد انزلوا الظعن من على العلم والعيال وقد باتت القوم هناك تلك الليلة وأصبحوا عند الصباح راحلين وميسرة لا يصدق بذلك لأنه قد أيس من اجتماعه باسافسار وهو كأنه قد ملك الدنيا وما زال على مثل ذلك الحال وهو سائر إلى أن قرب من الديار وبقى بينه وبينها يومان فوصل إلى جبل يقال له أبو خبير جن وأراد أن يفوته إذا قد طلع عليهم غبار خيل بنى عبس وقد بان من ورائه من طلوع الشمس فانكر ذلك وقف ميسرة بمن معه من الفرسان الذين كانوا قد سلموا من بنى بشر وقد ساروا يحسبون حساب الغبار ويريدون أن يحققوا منه الأخبار وميسرة يقول والله يا بنى عمى أنا اليوم نيتى افارقكم وادعكم تسيرون إلى الديار وأسير أنا فى طلب غنيمة اتقوى بها على العرس وأنا أقول أن الرب القديم عرف بنيتى فانفذلى ما أريد بلا تعب ولا عنا لأن هذا الغبار لا يخلو من مال ومكسب ثم أنه اعتدل وتأهب حتى انكشف الغبار وبانت له خيل بنى عبس وقد زمجرت الفرسان فكانت له هيبة تقطع القلوب وتترك المعافى مكروب وتدل على أن فرسانها قد قاست أهوال الحروب وفى أوائلها الأمير شيبوب وأخوه عنتر كأنه البلاء المصبوب وهو ينادى إلى أين تذهبون يا بنى الأنذال العبيد وخلفكم فرسان عبس وعدنان لما انهم نزلوا عليهم وقد عرفوهم الحديث الذى تم لهم من أمر اسما وجيدوا أخبروه أن أبا أسما طلب الرحيل إلى أرض مكة المشرفة ويستنجد بالحرم من بنى عبس وعنتر ثم أنهم حكوا على ما تقدم فبقى فى قلبه من ذلك الكلام أثر وقد تمنى أنه لو التقى بعنتر وما زال متحسراً على مثل ذلك إلى أن أشرفت عليه الخيل وصح الخبر وقد عرف حقيقة الحال ففرح واستبشر بقدوم عنتر وقال لمن حوله من الأبطال يا بنى عمى اليوم بين لكم إذا التقيت بهذا الفارس الشجاع وتعلموا أن كنت استاهل اسما أم لا ثم أنه أطلق عنان جواده فتبعوه عبيده وأما أبو اسما وقومه فانهم بقوا على خيولهم لينظروا آخر قصتهم ولمن يكون النصر على الآخر والظفر فقال خداش يا بنى عمى أن لحقنا فى هذا البر والسباسب وأبادنا لقتلنا هذا عنتر بن شداد قد أتى وقد علمتم بشجاعته وتعرفون فروسيته وبراعته وإذا قاتلناهم ونصروا علينا فهؤلاء الذين يبلون بالبلاء ويشقوا حريمنا فى هذا الفلا والصواب أننا نقف على هذه الرابية حتى ينتهى أمرها ونبصر من ينصر من الشياطين ويأتى ويسوقنا أجمعين لا نناقد لقينا ما كفانا وما بقى من هذا العبد ملجأ ولا لنا فيهم صديق حتى تميل إليه وننصره وتطلت الشام من يديه هذا وعنتر قد تبعنا فى الفلوات وأنا منه قد هربت وطلبت الحى من العرب الكرام الأخيار

والآن فهذا مجيد نسبه رفيع وجماله بديع وهو أحسن إلينا من هذا العبد الرقيع فلما أن سمع أصحابه هذا الكلام استصوبوا رأيه وكلامه وقد أقاموا على قلق من الانتظار وفى قلوبهم من فعال ميسرة النار وقال وكان فى مقدمة بنى عبس مازن أخو عنتر فالتقى حملة ميسرة وقد طلع على الجميع الغبرة وبرقت السيوف المشهورة وقد أجادوا الطعن بعوالى الرماح ورقصت الخيل فى وسط البطاح وارتفع للفرسان صيحات وصياح تفزع منها القلوب الصحاح وقد هلك منها مقرى الوحش وعشرين فارسا ظعن الشيخ أبو أسما والأموال وقد داروا بالحريم والعيال وقد أرادوا أن يطعنوا بالقنا صدور الرجال فصاح خداش يا وجه العرب لا تفعل فلقد ندمنا على فعلنا وقد نزل الذل علينا بعد فراقكم وهلكت رجالنا من حين فارقنا أرضكم وأطلالكم وها نحن وقوف وما كان لنا بشفيق ثم أن خداش أمر عبيده تسوق مع العبيسين الظعن وقد دخت رؤس جمالها والنياق فكان أفرح الخلق بذلك اسما لأنها قد أيقنت بالرجعة إلى ديار بنى عبس واجتماعها بمحبوب قلبها مجيد منية النفس قال وكان عنتر عينه إلى المعمعة مطلقة والفرسان التى من حواليه إلى ناحية الغبار متتابعة وميسرة والجنوب وترمى بالنبال إلى اللبات والقلوب والنظر محجوب وعاد من الهول مقلوب وقد سارت الأرواح تتفرح من المنايا باذن علام الغيوب وكان قد صدم وقاتلهم فقتل عشرة فوارس وأسر تسعة من صناديدها وكان من جملة من أسر عروة ابن الورد ومازن وكان آخر من خرج تحت الغبار شيبوب العيار وكان قد جرح فى فخذه بحربة كادت أن تعطبه لأنه كان قد قتل من عبيده ميسرة عبدين وقد ضربه هذه الضربة فعاد وهو يصيح إلى أخيه ثم أنه قال ويلك الحق يا ابن زبيبه وخلصه من هذه المصيبة يكان قد قتل من أصحاب ميسرة ثلاث رجال وقد قاتل ميسرة قتالا لا تتعود منه البشر ومازال واقفا على رأس عروة حتى شده باقى عبيدة كتاف وقد أشرفوا على التلاف وكل يوم بعض فرسانه وقد عاد ميسرة يطلب الحرب بعد ما غير جواده ورمحه وأيقن فى نفسه بنقسه بنصره وقد رجع يخبب بالجواد كانه طرد من الأطراد أو من بقية قوم عاد وهو ينشد ويقول

الخيل تخافى وقد أنكرت ... فى الغاب اسد الشرى تفزع وتخشانى
هل شاب رأسى وقل الدهر من عزمى ... أو غير البين حالى بعد خلانى
عدمت عتاق الخيل إذا لم أخلص بها ... قنام الوغى وشوس الحرب ترعانى

كدلك سيوف الهند ان لم أردها | متلمة ريانة من دم أقراني
فلا رفعت يدى حساما مهندما | ولا صار لى فى ذا اليوم بين الورى شانى
أنا البطل الموصوف فى حومة الوغا | وتعرفنى فى الحرب صحبى واخوانى

قال الراوى كل هذا يجرى وعنتر يعاين ميسرة وقد انتهر من قتاله وقد صعب عليه ما جرى لأصحابه وقد سمع صياح أخيه شيبوب عليه فاسودت الدنيا فى عينيه فقفز بالجواد بطلب الحرب والجلاد فاعترضه مقرى الوحش بعدما جمع جميع الظعن من الوهاد وأمر رفقته أن يدور بالظعن والعيال وعاد إلى عنتر فرآه يريد الحرب فقال له ياحامية عبس بحق من اطلع الشمس وفصل اليوم عن امس واطلع النبات من غير غرس أنك تتركنى القى هذا الفارس المعجب بنفسة المحتقر بأبناء جنسه حتى أنى آخذ روحه وأخمد حسه لأن قلبى قد طالبنى بقتاله من غير عادة وقد حدثنى بأشياء مالها أصل ولا إفادة ولا أدرى أن قلبى يقودنى للسعادة أم للسعادة والبقا فبالله أنعم لى بذلك ولا تقطع خاطرى فقال عنتر والله يامقرى لقد فرجت عنى بعد الكروب لكننى كنت طالب هذا الغلام وقلبى لا تطاوعنى على حربه ولا يطلب قتله ولا نريد عطبه فاخرج أنت اليه وحاربه ولا تقتله إذا قدرت عليه واعلم أنى من حين ركبت الخيل وعرفت كل الفروسية والجلاد ماشفقت على أحد من العباد إلا فى هذه الساعة على هذا الفارس الجواد الذى قد مالت جوارحى اليه وقد أهلك من أصحابى جماعة وأريد أن يحضر بين يدى حتى أكشف حاله وأعرف ماسبب هذا الاشفاق من أين وبعد ذلك نأخذ منه بثأر من قتله من الأصحاب فدونك وإياه يافارس النياق حتى أخلص عروة بن الورد فسار مقرى الوحش إلى أن قرب إلى ميسرة وصاح ثم حمل عليه واشتدت بميسرة أحزانه ومصائبه لأنه كان أبصر أسماء نوقها قد سار دن ناحية الأعدا فعظم به وجده وبلاه وقد كره المقام فى الدنيا فصال وجال مع خصمه فى تلك الفلوات وشرعا بالطعن بالرماح وطال بينهم العطب والالتفات والفرار حتى اسودت فى وجوههم سائر الجهات وقد أشرفا على الهلاك وقد طال عليهما الغبار حتى احتجبت من فوقهم السموات وغابت عن الأعين الناظرات وقد امتلأت أبدانهم بالجـــراحات وتقصفت الرماح من اختلاف الطعنات وقد عادوا إلى السيوف المرهفات وقد مضى عليهم من النهار أوقات وساعات وتعجبت من قتالهم السادات والذى جرى لهم فى مثل هذا المقام عادات لأن ميسرة كان قد أمر أصحابه بالرجوع إلى ورائه وقد أضعف مقرى وقاتله إلى أن قرب المسا وافترقا وقد جرى بينهما حرب شديد وكان عنتر قد خلص أخاه مازن وعروة

لأنه قد لحق أصحاب ميسرة وكانوا قد دخلوا بهم الجبل فترجل ودخل خلفهم فى المضيق وقتل العبد وخلص الاثنين وقد أتى بالجرحى معهم وسار بهم إلى الأظعان ولما أن فرغ من ذلك الشان بقى واقفا ينظر إلى مقرى الوحش وميسرة وقد وزنهم بفروسيته فرأى ميسرة من الشجاعة والقوة فى مكان عظيم وصدق أخاه مازن وقال والله إن هذا فارس جيد وقد اتصلا وانفصلا عند قدوم الليل وقد عاد مقرى الوحش وهو يشكو من التعب ويصف ميسرة بالشجاعة والحيل فقالوا لقد صدقت يا وجه العرب وما رأينا حملاته وشجاعته إلا لعنتر لأنه غلام صغير السن قريب العهد من ركوب الخيل فقال لهم عنتر اعلموا أن الشجاعة ما هى بطول العمر وقصره ولا يزيد الفارس على الفارس إلا بجلده وصبره وعند الصباح أخرج أنا إلى هذا الغلام فإنه شيطان وأنجزه أمره وأصرم عمره وأعرفه قدره مع أننى والله اشتهيت أن يكون عن أصحابى أو يرزقنى الله سبحانه وتعالى ولدا يكون مثله شجاع حتى أتقوى به على الأعداء وأن هذه الأشياء ما أظنها لأن زوجتى عبلة عاقر وأما أنا فما أريد غيرها يكون ثم أنهم نزلوا من على ظهور الجمال لما أن أقبل الظلام وقد اجتمعوا مع أبى أسما وقوموا على أكل الطعام وقد عتب عنتر على خداش لأجل رحيله من أرض بنى عبس الكرام فقال خداش والله يا مولاى ما رحلت أنا من جواركم فرعا منكم وحياء من الملك قيس لأن ابن أخيه مجيد قد لج فى طلب ابنتى وقد هتكنى بين أهلى وعشيرتى ومضيت اليه وشكوت حالى اليه إلا أنه يأتى ويخطبها له ويزوجه بها فما فعل بل أنه أباح دمه إلى وقتله وكلفنى بسبب ما أطيق أن أفعله فرحلت عن قلوبكم وقد قلت أجعل مقامى البيت الحرام فالتقانى هذا الغلام ولولا وصولك أيها الفارس الجليل الريبال وإلا كان سقانا كؤس الوبال وقد ساقنا سوق الإبل قال فلما سمع عنتر كلامه عذره وقد عرف أنه ما علم بقصة مجيد إلا بعد رحيله وأنه ما تبعة إلا حتى يخطب منه ابنته ويعطيه كل ما يريد من نعمه ويرده إلى المكان الذى كان فيه ثم أنه قال يا وجه العرب وأنا أقول أنك لا تزوج ابنتك يا وفى من مجيد لانه ملك وسيد من سادات بنى عبس الكرام ولو سرت بها إلى جميع البلدان فقال خداش لما سمع من عنتر هذا الكلام والله أيها البطل الهمام إنى أنا لآخر ما أطلب أخير منه ولو كان الأول خطبها منى كنت زوجته بها وطيبت قلبه ثم أن أبا أسما طاب قلبه بذلك وقد اتفق على العودة ويقيم فى بنى عبس وبعد ذلك قد سأله عروة عن ميسرة لماذا هرب منه وقد بغضته وهو من الشجاعة فى أعز مكان فقال له خداش والله يا سيد الفرسان ما هو إلا أوحد العصر والزمان وأنه لا يلتقى مثله فى الميدان واعلم أننى أنا ما أبغضه إلا لسواد جلدهُ

وقلة معرفتي بنسبه ونسب أبيه وجده لأنه غريب من ديارنا وليس وهو من أرضنا ولا من بني عمنا ولا من أهلنا وأنه نازل في جوارنا ثم أنه حدثهم كيف أن أمه تنسب اليهم كيف عاش في الفقر واليتم عندهم وبينهم وقد حكى لهم من القصة التي جرت له من أولها إلى آخرها ولما انتهى من كلامه قال له عنتر إن هذا الغلام إلا قصة غريبة وهي تشبه قصتي وحق البيت الحرام أن حديثه قد أطربني ولو علمت أنه يمتنع عن أسما ولا يرجع بذكرها لكنت أنا أخرج اليه وأميل قلبه وآخذه معنا إلى الديار والأوطان وأجعله عندي من جملة الفرسان ولكن أنا أعلم انا نأمن معه على حال من الأحوال ثم أنهم باتوا على مثل ذلك فهذا ما كان منهم وأما ما كان من ميسره فانه ما يبصره ما بين يديه من شدة الغيظ والتعب الذي كان جرى عليه وذلك لما أن رأى أسما وقومها وقد ساروا مع أغاديه وأعلم أيضا بخلاص عروة ومازن وقتل عبيده فاشتد به الحنق وتمنى أنه لم يخلق وترك من كان على رأس الجبل وقد بقي معه من فرسان قليلة وقد أيقنوا بالهلاك فاشاروا عليه بالهرب تحت الظلام فما فعل بل قال والله ياوجوه العرب ما أقدر أفارق هؤلاء القوم حتى تلعب حوافر خيلهم برأسي أو أفنيهم وآخذ زوجتي أسما غصبا وأقابل أباها وقومها على فعالهم فان كنتم قد عولتم على الرواح فاعزموا قبل أن يدرككم الصباح ولكن لاتمنعوني إلى أمي لانني أعلم أني أفني هؤلاء العبسيين وأرجع بما أريد فقالوا له أن كان الأمر كما ذكرت فنحن نبذل المجهود في معونتك ولا نفارقك حتى ينقضي شغلك فقال لهم صدقتم ولكن خرج إلي وأنا تعبان فطولت روحي عليه حتى أني آخذه أسيرا وإلا ألحقته بمن قبله ولكن في غداة غد أترك السيف يعمل فيهم إذا هم بارزوني قال الراوي ثم ان ميسرة أخذه في تلك الليلة الوسواس والقلق وما صدق أن ينظر الصباح قد برق حتى ركب وتأهب وإلى ناحية بني عبس وقد طلب وقد هان عليه العطب ونادى برفيع صوته يابني عبس ويا أبطال الحجاز انصفوني اليوم في البراز وإلا أحملوا على بجمعكم أو إن ردتم الانحياز فاني بعد أن أخذتم زوجتي ما بقيت أريد حياتي في هذه الدنيا وكان قد ركب وتقدم يطلب البراز وقضاء الاشغال والارتحال وبلوغ الآمال والعودة إلى الديار والاطلال فلما قرب المجال واصطفت خلعة الأبطال فاراد عنتر أن يحلف خلفه فما من ذلك الأمر مقرى الوحش وقال له بالله عليك ياأبا الفوارس قف علي قليل واسمع مني حديثي وهو شيء عجيب تتعجب منه الناس جيلا بعد جيل وقيلا بعد قيل لأن الحق

إذا بان اخفقت الأباطيل فنظر اليه عنتر فرأى وجهه قد تغير وقد ظهر عليه الاصفرار وبان عليه مذلة وانكسار فقال له عنتر ويلك يامقرى الوحش أخبرنى بقصتك لا تكون قد خفت من هذا الفارس وقد وقع فى قلبك منه هيبة ووقار لاجل ماجرى لك بالامس معه فقال له مقرى الوحش يا أبا الفوارس إنك قد أصبت فى البعض ولكننى نمت البارحة وأنا متعجب فى أمر هذا الغلام وكيف قد قتل أصحابنا وأنا خرجت اليه وما زلت معه فى القتال إلى الليل فما قدرت عليه واحتقرت نفسى وبت وأنا موسوس القلب من هذا الأمر فرأيت فى منامى كأنى فى وسط بر أقفر خال من البنات وحولى من أجناس الوحش مايذهل العقل والنواظر ويحير الخواطر والجميع قدموا إلى الأعناق وكشروا على الأنياب وقد هجمت على السباع منهم والذئاب وأرادوا أن يأكلوا لحمى ويشربوا دمى وكان من شدة خوفى منهم قد طلبت الامان وقد ذلك لهم كما تذل الفرسان إذا رأوا الذل والهوان ثم صاحوا على بصوت واحد وقالوا مابقى لنا إلا شرب دمك وأكل لحمك ونقطعك كما قطعت عنا رسمك لأنك كنت تقرب لنا قربان وتستعز بدالك على الفرسان فقطعته عنا وتركته وها نحن نقطع معونتك ونرحلك من الدنيا ومابقيت تفلح أبدا وسوف ترى ماتلقى فى غداة غد والله يا أبا الفوارس خاف قلبى من هذا المنام ومابقى يصلح لى برهان إلا البراز لهذا الغلام لأنى إن قلته علمت أنه أضغاث أحلام وأن كان يقتلنى فيكون قد صح المنام ثم أنه قد أقسم على عنتر بقسم عظيم وحلفه أن يمكنه مما يريد فقال له عنتر وقد انبهر يا مقرى الوحش والله لقد أشغلت قلبى بهذا المنام وقسمك على قد ألجمنى بلجام فافعل ماتريد ولا تترك عليك ملام فعند ذلك ضمه مقرى الوحش وقبله وبكى وأوصاه يحسن إلى زوجته مسيكة أن قضى الله بقضاه وتراعى سبيع اليمن ثم أنه أسرع يطلب ميسرة ودموعه من أجفانه متناثرة وهو ينشد ويقول

النفس تخشى من حلول المصائب ... وتنكرنى من بعد طول التجارب
كأنى لم أركب جواد الغارة ... ولا جلت بالخطا بين المواكب
ولا حملت كفى حساما ولا هوت ... به نحو ذى الفرسان من كل جانب
أيا نفس ان كان المنام مبشرا ... بآخر عمرى قليل شيب الذوائب
صبرت لحكم الله صبر ابن حرة ... ومت كريما تحت ظل القواضب
صدمت صدور الصافنات بهمة ... يقصر عنها كل ماش وراكب

وفرقتها تعدوا خفافاً وقد أتت ... فوارس عليها كل أسد غالب
أيا بنت عمي اسألى الناس عنا إذا ... جاءت بنو عبس فوق جرد سلاهب
وكيف تولوا والسيوف قواطف ... وسمر القنا تنقض نقض الكواكب
ولا بد لى أن أبيد جموعهم ... وأتركهم صرعى بقفر السباسب
عليك ســـلام الله منى دائما ... كذا ولدت يابنت قوم أطايب
سلام محب زائد الشوق دائم ... على العهد أنى لست فى القول كاذب

(قال الراوى) ثم أنه بعد شعره ومقاله حمل على ميسرة حملة الأسد إذا هم على أشباله وقد التقيا مقرى الوحش وميسرة بخواطر منه منكرة ونفوس على المضارب وكل الأهوال صابرة وقد طلعت على الاثنين الغبيرة وكانت لهم وقعة مهولة عسرة أذهلت من الشجاع بصره وقد أبصروا الأرض ضيقة منحصرة ولا يزالون فى قتال ونزال حتى نزلت عليهم الأقدار المقدرة بأمر الله تعالى فسبحان من سبب للنفوس أسبابا وجعل لها آجالا مبعدة ومقربة قال وقد أظهر هذان الفارسان فى الحرب أبوابا حتى ملت الخيل تعبا فدمدمت بعد الجرى خببا وسارت النفوس علقا طفحت من الأجسام عرقا ووقعت الخيل وهلكت الفرسان عطشاً وجارا على بعضهم واندهشا ومضى أكثر النهار مندرجا وقد بان لهم البر ضيقا حرجا وطارت عليهم النفوس شوقاً وقلقا وشكوا أمراضا ووجعا وطارت الرماح قطعا وأبعدا عن بعضهما واهتزت الأرض من شدة الركض وأرادوا أن يأخذوا الراحة من شدة الكرب وسلوا السيوف ورجعوا بعد ذلك إلى الحرب وإذا بعبد من عبيد ميسرة قد تقدم اليه وناوله حربة ماضية وعلى الأرواح قاضية وقال له يامولاى إلى كم تطيل مع هذا الفارس فى القتال خذ هذه الحربة واطلب بها الايجاز لأن الأعداء بين يديك كثير وأنا أعرفك أنك تقاتل بالحراب والمزاريق عند كل سد ومضيق فقال له ميسرة هات الحربة وانظر ماأفعل بخصمى فان خصمى جبار ثم أنه هز الحربة بيده وعاد إلى مقرى وكان مقرى الوحش قد سل حسامه ونبه عزائمه وقد كثر عزمه وعاد إلى ما كان عليه كل هذا وعنتر ضيق الصدر من وجوه عدة أحدها المنام الذى رآه مقرى الوحش لأن عنتر أراد القتال مع ميسرة وأقسم عليه مقرى الوحش ومنعه طلب ميسرة خصمه قال ثم أن عنتر سار متطلع إلى الاثنين حتى نظرهما قد انزعجين واستراحا وعاد إلى الحرب والقتال والطعن والنزال وقد أبصر عنتر الحربة وهى فى يد ميسرة فقال فى هذه

الساعة مقرى الوحش يخسر لأن صنعته كلها فى طعن الرمح الأسمر ورمحة قد بطل وانكسر ولو علمته أنه يقبل كلامى لأمرته بالعودة والرجوع ولكن ما يفعل فقال أخوه مازن والله ما نرى خصمه قد استطال عليه إلا لشيله على أسنة الرماح أو تقطعة بشفار الصفاح فقال له عنتر ويلك يا أخى تقدم من طلب الانصاف وترك البغض والجور والأسراف والله لا فعلت ذلك أبدا ولو أبصرت التلاف (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بميسره قد زعق على مقرى الوحش وعليه استطال وكان قد وجد منه فرصه فى المجال وضربة ضربة جبار واراد بذلك هلاكه مع البوار فعلم مقرى الوحش بفعاله فالتقى الحربة بالدرقة بقائمة وقد تلقى حربته فسحت الحربه على الدرقة عبرت كأنها صاعقة فوقعت بين عينيه وقد حان موته وفناه فقلبته عن ظهر جوادة وقد أشرف من تلك الضربة على عدم رشاده وشرد فى البر جواده قال فلما رأى عنتر ما جرى على مقرى الوحش صعب عليه وكبر لديه وحس بأن الدنيا قد انطبقت عليه وفؤده قد انفطر فنادى واحرباه عليك يا فارس النياق وبطل الآفاق صدقت أحلامك وقد تفسر منامك ثم أنه حرك الجواد وصار عنده مقرى الوحش وطلب أن يشيله من على الأرض وقد طلبت فرسان عبس ميسره وقد صاحوا عليه ومدوا الرماح اليه فالتقاهم وقاتلهم إلى آخر النهار ووجه ورجع عنهم وجرح أكثرهم وكان عنتر وأخوه مازن وعروة قد نزلوا واشتغلوا بمقرى الوحش ودروا حواليه وقعدوا وافتقدوا جراحه فرأوه فى حالة العدم فتباكوا عليه وقد عظم ما جرى عليه ووصل اليه فشدوا جراحة وحملوه ورجعوا به وهو تارة يكلمهم وتارة يوصيهم على ولده سبيع اليمن وزجته مسيكه وكان كلما ذكرهم تفيض عبرته وتزيد حسرته وكذلك كل من كان معه وفى صحبته وقد لام بعضهم على بعض كيف مكنوه من النزول بعد ما سمعوه منه ذلك المنام الذى قد ابصره قال الراوى فلما ان ابصر ابو اسيا هذة الأمور فزع على نفسه وعلى ابنته وقال والله ما بقى بين الهلاك إلا ان يضارب عنتر لأنه إذا ظفر به هذا الشيطان ميسرة افنى بعدة هذا الجيش وكسرة و نرجع نقمع فى يدة ويشق منا طليل صدرته ومن شدة ما جرى عليه اراد الهرب هو ورفقته واما عنتر فانه اتى بمقرى الوحش إلى مكانهم واضجعوة وهو لا يعقل على نفسه وقد بات تلك الليلة عندة وما نام وما اكل طعام وما صدق ان ينجلى عشق الظلام ويقبل الصبح بالابتسام حتى يشفى قلبه من ميسرة

(تم الجزء السادس والعشرين ويليه السابع والعشرون).

الجزء السابع والعشرون
من سيرة عنتر بن شداد

قال الراوى هذا ما كان منه وأما ما كان من ميسرة فإنه عاد إلى الخيل التى معه وهو مسرور وفرحان ويقول لأصحابه أبشروا بالنصر والظفر لأن هذا الفارس الذى قتلته ما فعلت به هذه الفعال إلا حتى أورى رفقته حربى ثم أنه بات يرصد الصباح حتى لاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح فركب جواده وقد احترق قلبه من أجل أسماء فؤادقه ثم أنه سار إلى أن قارب نحو طائفة بنى عبس وقد نادى بأعلى صوته يا فرسان الحجاز أخرجوا إلى الحرب والبراز من أول هذا اليوم لأنه يوم الانفصال وإن كنتم كرهتم القتال وأشفقتم على فرسانكم وطلبتم العودة إلى دياركم والاطلال فسلموا إلى زوجتى أسماء أباها ومن كان معها من الرفاق وعودوا إلى دياركم سالمين وإلى أرواحكم غانمين فكان عنتر عند مقرى الوحش يعلله ويسأله عن حاله ويشد عزمه بمقاله ويضمه إلى صدره ويقبله وما زال كذلك إلى أن سمع نداء ميسرة ورأى أخاه مازن قد عول على الخروج إليه فنهاه عن ذلك وقال له تمهل يا أخى فما يشفى فؤادى غير حسامى الظامى وأبصر هذا الفارس مخضب بدماء قدامى وإن لم أقتل هذا الفارس الولد فما أكون فارس عبس وعدنان ثم إنه وثب على ظهر جواده وقد أمل أن ميسرة بحر الا يخاض فهم عنتر بالخروج إلى ميسرة وإذا برجل من بنى عبس قد نادى يا أبا الفوارس كلم مقرى الوحش فرجع عنتر إليه ونزل عن جواده وقد تقدم إليه كلمة ففتح عينيه وقبلوا بعضهم البعض وقال بصوت ضعيف لا تتهاون بخصمك واحترز على جسمك ومالى عندك وصية يا أخى الا سبيع اليمن ولدى وزوجتى مسيكة فبكى عنتر من كلامه وجميع من حضر وبعد ذلك خرج عنتر من عنده وقد رجع إلى ظهر الجواد ثم أنه أفرغ عليه الحديد وتقلد بسيف مهند واستلب رمحا مديد وسار وقد تقرب إلى ميسرة وهو لا يرد له جوابه بل التقاه مثل الأسد فى الغاب وقد حدثته نفسه أن يفعل به كما فعل بمقرى الوحش فصرخ الاثنان صرختين عظيمتين صرت لها الخيل إذ أنها ارتعدت أجساد فرسانها فظن كل من كان حضر أن السماء انشقت والمواعيد حقت فكان لها ساعة تقشعر منها الجلود وتذوب من هولها الكبود ويلين من حرارتها الجلمود وقد عرف لها الإنسان مرارة العدم

من حلاوة الوجوه وقد طال بينها المطال فتعجب شيبوب من فعال أخيه وتطولا له مع ميسرة فى القتال لأنه قد خرج خلفه من شفقته وخوفه عليه من عبيد ميسرة وما زال متحيرا فى أمر أخيه وعجزه مع خصمه وقد أبعد بعضهما عن بعض يطلبان راحة الخيل فتقدم شيبوب إلى عنتر وقال له ويحك يا أخى إيش جرى عليك اليوم لا تكون قد كبرت وضعفت عن القتال أو صالك لأنى أنظرك مقصرا فى قتل هذا الولد الزناو هو بين يديك ظاهرة أحواله لقلة خبرته بالاسفار وأنت تتجنبه وقد نقضى النهار وما قتلته ما الذى فى نيتك أن تعمل به أخبرنى بقصتك فقال له عنتر والله يا شيبوب ما أنا مع هذا الفارس الا كأنى مسحور وما بقيت الوم مقرى الوحش فيما جرى عليه وما كان معه إلا معذور لأنى كلما لاح أنه ساحر ومعه شىء يمنع عنه الحديد فقال شيبوب والله يا ابن الام ما أنت إلا قد عدمت عقلك وقد عمل لك هذا الولد الملعون شيأ أبطل به شجاعتك وإن أردت أن تعرف ذلك قال لى أضرب هذا الولد بسهم فى لبته أقتله به ولا أجعله يقتل له عنان قال فلما أن سمع عنتر كلامه تبسم وعاد إلى ميسرة عودة الأسد إذا انذعر وقد نزل عليه نزول القضا والقدر إلا أن العبار ما ثار عليهما حتى ضايقه عنتر ولاصقه وسد عليه طرائقه وقد زعق فيه زعقة الحق فرغرغة وفد أرعبة وطعن جواده فقلبة ورماه من عليه فانقهر عليه شيبوب انقضاض ما حل به من عنتر ولو يطلبون الديار ويرعقون على الخيل ويطلبون القفار خوفا من الهلاك والبوار والدمار وأما عنتر فانه قد بقى مشغول القلب على مقرى الوحش ضيق الصدر من أهلة فسار إليه ودخل علية فرآه أشرف على الهلاك فاقام ذلك من الغد رفعة على بازل من الإبل وقد شد ميسرة على جواده عرضا وتركه بين يدية وقال فى أى مكان راد بمقرى الوحش لامروا يستمنه تحرت خصمة قدامة وشقيت قلبة من قبل أن يشرب حامة ثم أنة عاد من الطريق التى أتى منها واسماً فراح الخلق يرحوعها إلى مجيد وكذلك أبوها وكان قد بقى معه من الرجال جماعة لأنهم كانوا قد اختاروا بنى عبس وقد طاب لهم عندهم المقام وما زالوا ذلك اليوم ولما أدركان اليوم الثالث ساروا وما زالوا سارين بين تلك الروبى والكثار فبينما هم سائرون على ذلك الحال إذ لاح لهم غبار ثار لماسد الاقطار وبعد ساعة انكشف بان من تحته رايات وأعلام ورماح مشبكة مثل قضب الاجام وسيف كما لمع البرق من تحت الغمام وخيول وجنائب ومواكب وكتائب وعساكر يدل على أن قائدهم ملك عظيم يحكم على أكبر الاقاليم فساروا بنو عبس اليه وقد تلقوه فلما أن قاربوه عرفوا ما تحته من

الفرسان وقال عنتر والله إن هذا لهو الملك النعمان بن المنذر وهذه أعلامه قد بانت وراياته ظهرت وفرسانه الذى يسير بهم فى مهماته الثقال فيا ليت شعرى ما الذى أزعجه من أرض العراق وأتى به إلى أرض الحجاز قال الراوى فقال عروة لعله أتى إلى زيارة البيت الحرام ليتبرك بما عليه من الاصنام فقال عنتر هذا أمر لم يفعله ولا له به عادة ولا يرى فى الاصنام إفادة لأن الرجل يعبد النار ويوافق الملك كسرى فى كل الامور والسجود إلى الأنوار ذات اللهب ثم أنهم تقدموا نحوه وهم يطلبونه ليعلموا ما سبب قدومه قال الراوى وكان السبب فى مسير الملك النعمان من أرض العراق ووصوله إلى هذه الأرض كلا عجيب وأمر مطرب غريب لابد أن نحكيه على الترتيب حتى أن المستمع يلذ ويطيب وذلك أن أصل خروجه من بلدة الحيرة وأرض النجف أنه قد رأى مناما فبقى منه فزعان حيران لأنه قد رأى أنه واقف على رأس جبل عال وكان بين يديه فيل عظيم المنظر وعليه ثوب من الحرير المدثر وهو ينفخ من فيه فيخرج منه نار وشرار ويقصد نهاوجهة وهو منها هارب والفيل له طالب وكأن حريمة وأواتك الخال فسار وامعة وهم ينادون بالويل والحرب ويستغيثون برب السماء وهم يطلبون منة النجاة من هذا الفيل والشرار من حوالية مشمع وهو يزعق فسمع له فبينما هو هارب منه وإذا بغلام بدطلع عليه وأقبل من ذيل الجبل وهو غلام أمره لانبات بعارضية خالى من الشعر من وجهه وبيديه حسام مشهور وهو راكب على جواد اشقر وهو يقول أتاك الفرج يا نعمان من بعد الفزع ولا بقى عليك خوف ولا جزع فقال بعد ذلك الملك النعمان للصبى يا غلام أخبرنى من تكون أنت من العربان واشرح لى قصتك حتى أننى اعرفك واغنى فاقتك بالمال والذهب وأخلع عليك وايرك عندى فى اعز الرتب لأنك فرجت عنى هذا الكرب فقال له الغلام أنا يقال هانى بن مسعود تنتصر على العدو والحسود ثم سار من حيث اتى فانتبه الملك النعمان من منامه وهو مرعوب وعاد اليه عقلة وكتم حالة لكن بقى ضيق الصدر تارة يفزع من المنام وتارة يقول هذه اضغاث احلام فامتنع من كل الطعام ذاك اليوم كله ولما امسى عليه المساء واظلم الظلام ونام فرأى فى منامه مثل ما رأى فى الليلة الأولى وقد دام عليه الأمر مدة سبعة أيام فتوسوس من هذه الرؤيا التى رآها فى المنام وقد خاف من عاقبتها فجمع خواص دولته وقد فسر عليهم المنام وقال اعلموا أنى أريد منكم ان تبذلوا المجهود فى طلب من يفسر لى المنام فقد اغتر انى الهم من تلك الاحكام فلما سمعوا مقالته أرباب دولته ذلك الكلام تعجبوا من هذه الاحكام فاحضروا للتفسير تلك الاحلام من كان عندهم فى تلك الديار فتحدث فيها العلماء وقد أطالوا الكلام فما فيهم من شفى قلب النعمان بل زاد همه وكربه باختلاف اقوالهم فعلم وزيره

بأحواله وضيق صدره فقال يا مالك الزمان أعلم أنه لا يفسر لك هذا المنام إلا السطيح الكاهن الذى يخبر العرب بجميع الحوادث قبل نزولها ويقول لهم على ما يأتيهم ويفسرها إليهم فسر إلى مكة وأنت تبلغ ما تختار فلما سمع الملك النعمان هذا المقال خف كربه وارتاح واشتاق إلى معرفة منامه حتى يطمئن قلبه لأنه قد خاف أن يكون قدامه شىء يقع فيه بغير علمه فجمع من سائر العرب وسادات القبائل جيشاً كبيراً وسار بهم بطلب البيت الحرام وقلبه مشتغل بذلك المنام وما زال سائراً إلى أن قرب إلى مكة والتقى بعنتر وطائفة بنى عبس كما قد ذكرنا قال الراوى ولما رأوا راياته وأعلامه تعجبوا من وصوله إلى أرض الحجاز فأخذ عنتر تمام العشرة رجال وترك الباقى عند الظعن وسار هو وإياهم للقاء الملك النعمان وسلم على من يعرفه من الفرسان ولم يزل يشق المواكب إلى أن قارب الرايات والأعلام ترجل وسار قدام الملك النعمان فتبسم فى وجهه ورد عليه السلام وأمر بالعودة وأخذه إلى جانبه وقد سأله عن أحواله فأخبره بقصته وقصة مجيد بن مالك وعشقه لأسماء وما جرى له مع ميسرة وذلك الكلام فقال له أبا الفوارس وأنت مرامك ما تزال واقفاً على حوائج العشاق وجمع شمل الأحباب بعد الفراق فقال عنتر يا مولاى أنا لم يأخذنى الصبر عن السلو للعشاق لأنى قد عرفت حلاوة الوصال وذقت مرارة الهجران وبعد هذا أريد منك يا مولاى أن تعرفنى سبب قدومك إلى البيت الحرام فقال له الملك النعمان أعلم يا أبا الفوارس أنى قد أتيت فى أمر عجب وقال ما يكون إلا الخير يا ملك العرب وإن كان شىء مهم غير هذا المهم فها أنا بين يديك فقال له الملك النعمان أترك الرجال الذين معك تسير إلى الأهل والأوطان بالظعن والعيال وأصحبنا أنت إلى البيت الحرام حتى تجدد ذلك عهداً ونسمع حديثك وتبصره فقال له عنتر السمع والطاعة ثم أن عنتراً استندب عروة بن الورد بحفظ ميسرة ومراعاة مقرى الوحش من الفرسان وقد خطر له أن يفسر منامه الذى أبصره على سطيح الكاهن حتى أنه يعلمه ما يكون تأويله لأننا كنا ذكرنا أنه قبل أن يسير خلف أبى اسما وأنه قد رأى فى المنام قد طلع من الشمال وقد شرحنا هذا المنام لهذا الكلام وقد ذكرنا أنه من أجله كان يريد أن يسير إلى البيت الحرام ليفسر هذا فالتقى بالملك النعمان وجرى له ما جرى من الأحكام وسار معه كما ذكرنا وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى مكة أعزها الله وقد داروا من حول البيت الحرام ولما كان من الغد ركب بجماعة من حجابه وخواصه وسار إلى ديار الشيخ عبد المطلب فوجده على دكة القضاء ولديه عبد الله وأبى طالب ومشايخ البيت الحرام وسادات قريش بين يديه والمجلس حافل بأهل مكة فلما أن رأوا الملك النعمان قد أقبل عليهم قال له الجميع

إجلالا لقدره على الأقدام وحيوه بالسلام قال اليه الشيخ عبد المطلب وترحب به وأخذ بيده وأجلسه إلى جانبه وبقوا أرباب دولته فى الخدمة وعنتر فى الجملة ثم أن الشيخ عبد المطلب قد سأل الملك النعمان عن سبب قدومه إلى البيت الحرام فقال له يا سيد العرب انى قد أتيت من أجل منام رأيته . وقد اشتغل قلبى من أجله وما عرفه من أرباب دولتى أحد وأنا جئت إلى ههنا على سبيل الفرجة والزيارة وسماع تفسير المنام من السطيح الكاهن فعندها تبسم الشيخ عبد المطلب وصار من هذا الكلام متعجب وقال والله إن هذا الاتفاق ماجرى نظيره فى سائر الافاق لأننى أنا الآخر رأيت البارحة مناما تتحير منه الأوهام ومن أجله قد جمعت سادات الحرام وقد أنفذت خلف سطيح الكاهن وقد أمرت بحمله إلى هذا المكان حتى يخبرنا بما رأينا عن حقيق وفى هذه الساعه تراة قد حضر ويتكلم لنا بكلام مايقدر عليه أحد من البشر لان رب هذه القبة الخضرا قد أطلعه على كل حقيقة وهو سر ربانى من خالق الخلق رب كل البرية (قال الراوى) وكان هذا الكاهن من عجائب مخلوقات الله تعالى بلا بدين يبطش بها ولا رجلين يمشى بها ولا عروق ولا عظام ولا عينين ولا معده ولا جوارح تساعده على الحركة ولا على النقل من مكان بل جعل الله تعالى له أنفاسا تتردد فى جلده وقد كانوا إذا أرادوا أن يشيلوه من مكان إلى مكان يطووه كما يطوى الثوب الخام ويحمل على الأيادى إلى الموضع الذى يستدعى به ثم يسألوه عن كل شىء فيخبرهم به ويحذرهم إن كان فيه شىء مضر فيذهل جميع الخواطر ويحير الأفكار فيما يقول لهم قال الراوى ولما كان ذلك أتوا به إلى الشيخ عبد المطلب فوضعوه فى وسط الحاضرين وتعجب به كل الناظرين من أجل خلقته وقد اقشعرت منهم الأبدان من تكوين صورته فسلم الحاضرون عليه فرد عليهم السلام بصوت ضعيف وجعل يسبح الله تعالى الواحد الأحد اللطيف وكان من جملة ما قال إن الله حى أزل أول الأول الذى قضى بدولته الدول الملك الذى لاشبيه له ولا مثل فسبحان من خلقنى فى تلك الصورة وخلق لى أنفاسا متعددة ومحصورة وصور الأشكال فى الأفلاك الدائرة وهو سبحانه وتعالى يراها وبكل شى خصنى ربى من جوهرة النور وهى النورانية الصمدية الأزليه الديمومية الفردية السرمدية الذى يستوجب الحمد والثناء على انعامة الحسنى الشاهد على أعمال عباده صباحا ومساء معاشر الحاضرين اسالوا عما بدا لكم من العجائب واسمعوا منى

أحاديثا من حكيم عارف بالعواقب وسبحوا ربا لم يزل معكم يشاهد ويراقب قال الراوى ولم يزل معهم كذلك حتى حير كل حاضر وعاقل وأيقظ كل راقد وغافل فقال له الشيخ عبد المطلب أعلم ياحكيم أن ملك العرب النعمان أتاك من أجل منام وأنا الآخر رأيت مناما وقد أشغلنى وصرت منه فى أوهام وأريد منك تفسير هذه الرؤيا والاحلام مابين هؤلاء السادات الكرام قال والراوى فقال الكاهن أذكر يامولاى ماأبصرت فقال له الشيخ عبد المطلب رأيت مناما وقد أشغلنى وصرت منه فى أوهام وأريد منك تفسيرهذه الرؤيا والاحلام مابين هؤلاء السادات الكرام قال الراوى فقال له الكاهن أذكر يامولاى ماأبصرت فقال له الشيخ عبد المطلب رأيت كان ولدى هذا عبد الله قائم بين يدى مثل ما هو الساعة وقد ظهر من بين عينيه نور وصعد إلى عنان السماء ثم أنه بعد ذلك قد اجتمع ذلك النور وتدور وصار أبهى من الشمس والقمر ثم ثم إنه قدازداد نوراوتشعشع وعلاوارتفع وكان العرب قداجتمعت من حواليه مثل الكواكب وهى ترميه بالنار من كل جانب ومكان وكانت أنا من حذرى عليه التفتت أبصر لى قاصد فرأيت أخيه أبا طالب وقد أتى مثل العقاب وفى يده سيف كانه شهاب يطير من جانبيه نار شديدة الاضطراب وأراد أن يضرب به فى العدا فطار من يده وعلاوامتد ذبابه حتى لحق إلى عنان السما وسد بعارضيه منافيس الهوى ثم أنه انقسم أجزاء وتساقطت صواعقه إلى الأرض وعبر إلى جنبات العرب طولا وعرض حتى أنه أخذ الأكثر وما سلم منهم ثم سمعت الناس ينادون لا تفعل ياأبا طالب فقد أهلكت الأمم جمعا وماتركت من يدفع عن نفسه ضرا ولانفعاوقد رأيت السيف قد هوى يطلب أرض يثرب وقد انتهيت وأنا من هذا المنام متعجب فاسرع لى بالكلام وفسر لى هذا المنام واعلمنى بما يد من الأحكام قال الراوى فلما سمع سطيح الكاهن ذلك القول شهق شهقه وغاب فيها عن الوجود ساعة زمانية ثم أنه بعد ذلك أفاق من غشوته ومثل السكران وكلم الناس وقال وأعلموا يامن حضرها هنا فى هذا المكان لقد آن الأوان واقترب الوقت والزما وعن قريب يظهر سيد ولد عدنان صاحب الشريعة والبرها والدين والقرآن والايما الذى يهدى به الانسان إلى طاعة الملك الديان ويظهر الحق إلى سائر الانام ويرى الأصنام من البيت الحرام ويعرف الخلائق توحيد الملك العلام الذى حارت فى معرفته الاوهام هو الذى ينشق له البدر

التمام ويكون معتدل القوام واضح الابتسام صاحب عفة وذمام ووحيا وصيانة وعلامة وأنه لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير الراهق حسن القامة مدور العمامة ويلوح بين كتفيه علامة على خديه شامة تظللة إذا مشى فى الحر غمامة شريعته دائمة إلى يوم القيامة وجهه كالبدر إذ كان تماما يلوح فى الظلام متجلل بالهيبة والوقار المختار والأنوار حلو الكلام عظيم المراد كثير الصيام بسهر الليل والناس نيام يناجى. ربه الملك العلام زاهد عابد أخوف على أمته من الوالد الولدان إذا سأل أجاب وإذا نطق أصاب بذول وهاب نقى الأثواب طاهر الميلاد مصانا عن الفساد رحمة للعباد موصوف اسمه فى الأرض محمد وفى السماء أحمد معروف بالخير ألوف وعند الشر صروف وكلامه رؤف قد كملت صفاته وبانت للعالمين معجزاته وعن قريب يظهر تبيانه أجيبت دعوته وأنارت طلعته وعلت دعوته حسن الأخلاق طاهر الأعراق حبيب الله الملك الخلاق تام الجمال مليح الخصال كامل الاعتدال وجهه أضوأ من الهلال سيد مفضال صادق فى المقال حميد الفعال كريم نوره من غرته يصدع له فم مثل الخاتم سيد الأعراب والأعاجم ذو فضل ومكارم بحاجبيه دعج وبثغره ثلج وبطرفة دعج إن قدر عفا وإن تكلم كفا أحسن من نشا وأكرم من مشى وأجمل من وطى الحصا وأفخر من عرج إلى السما يجوز سدرة المنتهى ويخاطب الملك الأعلا يكون منه كقاب قوسين أو أدنى بهى رضى تقى نقى مكى أبطحى هاشمى عربى زمزمى قرشى تهامى مدنى له مقام زكى عدنانى شريف عفيف لطيف ظريف رؤف رحيم وهو محمد وأحمد وطه ويس وأمجد ومجد وكان ﷺ ملتف العضدين أحور العينين والمقلتين سهل الخدين معرقص الصدعين وهو سيد الثقلين صادق اللسان تالى القرآن اسمه مقرون باملا ربه فى الأذان مذكور فى كل مكان بشرت به الأخبار والكهان مزيل دولة الصلبان مهلك عبدة النيران لم يخلق الله تعالى فى الأولين ولا فى الآخرين ولا يخلق إلى يوم القيامة لا أحسن ولا أزين ولا أعدل ولا أفضل ولا أجل ولا أكرم ولا أرحم ولا أحلم ولا أفهم ولا أصبر ولا أخشع وجميع أفعال الخلق كلها من هذا النبى إلا فى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صاحب الآيات البينات والمعجزات الظاهرات وأنه له ترضى رب الأرض والسموات فياليتنى عشت حتى ألقاه وأسير من أصحابه ورفقاه والويل كل الويل لمن عاداه وطوبى لمن والاه وياخيبة فرسان العرب الجهال إذا ظهر الشجاع المنتخب صاحب الحسب والنسب

فواعجباه كل العجب مما يحل بالأبطال من النصب إذا ظهر ذو الفقار وضرب به كل فارس همام وأسد ضرغام يسقى الأعداء كأس الحمام مجندل الأقران ومبيد الشجعان شديد الصولة عظيم الجولة لا يأخذه رعب جسيم لا يجزع فى الحرب اسمه كبير فى المواسم كثير الذكر فى كل الملاحم مهشم القمم مدوخ مقدم يكون لمحمد وزير يدعي بالأمير بدانيه فى الحسب له أسماء مختلفات فى الكتب اسمه فى التوراة إليا وفى الإنجيل بريا وفى القرآن ساقى الخلق الأكبر من نهر الكوثر يسمى زيد وحيدر ومزق الشرك بذى الفقار الذكر يقاتل الجن من تحت الأفلاك ولا يخشى الهلاك قال ثم إن سطيح الكاهن سكت بعد ذلك الكلام فبكى السادات من العرب وارتعدت منهم الأبدان والركب وقد حار الأمير عنتر مما سمع وأبصر وبقى الملك النعمان ينظر إلى الكاهن وهو حيران ساعة من الزمان فرآه قد أفاق من غشيته وعاد إلى الكلام فقال الملك النعمان وأراد أن يدنوا منه ويفسر عليه المنام وإذا به قد صاح وقال له وأنت يا نعمان قال نعم فقال له أنت تريد أن تسألنى عن الفيل الذى رأيته فى المنام وهو يرمى إليك بالنيران وأنت منه فزعان وقد أتاك غلام وهو مليح الصورة صمصامته مشهورة وهو يصيح على الفيل وقد ضربه قسمه نصفين وتركه مرمى قطعتين فسألته يا نعمان عن اسمه بعد ما فرج عنك وأعاد إلى الجواد وقال أنا هانىء بن مسعود وقومى بنى شيبان فقال له الملك النعمان بعد ما سمع منه ذلك الكلام بالذى خصك بهذه الأقاويل أخبرنى بهذا المنام والتأويل فقال له سطيح الكاهن يا نعمان احذر من إنسان عجمى يطالبك بالمظالم ويقصد لا بجيش الأعاجم ويجرى لك معه من الحرب أشد من النار واعلم أن هذا الفيل والنيران فتن من هذا السلطان فكن منه على حذر واطلب هانىء بن مسعود إلى عندك قال فلما سمع الملك النعمان هذا المقال خاف على ملكه من الزوال وبقى متفكرا من أين تأتيه النوائب وأما عنتر بن شداد اندهل لما سمع عجائب تحير عقول الرجال فقال عنتر لا يكون هذا العلم إلا فى السماء فتبسم الأمير حجار بن عمار الكندى وقال ويحك يا أبا الفوارس إن رب السماء يفعل ما يشاء فى عباده ويطلعهم على علوم شتى ولو لا ذلك ما كنت شجاع وغيرك ذليل فقال له عنتر صدقت فوالله يا حجار ما هذا الإنسان إلا من أكبر عجائب الزمان واعلم أنى أريد أن أتقدم اليه وأسأله أنا الآخر عن منامى قبل أن يرجع ثم أن الأمير عنتر يقدم إلى سطيح الكاهن فناداه حياك الله يا أبا الفوارس يا فارس عبس الأدهم وشجاعها المعلم أبشر بالزيادة فى السعادة واعلم أن الله قد رزقك

بشيئته وإرادته وقدرته ولدين إلا أنهما أسدان تذل بهما رقاب العالمين عجم وعرب ثم تبلغ بهما أعلى الرتب فالأكبر فيهم أصبح فى يدك أسيراً والأصغر تعرفه فى هذه الأرض بعد شىء يسير واعلم أن منامك يدل على هذه الأحوال وأما رؤياك أن الهلال قد طلع من الشمال وأنت قد أخذته بيدك وأردت أن ترده إلى الشرق فانقلب فى يدك وصار سيفاً فهذا دليل على وجود الأولاد وهذا ما عندى والسلام (قال الراوى) وما بقى من الحاضرين أحد إلا وحدثه طيح بما أضمروا بين صاحب البشارة بشارته وأصحاب الحذر لحذوا وقد انطوى بعد ذلك ورفع وقد تعجب كل من حضر بما سمع وكان أكثرهم تعجباً الأمير عنتر لأنه قد زاد سروراً وفرحاً بالأولاد وقد صار يقول إن هذا الأسير الذى عندى لاشك هو ولدى لأن جوارحى كانت تشهد له عند قتاله بالإشفاق ولكن لا أدرى من هى أمه وما أقول إلا أنى فى أيام الصبا والجهل غصبت بعض بنات العرب على نفسها فأنت بهذا الغلام وإن كان هذا على الحقيقة ولدى فأنا أذل به الأعداء قال الراوى وأما ما كان من الشيخ عبد المطلب وأهل مكة فإنهم قد حلفوا على الملك النعمان وقد صنعوا له الولائم والدعوات ولعسكره وأقاموا به وبمن معه من العساكر ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أنفذ خمسين فارساً إلى بنى شيبان من أهل هانىء بن مسعود الذى قد رآه فى المنام وقد أعطاهم صفته وحليته وقال لهم إن أنتم وجدتموه ولقيتموه فاضمنوا له عنى الغنى وبلوغ المنى والحقونى به إلى الحيرة قال الراوى فقال الأمير عنتر بن شداد وأنا وأخى نسير معهم ونجتهد فى طلب هذا الغلام فان وقعنا به وإلا عدنا سائرين إلى بلادنا لأن الطريق واحدة فقال الملك النعمان افعل ما تريد ولا تمض إلى بلادنا حتى تعبر بنى شيبان ولولا أنى متعلق بقول الكاهن عن الأسير الذى قد أسرته وسيرته إلى ديار قومك وقد أخبرك أنه ولدك ما كنت تركتك تمضى من عندى فشكره الأمير عنتر على ذلك الكلام وقد طيبه ووعده بالنصر على الإعداء ثم أن الملك النعمان أخذ أهبة الرحيل وقد أقام بعد رحيل الأمير عنتر من مكة ثلاثة أيام وقد ودع الشيخ عبد المطلب وسادات الحرم ورحل يطلب أرض العراق ومازال سائراً حتى قرب لها فرأى رجلاً نجاباً يقال له معمر وكان من نجابته الذين يرسلهم فى مهماته فلما صار قدامه عرفه فقال له ما شأنك فقال يا مولاى اعلم قدمات الملك كسرى وقد تولى مكانه خداوندولده وكل ولاة خراسان قد مضت إلى خدمته وصارت تحت طاعته لأنه كريم كما تعرفون عادل فصيح اللسان فاضل والناس قد اجتمعوا على محبته وقد فرحوا بدولته وقد أرسلنى الملك الأسود أخيك حتى أنك تسير سريعاً وتجدد عهدك منه لأن حسادك على كسرى كثيرة فلما سمع النعمان هذا الكلام صعب عليه وقال

فى نفسه ما أخوفنى أن يكون تفسير منامى أن تغيير الدولة يتقدم أو يتأخر ثم إنه سار وهو مشغول القلب لايدرى على أى شىء يقدم قال الراوى هذا ما كان من أمر الملك النعمان وأما ما كان من الملك خداوندفانه كان جيداً يكره الجور والإسراف وقد ذكرنا قبل تاريخه فى بعض أوصافه لما كان أرسله أباه إلى بنى عبس وجرى له مع الأمير عنتر ما جرى وقدمنا ذكر كرمه وحسن سياسته من أنه كان يحب العرب ويميل إليهم أكثر من العجم لأن أمه كانت عربيه من أحسن بنات الملوك والفرسان وكان أيضاً يهواهم لاجل فصاحة اللسان ولما وصى له أبوه بالملك اتخذ له من قبائل العرب أعوان ولما سار على سرير الملك فى الديوان ودارت حوله المجوس علماء النيران والبسوه التاج وبايعوه على البلدان فأتت اليه ملوك خراسان وأتت اليه سادات العرب من كل مكان ففتح خزائن الأموال وقد أكرم أهل الولايات وأوسع على الجند فى الاقطاع قال الراوى وما وصل الملك النعمان حتى وجده ممهد الأرض تمهيد وقد أطاعه القريب منها والبعيد لأنه جلس على سرير أبيه وكانت توليته طالع سعيد قال الراوى وما وصل الملك النعمان إلى بلدة الحيرة فما أقام فيها غير القليل وقد رحل طالب المداين ومازال سائراً إلى أن وصل المداين ودخل خدمة الملك خداوند ولما سار قدامه سلم وقبل الأرض وعزاه فى أبيه ودعا له وأثنى عليه فترحب به خداوند ونصب له كرسيه وأمره بالجلوس وأخلع عليه وعلى أرباب دولته وسأله عن سبب غيبته فذكر له أنه كان فى البيت الحرام على سبيل الزيارة ولم يذكر له المنام الذى رآه بل حدثه بذكر سطيح الكاهن وماذكر من صفات النبى ﷺ وأن ظهوره قد حان فتعجب خداوند من هذا الكلام وقال إن الذى يعيش إلى أيامه وينظر زمان هذا الرجل يعاين الاهوال فقال له الموبذان يا ولدى إن شأنه عظيم وقد ذكر جميع العلماء أنه يولد بمكة ثم يتربى يتيما ويجدد بمكة بيت الخليل إبراهيم ويعرف الناس عبادة الرب القديم رب زمزم والحطيم قال الراوى ثم طال بين الحضار الكلام وقد شرعوا بعد ذلك فى أكل الطعام وشرب المدام وبعد ذلك خلع خداوند على الولاة خلع رضا وردهم إلى بلادهم وكذلك فعل الملك النعمان ورده إلى الاوطان وكان كثير المحبة إلى النسوان زائد الرغبة فى الاصطباح على أصوات المغانى بشرب المدام وعلى وجوه الحسان من الحور والولدان قال الراوى وقد اتفق له فى بعض الايام شرب مع ندمائه إلى المسا فجرى بينهم كلام فقال زيد بن عدى والله يا ملك ما أنت إلا وقد قضيت من النسوان الحسان وطرا وملكت من الجوارى ما لا ملكه أحد من أجدادك الاكاسرة الكبار ولكن أنت ما ملكت مثل المتجردة زوجة [illegible]

مثلها فى هذا الزمن ولولا أنها فريدة العصر والاوان فى جميع المعانى ما كان قد ذكرها فى شعره النابغة الذبيانى فلما سمع خداوند هذا الكلام ارتعد من شدة محبته فى النساء فقال له يادريد ماالذى قاله النابغة الذبيانى فى المتجردة أذكر لى بحق النار والنور حتى إننى أسمعه وتتم لى أوقات السرور فقال له زيد السمع والطاعة ثم أنشد وجعل يقول

يا آل مذحج رائح أو مغتدى — عجلان ذو زاد وغير مزود
زعم الوشاة أن رحلتنا غدا — وبذاك بنعانا الغراب الاسود
لا مرحبا بغد ولا أهلا به — ان كان تفريق الأحبة فى غد
فى أمس جارية رمتك بسهمها — فاصاب منك القلب إن لم تعد
فالدر والياقوت زين نحرها — ومفصل من لؤلؤ وزبرجد
وبفاحم مثل الظلام تخالة — كالكرم مال على الدعام المسند
فظلنتها نظرت اليك بناظر — نظر السقيم إلى وجوه العود
فبدت فزانت ساقها المتربب — بحواجب والمقلتين مقلد
أخذت الفؤاد لعقدها فنظمته — من لؤلؤ متتابع متسود
رغم الوشاة بأن فاها بارد — عذب إذا ماذقته لم يبرد
والبطن ذو عكن لطيف لين — والصدر ترفعه بنهد معقد
وإذا لمست لمست منها ناعما — متحرفاً بمكانه ملء اليد
وخيالها فى البيت فى غسق الدجا — بدر تبدى وسراج موقد
لو أنها برزت لاشمط راهب — عبد الإله بنية المتعبد
أيضا ببهجتها وحسن حديثها — فتخاله رشدا وأن لم يرشد
هذا هو الفخر الرفيع بفخره — بين الملاح ومثله لم يوجد

قال الراوى ولما فرغ زيد بن عدى من شعره تعجب الحاضرون من مقالة وقد صدقوه فى كلامه وأما الملك خداوند فانه قد زاد به الهوى فى فؤاده وقال والله يازيد لقد كدرت عيشى وزادهمى وطيشى بوصفك تلك المرأة التى مالى اليها من سبيل وأنا أعلم أننى أصبح بحبها مغرم عليان وأن الحياء يمنعنى أن أنفذ إلى بعلها وأقول له أنفذ لى زوجتك حتى اتخذها لى برهة من الزمان وبعد ذلك أنفذها اليك إذ فرغ غرضى منها لاسيما وهو ملك العرب وفى رأسه النخوة والحمية فقال له زيد يا ملك اعلم أن عند المجوس إذا طلب الملك زوجة أى من كان من أرباب دولتة ولم ينفذها اليه تحرم عليه لانه من تحت أمره وحكمه وهر فى مذهب عباد النار حلال وهو عندهم جائز فقال الملك خداوند هذا لايكون إلا عند الأعجام وأما

عند العرب لايجوز ولايرضى به أحد لأن مذهب العرب لايقتضى ذلك فقال له اياس وكان من المقربين عند الملك خداوند وصاحبه لأنه قدربى معه وكانت أمه أعجمية وكان أبوه ملك عظيم الشأن فمن أجل ذلك أخذه الملك خداوند صاحب ونديم وكان أيضاً يحب خداوند ويشفق عليه فلما سمع ذلك مقاله عند وصفة المتجودة قال يا ملك إن كان قلبك قد اشتغل بتلك الأمور وقد منعك الحياء أن تطلبها فانا أعرف أن للملك النعمان بنت يقال الرباب وله أخت أيضاً صاحبة جمال وكمال وحتى ما أظهر فى النار من الحرارة والالتهاب ما تصلح أن تكون المتجردة لها خادمة والاثنين قد صلحا للنكاح والزواج وإذا أنت طلبتهم منه ما يكون عليك فى هذا عتب لأن الملك النعمان نائب لك وغلام وهو معدود من جملة الخدم فارسل له من يأتيك بهم إلى حضرتك وإن شئت اقتله وقال وكان لخداوند من الجوار فى ذلك الأوان خمسة آلاف جارية من الموصوفات بالجمال ما بين تركية وعجمية ورومية وعربية والكل من أولاد الملوك والوزراء والامراء ولما ذكر له حرم الملك النعمان صارت تلك الجوارى عنده مثل الافاعى ومثل العقارب ولا بقى له قلب يميل اليهم ولا عين تنظر اليهم قال الراوى فعند ذلك قال خداوند نادوا من يكون رسول إلى نائبى على العرب فقال زيد بن عدى أنا وهو الذى كان السبب فى ذلك واصل العداوة التى بين زيد وبين الملك النعمان له سبب عجيب وذلك أن الملك قتل اه ولد من الفرسان بمدة الملك كسرى أنوشروان ومن أجل ذلك كان زيد يريد ثاره ويطلب له الذل والهوان ومازال كذلك إلى أن بلغ قصداً بتلك الفتنة فى ذلك الأوان قال الراوى فقال له خداوند خذ أهبة الرحيل عند الصباح وقد رتب له خداوند جماعة من خواص حجابه وأمرهم بالمسير معه ولما كان ثانى يوم عند الصباح حضر زيد عند خداوند فامره بالمسير وبصحبته مائتين فارس ومعه من الهدايا والتحف ما يكل عن وصفة كل لسان فمند ها صار زيد ومن معه إلى أن وصلوا إلى أرض الحيرة ودخلوا على الملك النعمان فتقدم زيد وسلم وترجم فترحب به الملك النعمان وساله عن حالة وما الذى أتى فيه فشرح له زيد الأمر كله وقال له يا نعمان ومن بقى يفاخرك من ملوك العجم والعرب إذا كان بينك وبين الملك صلة نسب ثم أنه بعد ذلك الكلام أحضر قدامه الهدايا والتحف من الفضة والذهب والملبوس والجواهر وكل شىء فاخر وبعد ذلك طلب من الملك النعمان الجواب فلما سمع من زيد ذلك الكلام حرد وأحمر وجهه وزاد به الغضب وقال له يا زيد ما كان فى أرض السراد والاعاجم ما يشغله عن بنات العرب وحق من تعالى عن خلقه واحتجبت وفرق بين ضياء النهار والغيب لو أن خداوند يقول لى خذ ملك أبى كله ولا تترك منه ذرة واعطينى من

شعر ابنتك الرباب وتتركني أنظر إلى أختك الحريقة نظرة مافعلت ذلك ولا أزلت له حسرة ولا غربتها عن أرضها والذي شار عليه بهذا ما كان له صديق ولكن سر اليه واعلمه أن ماعندي بنات تتزوج ولا تصلح للزواج ولا تتقرب فلما سمع زيد من الملك النعمان ذلك فرح وقد استبشر ببلوغ المراد كيف أن النعمان رده بغير قضاء حاجته فسار زيد من عنده وخرج من الحيرة ومازال سائرا وهو يتحدث حاجب الملك كسرى على ماقال الملك النعمان لأن الحاجب كان عجمي اللسان ما يعرف كلام العربان فاعلمه زيد بما قال الملك النعمان من الجواب وقال له اعلم أن خداوند ماخطر النعمان على بال وقد استقل به وبملكه وهانت هذه الدولة الكسروية عنده فلما سمع الحاجب ذلك الكلام غضب غضبا شديدا وقال وحق النار لو أنني فهمت بعض الذي قاله من المقال لضربت رأسه بالحسام الفصال ولكن مايفوته القتل والعذاب إذا سمع خداوند هذا الخطاب ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى المداين ودخلوا على الملك خداوند وأخبروه بما جرى فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وقد صغرت نفسه عنده وقال أكون صاحب الأرض طولا وعرض وأطلب حاجة لم تقض وحق النار لأصلبن النعمان وآخذ ابنته وأخته وزوجته ثم أنه أحضر اياس بن قبيصة الذي قدوصفناه وأعاد عليه هذا الخطاب ثم بعد ذلك قال له أجمع سادات بني طي وخذ معك من شئت وسر إلى بلاد الحيرة وأقبض على هذا القربان ثم انتهى بهذا الذي قد احتقرني فقال اياس يامولاي وما الذي أريد من عساكرك وبني طي كلها بحكمي قال وكان هذا اياس رجلا قوي الهمة شديد الفرصة فجمع بني طي وحلفاهم فكانوا اثني عشر الف فارس في ثلاث رايات ثم قال لخدواند تقدم من عساكر العجم مقدما فدعا الملك بمرازبان من خواص حجابه وما كان في العجم مثله فدعا به وسوره ومنطقه وقدمه على خمسة آلاف فارس من الديلم وقال له سر صحبة إياس وجميع ما أمرك به امتثله فقال سمعا وطاعة ثم أن اياس أخذ أهبة الرحيل ورحل بالعساكر وعقدوا على رأسه الرايات والاعلام فضربت الطبول والبوقات قال الراوي هذا ما كان من هؤلاء * وأما ما كان من الملك النعمان فانه بعد رواح زيد والحاجب من عنده أخذ أهبته وما قدر عليه من الأهوال وسار طالب أرض الحجاز وبعد رحيل النعمان بيوم وصل اياس إلى بلد الحيرة فرآها خالية من وقت نجا بنفسه وحريمة فصعب عليه كيف المال ندبه في حاجة ولم تقض على يديه ومن شوم ما جرى عينه أقام له نائبا على البلد وكتب كتابا وأنفذه إلى خدوند يقول فيه اعلم أيها الملك أن النعمان قد رحل من الحيرة وأخلاها وسار إلى برية الحجاز بالمال والعيال وها أنا طالب المسير في أثره وأقول

بحق سعادتك ما أعود إلا به ولم أرجع خائبا وآتى بالنساء الحسان الكواعب ولا تكون على فى ما فعلت عاتب لأن الحاضر يرى ما يراه الغائب ثم أنه أنفذ الكتاب مع نجاب و بعد ذلك نادى فى عساكره الرحيل فركبت الجنايب وساروا بالجيش الذى قدمنا ذكره من العجم والعرب وهو مثل المجنون الذى لم ينظر فى عواقب الأمور قال هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من الملك النعمان فانه لما سار من الحيرة بعساكره ورجاله أول يوم وثانى الأيام وفى ثالث يوم لحقه أياس ومن معه من عساكر العجم فلما أبصر الملك النعمان إلى لمعان الأسنة أيقن بحلول النوايب فصاح بالجيش الذى معه فعادت رجاله مثل السلاهب وقد تاهبت لأنفسها فعندها خلف النعمان بصحبة الحريم ألف فارس ووقف فيمن بقى معه من الأبطال واستقبل العجم والديلم والعرب وقد صرخت الطوايف من شدة الفرح بلقاء الملك النعمان فى ذلك المكان وقد حملت على خيول أخف من الطيرر وقد طلبت بنبالها المقاتل والنحور وضرب العمد والحرب لحير العقول والألباب ويساوى عندهم المساء والصباح وتضاعفت نصيحة النصاح فقد قاتل فى ذلك اليوم الافتضاح فمن قاتل عن نفسه وسير الحريم كان من الكرم ومن ترك عياله وانهزم عاش عيش الاذلال فقاتلوا ولا ترغبوا إلا فى الحياة فتفضحوا لاسيما إذا سبت الأعاجم نساءكم وباعوهم فى أرض حراسان فيبقى السالم منكم غريب فقير فى سائر البلدان وينعى على نفسه وملازم الأحزان قال وما قال ذلك الكلام حتى انطبقت العرب على العجم انطباق الغمام فوقع الحرب والخصام واشتد الكرب والزحام وأياس قد أبصر الأمر قد طال فأخذ خمسة آلاف فارس وسار بهم إلى ناحية الألف الذين مع النسوان فبذل السيف فى الألف المقدم ذكرها فنهب منهم الأرواح من مقرها فارتفع الصياح من النساء والبنات وبكت الأطفال بدموع فراح وندبت النوادب لما أن رأوا البلا قد تزلزلت الأقدام فأثخن الملك النعمان بالجراح فأيقن بالهلاك والافتضاح وبان له شخص الموت ولاح وبكى على حريمه وقد عزم على الهرب فبينما هو على ذلك الايضاح فاذا هو قد سمع من خلف الأعداء صياح وخيل قد أقبلت من ناحية أرض الحجاز خف من الرياح إلا أنها قربت من موضع القتال وعرفت حقيقة الحال حملت على الأعلام التى لإياس فهدرت كأنها الأسود وقد طعنت طعنا تقشعر منه الجلود وفى وائلها فارس شديد فى طول العامود كأنه من قوم عاد وثمــود وهو ينادى بصوته أيا الشيبان يا الشيبان أناهانى بن مسعود أبشر يا نعمان بالخلاص من هذه الأمور العظام ثم أنه

صار يطعن فى الخواصر والنحور وهو على جواد من الخيل الجياد أشقر وفى يده سيف مشتهر وصورته التى رآها النعمان فى المنام وإنما العجب فى وصوله إليه فى وسط القتال وحسن هذا الاتفاق الذى اتفق باكرام قال الراوى والسبب فى تلك الخمسين فارساً الذين سيرها الملك النعمان من البيت الحرام وقد أمرها أن تقصد الحلل من بنى شيبان وتسأل عن هانى بن مسعود وقد أعطاهم صفته وقد ذكرنا أن عنتر بن شداد صار معهم هو وأخوه مازن ورفقته فقد أراد بذلك قرب الطريق إلى بنى عبس لأن قلبه متعلق بالولد الذى ذكره له السطيح الكاهن وأعلمه أنه فى يده أسير وكان قد أرسله مع عروة الورد وصار مع أصحاب الملك النعمان ولا يصدق أن يرى الأوطان وكان مسيره على بنى شيبان وما زالوا يقطعون الأرض والديار إلى أن وصلوا إلى بنى شيبان فسألوا عن هانىء بن مسعود من بعض الفرسان فما أحد رأعطاهم جواب وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا أرض ديقار وهى أطيب منزل لبنى شيبان فنزلوا هناك وقد تفرقت الفرسان وبقى عنتر وأخوه مازن على بعض المناهل وقد ضاقت صدوره من طول الغيبة (قال الراوى) فبينما هم فى مثل ذلك يتحدثون وإذا بغبار فارس يطرد فى عارض البر نعام من الوحش وهو يردها بين يديه يمين وشمال ويزعق عليه زعقات تزلزل الجبال ويجول عليها كما تجول الفرسان فى القتال فهالهم فعاله وقد تعجبوا من حسن مجاله فقال عنتر لأخيه مازن أن هذا الفارس يفعل فى الفرسان كما يفعل بهذه الوحوش مايكون له فى أبطال العرب نظير ومازالت أعينهم ترمقه حتى أدرك الفحل النعام برأس الرمح فرماه على وجه الصحصحان وثار فى جنبات الفلا فرأى مازن ذلك فبادر إلى جواده وقال لعنتر أننى عولت على هذه الطريقة التى رماها هذا الفارس وناخذها غدانا فقال عنتر أفعل مابدالك فرض مازن فى طلبها حتى قاربها وهم أن يترجل اليها وإذا هو بسبع قد خرج من غابته وأخذ الطريدة فى فمه وعاد بها إلى غابته فبقى لأزن باهتا فبينما هو واقف وإذا بالفارس قد عاد فما رأى فريسته فقال لمازن يافتى أنت أخذت طريدتى فقال لا والله ياوجه العرب ما أخذها إلا السبع ودخل بها هذه الغابة فقال صدقت وهذا أثر الدم ثم أن هذا الفارس ترجل عن جواده إلى الغابة راجلا من غير سلاح وقد ترك سلاحه وعدته على الأرض فتعجب لأزن من تلك الفعال وبقى واقفا ينظر مايجرى له مع الأسد من أجل طريدته وهو يقول والله أن فراعنة الجن لا تفعل مثل هذه الفعال ولا تقدر على السباع بغير سلاح فبينما هو فى هذا المقال حتى أنه سمع من الغابة

صوت وهدير فى بئر فقال مازن هلك والله الغلام ونفذت فيه الأحكام ثم أنه قد عول أن يأخذ الجواد والعدة ويعود عند أخيه عنتر وإذا بالفارس قد خرج من بين الأشجار وهو يحطم بطول قامته ويقود الأسد مثل ما يقود الرجل الشجاع برقبته الرجل الجبان وقد مكن كفه اليمين من ناصيته وفى يده الشمال النعامة التى قد اصطادها وسار يعاتب الأسد يقول ويلك يا غلاب تأخذ صيدها هانىء بن مسعود ثم تخطر فى أرض يكون فيها خاطر وموجود ثم أنه حط النعامة من يده وقد مكن يده الأخرى من الأسد وهو يهدر ويطلب إلى نفسه الخلاص ثم أنه شاله وجلد به الأرض على صخرة كانت هناك نخلط عظامه وعجن حمامه وعاد إلى جواده ركبه وقال المازن لما رآه واقف ياوجه العرب من أنت وإلى أين تريد إن كنت عابر طريق فتزود من هذا الزاد وخذ ما يكفيك إلى المكان الذى أنت طالبه وان أردت المقام والراحة فاعدل معى إلى قومى وانزل عندى واعلم أن الحى منا قريب فقال له مازن والله يافتى ما أنا وحدى بل أنا معى رفاقتى ونحن خمسون فارس فلما سمع هانىء بن مسعود ذكر الملك النعمان رمى من يده الصيد وقال له يافتى ما السبب فى ذلك حتى انفذ الملك النعمان بطلب هذا الغلام فقال أعلم أن الملك النعمان قد رأى منام تحير فيه الأوهام لأنه قد رأى أن فيلا طالبه وهو عظيم الخلقة ويرمى من فيه النار وقد طلب من دون الخلق النعمان والملك النعمان من خوفه ولى هارب وأراد الفيل أن يكسره فبينما هو على تلك الحال إذ قد أقبل عليه شخص فبادر إلى الفيل وضربه بسيفه البتار فرمى رأسه وخمدت نيرانه وأقبل بعد ذلك على الملك النعمان وقال له لاتخف النعمان فها أنا هانىء بن مسعود وقومى بنى شيبان فانتبه النعمان من منامه وقد جمع ارباب دولته وسار إلى مكة وفسر منامه على سطح الكاهن فقال له أطلب هذا الغلام هانىء وكن له مقارباً ومدانى تخلص نفسك من هذه النيران فلما سمع الملك النعمان ذلك الكلام أرسل يطلبه وها نحن دايرين عليه فى قبايل بنى شيبان وأنا أقول بعين الفراسة أنه أنت فتبسم هانىء وصار يتعجب من هذه المعانى وكان الأمير عنتر ورفاقه قاموا على الأقدام ينظرون مازن لأنه أبطأ عليهم فأتى مازن وهانىء معه فلما وصلوا إليهم وحقق عنتر إلى هانىء فقال لأخيه مازن يا ويلك ما أشبه هذا الشخص بالذى أعطانا صفته الملك النعمان فإن كان اسمه هانىء بن مسعود فقد بلغنا المقصود فقال مازن والله أن اسمه هانىء ثم أن مازن حدثه بما جرى له مع الأسد فخفق فؤاد الأمير عنتر من عظم الفرح والسرور الذى حصل وقد دنا إلى هانىء واعتنقه وقبله وسلم عليه

وأخذ بيده وحضنه إلى أن نزل عن الجود وقد بان له من الشجاعة والفروسية أكثر ما وصف له لاجل ما قد مارس الابطال ولما استقر هانىء إلى الأرض أعاد عليه عنتر حديث الملك النعمان أبصر المنام فلما هانىء كلام عنتر رآه موافق كلام مازن ففرح هانىء وقد تبسم وقال يا العرب أن هذا الكلام أعجب ويجب أن يكتب بماء الذهب فقال له عنتر وما هو السبب فقال هانىء اعلم أن لى ابنة عم اسمها ليلى وهى أحسن من كل من فى قبيلتنا وأنى أحبها ومن أجلها تعلمت الفروسية وسرت أتجسر على كل بنية فلما بلغت هذه المنزلة ودلت لى الفرسان وبارزت الاقران وخالطت الابطال فاتفق لى سبيع بن الحارث الملقب بذى الحمار وبارزته حتى أسرته إلى أن افدى نفسه بالمال وأطلقته من الاعتقال وبعد ذلك خطبت ليلى من أبيها وأطلعته على أمورى كلها فاجابنى وقد استحى منى ومن المشايخ الذين كانوا معى لكنه طلب منى أشياء كثيرة من المهر من جملتها الف ناقة من نوق النعمان وهى النياق العصافيرية فاحبته إلى ذلك ورجعت من عنده متفكر وأقول ياليت شعرى بماذا أتوصل إلى الملك النعمان حتى أنال منه الارب لعله يعطينى كلما طلبت وقد بت تلك الليلة وأنا متفكر فى هذا الامور وإذا بهاتف يقول ياهانىء لاتضيق صدرك من هذه الامور واصبر فان قسمك من مسعاده موفور فانك ترى وتدرك الرجل المنتظر له وتقاتل بين يديه إذا ظهر وفى هذه الأيام يصل اليك رسول الملك النعمان ويسألك أن تسير الية فى جماعة من بنى شيبان وتدركه وهو فى أضيق الخناق وتخلصه من الاعادى فى أرض العراق ويحكمك فى أموالة والنياق ويشيع ذكرك فى سائر الافاق ببركة صاحب البراق حبيب الملك الخلاق ﷺ قال فلما أن سمع عنتر منه ذلك الكلام تعجب من هذا الاتفاق ثم أن هانىء قال لعنتر أن الهاتف قال لى كن بهذا معتمدا وأننى ياهذا لما أن سمعت من الهاتف هذا المثال بقيت من عاقبه هذا الأمر خائف ولى أيام وأنا أتسلى بالصيد والقنص إلى أن وصلتم أنتم وحققتم الغرض ومابقى إلا المسير إلى ملك العربان قال فما بقى فى بنى عبس الا من طرب بهذا الكلام وقال هذا يكون سبب الاقبال إذا قضاها رب السماء المتعال قال ثم أن هانىء أقبل على عنتر وقال له يا وجه العرب بحرمة شهر رجب اكشف عن حقيقة ماجرى لكم لأننى أرى لغتكم حجازية عدنانيه وأنتم ذكرتم أنكم رسل الملك النعمان ومن أهل العراق فهذا تعلل فقال له عنتر لا وحق من رفع السموات السبع الطباق وقسم عبادة الآجال والارزاق مانحن إلا رسل الملك النعمان ومن أجل حاجته أتينا فى طلبك إلى هذا المكان وأما قولك أن لغتنا حجازية حقا ماقلت نحن من عبس وعدنانية وفى مكة اجتمعنا بالملك النعمان وفسر منامة بحضرتنا على السطيح الكاهن وأمره

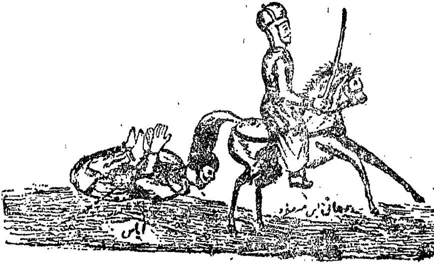
أن يطلبك آخر كلامه وأن أردت أن تزد بنا معرفة فانا أخبرك بالخبر على جليته اعلم أنى أنا عنتر وهذا أخى مازن وهؤلاء بنو عمى وأما رسل الملك النعمان فانهم قد تفرقوا فى طلبك إلى الحلل وكل مكان قال فوالله ما سمع هانىء بذكر عنتر لما أنه قام على قدميه وقبل عنتر بين عينيه وقال له والله لقد كنت أطرب عند سماع ذكرك وأشتهى قربك ياشمس الفرسان وفرجة الميدان وحامى بلاد معد بن عدنان ثم إن هانىء أنشد يقول

أنت الدهر مالك ثانى ووحيد تعد فى الفرسان
خلق الرمح والحسام لاجلك عن حقيق لا للذليل المهانى
كل من يلتقيك فى الحرب يلق جبلا مائلا على الانسان
أنت كهف لمن أتى مستجيرا لينال النمام ثم الامانى

فلما سمع عنتر من هانىء تلك الأبيات شكره ثم أن هانىء بعد ذلك قال لعنتر انى متعجب من الملك النعمان كيف أنه أنفذ إلى يطلبنى ويطلب منى ناصر ومثلك أنت عنده من الطائعين فقال له عنتر والله يا هانىء أنك ما تركت لسانا يرد عليك لأنك وصفتنى بصفات أنت أحق بها منى لأنك وقد أعطاك الرب القديم هذه القوة والجلادة وقد سبب لك أسباب السعادة لا سيما وأنت تذكر فى الاوهام وعند المنام وتفرج الكروب فى الأعلام ومن هذه الساعة هنيئا لك يا هانىء بعلو المنزلة وبلوغ الآمل قال الراوى فبينام لى مثل هذا الكلام وإذ قد أقبلت فرسان الملك النعمان من ناحية بنى شيبان من بعد ما داروا الحلل والقبائل ورجعت وما نالت طائل فتلقاها عنتر بن شداد وأخبرهم ببلوغ القصد والمراد ومعرفته بهانىء بن مسعود وقال اعلموا أن من ذلك اليوم قد زالت الهموم عنا والغموم وفى دون ساعة شاع الخبر فى الجماعة ومن فيهم إلا من استبشر بالسعادة والاقبال وقد أعاد عليه ما سمعه من الملك النعمان فانفرج بعد ذلك قلب هانىء بن مسعود ونادى اليه منادى السعود فعند ذلك رد القوم إلى حلته وأنزلهم فى أبياته ففرح بنو عمه بما قد جرى له وما فيهم إلا من استبشر بالسعادة والاقبال وقد نحروعقر وخدم وتكرم وصنعوا الولائم والدعوات وتلقوا الأيام بالمسرات ولما أبصر عنتر أن حاجة الملك النعمان وقد انقضت فما أمكنه أن يقيم لاجل شغل قلبه بظهور ولده وشوقه إلى بنت عمه ومن شدة ما أخذه من القلق ودعهم واعتذر وقد استأذن هانىء فى المسير ورحل هو وأخوه مازن طالبين بنى عبس وأما الأمير هانىء فان القوم قد أقاموا عنده سبعة أيام وطلبوا العودة إلى الملك النعمان فاجابهم هانىء وقد اختار من قومه خمسين فارس وقد وعدهم أنه يغنيهم وبنفسه يساويهم وكانوا أبطالا جبابرة

لايخافون الموت ولاحلول الفوت وقد ركبوا الخيل الجياد وفى أيديهم القنا والقواضب وتحملوا بكل مايحتاجون اليه من السلاح وساروا بصحبة هانيء وجدوا فى المسير إلى أن أشرفوا على الملك النعمان وهو فى شدة الضنك والضيق قال الراوى ولما أن أقبل الامير هانيء بأصحابه وأبصر الغبار ثائر والقتال عمال فسار إلى أن قرب منه فسمع صياح عساكر العجم وسيوفهم تلمع كالبرق فقال لأصحاب النعمان ياوجوه العرب هكذا والله رأيت صاحبكم فى المنام وأقول أنه بعدكم غدرت به الأيام فسيروا أنتم إلى الرايات والأعلام واكشفوا خبر هذه العساكر التى فى وسط الغبار ولكن أن فاتنى حذرى أن هذه الرايات رايات الملك النعمان وأما هذه الطوائف فهى طوائف خداوند بن كسرى أنوشروان والصواب أن نتوصل إلى هذه الرايات والأعلام والخيل التى دارت بالحريم فلاشك أن فيها حريم الملك النعمان ثم بعد ذلك نعود إلى هؤلاء الخلق الذين مالها عدد فقالوا له أصحاب الملك النعمان صدقت أيها الامير المنصان ولكن ما معنى علم بهذه الامور والأحكام فقال هانيء وحق الواحد لافرقت هذه الجموع ولو كانت بعدد القطر إذا انسكب ثم أنه زعق وحمل يطلب إياس بن قبيصة والرايات التى قد دارت بالحريم والعيال وقد طعن أيضاً فى صدور الرجال وقصر أيضاً منهم الآجال قال قد ذكرنا أن اياس خلى القتال وقصد حريم الملك النعمان فى خمسة آلاف فارس وقد وضع السيف فى الالف فارس الذين كانت مع الحريم واحتوى على جميع النسوان والصبيان وعول على العودة فرأى الخيل التى عادت نافرة وهانيء فى أثرها مثل الأسد إذا هدر وقد طعن بينهم طعن لايبقى ولايذر وأصحابه من خلفه يحمون ظهره وجانبه ويفعلون مثل فعاله فضاق المجال على الفرسان والرجال بين يديه تقع وتتشكبكت والبر بصياحهم وقد انقلب والابطال من على الخيل تنقلب وعمل فيهم الحسام المشطب (قال الاصمعى) قد بلغنى عن هانيء أنه كان فى ذلك إذا أدرك الفارس وقد قصر به الجواد وتمكن منه فيدفعه بقوته فيرميه إلى وراء ويطلب غيره قال فلما أن ابصر اياس فعاله صار ينادى فى رجاله وأبطاله ويطلب أن يردهم إلى قتاله فلايسمعون مقاله بل ينظرون أن فى أثرهم ملك الموت باجناده السماوية وصاروا من فزعهم هاجين فى أقطار البرية فلما أن حقق ذلك أخذته النخوة والحمية ومارأى على نفسه الهرب بالكلية وسار يقاتل ويمانع فلما أن رأى منه تلك الحمية صار إليه وحمل عليه وكان حوله جماعة من خواصه فدعس فيهم وزعق فى جمعهم فتركهم وتفرقوا عنه وقد أدرك اياس من بعد أن قتل جماعة من أصحابه لما السجم وجرى اليه

وهو يا بل عليه فصوب رمحه اليه فعندها ضربه هانىء طير أعلاه وقد أدركه بعد ذلك



وفاجاه وقبض على قبضة الاسد وجذبة برجله بما عليه من الزرد وقد سلمة إلى جماعة من الفرسان وحمل بعد ذلك على الرايات والاعلام ففرقهم إلى سائر الجهات وقد قال لرجالة اعلموا أن هذا الأمر احتكم وقد آمنا على الأموال والحريم فخوضوا بخيلكم الغبار الاعظم واحملوا على هؤلاء القوم الذين هم من العرب والعجم والديلم ويكون قصدكم الملك النعمان لعل أن نخلصه من أصحاب هذا القرنان ثم أنة اقتحم الغبار الشديد وهو ينادى يا نعمان لا تخف ولا ترتاع وأبشر بالنصر على أعداك فقد أتاك هانىء بن مسعود وقد حملت خلفة بنو شيبان بقلوب قد حلالها الموت وهان وقد أقام الحرب على ساق وقدم وموج بحر المنايا على الاعداء قد التظم والسيوف قد تثلمت من وقعها على القمم قال وقد كان الملك النعيم وقد أشرف هو ومن كان معه على الهلاك والعدم إلاأن الملك النعمان لما أن رأى إلى ذلك الأمر والشان فتعلق قلبة بهانىء لما أن سمع صوتة وناداه باسمة لانة كان قد أبصره فى المنام وسمع صوتة وهو يقول يا شيبان وهو على جواد أشقر على الخيل مضمر ومعة سيف مشهر فتعلق آمالة بالنصر والظفر قال وأما هانىء فانة خاض الغبار الذى كان قد أعتكر وقد أسكر بكاسات الطعن من لا يسكر وأتلف الاحسام وأفسد الصور وقد فرق عن الملك النعمان عباد النيران قال ومازال الأمير هانىء يقتل الفرسان إلى أن دخل عليهم الليل وهجم وقد تأخرت طوائف العرب والعجم لأن هانىء كان فى قلوبهم أحر من النار وأبصر وامنة طعنات لا يقع عليها عيار

فعادوا وهم يطلبون الرايات والأعلام وهم يتعوذون بالنور والنار من فعل هانىء الأسد الكرار قال الراوى وكان هانىء من حرصة قد خلص الملك النعمان ومن معه من الفرسان وكان قد أسر من أصحابه أزيد من الف فارس قبل وصول هانىء وقد أوثقوهم بالحبال وأما بنو طى فإنها قد ضاقت صدورها لأجل أسر مقدمها إياس بن قبيصة وقد اجتمع السادات عند نايل مقدم طائفة الفرس وشكوا إليه أحوالهم فقال لهم اعلموا أن هذا الآ . هين لكن امسكوا أنتم على النعمان سائر الطرقات حتى أننى أريكم عند الصباح ما أفعل بهم وأنجز أمرهم وأكفيكم شر هذا الشيطان الذى يصفوه وادع باقى الخيل معكم لتنافوا من الملك النعمان كل ما تريدون ثم أنه طيب قلوبهم وبات ينظر طلوع النهار وأما الملك النعمان فإنه قد تلقى هانىء عند عودته وقد ضمه إلى صدره وبكى فرحا برؤيته وقد سأله عن حالة وعن قبيلته فحدثه هانىء بقصته وأعلمه أن أصحاب الرسل قد وصلوا إلى عنتر ورفقته فقال له الملك النعمان والله لقد جلبت بقدومك الأفراح وحميت العيال والصبيان ولو جاء معك عنتر الآخر كان الأمر قد هاز وانكسر هذا العسكر ثم أنه حدثه بما جرى من خداوند وكيف أنه أرسل يطلب ابنته وكيف رد رسوله وهرب بعسكره وكيف لحقته العساكر والحال الذى تم عليه من الأول إلى الآخر فطيبت هانىء قلبه ووعده أن يفرق أعداءه وأنه يغنيه عن عنتر وعن غيره فقال له الملك النعمان سوف أجازيك غير وترى ما يأتيك أكافئك فقال له هانى سوف أقاتل بين يديك وترى ما أفعل بابن كسرى وأخذه برقبته من إيوان أبيه حقير دليل وكيف أدعه معك يقاسى الأهوال بالليل والنهار فطاب قلب الملك النعمان بهذا الكلام وقد علم أن الذى قد أبصره فى المنام قد لاح دلالة والبرهان قال الراوى وبعد ذلك قد نزل هو ومن معه عند البستان حتى لاح ضوء النهار فسارت الفرسان تطلب الحرب والطعان فركبت الفرس وأبطال خراسان وكذلك هانىء وبنو شيبان وقد ركب الملك النعمان ومن تبقى معه من الفرسان وما استقرت العساكر وتقابلت حتى قال مقدم العجم لأصحابه وحجابه قدموا الأسارى الذين معكم إلى بين الصفين واضربوا رقابهم وارموهم إلى ناحية النعمان واحملوا بنا كلنا حملة واحدة حتى تهلك هذه الطائفة اليسيرة ونهلكوا ما معهم من الأموال والعيال والحريم لأن قتل الأسرى يهد ظهر النعمان ويقل عزم هذا الشيطان فاستصوب رأيه كل من كان حاضرا من الحجاب والأعوان وفى دون ساعة

اخرجوا الأسارى وقد قادوهم بالحبال وقدموهم لضرب الرقاب وفراغ الآجال فلما أبصر النعمان هذه الفعال عرف حقيقة الحال فصعب عليه قتل الرجال وقد قال لهانىء اعلم أن الأعداء قد عولوا على قتل أصحابنا فما الذى ترى من الرأى قال هانىء اعلم أن الرأى عندى أن تقدم أنت الآخر إياس بن قبيصة وتدعه أن تطلب منه الفدا بهذه الأسارى فان أبى ضربنا رقبته وأشفى قلبك بقتله لانه هو غريمك وهو الذى قصد إلى سبى حريمك وبعد ذلك أنا أبلغك مناك وأشفى قلبك من أعداك فعندها أمر الملك النعمان باحضار إياس إلى بين الصفين وقد عول عليه بالقتل وأشهر من حوله السيوف وقد عرف ماجرى من أمر الأساوى وما يريدون أن يفعل بهم مقدم العجم وأعلمه بالحال فقال له إياس اصبر على قليلا حتى أرسل إليهم من يعلمهم بالفدا ثم أن إياس أرسل إلى مقدم العجم من ساعته رسولا يقول له لا تفعل شيئا من ذلك واعلم أنك إن فعلت شيئا من هذا الامر فأنا يقتلونى الاعداء وتختلف عليك بعدى طوائف العرب الذين هم أصحابى وما تدرى بعد ذلك ما تلقى من الملك خداوند والاتمكون مكسورا وبهربوا عنك أصحابى فتصبح مقتولا أو مأسورا وقال ولما أن وصلت هذه الرسالة إلى الحاجب المتقدم على الفرسان فانه خاف من سوء عاقبة هذا الامر وقد قال فى نفسه ان الصواب أن أخلص نائب الملك ونعود كلنا بعد ذلك بأجمعنا على قتال الملك النعمان وان لم أفعل ذلك وإلا وقع بنا الندم والخسران لاننا بعدد أعدائنا أضعاف فما نبالى بخلاص هذه الطائفة ولو كانوا بمثلها آلاف فعند ذلك قد جمعوا الاسارى وأخذوا عليهم العهد والميثاق وقد أطلقوهم بعد ما كانوا أشرفوا على التلاف ولما أن وصلوا إلى عند الملك النعمان رد على إياس عدته وجوادة وأطلقه بعد ماسأله فى الصلح والعودة إلى ديارهم فأبى وقال ان الامر ماهو لى وإنما الامر لنائب الملك خداوند ثم أن إياس ركب جواده وسار إلى أن وصل إلى العجم ثم أنه بادر إلى بنى طى وأمرهم بأخذ الاهبة للحرب والقتال وقد فعلت طائفة العجم كذلك وأما هانىء قال للملك النعمان قف أنت تحت الاعلام فى طائفة بنى لخم واحموا الحريم والاولاد حتى أننى أفرق شملهم وأدعكم تنهبون أسلابهم ثم أنه قال لبنى عمه أنتم احموا ظهرى وكونوا بالخيل والجنايب وأبصروا منى ومنهم العجائب ثم تقدم إلى الميدان وصال وجال حتى ارتعدت منه الابطال ونادى يا آل فارس ابرزوا إلى القتال ألف ألف فان عجزتم فاحملوا أنتم والعرب وأنا ألقاكم وحدى وادع لى ولكم حديث يذكر من بعدى قال الراوى

فلما سمع عساكر العجم مقال هانىء تبادروا إلى الحرب والقتال وسارت تخرج اليه فرق وتعود وهى من شدة الحرب تتكبكب فوقفت عنه الرجال وقد نظرت بعينها الأهوال. وقد عاد هانىء إلى أصحابه وغير الجواد وأخذ رمحا من الرماح الطوال المداد وتقلد بسيف من السيوف الحداد يعمل فى الكبود عمـــل النار إذا ظهرت من الزناد وهو كأنه من جبابرة قوم عاد أو السبع الشداد ثم أنه لما أن صار فى الميدان ترنم بهذه الأبيات يقول :

لا تشتكى ياحسامى من يدى مللا   وأصبر على الضيم حتى تبلغ الإملا
ويا سنان قناتى لا تصاحبنى   إلا وطعنك ماض يسبق الاجلا
عدمت سمر القنا إن لم أعلمها   قبض النفوس إذا نقع الغبار علا
وأترك الخيـــل فى الميدان جائلة   تصاحب الوحش أسرابا إذا جفلا
أنا الذى سجدت جن القفار له   وبات شيطانها من خوفه وجلا
علمت صيد سباع البر من صغرى   واليوم عدت أصيد الفارس البطلا
يا للأعاجم هموا واقصدوا بطلا   تهتز من تحته الدنيــا إذا حمــلا
ما سل صارمه فى وسط معركة   إلا أواحرق سهل الأرض والجبلا
فاحذروا سطوة النعمان وارتحلوا   قبل الهلاك ولا تصفوا لمن عدلا
فجمعكم عند مثلى لا يروعنى   يوم الطعان ولا يشفى لكم عللا
لانى فارس الاقطار أجمعها   والناس تشهد أنى فارس بطلا
أردى الكماة بطعن لا مثال له   أفلق الجمع فى سهل وفى جبلا
وسائلوا الفرس عنى ثم عن عملى   يوم الطراد وهاأنتم تروا العملا

(قال الراوى) ولما فرغ الأمير هانىء من هذه الأبيات نظر إلى طائفة العجم فرأى ساداتهم قد داروا بالحاجب المقدم عليهم وهم فى مشورة وكلام فقال هانىء لبنى شيبان تأهبوا للحمل على هذا الجمع حتى تفرقهم ولعلنا نميل العلم وقد انكسر هذا الجحفل وانهزم ثم أرسل إلى النعمان يقول له إذا رأيت الأعاجم قد مالوا فاحمل أنت فى بنى لخم وقد انقضى الفعل وانفصل (قال الراوى) وكان إياس قد قال لنائب خداوندا علم أيها الملك إن هذا الشيطان الذى قد أتى لنصرة النعمان إنه من أبطال الجبابرة وإن غفلنا عنه أفنى أبطالنا فى البراز والصواب أننا نبارزه بالكثرة ونشيلة على رؤوس الاسنة وإلا ما نبلغ من النعمان المنى فقال مقدم العجم هذا الامر ما نطاوعك عليه لانك أنت أمرت

وذلك وأنا ما أسمع قول ذليل مهان ولكن أشهد عليك أنك قد عجزت عن قتال النعمان وقضاء حاجة الملك خداوند وأما انا سوف أريك ما أفعل بهؤلاء القوم (قال الراوى) فقال إياس يا حاجب هذه الشهادة كيف تكون وقد أبصرتنى سائر الطوائف لما أسرت وقد شهدت على بالذل والعجز فافعل أنت ما بدا لك من الفعال التى تظهر الفخر والفضل (قال الراوى) فبينماهم فى المحاولة والضجة وقعت فى جانب الموكب وركضت الخيل حتى خيل لهم أن الأرض قد انقلبت وظهر هانىء بن مسعود ورجاله حوله مثل الأسود وهو يشك بسنانه العلائق والكبود فأبصره نايل فخرج من تحت الأعلام والبنود فى يده عمود واستقبل هانىء بن مسعود بعد ما زعق فى أبطاله والجنود وقد أراد أن يصدم هانىء بن مسعود ويحول فما أمهله هانىء ولاطاوعه بل صاح عليه وطعنه طعنة فارس خبير بالشجاعة عارف بمواقع الطعان والبراعة وطلب بالسنان فؤاده نكسه عن ظهر جواده فعندها هاجت طائفة العجم وقد مال العزم واختلف رأى القوم وقلت الهمم وعرف النعمان ما جرى فطمع فى عساكر كسرى وصاح فى بنى لخم وفى أوائلها حجار بن عامر وكان قد عمل فى هذه النوبة عملا تعجز عنه الأبطال الكبار وهو الذى ثبت عساكر النعمان وإلا ما بقى منها ديار ولا من يرد الأخبار وكان النعمان قد أثخن بالجراح وأشرف على الهلاك من وجد أسنة الرماح فاشتد عزمه لما أبصر فعال هانى وأيقن بالنصر وبلوغ الأمانى فحمل بهمته وأظهر المجهود من شجاعته وزادت به حميته ونخوته وغيرته على النسوان (قال الراوى) وكان إياس بن قبيصة لما أن أبصر طعنه الأمير هانىء إلى نايل مقدم عسكر العجم فما بقى يسمع ولا يرى وقال أنا حصل لى نعمة كبيرة لأنى أسرت وخلصت من هذا النحس فإن ظهر بى ثانيا قتلنى ثم أنه أبصر الأعلام قد مالت والكتائب إلى أواخرها قد انقلبت وهانىء قد جد فى طلبه وثار الرجال بوقع مضاربه فولى خوفا على نفسه من الهلاك وكانت طائفة العجم قد عادت إلى الأعقاب من حين رأت سيدها عمدا على اقتراب وتفرقت بعد ذلك العرب وطلبت الفرار والهرب واتبعها هانىء والنعمان وأصحابه وإخوته إلى آخر النهار وقد فرحوا بالنصر على عدوهم مستبشرين بخلاصهم وخلاص الحريم والأولاد والكل يدعون لهانىء بن مسعود بطول العمر والبقاء ويشكرونه على ما قاسى وما لاق وهو يقول للملك النعمان يا ملك لو علمت أنى ألقاك على مثل هذه الحالة فى هذا المكان ما كنت أتيت إلا بسائر قومى بنى شيبان وكنت أفنيت

سائر طوائف العجم الذين خرجوا من خراسان وكنت حاصرت ابن كسرى في الإيوان فشكره الملك النعمان على ذلك الكلام وأقام هناك حتى أصبح الصباح ورحل ومعه حريمه وقومه بصحبة الأمير هانىء بن مسعود إلى بنى شيبان وأرض ديقار وقد عول على المقام فى تلك الديار واعتمد على هانىء بن مسعود وقومه وفرسان الاقاليم والاقطار هذا وهانىء يطيب قلبه ويوعده أن يبذل من أجله نفسه وعشيرته ولا يحوجه إلى أحد من العربان وهو يلتذ بالنسيم الذى يلقاه من الأرض كلما دنا من الديار ويذكر محبوبته ليلى ومنازل ديقار وهو ينشد ويقول :

قلق النسيم فزادني قلقا ... سـحـرا فزاد الهم وانطلقا
وقد تذكرت ديقار فهج ... تذكارها الأشواق والحرقا
يا دار لا تبكى على ولا ... زال السحاب عليك مندفقا
ولكم شربت الروح مصطحبا ... فيها وقد أمسيت مضيقا
ووصف أوصافها إذا برزت ... فى الليل أجلى نورها الغسقا
تصفو إذا راقت لشاربها ... عجبا فلا يبقى له زعقا
فاشرب وهات الكأس واتركنى ... من ذكر رسم دارس وبقى
إذا رأيت الحرب دائرة ... وحسام داعى الموقد برقا
نادى إلى وخلـــنى فأنا ... أبرى الرقاب وأطعن الحدقا
سل بنى الاعجام عن هممى ... واسأل إياسا إن سيطانه صدقا
لقد أتونا بآذان مخرقة ... قد عودها لكى أن تحمل الحلقا
ودوابل وصوارم قضب ... تهـتـز فى أغمادها قلقا
فلقيتهم والخيـــل جائلة ... عبس العوابس تنقط عرقا
وطمنت سيدهم فمال وقد ... بدلت طيب نعيمة بشقا
ورجعت أركض فى الدما خببا ... والمهر تحتى يحذر الزلقا
وغدا يرى النعمان أى فتى ... يحمى الحريم إذا الغبار رقا

قال الراوى فلما فرغ هانىء من هذه الابيات طربت لها السادات ونزل فى قلب النعمان وإخوته بأعلا مكان وأعلموا أنه فريد ذلك الزمان فساروا معه يقطعون المنازل ويردون الغدران والمناهل حتى أشرفوا على ديقار وديار بنى شيبان فأرسل هانىء بنى عمه وعشيرته يخبر قومه ويبشرهم بقدومه فلما وصلوا أعلموا بقدوم هانىء فركب سيدهم

مُنذر بن عبد شمس فى سائر الفرسان والتقوا الملك النعمان أحسن ملتقى وأنزلهم فى أرض واسعة خصيبة يقال لها أرض النقا وأكرموه وعملوا له الدعوات والولايم وفرحوا بنزوله عليهم فلما طاب لهم المزار واستقرت بهم تلك الديار أرسل النجابة إلى سائر قبائل العرب فى الحجاز لأجل أن يعلمهم بما تم عليه من خداوندبن كسرى ويطلب منهم نجدة على الأعاجم إن طلبوه مرة أخرى وكذلك أرسل إلى بنى عبس وأقام لينتظر من يجدد قال الراوى وكان عنتر بعد فراقه لهانيء وإنفاذه إلى النعمان قد صار يطلب ارضه فقطع الأرض حتى اشرف على ديار بنى عبس فعلم به أحبابه فخرجوا إلى لقاه وميسرة فى أوائلهم وعمه شيبوب إلى أن قاربوا أخاه عنتر وقالوا له هنا لقيناك أحسن ملتقى إلا بولدك ميسرة وكان عنتر قبل ان يصل إليهم راى قبرا على جانب الطريق جديدا فلما اشرف عليه وقف وبكى وقال والله هذا قبر صديقى مقرى الوحش رحمه الله تعالى فقال له اصحابه من اعلمك بذلك ثم انه بكا وزاد فى الاشتكا واكثر التأسف والنكال وقال لهم والله إنه كان نعم الصديق وخير الرفيق وهذا قبره على التحقيق وإن كنتم تلوموني على فعالى ولا تصدقونى فى مقالى فليقف بعضكم ثم انه يتأخر ويبصر ما يكون من هذا العشب الأخضر الذى على القبر كيف انه يخضر عند قدومنا ويذبل عند فراقنا وسيرنا (قال الراوى) فتأخر جماعة من الفرسان وما لحقوا ان يقفوا نصف ساعة حتى ذبل ذلك العشب واضمحل ويبس كأنه ما كان ولا بطله فى ذلك المكان فعندها قد ساروا ولحقوه وقد اعلموه بما رأوا وقالوا له إن العشب قد نشف وصار حطبا يابسا فقال لهم أنا قلت لكم ذلك ثم أنهم مازالوا سائرين وعنتر قدام القدام القوم حتى أشرف على الديار والتقوا به أحبابه كما ذكرنا وقال شيبوب يا أبا الفوارس ما نستقبلك بأحسن من ولدك ميسره الذى سهله الرب القديم ويسره واما ميسرة فانه لما أقبل ابوه عنتر ترجل واسرع اليه وصار يقبل قدميه ويديه وعنتر غايب عن الوجود ومن شدة فرحه به ترجل عن الجواد واعتنقه وبكى وبكاء الفرح والسرور وقال لشيبوب ويلك يا ابن الأم انا فقد ثبت عندى الصحيح وقد اخبرنى بهذا الولد كاهن العرب سطيح وانتم من الذى اخبركم عن هذا الحال ومن هى أم هذا الولد الذى ظهر لى فبين لى الحق من المحال (قال الراوى) فقال شيبوب يا ابن الأم هذه امه التى سبيناها فى ارض بنى دارم لما اسرنا مخاص الأعجر من قبضة اللقيط بن زرارة وقد بت الت عندها فى الوادى وانت

قلت سوف أفرح قلبه كما فرح قلبي على جوادي ولما أن عدنا لقينا ابن عمها وقد أتى بمهرها بعد ما أسرته وهممت بقتله فلما أن سمع عنتر هذا الخبر بأن الأمر فقال لشيبوب ومهرية عندكم اليوم فقالو له نعم يا ابن الأم عندنا وقد ضربنا لها ولولدها سرادقا كبيرا وتركناه برسمها فزاد فرح عنتر بهذه الأمور وعلم أنه بولده منصور وتعجب كيف تحدث الايام والدهور وقال إن العقول تعجز عن إدراك قدرة رب العباد ثم عاد إلى ظهر جواده وركب ولده ميسرة بعده وسارى فرأى سبيع اليمن ابن مقرى الوحش لابس السواد فعلم أن أباه قد مات فسأل عنه فقال له عروة والله يا ابن العم ما وصل معنا ولا سلم من ذلك الجرح بل إنه فى الطريق قد مات فقال عنتر واطول حزناه عليه إن فقده أنسانى لقاء ولدى ميسرة ولكن هذه الأحوال مقضية وبامر الله مدبرة قال الراوى ثم أنه قرب سبيع اليمن إلى بين يديه وقبله بين عينيه وقد جبر انكسار قلبه وقال له ياولدى لا منعتك عن كل شيء أملكه ثم أنه لما قرب من أطراف البيوت فتلقاه الملك قيس وإخوته وهنوه بالسلامه ثم سألوه عن أعال الملك النعمان فحدثهم بما جرى له مع سطيح الكاهن لما فسر المنام وقد أنفذ إلى هانىء بن مسعود وأعلمه بالقصة التى جرت آخرها فتعجبوا من ذلك وقد فزعوا على صهرهم ورجعوا إلى الخيام ولما أن صار عنتر فى مضاربه دعا بمهرية فلما أن حضرت بين يديه سالها عن ولده ميسر فقالت اعلم ياحامية عبس أنك لما رجعت من ديار بنى دارم والتقيت يا ابن عمى فى الطريق ووهبتنى له وقلت له لا تعد إلى ديار قومك فيأخذوها منك ويردوها على أخى القيط الذى كانت تزف عليه ويمنعوك عنها وربما يقتلوك فاتسع بها فى البر ولا تبلغ خصمك مناه فقبل ابن عمى ما أشرت عليه وسار بى إلى زوايا اليمن ونزل على قوم يقال لهم بنو سحاب فأقمنا بينهم إلى أن رزقت ولدك ميسرة فابصرة ابن عمى أسود فارتاب وقد سألنى عن حالى فأخبرته بما جرى على أنك سيتنى وأصدقته فى المقال لأجل ذلك وعجل منزلتى من قلبه فقال لى يا ابنة العم أنا أعلم أنك قد غصبت على زوجك واعلمتنى بهذا العيب ولكن نحن غرباء والغريب لايعلم بحاله أحد وأنا خائف أن يظهر هذا الولد فاعاير به على طول الزمان ولابد ماقام قائم وقعدوا علمى أن الصواب عندى أننا نرحل عن هؤلاء القوم وننزل على غيرهم فإذا سالونا عن سواده نقول هذا جاءنا عن أمه وماتت وقضت أيامها ثم فاتت ولو أنى أعلم يا ابنة العم أن قلبك يطاوعك لقتلته ولكن أخاف أن تحزنى عليه ويقسو قلبك على ثم أنه رحل عن بنى سحاب

ونزل على بنى بشر بن جهينة وأقام عندهم عدة أعوام ثم طرقت ابن عمى طوارق الحمام لأنه قد خرج فى بعض الغزوات فقتل وربيت أنا ميسرة بعده يتيما إلى أن كبر وانتشا وكان قد رأى خدمنى للناس فعاوننى على ريب الزمان وعلى رعى الجمال والخيل وقد تفرس فى الصحرى حتى بقى يقاوم الأبطال وقد ظهرت شجاعتك فيه عند ملاقاته للفرسان فى الحرب والقتال وكان يشن الغارات على القبائل ومازال على مثل ذلك حتى أنه أبصر أسما ابنة خداش واشتغل بهواها وجرى له مع أبيها ماجرى وقد هربت بها أبوها إلى عندكم وقد طلعت إلى الغدير وعشقها مجيد أيضا وضرب الدهر جانبه وظهر فينا وفيكم عجائبه وهرب وأبوها وسرتم خلفه والقتاكم ولدى وأسر تموه بعد ذلك الحرب الشديد ورجعوا إلى رفقائه وأخبرونى أن ميسرة أسر فى أيديكم فتعجب من ذلك كل العجب وقد خفت وأنك تقتله ولا تعرفه فسرت أنا إلى ماهنا وأخبرت أهلك بهذا الخبر وشهد لى عروة وأخوك بأنى صادقة فى المقال وقد جمع الله شملك بولدك بعد الفراق وقد نفذ فينا حكمه سبحانه كما ختار وقد أصبحنا يا مولاى بديارك اليوم مقيمين فإن نعمت لنا بالإقامة أقمنا وشكرناك وإلا التجئنا إلى بعض قبائل العرب ونعيش عيشة الأرامل والأيتام (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام رق لها قلبه وقال لها يا مهرية إيش هذا الكلام وحق من دبر هذه الأمور وفرق ما بين الظلام والنور ما بقى ولدى يخرج من تحت يدى ولو عملت أسنة الرماح فى جسدى لأن رزق واسع وسيفى باتر وأمرى نافذ فى جميع المواضع ثم أمر الإماء والعبيد فنقلوا إلى سرادق مهرية كل ما تريد وخلع على ولده خلعة من ملابسة الفاخرة وحكمه فى أمواله والسلاح فى الغدو والرواح ولما خلا بالله من هذه الأمور أتى إلى عبلة ودخل على مضربها فعلمت بقدومه فقامت إليه وهى تقول فرغت من أحبابك ومن زوجتك الأولى وتركت عبلة إلى الفضلة فقال عنتر لا وعزيز حياتك يا ابنة العم ما يسلاك قلبى ولا أريد فى الدنا سواك ولكن لابد للانسان أن يستر عيوبه ويحسن المدارة وهذه المرأة وحيدة فريده غريبة على كل حال وهى أم ولدى وكونها عندنا وتحت كنفنا أحسن من أن تكون عند الغرباء لاسيما ومعها هذا الولد الذى تخضع له رقاب العرب وتذل له الشجعان (قال الراوى) ثم دخل معها إلى منامه وشاغلها بكلامه ثم أنشد يقول

وحق الركن والبيت الحرام	ومن لبى بزمزم المقام
وحق فتور عينيك اللواتى	بها أحيا وأبرأ من سقامى
يمينا لاسلوت هواك حتى	يضم القبر الجى مع عظامى

فوجهك قبلتي وهواك ديني وذكرك مؤنسي وقت الظلام
رضعت هواك مع لبني صغيرا وعند منيتي يدنو فطامي

قال الراوي وبات تلك الليلة عند عبلة وقعد فوثقت منه بقوله وعلمت أنه ما يريد سواها فلما أصبح الله تعالى بالصباح دخل مجيد بن مالك فشكاله وجده بأسما وسأله أن يزوجه بها فاجابه إلى ذلك بعد ماشاور عمه قيس فصنعوا الولايم وروجوا الطعام وداوموا الافراح مع شرب الراح عشرة أيام وزفوا اسما على مجيد فقر قراره وخمدت ناره وأما ميسره فانه بقي في قلبه منها آثار الغرام ولولا حياؤه من أبيه ماوجد بعد فراقها اصطبارا فقد علم أنها تحسب مجيداً فكتم سره وقد أظهر صبره وسوف يقع له كلام تذكره في محله (قال الراوي) ثم بعد ذلك بأيام قلائل وصل اليهم رسول من الملك النعمان ويخبرهم بما جرى له مع خداند بن كسرى وانوشروان وكيف ارسل يطلب منه حريمه وكيف هرب من بين يديه ولحقته العساكر والقصة التي جرت من قبل هاني بن مسعود وكيف رحل بصحبة هاني بعد ذلك الأمر ونزل في أرض بني شيبان ثم قال قد أرسلني اليكم أعلمكم بتلك الأخبار وما أتيت من عنده حتى أنفذ إلى قبائل العرب وأعلمهم بما جرى عليه لانه قد علم أن ابن الملك كسرى يسير اليه في هذه النوبة بنفسه أو يرسل أولاده في كثير من عساكر خرسان ويترك معه اياس بن قبيصة وهو من هذا الأمر فزعان وأكثر فزعه على الحريم والنسوان فخذوا الأهبة لنصرته قال الراوي فلما سمعت سادات بني عبس بهذا المقال وهذا الخبر ضاقت صدورهم على النعمان وجرى على قيس واخواته مالم يجر على أحد وقال النجاب باوجه العرب قلم يقصد صبرنا البناحب كما حمينا أختنا وبذلنا دونها أورواحنا فقال النجاب والله يا مولاي إن قومه أشاروا عليه بذلك ولكن ما أعطاهم طاعة بل قال أنا ما لقيت لي فرج في مناني إلا على يد الأمير هاني فقد أمرني سطيح الكاهن بمصاحبته قال الراوي فسبق هذا الكلام على عنتر ابن شداد وجميع من حضر من بني عبس هذا وقد جعل قيس يقول للرسول والله يا وجه العرب أن أرضنا كانت أحسن له من أرض بني شيبان وكنا نبذل دونه سيوفنا ونقاتل بين يديه حتى نطير رؤسنا ثم أكرموا النجاب ذلك اليوم واليوم الثالث خلعوا عليه وسيروه ثم أعلموه بأنهم أجابوه بالسمع والطاعة قال الراوي هذا ما كان من هؤلاء وأخبار أرض الحجاز وحديث النعمان وأما ماكان من حديث عساكر العجم الى انكسرت قدام هاني ابن مسعود فانها وصلت الى الحيرة وسارت تطلب المدائن لتشكو حالها إلى ابن كسرى وأما

إياس بن قبيصة فإنه أقام فى الحيرة وقد ضاق صدره وزاد فكره وعلم أن مملكة العرب لا تدوم له ما دام النعمان باقيا فعندها كاتب قبايل العرب إلى حد صنعاء وعدن إلى جبال بنى طى إلى أرض المصانع وأمر فرسان القبايل بالاجتماع إلى أرض النجف وأقسم فى كتبه إن تخلف عنه أحد ليقصده بأبطال العجم وجبابرة الديلم ويسبى الذرارى والحرام ويذبح الرجال ذبح الغنم وإن الذى يأتى إلى خدمته وطاعته إذا قضى حاجة الملك خداونداين كسرى يرجع بالغنايم والأموال وينال المنى (قال الراوى) وبعد ذلك كتب إلى الملك خداوندين كسرى يقول فيه بما حصر وقال فى آخر الكتاب أيها الملك المهاب أنك قد أوليتنى دولة العرب فاريد منك الاعانة عليها والا طمعت فينا رعاة الغنم ويميل ركن الدولة الكسرويه وينهدم وكان الملك كسرى عنده فيما جرى لاصحابه الحقد المقيم لأن المنهزمين وصلوا اليه وأخبروه بما جرى عليهم فصعب عليه وبعد ذلك أتاه كتاب اياس بن قبيصة فقرأه فزاد به الوسواس فصار يدمدم ويتعوذ بالحجر وقد قامت عليه القيامة وزاد كفره بالله العظيم ثم انه أشار عليه أرباب دولته وقالوا له أيها الملك الكريم الخطا مر الأول كان منك لأنك انفذت تطلب حريم الملك النعمان فى محل عزه ودار ملكته وما كان الصواب إلا أنك تحضره إلى بين يديك وتقبض عليه ولا تطلقه حتى تبلغ ما تريد والآن فهذا أمر قد فات والعداوة قد تجددت فان لم تنفذ له جيشا ذا باس شديد فما تبلغ ما تريد فيصير الك شغل شاغل مع النعمان وتتمع عليه كل العربان وكل من فى الصحراء فيخرب بهم البلاد وربما كاتب ملك الروم وجلبه من بلاد الشام وأطمعه فى مملكة الفرس فتكون قد جلبت لنفسك الوبال فلما سمع خداوند هذا الكلام خاف على دولة الاكاسرة من الزوال وقال للموبذان يا أبى إذا كان حسابك هذا الحساب فانا أتولى بنفسى هذه الأسباب فاسير بعساكر خراسان إلى أرض الحجاز فلا أعود أتركه قفارا خرابا وأسوق النعمان ومن قد جمع من العربان وأجعلهم قربانا لبيوت النيران فقال له بشير سان وهو قوى الحيل وأفرس أهل الأرض وكان أبوه من شدة محبته له أوصى له بالملك من بعدة فلما ذلك اليوم أمر العرب وقال يا أبتاه بحق الأفلاك وما فيها من الحرارة دعنى أتولى هذا الأمر وأغاثيه فلا تخرق أنت ناموس الملك بمسيرك إلى عرب البر والفلا فقال خداوند يا ولدى أنا أخاف عليك من فرسان جاهلية العرب الذين لا دين لهم لأنهم إذا ظفروا بك وبالوا مرادهم منك بكل سبب خربت كعبتهم التى يحترموها فى شهر رجب وحرمت أحدا منهم يركب فى البر على

قتب قال فعندها قال له وزيره البرزجمهر أيها الملك خفف عنك هذه الامور وثق بالنار والنور ولا تبدل عدل أجدادك الاكاسرة ولا تظلم ولا تجور ودع ولدك في هذه النوبة يسير وأنا معه برسم التدبير ولا نعرف النعمان الامنى بلا تعب ولا نصب فطاب قلب كسرى بهذا المقال وأجاب وزيره بما يعهده منه من العقل فقال إذا كان الامر على هذا الحال فقد تب يا ولدى قلبك بها للمسير وخذ معك من هذه العساكر التى تقدم فى هذه الايام من بلاد العجم ما تريد فانك بها تملك بلاد الحجاز (قال الراوى) وكان كسرى يأتيه فى كل سنة مقدار مائة ألف فارس فى خدمته من بلادهم بالنوبة ومعهم أموالهم فان انقضى العام مضى الذين فرغت نوبتهم ففى هذه الايام التى أراد شيرستان السير فيها إلى أرض الحجاز وصلت العسكر من بلاد العجم فانقلبت الدنيا بخيالة الفرس فغمرهم ابن كسرى بالنعم وخلع على الحجاب والامرا ثم أخبرهم بما تم عليه وجرى فضمنوا لهم أنهم يخربوا لهم الدنيا فشكرهم على مقالهم وأعطاهم من العدد ما أصلحوا بها حالهم فلما أخذوا الراحة طالبوه بالمسير إلى بلاد الحجاز فانتخب منهم الوزير سبعين الف فارس ما فيهم إلا كل مدرع ولابس فكانت الديالم مكشفين الرؤس يقاتلوا بالترس والعمدان إذ اشتد الفزع فقال بعض هؤلاء أتانى من النعمان المقصود ولو أن معه عسكر عاد وثمود لاسيما إذا كان اياس مع عسكرهو الآخر من العرب وقد جد لاخذ ثاره من النعمان فى الطلب فخرج شيرستان بن كسرى فى جماعته وحجابه ورحل هو والوزير البرزجمهر فى ذلك الجمع الذى ذكرناه طالب أرض الحيره وبر النجف فكان اياس بن قبيصة قد صار فى عالم عظيم لان العرب الذين كاتبهم قد أتى إليه أكثرهم خوفا من كسرى وفيهم فرسان أتوا فى طلب المكسب فابصر اياس اجابتهم ففرح بذلك ففتح الخزاين وفرقها على الشجعان فا وصلت اليه عسكره إلا وعسكر الفرس عنده فلما أشرفت عليه عسكر الاعاجم وجبابرة الديالم وقد علم أن كسرة معهم ركب بسادات قومه فالتقاهم أحسن ملتقى ونزلت العسكر فملأت الصحرا وقد ملىء البر من كثرة الخلق وأقام اياس بكل ما يحتاجون إليه من المؤونة والطعام وزاد سرور هذه الجحافل التى ملات البر والآكام إلا أن ابن كسرى ما قام هناك أكثر من ثلاثة أيام ورحل من عجبه بنفسه فى طريق العرب والعجم ودخل برية الحجاز والارض تهتز من تحتهم أى اهتزاز وهم يقطعون المناهل وشاع حديثهم وتواترت أخبارهم إلى الجلل والقبائل ولهج الناس بحديث هذه العساكر وكان أول من سمع بذلك قيس بن مسعود

مسعود ابن خالد الملقب بذى الجن لأجل علو نسبه وصحة حسبه وكان رجلا عاقلا لبيبا فاضلا وهو من جملة عقلاء العرب ومشايخهم الذين هم فى انتظار ظهور سيدنا محمد ﷺ وإنه لما وصل إليه خبر مسير الفرس فى ذلك العدد الكثير فزع على ابن أخته الأمير هانىء بن مسعود من شرهم لأنه كلما سمع ماهو عليه من الشجاعة وعدو البراعة يحبه محبة عظيمة فجمع إليه عقلاء قومه من بنى شيبان وقال لهم أعلموا يابنى عمى أن هذه السنة سنة عظيمة تدل على قتال عظيم وسفك دماء وهى التى أخبرت عنها الكهان والعلماء والحكماء وفيها يولد الولد المنصور وتنجلى بأنوار هدايته دياجى الظلمة والدليل عليه مسير عسكر الأعجام فى هؤلاء الخلق الذين قد ملؤا الأرض من الغرب والشرق وقلبى فزعان على ابن أختى هانىء ومن معه من بنى شيبان وكذلك الملك النعمان لأنه قد أنفذ إلى سائر العربان كما أنفذ إلينا وطلب منا النجدة وأعلم أنه ما يجب أحد من العربان إلا القليل لأن أكثر العرب يبغضون دولته لأجل جورة عليهم فإن نحن صرنا إلى نصرته ما نمنع عنه كربه لا ندفع عن بنى عمنا شدة الصواب أن تركب وتلتقى ابن كسرى واياس بن قبيصة ونظهر لهم أننا طائعون ونسير معهم إلى ديقار فنبصر من أطاعهم من عرب القفار وكم جمع الملك النعمان من الرجال وإن رأينا النعمان أنه فى جمع تقدر تلتقى به الفرس ملنا إليه وقاتلنا معه وإن كان فى نفر قليل بقينا مع الاعجام إلى وقت الجلة الصادقة فندور بن كسرى وننادى فى وجوههم نكلمات سمعتها من كاهن العرب سطيح فى بيت الله الحرام أعلمكم أياها فى وقت النداء وتجدون فى ضرب السيوف وطعن القنا وتبصرون النصر كيف ينزل من السماء فلما سمعوا بنى عمه كلامه تعجبوا من حسن رأيه قالوا له ياسيد بنى شيبان أنت اليوم شيخنا شيخ العرب جمعا فدبر ما تريد وافعل بعقلك ما تشاء حتى نكون لك تعالى كل ما تصنع ثم أخذوا أهبتهم إلى لقاء الفرس إلى أن علموا انهم قاربوا ديارهم فركب إليهم الملك قيس بن مسعود فى مائة فارس فالتقاهم من مسير يوم من أرضه فلما وقعت عينه على أعلام اياس بن قبيصة ورآه فى المقدمة ترجل وأصحابه وأشعوا على الأقدام وقد رفعوا أصواتهم فدعوا للملك بالدوام أعنى الملك كسرى (قال الراوى) كان اياس قد عول على نهب أموالهم وسبى حريمهم لأجل القرابة متى بينهم وبين هانىء إلا أنه رآهم على تلك الحالة وأبصرهم قد التقوه بذلك الملتقى فتعجب من هذا الأمر ورحب بقيس وقربه وقال له ياقيس عجيب كيف تخليت عن قومك وما أعنت النعمان معهم فقال قيس يا مولاى لا تفعل ولا تنسبنى للجهل مع كبرى ومعرفتى بالدول لأن عين الشمس لا تتغطى والعاقل الذى يتبع الصواب ويترك الخطأ وأنا قد علمت أن الذى يعادى دولة الملك كسرى

يكون فى نفسه مفرطا ومع كل ذلك فانى أقسم قسما أننى لو كان لى على النعمان شىء من أمور العربان ما كنت سرت بهم إلى ابن أختى وكنت سقت الجميع إلى عند الملك العادل كسرى ومن أيام وجهت إلى رسول يطلب منى أنصارا ومن أصحابى نجدة فلما سمعت ذلك أخرقت بالرسول الذى أتانى من عنده غاية الاخراق وقلت له فى الرسالة والله يا نعمان ما أنت عندى بعد هذه الفعال بعاقل ينفذ اليك الملك كسرى ويطلب منك بعض نسائك فترده ولا ترضيه وقد عولت أنى أسير إليكم وأكون معكم فلما سمعت بمسيركم وأخبرت بوصولكم خرجت أطلب منكم الامان قال الراوى فلما سمع اياس بن قبيصة هذا المقال رق قلبه وشكر قيسا وأثنى عليه وقال له عد أنت إلى أصحابك وأمرهم أن يركبوا على ظهور الخيل ثم رجع فى جماعته إلى الوزير وابن الملك كسرى واستشار كيف يعمل فى حق قيس وأصحابه فقال الوزير رحب بالقوم واخلع عليهم وأوعدهم عنا بالجميل وقل لهم يسيروا فى المقدمة حتى إذا وصلنا إلى الوادى وجرى بنا فعالهم مع بنى عمهم تركناهم يبدأوا بالقتال فان نصحوا وقاتلوا عرفنا أنهم ناصحون وخلعنا عليهم من أنعام الملك العادل وأن تأخروا عن القتال علمنا انهم منافقون فبادرونا وإدرنا عليهم كئوس البلاء أجمعين قال الراوى فقال اياس هذا هو الصواب ثم عاد إلى الملك قيس بن مسعود وخلع عليه وعلى أصحابه وقال لهم اعلموا أن الملك العادل رضى عنكم وقبت عنده صدق مقالكم وقد أمركم ان تعودوا إلى باقى أصحابكم الذين تعتمدون عليهم وتلاقونا بهم حتى نسيركم فى المقدمة لاجل محبتكم للدولة الكسروية فدعا قيس وشكر عندما سمع هذا الخبر ورجع إلى بنى شيبان وانتخب الفين بطل من الفرسان وقال للباقى سوقوا أنتم المال والعيال والحريم إلى ديقار واحترزوا عليهم حتى تبصروا آخر هذه القصة كيف تكون قال الراوى وكان عنده أربعمائة زردية وديعة الملك النعمان فأخذ الجميع فى جملة الثقل والزرد وصبر حتى أتت عساكر الفرس وقد ادركته وصار فى مقدمتها يطلب ديقار وتتابعت الفرسان والعساكر حوله مثل موج البحار وقد طلع القتام مثل الغمام السيار قال الراوى وكان قيس بن مسعود قبل مسيره قد أنفذ بين يديه نجابا إلى الملك النعمان يخبره بما جرى وكان أمره أن يجمع العساكر والفرسان ويشد قلبه على القتال فعندها سار النجاب يجد فى القفار حتى وصل إلى أرض ديقار ودخل على النعمان وقص هذه القصة عليه واعلمه بكثرة العدد وتزايد المددفخار فى أمره وضاق صدره واحضر هانىء ابن مسعود وحجار بن عامر ومن يعتمد عليهم فى الأمور الكبار وقد حكى لهم على ما قاله

النجاب من الأخبار وقال لهم ايش هذا الانتظار والله ما بقى ينجينا إلا ركوب الاخطار والصبر على ملاقاة العجم وعباد النار وأريد أن تعلمونى بحقيقة الحال وبما فى قلوبكم فإن كانت نفوسكم طيبة للقتال أرسلت إلى سائر القبائل والحلل الذين طلبت منهم النجدة على لقاء هذا البحر الزخار وإن كنتم فزعتم من كثرة هذا العدد فما يلومكم أحد وأنا أرحل إلى بنى عبس أنسابى وأدبر أمرى على قدر ما أرى ولا أكلفكم بشىء فقال له هانىء إعلم أيها الملك أننا ما أنزلناك فى أرضنا وقد بقى فى أنفسنا شىء ولا بد أن نقاتل بين يديك حتى تشكت منا العروق وتطير رؤسنا والرأى عندى أن لا تذل لاحد من العرب ولا تطلب منه نصرة ولا تفزع من قلة ولا كثرة فانى وحق من احتجب عن العيون وحكم بالفناء والعدم وأنشأ الخلق والامم أقدر أن أطلع بك وبمن معك من الاموال والاخوان والحريم والعيال إلى رأس هذا التل وأقاتل عنك كل من فى الدنيا من العرب والعجم فقال النعمان والله ياولدى ما يشك فى قولك أحد وما أنت فى زمانك إلا أوحد ولكن ما بالكثرة من باس ولا يدم الحرص لاحد من الناس وأنا قصدى بهذا اختبار الأصدقاء من قبائل العرب حتى يظهر المحب من المبغض والصد من المعرض ثم أنفذ النجاب إلى الاحياء والحلل وإذا بوزيره عمرو بن نفيلة قد وصل مكة وقد قدمنا صفة هذا الوزير الفاضل وذكرنا أنه كان حكماء العرب المعمرين الذين كانوا الرسالة خير الخلق سيدنا محمد ﷺ من المنتظرين وأنه لما وصل إلى الملك النعمان سلم عليه بذل وخضوع وجريان دموع وقال له سمعت ياولدى ما جرى عليك من كسرى فما أخذنى قرار ولا وجد على جور العجم اصطبار بل أتيت لك أقوى عزمك على القتال وأعرفك أن أوان دولتهم قد آن انتقالها فحاورهم ولو ملؤا عليك الاقطار ولا تطلب من أحد نجدة ولا تقصد الاستكثار واقنع بمن معك فان البركة والمعجزة فى ديقار فقال النعمان أيها السيد كيف يكون ذلك والأعداء قد ساروا يطلبوننا فى مائة ألف فارس وأنا ههنا فى ثمانية آلاف وهى فى عددنا أضعاف بين لى هذا الأمر بحق من أنت له فى الانتظار واشهر لى باطن الحال إن قدرت على اشهاره ثم حدثه بما جرى بينه وبين الملك كسرى وأخبر بما قد سار من العساكر قال الراوى فقال له الوزير اعلم ياولدى أنى قبل وصولى اليك فى هذه الكرة اجتمعت أنا وحكماء العرب فى البيت الحرام وكل من يعرف ما تحدث به الأيام من أهل هذا الخلق فرأينا الكل بهائم ورواتع ما فيهم من يعرف صنعه الصانع ولا هم شبيه إلا الوحش الرائع فمنهم من يبوس الصليب ويشد الزنار ومنهم من يعظم قدر النور والنار ومنهم من يسجد للفلك الدوار ومنهم من يسجد للاصنام والاحجار ومنهم من يعظم قطر موسى ولا يعلم شغلا فى سنته أيضا وهذا يحلف بالتوارة

والزبور المختار فقلنا هذا عالم مريض محتاج إلى طبيب عارف وان لم يدركهم الطبيب قريب أكل بعضهم البعض ومات بغير سنة ولا فرض فقال لنا سطيح الكاهن اما الطبيب فهذه أيام ولادته وفيها يظهر لنا فضله ومعجزاته وبه تنصر العرب على العجم وعباد النار ويكون لهم واقعة عظيمة فى يوم ديقار وينشق إيوان كسرى فى هذا النهار فبشر بذلك الفقراء وسكان القفار وحذر أهل البلاد والامصار فاحمدوا الرب القديم الذى قدمه لكم فى الاعمار وأحياكم إلى لقاء صاحب الهيبة والوقار فقلنا له ياحكيم ما تعرف إيش يكون اسمه قبل أن يولد فقال بلى اسمه محمد وهذا الاسم ما سميت به العرب ولا نادى به احد من يقدم من اقترب لان ميمه الاولى من المشترى وهو سعد الملك الاكبر وحاءه من الحوت الذى ولد فيه الاسكندر وميمة الثانية من المريخ وهو سيف الفلك المشهور وداله من الاسد الذى لا يزال صاحبه ينصر ويظفر ورب هذا البيت بعد ذلك أخبرنا بما يكون من اجتماع الشمس والقمر ثم خففت بعد ذلك من كلامه حتى قد شرب كؤوس حمامه وتفرقنا عنه ونحن نتفكر فى حسن احكامه وبعد ذلك سمعنا ماجرى لك مع الملك كسرى فقلت أنا والله لقد صدق الكاهن فيما قال ثم سرت بعد ذلك أبشرك بهذه البشارة فكن الآن على هذا الكلام أول من اعتمد والق أعداك ولا تحتاج إلى نصرة أحد وقل لأصحابك عند اللقاء ينادون يا آل محمد يا آل محمد وانظر كيف يأتيك النصر من الرب القديم الأحد الذى أوجد الأشياء من العدم فلما سمع النعمان هذا المقال انشرح صدره وقال يا عمرو وحق من أمره نافذ فينا إن ظهر لهذا المقال برهان لاحجن عاما إلى بيت الله الحرام ولاذكرن هذا الرجل فى الضياء والظلام قال الراوى ثم أنهم بقوا عساكر العجم منتظرين وهم من هذا الحديث متعجبين وبعد أيام وصلت إليهم الأخبار أن عساكر الملك كسرى وصلت إلى أرض ديقار فتاهبوا إلى لقاء الأعداء فقال هانىء بن مسعود أما ما عندي من الرأى إلا المسير إليهم والقدوم عليهم حتى لا ندعهم يطئوا أرض ديقار وان كان هذا الوعد الذى سمعناه صحيحا وإلا ضربنا بالسيوف حتى لا يقع كلامنا طريحا فقال النعمان إيش قولك يا وزير فقال الوزير عمرو الرأى عندى أنك تسمع هانىء فى كل ما أمرك به لأن النصر على يديه يكون وبهذه النية تنالون ما تشتهون فلما سمع النعمان مقاله طوى خيامه ونشر أعلامه وركب هو واخوته ومن تبعه من أهله وعشيرته وركب هانىء بن مسعود فى بنى شيبان على الخيول العربيات ولما جدعزمهم على المسير قال لهم هانىء يا بنى ظبى ودعوا عيالكم وداع من لا يرجع لأنكم سائرون إلى بحر لا يخاض وجبل لا يرتقى فلا يتبعنا منكم إلا من كان بهذه النية والجبان الذليل يقعد عند النسوان ويترك عنه تلك القضية ثم إنه صار قدام

النعمان وقد قل الموت في عينيه وهان واطرح نوائب الزمان وهو مثل الأسد الغضبان وصار يهون الموت على بني شيبان ويحرضهم على القتال بهذه الأبيات. صلوا على صاحب المعجزات

يا عذولي كف لومي والعذل ... واقتصر عن ذكر هند والطلل
ففؤادي قد صحا من سكره ... وبغير الحب والعشق اشتغل
واطلبوا العز بأطراف القنا ... وببيض عودت ضرب القلل
واستخيروا الموت بالسيف ولا ... تستخيروه باسباب الذلل
قاتل الله سلاما يرتجي ... من طبيب حاذق طول الاجل
قد عركت الدهر حتى لان لي ... ورأى جور حسامي فعدل
فرجال الفرس تخشاني إذا ... برزت للحرب والقرن البطل
يا بني الاعجام أن تستنموا ... ما مضى عودوا فالدهر دول
والحسام العضب في كفي كما ... تعهدوه ابن ماحل قتل
واجمعوا من كل فج واحشروا ... والتقوني تجدوا فحلا بطل
وشجاعا يلتقي سمر القنا ... بفؤاد قد من صخر الجبل
فوحق اللات والعزى ومن ... طاف بالبيت ولبى وابتهل
لا تركت الخيل إلا فرقا ... خائفات تنظر السهل جبل

قال الراوي فلما فرغ هانيء من هذه الأبيات أطرب الاسماع وتعجب منه كل شجاع ولما صار بين القوم وبين الديار مسيرة فرسخ دعا الوزير عمرو بهاني، وقال له يا ولدى الصواب أنك لا تبعد بقومك عن الحريم أكثر من هذا لأن عساكر العراق خلق كثير وما تأمن منهم عند وصولهم أن يهجموا على النساء والأولاد والرأى عندي أنك تنزل هاهنا حتى تشرف الفرس علينا ثم نبصر كيف يكون قتالنا معهم فقبل هاني، كلام الوزير ونزل هناك فلما استقر بالناس القرار اتبع سنة الناس الاوائل وضربت قبة أرجوانية الاطناب وجمع كل من يعتمد عليه من الاقارب والأصحاب وحلف لهم وحلفهم أن من عبر تلك القبة وانهزم لا يرجع يخرج من الخيام ثم تولى بعد ذلك حرسهم ومازال على مثل ذلك حتى تقاربت عساكر كسرى إلى ديقار فاسودت الدنيا وطلع الغبار وسار حتى اسودت من ظلامه الاقطار فلما تحقق ذلك بنو شيبان أمرهم هاني، بأخذ الاهبة إلى الطعان وكذلك فعلت اخوة النعمان وأخذ هاني، حجار بن عامر وخمس فوارس وتقدم نكشف الاخبار من ناحية العجم وينظر إلى جيشهم العرمرم إلا أنه ما غاب عن بني عمه حتى طلع الغبار وبان له من بين يديه عشرة فوارس مثل النسور على خيول أخف من الطيور وقد أسفروا عن وجوههم الملاثم

ورماحهم تهتز على أكتافهم مثل الأراقم فقال هانىء لحجار بن عامر هؤلاء طلائع العساكر دونك وأياهم ثم أنه هز حسامه وطلبهم وتبينهم عند مقاربهم فرأى خاله قيساً فى أوائلهم متبسماً ومن قعاله متعجباً ففرح بذلك وترجل وفعل هانىء مثل ما فعل واستنقوا بعضهما وتشاكيا ألم الفراق وكثرة الأشواق وبعد ذلك سأل هانىء خاله عن حاله فقال ياولدى ما أتيت اليك إلا من فزعى عليك لأننى لما رأيت هذه الجيوش إليكم سائرة مثل البحار الزاخرة فتقدمت إلى اياس بن قبيصة الذى قدمه كسرى على العرب وقلت له اشتهى منك أن تأخذ لى اذنا بالمسير إلى ابن أختى هانىء ومن معه من بنى شيبان حتى أصف لهم من قد سار اليهم مع ابن الملك كسرى من عساكر خراسان وأشير اليهم أن يسلموا إليك الملك النعمان من غير ضرب ولا طعان لعلهم يرحمون أنفسهم لأننا اليوم واياهم من جملة راعيتك ونريد منك أن ترعانا بالاحسان ومازالت اكلمه بمثل هذا الكلام حتى لان وأجاب وقد أتيت اليكم وأبصر ماذا برتم وبما قد استعددتم للقاء هذه الامم ومن قد أجابكم من العرب للقاء العجم فقال هانىء أما العرب فما أحد اجابنا منهم ولا تركت النعمان بذل لا لابيض ولا لأسود وربما تصل لنا الشماتة منهم وما هذه العساكر الذين قد وصفت فقد استعددنا لهم باسنة الرماح ومضارب البيض الصفاح وسوف تبصر عند اللقا من يسعد منا ومن يشقى قال فتبسم قيس من كلام هانىء وقال له أنت ياهانىء تلتقى ماية ألف فارس ومعك من العرب دون الثمانية والله إن هذا الغاية الجهل ولكن هذا الامر قد فات لأننا فى هذه الساعة لا نقدر أن نستنجد باحد على أننى ياهانىء قوى القلب بكلمة سمعتها من هاتف فى المنام وأنا موسوس إلى الآن لاننى فى الليلة التى صادفت فيها الفرس ورأيت كثرة عددها انقطع قلبى وقلت والله لايترك الاعاجم فى هذه الكرة للعرب قايمة تقام ولابد أن يهلكوا ويهلك هانىء وبنو شيبان وبقيت اتفكر فى ذلك وأنا بين النايم واليقظان وإذا بهاتف يقول وأنا أسمع صوته وأرى شخصه أمامى عيان يا قيس لاتضيق صدرك ولا تكثر فى هذه الأمور فكرك فان العرب فى هذا العام على العجم كل النصر والغلبة ببركة ظهور صاحب المنزلة والرتبة العالية فنادوا عند اللقا يا محمد يا محمد وانظروا نيران الفرس كيف تخمد وترتعد أجسادهم لطيب هذا الاسم الذى عظم على كل العظماء وانظروا كيف تنزل عليهم الجنده من السماء وأننى ياهانى لما سمعت من ذلك الهاتف هذا الكلام بقيت كأننى فى منام وقلت له يامولاي ومن هذا الرجل الملقب بهذا اللقب لأن هذا الاسم ماسمعته فى العرب فقال لى ياقيس هذا نبى يظهر بالسيف من بلاد الحيف بين كتفيه شامه وهى لنبوته علامة له وجه صبيح وخلق مليح ولسان فصيح

كامل الآدب ظاهر النسب تاج العجم والعرب يطعم الطعام ويفشى السلام ويصلى فى الظلام ويفتح له السبع سموات العلى ويناجى الرب الكبير الاعلى بنطق بالصواب وتذل له الرقاب. ويكون له أقارب وأصحاب كلهم أبطال ويبطل عند حضور المجال ويتبعه غلام أدرع وبطل صميدع بطين أنزع لايخاف ولايجزع بزوجه النبي ﷺ بابنته ويغذيه من حكمته. ويكون آيته الكبرى ومعجزته فاستعينوا على قتال الفرس بهذه الأسماء وعظموا رب الارضين والسماء وإننى ياهانى لما سمعت هذا الكلام من الهاتف انتبهت وأنا فزعان خايف. وهذا الذى احوجنى أن أسير مع الاعاجم وأكون غليهم مخاطر وإلى الآن وأنا متفكر فيما أنا ذاكر قال فتنسم هانى . بن مسعود ولاح له البرهان وعلم أن هذا يكون تصديقا لكلام الوزير فقال لخاله لاشك فى هذه الرؤيا ياخال وأنها حق وصدق لامحال ثم حدثه بما سمع من الوزير عمرو بن نفيلة وزير النعمان وشرح له جميع ماجرى وذكروه الكهار فى ذلك الزمان ففرح قيس بذلك وقال عدينا ياهانى ء عندقو ولك نجدد عهدا فاعرف النعمان أن وديعته قد أتيت بها وهى الزرديات التى كان يدخرها الشدايد عندى ويخبيها لمثل هذه الاوابدو نطيب قلبه بمثل هذا المنام ونزيده على ماقد سمع أقوى برهان فاجابه هانى . إلى ماطلب وعاد معه إلى النعمان وقدمه بين يديه قباس الأرض ودعا له بالنصر وحدثه بما سمع من الهاتف وقال بعد ذلك يامولاى وقد اجتهدت فى التدبير فارأيت أنا أصوب مما فعلت لانتى سرت بقومى مع عساكر كسرى واظهرت لهم الطاعة ووصلت معهم إلى هذه الديار وأمرى مخفى إلى الآن وقد عولت على معونتكم إذا وقع الحرب وقد بذلت المجهود على قدر ماأرى وقال مابقى لنا اتكال إلا على هذه الكلمات والصبر بعدها على ضرب السيوف ولى عندك ياقيس وديعة وأنه محتاج إليها فى مثل هذه الساعة وهى الدروع والزرديات وأحق أن تكون أتيت بها فقال نعم والليلة تصل اليك ثم عدل إلى الوزير عمرو وسلم عليه وخدمه وقال له ياحكيم إن الذى حدثت به فى اليقظة أحسن من الذى أبصرناه نحن فى المنام واغيث النعمان عن نصرة فرسان العرب والحاجة إلى سؤال الشام وأننا نرجو من الله الكريم العلام إدراك هذا الشخص الذى نحن فى انتظاره ونرجو من حقيقة المعونة والبرهان والفرق بين الجلال والحرام قال الراوى ولما هم قيس بالرجوع قال لابن أخته ياهانى ء خذ هذه الخيل تحتنا والعدد ودعنا نعود رجاله بلاعدة ولا آلة وإذا سألونا عن أحوالنا نقول أن بنى عمنا قبضوا علينا ثم أرادوا ضرب رقابنا وقالوا أنتم جئتم تساعدوا الأعداء على قتالنا ومازلنا نتخضع لهم حتى أخذوا عددنا وخيلنا وحلفونا أننا لانجرد فى وجوههم حسام ولانعين عليهم أحد عند القتال

والصدام لأنهم لا بد أن يكلفونا قتالكم حتى يبصروا وإن كنا ناصحين أو منافقين وما لنا حجة نتأخر بها عند الحرب أحسن من هذه الحجة قال فلما سمع هانىء ذلك الكلام عرف صحة مقاله وأجابه إلى ما أراد ثم ودع قيس وعاد هو وأصحابه فوصلوا العند عساكر العجم وتموا على حالهم حتى وصلوا إلى إياس بن قبيصة وكان لهم فى الانتظار فلما رآهم على تلك الحالة سأل قيس عما جرى فقال أيها الملك سرت إلى ابن أختى فى زى ناصح فلقيت منه هذه الفضايح لأننى لما اجتمعت به قبحت عليه فعاله وأمرته بتسليم النعمان قبل التلاف وخوفته بهذه الجموع لما خاف بل أمر بنى شيبان فتواثبوا علينا وشدونى وأصحابى كتاف وقالوا لنا أنتم قد جئتم تبصروا العجم على العرب وقطعتم ما بيننا وبينكم من القرابة ولا بد لى من ضرب رقابكم وإذا أشرفت على عساكر الأعداء حذفت رؤسكم وإنى لما رأيت الهلاك زلت لقومى وقلت لهم لا تفعلوا يا بنى الأعمام بحق ما بيننا من صلة النسب ولا تجعلونا شيم على غيرنا لأن لنا ألفين فارس فى عساكر الملك كسرى من سادات بنى شيبان ونحن قد أتينا من عندهم رسل وإن بطشتنا عليهم ظنوا أننا خادعناهم وأوصبنا فومنا بالمخامرة عليهم بعد نافيضربوا رقاب الجميع ونكون نحن لهذا الأمر سبب ونفتضح بين سادات العرب فلما سمعوا هذا الكلام رقت لنا قلوبهم وقالوا والله يا قيس ما بقيت تنجو من أيدينا حتى تحلف لنا أنت ومن معك أنكم لا تكونوا النا ولا تكونوا علينا فحلفنا لهم بالله العظيم على ما أراد خوفا من الموت وأنا الذى أشرت على قومى بذلك وقلت لهم احلفوا معى فإن عساكر النعمان العادل غير محتاجين إلينا قال الراوى فلما سمع إياس هذا الكلام صدق قيس فيه وقال له يا وجه العرب وما عرفت من قدر أتى إليهم من القبائل ولا من قد جمع النعمان من الجحافل فقال وعزيز رأسك أيها الملك وما وصلنا إلى الديار وإنما التقانى هانىء على حد فرسخين وكان معه الأسود أخو النعمان فى أربعة آلاف فارس من بنى شيبان فأول ما سألت ابن أختى عن الجمع الذى قد اجتمع فقال خلفنا جيوش وموا كب بعدد الحصى والكواكب وما بقى فى الأرض باع ولا ذراع إلا فيه بطل شجاع الجميع ينتظرون أمر النعمان لأنه ملك مطاع وقد ذكر أنه دبر هذا التدبير وفرق العرب فرقا وترك بينهم علامة وقت الحملة وأنفذ هانىء فى المقدمه وترك أعلامه ورايات على رأس أخيه الأسود حتى إذا أشرفنا نحن نطمع فيه ونحمل عليه فتخرج علينا الكمناء ويبادرونا بالسيوف والقنا وهذا الأمر قد حسبته أنا على قدر ما سمعت قال وفقال إياس هذا حديث ما نلتفت لا تنافى جمع ما نبالى معه بكمين ولا نخاف أما أنت فقد عفيناك من القتال فعد إلى أصحابك فحدثهم بهذا الحال ثم صرفه وعاد بعد ذلك إلى سرادق شير سنان فرأى عنده وزير

أبيه البزرجمهر وجماعة من أرباب دولته وهم فى المشورة والتدبير فخدم وحدثهم بما قدمعهم من قيس بن مسعود فلما سمع شيرسان قال وحق النور والنار لارجعت من أرض انا جاز وفيها العرب بيت قائم فإن أراد النعمان أن يفرقهم فرقهم وإن يجمعهم يجمعهم وعند الصباح نفرق الكتائب والمواكب فى سائر الجوانب ونقلق الدنيا بصياح الفرسان وركض الجنائب ونبذل أنفسنا للسيوف والقواضب حتى ننال أعلى المراتب ولانترك من الأعداء لاراجل ولاراكب ولا حاضر غايب ولا طاعن ولاضارب فقال الوزير لاتفعل أيها الملك ولا تقسم على شىء لا أدعك تفعله لأن النعمان ملك وكل القبائل كانت تطيعه وما هو ممن يقعد عن نصرة نفسه مادام أن مثلنا خلفه والصواب أننا عند الصباح نخرج بنية الحرب والكفاح ونطلب هذا الرجل بجمعنا كله ولانفرقه ولا نفوقه ونقله ولو لقينا مائة ألف فارس قاتلناهم ولا نزال فى حربهم حتى نهزمهم ونعرف ماوراءهم لأن الإنسان إذا هاب هابوه وأما أنا فما مرادى أن يقال عنك أن ابن كسرى سار فى عسكر قليل ومعه الوزير الذى عليه المعتمد ويعتمد أبوه عليه وكسره الأعداء وهزموه قال فقالت له أرباب الدولة ومن كان معه من الحجاب وحق النار والنور هذا هو الصواب ثم عزموا على مثل ذلك وأقاموا حتى انشق الصباح وطلع الضوء وضربت البوقات وضجت طوائف عباد النار الحية وسجدوا للانوار وخفقت على رأس ابن كسرى البنود والاعلام وماج البر بكثرة الخلائق وسار هما المقدمة إياس ابن قبيصة وأما قيس بن مسعود خال هانىء فإنه تأخر فى بنى شيبان (قال الراوى) وكانت أهل ديقار فدفزعوا على حريمهم والصبيان عندما سمعوا بقرب عسكر الفرس منهم وأشاروا على هانىء بالرجوع إلى ديارهم والعودة إلى وزرائهم فقال هانىء لا والله يابنى عمى مافينا من إلى وراءه ويعبر القبة التى ضربناها إلا أن يقتل وإن كانت قلوبهم على الحريم خائفة فأنا أنفذ العبيد يأتونكم بالجميع ونترك حريمنا خلفنا ونقاتل دونهم ثم شاوروا وزير النعمان فى ذلك فرآه صوابا وأنفذ العبيد فأتوا بكل من فى الحلة وما أصبح إلا وأهلهم عندهم وسائر الأقرباء وهم يضجون إلى رب السماء ويسألونه النصر على الأعداء ويتوسلون إليه ببركة ظهور نبى الله محمد ﷺ وفى تلك الساعة وصلت إلى النعمان الزرديات ففرقها على الأبطال من بنى شيبان وقد بدأ هانىء بدرعه وقطع أكمامه من حد مرفقه وأراد بذلك التخفيف عن يده وكذلك قال لسائر الفرسان افعلوا مثلى يابنى عمى وإذا لقيتم الأعداء وارموا عنكم الرماح وأقلوا من حمل السلاح وترتبوا فى البر والبطاح ولا تخشوا من سهام العدا لأنها ماتصيب إلا بأمر رب السما لأنه يعلم بالأجل إذا اقترب ودنا

وبادروا أعداءكم بالحملة حتى تمتزجوا امتزاج الخمر بصافى الماء ونزلوا عليهم واضربوا فيهم بالسيوف واعلموا أن المقتول عذرة واضح والهارب يبلى بالعار والفضائح والموت ما يدفعه الحذر ولا يرده قوة البشر واستقبال الموت خير من استدباره مع أنه إذا أتى لا يجد الإنسان له ملجأ منه وإن كان أعداؤكم فى أعينكم أكثرين فأنتم فى أعينهم أكثر إن ثبتم بين أيديهم يا بنى شيبان لا تخافوا من كثرة الجيوش ولا بريق البيض مع شعاع الشمس فار الجنيع ما لهم بقاء ولا تحسدوا الأعجام على لبس الديباج فان ذلك لا يدفع القضاء ثم زاد هانىء الأمر فأنشد يقول

ماالفخر ألوان الحرير والخرق إنما فخر الفتى طعن الحدق
من فر منا أو شكى بعض القلق يأكله وحش الفلا إذا سبق

(قال الراوى) ومازال هانىء يحرض الأبطال على القتال ويرتبهم فى البر يمينا وشمالا إلى أن تعالى النهار وقد أشرقت عساكر الفرس وهى مثل موجات البحار وقد تتابعت مثل الغمام السيار وامتدت فى تلك البطاح وضجت تلك الأقطار فنادوا كلهم باسم النور والنار كذلك فعلت بنو شيبان الإماء منهم فالاحرار وفالبنات فالأطفال الصغار وجميعهم رفعوا أصواتهم إلى الملك الجبار مد الليل والنهار يطلبون منه النصر على الأعداء القوم الفجار عال وعلى الحقيقه انقلبت الأرض بديقار فنزلزلت وأشرف ابن الملك كسرى على رأسة العلم والازدهار فكان الوزير الذى لابيه بجانبه فنظر عند وصوله إلى بنى شيبان وقد انقسموا فرقا حتى وقفت كل أربعمائة فارس تحت علم لا يشبه الآخر وأبصر الملك النعمان فى القلب وأعلامه السود وهى مشتبكة فوق رأسه وحوله أبطال بنى لخم وعن يمينه رايات تحاكى راية بنى عبس العقاب وعن شماله علم أبيض على صورة أسد تحته عساكر وملكهم بينهم راكب مثل ركبة دريد بن الصمة وبنى جشم وكان هذا الترتيب قد رتبه الوزير عمرو بن ثعيلة العدوى وقد أراد أن يوهم عساكر الفرس ويخيل أن عساكر الحجاز كلها قد أتت إليهم من أجل النصرة لهم وقد أطاعتهم سائر العربان وأتوا مع الملك النعمان (قال الراوى) ولما رأى وزير الملك كسرى الاعلام مختلفة علم أنها قبائل شتى فدعا باياس بن قبيصة وسأله عن ذلك فقال له اعلم أن كل علم من تلك الاعلام أصحابه خلفه إما عن يمينه أو عن شماله اكمنوا والدليل على ذلك أن هذه الراية راية الملك قيس ملك بنى عبس وهو غير حاضر وأنه لو كان حاضر كان عنتر بين يدية وكذلك دريد بن الصمة لو كان تحت الاعلام كانت فرسانه قدامه مثل خفاف بن ندبه ودثار بن روق والعباس بن مرداس السلمى وسعد بن إياس الجشمى وباق من يكون لهم من الفرسان ولقد صدق الملك ابن مسعود فيما قال

والصواب أننا نمهل ولا نعجل فنختبرهم فى البراز حتى تنكشف لنا أخبار عرب الحجاز ثم إنهم أمروا الغلمان بضرب الخيام فنصب القباب ثم مدوا للخيل الطوائل ففعلوا ما أمرهم به أما الفرسان الخالية الابطال الذين أتوا معهم فى طلب النهب وكسب الاموال الغانهم قد استقبلوا الفرق التى للملك النعمان وغرهم الطمع لقتالهم فعند ذلك تسابقوا إليهم فتلقاهم عساكر الملك النعمان وتقاتلوا فرأوا العرب الطماعة منهم رجالا لا يبالون بالعطب الصائب فزالت منهم طمع المكاسب ورجعوا رجوع الندمان الخائب فكان قتالهم فى ذلك اليوم مختصر لان الامير هانىء والامير حجار كانوا فى الميسرة والملك الاسود أخو الملك النعمان فى الميمنة فخضبوا الاسنة من دماء الابطال فوقعت الهيبة فى قلوب الامم من العرب والعجم وعادوا فى الظلام وهم أشد من ساع الاحام ونزل ابن الملك كسرى السرادق فأعجبه قتال بنى شيبان واشتاق قلبه إلى المجال فى الميدان لانه كان فارسا شجاعا معالج بالحديد شديد فى الصراع ونفسه على كل حال نفس ملك مطاع فعول أن يترك مكانه إلى غيره عند الصباح ويتنكر ويخرج إلى الحرب ومازالت الطوائف تدبر أمرها بالمصالح حتى بدأ الصباح اللائح وقد ركبت العشائر بغير تلك العزمات ونعرت البوقات من سائر الجهات وقد عرفت الفرسان أماكنها واعتدلت وحمحمت الخيل وصهلت وتخلقت الارواح وتململت وركب ابن الملك كسرى ولبس عدة الحرب وقد دارت به الحجاب ومن له من الاصحاب وركبت أيضا العرب مع إياس وقد زاد الانزعاج وخرج الامر عن حد الإياس وركب الملك النعمان وأبطال بنى شيبان وهانت فى أعينهم عساكر خرسان ولما اصطفت الصفوف ولمعت السيوف فبرز الامير هانىء إلى الميدان وصار قدام جيوش العجم وهو على جواد أدهم كأنه الليل إذا أظلم يسبق البرق الخاطف والريح العاصف ومعه سيف مخذم ورمح يلتوى مثل الارقم وعليه ثوب من الزرد الذى ذكرناه والعدد الذى نعتنا فما زال يجول حتى أنه قارب الاعلام ونادى وقال هلموا إلى مغير الدول والفارس البطل الذى تبطل عن لقائه الخيل دونكم يا طناجير العجم وكلاب الديلم لبراز هانىء بن مسعود ولا تتكلموا على قتال العساكر والجنود لان المكاثرة عار والانصاف فخار ثم أنشد يقول .

أناد وإن أحسابنا كرمت . لسنا على الاحساب نتكل
نسعى كما كانت أوائلنا ونجيد حربا مثل ما فعلوا

قال فتعجب بنى شيبان والملك النعمان من هذا النثر والنظام وما تم كلامه حتى فقزت إليه الفرسان وقد طلبته أبطال خراسان لانهم قد علموا ما مراده قبل أن يفهموا كلامه .

وكان السابق اليه جبارا من الجبابرة الذين للديلم فطلبه وهو على جواد بازل مثل السيل السائل وتحت فخذه حراب خوارق يقاتل بها إذا اشتدت عليه البوائق وكان له بالعربى قليل معرفة فنادى لهانى . لما أن فاز به دونك يا بدوى فلما سمع هانى . منه ذلك القول قال لمن حوله إيش هذا القول الذى يقوله هذا العجمى حتى أرد عليه فقال له ما قال لك شيئا فيه عيب بل أنه طلب القتال فارس بفارس فقال هانى . هذا الذى كنت أريده ثم أنه انطبق عليه انطباق الاسد وزعق فيه زعقة الليث إذا زاد به الحرد وطعنه فى فؤاده نكسه عن جواده وصاح بعد ذلك على فرسان العجم وقال افعلوا مثل ما فعل فعندها تتابعت عليه الفرسان فطال هانى . عليهم بالطعان وظهر منه ما حير العيان وعجز عن جد وصفه اللسان وكان له يوم عجيب لأنه ما برز عليه نصف النهار حتى أهلك مائة وخمسين فارسا كرار وبعد ذلك وقفت عنه الأبطال والفرس وكأنهم صم خرس فعندها عاد الأمير هانى . وغير جواده بغيره من خيول بنى عمه ورجع إلى الميدان وهو كأنه من بعض عفاريت الجان وهو ينشد يقول :

من فرسنا اليوم على جواده أو جازه أو مال عن عزيمه
أن الشراك قد من انيمه وكل من جاز على قديمه

ثم أنه قال بعد ذلك ابرزوا كما تشتهون مردومرد واطلبوا منى يا أعاجم أخذ الثأر من قبل ذهاب النهار قال وأما شيرسان ابن الملك كسرى فانه قد زاد بلباله وتغيرت أحواله لأنه كلما ابصر فروسية هانى . اشتهى قتاله وكلما هم أن يبرز إليه فيمنعه الوزير من ذلك شفقة منه عليه فلما جرى ما جرى ازداد بفؤاده الأمر وقد صارت عيناه مثل الجمر فخرج من تحت الاعلام من غير إذن الوزير وقد عول على البراز فباس يده الوزير وسأله فى الثبات وقد ضمن له هلاك هانى . وقال له أيها الملك إن هذا قبيح علينا أن نكون فى هذا الخلق فيقال عنا إننا عجزنا عن فارس من فرسان العرب والحجاز وما قدرنا عليه حتى خرج ابن ملكنا إليه وسار معه فى البراز وحق النار لا نطاوعك على ذلك ولو أننا أمسينا صرعى تحت السنابك ثم أنه أومأ إلى فارس قوى العزيمة من تحت البنود وقال له ابرز إلى الميدان فقفز إلى حومة الميدان وصار قدام هانى . وكان تحته جواد يسبق البرق الخاطف قال وكان هذا الفارس حاجبا من الحجاب الكبار إلا أنه كان محنة من المحن وآفة من آفات الزمن يقاتل بسائر السلاح ولا يضجر من الحرب والكفاح ولا يقف قدامه أحد إذا زعق وصاح كان صوته صوت الاسد وثوبه زرد ضيق العيون لا يبالى بضياع الاجل المصون وعلى رأسه ترك من تروك الاكاسرة برفقة مسبولة على أكتافه وعصابة من الذهب تزين عطافه واطرافه ومعه عامود

من البولاد ثقيل إذا هزه باثنى عشر حلقة ترجف القلوب فزعا من بوائقة فجال به قدام هانىء. وأخذ معه فى معاناة الطراد حتى هدقوة الجواد وقد انثنى إلى هانىء وعاد وهو يقول دونك يا عربى فتلقاه هانىء بعد هذا الكلام كما يلتقى هشيم الأرض أوائل الغمام و جالا حتى علاهما الغبار من هول ذلك المقام وقد عمل بينهما الحسام عند ما اشتد الصدام و برز فارس الاعجام وهدر هدير الاجام وقد هاله من خصمه هانىء ما رآه معه عند الزحام ومن شدة غيظه رمى السيف من يده وعاد إلى العامود وقبضه وصار يهزه وهو يومى إلى الشمس بالسجود و ينظر من هانىء غفلة أو مقتلا فما رأى ولا نال مقصدا بل أعياه الأمر واشتد الحنق فهجم على خصمه وزعق وحذف الامير هانىء بالعامود فخرج من يده كأنه حجر المنجنيق فلما رآه هانى طالبه مال عنه وأخرج رجله من الركاب يوثب عن الجواد إلى الأرض إلى أن حاذاه وتاته فعندها عاد هانىء إلى سرحه مثل البرق إذا برق وقد صاح على الحاجب وزعق و ماجمه حتى حك الركاب وضربه بالحسام على فه تشقه إلى حد سرته ونادى يا لشيبان لاشقيت ولا بلغت نتلا ان لم أكن أنا محبوب ليلى. إلا أنه ماوقع إلى الأرض حتى صاظت الكتائب وماجت وارتفع الصياح من كل جانب فكان له أخ يسمى جوامرد فقطع شعره ولطم على وجهه فبرج بطلب ثار أخيه وكان أفرس منه وكان يلقب بفارس النار إلا أنه كان شيطانا من الخداع جبارا عند القتال والقراع وكان يقاتل بالوهق الذى تقاتل به الروم والفرسان الصناديد من الفرس لأنه كان قد تعلم قتال الوهق وكان ذلك الوهق من الحرير الابريسم وهو على صفة الشبكة وله حبل غليظ مشدود فى وسط حامله وإذا تعسر عليه خصمه عند قتال وغلب معه يحذفه إلى فوق تحت الغبار ويصبر حتى أنه يتمكن من عنقه واكتافه ويتعلق فى الحبل المربوط وسطه ويجذبه بقوته فيرميه من على ظهر جوده ويملك قياده فعلى هذا الامر كان العجمى قد عزم وأراد أن يملك قياد هانىء بذلك الفعل فى ذلك اليوم حتى ياخذه أسير إلا أنه طلب أن ياخذه صالما ويشتفى من عذابه لأجل قتله لأخيه ولما خرج إلى بين الصفين أخفى الكمد وأظهر الجلد وكان هانىء قد أخذ من بعض بنى عمه صبيا وجز ناصية المقتول وعلقها على سنانه وغير جواده كما ذكرنا وطلب البراز وأنشد يقول هذه الأبيات

هذى فعالى لمن فى الحرب بارزنى	فحدثوا بحديث البدو والحضرا
ولا تظنوا انى أخشى جموعكمو	ولا أخاف إذا بحر العدا زخرا
هذا وكيف المنايا من مضاربها	وطعنة فى الاعادى توافق القدا

قال وما تم الامير هانىء هذه الأبيات حتى انطبق عليه جوامرد وقاربه مثل الاسد.

وأخذ معه فى المحاورة والجد والكد حتى جاز الأمر بينهما عن الحد وأظلم النهار وأسود وعظم الأمر وزاد الشر وقد رأى جوامر أن الوصول إلى هانىء بعد وقتاله صعب شديد فخاف أن يدهمه الليل ولم يأخذ بثار أخيه فلا ينال ما يريد فاظهر الكسل التعب حتى جد هانىء فى الطلب فحلق عند ذلك العجمى الوهق إلى فوق فى ظلمة الغبار وقد طلب الانحياز وخاف من ذهاب النهار فغاب الوهق رعاد وقد ظهر له حس عال وشهيق وقد اجتمعت أطرافه وصار مثل القبة المفقودة والخيمة المنصوبة وأما هانىء فإنه لما سمع هفيف الوهق ارتاع فى نفسه وقال والله ان هذه حيلة من حيل العجم وقد وقعت فيها بغير أرادتى فهى لاشك آخر سعادتى فواذل الملك النعمان بعدى ثم أنه جذف الرمح فى وسط الحبال فرفعه إلى فوق وعاد يطلب الأرض وكان هانىء لما رأى ذلك الوهق ارتعدت فرائصه وقد أخذته الدهشة والقلق ولما علق الرمح من يده وصار فى الهواء فالتفت عليه الحبال وعزم جذفه الامير هانىء رفعت الوهق إلى فوق وتخبلت الأحبال فى الرمح ولا وصل إلى الأرض إلا بعد خروج هانىء من محل نزوله قال الراوى ثم أن الامير هانىء لما رأى نفسه نجا من هذه المكيدة ونظر إلى خصمه وكان قد اشتغل بخلاص الوهق فحمل عليه وضربه بالحسام رفى وسط رأسه فنزل حتى فات أضراسه وعاد هانىء وهو لا يصدق بالنجاة وكان الليل قد أقبل بدجاه فخرج إليه الملك النعمان وتلقاه وأحسن جزاه وقال له والله يا هانىء لقد أوليتنى منك الجميل فاتنا ما بقيا بكلامك ما لا نطيق بل ندع ناموس المملكة وندافع معك الأعداء عند بالصباح حتى تفارق أجسادنا الأرواح فقال هانىء يا ملك الزمان ما دام القـــوم ينعضفوف فى البراز فما أحوجك إلى تعب بل ان حملوا على بجمعهم فاصنع أنت ما شئت أن تصنع قال وكان الأمير حجار بن عامر قد فتك فى طائفة العرب فعلم الملك النعمان بذلك فقل فزعه عند ذلك ونزل فرحان القلب بما قد جرى وقد عادت أيضاً عساكر العجم إلى الخيام وصار المقدمون بلومون الوزير الكبير لأجل ما منع المواكب عن الحملة وأنعاب فرسان الحجاز إلى المطاولة والبراز وهم فى شدة عظيمة من هذه العصابة ثم ترجل على جواده وقال لهم يا وجوه العرب هلموا إلى الحرب واطعنوا القوم الحقيرة ونحن فى هذه الجموع الغزيرة ولما أن كثر عليه المقال قال لهم القوم أنا ما فزعت عليكم الا بما يأتى خلفها من هذه الأرض لان أنا أعرف أن العرب ما تعقد عن نصرة الملك النعمان ولا يفعل عن نصرة نفسه وما كنت أقول إنه يسير إلينا ويلتقينا فى دبقار فى دون الأربعة آلاف فارس ولا فعل هذه الفعل إلا وخلفه مكيدة وكمين والرأى أننا ننفذ ألف فارس ونفرقها من حولنا من شمالنا ويميننا من كل

جانب وتقول لهم يوسعوا فى البرارى ثم أنهم يعبروا من خلف أعدائنا ويكشفوا لنا ما وراءهم ولا يعودوا إلينا إلا وقت الصباح حتى يخبرونا بما رأوا حتى نعمل قدر ما نسمع وإن كان لهم كمين وظهر عليهم من الملك النعمان فلا يفزعوا منهم ويقاتلوا ويرسلوا إلينا بعض الخيل حتى ندرس هذه الطائفة التى هى بين أيدينا وندركهم إدراك النهار بالليل فإن رأوا البر خاليا عادوا من خلف بنى شيبان فصاح بلغة أهل خراسان ثم أنهم يأخذون الطريق على الملك النعمان وقد بلغنا ما نريد ومن وقتهم وساعتهم أرسلوا لاياس بن قبيصة مقدم العرب فأتى ومعه هانىء وأعلموه بذلك الأمر فسيروا الف فارس من يمين وشمال وكلهم من مرازبة الفرس وشجعان العرب على الخيول المنتخبة للطلب وكان من كل فرقة عشرة فوارس من أصحاب قيس لأن اياس قد أنفذهم مع الطائفتين حتى يدلوا بهم لأجل خبرتهم بارض ديقار وقد باتت الطوائش تنقلب تحت مشيئة الرب القديم السميع العليم (قال الراوى) وأعجب ما فى هذه السيرة العجيبة أن الأمير قيس خال هانىء عاد إلى قومه وهو يقول فى نفسه هذه الالف فارس الآخر لم يعد منها بشر لأنه كان قد قدم أصحابه الذين سيرهم مع الشرية أولا قال لهم إذا عبرتم على بنى عمكم فى الليل فانفذوا إلى هانىء بعضكم واعلموه بتلك القضية حتى أنه يلحقكم فى طائفة بنى شيبان وفرسان من أصحاب الملك النعمان فيضع السيف فى هؤلاء الطناجين ولم يبق منهم لا صغير ولا كبير ولا يدرككم باحد حتى أنكم تبعدون عن أرض ديقار وتجتمع الطائفتان فى وادى الجماجم ثم أمرتهم على هذه الحال من قبل الارتحال وساروا ولما حاوزوا بنى شيبان ردوا اليهم فرسانا من الفريقان وأخبرونا بتلك القصة وقد تموا زالاعاجم وهم يفتشون البرارى وما زالوا على مثل ذلك حتى عبر نصف الليل الحالك وقد بقيت الرجال والخيل فى أمان بعد ما كانوا حاذرين وقد تمايلوا فى سروجهم من النعاس مثل السكارى وكانوا أبعدوا عن أرض ديقار وابتلعتهم لهوات القفار فرآهم الادلاء وهم على تلك الحالة فقال المقدمون عليهم والله ما خاف النعمان بسر ولا كانت هذه عبر بها عابر ولا فيها خاطر ومن عزة نفسه ما استنجد باحد ولا أرسل إلى قبايل العرب والرأى أننا نبقى سائرين إلى وادى الجماجم حتى لا يبقى علينا عقب من عاتب ولا لوم من لائم لأنها منتهى الخطر وآخر الخوف فقال مقدموا الفرس افعلوا ما تريدون واتركونا فى الوادى ساعة حتى نستريح ونأخذ الراحة من هذا التعب والسهر ونعود إلى الرجوع وقت السحر ثم أنهم ساروا إلى ذلك الوادى وقد اجتمعت الطائفتان فيه على ما كان بينهم من الميعاد ولما

وصلوا إلى وادى الجماجم نزلوا فيه يطلبون الراحة والرقاد إلا أصحاب الأمير قيس فانهم تبنلوا الحرس وقد وقفوا فى مضايق الوادى وقالوا نحن ما يمكننا النزول لأننا أذلاء حفاظ ويجب علينا أن نكون عند نومكم أيقاظ حتى لا يحدث عليكم نائبة من نوائب الزمان فلا تنام نحن لأجل الغفلة ثم أنهم أقاموا فى انتظار هانىء وبنى شيبان فنزل أعداوهم الأعجام فى ذلك المكان لأجل المنام فلما نزل القوم ومن معهم من العربان فناموا وقد ثقل عليهم النعاس من شدة التعب فصار الوادى منهم خامدا والبر منهم ساكنا لأنهم قد أمنوا من طوارق الحدثان (قال الراوى) فنى تلك الساعة أشرف عليهم هانىء وحجار فى خمسمائة فارس من أبطال ديقار فلما التقوهم الأدلاء وأخبروهم بما قدمتم على الأعداء قالوا لهم انزلوا عليهم فى هذا المساء لأنهم ما فيهم من يدرى أحسن الدهر اليه أم أساء والجميع نائمون فقال هانىء هذا هو غاية المراد من هولاء الطناحير الذين لا فرق بينهم وبين الحمير ثم أنه أعطى حجارا من الرجال أربعمائة فارس وقال له اقصد بهؤلاء الوادى واملك على الأعداء رأس المضيق وإذا سمعتم صيحتى فسلوا السيوف فى هولاء الكلاب فقبل حجار ما به أشار وقد أخذ أصحابه وسار قدام هانىء فى الأربعمائة فارس وقد ترك الباقى ماسكين الطرقات فى تلك الروابى والتلال لمن يهرب ويطلب الديار (قال الراوى) ثم أن هانىء دخل الوادى من بابه وصرخ فى الرجال وهجم على القوم وهم نيام فى تلك البطاح وقد شكوهم بالرماح فى هيا كل الاشباح فعند ذلك ثارت نفوس من منامها حيارى فى ظلام الليل ومن دهشتهم ما حققت أن تركب الخيل قد سمعت صوت هانىء فارتعدت قلوبهم من شدة الفزع وقد طلبوا الهرب فضاق عليهم تلك البرق والسبسب وقد زاد سواد الليل الهادىء وطارت الرؤس وعاد القوم يطلبون الفرج الهرب والفرار وقد طلبوا رأس الوادى فزعق فيهم الامير حجار واستقبلهم بسيوف صعت من نار فتراجعوا على الاعقاب وقد ايقنوا بضرب الرقاب وذلوا من عظم المصاب فصاروا يصيحون بلغة خراسان وينادوا الامان الامان وبنى شيبان لا يعدوا ما يقولون بل يصرون وافيهم السيوف وينشرون رقابهم والكفوف ويفعلون بهم فعال النار فى الحلفاء إذا اشتدلهيبها حتى ولى الليل وأتى الصباح حتى تركوهم مثل البطائح فأخذوا خيولهم مع اسلابهم وطلعوا إلى ساحة الفضا وكان الصباح قد أضاء وعاد المشرق بعد السواد أيضاً فقال حجار يا فارس ديقار ما لنا أن نأخذ رؤس القتلى على أسنة الرماح حتى بهم ظهور الفرس عند إشرفنا عليهم فقال له هانىء ما هذا صواب

لأنهم كانوا يقبضون على خالى قيس ويهلكون ألفين فارس من بنى عمنا الذين هم معهم ويقولون لهم أنتم أنفذتم إلى بنى عمكم وأعلمتوهم بمسيرنا اليهم وإلا ما علموا بنا فهذا أول وجه والوجه الثانى أنهم يعرفون أن أرضنا خالية من المكنين ومن الناس ومن المعين والرأى عندى أننا ندعهم على أصحابهم محيرين ومن الوهم الذى وقع فى قلوبهم خائفين ونطاولهم بالبراز إلى أن يضجروا ويتفرق جمعهم وتبصر عاقبة أمرهم وكيف تكون ثم أنهم ركبوا الجنايب وسافروا بين أيديهم خيول الأعداء ورجعوا إلى آثارهم يطلبون عرض البيداء وقد خلوا فى الوادى الجماجم تضج من أنين القتلى من العرب والعجم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من وزير الملك كسرى الذى دبر هذا التدبير فانهم من وقت السحر أخذهم القلق على السرية التى أنفذوها تكشف لهم الأخبار من أرض ديقار وما صدقوا أن يروا الصبح حتى أقبل بضياء النهار فعندها أمر الوزير النقباء بركوب العسكر حتى تعود السرية التى سارت تأتى بالأخبار ففعلت النقباء ما أمر به فدارت على تلك الخلائق التى قد ملأت المغارب والمشارق فترتبوا فى دون ساعة واعتدلت الصفوف وخفقت الأعلام والرايات وركب أيضا الملك النعمان وقد اشتغل قلبه بغيبه فرسانه وصاحبه الامير حجار والأمير هانىء بن مسعود ومن شدة نخوته فى ذلك اليوم لبس آلة حربه وركب جواده واعتد بعدة جلادة لضرب الصفاح وطعن الرماح وقال لأخيه الملك الأسود أنا وأنت اليوم نطلب البراز ونتوب عن الغياب لأننا نحن أصحاب القريحة وأصحاب الميت أولى بالبكاء والانتحاب فقال له الاسود افعل يا أخى ما تريد فقال الوزير عمرو بن نفيلة أيها الملك إذا أردت أن تفعل ذلك فالبس ما لبس هانىء بن مسعود واترك أخاك يتزيا بزى الأمير حجار وافعلوا كما كانوا يفعلون لأن الفرس لم تحمل عليكم حتى تبصر ما جرى من أمر سراياها (قال الراوى) ثم إن الملك النعمان قال وحق الإله القديم لقد أصبت وما قصرت يا حكيم ثم أنهم تنافروا إلى العجم وبرز النعمان وطلب طائفة الديلم وكان النعمان من جبابرة الفرسان فلما خرج إلى الميدان طلب البراز وقد تظاهر بزى أبطال الحجاز وكانت قلوب عبدة النار باتت تغلى على هانىء بصنوف الأحقاد ولما رأت الملك النعمان فى صفته صارت تخرج إليه من كل جانب ومكان وهو يقتل فيها مثل الاسد الغضبان إلى أن تضاحى النهار وأشرقت الشمس على رؤوس الروابى والقفار فقصرت عنه الفرسان وكان قد أهلك منهم عشرة أبطال أنجاب كلهم مقدمون وحجاب وقد زاد بابن الملك وصارت عيناه

مثل لظى الجمر وقد خرج من تحت الأعلام والازدهارات بغير أمر الوزير الكبير يطلب الملك النعمان وله همهمة وهدير وكان على جواد من جنائب أبيه الملك كسرى أبو شروان معتدل القامة مستوى شديد الحيل والقوى وعلى رأسه شربوس مجوهر مغموس فى الذهب الأحمر وعلى جانبيه صورة الشمس والقمر وهو متقلد بحسام ثقيل مجوهر وفى كفه حربة ماضية وهى على النفوس قاضية وتقشعر منها الجلود وتحت فخذه عامود محدود يهشم الجماجم والهام ويخلط اللحم فى العظام فحمل بهذا الذى ذكرناه وقد ظن أن النعمان هو الأمير هانىء عندما رآه فى تلك المعانى ثم أنه أخذ معه فى المجاولة والمطاولة والمواصلة وأخذوا فى الهزل والجد والصد والردو القرب والبعد حتى عاد النهار أسود بعد البياض وقد امتلا صدر كل واحد منهما احتقاد الا أن الملك كسرى يظن أن هذا هانىء ولا يعلم أنه النعمان وهافت النفوس عن بلوغ الاغراض وقد تقاربت أصحاب الملك كسرى إليه خوفا عليه وصار الوزير يقول لهم إن رأيتم هذا البدوى الشيطان قد نصر على ملككم فاقصدوه وانهبوا جسده بالسيوف ولاتهابوه وأن حملت طائفة النعمان انطبقوا عليهم انطباق الغمام وابذلوا فى جوانبهم الحسام وأن انهزمت فاضربوا فى أقفيتهم وقت الانهزام واصبروا حتى يأتى لنا من ورائنا وتأتى سريانا وتخبرنا بما رأت من حين فارقتنا إلى حين أن أنت (قال الراوى) وكان الأسود أخو الملك النعمان أيضاً قد برز إلى طائفة العربان وقد قتل منهم خمسة عشر فارسا من الشجعان وقد طلب بعد ذلك براز إياس بن قبيصة فبرز إليه وقد أستحى من أمر العرب التى هم من حواليه وقد وقع الصياح من سائر الطوائف واهتزت الدنيا من ركض الآمن والخائف وقد تقدم للحرب من كان به خبيرا أو عارف وقد ضجر شيرسان من قتال الملك النعمان وأراد أن يقيم ناموسه عند فرسان خراسان فهز الحربة التى كانت فى يده وضرب بها الملك النعمان ونادى فى أثرها وقال حذها يا ابن الامه البدوية من فارس الدولة الكسروية وكان كلامه بالعجمية ففهم الملك النعمان ما قال ومال عن الحربة حتى فاتته ثم رجع واستوى فى سرجه وبادر شيرسان من قبل أن يسل سيفه وطن صدر جواده فانبت الرمح فى فؤاده ولو أراد قتله لقتله ولكنه أمل فى نفسه أن يأخذه أسير ويصالحه على إطلاقه ويسأله أن يعود عنه بهذه العساكر ويتركه يعيش فى البر مع جملة العرب ولما

تصور له هذا طعن جواده فانقلب ووقع شيرسان من فوقه وقد تبكبكب من ثقل الزرد الذى عليه إلا أنه ما صار على الأرض حتى ماجت الخلق الكثيرة ودفت الزحف الكايات وتقدمت الأعلام والازدهارات ونشرت البنود والرايات وحملت الفرس من سائر الجنبات وقد صاحت طوائفها بسائر اللغات وقد حمت أيضاً عساكر الملك النعمان وقد عاينوها بنو شيبان واختلطت الكهول مع الشبان وقد استيقظ الموت كل إنسان وكان القتال من حول شيرسان وإلى هناك مالت عساكر خراسان وكان الملك الأسود قد استظهر اياس مقدم عرب العراق فحملت كتائبه واختلطت مع الفرس طوائفه فعظم القتال وصاحت طائفة الملك النعمان فى عساكر الملك كسرى أبو شروان فرأى الوزير عمرو بن نفيلة الكل قد أشرفوا على العطب وقد ساء بهم المنقلب فركب نجيبا عاليا يسبق ريح الشمال وأخذ فى يده الحسام وقد اسفر عن وجهه اللثام وقال لأصحاب الملك النعمان نادوا معى بما أقول يا أخوان وقولوا يال محمد يال محمد صفوة الملك الرحمن فاذا ناديتم بهذا النداء فانه مبارك وينصركم رب السماء على هذا الجيش المتدارك لما أنكم طائفة قليلة وهذه الأسماء التى ذكرتها لكم جليلة فيها يقهر العدو وينتهقر فلما سمعت العربان ذلك الكلام والمقالات صاحوا جميعهم يال محمد يال محمد وقد أعلنوا بهذه الكلمات وقد ذكروا خاتم الأنبياء وصاحب البرهان والمعجزات فابتهجت الأرض والسموات فخيل للفرس عند ذلك النداء أن الحجر والأرض والجبال والشجر والنبات تنادى بذلك النداء وقد نطقت بألسن الاشارات وقد أظلمت فى أعينهم سائر الجهات واسودت بين أيديهم الفلوات عند ذكر هذا الاسم الذى اختاره ربنا لنبيه وشرفه على سائر الاجناد والبشريات وقد قصرت أيديهم عن الضرب بالسيوف المرهفات وقد صاحت نساء بنى شيبان أيضاً ونشرت العبرات وكشفت الروس منهن والنساء والبنات وكانت إحداهن تقول يابنات عمى اذكرن هذا الرجل وارفعن أصواتكن بندائكن لأجل أن تنصر رجالكن عباد النار ونبلغ ماتتمنى ونختار (قال الراوى) وفى تلك الساعة أشرف هانىء بن مسعود ومعه ثلثمائة فارس على الخيول العربيات وقد ترك المائتين الآخر تسوق خيل الالف فارس الذين أهلكهم فى الجماجم الا أنه عند اشرافه رأى لمعان السيوف من تحت غبار العجاج مثل البرق الخاطف وسمع الضجات وهى عالية مرتفعات ورأى القتال قد جاز عن حد

الصفات وسمع النداء يا محمد فعرف المعنى فحمل بمن معه ونادى بذلك النداء وقد خاض القتال الأعظم واقتحم جحافل العجم فزاد الحرب التهاب وتثرت الابطال تحت الضباب وقد ذكرنا أن قيسا خال هانىء مع الملك شيرسان فى ألفين فارس وكان منتظرا مثل هذا الوقت وهذا النداء حتى بعين بنى شيبان عند قتال الاعداء وأنه لما صحت له الصيحات ورأى علم النصر لاح حمل بقومه على عساكر العجم وقد أمرهم أن يجلاوا الصوارم فى القمم وبحملته قد انكشفت الشدة عن الملك النعمان لأن الفرس كانوا قد أثخنوه بالجراح وقتلوا جماعة من قومه حتى خلصوا ابن ملكهم وأركبوه على جواده وعولوا على الرجعة فحمل الأمير قيس كما ذكرنا ونادى مثل نداء أصحابه وبذل السيف فى العجم كما وصفنا فسمعوا نداء ونداء قومه فظنوا أن عرب اليمن قد غدرت بهم وقد صارت عليهم فصاحوا على بعضهم البعض باللغات الفارسية وقالوا كل العرب قد صارت أعداءنا أضربوهم بالسيوف ولا ترجعوا تأمنوا إلى بدرى قال الراوى فبينما هم على مثل ذلك وإذا بهانىء قد دهمهم وشق الجيوش فى طلب ابن الملك كسرى وما زال يطعن فى صدور ساداتهم حتى فرق حماتهم فتخلف عنه الحجاب والوزراء وطعن شيرسان فى صدره القاه قتيل وفى تلك الساعة طلع من خلف بنى شيبان غبار إلى عنان السماء عن يمين أرض ديقار وغبار ثانى قد أقبل وكان أقرب إلى الديار لأنه كان يتلوا بعضه بعضا حتى أنه ملا جنبات الأرض وكان الغبار الأول غبار الملك قيس أما الغبار الثانى فهو غبار دريد بن الصمة والغبار الذى آتى عن يمين ديقار فانه كان غبار الأمير عمرو بن معديكرب فى بنى زبيد ففى دون ساعة واحدة انكشفت الغبائر وما فى المقدمين التى أتت إلا من حمل فى أصحابه لما رأى الحرب والنزال وأما عسكر العجم فانها حازت فى أمورها وانذهلت وغابت عن الوجود وصارت لا تعلم ما تفعل وبقيت كأنها فى منام وصار الطعن يأخذها من كل جانب ومكان وهى واقفة لا تضرب بحربة ولا تهوش بحسام وكانت دهشتهم وخذلتهم عند ذكرا لمحمد رسول الله ﷺ لأنهم سمعوا أسماء لم يسمعوها فارتاعوا من ذلك وقد فزعوا وأبصروا الغبائر ثائرة وهى متتابعة فقالوا هذه الكمناء التى كنا منا خائفين ثم أنهم عادوا على أعقابهم وقد رأوا الموت عيانا بأبصارهم فما كان لهم ثبات وذهبوا فى الفلوات وكان اياس ايضا قد هرب فى طائفة من الفرب وقد تم على الجميع الويل والحرب ولم تزل العرب تضرب بالسيف فى اقفية العجم إلى أوصلوهم إلى آخر أرض يقال لها أم حرفشه وأن هذه الواقعة التى ذكرها المصطفى ﷺ من جملة معجزاته لأنه قال أول يوم نصرت العرب على العجم عباد

النار فوحق من روحى بيده وجميع خلقه وعبادة يشيرون له بالعبادة إلية لقد كنت ظاهرا من ظلمه العدم إلى الوجود وأنا أسمع كل أصواتهم وصوت هانىء بن مسعود ولأجل ذلك قد اتفقت علماء الإسلام والرواة الصادقون إنهم شرحوا وقالوا أنه كان فى ذلك اليوم قد يظهر محمد المصطفى ﷺ وشرف وكرم وينزل إلى الدنيا وسترجع إلى كلامنا الأول بعد الصلاة والسلام على النبى المفضل وجمعت الفرسان من خلف الفرس وقد اغتنمت غنى لافقر بعده من الاسلاب والأموال التى تتحير فيها أولوا الألباب وقد عاد الملك النعمان وفيه جراحات شتى وهو لا يظن أنه من الاحياء فعند عودته أتى إليه دريد بن الصمة والملك قيس والأمير عمرو بن معديكرب الزبيدى وسادات القبائل وعتبوا عليه كيف أنه لم ينفذلهم ولا طلب منهم نجدة وقالوا أيها الملك أننا ما علمنا ما جرى لك مع الملك كسرى ولا سمعنا بمسير الفرس إليك حتى قاربنا ديقار فلهذا قد أتيناك لأننا أردنا أن ننفذ أحد من خلفائنا فشكرهم النعمان على ذلك وقال لهم يا وجوه العرب انى ماهربت العرضيات والأمور السماويات التى هى بأمر الرب القديم قال الراوى فقال له دريد صدقت ياملك أن المرضيات لاتنكر وتأتى على مثل ما يأتى القضاء والقدر ولكنها ما توافق فى كل وقت مراد الانسان وانتصرتم إلا ببركة هذا الاسم الملقب الذى يشرف قبائل عدنان الذى ناديتم به يا محمد وهذا شىء مايكون على ممر الايام موجود وينزل إلى دار الدنيا كل يوم رجل مسعود والصواب أنك ترحل معنا حتى نحميك فى جبال غزية ونجمع من حولك سائر القبائل الحجازية واليمانية والابليت مع كسرى بأعظم بلية لأنه فى هذه المدة يسير بنفسه إليك فى عساكر العجم والديلم ولا يقر ولا يهدأ حتى يفنى العرب لاجل قتل ولده فقال الملك قيس يادريد إذا كان الأمن على ماذكرت فاهل الميت أولى بالبكاء ونحن على كل حال أولى بصبرنا والصواب رحيله معنا إلى ارضنا حتى نبذل قدامه المجهود ونقاتل عن أخينا قتال من يختار العدم ويكره الوجود قال الراوى فقال الملك النعمان والله أن هذا الأمر ما يكون أبدا ولاحملت ثقلى بعد الأمير هانىء لاحدلانى به قد بلغت المنى ونصرت بسيفه على الاعداء والعاقل اللبيب إذا وقع له من يبلغه قصده فلا يذكر غيره ولا يطلب سواه قال الراوى فلما سمعت أمراء قبايل العرب كلام الملك النعمان انكسرت قلوبهم وعلموا أنه ما بقى يسمع من مشورتهم ولا فيها يدبروا ما يجيبهم فقال الأمير عمرو بن معديكرب والله يا وجه العرب ما كشفنا عنك بقدومنا شدة ولا أتيناك وأنت محتاج إلى نجدة بل فرقت بسيفك من كان قدامك من الجيوش والعساكر وقد فعلت فعلا يبقى ذكره بين الانام بعول الزمان

سايرفقال الأمير هانىء وقد انشرح صدره بهذا المقال وأثنى على من حضر من الأبطال وتموا على حالهم يطلبون الحريم والعيال والغنايم تساق بين أيديهم والأموال وسيف هانىء وسنانه يقطران دما وهو فرحان بالنصر على الأعداء وصار يتذكر ما لاقاه من شدة التعب والنصب فانشد يقول

من لا أرى يومنا والطعن مختلف ... فى يوم ديقار خقا فاته الشرف
وظعننا خلفنا تجرى مدامعها ... حزنا علينا وخوفاً والدما تكف
والجو أسود والأقطار مظلمة ... مثل الدجا وغبار الحرب منعكف
والخيل ترقص من تحت العجاج بنا ... على طبول الاعادى كلما عرفوا
يا يوم ديقاركم من حامل وضعت ... مولودها وهو باك رأسه تلف
فاضت بحار خرسان مرازبه ... كلامهم كهدير الجن مختلف
ذانهم وقرها المرجان تحمله ... مع اللئالى التى قد ضمها الصدف
وشيرسان تركت الطير عاكفة ... من فوقه وهو خالى الدرع منكشف
وكم قتيل هوى من طعنتى وله ... على البقا أسف لا ينفع الأسف
لاقيتهم ورددت الخيل عاكفة ... لبناتها من دم ساداتها تكف
وعدت والمهر يجرى بى فتزلقه ... جماجم وجسوم كلها جيف
فاستبشر يا نعمان وارض به ... ما دام سيفى ثقلا ما به كلف

قال الراوى ولما فرغ الأمير هانىء من هذه الأبيات شكروه واثنوا عليه جميع السادات فعند ذلك التفت الملك النعمان إلى الملك قيس بن زهير وقال له ياأمير أين عنتر فقال أعلم أنه جرى لنا معه كلام وراح غضبان وأما دريد فانه قال والله ما مدارة جبابرة العرب لأنى طردت ذو الخمار بما كنت أقاسى منه وأقول فى هذه الكرة ما يخطىء الملك كسرى لأنه لا بد أن يسمع بفعال هانىء وشجاعته لأنه يطلب مذلة الفرسان واخماد ذكر الشجعان و ما يشتهى أن يرى له مثال فى هذا الزمان وقد سمعت أيها الملك ما جرى له مع عنتر من العجايب وإلى اليوم فى قلبه من أجله والبلاء والمصايب فقال له الملك النعمان يادريد من هو عنتر بن شداد وذو الخمار عند هذا الفارس الكرار فوالله لو رجعت الاملاك تدبر مثل نطفة أبدا ولا نزل مثله إلى الدنيا وأنا قد اتخذته حامية لى ورضيت به لى حارسا ولا بقيت التفت إلى الزمان إن هو أحسن لى أم أسا فاسر دريد وسادات القبايل فى أنفسهم لهذا الكلام وقد وجدوا له ألما أشد من ضرب الحسام وما فيهم إلا من ندم على مجيئه وقد هانت نفسه عند

ومازالوا على مثل ذلك حتى وصلوا إلى الظعن وقد التقى كل أحد بحريمه فتقدم الملك قيس بن زهير إلى أخته المتجردة وسلم عليها واعتنقها وبكى وكذلك فعل أخوته أيضاً وكانوا قد فرحوا بخلاصها ثم أنهم عادوا يطلبون ديقار وهى تحدث أخوتها بما لاقت وبما جرى وتقول يا اخوتى بتربة أبيكم الملك زهير أن تحرصوا على أخذى معكم لان الملك كسرى ما يقعد بعد كسر عسكره وقتل ولده عن النعمان ولا بد له أن يدرك أرض الحجاز فى كل من فى خرسان وإن الملك النعمان قد أحب المقام فى هذا المكان وجعل اتكاله على هانىء بن مسعود وبنى شيبان فاحرصوا على أخذى حتى لا أكون مسبية عند العجم فقال لها الملك قيس والله صدقت يا أختاه واعلمى انى أشرت عليه بالمسير معنا إلى ديارنا ووعدته أن نبذل دونه أرواحنا فابى ذلك واخاف أطالبه بك وألح عليه فقال أنا ما أفارق عيالى ولا أحلى العرب تقول عنى أنى قصرت عن حماها بل تكونى أسوة يا اخوتى وبناتى والصواب يا أختاه أنك إذا سمعت أخبار اتنفذى الينا بعض عبيدنا وتعلمينا بما سمعت حتى أننا ندبر على قدر ما نرى ومازالوا على مثل ذلك إلى أن وصلوا إلى الخيام فنزلوا وهم فرحين بالنصر وعملوا الدعوات للعربان والعرب وقد مد لهم الملك النعمان سماطاً عظيماً وأكرم دريد وبنى عبس وبنى زبيد وأشبع السادات والعبيد وغمرهم بالطعام والمدام ثلاثة أيام وبعد ذلك صرفهم بجميل وخلع عليهم الخلع الفاخرة وأقام ينتظر ما يتجدد من الأمور فسارت القبائل وهم متعجبين من غفلة النعمان وقلة عنايته بهم فقال الأمير عمرو بن معديكرب الزبيدى يا وجوه العرب إننى لفى غاية العجب كيف كان هذا الرجل يسوق قبائل الحجاز واليمن وهذا الرأى رأيه عند حلول صرف الزمن فقال دريد أعلم يا عمرو أن الله تعالى إذا أراد أن يخلع من عبده السعادة خلع عنه السيادة والتوفيق والقاه فى غشاوته فلا يهتدى فيها إلى طريق فكذلك الملك النعمان لا يزال يهتدى بهاليه حتى يرى فى نفسه الهوان وتهلكه الأعاجم وعبدة النيران (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الحال إلى أن دخلوا على مفرق الطرق وافترقوا فى تلك الأرض بعدما ودع بعضهم البعض وسار الملك قيس يطلب دياره وهو خائف على أخته وصهره وهو فزعان من عاقبة أمره فلما أن وصل إلى الديار وقرّ به القرار سأل من الربيع عما تجدد بعده من الأخبار من ناحية عنتر وكان قد عول على أن ينفذ خلفه ويصالحه مع اياسه من صهره الملك النعمان لأن الملك قيس قد كان يدل على العرب ويطرد عنتر ويتجنى عليه إن غاب أو حضر لأجل قوة قلبه بصهره النعمان ولما أن أيس منه عاد يتلافى أمره ويلم شمل عشيرته ويؤالف بين قلوبهم وأنه لما سأل الربيع عن عنتر قال له أيها الملك أقول أنك ما بقيت تراه لأنه قد ظفر به أعداؤه وقد أصبح ماسوراً فى بلاد الشام مع قوم تركت نساءهم أرامل وأولادهم أيتام وأعمامه وجميع بنى قراد أسروا معه

وتمام أربعمائة وخمسين فارساً همام ممن يسمع مقاله ويتبع أفعاله والكل قد لاقوا عاقبة تجبرهم ومن أيام وصلت عبلة والنسوان وما لهم من الأموال والرجال مع الخمسين فارس وقد نزلوا في أرض بني فزارة على بني غطفان ولا كسروا نفوسهم ولا نزلوا عندنا ومن أمس قد أتتهم فرسان مثخنين بالجراح وقد أخبروا أن عنتر ومن معه قد أسروا ولكن ما سمعت كيف كان سبب أسرهم ولا صلح لي بعد ذلك إلى الآن خبرهم ، فلما سمع الملك قيس هذا الخبر زادت به الهموم والفكر وقد علم أن عزه بعد عنتر قد مضى واندثر فندم على ما قد فعل في حق عنتر وقال إن هذا حامية العشيرة قد هلك ولا بقي يسلم لاهو ولا من معه من الأسر وأيضاً صهرنا الملك النعمان قد عانده الزمان في معاداته للملك كسرى وقد أضحى مهججاً في الصحرا وقد اشتفى منه الحساد وظفر به الاعداء ولا بقي له نجاة ولا ملجأ إليه يلتجي ، من الملك كسرى ولا حام يحميه قال الراوى وكان السبب في أسر عنتر وجود في الأول والذي جرى له كان من لجاج الملك قيس وتكبره ومشورة الربيع ودهاه والأصل في ذلك أن الملك قيس كان له عبد بازل فارسه في شغل عرض فبلغه أنه قد أفسد في بعض المولدات الحرائر التي قدر بين ابنته الجمانه وقد تركهم على غير الاستواء فاشتد عليه هذا الأمر وقد عول على قتل هذا العبد وجد عزمه على هلاكه فعلم العبد بذلك فخاف على نفسه من القتل ومن شدة خوفه مضى إلى إخوة الملك قيس وهم الحارث ونوفل وجندل وطلب منهم الذمام وسألهم أن يجيروه فما أجابوه ولا أجازوه بل قالوا له نحن لم نجيرك من أخينا ولا نقدر أن نمنعه عن قتل من قد أفسد في حريمه ولكن أطلب أنت لنفسك النجاة واعلم أن من أجل دخولك أبياتنا ما تؤذيك ولا نقبض عليك فعند ذلك عاد العبد وقد زاد خوفه ووجله وأيقظ بحلول أجله وخرج من أبيات بني زهير وعاد وقد دخل إلى أبيات بني زياد ودخل على الربيع وأخوته وقبل أيديهم وشرح لهم قصته وطلب منهم الذمام فقال له الربيع والله لو كان ذنبك دون هذا الذنب أو كان مولاك غير الملك قيس كنا أجرناك ولكن ما في ذنبك عظيم وغريمك ما يقاومه غريم وأعلم أننا لو أجرناك وأنفذ يطلبك منا ما قدرنا نمنعك عنه بل كنا ننفذك إليه وأنت مكتوف مغلول وتمشي بعد ذلك وأنت مصلوب مقتول وأعلم أن الصواب أنك تهجر هذه الديار والدمن وتطلب أرض اليمن فلما سمع العبد قول الربيع خرج من عندهم وهو لا يعلم إلى أي البلاد يذهب وقد ضاقت عليه الأرض والسبب وانغلقت في وجهه من خوفه المسالك وعلم أنه من ذلك الذنب هالك قال وقد بلغ الخبر إلى مولاه قيس فأرسل جماعة من العبيد وقال لهم يا ويلكم اذهبوا إلى هذا ولد ابن الزنا وأحضروه إلى عندى من قبل أن يبدأ في الحرب ويستجير ببعض العرب فعندها تجارت العبيد وراءه وقد طلبوه مثل العفاريت الطيارة وفي أيديهم العصي والحجارة

وقد ساروا على آثاره فى القيعان وتلك الصحاصح قال فبينما العبد سائر لا يعلم إلى أين يمضى وإذا بالعبيد قد أدركوه فلما رآهم أيقن بالبلاد أتاه يوم الشر قد فاجأه فطلب منازل بنى قراد والعبيد خلفه وما زال مهرولا وهو خائف وأحواله عبر حتى وصل إلى وأبيات عنتر وكان عنتر فى تلك الساعة حاضرا فى الخيام من سعادة العبد فدخل عليه الق نفسه بين يديه بكى وشكى قصته عليه ثم أنه قال يا أبا الفوارس يا حميت حامية عبس إلا وأنت على الحقيقة حامية وحافظ حريمها ومراعيها وكاشف عنها الشدائد والكبائر وناصر من ليس ناصر واعلم أننى أنا عبد قليل المعين بلا أليف ولا قرين ولى من يتحكم فى بالخدمة ويزيد على بالاسا وأبالغ فى خدمته صباحا ومساء وقد حدث منى أمر وكان غلطا وأنى وأنا أعرف أنه ذنب عظيم وخطا واعلم أن مولاى قد أهدر دمى وطلب هلاكى وعدمى وما وجدت لى مجير إلا أنت يا كهف العشيرة وحامى القبيلة لاننى أريد منك أن تجيرنى على عوائدك الجميلة أن العبد شرح له قصته وطلب منه ذمامه وأن يحميه من حمامه قلما فلما سمع الامير عنتر من العبد ذلك الكلام تعجب من كلامه ومعرفته وأحكامه فاعطاه ذمامه وقال ابشر يافتى بالأمان من غير الزمان واعلم أنك قد نزلت فى بيت يأمن فيه الخائف من كل من ذب ودرج فوحق ذمة العرب لو طلبك كسرى أنوشروان لهدمت على رأسه الايوان وخرجت معابده وبيوت النيران وهججت الفرس إلى أقصى خرسان وإن طلبك قيصر قصرت باعة وهدمت بلاده وهلكت اتباعـــه فكن فى أمان من ركب على ظهر الحصان وحمل السيف والسنان ولو أن خصمك فارس بنى غسان الحاكم على عبدة الصلبان هججته من الأوطان قال الراوى فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا بجماعة من عبيد الملك قيس الأرقاح قد اقبلوا إلى الحلة فى تلك البطاح فتقدم كبيرهم إلى باب الخباء وصاح وقال يا أبا الفوارس لا تقبل لهذا العبد قولا فهو ولد زنا فلا تبلغه المنى فقد قال الملك قيس أنه ما تقبل فيه ذمام لأنه خان وافسد وفعل فعل الاثام فلما سمع عنتر من العبد ذلك الكلام قام على أقدامه إلى ظاهر المضرب وكان قد عول على كلام العبد واثر عنده الغضب وقال اذهبوا يا مذلولين فوحق من جعل البيت الحرام حمى لو طلب هذا العبد ملك العجم لهدمته بيوت نيران أو قيصر قصر باعة إذا تعدى وظلم فلما سمع العبيد من عنتر ذلك المقال زادهم الحرق والعناد فصاح عليهم عنتر الأسد الجواد وجرج اخوته على صياحه وكذلك ولده ميسرة وصاحوا مع صياحه ومالوا عليهم بالعصى والحجارة فلما راى العبيد ذلك الخارج الجميع على الأعقاب وطلبوا منازل بنى زهير ودخلوا بتلك الحالة على مولاهم الملك وشرحوا له ماجرى لهم مع عنتر وقد زادوا على الكلام اضعافه ومن شدة

غيظهم قالوا والله يا أيها الملك أننا سلمنا من الهلاك لأن عنتر وأخوته خرجوا إلينا وسبونا وأسروا العبيد بحضرتنا وقال عنتر أنا أجرت هذا العبد وأعطيته الذمام وما بقى لأحد عليه سبيل ولا للأسود إليه دليل ولا أسلمه ولو طار هامى فهو دون المولا كم قيس وقولوا له يقصر عن طلبه ولا يخرق ناموسه ولا يتعب نفسه فانه ما بقى يقدر عليه لا هو ولا سائر ملوك العرب من بعد منها ومن افترق. فلما سمع الملك قيس من العبيد هذا الكلام تقلقت حراسه واستحى من جلاسه فنكس إلى الأرض رسه وغاص فى بحر الافتكار وكان عمارة والربيع عنده فتكلم كل منهم على قدر هواه وفيهم من استحسن من الحاضرين فعاله والبعض منهم وبخه واستبحه وأما الربيع بن زياد فانه قال للملك قيس أنت ترى ما كان من ابن زبيبة فانه ما جعل نفسو أسوة بنا وبا جوة هذا الملك ولا رأى نفسه أن يطرد العبد كما طردناه بل أنه أظهر عزه وفاتنا وافتخر بعبوديته علينا فلعن الله يوما كنا فيه ألحقناه بالنسب وخليناه فى أنسابنا ولا كان زمان تركناه فيه بعد من احسابنا فوالله أن أخذنا أسارى الفكر وعذبوتا العدا ألف مرة أهون علينا من نصرة هذا العبد فقال عمارة وحق ذمة العرب كلما سمعك واحد يصيح ياحامية عبس فانه يفتت كبدى وأقول فى نفسى لعن الله قبيلة تريد من أولاد الاماء ناصر اوحما هذا والملك قيس يطرق إلى الأرض لا يرد جواب ولا يبدى خطاب بل أنه قد صار متفكرا فى هذه الأسباب ولما أن أعياه الأمر وسمع كلام من حضر من السادات رفع رأسه وقال لهم كم أذل إلى عبد شداد واصبر على جوره ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول .

الا كم أذل وكم أصبر وأكتم غير الذى يظهر وأحتمل الضيم من أسود
لئيم بلا نسب يذكر هجين بنينـــا له رتبة فكل يد دونها تقصر
فقابل معرفنا بالقبيح وهذا من العبد لا ينكر أيا ابن زبيبة خل اللجاج
فذنب اللجاجة لا يغفر إذا أجرت عبدى وأغضبتنى فانا انت على موضعى اقدر
وحق الذى بيته مسكة وفيها الحطيم كذا المشعر لئن لم تدع عنك هذا اللجاج
ويستر ما مثله يستتر والا أتيتك فى عزمة يذل لهيبتها قيصر
وأنى على كل ذا قادر أذل الذى لكم ينصر وأرميك فى وسط كل البلاد
ولو أنك الأسد النسور . فمثلك يبغى لنا أن يكيد ويطلب عارا لنا يحضر
فقليل منك هـــذى الفعالا فكل قبيـــح لكم يذكر

قال الراوى ولما فرغ الملك قيس من هذه الأبيات استشار من أمامه ومن حواه فيما يفعل فقال له الربيع الصواب أنك تنفذ إلى عنتر وتطلب عبدك فان أطاعك وأنفذ إليك وامتثل

أمرك واعتذر اليك فلا تعب عليه وأن أبى ذلك اقبض عليه وقيده و بعد ذلك إنفيه من أرضك وابعده ونحن نحلف كلنا يمينا أن لا نرجع نجاوره ولو مالت علينا الجبال فلما سمع الملك قيس ابن عمه قرواش بن هانيء وقال له امض إلى هذا العبد واخبره بما جرى على قلبى من فعاله وقل أما كان لك أسوة بنا وباخوة الملك قيس وجميع سادات العشيرة الذين استجار بهم هذا العبد وما أجاره إلا أنت وحدك أترك أن تنفرد بالذمام والأمان وتعلم قبائل العرب إننى أنا عندك ذليل مهان وبهذا تتجرأ على ملوك الزمان ولا تعد ياقرواش إلا ومعك عبدى إلا وحق ساطح المهاد سرت أنا اليه ووضعت السيف فى آل قراد ولا يتركنا شماتة للاعادى والحساد فلما سمع قرواش من الملك قيس ذلك الكلام أجاب بالسمع والطاعة وقام من عندهم ودخل على عنتر بعدما سار إلى أبياته وحدثه بجميع ماجرى وقال له فى آخر كلامه يا أبا الفوارس إنك ما تقدر تقطع هذه الفتنة إلا بتسليم العبد لأنه ذنب عظيم واعلم أن عبد ابن عمى من لا يخلى ناره تخمد والصواب أنك تخرج هذا الولد نسل الزنا من أبياتك و تقطع هذه الفتنة التى تريد أن تتجدد وان لم تفعل شمتت بنا العدا ثم أنشد الشعر الذى أنشـــده قيس وقد أعلمه بما هو فيه من الغضب فقال له عنتر بعد ما سمع منه ما أتى به من الرسالة والله العظيم ياقرواش إن أمر يكون أبدا ولا تترك بنى زياد يشمتون بى مع جملة العدا ولا أكون قد أعطيت لرجل ذمامى وهو خائف وملات له خواجره طعاما بعد المتالف وأسلمته بعد ذلك لمن يقتله قدامى والوجه الثانى أنكم قد سميتمونى حامية بنى عبس فلم لا أكون أحمى الحيف وأكوم الضيف واضرب دونكم بالسيف وإلا كون مخالفا مع أن أشعارى قد شاعت عند سائر العربان وقد ذكرت فيها أن جارى يبيت فى غاية الأمان وجار غيرى لا يبرح سهران فزعان وهو اعلم أن جملة قولى وأنا فى غطفان حيث قلت هذه الأبيات

ملات الأرض خوفا من حسامى   فظل الناس فى قيـــل وقال
وجارى لايزال قرير عين   يشجع فى الورد جارى الذليل

قال الراوى ثم إن عنتر بعد ذلك الكلام قال ياقرواش اعلم أن من شاع عنه فى العرب هذا الكلام ويبين له ماجد من ستين وأعـــوام لا يليق له أن يسلم عبدا قد أجاره وقد أعطاه ذمامه لاسيما وابن عمك قد عايرنى فى شعره بالعبودية وذكر شيئا قد مضى عليه الزمان وتغير وقال لك إنه ياتينى فى عزم يذل به قيصر ترى أنه لايستحى أن يتكلم بهذا الكلام فما كان عليه من الحزم ما يجيز لى بعض

هذا الزمام فوحق من أوسع البر ورفق الدر وتعالى عن المكان والمستقر لافسخت ذمامى ولو رأيت شخص الموت قدامى ثم أنه قد رد عليه شعره بالجواب وجعل يقول :

أباقيس لا تشمت الحاسدين ... وتجعل لنا مثـــلا بذكر
ولاتصدع الشمل يا ابن الكرام ... فصدع الزجاجة لايجبر
ولا تسمع القول من حاسد ... فانى على الذل لا أصـــبر
حلفت ودينى حفـــظ الزمام ... وفى القبر أمشى ولا أنكر
وكيف التـــذ بطيب الكرى ... وجارى له مقـــلة تسهر
أبا قيس لاتنس ماقد مضى ... ولا تنقض الأول الآخر
فلى خدم كل أهل الفـــلا ... شهود بها عنـــد من ينكر
بنيت لكم فى العـــلا منزلا ... يقصـــر من دونه قيصر
وكم نار حرب لكم أوقدت ... وباتت بسمر القنا تسعر
فلما دنا منكمو حرها ... طفاها وأخمـــدها عنتر
فعدوا فعالى وأفعالكم ... ولا تجحدوا من له الاكثر
على أن عتبى لكم ضائع ... ومن ضيع العت لا يشكر

(قال الراوى) ثم أن الغيظ غلب على فؤاده فانقطع بعد هذا البيت كلامه واقتصر فى الكلام وفى الرسالة فسار قرواش من عنده وعنترية وله ياقرواش لاتضيق صدرك فو ذمة العرب لو أن نفسى تطاوعنى على فسخ الزمام لعاد العبد معك ولكن والله لافعلت ذلك أبدا ولا تركت العرب تقول أنى عبد ممسوخ الذمام لا وحق البيت الحرام فلما سمع قرواش كلامه عذره وسار من عنده بالجواد إلى عند الملك قيس ولما دخل عليه قرواش ورآه على تلك الحالة أراد أن لا يتكلم بشىء من ذلك فقال الملك قيس أين العبد ياقرواش فقال يا ابن العم أعلم أن الرجل شديد الجنان لا يلتفت إلى الزمان ولا يبالى به إذا جار فقال الربيع ياقرواش إن كان هو بهذه الصفة فالناس ما يخلون له عدهم لأنه على كل حال عبد وهم موالى والعبد ليس له أن يفعل ذلك (قال الراوى) فاتم الربيع كلامه حتى وثب الملك قيس من بينهم وثبة الأسد وخرج من بين الأطناب وسار أبيات عنتر وقد عصفت نخوة فى رأسه فلما رأى إخوة أعمال ، أعماله خافوا من الفتنة أن تقع بينهم وتنزل المغبة عليهم فتواثبوا إلى خيولهم وركبوها ولحقوه وعلى فعاله لاموه وقال له عمه أسيد إيش عولت أن تفعل ياقيس أيريد أن تشمت بنا الأعداء ولا يبقى من القبيلة أحد أما تعلم أن عنتر له من المحبين أو فى ماله من الأعداء

فقال له أنا ما أدرى عن ذلك وإنما أريد أشفى قلبى بهذا السيف منه وما عندى خبر عنه ولا أبالى بما يكون من بعدى فقال له أسيد إذا أردت ذلك فأنا أبلغك إياه بوجوه لا يعقبنا فيها ندم ولا يسيل من العشيرة محجم دم وأنا أشرح حتى أنك ما تعود إلا وقد انطفت نارك ثم انفرد به عن الناس وقال له اعلم أن هذا الجهل الذى قد صورة الغيظ لا ينفعك لانك إذا وصلت إلى أبيات عنتر وأنت على هذه الحالة تبعك كل من فى الحالة خيالة ورجالة وكثر من الناس الكلام وأكلوك محبو عنتر بالملام وربما دافع عن نفسه وجرد فى وجهك الحسام وأخرق ناموس ملكك الذى تعيش به بين الانام والفرسان الذين هزمهم فى الحرب مثل النار المعسرة واعلم أن الصواب عندى أنك ترجع بنا وناموسك باق عليك تدعنا ندبر أمرك ونبلغك مناك وإذا أقبل الليل وانسدل الظلام وتخمدت نيران الحى وعرفت الناس فى المنام أسير أنا بنفسى ومعى بعض إخوانى وجماعة من العبيد الذين نعتمد عليهم فى كل صعب شديد والكل بصدور الوردو السيوف وتسير رجالة بلا جلبة ونهجم على هذا العبد ولد الزنا فى مضربه ونقبض عليه ونسوقه بين يديك سوق البهائم فتبلغ منه المراد وإما تقتله وإما تنفيه من هذه البلاد فتنكسر نفسه بعد هذا الإيراد قال الراوى فلما سمع الملك قيس من عمه هذا الكلام قال له ما أريد إلا ما قلته لانى قد تبعته وطردته مرارا عديدة ويرجع الدهر يحوجنى إليه ويجعل فرجى على يديه وهذا الذى أطمعه فى جانبى وهذه النوبة إذا أهتكته وأصابتنى مصيبة بعده لا يبقى يرانى ولا يشمت بى فقال أسيد يا ابن أخى إيش المصيبة التى تحل بك ونحن أنصارك وأعوانك ثم أنه طيب قلبه بالميعاد وقد أخمد نار غضبه وعاد وهو لا يصبر على تلك الحال ولا يبصر ما بين يديه من الغم الذى نزل عليه قال الراوى ثم أن أسيدا كان من المحبين لعنتر وما فعل تلك الفعال إلا من أجله لانه كان يحب شعره وفرسيته وأنه لما رأى الملك قيس قد عاد معه إلى المضرب فضرف من كل قد اجتمع عنده من فرسان العرب فأنفذ إليه أسيد بعض عبيده يعرفه كل ما جرى ويقول اعلم يا ابن العم أنه ما بقى فى الحى لك مقام وأنك يا ابن العم تسير فى الصحراء لان ابن أخى قد زاد فى لجاجه وفى جهله عن الحد واعلم ان عنده من لا يمنعه مما هو فيه ولا يرتد عنك وقد عولنا ان نكبس فى الخيام إذا جاء الظلام وتثير الفتنة وينفسخ الزمام وأنا اعلم انك ما تغلب ولكن العشير لا تتشتت بهذا السبب والصواب انك ترحل عن هذه الديار وانت كريم وتترك الذل لحسادك مقيم وبعد رحيلك اعلم ان الجميع يحتاجون إليك إذا نزلت بهم المصايب والنوايب هم بك يبادون وإليك يحتاجون (قال الراوى) وكان عنتر بعد مضى قرواش من عنده

بجواب الرسالة أحضر أباه وأعمامه وأخاه مازن وولده ميسرة وعروة بن الورد وخواص رجاله وقال لهم يا بني عمي أنا أسلم أن قيس ما بقي يجاورني ولا بد أنه يطلب قبضي أو طردي وقد رأيت من الرأي أنني أرحل عنه في أقطار البيدا وأحلف أنني لا أعود أجاوره أبدا ولو نهاني سيوف العدا فلما سمع الحاضرون ذلك الكلام قالوا كلهم يا أبا الفوارس إن هذا الحساب الذي حسبته قد حسبناه وكل ما ذكرته عرفناه وعلمنا أن كل من أقام بعد رحيلك عاش ذليلا يشيب ويبزى هاهنا مثل الغريب فقل لنا إلى أي الجهات تريد الرحيل وتعول بنا ما دمنا قادرين على التحويل لهم عنتر اعلموا أنني قد عولت أن امضي من ارض الحجاز واسير إلى قريب من ارض الشام واتخذلي في بريتها مقام واجعل غاراتي إلى تلك الديار واقيم منفردا في القفار لانني قد عجزت حيث اعمل الجميل واصلح حالي مع قومي ويفسده الربيع وعمارة القوا الرقيع قال الراوي فبينما هو في هذا الكلام وإذا بالعبد الذي انفذه اسيد داخل عليه واخبره بما قال مولاه واخبره بالحديث الذي ذكرناه فقال الحاضرون هذا هو الحساب الذي كنا فيه ثم شكروا العبد واعادوه إلا الاهير اسيد بالمدح والثناء وبعد ما عرفوا انهم معولين على الرحيل وبعد عودته انفذوا عبيدهم إلى المرعى فقد امروا الرعاة ان تسوق الاموال إلى التي يطلبونها فأخذوا في شد الهوادج العيال والتأهب للارتحال فما امسى المساء إلا القوم على ظهور الخيل فساروا وتحت أذيال الدجا فلم يعلم بهم أحد لان فريقا من بني عبس كانت مباعدة عن بعضها لأجل سعة أرضها وكان الراحلون مع عنتر خمسمائة بيت وهم فريق آل قراد وصعاليك عنتر ورجاله فقد ذكرنا فيما تقدم أن فريق آل قراد كانوا ثلثمائة فارس ورجال عروة كانوا مائة فارس وكان انضاف لعنتر من محبيه صعاليك الحي مائة فارس فساروا في البر (قال المؤلف) وأما ما كان من الملك قيس فانه قضى باقي نهاره بافتكاره وما صدق بقدوم الليل وانسدال الظلام حتى أنه عاد بعمه أسيد وقد طالبه بما وعده من كبس عنتر وقبضه فقال له أسيد يا ابن أخي ما امسى المسي إلا والرجل قد رحل من الديار ولا له هنا آثار لأنه قد حسب الحساب الذي حسبناه وقرا الكتاب الذي كتبناه وقد اخبرني الذي عرفني بمسيره انه قدم نساء قومه عند رحيله بين ايديهم بصحبة اخيه شيبوب ومائة فارس وقد تأخر هو وابوه شداد وعروة واخوه مازن وولده ميسرة وتمام الاربعمائة فارس الذين يعتمد عليهم وقال لهم اعلموا يا ابن عمي انني قد عولت ان اهجر بني عبس ولا بقيت ارجع اجاورهم ابدا وانني اريد الليلة كل من لحقني منهم شفيت بقتله غليلي واتركه طريحا على الثرى

لأن الظلام يستر الهارب فى الفلا وأنه يساوى بين العبد ومولاه ولا يقع فيه وقت يوجبه الحياة فابذلوا أيديكم فى طعن القنا وسيروا تحت ولا تكونوا أذلاء وأنا والله ياقيس قد كنت عولت على اتباعه بهذه الفرسان إلى أن سمعت عنه هذا الحديث فرأيت القعود عنه صوابا لأننى قد قلت أن هذا ذليل وهو عبد ولد زنا على كل حال وعاشق ومحبوبه بين يديه فى جملة النساء فوالله ما يسير على أثره إلا من أجله قد دنا وعمره وقد نزل من السما فدعه أن يمضى إلى حيث لا يوجع ولا يبصر ولا يسمع (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس هذا المقال والكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وصار يقلب يديه أسفا ويظفر حسرة وتلهفا وأما الربيع ابن زياد فانه أنفذ العبيد فى أثر عنتر لما علم أنه رحل وقال لهم يا ويلكم سيروا خلف عنتر وأبصروا من ينزل من العربان وعودوا أخبرونى حتى أنى أعلم به وأعمل على تكدير عيشه وقطع أثره فسار العبيد خلفه (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر فإنه ما زال سائرا وهو غافل عن هذه الأمور إلا أن قلبه من شدة الغبن مكسور وعلى أنه قد هجر المنازل والديار وتبطن فى البرارى والقفار إلى أن وصل أرض تيما فأشار عليه شيبوب بالنزول فنزل على غدير بنى خويلد وهى برارى مقفرة لا يعرف الدليل منها مذهبا ولا يسلكها أحد من جاهلية العرب فنزلوا فيها وقد اتخذوا بها المقام وسرحوا فيها جمالهم والأغنام وضربوا المضارب والخيام وكان الوحش من حولهم آمن بالصيد فى مدة أيام وقد طردوه فعلت بهم قوافل التجار عند ما عبرت تطلب أرض الحجاز من الشام فساروا يشتروا منهم الخمر بالنوق والجمال ويقطعون الزمان بتناول الأقداح حتى يتسلوا عن الاوطان فرآهم عنتر وقد أسرفوا فى شرب الخمر لأجل كثرته فخاف من عدو يدخل عليهم خليهم إلى البر الخراب أو اتفاق بأنى لم يكن بشىء فى الحساب فصار يفرق الحرس فى كل ليلة منهم جماعة بقدر ما يعرف منهم من الشجاعة ويمنعهم الليلة حرسهم من الشراب ويكلمهم حفظ العشيرة وإذا كانت نوبته يتولى الحرس بنفسه وحده كل ذلك احترازا من شماتة الأعداء وأما إذا نزل القضاء من السماء فانه يصير أعمى وفى بعض الليالى والأيام اتفقت نوبة مازن وولده ميسرة فى الحرس فتولى تلك الليلة الحرس من أول الليل فأخذ يرفى الدوران على ظهور الخيل حتى مضى بعض الظلام ولعبت بعقول الرجال الخمرة وقد استولى على جميع من فى الخيام سلطان المنام وكان مع مازن شىء من الخمر فغلب عليه السهر فنام على ظهر جوادة وقد غرق فى بحر السكرى كما جرت سنة فرسان العرب ساعة من الليل وأفاق فوجد ابن أخيه ميسرة قد خلا بنفسه وأوسع فى البر وهو ينظر ساعة إلى الخيام وتلك المضارب وتارة يرفع رأسه

إلى السماء والكواكب وهو يبكي بدموع سواكب وقد زادت منه حسرته عند ماخانه دهره وأبعد عنه محبوبته فاشار ينشد ويقول

نم هنيئا يامن سلبت فؤادي — واشتغل عن تقلقلي وسهادي
فجفوني مقرحات وقلبي — حائر لايرى طريق الرشاد
حادثات الزمان قد عاندتني — وإلى قد كان أصل الفسادي
وتعــدى علي في أخذ اسما — وهي مجرى دمي وأقصى مرادي
ياعذولي دعني أهيم بوجدي — وغرامي في كل شعب ووادي
وإذا ماسألت عني فاخفي — خبري عن مسامع الحسادي
آه آهين من غرامي ووجدي — هام قلبي والحب زاد بعادي
لم أجد لي من الغرام مجيرا — لشوق مضى كثير العناد
قد جفاه الحبيب وزداد قهرا — باكي العين لا أرى اسعادي

قال الراوي فلما سمع مازن من ميسرة هذه الأبيات وتلك النظام طار من جفنيه المنام. فسار إلى عند ميسره وكان يحبه محبة زايدة لفعله وخصائله الحميدة وكرمه وشجاعته فلما صار عنده قال له وتلك ياميسرة وأنت من أجل اسما تقاسي هذا العذاب فوالله لقد كنت أنكر تقصيرك من أكل الطعام والشراب وافتكارك وإطراقك بين الناس والشباب فوحق ذمة العرب ماأنت إلا قد أتعبت خاطرك في أمر فات وقد جازت عليه الأيام ومضى واعلم أن الرأي عندي أنك تسلو اسما ولا تمد يدك إلى البدر فما تصل اليه فقال ميسرة والله لولا خوفي من أبي لكنت خلصتها ولو أنها في حجر ملك الروم قيصر وأما قولك أسلوها فاهو بامري كيف أسلو من ربيت أنا وإياها في مكان واحد ودون أجلي هرب أبوها إلى أرض بني عبس وأبصرها جميد فهواها وساعده أبي عليها حتى ملكها له قهرا بعد ماجرى لي الآن أنا ميت بين الأحياء وقد أتعبني الافتكار والقلق لأنني تارة أقول أرجع إلى وطني لعلي إن أبعدت عنها يقل مابي من الجوى وتارة أن اهيم على وجهي كما فعل قبلي المنيمون الأول وإذا ازداد بي الألم أقول مالي إلا أن اقتل جميد وأخذها وأسير بها إلى بلاد أخر ثم أنه بعد ذلك الكلام زاد به الوجد والغرام فبكى وأن واشتكى وصار يشير إلى ناحية خيام اسما ثم أنشد وجعل يقول

أقول لمن أهواه إن كان نائما — يعانقه شخص من الحب خاليا
ومثلي على ظهر الجواد متيما — أراعي نجوم الليل مما دهانيا

ولولا أنى قصرت بالسيف عمره ... وأبكيت من بطشى عليه البوا كيا
وها أنا لولا اللوم المت قلبه ... بقول شنيع لم يكن متواهيا
وها أنا منه لم أزل متعللا ... إلى أن انال القصد أولا أباليا
واحظى بها إن قدر الله باللقا ... على رغم حسادى واضنى الاعاديا

قال الراوى فلما فرغ من شعره رق مازن إلى حاله وسمع مقاله فتقطعت أحشاه وتألم لشكواه فبكى لبكاه وقد عصفت فى رأسه نخوة جهله وصباه لأنه كان مقاربا لميسرة فى العمر والسنين وقد ذاق أيضا مرارة العشق مثل من المتقدمين فقال له مازن طيب قلبك ياميسرة فوحق اقداره مقدرة وأمور مدبرة لأخالفن أباك واتبع هواك حتى تبلغ منك ولكن اعلمنى إلى أين تريد أن تذهب باسما إذا أخذتها فقال له إلى بعض أحياء العرب أو إلى المنزل الذى ربيت فيه فقال مازن ما كان أبوك يترك لنا عيشا هنيئا بل أنه كان يتبعك ويأخذها منك ويقلع أثر القوم الذين أنت نازل عليهم وأنا قد رأيت من التمام أن أخذها لك وأسير بك إلى بلاد الشام ونتخذ لنا هناك منزلا ومقام ولا نرجع لأبيك حتى يحلف لنا أنه ما يعارضك فيها ولا يشد مع مجيد بسببها قال فلما سمع ميسرة من عمه مازن ذلك الكلام قال له أعلم ياعمى أنى قد سمعت أن لأبى فى بلاد الشام أعداء يقال لهم بنو فزارة وأن لهم عليه دماء كثيرة فكيف يكون حالنا معهم إذا دخلنا أرض الشام فقال له مازن إن هذا أمر ما نبالى به من وجهين أحدهما أن القوم ما يعرفونا فى ديار بنى عبس لما كانوا لهم جوار والوجه الثانى أننا إذا حضرنا قدام صاحب دمشق وطلب برازنا من الفرسان وقهرنا أكثر أبطاله والشجعان فيعرف منزلتنا وقت الضرب والطعان ويترك لنا عنده أقطاعا وديوانا ولا نبقى بعد ذلك نفتكر فى بنى فزارة ولا فى غيرهم قال الراوى فلما سمع ميسرة من عمه مازن ذلك الكلام زاد به الطمع واخذه من شدة المحبة الدمع فقال له ياعمى ما بقى بهنا بعد هذا مقام واعلم أنى إذا لم اجتمع باسما الليلة قبل طلوع الفجر وإلا هلكت فقال مازن اسير يا ابن أخى فو ذمة العرب قبل الصبح تكون بحكمك ولكن سر بنا إلى مضارب مجيد حتى أنى أريك ما أفعل وأبلغك ما تريد لأن أباك فى هذا الوقت طافح سكران وأهل الحى كلهم نيام ولا نا عندهم مال ولا نوق ولا أولاد ولا نساء ولا عبيد ولا فرق بيننا وبين الغرباء والصواب أننا نشرع فى بلوغ المنا من قبل ذهاب الدجا ثم أنهم بعد ذلك ساروا يطلبون أبيات مجيد بن مالك وقد هون عليهم العشق وجهل الصبا المهالك

(تم الجزء السابع والعشرون ويليه الثامن والعشرون)